مجموعة قضايا معاصرة

الأستاذ/ مصطفى بن محمد غريب

1426هـ - 2005م

إهداء

إلى كل من علمني حرفا، وكل من ساعدني على إخراج هذا العمل, وكل محب للعدل والسلام والحوار بين البشر. إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا العمل.

مصطفى بن محمد غريب

2005/06/05م

شكر وتقدير

الشكر الدائم لله رب العالمين ثم الشكر لأصدقائي ولرؤسائي وزملائي في العمل الذين ساهموا كل بجهده ومقدرته وشجعوني على ذلك وأخص منهم:

صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن طلال بن عبدالعزيز آل سعود

صاحب السمو الأمير فيصل بن عبدالله بن فيصل آل سعود

صاحب السمو الأمير فهد بن عبدالله بن فيصل آل سعود

صاحب السمو الأمير عبدالعزيز بن عبدالله بن فيصل آل سعود

صاحب السمو الأمير عبدالرحمن بن عبدالله بن فيصل آل سعود

صاحب السمو الأمير سعود بن فهد بن فيصل آل سعود

صاحب السمو الأمير سعد بن عبدالله بن فيصل آل سعود

صاحب السمو الأمير فواز بن عبدالله بن فيصل آل سعود

صاحب السمو الأمير متعب بن فهد بن فيصل آل سعود

صاحب السمو الأمير يزيد بن محمد بن فهد بن فيصل آل سعود

وشكري لجميع الذين ساهموا معنويا وماديا في إخراج هذا الكتاب للنور مع اعتذاري عن ذكر أسمائهم لضيق المجال.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين , وبعد فهذه جملة من المقالات المنشورة للكاتب في بعض الصحف أحببنا نشرها في كتاب تعميما للفائدة , وهدفنا المساهمة في إثراء الثقافة ولاسيما أن المكتبات العربية تعاني من النقص الكبير في الكتب مقارنة بإنتاج الأمم المتقدمة .

في الوقت الذي نضع فيه "مقالات في كتاب " كنوع من العمل الثقافي بين أيدي قرّاء العربية، بمشاركة كبريات الصحف في الوطن العربي أملاً في أن تبلغ الثقافة والمعرفة مدى أكثر اتساعا في حياة الأفراد والمجتمع وهي خطوة مهمة نحو نشر الثقافة وهذا الانتشار سيساهم في تعميم الفائدة والتواصل مع المجتمع بمختلف أطيافه , ولهذا أحببنا أن نسمي هذا الكتاب " مجموعة قضايا معاصرة " من أجل مزيد من إثراء الوعي الثقافي .

ونهدي "مقالات في كتاب " إلى المثقف العربي الذي يرفع رايات الحوار الموضوعي والبناء ويحترم مبدأ الرأي الآخر حتى نجيد هذا الفن والذي يحق للطرف الآخر أن ينتقد ما يشاء وفق قناعاته الفكرية دون تجريح طالما يهدف إلى مصلحة المجتمع وتحقيق نجاحات حضارية مبنية على نضج ثقافي واعي لتستمر حياة الإنسان على الأرض الذي فضله الله على كثير من خلقه .

مصطفى بن محمد غريب

محتويات الكتاب

1 الفصل الأول

2 الإرهاب

3 إرهاب يطل برأسه عبر سارية العلم

لقد أدى العمل الإرهابي الجبان الذي تعرضت له القنصلية الأمريكية في جدة قبل أيام إلى مصرع عدد من المواطنين والمقيمين وهي عملية إرهابية بكل المقاييس , وهو تأكيد من جديد على أن المجرمين لا يراعون حرمة دين ولا وطن ولا نفس بريئة وقبل ذلك حرمة المقدسات الإسلامية .

ولقد تعاملت قوات الأمن مع الحادث بكل ثقة وتصدت للإرهابيين وقتلت بعضهم وأسرت البعض الآخر وهذا مصير وجزاء كل من تسول له نفسه زعزعة أمن واستقرار هذه البلاد الغالية على نفوسنا جميعاً وكان اقتحام القنصلية الأمريكية بمحافظة جدة دلالة قوية على العجز التام واليأس الذي يشعر به الإرهابيين والفئة الضالة .

وتعتبر العملية فاشلة بكل المقاييس وإلا فما فائدة إنزال العلم عن ساريته لبضع ساعات وما الفائدة من بث الرعب في قلوب المواطنين والمقيمين والمستأمنين وأهل الذمة وما الفائدة من استغلال بعض الثغرات الأمنية عند دخول سيارة تابعة للقنصلية إلى مبنى السفارة ليقوموا بعملية انتحارية .

ومن المعروف أن الدين الإسلامي الحنيف يحرم الانتحار بكل أشكاله فقد أضروا بلادهم وأنفسهم ومن سلبيات هذا العمل بث نوع من العداء بين الأمم في الوقت الذي نحن بأشد الحاجة لتوحيد الصف والتكاتف لتغيير الصورة الذهنية السلبية عن المسلمين ولاسيما أن المسلمين أصحاب حق ودعاة سلام .

الكل يعلم أن حراس هذه المنشآت هم من أبناء الوطن وقتل أبناء الوطن يعتبر من المحرمات والدم الوطني غالي يجب أن نحرص عليه لا أن نفرط فيه , وما ذنب الموظفين الذين يؤدون أعمالهم داخل القنصلية والمراجعين من المواطنين والمقيمين الراغبين في الحصول على تأشيرات دخول للولايات المتحدة الأمريكية لغرض الدراسة أو العلاج أو القيام بأعمال تجارية تخدم مصالح الوطن ؟

إن استمرار وجود أعمال إرهابية يدل على استمرار وجود فئة ضالة تحمل فكراً منحرف ينبغي تقويمه ومقاومته بكل الوسائل المتاحة حتى لا يعتقد أصحاب هذا الفكر المنحرف أنهم حققوا أدنى مكسب , ومن الطبيعي أن تقوم السلطات الأمنية بالتعامل معهم بكل جدية وحزم ومهنية لحصار الإرهابيين والقضاء عليهم .

والسؤال ما هو ذنب القتلى والمصابين من هذا العمل الإجرامي والإرهابي ؟ إن الإرهابي الذي يقوم بمثل هذا العمل الجبان يثير الرعب في نفوس الناس ويؤدي إلى إرباك وتعطيل الأعمال التي نحن بأشد الحاجة إليها لنبني هذا الوطن ونعطي صورة حسنة عن الإسلام والمسلمين .

لقد أربك هؤلاء الإرهابيين حياة الناس في منطقة الحادث وخصوصاً المستشفيات رغم أن هناك مرضى هم بأمس الحاجة إلى العلاج والخدمات الطبية وهو نوع من العبث , لإشاعة الفوضى وإضاعة لوقت العاملين الذين يؤدون واجبهم تجاه الوطن والمواطن والمقيم وبهذا العمل أيضاً لم يسلم المرضى من الآثار السلبية السيئة نتيجة لما قامت به هذا الفئة الضالة .

إن إشاعة الفوضى والذعر في محيط القنصلية الأمريكية والمباني المجاورة لها من مدارس أطفال ومستشفيات هو الإرهاب بعينه , وما هو ذنب أكثر من ألفي طالب وطالبة من الأطفال في مختلف المراحل التعليمية الذين كانوا يرتعشون خوفاً ويتصببون عرقاً من هول ما رأوا وقيام أولياء أمورهم بسرعة الحضور للمكان لإجلاء أطفالهم إنه مشهد درامي حقيقي .

إن إلقاء المتفجرات على أي جزء من تراب الوطن هو محاربة للوطن وإفساد في الأرض فمتى تعود هذه الفئة الضالة إلى رشدها وتعمل لخدمة الوطن وبناءه وليس تدميره إن الأموال التي تنفقها الفئة الضالة على شراء السلاح لا يخدم إلا مصالح أعداء الأمة وأهل هذه الفئة وعائلاتهم أحوج إلى المال الذي ينفق في طرق غير مشروعة .

إن إحراق المباني أيضاً هو خسارة للوطن ونوع من الأعمال الإرهابية فهو ملك للمواطن أو للدولة فالاعتداء على أملاك المواطنين وأملاك الدولة نوع من الأعمال التخريبية وإن الاعتداء على بشر موجودين في الموقع أي كان جنسهم أو لونهم أو دينهم هو اعتداء على النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق .

ومما يدل على قصور فكر هؤلاء الإرهابيين أن يتم اقتحام قنصلية تبلغ مساحتها أكثر من مائة ألف متر مربع وهم نفر قليلون للقيام بأعمال شريرة ضد ممتلكات الوطن مما يدل على أنهم يلقون بأيديهم إلى التهلكة التي نص عليها القرآن الكريم { و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } .

إن مثل هذه الأعمال لن ترهب البعثات الدبلوماسية ولن يؤثر على سير حياتهم صحيح أنهم شعروا بالحزن مما رأوا وسمعوا ولكنهم أكدوا على أن مثل هذه الأعمال تضر بالإسلام ، وتلك هي الحقيقة الغائبة عن أذهان من يقوم بمثل هذه الأعمال حتى الآن باسم الدين , وأكدوا أيضاً أن العديد من الأجانب المقيمين على أرض السلام والإسلام من أفراد الجاليات الأجنبية اعتنق الإسلام وهي مفخرة لبلاد المسلمين .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو ما هو السبيل إلى تغيير فكر هؤلاء الشرذمة الضالة المنحرفة ؟

وهنا ينبغي حث رجال الفكر والمثقفين ورجال الدين أن يستمروا في جهودهم للمساهمة في تغيير هذا الفكر الضال المنحرف. وأن المتعاطفين مع هذا الفئة الضالة ينبغي التصدي لهم بكل قوة وحزم فهم يسيئون إلى الإسلام والأمة كلها قبل أن يسيئوا إلى أنفسهم .

وينبغي على وكالات الأنباء والفضائيات الإخبارية التي تتناقل الأحداث أن تكون موضوعية في نشر الأخبار وأن تتوثق من المعلومات التي تحصل عليها حتى لا تخدم أهداف هذه الفئة الضالة.

ويرى بعض المحللين السياسيين أن مثل هذه العمليات الهدف منها هو ضرب العلاقات السعودية الأمريكية ولكن وعي القيادتين في البلدين يفوت الفرص على هذه الجماعات مما يزيد التعاون بين البلدين للقضاء على الإرهاب.

إن مثل هذه العملية وإن كان تأثيرها محدوداً إلا أنها ألقت بظلالها على أسعار النفط الذي ارتفع في بورصتي لندن ونيويورك وصعدت إلى أكثر من دولار فهذا له أثاره السلبية على الاقتصاد العالمي وبالتالي يستطيع أعداء الأمة من تأجيج حدة الصراع ضد المسلمين في كل مكان والذين أصبحوا ضحية من غير ذنب اقترفوه .

وأخيراً ينبغي أن نشيد بسرعة تعامل قوات الأمن السعودية مع الفئة الضالة , وإن السيطرة على العملية في بدايتها لهو شهادة لرجل الأمن الذي يضحي بروحه ودمه لخدمة هذا الوطن وإن إلقاء القبض على أي من هذه الفئة الضالة سيمكن السلطات المختصة من التعرف على من يقومون بالتخطيط ويتزعم هذه الجماعات وهو بداية الطريق في سبيل القضاء عليهم بإذن الله لأنها زعامات مفلسة مازالت تحقد على البلاد وأهلها وقادتها المخلصين . وإن كان هذا الهجوم الجبان يؤكد أنه مازال علينا القيام بالعديد من الأعمال ونحتاج إلى سنوات للسيطرة على هذه الجماعات , رغم أن الأوضاع في تحسن مستمر في سبيل القضاء على هذه الفئة الضالة الباغية حتى ترى الحق وتتوب إلى الله أو تقتل أو تنفى من الأرض . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

مجلة فلسطين 10-ديسمبر-2004م

4 ممارسات المحتلين تزيد من الإرهاب الدولي

يعقد في العاصمة السعودية خلال هذه الأيام مؤتمر وحملة التضامن ضد الإرهاب، وهناك عبارة تقول لن يزول الإرهاب إلا بزوال أسبابه وهي عبارة أجمع عليها كثير من الكتاب والمفكرين وسيناقش المؤتمر أوراق عمل مقدمة من جهات متعددة ونتمنى أن يساهم هذا المؤتمر في وضع الخطط والأسس التي ينبغي أن تتبناها الدول حتى نسير خطوة إلى الأمام في مكافحة ومحاربة الإرهاب.

وكمدخل للكتابة عن الموضوع ينبغي أن نذكر ما لاقاه ويلاقيه الشعب الفلسطيني على وجه الخصوص والمجتمع العربي بشكل عام على أيدي المحتلين ألواناً من الإرهاب والمجازر وما يحدث في فلسطين والعراق اليوم ستكون له نتائج خطيرة على ازدياد ظاهرة الإرهاب ونموها في الوقت الذي تبذل الحكومات الجهود والأموال للقضاء على هذه الظاهرة، ولكن اختلاف الرؤية بين الدول حول مفهوم الإرهاب يزيد الأمور تعقيداً.

نجد الاختلاف واضحا بين كثير من المفكرين وهذا ما أحدث أزمة كبيرة بين فرنسا وإسرائيل عندما قام شارون بدعوة يهود فرنسا للهجرة إلى فلسطين في أسرع وقت ممكن فمن وجهة النظر الفرنسية فإن هذه الدعوة هي دعوة إرهابية لتخريب الاقتصاد الفرنسي, أما من وجهة النظر الإسرائيلية فهي دعوة أبناء الديانة اليهودية للعودة إلى أرض الميعاد لمواجهة الإرهاب الفلسطيني الذي تقوم به المنظمات الفلسطينية.

أما الأطراف الأخرى غير الفرنسية والإسرائيلية فسيكون الاختلاف أيضاً واضحاً فيما بينهم فمنهم من يؤيد فرنسا ومنهم من يؤيد إسرائيل.

والفلسطينيون بطبيعة الحال سينظرون إلى الموضوع من زاوية مختلفة تماماً فهم الطرف الواقع عليه الظلم والاحتلال ويعتبرون أن ما تقوم به هذه المنظمات ما هو إلا مقاومة مشروعة في وجه الاحتلال.

و لا تزال هناك حرب حقيقية بين العرب واليهود خارج فلسطين لمنعهم من التمتع بأي حقوق تساعدهم مستقبلاً للعودة إلى أراضيهم وسيستمر الإرهاب الصهيوني والعربي خارج فلسطين وفي كل دول العالم وينشط في المناطق الملتهبة كالعراق مثلاً.

وللإرهاب أنواع ووسائل :

* الإرهاب الجسدي: تقوم بعض الدول اليوم بما قامت به إسرائيل من احتلال وقتل وتشريد وإبعاد وسجن وممارسات يندى لها جبين العالم مثل ما حصل في سجن أبي غريب في العراق وهناك ممارسات عديدة لم يكشف النقاب عنها في العديد من السجون في مختلف دول العالم وفي اعتقادنا أن جميع الدول التي تتبنى العقيدة الصهيونية يعتقد أفرادها بأنهم أفضل خلق الله وقد خلق الله غيرهم من الشعوب ليكونوا خدماً لهم، ويمارسون الضغوط على غير بني جنسهم فهم الذين يدعمون الإرهاب في كل مكان. ولقد حذر الله من ذلك في كتابه العزيز حيث يقول: (يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير). (الحجرات ـ 13).

* الإرهاب العسكري :إن الأفراد والمنظمات والدول التي تسعى للقيام بغارات عسكرية ضد الدول الأخرى سواء ما يسمى بالحرب النظامية أو الضربات الاستباقية أو احتلال الدول حتى لا تتمكن هذه الدول من بناء إمكانياتها وطاقاتها العسكرية لحماية حدودها والدفاع عن نفسها تندرج تحت ما يسمى بالإرهاب العسكري.

* الإرهاب النفسي: إن الأفراد والمنظمات والدول التي تستعمل وسائل الحرب النفسية لإرهاب الناس والدول وتخويفهم من أجل إجبارهم على تطبيق سياسات تخدم مصالحه دون النظر إلى مصالح الدولة نفسها ومن يسعى إلى إجبار السكان على الرحيل وترك البلاد ومن يستخدم تسجيلات الرعب لقادة المنظمات الإرهابية ويبثها عبر الفضائيات يساهم في الإرهاب النفسي الضار بالشعوب المحبة للسلام.

* الإرهاب في المجال الاجتماعي والخلقي: يتمثل في الأفراد والمنظمات والدول التي تعمل على نشر الدعوات الهدامة من إحياء الحركات القومية أو العرقية أو النازية أو أي تسمية أخرى لتساهم في هدم الدول أو إسقاط الأنظمة الرشيدة والديمقراطية أو من ينشر الدعوات

الإقليمية بين الدول للإبقاء على تفسخها وتفككها أو محاولات انفصال بعض الأقاليم في دولة ما حتى لا تقوم أي وحدة وتآلف بين أجزائها مثل الدعوات الآشورية والبابلية في العراق أو الدعوات الإلحادية والفوضوية كالشيوعية والماسونية والوجودية وغيرها كثير وكلها تهدف للقضاء على الأمم ومن يعمل أيضاً على تفتيت الوحدة الوطنية في أي دولة عن طريق إثارة النعرات العرقية والطائفية والقومية أو إشاعة الفاحشة, كما قال سبحانه وتعالى: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) النور 19، حتى لا يتفق المواطنون على قرار بشأن وحدتهم وقوتهم وتماسكهم

* الإرهاب في المجال الديني: يتمثل في الأفراد والمنظمات والدول التي تعمل على تأجيج الصراع بين الغرب والعرب واليهود حول الأديان وهو صراع عقيدة وحضارة وبمصطلحات اليوم هو ما يسمى بالإرهاب في المجال الديني، وكتب عنه صموئيل هنتنغتون وفوكوياما وتبنت هذه النظريات بعض الحكومات الغربية الأمر الذي نتج عنه الدعوات للقيام بمؤتمرات للحوار بين الأديان، ويحاول اليهود القضاء على روح جميع الأديان المخالفة لديانتهم اليهودية وهذا هو منهج الماسونية في محاربة الإسلام وهو ما أنتج مقاومة بعض الجماعات والدول لمثل تلك الأفكار الهدامة. ويتضح ذلك من إعلان اليهود أن القدس هي العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل، ولهذا قامت بعض المنظمات الصهيونية لهدم المسجد الأقصى وتجلى ذلك عند زيارة شارون للمسجد الأقصى التي أفرزت انتفاضة الأقصى الدائرة الآن.

صحيفة الوطن السعودية, الثلاثاء 29 ذو الحجة 1425هـ الموافق 8 فبراير 2005م العدد (1593) السنة الخامسة

5 منظري الإرهاب

إن العملية الأخيرة التي قامت بها شرطة عسير تلقي الضوء على العديد من الفوائد التي سوف نتطرق إليها في مقالنا هذا فلننظر إلى دول الجوار وما حل بها من دمار وخراب بسبب بعض الفتاوى والنصوص التي زعمت فئات أنها تعتمد عليها لتسويغ أفعالها. وكان للمتابعة الدءوبة والتوجيهات السديدة لولاة الأمر الدور الفاعل والمؤثر في تحقيق مناخ الأمن والاستقرار الذي ينعم به المواطنون والمقيمون مما جعل التعاون قائماً ومثمراً بين المواطنين وأجهزة الأمن المختلفة الأمر الذي سهل الكثير من المهام وأفشل العديد من محاولات دعاة الباطل وأعداء الدين والوطن، اللذين يسعون إلى ترويع الآمنين وسفك الدماء وقتل الأبرياء بموجب فتاوى مضللة وأفكار هدامة.و من المؤكد أنه لا يمكن لمسلم أن يتخذ من تلك النصوص ذريعة لإراقة دماء المسلمين الآمنين أو تعكير الأمن العام ولقد سبق وأن منح مولاي خادم الحرمين الشريفين عفوا عاما مدته شهر واستجاب لهذا العفو البعض ولكن البعض الآخر لم يستجيب وهذا يدل على الإصرار والتمادي في الغي مما يؤكد ويعطي الحق لرجال الأمن أن تتعامل مع هذه الفئة بأنها ضالة يجب تعقبها والقضاء عليها ولن يفيدهم العناد كما لم تفدهم جميع الوساطات وبالتالي خسروا فرصة عفو خادم الحرمين ومن أبرز ما تم القبض عليه المدعوا فارس آل شويل الزهراني أحد أبرز منظري القاعدة بالسعودية وهذا يؤكد نجاح رجال الأمن واستمرار تأكيدهم على تعقب جميع الخارجين عن النظام ووقوعهم في قبضة رجال الأمن إن عاجلا أم آجلا فرجال الأمن يتمتعون بسياسة النفس الطويل ومحاولة القبض على المطلوبين دون إراقة الدماء وهو ما حدث بالأمس القريب حين استدرج رجال الأمن في شرطة عسير المطلوب الأمني للخروج من حي "الطبجية" إلى حديقة "أبو خيال" بأبها , حيث تم إلقاء القبض على فارس بدون أن يشعر أحد من مرتادي حديقة أبو خيال وعادت الحياة إلى طبيعتها بعد انتهاء العملية وكأن شيئا لم يكن وفي ذلك براعة رجال الأمن وبعد نظر القائمين على هذا الجهاز ويدحض أقوال المغرضين فسرعة وكفاءة رجال الأمن منعت المطلوبين من استخدام الأسلحة التي كانت بحوزتهما كما ينبغي أن نتفهم حرص

المسئولين الأمنيين بعدم الإفصاح عن بعض الأسماء لاستكمال إجراءات سوف تفيد في التحقيقات الجارية وهذا يدل على أن قوات الأمن تقوم بواجباتها خير قيام في متابعة المفسدين في الأرض أرباب الفكر المنحرف من المنتمين للفئة الضالة وأن إلقاء القبض على رأس من رؤوس الفتنة وداعية للتكفير والتفجير ومن زين له سوء عمله التطاول على علماء الأمة وبث الدعاوى المزيفة والمحرضة على قتل رجال الأمن لهو انتصار بكل المقاييس لرجال الأمن في مكافحة الإرهاب بل والقضاء عليه في كل بقعة من بقاع بلادنا المقدسة والغالي ثراها علينا جميعا ومن هنا نوجه التحية لرجال أمننا البواسل اللذين بذلوا أرواحهم فداء للوطن لتوفير الأمن والأمان للمواطنين والمقيمين على حد سواء وفي بيان وزارة الداخلية تأكيد على عقد العزم على متابعة المفسدين في الأرض وإخراجهم من مخابئهم وجحورهم وتقديمهم للعدالة ومما قيل في هذا الشأن أن أحد المطلوبين كان يقوم بزيارات لمحلات الإنترنت ويبث من خلالها معلومات ويطالب بالمناظرة ممن يؤيد استسلامه إلا أن هذا الأمر رفضه الوسطاء وهنا نود أن ننبه أصحاب محلات الانترنت والعاملين فيها أن يتحلوا بالوطنية والمسؤولية وأن يكونوا أكثر حذرا لعلهم يساهموا في إدلاء بمعلومات تساعد في إلقاء القبض على أصحاب الأفكار المنحرفة أو وضعهم تحت المراقبة لتتولى الجهات الأمنية التعامل معهم بمهنية وجدية كما أن وضع هذه المحلات تحت الرقابة الأمنية قد يفيد في مثل تلك الحالات . ومن يتابع الأحداث سوف يكتشف أن جميع المطلوبين أمنيا هم أشخاص متورطين في قضايا أمنية كبيرة ويحملون أفكارا غريبة عن هذا المجتمع ورغم أن الجهات الأمنية تعلم تماما القضايا الأمنية والجرائم التي قام بها هؤلاء المطلوبين إلا أن المطلوب من جميع من يقيم بهذه البلاد أن يدلي بمعلومات حول من يشتبه فيه ويساعد رجال الأمن في تعقب المجرمين فما يضر المصطاف في حديقة عامة لو بلغ الجهات الأمنية عن بعض الحالات التي تلفت الانتباه حتى لو كانت صغيرة مثلا فقد تؤدي إلى حقائق يحتاجها رجل الأمن فهذا الذي قبض عليه في وسط حديقة عامة تكتظ بالمصطافين وأهالي المنطقة من العائلات عثر بحوزته على قنبلة شديدة الانفجار ومسدس كامل الطلقات التي لو استخدمت لأضرت ببعض المصطافين فالحيطة والحذر مطلوبة من كل إنسان . وإذا كان الله سبحانه وتعالى أمر بطاعة الوالدين في

غير معصية فعدم الطاعة يدل على العصيان فكيف بذوي المطلوبين اللذين يوجهون النداء تلو النداء للمطلوبين لتسليمهم أنفسهم ولكن يأبون إلا أن يكونوا من العاصين فكيف يكونوا من المنظرين ويجدوا من بعض أمثالهم الولاء والطاعة والرفقة فهم رفقاء سوء والعياذ بالله فيا أيها الشباب احذروا من رفقاء السوء وتذكروا حديث نافخ الكير كما نوجه دعوة عامة بعدم مناظرة أمثال هؤلاء أو الخوض في حديث معهم أو من يمثل وجهة نظرهم كما نوجه دعوة إلى أصحاب دور النشر بعدم إصدار كتب أو منشورات قبل التأكد من سلامة المنهج ووضوح الفكرة وطلب ترخيص من الجهات المسئولة عن ذلك .

6 رأس شيطان ...عيد المظلة .. إرهاب الإسرائيلي

في مقال سابق تحت عنوان سياسة التوريط في العالم العربي أوضحنا أن هناك جماعات سوف ترتكب حماقات بغرض توريط الأنظمة العربية الصامتة على السياسة الإسرائيلية بحق الفلسطينيين وذلك لتأجيج الصراع العربي الإسرائيلي , وذكرنا أيضاً أن الإرهاب سيعيش بيننا طالما هناك قضايا معلقة تحظى بالشرعية والمصداقية ولم تجد من يدافع عنها ويكون هدفه نبيلاً ساميا ويطرح بدلاً عنه نظام متطور تحت شعار لا ظلم ولا إرهاب ولا شريعة غاب ولا كيل بمكيالين ولابد أن نؤمن بالعدل ونرد الظلم الذي أوجد الإرهاب .أما من يتخذ الإرهاب كحجة لتبرير الحروب على بعض الشعوب والنوايا المبيتة في الانقضاض على البقية الأخرى فهي طموحات توسعية لن تجد إلا مقاومة عنيفة ولو بشكل عمليات إرهابية وقد تسمى عمليات انتقامية وقد تسمى عمليات جهادية وقد تسمى عمليات استشهادية فموسوعة الإرهاب مازالت يضم المبتكر من المصطلحات الجديدة مع تطور الأحداث التي تتزايد وتيرتها يوماً بعد يوم , وما حدث بالأمس من تفجير فندق هيلتون طابا وما تبعه من إنفجاران قويان أيضاً في مناطق مختلفة من الساحل المصري بسيناء على امتداد طابا نويبع شرم الشيخ وفي اعتقادنا بأن حماس أخطأت عندما أعلنت في وقت سابق رداً على اغتيال القيادي في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) عز الدين صبحي الشيخ خليل في دمشق , عندما قالت إن الحركة تفكر في نقل الصراع إلى خارج الأراضي المحتلة رداً على العملية الإسرائيلية في دمشق ضد أهداف فلسطينية خارج فلسطين , رغم أن إسرائيل لم تدخر وسعاً في ضرب أهداف فلسطينية وعربية خارج الحدود مثل ضرب المفاعل العراقي واغتيال ابوجهاد في تونس أو التهديد بضرب المفاعل الإيراني وعودة إلى العملية في هيلتون طابا فهل يعتبر ذلك كرد فعل لعملية "أيام الندم" الجارية حالياً في شمال قطاع غزة حتى ولو بأيدي غير فلسطينية , وطبيعيا أن تتهم إسرائيل الجماعات الفلسطينية لتبرير عدوانها القادم بل وستضيف أيضاً القاعدة إلى لائحة الاتهام وأنها تواجه الإرهاب تماما كما تواجهه أمريكا , وليس غريباً أن تقوم السلطة الفلسطينية بإدانة الحادث من جهة وتهدئة الموقف من جهة ثانية ودائما أول من

يدين هذه الأعمال هو السلطة الفلسطينية , ولكن عندما يكون الضحايا فلسطينيين لم نجد أحداً يستنكر أو يدين أو يشجب بل نجد الصمت العربي الذي يدل بلا شك على العجز العربي تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وهذا الصمت ليس جديد العهد بل منذ القدم ولن نذهب بعيداً بل سنتذكر هذا الصمت على الأقل منذ اندلاع انتفاضة الأقصى مروراً بمجزرة جنين إلى الإجتياحات المتكررة إلى الاغتيالات إلى هدم المنازل على الحدود المصرية إلى مجزرة جباليا إلى عملية "أيام الندم" وفعلا سيندم العرب كثيراً على الصمت الرهيب وكذلك سيندم الإسرائيليون على ذلك , وفعلا فقد وقعت إنفجارات ثلاثة على الأراضي المصرية والضحايا معظمهم من الإسرائيليين , وتزامن ذلك مع "عيد المظلة" اليهودي (سوكوت) , في نفس الوقت الذي تقصف الطائرات الإسرائيلية بيت حانون في قطاع غزة , ووسعت قوات الاحتلال عدوانها على المواطنين ، وخلفت قوات الاحتلال دماراً هائلاً في ممتلكات المواطنين، وشبكات المياه، والصرف الصحي، والطرق، وخطوط الهاتف، والكهرباء.

وحسب الإحصائيات فإن ما يزيد عن 68 شهيداً و250 جريحاً، هم ضحايا العدوان الإسرائيلي المتواصل ضد الأهالي في شمال محافظة غزة، حتى إعداد هذا المقال . ولم نجد طواقم عربية لها علاقات مع إسرائيل تعمل على استقبال الحالات الحرجة لأبناء الشعب الفلسطيني لتستقبل بدلا منهم السياح الجرحى الإسرائيليين في المستشفيات العربية أي سخرية يحملها هذا القدر الذي أصبح الفلسطيني يعامل كأنه عدو واليهودي يعامل كأنه ضيف يتمتع بكرم الضيافة العربي , فهل صحيح أن الدم اليهودي أغلى من الدم الفلسطيني ؟ أم أن الدم الفلسطيني لابواكي عليه , ورغم أن قوات الاحتلال تمنع سيارات الإسعاف أن تصل للمناطق التي تحتلها الدبابات الإسرائيلية، وفي الوقت نفسه تسمح دول عربية لسيارات الإسعاف والفرق الطبية الإسرائيلية بدخول أراضي عربية لنقل الجرحى وإسعافهم أي مقارنة تلك التي تجعل الحليم حيران جراء ما يحدث من عدوان . كما تواصل قوات الاحتلال، تشديد تدابيرها العسكرية المتصلة بالحصار والإغلاق للمناطق التي شهدت توافد المئات من المستوطنين وأنصارهم من اليمين الإسرائيلي المتطرف في نطاق احتفالات لمناسبة "عيد المظلة" اليهودي . وقد أغلق الحرم الإبراهيمي في وجه المصلين من أهالي المدينة ، وذلك بذريعة تمكين

المستوطنين من أداء طقوسهم الدينية، ويقوم آلاف المستوطنين بمسيرات صاخبة جابت شوارع القدس باتجاه حائط البراق، جنوب شرق المسجد الأقصى المبارك ويرددون هتافات عنصرية ويقوموا بممارسات واعتداءات على أهالي القدس وممتلكاتهم وهم في طريقهم لأداء الطقوس التلمودية في حائط البراق بمناسبة "عيد المظلة" اليهودي.

هذا العيد الذي احترمته القيادة العراقية السابقة عندما أصدرت القانون رقم (110) لسنة 1972 ليعطي الدولة بأكملها ثلاثة أيام أعياد لليهود (الموسويين) بحجة المساواة بين المواطنين بغض النظر عن انتماءهم الديني، حيث استبدلت المسميات , فعيد القيامة سمي بالعيد الكبير وذلك لأسباب عقائدية , كما تمتع اليهود العراقيين بإنشاء مؤسسة خيرية لرعاية اليهود من المكفوفين التي أطلق عليها اسم " جمعية مؤاساة العميان "، . التي توزع عليهم الهدايا مرتين في السنة، واحدة في "عيد المظلة" والثانية في عيد الفصح. التي أصبحت فيما بعد معهداً موسيقياً، حيث تبرع أحد المحسنين وهو اليعيزر خضوري ببناء مدرسة كبيرة خاصة بهذه المؤسسة افتتحها الملك غازي عام 1933 وسميت " دار مؤاساة العميان " ونتج عنها ما أسموه " أخوان الفن "، حيث أصبحوا يشاركون في جميع الحفلات العامة والخاصة ثم خصص لهم برنامج أسبوعي ثابت لمدة نصف ساعة في الإذاعة العراقية، وبعد ذلك قاموا بتشكيل فرقة مستقلة لإقامة حفلات موسيقية في الإذاعة العراقية , ونالت فرقة " أخوان الفن " شهرة واسعة حيث أقامت الحفلات داخل دار الإذاعة وفي وحفلات النساء على وجه الخصوص، فلقد كانت نساء الطبقة الحاكمة والفئات الغنية في تلك الفترة متحجبات، لذا كن يفضلن حضور حفلات "أخوان الفن" وكن يلقين الحجاب دونما حرج كون جميع أعضاء الفرقة من المكفوفين , حتى أحيت الفرقة عدة حفلات أقيمت تحت رعاية الملكة وبحضورها.

وأضافت هذه الفرقة أسلوباً جديداً في ترجمة الأغاني إلى معزوفات بتوزيعات موسيقية فنية رائعة. مما ساهمت في تغيير تاريخ الفن الموسيقي العراقي كما حرصت على إقامة جسور فنية مع فنانين الدول المجاورة وحتى الأوروبية.

ومن ذكريات "عيد المظلة" أيضاً ما حصل عام 1990 , والّتي انتهت بمقتل 20 فلسطينيا وجرح 53 في ساحة الحرم الشريف بنيران قوات الأمن .

وجاءت الذكرى الأخيرة "لعيد المظلة" بمقتل وجرح عشرات الإسرائيليين في انفجارات بسيناء التي قامت على إثرها إسرائيل بنقل ضحاياها إلى مستشفيات إيلات لإسعافهم كما رفعت الأجهزة الأمنية العربية حالة التأهب في صفوف قواتها وقامت بتأمين المواقع السياحية بعد أن هزت ثلاثة انفجارات بسيارات مفخخة على ما يبدو، منتجعات سياحية عربية على البحر الأحمر ، مما أسفر عن مقتل 35 شخصا وجرح حوالي 160 آخرين معظمهم من الإسرائيليين حتى إعداد هذا المقال .

كما فرضت إجراءات أمنية مشددة على كل الرحلات الجوية من مطار دولة عربية وبدأت مراجعة أسماء ركاب الرحلات ومراجعة إجراءات السفر والوصول في صالتي المطار الجديد والقديم. ووقع الانفجار الأول في فندق هيلتون ثم أعقبه إنفجاران في منتجعي نويبع ورأس الشيطان اللذين يبعدان عشرات الكيلومترات إلى الجنوب الغربي من طابا. وتسبب أقوى هذه الانفجارات في انهيار عدد من طوابق فندق هيلتون والتي يرتادها السياح الإسرائيليون .

ولم تعلن أية جهة مسؤوليتها عن الهجوم، ويقول مسئولون عرب إنهم لا يملكون أدلة بعد على هذه الانفجارات , بينما رجحت إسرائيل أن تكون العملية التي وصفتها بالإرهابية من فعل تنظيم القاعدة.

وكانت قوات الأمن الإسرائيلية قد حذرت رعاياها من زيارة المنتجعات العربية المطلة على البحر الأحمر قائلة إن مفجرين فلسطينيين أو نشطاء إسلاميين آخرين قد يستهدفونها.

ويسافر آلاف الإسرائيليين إلى شبه جزيرة سيناء في مصر وهو مقصد سياحي شهير أثناء عطلة "عيد المظلة" اليهودي، وقد أعلن الجيش الإسرائيلي في وقت سابق أنه سيبدأ باستدعاء الاحتياط فور انتهاء " عيد المظلة" في حملة لتجنيد قوات محدودة من جيش الاحتياط الإسرائيلي بموجب أوامر استدعاء طارئة ولفترة محدودة , لتقييم الأوضاع ولضرورة تدعيم قوات الجيش الإسرائيلي في المناطق الفلسطينية لمنع وقوع عمليات وسيتم في مرحلة أولى تجنيد خمس ألوية , فيما يتوقع أن يتم في المرحلة الثانية تنفيذ أوامر الاستدعاء التي أرسلت إلى جنود الاحتياط والقيام بحملة تجنيد واسعة.

وكان وزير الحرب الإسرائيلي شاؤول موفاز قد أتاح للجيش تجنيد القوات التي يحتاج إليها من جيش الاحتياط بإدعاء ازدياد التحذيرات المتعلقة بنية الفلسطينيين تنفيذ عمليات فدائية كما أن موفاز قد يهدف من وراء هذا التجنيد ما سوف يستكمل به تنفيذ حملة عسكرية واسعة النطاق في قطاع غزة.

وتستمر إسرائيل في مخططاتها لسلب آلاف الدونمات الفلسطينية لاستكمال جدار الفصل العنصري الذي تقيمه إسرائيل، عمق 15 كلم شرقي الخط الأخضر أي داخل الأراضي الفلسطينية بحجة تخوفها من قيام جهات فلسطينية باستخدام صواريخ الكتف لقصف الطائرات لدى هبوطها في مطار "بن غوريون" .

وتم الكشف عن هذا المخطط الذي سيسلب الفلسطينيين ألاف الدونمات الأخرى من أراضيهم في إطار الحديث عن نية واشنطن إرسال طاقم من الخبراء في مجال تأمين المطارات لفحص الخطة الإسرائيلية آنفة الذكر. وبضمانات مالية أمريكية, حيث نجحت إسرائيل بتقليص الفوارق بينها وبين واشنطن بخصوص هذا الجدار الفاصل الذي بات حقيقة واقعة لا يمكن تغييرها.

ونذكّر بهذا الصدد بتصريح كان أدلى به شارون عشية المصادقة على بناء المرحلة الثانية من الجدار العنصري حين زعمت واشنطن أنها تعارض إقامة الجدار في منطقة مستوطنات "اريئيل" وما حولها وتنوي خصم تكاليف إقامة الجدار من الضمانات المالية المقدمة لإسرائيل وصرح شارون أيضاً بعد إجراء محادثات مع مستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس بشأن الجدار أن إسرائيل "ستواصل بناء الجدار كما تم التخطيط له وانه إذا نشأت أي مشكلة في المستقبل، فسيتم حلها" ويتضح جليا أن شارون كان يعتمد على دعم أميركي كامل لمخطط الجدار العنصري، هذا ولم تلتفت أي جهة عربية أو دولية للنداءات الفلسطينية المتكررة لإيواء الأسر المنكوبة للتخفيف من معاناة مئات الأسر المنكوبة والتي دمرت منازلها في الاجتياح الأخير لمنطقة الشريط الحدودي مع مصر , حيث خلف العدوان الإسرائيلي دمارا هائلا لأكثر من مائة منزل بشكل كلي، ومائة أخرى بشكل جزئي، فضلا عن سقوط العديد من الشهداء وإصابة العديد أيضا من الجرحى . وحسب المصادر فإن أكثر من 2500 مواطنا من

منطقة الشريط الحدودي أصبحوا مشردين وبلا مأوى ولا يجدون حتى منازل لاستئجارها خاصة وأن هناك هجرة داخلية منذ بداية الانتفاضة من منطقة الشريط الحدودي إلى داخل المدن التي أصبحت مكتظة للغاية.

ونحن نتساءل أين دور المؤسسات الإنسانية الدولية في إيجاد بيوت لأكثر من أربعمائة أسرة منكوبة جراء العدوان على مدينة رفح. أما الإسرائيليون فهم يتمتعون بسياحة الخمس نجوم في الأراضي العربية أي مقارنة في هذا الصدد بين ما يحدث في تلك المنطقة ، ورغم كل هذه التنازلات أيضا تنازلت السلطة عن أربعة ثوابت أساسية وهي المطالبة بإزالة كل المستوطنات وتنفيذ حق العودة للاجئين والسيادة الفلسطينية على القدس الشرقية وإقامة الدولة الفلسطينية على جميع الأراضي الفلسطينية التي احتلت في يونيو (حزيران) عام 1967 وهي مقدمة لمزيد من التنازلات بحق قضية اللاجئين , ومهما حاولت الدول أن تتكتم على العديد من المسائل إلا إن الله يكشف أمرها من فضله فكيف غفلت الحكومات العربية عن هذا العدد الكبير الهائل من الإسرائيليين المتواجدين في سيناء وبقصد السياحة أي سياحة لهذا العدد الكبير في "عيد المظلة" اليهودي .

ولاشك أن اندلاع الانتفاضة سيخلق صراع نفسي حاد للعرب في إسرائيل للذين يرتبطون بعلاقات قربى وثيقة مع الفلسطينيين في مناطق الضفة الغربية وغزة.

أما المقدسات الإسلامية فتدخل في صلب النزاع اليهودي العربي الإسلامي كما , ويعلم المسلمون أن اليهود المتدينين يعتبرون قبة الصخرة رجساً ينبغي إزالته لبناء الهيكل الثالث مكانها كما حاول فعل ذلك أعضاء التنظيم اليهودي وغيرهم, كما يعلمون أيضاً بأن لدى المتعصبين المسيحيين تفكيراً باتجاه هدم قبة الصخرة .

ورغم أن الفلسطينيين داخل إسرائيل قد مروا بمرحلة (أسرلة) ويقبلون بإسرائيل دولة يهودية شرط ألا يكونوا في هذه الدولة مواطنين من الدرجة الثانية.

أن لعملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية تأثيراً بعيد المدى على نظرة العرب في إسرائيل حيال مسألة الهوية وعناصرها ويمكن القول بأن المسألة الفلسطينية القومية تحمل في نظرهم طابعاً إسرائيلياً محلياً, وأن الحركات والتيارات السياسية العربية تتمحور إلى جانب النضال

من أجل المساواة المدنية حول المسائل القومية على الصعيد الداخلي في قضايا مثل أملاك الوقف ومشكلة اللاجئين في وطنهم (أي السكان الذين تم تدمير قراهم في حرب عام 1948 وظلوا داخل إسرائيل ولكن تم ضمهم لقرى أخرى) ومسألة الأراضي العربية المصادرة .

العرب في إسرائيل يتقبلون دولة إسرائيل كحقيقة لا جدال فيها رغم أن الأسباب لا تقبل بحق وجود إسرائيل وهو الفارق بين توجهات السلطة الوطنية وتوجهات الجماعات والمنظمات الإسلامية حيث أن جميع الحركات الإسلامية تعتبر أن الأرض الفلسطينية هي أرض إسلامية مقدسة وسيطرة اليهود عليها تدنيس لها .

وعودة إلى "عيد المظلة" السابق الذكر والمعروف بعيد العرش, وهذا العيد هو أحد الأعياد الثلاثة التي كان يُحتفل بها بحجّ جماعي إلى الهيكل في القدس، ويحتفل اليهود في "عيد المظلة" بذكرى الخروج من مصر (حوالي القرن أل 13 ق. م.)، ويقدمون الشكر لله على ذلك , وهو مايدعونا إلى الاعتقاد بأن من قام بهذا العمل هو المنظمات الإسرائيلية المتشددة التي تريد إحياء الذكرى على طريقتها الخاصة لتفعيل الخروج من سيناء في الوقت الحاضر .

خلال الأيام الخمسة بين يوم الغفران وسوكوت، يقيم الآلاف من السكان عرشاً , على غرار العُروش التي عاش فيها بنو إسرائيل في الصحراء بعد خروجهم من مصر. يُحتفل في إسرائيل باليوم الأول من أيام "عيد المظلة" على أنه يوم مقدس (كما هو الحال بالنسبة لعيد الفصح وعيد نزول التوراة , أما الطوائف اليهودية في المهجر فإنها تحتفل باليومين الأول والثاني كيومين مقدسين، إذ أنه في العهود الغابرة كان إقرار حلول العيد يتم في الهيكل أي في القدس .

ويتم تلاوة صلوات إضافية، بما في ذلك صلاة أل "هاليل"، وهي مجموعة من التبريكات والمزامير التي تُتلى عادةً في بداية الشهر الجديد (في بداية كل شهر قمري) وفي الاحتفالات الخاصة بزيارات الأماكن المقدّسة.

ويمضي غالبية الإسرائيليين أيام "وسط العيد"، سواء عيد الفصح أو عيد العُرش، في المتنزهات العامة في مختلف أنحاء البلاد وبعضهم يذهب إلى سيناء في طابا وفي المنتجعات السياحية الأخرى في شرم الشيخ ونويبع.

وتتركز هذه الاحتفالات في مظاهر إجلال التوراة (أسفار موسى الخمسة)، وتتخللها حلقات الرقص التي يحمل فيها جانب من المصلين كتاب التوراة بيد واحدة، ويتلون الفصل الأول والأخير من التوراة، مشيرين بذلك إلى استئناف المدار السنوي لتلاوة فصول الكتاب المقدس.

ولم تكن صدفة أن يجتمع في سيناء هذه الأيام بالذات أكثر من خمسة وأربعون ألف يهودي وستطالب جهات إسرائيلية بعدم أهلية مصر لحماية الأمن بعد هذه الانفجارات في فندق هيلتون طابا وإنفجارات نويبع والمناطق الساحلية على امتداد الساحل الذي يبلغ طوله حوالي 270 كلم . ورغم أن الإحصائيات الأولية بلغت 35 قتيل و160 جريح إلا أن الأمر لا يستدعي هذا العدد الكبير من الطائرات العمودية وطواقم الإسعاف الكبيرة ومفاوضات إنزال إسرائيلي في جميع المناطق لنقل المصابين من تلك المناطق إلى إسرائيل , هذه الفرق الطبية إسرائيلية تتوجه جواً إلى طابا لنقل القتلى والجرحى في الذي لم تقم أي جهة عربية لنقل المصابين الفلسطينيين من عملية "أيام الندم" في شمال قطاع غزة وهناك من يفترض أن بصمات هذه الانفجارات قد تكون فلسطينية أو بصمات القاعدة أو بصمات جماعات متشددة مصرية واستبعدوا تماماً أن تكون بصمات متشددين يهود وهو المرجح , وعندما تكون العلاقات المصرية مع إسرائيل في أحسن حالاتها لم تقم مصر بمطالبة إسرائيل بالكف عن عمليات بحق الفلسطينيين وخصوصا حملة "أيام الندم" في شمال قطاع غزة وعلينا أن نتنبأ بردود فعل قاسية من إسرائيل تجاه أي جماعة غير يهودية انتقاما لما حصل .

وعندما حصلت العملية الإسرائيلية على الحدود المصرية الإسرائيلية وهي تهدم أكثر من 150 منزل لم نرى الطواقم المصرية تقوم بمساعدة إخوانهم الفلسطينيين , إن ما حدث في فندق هيلتون طابا وما تزامن معه من إنفجاران آخران في أماكن سياحية قريبة من نويبع , كل هذا من أجل الفوائد السياحية المصرية التي يجنيها المصريون من السياح الإسرائيليين فهل نقدم الفوائد الاقتصادية على دماء القتلى الفلسطينيين على أيدي سلطات الاحتلال أم المشكلة أصبحت فلسطينية إسرائيلية بحته لا دخل للعرب فيها وإذا كان الأمر كذلك فلماذا المبادرات العربية ولماذا اجتماعات الجامعة العربية ومعاهدات الدفاع العربي المشترك التي أصبحت حبراً على ورق بل أصبح مدادها يكتب بدم فلسطيني خالص وعلى أجساد الأطفال

الفلسطينيين بدلا من الورق وليس غريباً أن ينقل الإعلام بالبث المباشر والحي من الأراضي المصرية عن المصادر الإسرائيلية فأصبح الإعلام الصهيوني هو الوسيلة الوحيدة لنقل الأخبار وبالتأكيد لن ينقلوا إلا ما هو في صالح الصهيونية العالمية التي أصبحت تمتلك مفاتيح وكالات الأنباء ومصادر أخبارها وكأن المنطقة مازالت تحت الاحتلال الإسرائيلي ورغم أن هذه الانفجارات تستهدف التواجد الإسرائيلي الكثيف في المنطقة لأنهم يعيثون في المنطقة فساداً ولولا شعورهم بالأمن لما تواجدوا بهذا العدد الكبير.

هذه التسهيلات العربية للإسرائيليين يقابلها يقابلها تشديد على الفلسطينيين في مخيماتهم وهنا نتساءل ! أيجوز أن يعيش الفلسطيني في مخيمات والإسرائيلي في فنادق فئة خمس نجوم في دولة عربية ؟ .

عندما كانت حملة "أيام الندم" على شمال قطاع غزة لم نجد غير الصمت العربي ولكن بعد أن حصل قتلى يهود ستقوم الأمم بالشجب والاستنكار فكأنما أحدهم خلق من طين والآخر من نار .

لقد كان الصمت العربي خلال العملية الإسرائيلية على غزة ولكن سنجد التحرك العربي خوفاً من ردة فعل الدولة العبرية , وكأنما الدم الفلسطيني المسفوح رخيص والدم اليهودي غالي وستتكالب الأمم على الفلسطينيين ليكونوا الخاسر الأكبر من عمليات طابا ونويبع في سيناء فمن المؤكد أن تلصق التهمة بهم وتسوء العلاقة بين مصر والمنظمات الفلسطينية وهو طوق النجاة الوحيد لعرفات ولن نستعجل الأحداث ولكن بكل تأكيد ستفكر مصر في تغيير موقفها تجاه العملية السلمية أو استمرار المباحثات الفلسطينية الإسرائيلية , والفضائيات العربية تنقل عن الصحفيين الإسرائيليين ليتهموا منظمة القاعدة ومنظمة حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله ولقد شاهدنا عبر الفضائيات الاستعدادات الإسرائيلية لنقل 15000 إسرائيلي من سيناء والغريب أن هذه العمليات حصلت في وقت تشديد الأمن وتبادل المعلومات بين الاستخبارات العربية والإسرائيلية حول السيارات وتبادل المعلومات حول الناس وحماية السفارات الإسرائيلية والإسرائيليين في كل مكان ونستغرب كيف يسمح لسيارات الإسعاف الإسرائيلية أن تعبر الحدود إلى موقع الحادث لان القتلى والجرحى يهود أما عندما يكون

الجرحى فلسطينيين فيتم تعطيل سيارات الإسعاف عن إنقاذهم ومما يدل على كبر حجم العملية , هو الاستنفار غير المسبوق بخصوص التبرع بالدم في إسرائيل لإنقاذ الجرحى وكذلك إرسال أكثر من 80 حافلة لإخلاء جميع الإسرائيليين , ولن نستبعد التحرك الإسرائيلي لنسف العلاقة بين الفلسطينيين وبين المصريين . والسؤال الهام هو , هل منعت العلاقات الجيدة بين بعض الدول العربية وبين إسرائيل من إيقاف مجازرها ضد هذا الشعب الأعزل؟ , ولن ننسى التدخل العربي لجمع بقايا الجنود الإسرائيليين عندما تم احتجازهم من قبل فلسطينيين , ورغم إن المنطقة أعيد احتلالها عندما كانت تحت الحماية المصرية فلم يتصل أي زعيم عربي بشارون أو بوش لإيقاف العدوان على غزة في حملة "أيام الندم" في "عيد المظلة" اليهودي .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 15-أكتوبر-2004م

7 الانتقام للضحايا يوقع ضحايا ... ومراجعة الذات ربما بدأت

إن من يؤمن بمحاربة الإرهاب في كل مكان, انتقاماً لأرواح الذين سقطوا في هجمات الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) سيدمر أضعاف أضعاف هذا العدد من الأبرياء, بحجة نشر الديمقراطية واحترام كرامة الإنسان وإزالة الديكتاتوريات في كل مكان. صحيح أن ما يهدد الإنسانية هو الجماعات التي تخطف الأبرياء, وتقطع رؤوسهم, ولكن من يقوم برد الفعل يساهم في الدور نفسه, كالوجه الآخر للعملة. وصحيح أيضا أن انتشار الديمقراطية في الشرق الأوسط, وحل الصراع العربي - الإسرائيلي سيقلل من فرص نشوب حرب عالمية ثالثة. ولكن غير صحيح أن تطبيع الدول العربية الكامل مع إسرائيل, ووقف التحريض الإعلامي ضدها في مقابل مطالبة إسرائيل بوقف الاستيطان العشوائي, والمعاملة غير الإنسانية للشعب الفلسطيني سيحل المشكلة. فالمعادلة غير متوازنة. ولن تكون عادلة إلا بحل مشكلة اللاجئين وقيام دولة فلسطين بقيادة منتخبة ديمقراطيا حتى يتحقق الأمن والسلام.

إن دولة القانون ستنتصر على الإرهاب ولكن سيعيش الإرهاب بيننا طالما هناك قضايا معلقة تحظى بالشرعية والمصداقية, ولا تجد من يدافع عنها, ويكون هدفه نبيلاً سامياً, ويطرح نظاماً متطوراً تحت شعار: "لا ظلم ولا إرهاب, ولا شريعة غاب ولا كيل بمكيالين. ولا بد أن نؤمن بالعدل ونرد الظلم الذي اوجد الإرهاب.

ما من يتخذ الإرهاب كحجة لتبرير الحروب على بعض الشعوب, والانقضاض على البقية الأخرى, فهي طموحات توسعية تخدم النظام الرأسمالي الذي استبدل بعبارة النظام العالمي الجديد. وهذا على حساب الشعوب الفقيرة التي ستبقى عبيداً عند الدول الغنية القوية. فنار جهنم فتحت على الفقراء والضعفاء من قبل الأقوياء والأغنياء, ولكن أيا من الطرفين لم يستطع إطفاءها حتى الآن.

والدليل هو الحادث الإرهابي المروّع الذي قتل بدم بارد مئات الأطفال في المدرسة بمدينة بيسلان, ليسلط الضوء على قضية الشيشان. فهو ساهم بدور فاعل في تدمير نفسه أمام الرأي العالمي, وسحب بساط التعاطف مع هذه القضية من قبل المجتمع الدولي. بل

جـعل روسيـا تنـهج النهـج الذي تقوم به أميركا لضرب قواعد الإرهاب في كل مكان. وكأنما تسعى روسيا لاستعادة مكانتها كدولة عظمى. وإن تصاعد عمليات خطف الرهائن وذبحهم بأيـد مجهـولة جـعل العـالم اقرب إلى الوصول لتعريف الإرهاب. واتضحت الرؤيا بعدما كان هناك إجماع عربي حول دعم العمليـات الجهـاديـة. فبدأ هذا الإجماع ينقسم, وخصوصاً بعد أن تم التأكد من أن أسلوب احتجاز الرهائن, والذبح, والعمليات العشوائية, لم تجد نفعاً.

ونستطيع القول أنها بدأت مرحلة مراجعة الذات للتخلص من الصمت الرهيب. ودأب بعض الكتّاب إلى المناداة بالاعتراف بالحقيقة الواضحة لتنظيف سمعة العالم العربي والإسلامي, حتى لا يستمر إلصاق التهم الإرهابية. وعلينا أن ندرك أننا لن نستطيع إصلاح حال شبابنا إلا بعد معالجة الأفكار الخاطئة, ونبذ نظرية المؤامرة التي تبرر كل شيء, ولا بد من تحمّل المسؤولية الأخلاقية عن أرواح الضحايا الأبرياء الذين تمت تصفيتهم.

صحيفة الحياة اللندنية 29-09-2004م

8 دول القانون ستنتصر على الإرهاب

لاشك اليوم أن الدول التي تنادي بالديمقراطية هي التي تعتدي على المثل الإنسانية والمبادئ القانونية، واتخذت استخدام القوة سبيلا لإقرار القانون واحترام كرامة البشر. ولكن أي بشر وهل القوة تنجم عن القانون أم العكس ؟

نعم إن العالم اليوم بحاجة أكثر من أي وقت مضى لآلية فاعلة يمكنه من خلالها البحث عن حلول للمشاكل المشتركة حتى يتخلص العالم من الإرهاب وآثاره ولاشك أن تجاهل قرارات مجلس الأمن سيؤدي إلى فوضى إن لم تكن حرب عالمية ثالثة تزج بأرواح الأبرياء والمدنيين والأطفال إلى نار الجحيم وستتكرر مشاهد أكثر فظاعة وهمجية مما يجري وجرى في دارفور وأوغندا ومأساة بيسلان والعراق وفلسطين .

إن من يؤمن بمحاربة الإرهاب في كل مكان انتقاما لأرواح الذين سقطوا في هجمات الحادي عشر من سبتمبر سيدمر أضعاف أضعاف هذا العدد أيضاً من الأبرياء بحجة نشر الديمقراطية واحترام كرامة الإنسان وإزالة الديكتاتوريات في كل مكان .

صحيح أن مايهدد الإنسانية هو الجماعات التي تخطف الأبرياء وتقطع رؤوسهم ولكن أيضاً أن ما يقوم برد الفعل يساهم أيضاً في نفس الدور كالوجه الآخر للعملة , وصحيح أيضا إن انتشار الديمقراطية في الشرق الأوسط وحل الصراع العربي الإسرائيلي سيقلل من فرص نشوب حرب عالمية ثالثة ولكن غير صحيح أن تطبيع الدول العربية الكامل مع إسرائيل ووقف التحريض الإعلامي ضدها مقابل مطالبة إسرائيل بوقف الاستيطان العشوائي، والمعاملة غير الإنسانية للشعب الفلسطيني سيحل المشكلة , فالمعادلة هنا غير متوازنة ولن تكون عادلة إلا بحل مشكلة اللاجئين وقيام دولة فلسطين بقيادة منتخبة ديمقراطيا حتى يتحقق الأمن والسلام .

إن دولة القانون ستنتصر على الإرهاب ولكن سيعيش الإرهاب بيننا طالما هناك قضايا معلقة تحظى بالشرعية والمصداقية ولم تجد من يدافع عنها ويكون هدفه نبيلاً ساميا ويطرح بدلاً عنه نظام متطور تحت شعار لاظلم ولا إرهاب ولا شريعة غاب ولاكيل بمكيالين ولابد أن

نؤمن بالعدل ونرد الظلم الذي أوجد الإرهاب .أما من يتخذ الإرهاب كحجة لتبرير الحروب على بعض الشعوب والنوايا المبيتة في الانقضاض على البقية الأخرى فهي طموحات توسعية تخدم النظام الرأسمالي الذي أستبدل بعبارة النظام العالمي الجديد وهذا على حساب الشعوب الفقيرة التي ستبقى عبيداً عند الدول الغنية القوية , فنار جهنم فتحت على الفقراء والضعفاء من قبل الأقوياء والأغنياء ولكن أي من الطرفين لم يستطيع إطفاءها حتى الآن . والدليل هو الحادث الإرهابي المروّع الذي قتل بدم بارد مئات الأطفال في المدرسة بمدينة بيسلان ليسلط الضوء على قضية الشيشان ساهم بدور فعال في تدمير نفسه أمام الرأي العالمي وسحب بساط التعاطف مع هذه القضية من قبل المجتمع الدولي بل جعل روسيا تنهج نفس النهج الذي تقوم به أمريكا لضرب قواعد الإرهاب في كل مكان وكأنما تسعى روسيا لاستعادة مكانتها كدولة عظمى ، وإن تصاعد عمليات خطف وذبح الرهائن بأيدي مجهولة جعل العالم أقرب إلى الوصول لتعريف الإرهاب واتضحت الرؤيا بعد ما كان هناك إجماع عربي حول دعم العمليات الجهادية فبدأ هذا الإجماع ينقسم حسب استطلاعات الرأي العام وخصوصاً بعد أن تم التأكد من أسلوب احتجاز الرهائن والذبح والعمليات العشوائية لم يجدي نفعاً ونستطيع القول إنها بدأت مرحلة مراجعة الذات للتخلص من الصمت الرهيب , ودأب بعض الكتاب إلى المناداة بالاعتراف بالحقيقة الواضحة لتنظيف سمعة العالم العربي والإسلامي حتى لايستمر إلصاق التهم الإرهابية بالمسلمين وعلينا أن ندرك أننا لن نستطيع إصلاح حال شبابنا الذين ينفذون هذه الجرائم بحق الإنسانية إلا بعد معالجة الفهم الخاطئ للدين ونبذ نظرية المؤامرة التي تبرر كل شيء ولابد من تحمل المسؤولية الأخلاقية عن أرواح الضحايا الأبرياء الذين تمت تصفيتهم عبر عمليات الخطف والقتل والتدمير في أكثر من مكان أفغانستان , فلسطين , العراق , الشيشان إن ثقافة الكراهية التي مارسها البعض ، هي التي ساعدت وساهمت في دفع الأفغان العرب إلى الشيشان والجزائر لخوض حرب من اجل القتل بلا رحمة وإنسانية وبلا أخلاقية ونحن بحاجة إلى تحليل المعالم الفكرية للإسلام وتحديد إطار يجمع عليه المسلمون لنعرف ماذا نريد بالضبط حتى لانفقد مصداقيتنا بين الأمم وحتى لاتساهم الفتاوى في تبرير أعمال القتل والذبح كي لاتتكرر أحداث مماثلة لما حصل في الحادي

عشر من سبتمبر مرة أخرى فنفقد المزيد من الدول الإسلامية على يد الدول الديمقراطية لتصبح دول فتات تمهيداً للاستيلاء عليها وتقسيمها , وحتى لا تقوم جماعات التوريط بزج المنطقة في حروب لانهاية لها ونفوت الفرصة على من يريد تطبيق النظرية "الديمقراطية" .

مجلة فلسطين 25-سبتمبر-2004م

9 على أصحاب محلات الإنترنت التعاون الكامل مع الأمن لمكافحة الإرهابيين

منح ولي الأمر عفوا عاما مدته شهر واستجاب لهذا العفو البعض من الفئة الضالة ولكن البعض الآخر لم يستجب وهذا يدل على الإصرار والتمادي في غيهم مما يؤكد لرجال الأمن أنها فئة ضالة يجب تعقبها والقضاء عليها ولن يفيدهم العناد كما لم تفدهم جميع الوساطات وبالتالي سيخسرون فرصة العفو ومن أبرز من تم القبض عليهم المدعو فارس آل شويل الزهراني أحد أبرز منظري القاعدة بالسعودية وهذا يؤكد نجاح رجال الأمن واستمرار تأكيدهم على تعقب جميع الخارجين عن النظام ووقوعهم في قبضة رجال الأمن إن عاجلا أو آجلا فرجال الأمن يتمتعون بسياسة النفس الطويل ومحاولة القبض على المطلوبين دون إراقة الدماء وهو ما حدث بالأمس القريب من قبل رجال الأمن في شرطة عسير، وفي ذلك براعة رجال الأمن وبعد نظر القائمين على هذا الجهاز لدحض أقوال المغرضين, فسرعة وكفاءة رجال الأمن منعت المطلوبين من استخدام الأسلحة التي كانت بحوزتهم كما ينبغي أن نتفهم حرص المسئولين الأمنيين بعدم الإفصاح عن بعض الأسماء لاستكمال إجراءات سوف تفيد في التحقيقات الجارية وهذا يدل على أن قوات الأمن تقوم بواجباتها خير قيام في متابعة المفسدين في الأرض أرباب الفكر المنحرف من المنتمين للفئة الضالة وأن إلقاء القبض على رأس من رؤوس الفتنة والدعاة للتكفير والتفجير ومن زين له سوء عمله التطاول على علماء الأمة وبث الدعاوى المزيفة والمحرضة على قتل رجال الأمن لهو انتصار بكل المقاييس لمكافحة الإرهاب بل والقضاء عليه.

ومما قيل في هذا الشأن إن أحد المطلوبين كان يقوم بزيارات لمحلات الإنترنت ويبث من خلالها معلومات ويطالب بالمناظرة ممن يؤيد استسلامه إلا أن هذا الأمر رفضه الوسطاء، وهنا نود أن ننبه أصحاب محلات الإنترنت والعاملين فيها أن يتحلوا بالوطنية والمسؤولية وأن يكونوا أكثر حذرا لعلهم يساهمون بالإدلاء بمعلومات تساعد في إلقاء القبض على أصحاب الأفكار المنحرفة أو وضعهم تحت المراقبة لتتولى الجهات الأمنية التعامل معهم بمهنية وجدية كما أن وضع هذه المحلات تحت الرقابة الأمنية قد يفيد في مثل تلك الحالات. ومن متابعة

القراءات التي صدرت بهذا الشأن أن جميع المطلوبين أمنيا هم أشخاص متورطون في قضايا أمنية كبيرة ويحملون أفكارا غريبة عن هذا المجتمع ورغم أن الجهات الأمنية تعلم تماما القضايا الأمنية والجرائم التي قام بها هؤلاء المطلوبون إلا أن المطلوب من جميع من يقيم بهذه البلاد أن يدلي بمعلومات حول من يشتبه فيه ويساعد رجال الأمن في تعقب المجرمين.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى أمر بطاعة الوالدين في غير معصية فعدم الطاعة يدل على العصيان فكيف بذوي المطلوبين يوجهون النداء تلو النداء للمطلوبين لتسليمهم أنفسهم ولكنهم يأبون إلا أن يكونوا من العاصين فكيف يكونون من المنظرين ويجدون من بعض أمثالهم الولاء والطاعة والرفقة فهم رفقاء سوء ، كما نوجه دعوة إلى أصحاب دور النشر بعدم إصدار كتب أو منشورات قبل التأكد من سلامة المنهج ووضوح الفكرة وطلب ترخيص من الجهات المسئولة عن ذلك.

صحيفة الوطن السعودية, الجمعة 27 جمادى الآخرة 1425هـ الموافق 13 أغسطس 2004م

العدد (1414) السنة الرابعة

10 الأعمال الإرهابية باسم الدين تنفر الناس من الدخول في الإسلام

إن موجات العنف التي اجتاحت المملكة أخيرا , أثبتت بما لايقبل مجال للشك أننا بشر نصيب ونخطئ ولدينا استعداد فطريا بشريا للخير والشر كباقي المجتمعات البشرية التي تتكون من مختلف الأعراق والأجناس والألوان , وطالما اختلطت دماء الضحايا البريئة الزكية ومن مختلف الأجناس العربية والأجنبية ببعضها الأمر الذي يجعلنا نستشعر أننا جميعا مواطنين ومقيمين مستهدفون من فئة لاتريد خيرا بهذه البلاد ومن يعيش فيها وعليه ينبغي وأن نعيد النظر في كثير من أمورنا وفي من حولنا , فهذه الظاهرة تحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث العلمي علنا نتعرف على الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الظاهرة الخطيرة ولنركز على أصحاب النظرة الاستعلائية كأحد الأسباب التي منعتنا من كثير من واجباتنا تجاه أنفسنا وتجاه من حولنا , فنعت الآخرين بجنسياتهم بطريقة تبدوا فيها هذه النظرة الاستعلائية والمفاضلة بين الجنسيات حتى تأصلت في البعض منا منذ الصغر حتى أصبحت مايعرف بالخصوصية السعودية وتمسكت بها فئة على طريقة من ليس على مذهبنا فليس منا حتى وصل بنا الحال إلى مانحن فيه من معاناة حتى أفاق الجميع مذهولين من هول الصدمة ولا ندري هل تنجرف هذه الفئة في تيار يؤدي لممارسة سلسلة أخطاء لا نهاية لها أم أن ذلك سينتهي بفضل الله ثم بتضافر جهود القائمين على أمر هذه البلاد والخيرين من أبناء هذا الوطن , كما ونأمل أن يربي المقيمون في هذا الوطن أبناءهم على الشعور بالانتماء إلى هذا البلد الذي وُلدَوا وعاشوا فيه، والذي قدم لهم ولأهلهم الكثير . بل إن كثيراً من أبناء هذا الجيل الثاني لا يعرفون لهم وطناً غيره، وحيث إن مثل هذا الجيل الذي يعيش في بلادنا ويدرس في مدارسنا ويتنفس ثقافتها مع الهواء ويتمتع بنظام يحكم شرع الله ولكن ينتابهم شعور ممزوج بالحيرة والقلق والضياع والاكتئاب وفقدان القدرة على الفاعلية، لأن بعض فئات المجتمع تلفظهم لأنهم لا يحملون هوية هذا البلد وهذا سيؤدي إلى انتماء شكلي يمنعهم من الاندماج الفعلي ويتقوقعوا في مجمعات سكنية تبقى تطاردها فئة لاتزال ترفض وجودهم وتهدد أمنهم وإلا فما السر والإصرار على تهديد أمن هذه المجمعات الخاصة

وملاحقة الأجانب بطريقة عشوائية . وإن كانت هذه المجمعات تضم جنسيات عربية مختلفة متعلقة بوهم العودة إلى أوطانهم وقد أمضوا أعمارهم في هذه البلاد وواقعهم يوحي بأنهم متعلقين بهذه البلاد ونظامها الإسلامي ودستورها شرع الله حتى نجد الكثيرين من أبناء الجاليات غير الإسلامية أسلموا في هذه البلاد أما أبناء الجاليات الإسلامية فتمسكوا بدينهم بشكل أقوى , وبما أن هذه الأعمال الإرهابية جديدة على بلادنا وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر فيجوز لنا أن نتساءل هل هي من تدخل أطراف خارجية تود الانتقام من بلادنا بأيدي شبابنا المغرر بهم ؟ أم أنها نتائج لفكر متطرف ترعرع بيننا ؟ صحيح أنهم أدوات تنفذ أعمال شريرة لصالح أطراف لاتريد خيرا لهذه البلاد فبدلا من حمل السلاح وإرهاب الناس نجد أن الدعوة إلى الله هو السبيل الوحيد لتخليص البشرية من شرور الإرهاب وأثاره وأعمال هذه الفئة تنفر غير المسلمين من الدخول في الإسلام وخصوصا مع تزامن الحملات الإعلامية التي تصطاد في المياه العكرة كما ينبغي أن ندرس أيضا الأثر السلبي لإنعزال بعض الفئات في مجمعات خاصة كهذه ؟ ولماذا لانجعلهم يفكرون بصورة إيجابية بالانخراط في المجتمع بدرجة أكبر حتى لايكونوا عرضة لهجمات جديدة ؟ كما ونقترح أن ينشأ نظام للمحاسبة لمن يبدأ بممارسة النظرة الاستعلائية على غيره عبر أي وسيلة حتى لا تتمكن هذه النظرة من بعض أفراد المجتمع ويصبح أداة طيعة في يد العابثين والإرهابيين والخوارج تحت غطاء الدين , الذين انتقلوا من مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنفيذ فوقعت الأعمال الإرهابية ونحن مندهشون لما حصل .

11 العلاقة بين الإرهاب والاحتلال

يعقد في العاصمة السعودية خلال الأيام القادمة مؤتمر وحملة التضامن ضد الإرهاب , وهناك عبارة تقول لن يزول الإرهاب إلا بزوال أسبابة وهي عبارة أجمع عليها الكثير من الكتاب والمفكرين وسيناقش المؤتمر أوراق عمل مقدمة من جهات متعددة ونتمنى أن يساهم هذا المؤتمر في وضع الخطط والأسس التي ينبغي أن تتبناها الدول حتى نسير خطوة إلى الأمام في مكافحة ومحاربة الإرهاب .

وكمدخل للكتابة عن الموضوع ينبغي أن نذكر بما لاقاه الشعب الفلسطيني على وجه الخصوص والمجتمع العربي بشكل عام على أيدي المحتلين ألواناً من الإرهاب والمجازر وما يحدث في فلسطين والعراق اليوم ستكون له نتائج خطيرة على ازدياد ظاهرة الإرهاب ونموها في الوقت الذي تبذل الحكومات الجهود والأموال للقضاء على هذه الظاهرة ولكن اختلاف الرؤية بين الدول حول مفهوم الإرهاب يزيد الأمور تعقيداً .

ومن هنا جاءت فكرة المؤتمرات الدولية لتقريب وجهات نظر الدول حول هذا المفهوم من خلال الحوار الهادف والبناء. ومن الناحية النظرية البحتة قد يجمع الكثيرين على أن التطهير العرقي هو نوع من أنواع الإرهاب ولكن عندما يتم تحديد مكان وزمان هذا التطهير ممثلاً فيما تقوم به الحركة الصهيونية عبر برنامج إفراغ فلسطين من سكانها العرب والعمل على إحلال اليهود مكانهم وهو الأمر القائم على تجميع اليهود من شتى بقاع الأرض للسكن في فلسطين (أرض الميعاد) نجد الاختلاف واضح بين كثير من المفكرين وهذا ما أحدث أزمة كبيرة بين فرنسا وإسرائيل عندما قام شارون بدعوة يهود فرنسا بالهجرة إلى فلسطين في أسرع وقت ممكن فمن وجهة النظر الفرنسية إن هذه الدعوة هي دعوة إرهابية لتخريب الاقتصاد الفرنسي , أما من وجهة النظر الإسرائيلية هي دعوة أبناء الديانة اليهودية للعودة إلى أرض الميعاد لمواجهة الإرهاب الفلسطيني الذي تقوم به المنظمات الفلسطينية .

أما الأطراف الأخرى غير الفرنسية والإسرائيلية فسيكون الاختلاف أيضاً واضح فيما بينهم فمنهم من يؤيد فرنسا ومنهم من يؤيد إسرائيل .

والفلسطينيون بطبيعة الحال سينظرون إلى الموضوع من زاوية مختلفة تماماً فهم الطرف الواقع عليه الظلم والاحتلال ويعتبرون أن ماتقوم به هذه المنظمات ماهو إلا مقاومة مشروعة في وجه الاحتلال فاليهود المهاجرين إلى الأراضي الفلسطينية هم الذين تلطخت أياديهم على الدوام بدماء أطفال ونساء وشيوخ هذا الشعب المنكوب . ويعتبرون إنها حقبة مخجلة من تاريخ الإنسانية ويبرزون معالم هذه المأساة لعل في الذاكرة الإنسانية سعة لتذكر هذا الشعب المفروض عليه التشرد والاحتلال منذ أكثر من نصف قرن من الزمان. فالشعب الفلسطيني مشرد في الشتات كلاجئين لايملكون قوت يومهم عوضاً عن امتلاك مسكن يؤون أطفالهم ونساءهم وشيوخهم فيه ويعتبرون إن ماتقوم به الدول بحقهم هو مناصرة لهذا الاحتلال وليس غريباً أن ينظر بعضهم إلى تحسين أوضاعهم المعيشية في البلاد التي لجئوا إليها بل وبعضهم يتقدون لطلب الجنسيات المختلفة حتى يتخلصوا من هذا العذاب الأليم فهم كباقي البشر لهم الحق في العيش على أي بقعة من الكرة الأرضية ليرسموا معالم مستقبلهم ويعملوا على تحقيق طموحاتهم ولكن القيود المفروضة عليهم تجعل العقل الباطن يفرز حقداً دفينا على الحركة الصهيونية واليهود بل وعلى كل من يعرقل مسيرة هذه الطموحات ومن هنا يولد فيهم المقاومة والتطرف والإرهاب في نفس الوقت وما أشبه الليلة بالبارحة وكما اندفع المتطرفون من كوادر الحركة الصهيونية بعد أن شعروا بالغطاء الدولي من خلال السماح لليهود بالاستيطان والسيطرة وتخزين السلاح وتشكيل المنظمات العسكرية الإرهابية تحت ظل قوى الاستعمار الغربي في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين (1) . بهذه العقلية ينشأ الإرهاب ويترعرع وخصوصاً بعدما اقتنع الغرب بمساعدة الحركات الصهيونية لاستكمال برنامج التطهير العرقي الذي تتبناه الدولة الإسرائيلية وهو ما يسمى بالترانسفير .

ولم ينتهي الأمر عند هذا الحد وإنما لاتزال هناك حرب حقيقية بين العرب واليهود خارج فلسطين لمنعهم من التمتع بأي حقوق تساعدهم مستقبلاً للعودة إلى أراضيهم وسيستمر الإرهاب الصهيوني والعربي خارج فلسطين وفي كل دول العالم وينشط في المناطق الملتهبة العراق مثلاً .

أنواع الإرهاب ووسائله :

1- الإرهاب الجسدي

تقوم بعض الدول اليوم بما قامت به إسرائيل من احتلال وقتل وتشريد وإبعاد وسجن وممارسات يندى لها جبين العالم مثل ماحصل في سجن أبي غريب في العراق وهناك ممارسات عديدة لم يكشف النقاب عنها في العديد من السجون في مختلف دول العالم وفي اعتقادنا أن جميع الدول التي تتبنى العقيدة الصهيونية بأنهم أفضل خلق الله وقد خلق الله غيرهم من الشعوب ليكونوا خدماً لهم (2) وتمارس الضغوط على غير بني جنسهم هم الذين يدعمون الإرهاب في كل مكان . ولقد حذر الله من ذلك في كتابه العزيز حيث يقول (يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير). (الحجرات ـ 13). (3)

2- الإرهاب في المجال الاقتصادي

إن الأفراد والمنظمات والدول التي تعمل على تدمير اقتصاديات الدول هم الذين يدعمون الإرهاب فهدم وتدمير المباني والمنشآت الاقتصادية والمصانع والمؤسسات والمساجد والمستشفيات والطائرات والسفن والمنازل والسفارات والشوارع والمباني الحكومية والطرق ووسائل المواصلات وقطع الأشجار وتجريف المزروعات وقصف المدن بالصواريخ والطائرات ومن يقوم بالغارات الجوية والاعتداءات العسكرية بالمدافع والقنابل والأحزمة الناسفة ومن يسعى إلى السيطرة على ثروات الأمم سواء في مجال البترول والمياه والمعادن والثروات الحيوانية والزراعية وغيرها , كل هذه الأشياء تندرج في نطاق الإرهاب في المجال الاقتصادي .

3- الإرهاب العسكري

إن الأفراد والمنظمات والدول التي تسعى للقيام بغارات عسكرية ضد الدول الأخرى سواء مايسمى بالحرب النظامية أو الضربات الإستباقية أو إحلال الدول حتى لاتتمكن هذه الدول من بناء إمكانياتها وطاقاتها العسكرية لحماية حدودها والدفاع عن نفسها تندرج تحت مايسمى بالإرهاب العسكري .

4- الإرهاب النفسي

إن الأفراد والمنظمات والدول التي تستعمل وسائل الحرب النفسية لإرهاب الناس والدول وتخويفهم من أجل إجبارهم على تطبيق سياسات تخدم مصالحها دون النظر إلى مصالح الدولة نفسها ومن يسعى إلى إجبار السكان على الرحيل وترك البلاد ومن يستخدم تسجيلات الرعب لقادة المنظمات الإرهابية ويبثها عبر الفضائيات يساهم في الإرهاب النفسي الضار بالشعوب المحبة للسلام , وقد استخدمت إسرائيل كل هذه الوسائل لإجبار الفلسطينيين على الرحيل عن بلادهم كما استخدمتها دول وفضائيات أخرى ومن يستخدم صور المذابح والمجازر ويبث الشائعات يساهم في دعم الإرهاب النفسي أيضاً . (4)

5- الإرهاب في المجال الاجتماعي والخلقي

إن الأفراد والمنظمات والدول التي تعمل على نشر الدعوات الهدامة من إحياء الحركات القومية أو العرقية أو النازية أو أي تسمية أخرى لتساهم في هدم الدول أو إسقاط الأنظمة الرشيدة والديمقراطية أو من ينشر الدعوات الإقليمية بين الدول للإبقاء على تفسخها وتفككها أو محاولات انفصال بعض الأقاليم في دولة ما حتى لاتقوم أي وحدة وتآلف بين أجزائها مثل الدعوات الآشورية والبابلية في العراق أو الدعوات الإلحادية والفوضوية كالشيوعية والماسونية والوجودية وغيرها كثير وكلها تهدف للقضاء على الأمم ومن يعمل أيضاً على تفتيت الوحدة الوطنية في أي دولة عن طريق إثارة النعرات العرقية والطائفية والقومية أو إشاعة الفاحشة , كما قال سبحانه وتعالى: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) النور 19، (5) حتى لايتفق المواطنون على قرار بشأن وحدتهم وقوتهم وتماسكهم ويؤكد هذا ماقاله لورنس العرب في تقريره الذي رفعته المخابرات البريطانية عام 1334هـ / 1916 : " أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية , ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها , وإذا عرفنا كيف نعامل العرب , وهم الأقل وعياً للاستقرار من الأتراك , فسيبقون في دوامة من الفوضى السياسية , داخل دويلات صغيرة , حاقدة , ومتنافرة , وغير قابلة للتماسك" (6) . ومن هنا يتضح أن السياسة الصهيونية والاستعمارية اتفقت فيما بينها للقضاء على الوحدة بل وعلى عدم السماح بقيامها مرة أخرى وهي دعوة إرهابية قامت منذ قرون . وكشف أيضاً تقرير حديث للمخابرات الفرنسية، أن عدد أعضاء

الجماعات اليمينية المعادية للأجانب يصل إلى حوالي 3500 فرد منتشرين في باريس وضواحيها، ومنطقة الألزاس والجنوب وقال التقرير إن هذه الجماعات تنقسم إلى خمس مجموعات كبرى هي "حليقو الرؤوس" و"المحافظون على الهوية"، و"القوميون المتطرفون"، و"النازيون الجدد"، و"الهوليغانز". لكنها تتفق فيما بينها على عداء المسلمين والعرب باعتبارهم "العدو الأول" (7) .

6- الإرهاب في المجال الديني

إن الأفراد والمنظمات والدول التي تعمل على تأجيج الصراع بين الغرب والعرب واليهود حول الأديان وهو صراع عقيدة وحضارة وبمصطلحات اليوم هو مايسمى بالإرهاب في المجال الديني وكتب عنه صموئيل هنتنغتون وفوكوياما وتبنت هذه النظريات بعض الحكومات الغربية الأمر الذي نتج عنه الدعوات للقيام بمؤتمرات للحوار بين الأديان ويحاول اليهود القضاء على روح جميع الأديان المخالفة لديانتهم اليهودية وهذا هو منهج الماسونية في محاربة الإسلام وهو ما أنتج مقاومة بعض الجماعات والدول لمثل تلك الأفكار الهدامة . ويتضح ذلك من إعلان اليهود أن القدس هي العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل ولهذا قامت بعض المنظمات الصهيونية لهدم المسجد الأقصى وتجلى ذلك عند زيارة شارون للمسجد الأقصى الذي أفرز انتفاضة الأقصى الدائرة الآن. (8) . ولم ينتهي الأمر عند المسجد الأقصى بل والحرم الإبراهيمي في الخليل وكذلك هدمت الكثير من المساجد في الحرب على العراق ولقد شاهدنا عبر الفضائيات الكثير من مثل هذه الصور المرعبة. ويجدر الإشارة هنا أن إسرائيل قامت بهدم أكثر من 400 مسجد وقد حولتها إلى متاحف (9) . وبدأت الآن وضمن إطار الحرب على الإرهاب الضغط على العلماء والأئمة وإرهابهم كما حدث في هولندا مؤخراً (10) . وتقوم هذه الحركات الهدامة بنشر الانحلال الخلقي عن طريق مجلات وأفلام الجنس . كما وتقوم بتشجيع التنصير والإلحاد والبهائية والقاديانية (11) .

7- الإرهاب السياسي وآثاره على العرب

لاشك أن الإرهاب السياسي الذي يمارس على الشعوب والدول للعرب لهم منه حظ وافر فالدول العظمى تمارس أقصى درجات الإرهاب السياسي على العرب والمسلمين فالغرب عموما

وإسرائيل على وجه التحديد تقوم بسلب الحقوق السياسية من الفلسطينيين كما وتقوم بعض الدول بحرمان بعض المواطنين من الوظائف العليا كوزير أو نائب وزير إلا في أضيق الحدود كما ويحرم العرب في إسرائيل من مزاولة أي نشاط ثقافي له طابع سياسي أي أنها تسلبهم حقوقهم المدنية وفي بعض الدول تقدم بعض الأحزاب السياسية للنيابة العامة لمحاكمتها أو حظر نشاطها أي حرمانها من حقها الطبيعي وحدث هذا فعلاً في بعض الدول العربية خلال الأيام القليلة الماضية .

وعلى العموم فإن مشكلة الشرق الأوسط ليس خلافاً سياسياً بين العرب واليهود يمكن حله عن طريق المفاوضات بل هو خلاف جذري وعميق لأنه خلاف بين عقيدتين ومن أجل تثبيت قيم دولة إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية وهو ما أعلنه بوش في مؤتمر العقبة حيث أقر قرار التقسيم وقبوله بأن تكون إسرائيل دوله يهودية وفلسطين دولة عربية . وقرار التقسيم هو الأساس القانوني الدولي الذي استغلته إسرائيل لتعلن عن ذاتها كدولة يهودية مستقلة. وهي لا تكتفي بعد أكثر من نصف قرن على قيامها بالاعتراف بها كدولة ذات سيادة بل تطالب بالاعتراف بطابعها القومي أو الديني (اليهودي) (12) . وهذا ما أكده شمعون بيريز في مقال له في صحيفة يدعوت أحرونوت تحت عنوان " ما بدأ بخطة بلتيمور وتواصل في اتفاق أوسلو وصل إلى لحظة الحسم حيث قال بالحرف الواحد " يتحتم على إسرائيل الموافقة على "خارطة الطريق" لأننا وصلنا إلى مفترق طرق . ويجب الموافقة عليها، أولاً، لأسباب ديموغرافية. فبين البحر ونهر الأردن، يعيش اليوم أكثر من عشرة ملايين نسمة: 5.4 مليون يهودي و4.8 مليون عربي. وإذا تواصل الوضع القائم، بلا حدود بين الشعبين، ستتولد دولة ثنائية القومية، ذات غالبية غير يهودية، ولن تساعدنا أي محاولة للتذاكي. هذا يعني، أن فكرة منع العرب من حق التصويت أو حرمانهم من المواطنة المتساوية لن يصمد. ذلك أننا لن نتمكن من إقامة دولة ديمقراطية بدون تحقيق المساواة الكاملة لجميع السكان. ويمكن تحقيق التصريح القائل بأن إسرائيل هي دولة يهودية، فقط، عندما تعيش فيها غالبية يهودية. ظاهرياً، يمكن رسم لافتة تقول إنها دولة يهودية، لكن الحقائق، فقط، هي التي

تقرر. إن الذين يهاجمون اتفاق أوسلو أو رؤيا "الدولتين" يمتنعون بإصرار عن اقتراح أي بديل. فهم يعرفون في داخلهم بأنه لا وجود لأي بديل آخر (13) .

---

(1) جواد الحمد , المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني , عمان 2000 , ص 1-5 .

(2) غازي السعدي , مجازر وممارسات 1936-1983, عمان 1985, ص264 .

(3) القرآن الكريم (الحجرات ـ 13).

(4) إبراهيم أبولغد , تهويد فلسطين , بيروت 1972, ص 206 .

(5) القرآن الكريم (النور ـ 19).

(6) زهدي الفاتح , لورنس العرب على خطى هرتزل , بيروت 1982, ص 64-72 .

(7) جريدة الوطن السعودية , عدد 1580 الأربعاء 1425/12/16هـ /2005/01/26م .

(8) عبدالله التل , خطر اليهودية العالمية على الإسلام , بيروت 1972, ص 322 .

(9) جريدة الرياض السعودية , عدد 7896, 9 رجب 1410هـ /1990/02/04م , ص 17 .

(10) جريدة الوطن السعودية , عدد 1579 الثلاثاء 1425/12/15هـ /2005/01/25م .

(11) د/ محمد شبير , صراعنا مع اليهود , الكويت 1984, ص 35-40 .

(12) عزمي بشارة , جريدة السفير (لبنان) , الإثنين، 4 آب «أغسطس» 2003م .

(13) شمعون بيريز , صحيفة يدعوت أحرونوت الإسرائيلية , 26مايو 2003م

صحيفة إيلاف الإلكترونية 4-فبراير-2005م

12 الإرهاب سيجعل العالم أكثر فقراً وأقل أمناً

هل سينتصر الإرهاب في الحرب على الإرهاب ؟ سؤال قد تبدوا الإجابة عليه لغزاً محيراً ولكن ينبغي إعادة التفكير في هذه العبارة من جديد فالحرب على الإرهاب نثر بذور الإرهاب من جديد ليشمل الكرة الأرضية بأسرها ولاسيما أن الإرهاب زادت وتيرته لتشمل كل بقعة في هذا الكون الفسيح .

ولم يستثن منها أي شعب على الكرة الأرضية رغم سعتها ولكنها تضيق الأرض بما رحبت على هذا الإنسان فالعداء مستحكم بين الحق والباطل ولكن من هو على حق ومن هو على باطل ؟ ولن يستطيع أحد الإجابة على هذا السؤال بكل شفافية إلا من كان محايداً وطالما أن الإنسان في هذا الكون لابد أن ينتمي إلى فئة أو جماعة أو عرق أو وطن أودين , لذا لن تكون هناك إجابة إلا من خلال الكتب السماوية التي لم يطالها التحريف .

فالعودة إلى الله تلهمنا الحق وهكذا جاءت الدعوة إلى حوار الأديان لتتوافق فيما بينها على أسس الحق والدعوة إليه وتعريف الباطل ونبذه ومحاربته.

ولن نستطيع إحصاء الخسائر المادية والبشرية منذ أن نشأ الإرهاب عوضاً عن قصور العقول البشرية في تعريف هذا الإرهاب التي لن تستطيع أن تجد تعريفاً شاملاً جامعاً متفق عليه . لذا لابد أن نستمد تعريف الإرهاب من خالق هذا الكون العظيم من خلال الكتب السماوية .

وطالما أن الكتب السماوية طالها التحريف والتغيير ماعدا القرآن العظيم فهو النبع الصافي للوصول إلى تعريف الإرهاب وطالما هناك من لايؤمن بهذا الكتاب فلن يقتنع بما يقوله المسلمون ولهذا بدأت كل أمة تفسر الإرهاب على هواها .

ومن هنا نشأت ربط فكرة الإرهاب بالجماعات الإسلامية بل وأدت إلى تسخير القوة لمحاربة الإسلام وأهله والحروب الصليبية أكبر شاهد على مانقول فهي حروب ضد الإسلام وأهله ولكن العلماء والمفكرون والساسة يخشون من التصريح بهذا القول من باب التفاؤل في إيجاد تفاهم بين الأديان حول الكثير من القضايا .

ولكن من يعمل على إيجاد تفاهم بين الأديان وخصوصاً بين الإسلام والمسيحية واليهودية ولاسيما أنه كانت هناك فرصة أضاعها المسلمون عندما لم يتحركوا عند تنصيب البابا ووصف اليهود بأنهم إخوته وأخواته ولم يذكر المسلمين أو الحوار مع الإسلام وأشاد بالإرث الروحي العظيم والمشترك بين المسيحيين واليهود ، ويحاول بين الفينة والأخرى بإرسال رسائل إشادة وترحيب باليهود , كما وتعهد في معظم رسائله بتعزيز حوار الكنيسة الكاثوليكية مع اليهود .
إذاً ليس أمريكا وحدها من يدعم اليهود بل العالم المسيحي بأكمله وهنا ينبغي أن نتساءل لماذا ؟ ولقد وصف البابا بنديكت السادس عشر البشرية " "بخراف ضالة لا تجد سبيلها في الصحراء" ودعا الكنيسة إلى سلوك الطريق "القيادة البشر خارج الصحراء"، مشيرا إلى وجود أشكال عددية من الصحاري تتمثل بالفقر والجوع والظمأ والإهمال والظلمة وفراغ النفوس.
وأدان ما وصفه بـ"جريمة" معسكرات الهولوكوست "غير المعقولة" خلال الحرب العالمية الثانية . أكد البابا أن الكنيسة الكاثوليكية ملتزمة بمحاربة معاداة السامية وأنها ستقوم بمزيد من البحث المعمق لما أسماها التداعيات التاريخية والأخلاقية للمحارق النازية التي تعرض لها اليهود خلال الحرب الكونية الثانية .
وهنا ينبغي أن نعيد إلى الأذهان أنه قبل توليه منصب البابا قال الكاردينال جوزيف راتزينغر إن تركيا العلمانية التي تسكنها أغلبية مسلمة ينبغي أن تخطط لمستقبلها مع الدول الإسلامية وليس مع الاتحاد الأوروبي الذي له جذور مسيحية .
رغم أنه أعلن عن تقديره لتطور الحوار بين المسلمين والمسيحيين على المستويين المحلي والدولي.
وفي هذه المناسبة ينبغي ألا ننسى الدعوة التي وجهها شارون بدعوة بابا الفاتيكان لزيارة تل أبيب في الوقت الذي لم يصل إلى أسماعنا أي دعوة من زعيم عربي لبابا الفاتيكان بزيارة لبلده لتكون دعوة مضادة لما يقوم به شارون .
إن الحوار بين الكاثوليكية واليهودية قد دخل حيز التنفيذ خلال زيارة البابا يوحنا بولس الثاني للكنيس في روما 1986م . كما أن العلاقة بين الفاتيكان واليهودية قد شهدت تطوراً كبيراً بعد هذا التاريخ وفي عهد البابا السابق يوحنا بولس الثاني.

أما العلاقات الإسلامية مع الغرب وحوارها مع بقية الأديان تزداد سوءاً بعد إعلان الحرب على الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م وزاد الإرهاب من وتيرته فمثلاً الآن في العراق عشرات التنظيمات التي خرجت وتخرج كل يوم نتيجة الحرب على دولة مسلمة كبداية يتبعها دول أخرى ومنها التهديد بضرب إيران وسوريا ويعتبر هذا نوعاً من الاستخفاف والاستهتار وهذا الذي قامت به بريطانيا وأميركا لا يمت للحضارة بصلة .

ومن هنا بدأت الخلافات تزداد أيضاً الأمر الذي أدى إلى نفور قيام تقارب جديد بين الإسلام والمسيحية أو بقية الأديان وهنا نتساءل هل كان الزرقاوي قبل اجتياح العراق موجودا ؟ هل كان أنصار السُنّة والجيش الإسلامي موجوداً ؟ هل ضُربت بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية من أي فئة عدا الجيش الجمهوري الأيرلندي قبل هذا العدوان ؟

وعودة على ذي بدء نجد أن البورصة البريطانية قد حققت أعلى مستوى للخسائر التي قدرها الخبراء ب 29 مليار دولار وشلّت الحياة في لندن وذلك نتيجة لعمل إرهابي ولكن هل هناك أسباب لهذا العمل الإرهابي ؟ .

بلير كان يدين الشعب الفلسطيني في كل موقف في كل عملية ويؤيد شارون ويحمي شارون ويتخذ كل القرارات لحماية شارون حتى تشكيل لجنة من الأمم المتحدة للتحقيق في مجزرة جنين رفض بلير وبوش تشكيل تلك اللجنة وكان عداءهما مستفحلا على هذه الأمة واحتلالهما للعراق أدت إلى مائتي ألف قتيل وتدمير العراق بشكل شامل، ألا يكفي أن يكون هناك ردة فعل؟ .

لب المشكلة هو السياسات والنزعة الاستعمارية التي تمثلت في غزو العراق وأكد عضو البرلمان البريطاني جورج غالاوي بعد أن أدان الضربات على لندن حيث قال " هذا ما جنته حكومة بلير على الشعب البريطاني " .

بلير لأول مرة في حياته يقول آن الأوان لأن نعالج أسباب الإرهاب وربط ربطا واضحا بين المظالم العربية في فلسطين وبين ما حدث في لندن ، كان بلير يقول للإسرائيليين أو الفلسطينيين لا تحلموا بدولة ما لم تتوقفوا عن الإرهاب، الآن انعكست الآية بلير بدأ يشعر بأن بريطانيا تجاوزت حدودها كثيرا .

طبعا هناك لا شك علاقة بين ما يحدث في العراق وفي المنطقة العربية والإسلامية ولكن كيف الرئيس بوش الابن يقول " سننشر مبدأ المحبة مقابل مبدأ الكراهية " ؟ ومازالت الطائرات تقصف وتقتل الآلاف من المدنيين أليس هذا إرهاب ؟ .

هناك من يقول أن العولمة على روعتها وعلى توحيدها للعالم كانت بمثابة نقمة بالنسبة للدول الاستعمارية ومنها مثلا الولايات المتحدة، العولمة في الماضي كانت الدول الاستعمارية تذهب وتستعمر بلد فما كان من الشعوب إلا أن تقاوم داخليا، الآن العولمة وفرت للجماعات أن تقاوم، ووفرت لهذه الشعوب أن تضرب البلدان الاستعمارية في عقر دارها .

يتجدّد الإحساس بالألم مع مشاهد سقوط الضحايا ، وليس للألم ديانة سواء كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية ، فباتت المشاهد يختلط بعضها ببعض، كما بات من المستحيل الفصل بين هذه الموجة وتلك من موجات التقتيل والإرهاب ، كما يريد كلٌّ من الطرفين المسئولين عما يسمى الإرهاب أن يصنع ، متجاهلا الرابط بين السبب والنتيجة، والفعل ورد الفعل.

إن ما حدث من أعمال إرهابية هي مسلسل طويل معروف هو عنف غير مشروع إسلاميا ولا دوليا، وإن ما حدث ويحدث في العراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها ، إرهاب غير مشروع بمختلف المقاييس والمعايير الدينية والإنسانية، وبات القاسم المشترك هو دماء الضحايا، بغض النظر عن تفاوت التفاصيل والأعداد وآلية التقتيل ومواقع المسؤولية .

كلما أسقطت عملية جديدة مزيدا من الضحايا من عامة البشر، مسلمين وغير مسلمين، في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، عاود المسئولون كبارهم وصغارهم مع أتباعهم في الإعلام، تأكيد موقف ثابت لا يراد له أن يتغير، محوره "لن نخضع.. لن نذعن.. لن نتراجع أمام الإرهاب" وكأنها حرب بدأت دون أن تنتهي ، وليس في موقع المسؤولية عن قرارات يترتب عليها ما يترتب على صعيد أرواح البشر وخسائرهم في ممتلكاتهم .

وليست القضية قضية خضوع وتراجع، إنما هي قضية "إستراتيجية خاطئة " جملة وتفصيلا، بتوجيه الضربات المضادة وفي كل اتجاه لتزداد وتيرة الإرهاب والعنف وبالتالي مزيد من الدماء وكأنها كرة ثلج لاتزال تكبر حتى تجعل العالم أكثر فقراً وأقل أمناً ويزيد انتشاره بدلا من القضاء عليه.

وأصبحت الدول الديمقراطية تسن القوانين استثنائية مستحدثة تشبه إلى حد بعيد قوانين الطوارئ المزمنة في بلدان غير ديمقراطية، وما يجري هنا وهناك هو على حساب الحريات العامة، وربما يستهدف المسلمين أكثر من سواهم .

ويبدوا هنا أن الدول الديمقراطية وغير الديمقراطية قد اقتربت من بعضها البعض والذي دفعها إلى ذلك حجة الحرب على الإرهاب وهنا ندعوا كل من يحرص على الأمن والسلام من عقلاء الديانات الثلاث أن لايدفعوا من يقوم بهذا العمل إلى مزيد من التطرف والعنف حتى لايصبح الطرفين يعلم من يضرب من ولمصلحة من وهذا مانسميه " الإستراتيجية الخاطئة في الحرب على الإرهاب " .

إن هذه الإستراتيجية الخاطئة قد تؤدي في النهاية إلى حرب بين الأديان ويعود العالم إلى شريعة الغاب القوي يقتل فيها الضعيف فتنتهك المبادئ والقوانين الدولية والإنسانية ويزرع الرغبة في الثأر والانتقام، وتبدأ حملات التطهير العرقي أو الديني فتكون حرباً عالمية على الإسلام أو على المسيحية أو على اليهودية التي أصبحت تغذيها الحملات الإعلامية ولا نستطيع استخدام تعبير "الإرهاب" دون التنويه بما بات معروفا أنه لا يوجد تعريف دولي لكلمة الإرهاب، .

إن من يسوغون العنف غير المشروع ومن يزعمون أنهم يحاربون ذاك العنف يتلاقون في أفكارهم بالافتراء على الأديان ومنذ أن بدأت الحرب على الإرهاب ونحن نرى كل يوم قتلى وجرحى ودمار للممتلكات العامة والخاصة ومن المعروف أن الهدم أسرع من البناء وأن الدمار أسرع وأشمل من الإعمار فقنبلة ذرية واحدة حصدت مئات الآلاف من البشر وحرب عالمية حصدت الملايين من البشر والإعتداءات الإرهابية كلفت الدول مليارات في لحظات فالممتلكات العامة التي تبنى في أعوام تحصدها الأيدي الآثمة في دقائق معدودات ولهذا اخترنا العنوان أعلاه " الإرهاب سيجعل العالم أكثر فقراً وأقل أمناً .

صحيفة الصباح الإلكترونية 22-08-2005م

13 إسرائيل وترسانتها النووية حقيقة أم خيال

مفاعل ديمونة النووي الإسرائيلي الذي يقع وسط صحراء النقب جنوب فلسطين في منطقة قريبة من الحدود المصرية والحدود الأردنية يشكل خطراً على المنطقة بأكملها لأسباب ثلاثة وهي :

الأول: في حالة تعرضه للخطر سواء من الخارج أو الداخل.

الثاني: بما ينتجه من أسلحة الدمار الشامل التي تهدد شعوب المنطقة العربية بأكملها بل يمتد تأثيره إلى خارج نطاق المنطقة العربية.

الثالث: بحجم النفايات والمواد المشعة الناتجة والتي يجب التخلص منها بطرق شتى.

وجميع الأسباب السالفة الذكر تهدد حياة البشر والبيئة الطبيعية والأمن والسلام العالميين.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو لماذا تريد إسرائيل امتلاك مثل تلك الأسلحة النووية ؟

تقول معظم التقارير عن هذا المفاعل النووي أنه قد زود إسرائيل بأكثر من 200 رأس نووي جديد , وهنا نتساءل هذه المعلومات هل نستطيع أن نؤكدها من مصادر دولية موثوقة أم نصدقها على علاتها .

دعنا نبحث في الأمر ونعمل التفكير قليلاً , المعلومة تقول 200 رأس نووي وهنا من واجبنا أن نتساءل ماهو حجم الدمار الذي سوف تحدثه القوة التفجيرية لهذا العدد الهائل من الرؤوس النووية ولنعود الى التاريخ لنجد أن العالم لم يستخدم القنبلة الذرية إلا مرتين فقط على هيروشيما ونجازاكي وكان حجم الدمار من القنبلة الواحدة هائلاً ومدمراً ومازالت اليابان والعالم يتذكر الحدث كل عام .

وكثيراً مانسمع عن خطر مفاعل ديمونة لأسباب منها التقادم حيث أنشيء في عام 1963م وأن العمر الافتراضي لهذا المفاعل هو 30 سنة مما يتوقع تسرب إشعاعات نووية منه في أي لحظة ليشكل كارثة للمنطقة تذكرنا بكارثة تشرنوبيل الروسية . أو لعدم تزويد السلطات الإسرائيلية المفاعل بأبراج تبريد منذ عام 1971م .

وهنا نود أن نعمل التفكير أيضاً في مثل المعلومات التي وردت أعلاه المعلومة الأولى تقول أن العمر الافتراضي لهذا المفاعل هو 30 سنة وهنا سنناقش عدة أمور منها

أولاً : إن العمر الافتراضي قد انتهى ولم يحدث شيء فنحن الآن في عام 2005م أي أنه قد مضى اثنان وأربعون عاماً وهذا يعني إن معلومة العمر الافتراضي هي معلومة خاطئة يجب أن لانستند إليها في تقاريرنا أو معلوماتنا .

ثانياً : إن التشبيه بكارثة تشرنوبيل هو افتراضي خاطئ وذلك لأن الدول تهتم بسلامة سكانها قبل أن تهتم بسلامة أعدائها فمن باب أولى أن تهتم إسرائيل بسلامة شعب إسرائيل وهذا أمر طبيعي وخصوصاً إسرائيل .

ثالثاً : إن معلومة عدم تزويد السلطات الإسرائيلية المفاعل بأبراج تبريد منذ عام 1971م هي معلومات خاطئة لأن إسرائيل قادرة على ذلك مادياً وتقنياً . كما أن مساحة فلسطين هي مساحة صغيرة وهذا يعني إن أي تسريب إشعاعي لابد أن يتعدى حدود فلسطين إلى الدول المجاورة وهذا يعتبر مثابة انتحار لإسرائيل إذا أقدمت على مثل هذا العمل فهي وجدت لتبقى لا أن تدمر نفسها بنفسها.

وكثيراً مانسمع أن إسرائيل ترفض التفتيش الدولي والتوقيع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وهذه معلومات إذا ماكانت صحيحة فهي لأن إسرائيل بهذا المفاعل تريد أن تحيط نفسها بهالة من القوة لإرهاب الدول العربية وشعوبها نفسياً حتى لاتفكر أي دولة في الاعتداء عليها .

وتقول رابطة العلماء الأميركيين أن تقديرات المخابرات لقدرات "إسرائيل" النووية في عام 1990م كانت تشير إلى امتلاكها ما يتراوح بين 75 ـ 130 سلاحاً نووياً ويبلغ المعدل السنوي لإنتاج البلوتونيوم في المفاعل «20» كيلوغراماً حيث أن الدولة العبرية في الوقت الراهن هي الدولة الوحيدة التي تمتلك أسلحة نووية في المنطقة ولكنها ترفض الاعتراف بملكية هذه الأسلحة.

أما المعلومات الواردة أعلاه فتفتقر إلى الدقة لعدة أسباب ومنها أن رابطة العلماء الأمريكيين لم تحدد من هي الجهة الإستخبارية التي أمدتها بمثل هذه المعلومات , كما لاتوجد أجهزة

إستخبارية تستطيع أن تتجسس على إسرائيل وخصوصاً في مثل هذا الموقع ولاسيما أن قضية فونونو الذي قضى بموجبها 18 عاماً في السجن لمجرد تصريحات صحفية وكيف إن إسرائيل اختطفته وأعادته إلى إسرائيل .

كما أن باقي المعلومات الواردة يمكن العودة إلى أول المقال لتفنيدها. عوضاً عن المعلومات التي لابد أن تحظر على مثل هذه الرابطة أن تبثها حسب القوانين الأمريكية.

وأنشأت دولة إسرائيل مفاعل ديمونة عام 1963 بمعونة من فرنسا التي كانت تربطها بها آنذاك علاقات تعاون وثيقة وبتمويل من الولايات المتحدة ومساعدات متعددة من بينها نقل بعض اليورانيوم المخصب.

أما المعلومات الواردة أعلاه فقد تكون صحيحة ولكن في حدود الحجم الصغير لعمل التجارب المعملية أو لاستخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية وهذا يعتبر حق ومطلب شرعي لكل الدول إن أرادت أو استطاعت استخدام ذلك.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم للغاية وهو لماذا إسرائيل منذ العام 1963م وهي تفكر بطريقة إيجابية ؟ ثم لماذا لم تقوم أي دولة عربية بما قامت به إسرائيل ؟

وهنا يجعلنا نبدي إعجابنا بالتقدم الذي يحظى به بلد يعتبر حتى هذه اللحظة عدو لمعظم الدول العربية والإعجاب بالعدو لايعني تأييده ولكن يعني الاستفادة من أفكاره والاستعداد الجيد له .

وتعتبر دولة "إسرائيل "القوة النووية الخامسة في العالم فبالإضافة إلى القنابل النووية التي يمكن إلقاؤها من الجو. تتضمن الترسانة النووية الصهيونية أيضا رؤوساً نووية يمكن إطلاقها إلى مسافات تصل حتى «1500» كيلومتر باستخدام صواريخ «أريحا» الإسرائيلية الصنع.

أما المعلومات الواردة أعلاه لانستطيع تأكيدها أو نفيها ولكن إن كانت صحيحة فهذا يعني مدى التطور الذي تحظى به إسرائيل مقارنة بقدرات العالم العربي مجتمعة سواء من ناحية أنها قوة نووية أو أن لديها ترسانة أسلحة متطورة أو حتى إمكانية امتلاكها إلى صواريخ هي تصنعها بنفسها وبالتالي تستطيع أن تبيع منها ماتشاء ولأي دولة تشاء وهذا مايجعلها متطورة تقنياً الأمر الذي يجعلها قوة اقتصادية لأن من يدخل هذا المضمار يعتبر من الكبار .

وذكرت «يديعوت أحرونوت» في عددها الصادر في 27 فبراير 2002م أن ايفي ايتام وزير البنية التحتية أصدر تعليمات للشروع في بناء مفاعل نووي جديد في صحراء النقب جنوب "إسرائيل" يخصص للأغراض المدنية وأضافت الصحيفة أن المسئولين يتوقعون بدء إنشاء محطة الطاقة النووية بعد سبع سنوات على أن يتم تشغيلها عام 2020م بفرض توليد الطاقة بكلفة نصف مليار دولار على الأقل. وقال الوزير ايتام «إن إنشاء محطة الطاقة النووية سيكون بالنسبة لإسرائيل بمثابة صعود درجة إضافية فيما يتعلق بقدرتها على ضمان استقلاليتها في توليد الكهرباء».

ومن الخبر أعلاه لابد أن نأخذ الدروس والعبر من دولة قامت بيننا واحتلت أرضنا وتفوقت علينا في كل شيء فمتى سنحقق طموحات شعبنا ونصبح قادرين على اللحاق بركب التطور العلمي حتى نصبح دول مؤثرة في المجتمع الدولي وقادرين على أن نعيش بكرامة كباقي الدول لا أن نبقى في الخيام إما لاجئين أو مشردين أو المعذبين في الأرض

صحيفة إيلاف الإلكترونية 22-08-2005م

14 نهاية الحرب على الإرهاب وبداية حرب الأديان

لعل ما يشهده العالم من أحداث دامية متسارعة هو نتيجة مباشرة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م التي غيرت العالم , ولاسيما أن القوة العظمى قد استخدمت القوة بدون حكمة وتبعها في ذلك الكثير من دول التحالف وكأن أمريكا أجبرت على دخول الحرب دون أن تستعد لها من الناحية الإستراتيجية السيكولوجية فهل هي حرب ضد الإرهاب أم ضد العولمة أم ضد الأفكار داخل العقل البشري ؟ أم حرب الأديان ؟ .

وهنا نتساءل هل هذه الحروب تحتاج إلى قوة عسكرية لتهزم أعدائها ؟ وأين مكانها ؟ ومتى تنتهي وفي أي زمان ؟ .

ولكن هناك من يدعي القول إن أمريكا دخلت الحرب على أفغانستان والعراق بمخطط مدروس وقد تدخل في حروب أخرى إذا لم تستجب الدول لرغباتها , فهذه الدول (الولايات المتحدة) لاتدخل الحروب بدون تفكير , فالحروب عادةً تنجم عندما تفكر إحدى الدول لإثبات قدرتها وقوتها أو لإضعاف الطرف الآخر الذي يشكل تهديداً لها أو للحصول على أراضي لها طابع اقتصادي كمنابع النفط أو الثروات الطبيعية الأخرى أو منافذ بحرية أو أسباب أخرى قد تكون شخصية , وعندها تتصدى لها الدولة أو الدول المتضررة وتعارضها وتدخل في حرب معها سواء كانت متكافئة أو غير متكافئة .

هذا من الناحية السياسية التاريخية والجغرافية والاقتصادية, ولكن ماذا عن الناحية السيكولوجية في زمن بدأ الإنسان الفرد يستعيد فيه قيمته من خلال العقل وقدرته على الفعل ورد الفعل ؟. وهي قيمة تتزايد في عصر الفضاء وتقنية المعلومات . مما أعاد للسيكولوجية دورها عبر عودة القيمة الفردية . وذلك بعد أن بدأ الكلام عن نهاية السيكولوجية باعتبار المجتمع البشري مقسم إلى مجموعات تشترك في قالب سلوكي مشترك ترسمه الانثروبولوجيا.

ومعنى كلمة ((انثروبولوجيا)) الحرفي هو : تشبيه الله بالإنسان والعياذ بالله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الأية الشورى (1) . ولكن تطور معنى هذه الكلمة إلى ((علم

النفس الإنسانية)) ثم صارت تدل على عنوان علم فلسفي، لا يقتصر على البحث في النفس الإنسانية وحدها، بل يمتد إلى مسائل تتناول أحوال الجسم الإنساني، مثل: الجنس (ذكر وأنثى)، العمر، المزاج، الأخلاق، العرق، الخ . ودخل العلماء في هذه الحقبة في جدل ولن نتطرق إليه في مقال كهذا .

ولكن مايهمنا في ذلك هو العلاقة بين الحرب على الإرهاب وبين السيكولوجية والإنثروبولوجيا وبين الإنسان الذي يحمل فكره في عقله (سوياً كان أم مريضاً) يعايش البيئة المحيطة به على طريقته الخاصة. وبالرغم من وجود عوامل مشتركة بين جماعات البشر (الثقافة والتربية والدين وغيرها) فإن المعايشة تختلف من شخص لآخر , وإذا كانت معايشة الحياة قابلة لإيجاد قواسم مشتركة عبر النظم والمعايير الاجتماعية (بما يفتح الجدال عريضاً أمام احتمالات اختراقها بوسائل الإعلام وبالتالي عولمتها) فماذا عن معايشة الموت ؟

إن ثورة الاتصال وتكنولوجيا المعلومات والأحياء تقف عاجزة عن اختراق جدار الموت . وبالتالي فإنها عاجزة عجزاً مطلقاً عن عولمتها ! ؟. وهكذا فإن انتصارات العولمة تقف عند حدود المعايشة الذاتية للموت . أي الطريقة التي يتخيل فيها الفرد موته الشخصي . وانفصال روحه عن جسده وما ستؤول إليه كل منهما.

وهذه المعايشة هي الأساس في تركيبة الجهاز النفسي للإنسان المدرك لمفهوم الزمان دون غيره من المخلوقات . كما أن هذه المعايشة هي الموجهة لغرائز الإنسان الطبيعية .

ومن هنا سنقرر سلفاً فشل الحرب على الإرهاب وبداية حرب الأديان كما فشلت الشيوعية والرأسمالية وندخل فلسفة النهايات كنهاية التاريخ ونهاية العولمة ونهاية الشيوعية ونقول نهاية الحرب على الإرهاب وبداية حرب الأديان , ونؤكد إن الحرب على الإرهاب ستنتهي لتبدأ مرحلة حرب الأديان , ولكن الإرهاب لن ينتهي ونعزي هذا الفشل إلى تعارض هذه الحرب مع الغرائز الإنسانية وفي مقدمتها غريزة التدين والعبادة بغض النظر عن نوع هذا الدين (إسلامي – مسيحي – يهودي أو غيره) .

وبالتالي فإن الحرب على الإرهاب تحتاج إلى إستراتيجية حوار لا إستراتيجية حرب.ومن هنا يدخل التفاوض في مقدمة الأساليب لتكوين إستراتيجية جديدة في الحرب على الإرهاب,

والتفاوض الذي يعني إقرار جميع الأطراف بعجزها عن حل صراعها بالقوة. أو على الأقل إقرارها بفداحة الثمن الذي تتطلبه القوة لحل الصراع .

والتفاوض من السياسات التي تبناها القرآن في قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران الآية (67) .

والعولمة ممثلة في الحرب على الإرهاب تعاني من إهمالها للغرائز الإنسانية وتجاهلها لها. فهي، أي العولمة، والبراغماتية المحركة لها تستجيبان لغريزة الربح ولكنها لاتستجيب للغرائز الملحة الأخرى , وأن هذه الاستجابة للربح هي استجابة ناقصة لأنها تقف عند حدود المنفعة ولا تتعداها إلى جوانب الربح المعنوي . وهذا ما يجعل العولمة تبدو هازئة من الضمير الأخلاقي ولاتريد التفاوض مع الآخر بل وتسخر من التفكير داخل العقل ومتصادمة معه ومع تجلياته الروحية والدينية التي تختلف من شخص لآخر .

وقد يستغرب القارئ محاولتنا جذب النقاش حول الحرب على الإرهاب إلى العولمة إلى ساحة السيكولوجية والأنثروبولوجية وحصره في هذه الساحة . لكن هذا الاستغراب يزول عندما نعلم أن البراغماتية هي التي اختارت هذه الساحة .

إذ انطلقت من الإنسان وجعلته طموحها الفلسفي والمعرفي (ساخرة من الفلسفة التقليدية الباحثة في الكون والماورائيات والمجردات) ولقد اشترطت البراغماتية عبر مدرستها النفسية (المدعوة بالسلوكية) عدم التعاطي مع العقل ولا ضرورة للعبث بمحتوياته والاكتفاء بمراقبة سلوك وتصرفات صاحب العقل.

ولاننكر أن هذه الطريقة السلوكية قد تمكنت من تحقيق إنجازات هامة وتقديم حلول علاجية من الدرجة الأولى. لكن متاعب السلوكية بدأت مع تنامي قدرة أطباء الأعصاب على سبر أغوار الدماغ واختراقه , مما تسبب بإحراجات لا تحصى للمدرسة السلوكية ومعها البراغماتية. التي بدأت تضعف أمام تطورات التكنولوجيا الأحيائية .

وعندما توصلت أبحاث التصوير العصبي إلى تحديد مناطق دماغية مصابة فإنها توصلت بذلك إلى إحراج البراغماتية وتهديد منطلقاتها النظرية .

إلا أن هذه الأبحاث تجعلنا أكثر أملاً في التعرف إلى الإنسان وإلى طريقة عمل دماغه من خلال إيمانه بفكرة يريد تحقيقها وهنا نستطيع القول إن الإرهاب المتعارف عليه أمريكياً هو مجرد فكرة أو منهج وهنا يكون من الصعب محاربة الفكر والمنهج من خلال القوة المادية فقط بغض النظر عن توجه هذا الفكر .

وفي الإسلام هناك الخوارج وهناك المعتزلة وغيرها من الفرق التي لن تنتهي إلا بنهاية العالم ولذا حذر الإسلام من محدثات الأمور وفي رواية عند النسائي :[وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار] وهو حديث صحيح كما قال الشيخ الألباني .

مما تقدم يمكننا التذكير والتأكيد على مقولة :"...أن الموضوعية الحقة هي في إدراكنا للذاتية" وبالتالي فإن التعميم العشوائي الذي يتجاهل الذاتية هو تعميم لا يمت إلى الموضوعية بصلة . وهذا يستتبع التوقع بأن نتيجة الصراع محسومة لصالح العقل البشري أو الفكر بداخله ويؤكد الطب النفسي بأن كل مريض يهذي ويهلوس على طريقته الخاصة ووفق ذاتية هي كناية عن تراكم تجاربه المعيشة مع البيئية المحيطة به . وهو تراكم مخزون في دماغه . وهكذا يكون من الطبيعي أن نتوقع هزيمة البراغماتية وتراجعها. ولكن أيضاً احتفاظها بإغراءاتها وجاذبيتها.

لهذه الأسباب مجتمعة نجد الاختصاص ينظر ببرودة شديدة إلى عموميات من نوع : نهاية التاريخ والأيديولوجيا والأنثربولوجيا وصدام الحضارات... ألخ.

أنه الإنسان الذي يرتبط كماله بملكيته لكافة هذه المكونات المخزونة داخل العقل البشري ومايملك من أفكار وثقافات .

ومع ذلك فان السياسة لم تتوقف يوما" عن محاولات تسخير كافة العلوم لمصلحتها ومنها العلوم الإنسانية. وإذا كنا في مجال الحديث عن الحرب الأمريكية على الإرهاب ، المنطلقة من مبدأ حماية المصالح الأميركية من الإرهاب ، فلا بد لنا من مراجعة محاولات توظيف السيكولوجية في مجالات حل الصراع ومكافحة العنف والإرهاب . وهي ميادين تبدو للوهلة

الأولى متباعدة لكنها واقعا" مترابطة متلاصقة بفضل توظيفاتها السياسية وانحيازها لمصلحة الأطراف الأكثر تقدما" في مجال السيكولوجية.

ما يسمى بدبلوماسية الأبواب الخلفية. فحين تغلق الأبواب الأمامية (التفاوض السياسي) تفتح الأبواب الخلفية عبر لقاءات المثقفين والأكاديميين. . وهنا نستشهد بقصة مروية على لسان القديس أوغسطين تلخص نسبية الإرهاب وقدرة القوي على استصدار البراءة لإرهابه . وهي قصة محاكمة الاسكندر للقرصان ودفاع هذا الأخير عن نفسه بقوله للاسكندر: " أنا أسرق سفينة فأدعى قرصانا" وأنت تسرق العالم فتدعى أمبراطوراً ".

وعليه فان هنالك ضرورة لايجاد معايير موضوعية لتشخيص حالات الإرهاب بل وتعريفه . وأولى شروط هذه المعايير هو أن تكون عالمية, بمعنى قابليتها للتطبيق على الجميع, بهذا نكون قد وصلنا إلى ضرورة المناقشة العلمية الهادئة لمفهوم الإرهاب. وهي مناقشة تستبعد محاولات توظيف التفوق التكنولوجي العسكري والسيكولوجي للدول القوية ومن يمثلها من باحثين وعلماء.

فاذا ما أخذنا تلك الجزئية المسماة إرهابا فإننا نجد أن الطرف المعتدي يعتبرها وسيلة للحصول على ما يعتبره حقاً من حقوقه , في حين يعتبرها الطرف المتضرر إرهابا غير مبرر, وهذه سنة الصراع الإنساني منذ بدء الخليقة وحتى اليوم وأول عملية إرهابية في التاريخ هي قتل قابيل لأخيه هابيل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كأول حادثة إرهابية في التاريخ .

إلا أن الحضارة الإنسانية المعاصرة تمكنت من تقنين مسألة استخدام القوة عن طريق وضع القوانين الضابطة لهذا الاستخدام من خلال الأمم المتحدة وغيرها (تحييد المدنيين والحد من الضحايا البشرية، ومنع قصف المؤسسات الإنسانية والمحايدة وتوابعها، تحريم الإبادة ، بالإضافة إلى القوانين التي تحاكم مجرمي الحروب...الخ) .

ويمكن القول بأن هذه الضوابط توصلت للحد من الاستخدامات المباشرة للقوة إلى حد ما. إلا أنها دفعت بالأقوياء لإبتكار وسائل جديدة لممارسة قوتهم بالطرق غير المباشرة وعن طريق الحروب المختلفة وغيرها من طرق استخدام القوة بالواسطة . حتى أمكن القول بأن كل هذه الصراعات هي إرهاب يقف وراءه الأقوياء عن طريق مرتزقة يخدمون مصالح هؤلاء الأقوياء.

وهي تهمة أميركية نالت الدول الإسلامية منها نصيب الأسد , والتي كانت المقدمة لاتهام الإسلام بالإرهاب وبداية حرب الأديان .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 23-08-2005م

15 خادم الحرمين والمركز الدولي لمكافحة الإرهاب

لقد كان للمقترح الذي تقدم به خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بإنشاء مركز دولي لمكافحة الإرهاب أكبر الدلالة على اهتمام جلالته يحفظه الله بموضوع الإرهاب وبالتالي اهتمام جلالته بمسببات الإرهاب وإيجاد الحلول العملية وتظافر الجهود الدولية لمحاربة الإرهاب ومعالجة أسبابه .

وسوف يعتبر المركز منظمة عالمية للتدريب وتبادل المعلومات والخبرات والتكنولوجيا والتطور الذي حصل في إطار مكافحة الإرهاب ودراسة أسبابة ومحي أثاره المدمرة على شعوب العالم أجمع , وكان من أهم الأهداف التي نادى بها جلالته للفصل بين الإرهاب والأديان من خلال الحوار بين الشعوب على اختلاف أديانها ومللها ونحلها حتى لاتتأصل فكرة ربط الإرهاب بالإسلام .

إن جرائم الإرهاب قد انتشرت في جميع قارات العالم وأقاليمه ومدنه , وامتدت هذه الظاهرة لتشمل شتي البلدان , غنية وفقيرة, متقدمة ونامية, مؤكدا حقيقة أن الإرهاب لا يقتصر علي وطن بعينه أو ينتسب إلى أمة بعينها. ولاشك أن هذا المركز سوف يقوم بتقديم تقارير ودراسات ورصد لمختلف العمليات الإرهابية المتنوعة من المنطلقات الأيديولوجية والدوافع السياسية للجماعات الإرهابية, فهي قومية انفصالية ويسارية ويمينية شرقية وغربية شمالية وجنوبية ومعادية للشيوعية ومعادية للرأسمالية ومعادية للإسلام ومعادية للصهيونية.

كما أن الإرهاب تقوم به جماعات تزعم الدفاع عن العقيدة أو تزايد باسم الدين أو يحركها عدم احترام حرية الاعتقاد, ولا يقتصر الإرهاب علي دين بعينه.

ومن منطلق الدفاع عن الإسلام أطلق خادم الحرمين دعوته لقيام هذا المركز حينما شعر يحفظه الله أن الدين الإسلامي يتعرض لأبشع عملية تشويهٍ في التاريخ في السنوات الأخيرة من خلال ربطه بالجماعات الإسلامية التي تقوم بالإرهاب باسم الدين.

إن هذا التشويه يستدعي تظافر جهود جميع المسلمين للدفاع عن دينهم لأن هناك من يريد أن يختزل أكثر من مليار مسلم في تنظيم أو جماعة واحدة تقوم بعمليات إرهابية . وهنا نود أن نتساءل أليس العنف موجودا في كل الأديان كما هو في كل البلدان ؟

ولكي نفهم ظاهرة الإرهاب يجب أولا أن نفهم الطريقة التي يفكر بها الإرهابيون، وكيف يبني الفرد جهازه الفكري المسئول عن سلوكه وتصرفاته.

فالإنسان سلوكيا وفكريا هو نتاج فكري تربوي والتربية هي العملية التي تتبلور من خلالها أفكاره وتكتمل جوانب شخصيته، فالإنسان يولد على الفطرة والتربية والتعليم هي التي تقوم بتعديل سلوكه والتربية عملية معقدة وكلما ازدادت المجتمعات الإنسانية تعقيدا تزداد هذه العمليات تعقيدا، وهنا نود أن نتعرف على الأسباب التي تجعل شاب يفجر نفسه ويعرضها للهلاك ومن أجل ماذا ؟

كيف ولماذا يفجّر نفسه في طائرة أو قطار الأنفاق أوحافلة مليئة بالركاب. وماهو المنهل الذي إرتوى منه هذا الإرهابي وتشرب أفكاره حتى ارتوى، فهو لم يولد إرهابيا ولم يصبح إرهابيا بين ليلة وضحاها، فالطريقة التربوية التي نشأ عليها وترعرع هي التي ساهمت في حياكة نسيجه الفكري فلهذا ينبغي بمراجعة جميع وسائل التعليم أي نبدأ بالمدرسة ثم المسجد ثم المنزل ثم الجماعات التي ينتمي إليها . هذه القراءات للتعاليم هي التي شوّهت عقل هذا الإرهابي وقتلت إنسانيته واللغة المستخدمة لإيصال هذه التعاليم هي لغة سلبية لأن اللغة هي من أهم الوسائل التربوية.

ولهذا سعت المملكة منذ فترة طويلة إلى تعديل المناهج وتطويرها لما ينفع المواطن في علمه وفي تركيبه وفي الدوافع الإنسانية التي تريد أن تغذيها في جيلها الصالح حتى نبدأ مرحلة جديدة من بناء الوطن على أساس الأخوة والتعاون والحوار والانفتاح على الآخر .

إن اللغة هي الوسيلة التربوية الأهم، فينبغي أن تكون لغة إيجابية وليس لغة سلبية والإنسان ناتج لغوي إذا غلبت اللغة السلبية خرج إلى الحياة إرهابيا خاويا فاشلا وإذا غلبت اللغة الإيجابية خرج إلى الحياة مسالما منتجا عاقلا.

وينبغي للعالم أن يعرف الفرق بين الإرهاب وبين الكفاح المسلح المشروع للشعوب لانتزاع حقها في تقرير المصير وإنهاء الاحتلال وأن لايتم الخلط بين كلا المفهومين . ولا يعني ما نقول أن هذا الخلط هو السبب الوحيد أو الرئيسي, الذي يفسر المواقف الغربية المتحيزة لإسرائيل وغير المنصفة لحقوق الشعب الفلسطيني. لكن هذه الخطيئة تمثل بالقطع أهم العوامل .

وقد نذكر بأن هذا الموقف قد تلخص في المطالبة بإنهاء الاحتلال "الإسرائيلي" ووضع حد لما عاناه الشعبان من عنف وإرهاب بسببه, والتأييد الصريح لقيام دولة فلسطين جنبا إلى جنب مع دولة "إسرائيل", مع ضمانات أمن وحدود معترف بها للطرفين.

يعرف الإرهاب بأنه العنف المتعمد ذي الدوافع السياسية, والذي يرتكب ضد المدنيون , وعادة بنية التأثير علي الجمهور. , إلى جانب العسكريين غير المسلحين أو في غير مهامهم وقت تعرضهم للحادثة الإرهابية أو حين لا توجد حالة حرب أو عداء.

وهناك حقيقة ينبغي أن لانتجاهلها وهي أن استمرار الاحتلال هو العامل الأهم في توليد المقاومة , وجميع وسائل الإعلام الغربي لاتعتبر أن "إسرائيل" دولة راعية للإرهاب الذي تمارسه عصابات مستعمريها, ومسئولة عن جرائم الحرب التي ترتكبها قياداتها العسكرية. ولان, أن هناك نظرة عادلة إلى ماتمارسه إسرائيل من إرهاب الدولة عبر عمليات الاغتيال التي تأمر بها, فضلا عن ارتكابها شتي جرائم العنصرية والاغتيال والإبادة والحصار والتجويع والإذلال وتدمير المنازل واقتلاع الزرع.. الخ, التي تمثل بدورها السبب الأهم لعمليات المقاومة الفلسطينية.

إن الجمعية العامة للأمم المتحدة تحث جميع الدول علي الإسهام في القضاء تدريجيا علي الأسباب الكامنة وراء الإرهاب الدولي, وفي مقدمتها الاستعمار والعنصرية والاحتلال الأجنبي. وأدانت أعمال القمع والإرهاب, التي تقوم بها النظم الاستعمارية والعنصرية لتسلب الشعوب حقها المشروع في تقرير المصير والاستقلال, وأكدت على عدم قبول سياسة إرهاب الدولة. كما سلمت بأن زيادة فاعلية الكفاح ضد الإرهاب تستوجب وضع تعريف للإرهاب الدولي متفق عليه, ودعت لاستطلاع آراء الدول الأعضاء بشأن عقد مؤتمر دولي تحت إشراف الأمم المتحدة لمعالجته والتمييز بينه وبين نضال الشعوب في سبيل التحرر الوطني.

وهناك منطق معقول فيما يتعلق بأسباب الإرهاب رغم أنها تتميز بالتعقيد واتساع النطاق وتعالج علي المدى البعيد وربما من الصعب تصفيتها نهائيا, وهو أن أعمال الإرهاب التي تودي بحياة الأبرياء لا يمكن أن تنتظر مكافحتها لحين القضاء علي أسبابها; حيث تقوم الدول بردع الجرائم دون انتظار معالجة أسباب ارتكابها .

ووفقا لمبادئ القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة يتوجب علي جميع الدول أن تمتنع عن تنظيم أعمال الإرهاب أو التحريض عليها أو التغاضي عن أنشطة تنظم داخل أراضيها بغرض ارتكابها, وأن تعمل علي اعتقال ومحاكمة أو تسليم مرتكبيها وأن تتبادل المعلومات بشأن منع ومكافحة الإرهاب. وفي ضوء هذا نفهم إجماع الدول العربية والإسلامية علي إدانة الإرهاب بجميع صوره وأشكاله وتعاونها مع أمريكا في الحرب ضد الإرهاب.

وباختصار, نقول إنه يستحيل اقتلاع جذور الإرهاب ويستحيل تجفيف منابعه, بينما تتجاهل القوى العظمي واجبها- السياسي والقانوني والأخلاقي والحضاري- في إنهاء القهر واليأس . وبعبارة أخرى سوف يكون الفشل هو المصير المحتوم للحرب ضد الإرهاب ما لم ترتبط بدور القوى العظمى الفاعل في إقرار ومناصرة الحقوق المشروعة للشعوب أو الأقليات المقهورة, التي تعاني من جرائم الاحتلال والعدوان والحرب والإبادة الجماعية والتمييز العنصري وإرهاب الدولة والإفقار واليأس, كما هو حال الشعب الفلسطيني في عهد حكومة شارون وحال الشعب الفلسطيني في المخيمات وفي الشتات .

لقد مر الصراع العربي الإسرائيلي و منذ استعمار فلسطين تحت مظلات سياسية مختلفة ويظهر أن اخطر سلاح بالنسبة لليهود هو عدم الأمان , من خلال العمليات التي تقوم بها المقاومة لأنها تحتوي على عنصر المباغتة التي تزرع مواقعهم بعدم الأمان مما يضطرهم إلى مغادرة الأرض الغير آمنة , وهو سبب الهجرة المعاكسة وسبب الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة .

لقد انتظر اللاجئين طويلاً حتى أصبحت فلسطين معظم سكانها من اليهود وهم يقبعون تحت حماية جيش اسرئيلي يمتلك أكبر ترسانة للأسلحة في المنطقة أو يقبعون في مخيمات

لدى الدول العربية التي لم تعطهم حقوقهم المدنية رغم الدعوات المتكررة ومن أكثر من جهة دولية .

واضح وبديهي ومنطقي أن التبرير العنصري بكل أشكاله هو خطأ لابد أن يؤدي بالشعوب التي آمنت بالعنصرية إلى نتائج أعمالها الإجرامية,وإذا زاد الباطل والسلب عن حده انقلب إلى ضده .

مسالَمة الشعوب هي دليل حضارتها, وجميع الأديان السماوية والقوانين الوضعية وحقوق الإنسان تدعوا البشرية إلى التعايش السلمي والانسجام.

إن مكافحة الإرهاب تكون بمعالجة أسبابه لا بالضربات العسكرية الإستباقية ومن أسبابه أيضاً النهج المتعجرف واللامبالي بهموم الفقراء فيولد الإرهاب من خلال هذه الحروب التي لاتقضي عليه بل ترفع وتيرته لأنها تولد المقاومة المسلحة ومن ثم تدعى إرهاباً .

ولماذا تقوم دول الثمان بين الحين والآخر بعمل المؤتمرات الاقتصادية الدولية لبحث العلاقة بين دول الشمال الغني ودول الجنوب الفقير ولرفع انعكاسات سياسة العولمة السلبية عن كاهل الدول الفقيرة، والتي بسبب مشاعر الغبن والقهر لديها يتولد العنف والإرهاب , وخصوصاً من مواقف الدول السلبية تجاه قضايا الأجانب واللجوء والهجرة وتواجد المخيمات والظلم الواقع على سكانها .

إن ماحصل من هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م يدل على فشل جميع الأجهزة الإستخباراتية وكان بسبب السياسات التي تتبعها تجاه الشعوب لذا يتوجب على القوى العظمى إجهاض الأسباب المؤدية للإرهاب بالتعاون مع المجتمع الدولي ، وهذا يعني أنه لابد من العمل على إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد مبني على أسس أكثر عدلا .

وهناك اعتقاد يقول بقدر ما تبقى حكومات العالم الأخير رهينة للدول المتطورة بقدر ما يتنامى الغضب واليأس وبالتالي الكراهية لدى الشعوب، ومن هذه الكراهية ينبع وينمو التطرف والإرهاب , ولهذا يخطئ من يعتقد بأن باستطاعته إزالة الإرهاب عن طريق الحروب أو بالقوة المسلحة .

ولن نبريء ساحة الولايات المتحدة بالمسؤولية عن أحداث الإرهاب التي وقعت في 11 سبتمبر 2001م وماحدث من عمليات إرهابية بعدها وحتى هذه اللحظة . ولكن ليست الولايات المتحدة الأميركية وحدها، بل أيضا الدول الغنية في الشمال والغرب.

لقد تخلت الدول الغنية عن مسؤولياتها تجاه دول العالم الأخير كانت هناك تحذيرات متكررة حول مخاطر هذا التخلي وهذا الابتعاد عن مشاكل الدول الفقيرة .

وعلى الرغم من قيام المؤتمرات والندوات والمحاضرات العديدة حول موضوع سبل إزالة أو تقليل حجم ديون دول العالم الأخير لكن كل هذه المحاولات فشلت، وأصرت الولايات المتحدة الأميركية ودول الشمال والغرب الغنية على موقفها الصدامي لدول العالم الأخير ومن الطبيعي أن يؤدي هذا النهج المتعجرف واللامبالي بمتاعب الفقراء وآلامهم إلى تنامي العنف والغضب واليأس وبالتالي الإرهاب.

وهنا نؤكد على أن غياب المفكرين والمبدعين ورجال الدين المخلصين هو الذي دفع باتجاه تنامي موجة الإرهاب التي نشهدها تضرب في كل مكان .

إن مكافحة الإرهاب في العالم عملية طويلة جدا ومعقدة وتحتاج إلى تظافر جميع الجهود الدولية وتكون عبر مكافحة الأسباب التي أدت إلى الإرهاب، كما لابد من التعاون الدولي الصادق لمكافحة الإرهاب حتى تكون الخطط أكثر فعالية .

أن الحروب والأعمال العسكرية بحجة ملاحقة الإرهاب تدمر الناس الأبرياء وتضرهم أكثر ما تدمر رموز الأنظمة السياسية ولذا نجد أن الخسائر الكبرى تقع على الشعوب وماتزال بعض رموز الأنظمة السياسية حبيسة السجون .

والمؤسف أن الأعمال العسكرية نادرا ما تواكبها خطوات إنسانية لمعالجة آثار الحرب وبعض وسائل الإعلام مع الأسف، لا تنقل أخبار الأبرياء الذين ماتوا أو يموتون، وهناك الملايين من النازحين والهاربين واللاجئين ، هذا ما يحصل تحديدا في أفغانستان، وفي العراق وفي فلسطين ومن هذا المنطلق ندين العمل العسكري بكل أشكاله لأنه لن يشكل حلا لمكافحة الإرهاب وإن كان يحد منه بصورة مؤقته فالمبالغ التي تنفق على مقاومة الإرهاب تستطيع أن تحل مشاكل الدول الفقيرة ومشاكل اللاجئين في كل مكان وخصوصاً مخيمات الشتات الفلسطينية .

ومما علمنا التاريخ أن تواجد القوات الأجنبية في أي مكان سيؤدي إلى عدم الاستقرار ومن ثم تتولد المقاومة بكل أشكالها سواء المسلحة أو العصيان المدني أو الطرق السلمية الأخرى ، ها هو الوضع في أفغانستان والعراق وفلسطين غير مستقر .

وعليه يمكن الاعتقاد بأن ما يمكن عمله وبسرعة، هو الانسحاب من أفغانستان والعراق وفلسطين ثم القيام بالدعوة الصادقة إلى مؤتمر اقتصادي دولي بعنوان "العلاقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ".

كما ينبغي على الأمم المتحدة القيام بعمل كاف لتخفيف وتيرة الحديث عن "الشعور القومي"، ابتداء من رجال السياسة إلى وسائل الإعلام ومن ثم سن قوانين تجريم من يقوم بهذا العمل حتى نبث روح السلام بين جميع شعوب الأرض.

إن قوات الاحتلال مسئولة عن تدهور الأوضاع في المنطقة العربية كما لا نستثني الدول المجاورة التي لاتزال تؤمن بالضغط على اللاجئين في المخيمات وعدم منحهم حقوقهم المدنية بحجة التمسك بحق العودة ولن تجلب لها هذه السياسات إلا المحافظة على تأجيج الصراع .

إن عملية تهجير الناس من أماكن سكنهم وترحيلهم عن أرضهم، هي عمل غير عادل وغير مشروع والعيش في المخيمات يدفع إلى نهج العنف إن عاجلاً أم آجلاً. لقد بدا واضحا أن إسرائيل، وبعد الحروب العربية الإسرائيلية، لم تساعد على دمج الناس في المجتمع بل تحولت في المناطق التي احتلتها إلى قوة احتلال. هذه السياسة الاسرائيلية التي عزلت وطوقت الناس في المخيمات، هي التي ساعدت على تفجير العنف وظهرت الانتفاضات المتعاقبة كما لن نستبعد العنف القادم من المخيمات في الدول العربية المجاورة ونشوء ظاهرة إرهابية أو انتفاضات شعبية ولاسيما أن سكان المخيمات في تزايد مستمر في بقع تكاد تكون محدودة .

إن ظاهرة الإرهاب تعتبر احد أهم التحديات العالمية التي تجاوزت حدود الدول وقومياتها وثقافاتها وما تشكله من تهديد للمجتمعات الإنسانية . ولابد من معالجة هذه الظاهرة من جميع جوانبها وبكافة أشكالها وجذورها والدوافع المؤدية إليها وما يتطلبه ذلك من توحيد الجهود الدولية وتكثيفها لمكافحة هذه الظاهرة والقضاء عليها من خلال دور الأمم المتحدة

والمركز الدولي لمكافحة الإرهاب الذي طالب خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بإنشائه ونتمنى أن نراه واقع قد تحقق قريباً .

مصطفى الغريب – شيكاغو

16 تعددت الأسباب والإرهاب واحد

تناول موضوع الإرهاب الكثير من المفكرين حول العالم لأنه ألقى بظلاله على الساحة الدولية كأمر واقع فُرض على البشر كما هو الموت الذي نقاومه ولكن أخيراً نستسلم له مؤمنين بالقضاء والقدر وهذا لايعني أن نستسلم للإرهاب بل ينبغي مقاومته أو محاربته بكل أشكاله وأبعاده ولكن سيبقى الخلط بين مفهوم الإرهاب وتعريفه وفي النهاية هو الطريق إلى الموت .

ونريد أن نجتهد فنقول تعددت الأسباب والإرهاب واحد كما يقول الشاعر العربي من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد وهنا سنقوم بتفسير الإرهاب على أنه الموت ومن من البشر لايخشى الموت ويهابه رغم إنه أمر واقع لامفر منه .

فالأسباب التي ذكرت في هذا المجال أكثر من أن تعد وتحصى ولكن نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أسباب اقتصادية , أسباب استعمارية , مخرجات مناهج التربية والتعليم , البطالة , الخطاب الديني المحرض على العنف , أسباب اجتماعية وأخلاقية ونفسية , التعصب القبلي والديني والتعصب للجنس أو اللون أو المعتقد وإنكب العلماء والفقهاء والمحللين على دراسة هذه الظاهرة من أكثر من جانب علهم يجدون سبيلاً للخروج من هذه الأزمة الطاحنة التي ستؤدي نتائجها إلى الجهل والفقر والمرض بل الحروب والفتن وسقوط الحضارات .

لقد شهد العالم طيلة القرن الماضي ، بروز تيارات استعمارية واستيطانية وبروز تيارات دينية نشيطة ذات أهداف اقتصادية و سياسية , مما أدى إلى اتساع الهوة الثقافية والاجتماعية و الاقتصادية بين طبقات المجتمع البشري وتفاقم الأزمات الاقتصادية بالإضافة إلى غياب منظور واضح في الأفق للخروج من تلك الأزمات، الشيء الذي أدى إلى تفاقم الأزمات السياسية مما دفع، بشكل حتمي، إلى ظهور التطرف و الإرهاب .

إن ما يفعله أصحاب بعض التوجهات السياسية المنطلقة من الأيديولوجية من محاولة تبرير الأعمال الإرهابية والخلط بين الإرهاب والمقاومة هو الأخطر فمن يحمل السلاح سهل مواجهته بالسلاح , أما من يعطي التبرير الديني الأيديولوجي للإرهاب ويتحدث باسم الأديان

والعقائد وهم كثر وهم الذين يجب مواجهتهم بشجاعة ودون هوادة وبسلاح فكري مبني على إستراتيجية عالمية علمية وعملية جديدة لأنهم تخطوا كل الخطوط الحمراء التي يجب أن يتوقفوا قبلها .

إن الشراسة التي ميزت الهجمة الغربية منذ وقوع أحداث 11 سبتمبر 2001م ، كانت كرد فعل لها مايبررها لردع المعتدي عليها , ولكن التحفظات التي تؤخذ عليها أنها لاتملك حق اختيار العدو وفق اتجاهات مصالحها, بل عليها أولا" أن تحدد هذا العدو بدقة فائقة قبل أن تحاكمه وتنتقم منه , ولم تكن هذه هي الهجمة الأولى من نوعها و لن تكون الأخيرة لكلا الطرفين صاحب الفعل ورد الفعل .

ستستمر الحرب ضد الإرهاب فالعملية تبدأ بإرهاب ثم تنتهي بالحرب على الإرهاب ثم تتولد الطاقة الإرهابية ذاتياً ، تحت مختلف الأشكال وفي مختلف بقاع العالم , وسوف يصاحب هذا، انحطاط إيديولوجي و تراجع للقيم الإنسانية , و ليس الستار الذي يتم إخفاء هذه الاعتداءات تحته والتفسيرات التي تعطى لتبريرها، مضللة و حسب، بل خاطئة كليا و خدّاعة .

إن تضخم أعداد اللاجئين وكذلك المهاجرين من الدول الفقيرة وغير الديمقراطية إلى الدول الغنية كما هو الحال في الهجرة من القرى نحو المدن ، أدى إلى زيادة الأزمة سوءا , فانعدام الأمن وانتشار البؤس ومرارة الحياة داخل المخيمات والأحياء الفقيرة يزيد من تسعير مشاعر الإحباط و اليأس..إن وضعية الحرمان التي يعيشها الشباب المنحدر من الطبقات الفقيرة و كذلك المقارنة التي يجرونها بين أوضاعهم المأساوية وبين أوضاع شباب الطبقات الغنية تزيد من تفاقم الفساد الأخلاقي و ارتفاع وتيرة الإجرام حتى في البلدان المستقرة نسبياً ولكن فيها تفرقة عنصرية ضد الأجانب والمهاجرين وأنظمة تحول دون تساوي جميع الفئات ولو بعد زمن .

إن الجماعات والأحزاب المتطرفة سواء كانت شرقية أو غربية ستورط الشباب في تلك الجرائم بفضل الحماية التي توفرها لهم , وبسبب غياب أي مخرج لهم من بؤسهم و بسبب شعورهم

بالذنب أمام الجرائم التي يرتكبونها , يفضل العديد منهم الغرق في معتقدات أيديولوجية للهروب والنسيان أو الهجرة إلى المناطق المشتعلة لتحقيق هذه المعتقدات .

إن ما يستقطب الفئات من الشباب المنحدر من الطبقات الفقيرة من الشباب والناس البسطاء إلى هذه الجماعات والأحزاب المتطرفة ، هو كرههم الشديد للفساد المستفحل داخل أوساط الطبقات الليبرالية والبرجوازية التقليديين والتكبر والغرور الذي يميزهم والممارسات المستفزة التي يقومون بها. بينما يعمل الساسة والدينيون على الدعوة بشكل انتهازي إلى العدالة الاجتماعية و القضاء على الفساد وإلى ثقافة الطهر والورع .

إن أولياء أمور هؤلاء الملايين من الأطفال ، الذين يمارس في حقهم الاغتيال الإيديولوجي، داخل المدارس المختلفة التوجهات ، في مختلف دول العالم الفقيرة ، لا يمتلكون القدرة على تربية أبنائهم ومن ثم فإن أطفالهم ليس أمامهم إلا إحتمالين : إما العمل قبل استكمال مراحل التعليم أو أن يدفع بهم إلى الانضمام إلى الميليشيات أو الفصائل المسلحة حيث تمكنهم ، على الأقل من المأوى وقليل من الطعام رغم ماتمارسه بحقهم هذه الميليشيات أو الفصائل من الشحن الأيديولوجي المتطرف .

أما في المناهج التعليمية لبعض الدول ، و من خلال تدريسهم التاريخ والجغرافيا والدين فإنه يتم إغراق عقولهم في ظلمات الحروب والغزوات ومعاني العنف وثقافة الموت وقيم العصور البائدة ، لينتهي الأمر بتلك العقول الغارقة في أحلام الماضي، إلى القيام بكل ما شهدناه خلال القرن الماضي ، من تلك الحركات الأيديولوجية لمختلف الأديان (إسلامية – يهودية – مسيحية) ، و التي دمرت بتصرفاتها جيلا كاملا من الشباب , إن الإرهاب و الهمجية و الدموية النابعة من هذه التيارات المتعصبة هي نتاج لمجتمع راكد كالدم الفاسد لايريد أن ينفتح على ثقافات العالم بل يدعوا إلى الانغلاق .

إن الدعم المالي و الاجتماعي لتلك الحركات الأيديولوجية المتشددة في الديانات الثلاث (إسلامية – يهودية – مسيحية) ، ألا و هو العولمة و الهيمنة الاحتكارية للدول الصناعية والدول الغنية ، التي صارت تهدد مصالح رجال الصناعة المحليين و المهنيين و رجال الأعمال و بارونات المخدرات.

إن ماتلعبه وسائل الإعلام من خلال أشرطة الفيديو وبث أخبار الإرهاب في جميع المحطات الفضائية بلا إستثناء ،والتي تجوب الفضاء وعبر الفضائيات إلى مجتمعات العالم كافة نجد أن زعماء الديانات الثلاث من الأصوليين المتعصبين يؤكدون على أن الثروات هي ملكية عامة لكل أمة على حده ويطالبون بأن يتم خصخصة القطاعات العامة والثروات ويقدم لعامة الشعب مما يدغدغ مشاعر الطبقات الفقيرة .

الواقع هو أن الأساس الاقتصادي و المالي لجميع الدول يظل دائما رأسماليا في الجوهر. و من ثم فإن الاختلاف بين الحضارة الغربية و الحضارة الشرقية من الناحية الاقتصادية والمالية مجرد اختلاف شكلي و ثانوي , أما الاختلافات الكبيرة بين هذه المجتمعات في الجوانب الاجتماعية و الثقافية و التقاليد، راجعة في الغالب إلى اختلاف مستويات و مراحل التطور التاريخي التي تمر بها تلك المجتمعات.

إن أصحاب هذه الأيديولوجيات وعملائهم مجبرون على الإذعان لهذا النظام الرأسمالي العالمي متمثلاً في العولمة وتحرير التجارة العالمية والقبول به بهذا الشكل أو ذاك، لان النظام الاقتصادي المعتدل والذي لم يستطع علماء الأمم الاقتصاديين من تطويره أو تطبيقة حتى يتم تطويره أولاً بأول ليس نظاما قادرا على منافسة النظام الرأسمالي الحالي .

وهذا ما يجعل كل الاختلافات الظاهرة بينهم و الجدالات التي تقوم بينهم ، كما هو شان صداقاتهم و العداوات التي تحدث بينهم ، مجرد أمور شكلية و مخادعة , لهذا نجد الأصوليون يغيرون بشكل مستمر ولاءاتهم وعلاقاتهم مع تغير مصالحهم و أولوياتهم , ولهذا السبب تجدهم أصدقاء أحيانا و خصوما أحيانا أخرى عملاً بالحكمة القائلة لن تجد هناك صداقات دائمة ولاعداوات دائمة ولكن مصالح دائمة .

وهؤلاء الأصوليون المتشددون في الديانات الثلاث (الإسلامية - اليهودية - المسيحية) يرجعون أسباب فشل امهم بسبب الابتعاد عن الدين كما يرونه هم وليس كما يراه الوسطيون وهذا حال الخطاب الديني المتشدد في الديانات الثلاث ولقد أعلن الأصوليون المسيحيون في الدول الغربية أن أحداث 11 سبتمبر 2001م هي عذاب من الله بسبب

الاختلاط المتزايد الذي تعرفه الدول الغنية و بسبب انهيار القيم الأخلاقية و انتشار الفساد الاجتماعي إلى أقصى الحدود.

نفس الشيء نجده بين الأصوليين الدينيين اليهود، الذين يرفضون القبول بإسرائيل نموذجا حقيقيا لأحلامهم. فهم معتنقون للرغبة المتطرفة في مد يد الهيمنة الصهيونية على كل العالم. و يعتبرون قتل الفلسطينيين والأغيار بشكل عام بأنه قتل للكفار. تحت هذا الغطاء الأصولي، يقوم حكام إسرائيل بممارسة ابشع أشكال القمع و الهمجية. و من ثم يبررون أعمالهم الهمجية بواسطة الدين.

النتيجة هي سيادة التعصب الديني و الإرهاب و الهمجية و الحقد المتبادل. لتبقى الدماء البريئة تسيل بدون توقف وهذا مادعانا في أكثر من مقال إلى القول إن الحرب على الإرهاب ستنتهي بحرب الأديان .

فعندما تعجز السياسة عن تطوير المجتمعات ، يلجئون إلى التشدد في الدين لاستعمال الشرائح الاجتماعية المختلفة بهدف قيام نزاعات تحت مسمى الحرب على الإرهاب . وظهر قبل ذلك شعارات قومية من خلال الخطب المعادية للإمبريالية التي أفادتها كثيراً في حقبة القوميات التي صفق لها كثير من الشعوب الفقيرة المستضعفة .

وحتى بعض الدول الإسلامية استعملت ولازالت تستعمل نفس الشعار (معاداة الإمبريالية) وتمكن حتى من تشكيل حكومات في أكثر من بلد إسلامي ودعنا نضرب مثلاً متجددا وهو عندما يقوم نظام ما في بلد ما بمعاداة الدول الغربية مثلاً لسبب ما نجد في اليوم التالي المظاهرات والخطاب الديني يلتزم بشعار (معاداة الإمبريالية) .

وهو ماحصل أثناء الجهاد في أفغانستان عندما أوقفت الدول الغنية مساعداتها بعد انسحاب القوات الروسية وبعد أن استعملتهم الدول الغنية لتحقيق بعض من أهدافها ضد الشيوعية شعر الملالي و بعض قطاعات الجيش بالخيانة من قبل الدول الغنية لهم بسبب وقفها للمساعدة و حرمانها لهؤلاء الحلفاء الدينين والعسكريين من الثروات التي عملت الدول الغنية على إغراقهم فيها طيلة سنوات الجهاد وبالتالي انقلب السحر على الساحر وأصبح شعار (معاداة الإمبريالية) هو السائد في تلك المنطقة .

هذه هي الطريقة التي تفكر بها الفئات الفقيرة من ضباط الجيش في أي بلد ، الذين لا يستفيدون ماديا من الغنيمة بالدرجة التي يستفيد بها القادة الكبار في الجيش و البيروقراطيون . و هذا ما يزيد في إحباطهم و غضبهم . وهو مايشكل صراعاً داخلياً في صفوف الجيش بين الضباط اللبراليين و الضباط المحافظين ، سببه الحقيقي هو الصراع على الأرباح و المصالح المادية اكثر من كونه صراعا ذا أصول إيديولوجية وكثيراً ما نسمع عن مصطلح أمراء الحرب .

إن أهم أسباب أفول الحضارات والإمبراطوريات والدول والحكومات بشكل عام ، كان هو علو أصوات أصولية متطرفة تبث الفتن لتشن الحروب وتتهافت على الثروات والسلطة وتفقد العدل الإنساني والإجتماعي وتفرق بين المواطنين واللاجئين والأجانب فيفقد العدل الذي هو أساس الملك , وتصعد التطرف بين الطبقات في المجتمع وتستأثر لنفسها بطبقة النبلاء والموالين والمنافقين .

إن هذا الانحطاط لم يؤدي فقط إلى انهيار حضارة بأسرها، بل كذلك إلى تقييد العقول بأغلال أيديولوجية ، و سيادة الأفكار المتزمتة وإلى إغراق المجتمعات في مستنقعات آسنة بحجة الدعوات الى القوميات وبني الجنس الواحد وتوطين المهن بين أبناء هذا الجنس وإختلاف النظم في التعامل مع كل طبقة من الطبقات التي تشكل المجتمع فيزول العدل وينتشر الظلم ويزداد الحقد وينشر الرعب والتعصب الأعمى والإرهاب .

صحيفة الصباح الإلكترونية 27-08-2005م

17 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة الأولى)

تعتبر منطقة سيناء ذات بعد إستراتيجي لأنها حلقة إتصال بين مصر وبين السعودية والأردن وفلسطين وإسرائيل ولو تم إكتشاف المياه الكافية والثروات الطبيعية التي تزخر بها المنطقة لقامت بعض الجهات لتغذي بعض القوى للمناداة بالإنفصال ولوكان أهلها من غير البدو الرحل لوجدوا من يقف معهم ويدعمهم لإحداث شرخ داخلي لتنفيذ المخططات الرامية الى تقسيم العالم العربي وفقاً للنظرية القائلة تجزأة المجزأ وتفتيت المفتت أو ماسمي قبل ذلك بنظرية فرق تسد .

لقد خبت أصوات المنادين بالوحدة العربية وأستبدلت بأصوات الحركات الإصلاحية وكأن المنطقة على موعد مع تقليعات سياسية من حين الى آخر , وفيما يتعلق بالحديث عن الإرهاب في سيناء فيتكرر القول القديم المتجدد وهو دراسة الأسباب تؤدي الى نتائج إيجابية تفضي بحلول للقضاء على هذه الظاهرة المتزايدة بإستمرار .

وعند مراجعتي للعديد من المقالات بعد أحداث الصيف الساخنة في كل من لندن وشرم الشيخ جذبني هذا النداء الى الأمين العام للأمم المتحدة " لماذا لا تتدخل لإنقاذ بدو سيناء" وكأن المنادين أرادوا من حيث يعلمون أو من حيث لايعلمون الى تدويل قضية المعتقلين من بدو سيناء خصوصاً وسكان المنطقة عموماً .

لتجد الأمم المتحدة أو بعض القوى العظمى تدخلاً صارخاً في المنطقة ولاسيما أنها حدود مجاورة لإسرائيل الذي يحرص العالم على بقاءها والمحافظة على أمنها رغم الأعمال المشينة التي تقوم بها والحديث عن الإعتقالات في سيناء التي شملت الآلاف من النساء والأطفال كرهائن للضغط على ذويهم بتسليم أنفسهم هي حديث صحافة إذا لانجد مايؤكد هذا القول إلا من خلال أخبار الملاحقات المستمرة للمطاردين من قبل رجال الأمن المصريين وحدوث مقاومة شرسة من قبل المطاردين والمتهمين بالأعمال الإرهابية الأخيرة في طابا وشرم الشيخ .

إذ أن الدول غير الديموقراطية بدأت تفكر بنفس أسلوب الدول العظمى لضرورة وحتمية وجود عدو ينبغي محاربته , وبعد الفشل الذريع لمنع الإرهاب في منطقة سيناء رغم وجود معلومات تحذيرية مسبقة تؤكد وقوعها , بدأت الحملات بالمطاردة والإعتقال العشوائي وتعذيب الآلاف من أبناء سيناء لتشعل شرارة البداية وليس النهاية .

إن شبه جزيرة سيناء صحراء مجدبة فيها مساحات خضراء محدودة وزراعة تقليدية , ولم تكن سيناء خالية من السكان في يوم من الأيام , فقد كان هناك على الدوام قبائل البدو الرحل الذين يهاجرون ضمن سيناء وعبرها، ليست القضية قضية بدو في أساسها. ولكن الأكثرية الساحقة من الرجال وعائلاتهم الذين عانوا كنتيجة للاحتجازات الأمنية بعد التفجيرات كانوا من البدو.

يعيش بدو سيناء ظروفاً متداخلة , فهم يعملون بالقرب من المنتجعات المترفة وفي داخلها، بينما يعيشون دون مياه شرب وكهرباء أو حتى بنية تحتية , وهم يستفيدون من السياحة لكنهم مستغلون من قبلها , إنهم يعتمدون على السياح الأجانب محاولين المحافظة على ثقافة الترحال القديمة رغم استقرارهم في المدن والقرى ، وبدأ البعض منهم يتخلى عن الأعراف المحافظة التقليدية لصالح التفاعل مع سياح أجانب أقل تحفظاً بكثير مما أحدث إنشقاقاً وإنقلاباً على العادات البدوية الأصيلة .

بعد الإحتلال الإسرائيلي لسيناء ، بدأت الحكومة الإسرائيلية بتطوير جنوب سيناء لتكون مقصداً للسياح , وبعد أن أدرك البدو أن السياح يدفعون مالاً مقابل طعامهم وخدماتهم وبضائعهم ، بل حتى مقابل صورهم ، بدأ البدو ببيع تلك الأشياء. وقد تعززت السياحة في منطقة سيناء التي امتدت من شرم الشيخ إلى طابا كنتيجة لوجود المياه النظيفة والشواطئ الخلابة والخلجان الرائعة و"الثقافة البدوية التقليدية".

بعد تحرير سيناء وعودتها الى السيادة المصرية سرعان ما وجد بدو سيناء أنفسهم على مفترق طرق. فقد انجذبوا إلى الأرباح الكبيرة والاستقلالية في العمل مع السياح، لكنهم اشمأزوا من سلوك السياح غير الأخلاقي وثقافة العري التي يتمتعون بها إذ لم ير السياح من جانبهم أي سبب لارتداء الملابس في "الطبيعة الخلابة " .

بل أصبحت شواطيء سيناء مقصداً للعراة تحت مسمى السياحة فمن ياترى يقلب المفاهيم لتصبح المقاومة إرهاباً والفحش طهراً وثقافة العري سياحة ويحتدم النقاش دوماً حول هذا الموضوع بلا نهاية في كل محادثة بين السياح العراة الذين يقصدون المناطق السياحية في سيناء وأفراد من البدو أصحاب البلاد الأصليين .

لكن المفاوضات كانت غير مثمرة... ولم يسمح للبدو أصحاب الأرض الأصليين بفرض قوانينهم على غيرهم من السياح الأجانب بحجة أن السياحة تعتبر من أهم مصادر الدخل .

وكانت بداية الإرهاب هو تفجيرات طابا وشرم الشيخ الأمر الذي شجع قوات الأمن على تشديد قبضتها على بدو سيناء.

وكانت سلطات الامن قد شنت حملة إعتقالات واسعة النطاق ضد بدو سيناء وخاصة في مدينة العريش بعد الهجمات التي وقعت في طابا وشرم الشيخ , ان هذه الحملات "لم تمنع وقوع جرائم جديدة بل انها على العكس حفزتها, وستكون بداية عمليات أخرى أشد شراسة طبقاً لنظرية الفعل ورد الفعل .

بعد الحادث الفظيع على الفور، اعتقلت قوات الأمن بطريقة عشوائية واعتباطية آلافاً من البدو وعذب كثير منهم الأمر الذي جعل منظمة هيومان رايتس ووتش تصدر تقريراً بعد الإنفجارات قالت فيه أن ما يقارب 2400 محتجز ما يزالون قيد الاعتقال.

تواصل قوات الأمن حملتها الموسعة بمنطقة جبل الحلال بوسط سيناء لملاحقة المشتبه بتورطهم في الهجمات الأخيرة وقالت إن العبوات الناسفة التي تسببت في مقتل الضابطين المصريين كانت تحتوي على نفس نوع المتفجرات الذي استخدم في هجمات طابا وشرم الشيخ.

وتم الاستعانة بفرق مكافحة الألغام للتعامل مع الألغام والمواد المتفجرة التي زرعها المطلوبون علي الطريق الذي تتقدم عليه قوات الأمن, وأقرت المصادر الأمنية أن عناصر مكافحة الإرهاب والقوات الخاصة تواجه مقاومة شرسة من الملاحقين .

لا يؤيد الكثير من المفكرين وعتاة المحللين السياسيين إلصاق (نظرية المؤامرة) بالأحداث التي تقع بين الحين والآخر ولكنهم يفضلون إرجاع الأسباب إلي سوء إدارة الصراع ، فالأمة العربية

تعيش في (عالم من المؤامرات) منذ الحروب الصليبية الى إحتلال إسرائيل لفلسطين وأسر الأقصى .

واجه بدو سيناء وضعاً فريداً من نوعه، حيث تغيرت القوى التي خضعوا لها عدة مرات من العثمانيين إلى البريطانيين إلى مصر ثم إلى إسرائيل ومن ثم عادوا للسيطرة المصرية عدة مرات جيئة وذهاباً. وفي الخمسين عاماً الأخيرة، احتلت إسرائيل سيناء في 1956، وسرعان ما سلمت إلى مصر مرة أخرى، ثم احتلت من جديد في عام 1967، لتسلم إلى مصر بشكل تدريجي من العام 1974 حتى 1982، حيث سلمت إسرائيل كل شيء ما عدا طابا، التي لن تعد إلى السيطرة المصرية حتى 1989.

المشكلة الأخرى التي تحول دون نجاح الحرب على الإرهاب في هذه المنطقة على وجه الخصوص وهي ان أكثر الدول غير مستعدة للتعاطي مع الأسباب الحقيقية المؤدية إليه، وهي «الظلم» السياسي والاجتماعي التي تشكل المحور الأساسي . فليس من المعقول أن نضع ولو بالإشارة الى دور السياسة الأجنبية وممارساتها، في إشاعة الإرهاب وتوسيع نطاقه وتفريخ أجياله، وتدويله وتعميمه .

إن الحملة تلقى مقاومة عنيفة , في وقت أعلنت فيه أجهزة الأمن توقيف معظم المشتبه في تورطهم بتفجيرات شرم الشيخ قدر عددهم مسؤول أمني بنحو 650 معظمهم من مدينة العريش على ساحل البحر الأبيض المتوسط وقد وجهت لهم تهمة تهريب المتفجرات والتجارة في تهريب المخدرات .

ما يزال هذا الصراع الثقافي بانتظار الحل , يعرف كل سائح قضى وقتاً ما على الساحل الشرقي لسيناء ذلك المنظر الغريب للمرأة البدوية ، محجبةً بشكل كامل بثوبها الأسود الطويل، وهي تتجول لتبيع منتجات لسياح عراة أو شبه عراة , وهنا نود أن نؤكد حقيقة أن من يعتقل له قريب يأخذ على عاتقه عهداً بأن يقاوم حتى الموت أو أن يتم الإفراج عن أقاربه فهل الإرهاب في سيناء هو بداية أم نهاية ؟ .

صحيفة الصباح الإلكترونية 31-08-2005م

18 أنياب الإرهاب بعد الإنسحاب

تراهن إسرائيل على أن تثبت للعالم بأن هذا الشعب الفلسطيني خصوصاً والعربي عموماً الذي يناضل من أجل الحرية ما هو إلا مجموعة من الإرهابين ورغم ذلك سنتيح لهم الفرصة بقدر من الحرية والديموقراطية ولكن بدلاً من أن يستفيدوا منها ستثبت الأيام أنهم استعملوا أنيابها ومخالبها في عمليات إرهابية فريدة من ناحية التكتيك والنوعية .

الغرب عموماً يعتبر العرب من الأوائل بين الأمم في كل ما من شأنه أن يقود الى التخلف فهم الأوائل في التخلف الأوائل في التمرد الأوائل في الإرهاب وكل ما هنالك من مصطلحات , فما إن إنتهت عملية حي الحمرا بالدمام الى أن بدأت عملية إغتيال اللواء موسى عرفات وإختطاف إبنه الى ما يحدث في العراق يومياً فهذه عقلية "الفئة الضالة" يستثمر أفعالها الإعلام الصهيوني ليعممها على العرب عموماً .

وتحاول القيادات العربية القيام بحملة علاقات عامة لتلتقي في الأماني، والحقائق مع الدول الكبرى المنادية بالسلام والصداقات المفتوحة أو مايسمونها بالديموقراطية الناضجة التي تعني كتم الأصوات المعارضة وقصف الأقلام التى لا توافق على سياساتها تلك التي لها وجهين متناقضين تماماً ، فالوجه المعلن جميل براق أما الوجه الآخر فهو عكس ذلك تماماً مثله كمثل الذي يحارب في كل مكان من أجل إرساء دعائم الحرية والديموقراطية ! أي أن ترفع شعار الديموقراطية إعلامياً وتنسفه بالممارسة وعند التطبيق .

إن تغييب الحرية والابقاء على الديموقراطية الشكلية هو الوضع الامثل الذي تسعى القوى المهيمنة على فرضه ليكتسب شرعية إستمرار مصالحها الاستراتيجية ، حيث أصبحت مختزلة في الثروة النفطية والوجود الاسرائيلي , ورغم أن ذلك الاعتبار سيولد الإرهاب ويزيد من تعسر الولادة الطبيعية المنشودة للديموقراطية ، ويرفع من درجة التحدي المطروح على دعاة الحرية الإسلامية والديموقراطية ، إلا أن سنة الحياة وعبر التاريخ وردت على لسان الشاعر حين قال " إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر " .

لابد من تقديم الحرية الإسلامية على الديموقراطية الغربية حتى لو عدنا الى تبني شعار "إن حرية الكلمة هي المقدمة الأولى للديموقراطية" , إذ بالاولى سنصل الى الثانية بصورة تلقائية ، وسنرى ولادة الديموقراطية بصورة طبيعية وإن كان سبب تأخرها نابع من فشل الشعوب العربية في الدفاع عن حقوقها السياسية والفكرية والمدنية بشكل عام ومقاومة التدخل الخارجي الذي يدافع عن مصالحه ليهيمن من الخارج على الداخل وإجهاض أي محاولة جادة حتى لو من القيادات الحاكمة ذاتها في العالم العربي التي تتسم بالإعتدال ولكن الضغوط عليها أكبر من أن تقاوم وبالتالي سيسود عدم التوافق على إقامة مجتمع الحرية الإسلامية والديموقراطية الحقيقية ، الذي سيكون بالضرورة رافضا للهيمنة الغربية .

الديموقراطية لها أنياب وقواطع ، هذا المصطلح الذي ورد على لسان الرئيس السادات . أي أنها ديموقراطية على المستوى النظري فقط لكن متى تعلق الأمر بالتطبيق على أرض الواقع ، فإنها سرعان ما تختفي المباديء وراء الأنياب ، ويقول الشاعر " إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يبتسم " أي أنهم ... ديموقراطيون قولاً، ديكتاتوريون فعلاً .

ومن يمارس الإرهاب من "الفئة الضالة" هم أشبه بإنسان يقول لك: إذا كنت حقاً متسامحاً وترفض العنف فدعني أذبحك ! أنظر كيف يستغل الإرهابيون القادمون إلينا من ثقافة جاهلية ما قبل عصر الإسلام وظهور الإسلام وفجره المشرق ليمارسوا الإرهاب من نقطة ضعف ينفذون منها بسبب غياب العدل الإجتماعي والتفرقة بين أبناء الدين الواحد في الحقوق والواجبات تنفيذا وتطبيقاً لإتفاقية "سايس بيكو" التي مزقت العالم العربي الى أشلاء متناثرة فهي أكبر عملية إرهابية بحق العالم العربي في التاريخ الحديث .

من أغرب مفارقات هذا الزمان ان شعوبا عدة فى عالمنا العربى باتت تساق الى انتخابات حرة تعبر عن الشكل الديموقراطي وتبعد عن الجوهر وذلك لأن تلك الشعوب فاقدة الحرية من الاساس , الأمر الذى يجسد الفصل بين الديموقراطية والحرية كمن يفصل الرأس عن الجسد .

تلك الحالة التي تفصل الحرية الإسلامية عن الديموقراطية الحقيقية تكررت ومازالت تتكرر وأستثمرت ووظفت لصالح إستمرار احتكار السلطة وتكريس الاوضاع غيرالديموقراطية

بإنتخابات الأصوات الجائعة التي ترضى بوجبة غذائية لتصوت بنعم لمن يقدم لها رغيف الخبز .

خلال العقود القليلة الماضية ظهرت جهوداً حثيثة لاستخدام قيم الديموقراطية وعناوينها , وشهدنا تنافسا على رفع اللافتات التي تنادي بالديموقراطية دون أن يكون لها أي ترجمة أو ممارسة على أرض الواقع ، لافتات تقول : " كفاية " ، وأخرى تقول : " مش كفاية " , وحين تواترت تلك المحاولات فإن العناوين الديموقراطية فرغت من مضمونها وجرى إبتذالها .

طالما ظل الجدل محصورا فى إجراءات الديموقراطية وأشكالها ورفع لافتات تنادي بها وليس فى وظيفتها وغاياتها وجوهرها ، فان قضية الحرية ستكون هى الضحية فى نهاية المطاف , فالانتخابات مهمة , ولكن ما لم تكن سبيلا الى المشاركة في القرار السياسي والى الحساب والمساءلة وليس الرضى بحفنة غذاء , وما لم تكن صيغة تكفل التداول السلمي للسلطة المحددة المدة ، فإنها تصبح غاية في ذاتها تخدم الحاكمين فتحسن صورتهم ، وتنقطع صلتها بالمحكومين أولئك الذين لاتتحقق مصالحهم .

نستطيع القول بأن الانتخابات الحرة ليست فقط تلك التي تقدم وجبة غذائية أو تتوفر لها حرية التصويت أمام صناديق الاقتراع المحجوبة عن مؤسسات الحقوق المدنية والمراقبين الدوليين ، ولكنها أيضا تلك التي يتمتع فيها المواطنون بحرية الإرادة والإختيار , ويتم فيها فرز الأصوات دون تلاعب أو تزوير.

الأهم من ذلك أن تتم في جو أخوي يتسم بالمساواة وحرية التعبير عبر الوسائل المختلفة وحرية تشكيل الأحزاب السياسية... ألخ . وهي الظروف التي من شأنها تحرير إرادة المواطن وتعزيز قوة المجتمع وتحصينه ، من خلال المنابر المستقلة في تشكيل الرأي العام الحقيقي ، وتكبح جماح السلطة وتحول دون تدخلها أي أن تكون نزيهه .

لقد صار ديننا منبع إرهاب في الدعاية الغربية ، وصار أنبياؤنا قادة إرهاب في هذه الدعاية المغرضة ، وصرنا رمزا للتخلف والإرهاب والمثل الأسوأ للإنسان في كل العصور، والتي تنادي بحرمة بقاء الأمتين العربية والإسلامية على قيد الحياة ، وفي هذه البقعة الغنية بالذات، فهم يحاربوننا بحجة الحرب على الإرهاب ليأخذوا ثرواتنا ويستغلوا ضعفنا وغباءنا .

انطلاقاً من تلك النظرة الهمجية المقتنعة بضرورة تنفيذها على أرض الواقع ، صار لكل أمم الأرض، الحق في الدفاع عن أراضيها، والدفاع عن ثرواتها، والدفاع عن كرامتها , وحماية أبنائها وشعوبها من أي خطر خارجي ، وهذه حقوق منصوص عليها في الشرائع السماوية والقوانين الدولية، ولا مأخذ على أي أمة من ممارستها، إلا إذا كانت هذه الأمة عربية أو إسلامية، فعندها يصبح دفاعها عن أرضها وثرواتها وحياة أبنائها إرهابا يستوجب الحرب عليهم إن هم أصروا على المقاومة .

إن الإسلام يُحرم الاعتداء على ثروات الغير ونهبها، ويحرم قتل الغير بغير الحق، أو الاعتداء على عرضه أو أرضه أو حريته أو كرامته، وهذه كلها مبادئ تتنافى مع مخططات الغرب ومخططات إسرائيل في المنطقة ، ولذلك وجب إعلان الحرب على هذه القيم والمبادئ كلها بذريعة الحرب على الإرهاب ، ووجب قتل المؤمنين بها أو تخويفهم لتركها، ثم إعلان الخضوع للقوى الخارجية وحدها ، حتى ولو سامَ شعوب هذه المنطقة أسوأ ألوان الذل والهوان ، وحتى لو نشرت سياسة التجويع بين أبناء هذه الشعوب كالمثل القائل " جوع كلبك يتبعك " .

لنتخذ من ذلك الطفل الفلسطيني إنموذجاً لحياتنا القادمة، لصموده وعناده وصلابته وشجاعته في مواجهة قوى الشر والعدوان الذي يفوقه قوة بمرات لا تحصى، ولكن الإرادة أثبتت مرة أخرى أنها أقوى من كل قوى الشر، فلنبحث عن إرادتنا المسلوبة ولندافع عن أنفسنا، فلماذا لا نموت بشرف كما قال الشاعر " فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدى " .

ولا تزال اسرائيل تحظى بتأييد غالبية القوى الغربية التي تتخذ مواقف أكثر ديموقراطية في القضايا العالمية ، من التأمين الصحي وحق الإجهاض الى حرية التعبير والقلق ومايزال النفوذ الاسرائيلي قوياً في هذه الأوساط لأسباب عديدة منها ان الموقف من اسرائيل ليس عقلانياً بالكامل ، ولكن السبب الاكثر الحاحاً هو غياب قوى ديموقراطية عربية إسلامية كافية وذات صدقية تستثمر جهداً ووقتاً لتحقيق الهدف .

سيسطر التاريخ أن أهم تطوّر عرفته الأقطار العربية في مرحلة مابعد "سايس بيكو" هو أن تجعل المواطن سلبياً حتى في الدفاع عن وطنه ، وهو مؤمن بأن الإنتخابات أصبحت غاية وفي أحسن حالاتها تعبر عن لحظة من الحرية كنزوة تزول بزوال المؤثر , ولايؤمن بأنها وسيلة تصنع مجتمعا حرا مشارك وفعال , لذا ظهرت "فئة ضالة" إتخذت الإرهاب لها سبيلا وتقول " إن الإنسان لا يدافع عن السياط التي يجلد بها ولكنه يثور عليها إنتقاماً لآدميته التي أنتهكت" فمتى ننتهي من التناقض بين القول والعمل ، لنرضي ضمائرنا ونحافظ على الخوف من الله في السر والعلن وليس الخوف من الإرهاب الذي ظهرت له أنياب بعد الإنسحاب .

موقع قناة العربية السبت 10 سبتمبر 2005م

19 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة الثانية)

ذكرنا في "الحلقة الأولى" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ بعض المعلومات المهمة وهي التي تعطي تفسيراً منطقياً لبعض الأسباب التي أدت الى وقوع تفجيرات سيناء ونستطيع ان نوجزها في مايلي : الظلم الواقع على أبناء المنطقة , وكثرة الاعتقالات بين صفوف أبناءها , وثقافة العري التي إجتاحت المناطق السياحية , والتعدي على ثقافة وتقاليد أبناء المنطقة , ووجود ثغرات أمنية أدت الى فشل قوات الأمن في منع العمليات الارهابية .

وفي هذه "الحلقة الثانية" سنلقي مزيداً من الأضواء على معلومات أخرى لها جانب آخر مهم في تفسير الأحداث علنا نهتدي الى الحق ونتعرف على المزيد من أسباب الإرهاب المبني على الإستعداد الكامل للتعاطي مع الأسباب الحقيقية المؤدية إليه ومن أهمها «الظلم» السياسي والاجتماعي ودور السياسة الأجنبية أو المحلية وممارساتها في إشاعة الإرهاب وتوسيع نطاقه وتفريخ أجياله، وتدويله وتعميمه ولاسيما أننا لازلنا مستهدفين من بعض تلك الجهات الأجنبية و/ أو المحلية سواء كانت دول أو منظمات أو أفراد .

ومن يتابع الأحداث الإرهابية في العالم يعلم يقيناً إن أي حدث إرهابي له قرائن تشير الى أنه مدبر وقد قام على تخطيط مسبق ينفذ من خلال ثغرات أمنية لتحقيق أهداف معينة سياسية وإقتصادية وأمنية وإجتماعية ودينية وغيرها لذا فهو يعتمد على عدة عناصر أهمها التوقيت لتوصيل رسالة سياسية معينة في زمن معين ولطبيعة المكان إرتباط بهذا العمل الإرهابي .

فضرب المنتجعات السياحية له دلالة على ضرب السياحة من الناحية الإقتصادية والأخلاقية والدينية والأمنية والسياسية وغيرها كما أن ضرب برجي التجارة العالمية كان له دلالة على ضرب مفاصل الإقتصاد الأمريكي والعالمي والأمثلة على ذلك كثيرة إذ أن كل عمل إرهابي له تداعياته وأسبابه ونتائجه وردود الأفعال عليه .

وعندما ندعوا الى دراسة الأسباب فإننا في الواقع نريد أن يكون للحرب على الإرهاب جانبين جانب يعتمد على العقل وجانب يعتمد على العضل أي إستخدام السياسة والقوة في آن واحد

فمن يجدي معه السياسة نحاوره بالعقل والمنطق ومن لايجدي معه هذا الأسلوب نحاربه بالقوة ولاينبغي التهاون معه بأي حال من الأحوال .

ولابد من إستكمال البحث عن المزيد من الأسباب لنتفهم الموضوع بشكل أكثر عمقاً ولايعني ذكرنا الى مزيد من هذه الأسباب أننا في مرحلة إتهام أطراف معينة بذاتها وإنما مرحلة دراسة أسباب وعرض معلومات كمن يقوم بعصف ذهني لسرد المزيد من الأسباب المحتملة .

لاينبغي أن نغفل ما يقوم به الموساد الإسرائيلي في منطقة سيناء وفي مصر عموماً من أعمال لتنظيم شباب للحصول منهم على معلومات أو محاولة تغذية التطرف الديني لديهم ليحققوا أهدافاً إسرائيلية بأيدي مصرية سواء من أبناء سيناء أو من غيرهم ومما يؤيد هذا القول الإعتقالات المستمرة لجواسيس للكيان الصهيوني في مصر أمثال شريف الفيلالى وعزام عزام ومصراتى وغيرهم مما أعاد فتح ملفات كثيرة ومنها العمل في الكيان الصهيوني والتطبيع .

ومن ضمن الخطط أيضاً ماقامت به إسرائيل أثناء إحتلالها لمنطقة سيناء لتزويج أبناء سيناء بصهيونيات وهي تتعلق بمستقبل الجيل الثاني والأجيال القادمة من هذه الزيجات المختلطة لإحكام سيطرتها على سيناء وتهويدها ولايزال هذا الحلم يدور في خيال المخططين في إسرائيل حتى بعد الإنسحاب من سيناء , وصولاً الى تهويد سيناء ودمجها جغرافياً وإجتماعياً عبر مواليد الأجيال القادمة وأكد هذا عدد من مشايخ بدو سيناء وإعترفوا بأن هذه الظاهرة تفاقمت في السنوات الأخيرة لاسيما مع إتساع ظاهرة سفر شباب مصريين للعمل في إسرائيل .

ولا يقتصر الخطر على سفر المصريين إلى إسرائيل، بل يمتد إلى جرائم الإسرائيليين في مصر وسيناء، وهناك العديد من المخالفات الجنائية منها تهريب المخدرات والعملات المزورة وتهريب الأسلحة والبضائع وتسليم مصر هؤلاء المجرمين إلى السلطات الإسرائيلية عبر منفذي رفح وطابا, ومعروف أيضاً إن أشد مايزعج إسرائيل هو النمو الاقتصادي أو الاستقرار السياسي والأمني في مصر.

وهناك فرضية تؤيدها عدة شواهد وقرائن مفادها أن منفذي التفجيرات ربما جاؤوا من بلدان مجاورة ولاتزال أجهزة الأمن تحقق مع عدد كبير من بدو سيناء ، للاشتباه بتورطهم في بيع المتفجرات المستخدمة عادة في المحاجر لمنفذي التفجيرات ومتهمين أيضاً بتقديم الدعم

اللوجستي سواء كان ذلك بإتفاق مادي أو إتفاق أيديولوجي مع المخططين والمدبرين لتلك العمليات ، أو أن هناك عناصر من البدو قد انخرطت فكرياً في المنظمات الأصولية الراديكالية .

ولن تستثنى «القاعدة» بأي حال من الأحوال أو من تدبير مجموعة اسلامية مصرية صغيرة في الداخل تتبنى فكر الجهاد , ولاسيما أن القاعدة قد هددت بإستمرار العمليات الإرهابية في مصر إذا لم تتوقف مصر عن التعاون مع إسرائيل وتمنع دخول السائحين الإسرائيليين من الأراضي المصرية . وهذا التهديد مبني على إختراق أو إتفاق مع بدو سيناء .

ويجب أن نضع في الإعتبار بعض التصريحات حيث إعتبرت حركة «حماس» ان ما حدث في طابا «نتيجة طبيعية امام هذا العدوان الإسرائيلي المتواصل، وحرب الابادة التي يمارسها الجيش الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني في كل يوم، اضافة الى العجز العربي والصمت الأوروبي والانحياز الاميركي والذي توج اخيراً بالفيتو لافشال مشروع تقدمت به الدول العربية لوقف العدوان».

ولماذا لا نبحث في امكانية ان يكون جهاز الموساد الاسرائيلي وراء تنفيذ الهجمات التي تعرضت لها منشآت مصرية سياحية في محافظة جنوب سيناء علي الحدود مع فلسطين المحتلة وراح ضحيتها العشرات من القتلي والجرحي , ولاسيما أن تل أبيب مستفيدة من وراء التفجيرات وتستطيع أن تجير معظم الأحداث لصالحها بإمتياز ولاسيما أنها لاتدخر وسعاً لكي تضرب حركة السياحة المصرية المزدهرة في مقتل ، وتظهر مصر امام العالم بانها دولة غير قادرة علي حماية أمنها .

التنظيمات الإسرائيلية المتطرفة أمثال حركة 'عوثارت نوش' وغيرها وعبر العديد من المقالات التي تنشرها تطالب بإشاعة الفوضى وإضطراب الأمن في شبه جزيرة سيناء وأن زعماء هذه التنظيمات يعتبرون أن اليهود الذين يزورون طابا هم دنس يستحقون القتل لأنهم يساعدون 'العدو' المصري علي بناء إقتصاده، وأنهم ليسوا أكثر من خونة يجب القصاص منهم .

وبعض المحللين تطرقوا الى أن السياسة الخارجية لبعض الدول العربية والمشي وراء أمريكا هو السبب , كما أتهم بلير بأن سياسته التابعة لأمريكا هي التي أدت لإستهداف بريطانيا , وهذا أيضا كان الأثر الذي فهمه الأسبان فغيروا رئيس الوزراء بعد تفجيرات مدريد .

وبعد إستعراض كل ماتقدم سنلقي نظرة عامة حول بدو سيناء الرحل الذين لم يلتزموا حتى الآن بالحدود الحديثة للمنطقة، ولذلك توجد أعداد كبيرة منهم في صحراء النقب في إسرائيل وفي الأردن المجاورة , كان القرن العشرين وهذا القرن شديد الوطأة على البدو كما كان قاسياً على الرحل في كل مكان , فبوجود الحدود الصارمة للدول ، فقد البدو الرحل غالباً إمكانية السير على دروبهم التقليدية , ومع محاولة الدول لإحكام سلطتها وسيطرتها ، بدأت بفكرة توطين البدو بحيث تمكنهم من الإستقرار وتتمكن من السيطرة عليهم .

ومما لا شك فيه أن حياة البدو قد تغيرت الى حد ما ولاسيما أن شبه جزيرة سيناء رزحت تحت وطأة إحتلالات مختلفة وحدث تطور في صناعة السياحة في شبه جزيرة سيناء رغم المحاولات المتكررة من جانب البدو للمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم ووجودهم معتمدين على الرعي وعلى الزراعة البدائية وعلى صيد الأسماك من البحر, أو العمل كأدلاء لمن يجتازون الصحراء أو لأولئك الذين يزورون جبل موسى , الذي يبلغ إرتفاعه 2285 متراً ويوجد أعلى قمتة كنيسة صغيرة وجامع ويحرص الزائرين على تسلق الجبل لمشاهدة شروق الشمس ويسمى جبل المناجاه حيث كلم الله نبيه موسى .

وقد حافظ آخرون من البدو على تجارة تهريب هامة من النقب والأردن والسعودية إلى مصر وتركت السلطات الأمنية البدو لحالهم ، مكتفية بالعلاقة مع عدد محدود من شيوخ القبائل , لممارسة السيادة بقوة ، الى درجة أن البدو إعتبر أن هذه الممارسة للسلطة وبشكل متزايد كأنها إحتلال وذكرت عالمة أنثروبولوجيا تدعى آن غاردنر في العام 2000 عن تجربتها الممتدة لعدة سنوات مع البدو في جنوب سيناء قائلة: "لم أقابل بدوياً واحداً يعتبر نفسه مصرياً أو يعتبر أن سيناء مصرية " وعندما وجد البدوي صاحب الأرض من أبناء سيناء نفسه محاصر بهجرة المصريين من وادي النيل إلى سيناء , بدأ يفكر ويتساءل عن الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 10-09-2005م

20 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة الثالثة)

ذكرنا في "الحلقة الثانية " من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ بعض المعلومات الإضافية التي قد تضاف الى الأسباب التي أدت الى وقوع تفجيرات سيناء ونستطيع ان نوجزها في مايلي : مايقوم به الموساد في منطقة سيناء , مخططات إسرائيل لتهويد شبه جزيرة سيناء , خطر تنقل المصريين والإسرائيليين بين بلديهما , إنخراط البدو فكرياً في المنظمات الأصولية الراديكالية , القاعدة وتهديداتها المستمرة للقيام بعمليات إرهابية في مصر , موقف التنظيمات اليهودية المتطرفة من زيارة اليهود الى أرض سيناء .

وفي هذه "الحلقة الثالثة " سنلقي مزيداً من الأضواء على معلومات إضافية مهمة في تفسير الأحداث لأن مايحدث هو خطر حقيقي بسبب أخطاء فادحة أرتكبت قبل وأثناء وبعد أحداث طابا وشرم الشيخ بسيناء فهي تراكمات السنين التي نجني ثمارها من الفشل الأمني والسياسي بعد أن زرعت بذورها الخبيثة لتثمر إحتقاناً إنتشر بين عشائر وقبائل بدو سيناء، وهي طبيعة تختلف كليا وجذريا عن طبيعة الشخصية الريفية وسكان المدن .

إن المبالغة في الإندفاع من جميع الأطراف بالفعل ورد الفعل ولاسيما أنه لايزال هناك من يغذي الفتنة ويضمر لهذه الأمة شراً وأنهم أبدعوا في إستغلال السلوكيات الأمنية العنيفة التي حدثت وتحدث وسوف تحدث وإستغلال للشعور بالسخط المتزايد والتحدي بين الفئات المحتقنة , وهو الأمر الذي تمت ترجمته إلى خلق (ثأر) بين قبائل وعشائر سيناء والدولة ممثلة في جهازها الأمني.

وقد نسميها مرحلة إنطلاقة الشرارة الأولى ببدء إنخراط شباب سيناء وشباب مصر في تنظيمات عنف وإرهاب سواء كانت ساذجة و/ أو عشوائية، منظمة و/أومحترفة، وليس هناك أدنى شك في أن جهات استخبارية سوف تلعب على هذا الوتر بكل ما أوتيت من ذكاء ومهارة وخبث، والحديث عن "بلورة" لتوجهات تمرد على "الدولة" في سيناء ، كما أن الهوس بالثأر والانتقام طبيعة بشرية ، والتقارير الغربية تؤكد على أن سيناء مقبلة على المزيد من العنف في المستقبل القريب .

تقارير استخباراتية تشير الى مخطط لتسليح بدو سيناء , وتشكيل ميليشيات لخوض حرب عصابات ضد وحدة مصر وإحداث قلاقل أمنية وتقوم جهات أمنية بدراستها وأشارت الى ان الاجهزة الامنية الأجنبية ضالعة في هذه المؤامرة بالفعل في عمليات تهريب الآلاف من قطع السلاح والقنابل لرغبة أجنبية جامحة برؤية مصر وقد فقدت مركزها القيادي للامة بأي سيناريو من السيناريوهات المعتمدة عن طريق تجربة حروب ونزعات إنفصالية كما في السودان كالجنوب ودارفور وغيرهما.

إن وجود هذا المخطط العدواني غير المستبعد عن العقلية الخارجية الشريرة التي تريد أن تنام وتصحو لتجد الدول العربية وقد تضاعفت ثلاث مرات أو اكثر لتؤول الهيمنة والسيادة وتقرير مستقبل المنطقة برمتها بيدها, وتحقق أطماعها عمليا عبر ارتباط هذه المنطقة بالارادة والتعليمات والاملاءات الأجنبية , وليس بالضرورة الاحتلال عسكري وإنما هيمنة إقتصادية عبر تعليمات منظمات إقتصادية دولية والدعوات الى الديموقراطية .

مصادر استخباراتية عالمية تتوقع أن تشهد سيناء أعمال عنف اخرى في المستقبل القريب وربما يعزز وجود هذا المخطط العدواني أيضاً أكثر والذي يستهدف النيل من وحدة مصر وامنها واستقرارها ودورها القومي في القضايا العربية, واشغالها بمعارك مصيرية تبعدها تماما عن دورها العربي تماما مثلما ابعدت العراق وزرعت الفتن الطائفية والعرقية والسياسية, هو وجود توقعات لجهات مصرية بعد عمليات "كر" و"فر" , واشتباكات بين رجال الشرطة المصرية وعناصر من بدو سيناء .

هناك إجتماعات مستمرة بين زعماء قبائل سيناء الشمالية والجنوبية والقوات الأمنية المحلية ، قادت إلى توقيع "وثيقة عهد" , يستمر بموجبها شيوخ البدو بإظهار "الولاء والامتثال" بحيث تقوم بتزويد القوات الأمنية بالمعلومات عن المجرمين المشتبه بهم , الأمر الذي يتعارض مع الأصول الثقافية والأعراف الأخلاقية والقانون القبلي التقليدي، الذي يحث على حل كل النزاعات ضمن إطار القبيلة، لكن هذا النظام يمثل عقبة صعبة أمام عمل قوات الأمن .

تعالت بعض الأصوات النافذة الى إستخدام مصطلح (إدارة الأزمات والكوارث)، وهو من المصطلحات الحديثة في علوم الإدارة ، الهدف منه هو شد القاريء لأنها طارئة ومفاجئة وشديدة القوة ومتسعة وتحتاج الى فترة طويلة لعلاجها حتى تعود البلاد الى طبيعتها لأنها تحتاج الى أسلوب علمي متطور سعياً لكبح جماحها وترويضها وإبطال مفعولها، وطرق التأمين والوقاية منها وكيف تجنب الكيانات السياسية الإدارية من شرورها , والأزمة معقدة مركبة تحتاج إدارتها والتعامل معها لمراحل عدة يعرفها المتخصصون .

هذه المرحلة بحاجة الى حضور سياسي وسيادي محلي داخلي على أعلى المستويات وليس دولي لإستضافة مؤتمر لمكافحة الإرهاب في شرم الشيخ ، ولا يمكن ولا يجوز أن يترك الأمر فيها للاجتهادات الأمنية وحدها، هذه "أزمة وكارثة " ، كما أن سيناء بشكل عام في حاجة ماسة إلى إعادة نظر لإدماج مواطنيها بكل فئاتهم وفعالياتهم بكل ما يعزز من انتمائها إلى مصر، حتى لانصحوا على "أزمة وكارثة" أكبر يصعب وقتها الحل علينا أو الإحتواء وسيناء بحاجة الى مشاريع تنموية تشمل جميع مناطقها لا السياحية منها فقط .

بعد أن بنيت المناطق السياحية في جنوب سيناء ، تزايد تجريد البدو من أرضهم التقليدية ، وبيعها إلى المستثمرين سواء كانوا مواطنين أو أجانب وأصبح بدو سيناء يتسابقون فيما بينهم لضمان الحصول على عمل في تلك المناطق رغم أنهم أصحابها وسادتها وبدلاً من إكرامهم وتأليف قلوبهم مسحت وكالة التطوير السياحي سبعة مخيمات للبدو عن وجه الأرض ونزعت ملكيات أصحابها من أجل إقامة "الريفييرا المصرية". قبض بعض البدو ثمن بخس دراهم معدودات كتعويضات محدودة وأجبروا على التخلي عن حقوقهم في المنطقة كلها.

وبعد إستعراض كل ماتقدم سنلقي نظرة عامة حول بدو سيناء الرحل ومن واقع معرفتنا بكثير من أوضاعهم الداخلية ومن إحساسنا بالمناخ العام السائد، الساخط والمتمرد على أنظمة الحكم العربية المختلفة ومنها مصر لتبعيتها الواضحة للسياسات العالمية الخارجية , وهو مناخ يشجع علي الصدام ويفرخ العنف، ويفسح الطريق أمام الأفكار الأصولية والمواقف الأكثر راديكالية لتجد من يتبناها ويعمل بها، فتتسع دوائر الفتنة لتجد من يشارك ويساند في

مثل هذه الضربات ، مهما وصلت درجة إدانتها، إما تشفيا أو انتقاما ولن تكتفي بجلد الذات وإنما بتعذيبها ايضاً .

يتميز أهالي سيناء بالتدين الفطري والتمسك بالقيم والأخلاقيات باعتبارهم منحدرين من قبائل عربية ذات موروث أخلاقي ملتزم ومن ثم فهم رافضون لكافة الموبقات التي تزخر بها القرى السياحية المنتشرة علي ساحل البحر الأحمر من طابا إلي شرم الشيخ ، وخاصة بعدما تردد من افتتاح (صالة إسترbتيز) بأحدي القري السياحية .

مشاركة أو تورط بعض شباب سيناء في أنشطة تلك القري السياحية وخدمة السائحين (الخمور – المخدرات – الإمتاع الجنسي بالمقابل المادي) ، وهو الأمر الذي يراه حكماء القبائل والعشائر مصدرا خطرا علي شبابهم وأخلاقهم وقيمهم .

الإحباط الذي إنتاب مجتمع بدو سيناء بعد التحرير فهي لم تكن علمانية إباحية بهذا الشكل المفرط الآن ، وأثناء الاحتلال كان هناك محاولات إسرائيلية لمراعاة الشعور الديني والاجتماعي للاستقطاب، رغم حالات الانفلات، وبعد التحرير فوجئ أبناء القبائل بالانفلات الديني و الأخلاقي المتصاعد والذي بلغ أوجه من خلال حركة الاستثمار المتزايدة في منتجعات سيناء، والذي يعتبر أشد وأفظع مما كان عليه الوضع أبان الاحتلال الإسرائيلي .

وأبناء سيناء مثلهم مثل باقي البشر، يتأثرون ويؤثرون، فهم في منطقة يحيطها الإرهاب من كل جانب، ويخضعون لمهادنة ومساندة للدول الراعية "لإرهاب الدولة المنظم" الذي يمارس علناً في دول الجوار ، وخميرة العنف موجودة في مصر، كما في غيرها، سواء توجه هذا العنف نحو عدو حقيقي، كما هو عليه الحال في الكفاح المسلح والمقاومة المشروعة، أو عدو وهمي، كما في الحرب المعلنة ضد الوطن العربي والعالم الإسلامي لمواجهة الإرهاب لتمكين القوى العظمى من السيطرة ، وأبناء سيناء ليسوا من كوكب آخر، وليسوا شعبا بلا مشاعر، أو بشرا بلا نخوة , فهم من سكان هذا الكوكب وهم من جنس البشر لهم حقوق كما لغيرهم ، وأصحاب نخوة إن لم تكن أكثر فهي تتساوي مع ما عند سواهم .

الواقع أن هذا المخطط الأجنبي له أهداف بعيدة ستتحقق إذا لم نتنبه لها ونقف في طريق تحقيقها ومن المرجح أن من وقف وراء هذه العملية أراد أن يوجه رسالة واضحة للعرب، مصريين وغير مصريين، يقول فيها: هذا هو حجم الوجود الصهيوني، المادي والبشري، في سيناء، وأبناء المنطقة من بدو سيناء يعيشون على هوامش مصر وحدودها، بالمعنى الحرفي والمجازي للكلمة , وفي الوقت الذي يعاني البدو فيه من شظف العيش وتسلط قوات الأمن التي تطاردهم ، فإنهم سيبقون تجسيداً رمزياً للترحال العربي وللأعراف التقليدية , ولايزال السؤال ماثل أمامنا : الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 13-09-2005م

21 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة الرابعة)

ذكرنا في "الحلقة الثالثة " من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ بعض المعلومات التي تضاف الى الأسباب التي أدت الى وقوع تفجيرات سيناء ونستطيع ان نوجزها في مايلي : إستغلال السلوكيات الأمنية , الإنخراط في تنظيمات عنف وإرهاب , مخطط لتسليح بدو سيناء وتشكيل ميليشيات , مخططات التقسيم للسيطرة الإقتصادية , الأحداث في سيناء بحاجة الى إدارة أزمات وكوارث , الأضرار التي لحقت ببدو سيناء جراء الإستثمارات السياحية , خطر المناطق السياحية والإباحية على الأخلاق والقيم , الإحباط وخميرة العنف ووجودهما في مجتمع بدو سيناء

أما هنا حيث "الحلقة الرابعة " سنلقي مزيداً من الأضواء لتفسير الأحداث لأن مايحدث بالفعل هو خطر حقيقي مازلنا نحذر منه فهو كالنار تحت الرماد قابل للإشتعال والإنفجار في أية لحظة ولاسيما أن أبناء العشائر والقبائل لايقبلون الضيم أو أي معاملة تخالف تقاليدهم وأعرافهم فهي مختلفة تماماً عن بقية المحافظات .

قانون الطواريء يفهم منه أنه حدث عارض ولكن إن يستمر هذا القانون ربع قرن من الزمان فهو في هذه الحالة يعتبر قانون دائم وليس بقانون مؤقت . والقوانين العرفية , وقوانين الطواريء تمكن الدولة التي تعمل بموجبه من إرهاب مواطنيها في أبشع صور الإرهاب التشريعي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي على أنه إرهاب وإستبداد لا عقل ولا دين ولا قلب له , فهو يمارس أعلى درجات التعذيب والتنكيل والقهر , الأمر الذي لاتجد له منظمات حقوق الإنسان أي مبرر.

لقد تصاعدت حدة الجدل بين المحللين السياسيين وقادة الفكر والرأي والمختصون في شئون الإرهاب والجماعات الإرهابية حول هوية المنفذين ، إذ يميل الغالبية لاتهام القاعدة وخلاياها- إن جاز التعبير عنها - بالهلامية السرطانية العنقودية، فيما يركز آخرون على مسؤولية تنظيم سري له أفكار جهادية ولهذا إضطربت قلوب بدو صحراء سيناء أجمعين حال

سماعهم نبأ التفجيرات في سيناء , لأنهم يعرفون جيدا ماذا يعني ذلك الجدل , وربط العلاقات بين المكان والبشر والحدث .

الشكوك بدأت تطارد عقول المحللين السياسيين وقادة الفكر والرأي , وبدأ الهمز واللمز يصيب بدو سيناء قبل غيرهم لأنهم بقوا على صحرائهم أثناء الاحتلال الإسرائيلي لشبه جزيرة سيناء من عام 1967 حتى 1981، ويزعم البعض أنهم تعاونوا مع العدو وينظروا إليهم ببعض التوجس ولم يفهم البعض مدى إرتباط البدو بأرضهم وتمسكهم بها .

بدو سيناء ينفون ذلك بشدة، وكأن قلوبهم قد توحدت على قلب رجل واحد , ويؤكدون أنهم كانوا ومازالوا يريدون البقاء بعيدا عن السياسة والاهتمام بشئونهم الخاصة وحياتهم، وجددوا التأكيد على الموقف نفسه وسيبقوا كذلك ! بعد كل هجمة شرسة يتعرضون لها معللين بذلك أنهم خسروا أيضا مصدر رزقهم ، حيث إنهم كانوا يكسبون الكثير من العمل في تلك المناطق , بتأجير جمالهم للسائحين، والعمل مرشدين لهم ، واستقبال السائحين في قراهم .

وشعور بدو سيناء بالحذر المتوجس أفرز حسرة , وألماً إعتصر دم قلوبهم المرتجفة من الظلم والتهميش من قبل الدولة التي لاتوليهم الاهتمام التنموي والمجتمعي المناسب , وتجمدت في عروقهم الدماء النابضة بحرارة الإحساس في حب الوطن رغم أنهم محل اتهام دائم , وأن صورتهم الشائعة كما تعكسها بعض الكتابات الصحفية , وتصريحات بعض المسئولين الأمنيين , هي إما كانوا مزارعين للمخدرات أو مهربين لها وللأسلحة, وأنهم محل شك في ولائهم , وانتمائهم للوطن .

هذان الأمران معا يعكسان مرارة كبيرة , وهي مرارة قابلة للزيادة عند أبناء سيناء الذين يجدون ما يعتبرونه إنكارا أو تناسيا لأدوارهم الوطنية المشهودة التي قام بها كثير منهم إبان الاحتلال الاسرائيلي لسيناء ما بين عام 1967 حتى 1981, وفي تقديم المساندة للقوات المصرية التي كلفت بعمليات خلف خطوط العدو لا سيما في مرحلة حرب الاستنزاف التي سبقت حرب أكتوبرعام 1973م , وشهدت بدورها نماذج وطنية وعمليات بطولية نادرة .

أما الشعور الأكثر خطراً أن هذه الأعمال الوطنية لم تشفع لهم عند أجهزة الأمن التي طبقت معايير قاسية جدا هي أقرب الي العقاب الجماعي لأسر ومعارف المشتبه فيهم بعد حادثتي طابا وشرم الشيخ , وفي الوقت ذاته أن هذه السياسة الأمنية القاسية لم تمنع حدوث عمل ارهابي كبير في سيناء .

أعود إلى المرارة أنفة الذكر فأقول :أنها باتت شبه جماعية وبدورها ستشكل مأزقا كبيرا يتطلب نوعا من المراجعة لكثير من السياسات التنموية, والأمنية تلك التي طبقت في سيناء المرحلة الماضية .وأنه لمأزق كبير بحجم سيناء كموقع يتسم بخصوصية الجيرة الجغرافية المباشرة مع إسرائيل , تلك التي طبقت أسلوبا نفسيا ودعائيا خاصا جدا إبان احتلالها لسيناء, مما قام علي أساس تكثيف المقولات والروايات التي تدعم التشكيك في الولاء والوطنية لأبناء سيناء .

وهي خبرة لم تنته بعد, وهناك الكثير من المؤشرات علي أنها تطبق الآن وفقاً لإسلوب يتناسب مع المستجدات, وهو أمر يتطلب قدرا بضرورة وعي خطورة مثل هذا المخطط القادم عبر الحدود, والتعامل معه من أجل إجهاضه لا إنجاحه عبر اصطناع فجوة ثقة بين أبناء سيناء من البدو وباقي شرائح المجتمع الشعبي , بما يجعله يؤثر سلباً على المناعة الأمنية في جزء من أكثر الأجزاء حساسية.

الإرهاب أصبح يشكل هاجساً أمنياً وأحدث فوضى عالمية ، وأن الشكل الهلامي لتنظيم القاعدة وخلاياه ومناصريه يساهم في تعقيد الأمور وصعوبة الحكم ما إذا كانت عملية تفجير هي في الحقيقة من صنع التنظيم وأنصاره أو ربما غيرهما، وبالتالي فقد يجد أحدهم أن هذه الفوضى مناسبة له في جانب من الجوانب المختلفة , إذ هو يعمل الآن على استغلالها ويوجهها لصالحه ولغاياته تحت غطاء "أنها عمليات للقاعدة"، مستخدما بعض توقيعات القاعدة، باستخدام السيارات المفخخة والتفجيرات المتنقلة والمتعددة في آن واحد، وهي ختم القاعدة وبصمة السباق فيها ولها .

كما أن هناك بعداً آخر ضمن حسابات الأكثر خطورة لأحداث سيناء وهو أن تكون التفجيرات نتاج مجموعات تتبنى وتعتنق فكر القاعدة دون أن تكون متصلة مركزياً أو شبه مركزياً

بالتنظيم ، وأن التفجيرات تحمل طابعاً انتقامياً ضد أجهزة الأمن التي اعتقلت آلاف من أبناء سيناء حيث جرى تعذيب بعضهم بشهادة منظمات حقوقية مصرية ودولية!! مما أدى الى تأجيل موعد محاكماتهم عدة مرات .

ومن المؤكد أن عملية التحول الاجتماعي أصابت أهل سيناء, وهم ذوو الأصول القبلية وأصحاب التقاليد الاجتماعية والدينية الراسخة, إذ هي تفرض بدورها اقترابا حكوميا وشعبيا وحزبيا يختلف تماما عن تلك الاقترابات التي تطبق بشأن مجتمعات مستقرة سواء كانت حضارية أو ريفية. وفي سيناء يشهد حالياً الإنفتاح علي العالم الخارجي عبر الاتصالات الحديثة, والاحتكاك مع تجمعات السائحين سواء كانوا من المصريين أو الأجانب, والتحول النسبي من الرعي والترحال إلي الزراعة والاستقرار في المكان .

وهذه أنماط سلوكية لم تكن معتادة من قبل, ولها مردودها الاجتماعي والثقافي علي منظومة القيم القبلية والبدوية نفسها. كما أن هناك من يستغل الكثير من ثغرات التحول الاجتماعي ويدفع بها إلي مسارات خطيرة, وهو ما يوجب التنبيه اليه وبالتالي الوقوف سياسيا وفكريا عنده قبل أن يكون أمني .

سيناء هي كل هذا مجتمعة, تجسد جزءا عزيزا من أرض الكنانة وشعبها, وربما فاقت شهرة مدنها السياحية الكبري شهرة شبه الجزيرة قاطبة بقبائلها وتاريخها ونضالها إبان الاحتلال الاسرائيلي. وهو بعد له تأثيره المزدوج سلبا وإيجابا. فبينما تحولت مدن معينة ومحدودة العدد وقليلة السكان الي بؤر جذب كبري لصناعة السياحة المحلية والعالمية في آن, إلا أنها تركت التجمعات السكانية الأخري لا سيما في وسط سيناء علي حالها تقريبا, ولم يصبها سوي قشور محدودة من التغيير والتطوير.

ثم جاءت تصريحات غير مسؤولة لترفع من شأن هذا التفسير "الثأري" حيث تم الربط بين المكان والسكان والحدث وقيل إن هناك خيوطاً لهذه التفجيرات تشير الى أن البصمة واحدة ونوعية المتفجرات المستخدمة واحدة فأوجدت غلياناً داخل سيناء كان من نتائجه ولادة تنظيم مسلح تجيد عناصره استخدام السلاح بالوراثة، حيث تعتبر سيناء منطقة حروب ويستطيعون الحصول على السلاح بسهولة ، وعبر الحدود مما يدفع الى الإعتقاد بإحتمال

مشاركة أجنبية وتشير الى عودة العنف المسلح ووقوف تنظيم قوى ومعقد ذو خبرات عالية وعالمية تحير عقول المحللين السياسيين وقادة الفكر والرأي في الإجابة على السؤال الذي مازال ماثل أمامنا : الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 17-09-2005م

22 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة الخامسة)

ذكرنا في "الحلقة الرابعة " من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ معلومات يمكن أن نلخصها في مايلي : قانون الطواريء وأثره على الأحداث , إتهام القاعدة وخلاياها , وجود تنظيم سري له أفكار جهادية , التشكيك في وطنية , وولاء بدو سيناء , وجهة نظر بدو سيناء بهذا التشكيك , تصريحات قامت على تفسير الثأر والربط بين المكان والسكان والحدث .

أما هنا حيث "الحلقة الخامسة " سنحلق في فضاء سيناء باحثين عن مزيد من المعلومات المتعلقة بسيناء وأحداثها الحالية والتاريخية من واقع يتعايش مع الخطر الحقيقي الذي يعصف بالمنطقة وأبناءها ودول الجوار المحيطة بها حيث احتلت سيناء مكانة متميزة لأسباب دينية وتاريخية ، كما تعرضت لحروب مستمرة تجاوزت تأثيراتها الحدود الإقليمية إلى العالمية ، وحاول الاستعمار طمس معالم سيناء حيث لعب دوراً في تعتيم هوية سكانها والتشكيك في إنتماءهم العربي ، لكن التراث المتمثل في الموروث الشعبي استطاع أن يقف في وجه تلك المتغيرات المحدثة , ذات المصالح المختلفة , فمع بداية القرن التاسع عشر أصبحت سيناء محط أنظار الدوائر الإستعمارية ، وقد يكون الاستعمار حقق ما يريد من نجاح في مخطط عزل سيناء أرضاً وبشراً لفترة وجيزة من الزمن .

وهناك محاولات صهيونية حدثت في العام 1908م , سبقتها محاولات أخرى أهمها مشروع العريش الذي تبناه تيودور هرتزل عام 1903م عقب مجيئه إلى القاهرة في مطلع القرن التاسع عشر ، بعد أن أصدر عام 1895م كتابه "الدولة اليهودية" حيث طالب أثرياء اليهود في مصر بمساعدته للحصول على موافقة الخديوي عباس حلمي الثاني (1892م – 1914م) على منح سيناء وطنا قوميا لليهود.

وجاء الإحتلال الاسرائيلي عام 1967م، وما تبعه من مخططات مثل فكرة تدويل سيناء وغيرها ، إلا أن البــدو قد أفشلوا هذا المخطط المعروف "بمؤتمرالحسنه" ، كما أفشلوا الكثير من المخططات العسكرية بعد ذلك .

وبعد صدمة مخابرات الاحتلال الإسرائيلي ، وفشل تمرير فكرة تدويل سيناء أشار رجال المخابرات وخبراء الموساد على حكومتهم بأن أفضل وسيلة لترويض البدو هو التعرف عن كثب على أسلوب تفكيرهم , ونواحي فلسفتهم ومثلهم الأخلاقية والاجتماعية ، لذا دفع الموساد بمجموعة من الباحثين الأجانب والإسرائيلين عام 1970م لجمع وتدوين تراث بدو سيناء إلا أن حرب رمضان (أكتوبر 1973م) قد خيبت آمال الصهاينة في إغتصاب الأرض وتذويب الشعب وسرقة التراث .

قد تكون الصحراء العربية المكان الوحيد التي مازالت ترفض الاعتراف بالحدود المرسومه بين الأقطار العربية، فالبدوي ساكن هذه الصحراء هو المواطن العربي الذي يعتز بأن جغرافيته الوحيدة هي الصحراء المفتوحة، والبدو في كل مكان هم أشقاؤه الحقيقيون، لذا يجدر القول أن بدو سيناء المصرية في تعلُّقهم بأشقائهم في كافة الصحاري العربية هم التجسيد الحي لهذه الحالة ، وقد ساعدهم على ذلك تاريخية المنطقة إلى جانب مناهضتهم للإستعمار.

البدوي بطبعه قريب إلى الطبيعة فهو صديقها الحميم ، لذا تجده يتجاهل الحدود المفروضة ويعترف بالصحراء فقط ، تلك التي يحافظ على عذريتها من التقسيم والاختراق ، والتمرد أحياناً على عولمة الصحراء إبتداءاً بالحدود ، ومروراً بالإستثمارات السياحية التي تخدش حياء البادية ، وتخالف معتقداته ، وتناهض التركيبة العقدية في المنظومة البيئية التي يعتبر البدوي جزءاً لا يتجزء منها ، وإنتهاءاً بما آل إليه الوضع الآن في المنطقة ، ولا شك فإن العاقل يدرك تزايد تلك الخطورة إن لم يحاول ترميم عصبها ووقف نزيفها ، فالبادية إمتداد طبيعي من خلال القبائل التي ينتشر أبناءها على الأراضي العربية من المحيط الى الخليج ، وهذا يعني أن كل قبيلة موجودة في سيناء لها أصولها الممتدة من أقصى الجزيرة العربية . وإن إختلفت الجنسيات بعد التقسيمات الإستعمارية ممثلة في إتفاقية "سايس بيكو" التي فرضت الحدود الجغرافية بين الدول العربية .

تداخل الأرض العربية يجعل من الاستحالة بمكان فصل الإنسان العربي عن أخيه في أي بقعة على امتداد الوطن الكبير، وذلك على الرغم من التقسيمات والاختلافات بين أنظمة الحكم في هذا البلد أو ذاك، البدو العرب شعارٌ للتداخل والتمازج وعنوانٌ من عناوين رفض الحواجز

بين أبناء الأمة الواحدة مهما ارتفعت الأسوار وتعددت الحواجز التي لا يرونها أكثر من مجرد حواجز وهمية لا تُغيِّر شيئاً من واقع الحال.

هذا الاعتزاز من جانب البدوي بتقاليده وأعرافه القبلية القديمة حدَّ من بطش يد التغيير وقدرتها الخفية على التحديث، وعلى الرغم من أن تلك اليد قد طالت الكثير من مظاهر الحياة في سيناء المصرية وتحول الكثير من بواديها وواحاتها إلى مناطق جذب سياحي إلا أن أبناء القبائل العربية من سكان سيناء مازالوا يعتمدون في إدارة شؤونهم الداخلية على القضاء العرفي الذي مازال قادراً على حل كثير من المشاكل التي قد تنشب بين أبناء البادية، وبالتالي تفادي وصول المشكلة إلى السلطات الحكومية أو ساحات المحاكم.

وتبقى سيناء المصرية شأنها شأن بقية مدن ومحافظات مصر شاهدةً على تنوع مصادر الثقافة المصرية وسط قبولٍ عام لخصوصية كل إقليم على حدة وهو ما يؤكد فكرة التنوع في إطار الوحدة، ولعل خصوصية سيناء تتمثل في أن ساكنها البدوي العاشق لحريته وميله للتنقل والترحال هو أول من يتشبث بأرضه ويدافع عن بوابة مصر الشرقية.

بين الرغبة قي قطف ثمار المدنية الحديثة والحرص على الحفاظ على الموروثات الاجتماعية لأهل البادية يقف أبناء القبائل العربية في سيناء غير معترفين بالحدود السياسية التي تفصلهم عن أبناء عمومتهم توَّاقين لِلَم الشمل وممسكين بتلابيب الانتماء العربي , رغم مايعصف بالمنطقة من فوضى تلك التي لاتساعد على أن يستتب الأمن في سيناء خصوصاً باديتها وسكانها ، إذ هم قوم يعتزون بإنتماءهم البدوي فتجدهم يحافظون على أن تستمر حياة البداوة وينعشونها كلما طالبت رئاتهم أكسجين الصحراء ... فكل قبيلة من قبائل البادية جزء مستقل في جسد الصحراء ، بل الكلُّ دولة مستقلة بذاتها ، وهذا ما يدعوهم والكلام عن قبائل سيناء للتحالف المحمود حفظاً للسلام ، كما يمجد عملهم الجماعي التلاحمي ، ويعزز الرابطة فيما بين بعضهم البعض .

سيناء جزء من أقطار عربية التي قسمها الإستعمار ، يعيش فيها الإنسان على الفطرة وكأنه يعيش البيئة الحقيقية لأنبياء الله إبراهيم وموسى عليهما السلام , فتلك البلاد تتجلى فيها الطبيعة بأبهى مظاهرها ، ورغم هذا فإن أبناء النيل قلما يزورون قلب سيناء ، لذا تجدهم

يجهلون الكثير عن صحراءها وسكانها وتاريخها وجغرافيتها وموقعها الإستراتيجي ، مع أن المستشرقين والغربيين يدخلونها أفواجا بقصد السياحة والصيد والنزهة وهذا هو الظاهر المزيف لنواياهم ، أما الباطن الذي إكتشفه السينائي فهو زيارة المناطق الأثرية في حملات تنكرية ، وربما الأديرة والمساجد والجبال والبحث عن المعادن النفيسة والتنقيب عن الآثار فيها.

ونضم رأينا الى رأي بعض المؤرخين أولئك الذين يعتبرون أن منطقة الشام التي تضم سوريا وفلسطين والأردن ولبنان كتلة سياسية وجغرافية واحدة يطلق عليها اسم بلاد الشام ، أما شبه جزيرة سيناء هي تلك المنطقة الصحراوية التي تقطنها عرب سيناء في البادية التي تصل القطر المصري بقطري بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية ، كما أن منطقة رفح على الحدود الشمالية الشرقية لمصر هي الحد بين مصر وبلاد الشام .

إذ شدد خبراء أمنيون على أن تفجيرات شرم الشيخ تحمل رسالة مركزية مفادها أن الجماعات المسلحة التي ظلت لفترة طويلة في موقف الدفاع ، انتقلت إلى الهجوم، وأنها باتت تملك زمام المبادرة عبر أذرعها الممتدة عبر مختلف قارات العالم ، وهو ما تمثل في سلسلة الهجمات التي ضربت العاصمة البريطانية لندن، وقبلها تفجيرات مدريد، وبعدها تفجيرات طابا وشرم الشيخ، فضلا عن التواجد الواسع والقوي لتلك الجماعات في العراق.

قوات الأمن تعلم جيداً أن سيناء بها من الدروب والجبال والمسالك الكثيرة وانها لسنوات طوال نظمت علاقتها مع بدو سيناء بالاتفاق مع زعماء القبائل الذين يزرعون ويهربون المخدرات جهارا نهارا بمراعاة مصالح ضمنية وجزئية من الحكومة التي إن كانت تجهل ذلك فهي الكارثة وإن كانت تعلم فالكارثة أجل وأعظم .

يبدو أن عصر الفضائيات قد وصل الى بدو سيناء فخرج بعض شباب البدو عن طوع شيوخ القبائل ويبدو أيضا أن بعضهم طاله تأثير الجماعات المتطرفة فقرر أن يدخل فى معركة ضد السياح الأجانب والإسرائيليين فى طابا وشرم الشيخ , الأسلحة في سيناء متوفرة ، والتدريب عليها مُيسّر بمقابل مادي أو تبادل في السلاح ، وعندما حدث خلل في عملية التوازن القطبي بين البدو والحكومة ، خرجت الشرطة بعلياء سلطتها وقررت أن تنتقم إنتقاماً جماعياً من

سكان سيناء، وهنا كانت الطامة الكبرى ، فتحول الأمر برمته الى ثأر بينهم وبين الشرطة فانقضوا على شرم الشيخ فى عملية ثأرية كجزء من سلسلة العمليات الثأرية التي أراقت الدماء لنصف الدائرة وسجنت الألاف من أبناء سيناء في النصف الأخر من الدائرة ، وما زالت الأحداث تدور والدائرة تتسع والخطورة تتمدد ولا تعرف الضمور.

الخلاصة التي يمكن الخروج بها من مجموع هذه الآراء أنه قد صار هناك نمط واضح لعمليات "القاعدة"، ورؤية إستراتيجية لتحركاتها إلى جانب التطور التكتيكي -وليس الإستراتيجي- لتعظيم فرص نجاحها وتقليل خسائرها قدر الإمكان, وهذا النمط ربما سيمكن السياسيين والباحثين بالتنبؤ بالعمليات "القاعدية" القادمة . وقد نكون بحاجة الى المزيد لنعرف إجابة سؤال مازال ماثل أمامنا : الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 23-09-2005م

23 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة السادسة)

في "الحلقة الخامسة" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ ذكرنا بعض المعلومات ، ويمكن تلخيصها في مايلي : نظرة عامة حول سيناء .. أحداثها الحالية والتاريخية , الخطر الحقيقي الذي يعصف بالمنطقة وأبناءها ودول الجوار المحيطة بها , المكانة المتميزة التي إحتلتها سيناء وآثار الحروب المستمرة فيها والمحاولات الإستعمارية عليها , التشكيك في الإنتماء العربي لأبناء سيناء , المحاولات الصهيونية وفكرة تدويل سيناء ! وكيف فشلت ؟ , لماذا قامت إسرائيل على جمع وتدوين تراث بدو سيناء ؟ , تاريخ البدو في مناهضة الإستعمار , دور إتفاقية سايس بيكو في ترسيم الحدود الجغرافية , مقاصد الأفواج الغربية والصهيونية من زيارة سيناء , الخط الواضح لعمليات القاعدة ورؤيتها الإستراتيجية .

وهنا حيث "الحلقة السادسة" التي نحن بصددها سنقوم بدراسة العلاقة التاريخية والجغرافية لمنطقة سيناء وأبناءها وماحولها إذ لايمكن فصل الأحداث الأخيرة عن السياق التاريخي للمنطقة وتوجهات أبناء المنطقة بعد إنصهارهم بأجناس أخرى في علاقة وثيقة تربطهم ببعض ثمة رابط جعل يزيد من رقعة إنتشارهم على كافة رمال سيناء ، وإنخراطهم الإجتماعي والأيدلوجي تحت مظلة تغريب النكاح الذي ربط مثلث عربي بعضهم البعض منطلقاً من قلب سيناء ، وممتداً عبر شرايين تصلهم بجسد الجزيرة العربية الأم .

أقول : إذا كانت الحدود تمثل الإطار العام فالجوهر هو أهم ما بداخل هذا الإطار ، إذ سيناء تمثل الحبل الشوكي في عملية السلام بين أبناء المنطقة عموماً وبين الكيان الصهيوني ومشروعات التعاون الإقتصادي بعد التطبيع والإتفاقيات المشتركة بين : مصر واسرائيل والسلطة الفلسطينية ، فجميعها يمثل العمود الفقري لهذه العلاقات تلك التي تستهدف الإسراع في تنمية المنطقة الحدودية، والربط الاقليمي بين شبكات البنيات التحتية، مما تضفي على منطقة سيناء مركزا رئيسيا في عمليات إعادة التكوين الجنيني الذي يتمتع بالحركة الجارية في المنطقة العربية ، والذي معه قد يمتد الجنين في حركته حتى يصل أوربا بأكملها ، وذلك من خلال المنافذ القارية التي تحكمها جغرافية المنطقة .

فبرمجة منطقة سيناء لتكون ساحة سلام أولى لها من أن تكون ساحة معركة تجر بفتيلها نيران الحرب العالمية المنتظرة ، وإنه لرهان رمزي لو تعلمون بليغ , إذ لابد من دراسة تطلعات أبناء المنطقة على العموم وتوجهاتهم السياسية والتجارية والثقافية وغيرها في محاولة لصياغة أيدلوجية يمكن تفسيرها وفك طلاسم غيبيات الإدراك فيها ، والتنبؤ بما سيحل بالمنطقة قبل فوات الأوان ، أخاله تبصر يسلط الضوء على المخبوء بتوازن الوعي مع مجريات الأحداث التي نعيشها , إذ لايمكن تمرير مشروعات سلام وهناك إنتفاضة مباركة مازالت تنير طريق المقاومين لكل هدف إستعماري في المنطقة وهذه حقائق فرضتها حتمية الجغرافيا والتاريخ وعناصر الصراع في المنطقة .

لقد تزعمت القوى الإستعمارية فكرة تقسيم الحدود ، وإعتقدت أنها ستضفي طابعاً مميزاً لكل أبناء منطقة (دول) ، ولكن ثبت إن هذه الحدود المفروضة قسراً على أبناء دول المنطقة لم تمنع المصاهرة فيما بينهم وهي أقوى من الحدود الوهمية التي تفرض بالإجراءات السياسية أو العسكرية وتجلى ذلك بعد إنسحاب إسرائيل من قطاع غزة ، فقد وجدنا الإنصهار الحقيقي بين أبناء المنطقة بتجاهل المراكز الحدودية ، وزيارة أبناء كل طرف لمن يعنيه في الطرف الآخر ، مما أزعج قوات الإحتلال الصهيوني تلك التي عادت تفرض شريطاً أمنيا بين طرفي مدينة رفح ، وحتمية التاريخ ستثبت سقوط هذا الشريط كما سقط جدار برلين من قبل .

كما ستلعب مدينة العريش في شمال سيناء التي تعتبر حلقة الوصل بين رمال الصحراء وطين البحر المتوسط ، دوراً تاريخياً بارزاً في شحن أبناء طرفي الحدود بالطاقة اللازمة لكل منهما لتحقيق أهداف الوحدة بين أبناء المنطقة وبين شطري رفح الذي فرض الإستعمار حدودهما فأصبحت مدينة رفح البوابة الإستراتيجية الحدودية الفاصلة للنتائج الحربية والعسكرية، والواصلة كواحة تجارياً وحضارياً، فهي الثغر والواحة والبوابة ورأس الجسر بين قارتين .

صحيح أن سيناء ظلت لأمدٍ طويلٍ خاضعة لمركز قانوني خاص مثلها في ذلك مثل باقي المحافظات الحدودية" الصحراوية أساسا ، والمحيطة بوادي النيل. ولكن ! كان هذا النظام

موروثاً عن " ادارة المناطق الحدودية " التي انشأها الانجليز في نهاية الحرب العالمية الثانية لوضع هذه المساحات الصحراوية تحت اشراف السلطات العسكرية .

كما ظل سكان سيناء سكاناً هامشيين حتى الاحتلال الاسرائيلي عام 1967م، ولم يكونوا خاضعين لقانون الاحوال المدنية، ولم تكن لديهم بطاقات شخصية ، بل يتم تسجيلهم فقط لدي إدارة الحدود, ويشير المؤرخون الى المفارقات الكامنة والإكراه الذي يعاني منه بدو سيناء أولئك الذين يرتحلون خلال جزء من السنة بين فلسطين ومناطق دلتا النيل ، بل كانت تفرض عليهم ضرائب إذا هم عبروا القناة ، مما أدى الى إستياء أبناء سيناء بسبب فقرهم ، وبسبب القيود على تحركاتهم ، الأمر الذي جعلهم أقرب الى الإنصهار مع بدو النقب والفلسطينيين أكثر من إنصهارهم مع أبناء وادي النيل .

ولهذا يصعب التفريق بين أبناء سيناء وبين بدو النقب وبين الفلسطينيين الذين يقطنون سيناء ولهذا إتسم وضع الفلسطينيين سكان شمال سيناء بالخصوصية مقارنة مع الوضع العام للجاليه على مستوى باقي محافظات مصر، ويكوّن الفلسطينيون - المشتتون جغرافياً - مجموعات مختلفه ضعيفه البنيه ، وذلك وفقا لهجراتهم ولأصولهم الجغرافيه والاجتماعيه، وهم يعيشون فى محافظات مصر أساساً !, كما فى الدول الأخرى , وقد تم أندماجهم الاجتماعي في مصر بيسرٍ كبير ، وذلك بفضل تماثل الهياكل الاجتماعية - الأسرية الفلسطينية والمصرية، الأمر الذي يحد من علاقات التنازع ، ومن اضفاء الصبغة العرقية على العلاقات الاجتماعية فيما بينهم ، هذا فضلا عن العديد من الفلسطينيين أولئك الذين طبّعتهم الهجرة واللجوء الى لعب ورقة الاندماج عن رضى مع الشعوب ، رغم عدم رضا القيادات السياسية العربية بلا استثناء بحججٍ واهيةٍ لاتنمُ إلا على تبعيةٍ مطلقةٍ لأنظمةٍ غربيةٍ تخلت عنها منذ زمن .

وتتسم هذه المساحه الحدوديه بظاهرة الترحال والهجرة ، لذا فإن ثمة دوافع تقودنا إلى رصد العلاقات بين أبناء سيناء (بدو النقب والفلسطينيين) بشكل خاص ، وذلك في محاولة لجلاء التعقيد العرقي الذي يتسم بتفاعل عناصره عند طرفى الحدود التي لم تعترف بها الديموغرافيا

والتي بها يتشكل سكان المنطقة ، إذ أن ربط جزء من هؤلاء السكان فى مجال جغرافي محدود، يجعل هذه الدراسة ليست بالامر اليسير .

أقول : إن بين مصر وفلسطين وإسرائيل مجال حدودى صنعه التاريخ، ولكن ! هل ستصنعه آفاق عمليه السلام ، وآفاق الإنتفاضة ؟ السؤال الذي يتوقع أن يساهم سكان المنطقة فى إكتشاف دينامية الإجابة عليه وإن طال تحليقه في الفضاء ، أما الإمكانات التي يتمتع بها أبناء المنطقة من خلال العبور فى الاتجاهين ، ومن خلال التجارة أو مناطق إعادة التصدير التى يستتبعها، ورؤوس الاموال التى تستثمر أو المصانع التى ينشئها ، ستوفر عناء الجهد في المسار الخطأ ، والبحث المغموس ببعض غموض ، وذلك لتوجيه البوصلة إلى حيث المنطق المقبول في التعامل مع المتغيرات ، ولربما يكون ذلك عبر إنصهار وتصاهر أبناء المنطقة والجيل الجديد المتمخض عن هذا الإنصهار والتصاهر .

ولن نستنكر على أبناء المنطقة مواجهتهم وخضوعهم أحياناً للضغوط السياسية ولتبصراتها القانونية ، إذ اتخذت بدءاً من إحتلال إسرائيل لمنطقة سيناء تدابير تفرقة بين أبناء المنطقة لإحداث تدهور في العلاقات بين مصر التي وقعت إتفاقية سلام ، وبين الفلسطينيين الذين يرفضون ذلك وتقاطع الطرفين مع بدو سيناء الذين تجمعهم بهم علاقات مصاهرة وجيرة جغرافية ، وتلاحم ديني عقدي ، الأمر الذي بدّل وضعهم وأصبغ عليهم نوعاً من الهامشية الاجتماعية الاقتصادية ، بعدما كانوا يصعدون عتبات السلم الأولى بالتمتع في أغلبية الحقوق الوطنية - تولي الوظائف العامة، وما يشبه بالمكرمة في مجانية التعليم العام والتعليم العالي، الخ – إذ هم اليوم "أجانب" مثلهم كمثل الآخرين ، بتجاهل لظروفهم المعيشية الصعبة ، لذا بات اندماجهم مهدداً بالإنقراض الجبري بقيمٍ ما يزالون يحافظوا عليها رغم محاربتهم وتنحيهم من أية مشروعات فيها تكافل إجتماعي ، إذ هذا العمل يسلخهم عن التفاعل مع باقي شرائح المجتمع ، وهو مشابه لما أفرزته حقبة السادات بحق الفلسطينيين بعد إغتيال يوسف السباعي .

مما تقدم نخلص إلى إستنتاج التضارب في العلاقات التي تجمع بين أطراف مختلفة المصالح ، والأهداف والتوجهات أيضاً ، وبالرغم من هذا التضارب نجد نوعاً من الترابط بمقتضى ثلاث

نقاط ، في بادئ الامر يكون الشأن هو تقديم بعض المعلومات على نظام تأهيل المكان بالسكان وبالتالي على أصول السكان المحليين وما أدى ذلك في تلوين هذا الفضاء الجغرافي بسمة تعدد الهويات ، الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى المزيد من القراءة والتحليل لندرك الإجابة على سؤال : هو مازال ماثل أمامنا : الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟

صحيفة إيلاف الإلكترونية 01-10-2005م

24 متى ينتهي إرهاب المنتجعات السياحية ؟ (الحلقة الأولى)

بعد كل عملية إرهابية تحدث هنا أو هناك يبدأ الخبراء والناطقين الرسميين للدول بالتحدث الى وسائل الإعلام عن موضوع الحدث كل من وجهة نظره وتبدأ دائرة الإتهامات تتسع لتصب في خانة واحدة تقريباً وهي تنظيم القاعدة أو أي تنظيمات إسلامية سواء كانت تابعة أو مستقلة وعلى الرغم من ذلك .

فإن الأعمال الإرهابية في تزايد مستمر خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م , ففي الأمس القريب هزت ثلاث إنفجارات منتجع بالي الأندونيسي وحصدت أرواح إثنان وثلاثون شخصاً كحصيلة أولية ويرجح أن ترتفع كما هي العادة في أي عمل إرهابي وكأن الدول إتفقت على سياسة إعلامية واحدة بالتقليل من حجم الخسائر الأولية ومن ثم تبرز وسائل الإعلام الخاصة بالتحدث تفصيلاً عن الخسائر البشرية والمادية وتبدأ الأخبار تتسرب من أصحاب المواقع التي تعرضت للتفجيرات الإرهابية ومن أهالي المصابين أو القتلى .

كما أن الخبراء وكأنهم على موعد وإتفاق على إتهام الجماعات الإسلامية الأمر الذي يحدث مزيداً من الكره والحقد عليها لأن مايختزنه العقل الباطن لهذا الإنسان بمجرد سماعه لأخبار التفجيرات التي تحدث في أماكن مختلفة من العالم تخلق عنده القناعة العقلية حتى لو قاوم هذه القناعة فالأمر قد إنتهى الى عقله الباطن .

والمتتبع للأعمال الإرهابية والتي تحدث بين الحين والآخر يجد أنها في الغالب تصيب المنتجعات السياحية بشكل عام ومراكز التسوق السياحية والمطاعم السياحية والفنادق وغيرها من مراكز تجمع السياح سواء مراكز التنقل وقطارات الأنفاق وحافلات الركاب أو الطائرات .

ويرى المحللون إن إستخدام الإرهابيين لهذه الوسائل وهذه الأماكن إنما يدل على أكثر من شيء وهي سهولة الوصول الى تلك الأماكن وإنها في الغالب مكتظة بالناس ولكن تحديداً لماذا يضرب الإرهابيون تلك المنتجعات بشكل خاص ؟

إن هناك أهداف مرسومة ومدروس نتائج تأثيراتها السلبية سواء على الإقتصاد الوطني للدول التي تحدث فيها تلك التفجيرات أو على التوجه العام للناس وكأنما الرسالة التي تريد أن ترسلها تلك الجهة التي تخطط وتنفذ لمثل تلك الأعمال الإجرامية هو الإعتراض على طبيعة هذه الأماكن السياحية .

على مايبدوا أن هناك أكثر من عامل إرتباط لتوجيه اللوم والإتهام للجماعات الإسلامية وبدون أدنى تحفظ على هذه الإتهامات , ومنها أن كثير من الجماعات الإسلامية من واقع ثقافتها ترفض أي ثقافة للعري والفساد حتى ولكأنك تجد معظم الإسلاميين يتحدثون بلا إستثناء عن إنتشار الفساد في البر والبحر والجو يطلقون هذه العبارات الجزافية دون أدنى وازع سواء ديني أو إنساني .

ويبدوا أيضاً أن تلك الأماكن تعتبر أكثر الأماكن إكتظاظاً بالناس فهي هدف لإحداث أكبر قدر من الخسائر البشرية ومن فئة يعتقد أنها أكثر ثراء من الفئات الأخرى في المجتمع .

المتتبع لدراسة السيرة الذاتية للمتهمين بالقيام بمثل تلك الأعمال الإجرامية نجد أنها من فئة الشباب المتحمس دينياً والفقير مادياً والمنبوذ إجتماعياً إلا النادر من هؤلاء والذين بالتأكيد قد تأثروا بأفكار هدامة ناقمة على المجتمعات الإنسانية بشكل عام .

ويرجع هذا من وجهة نظرنا في القصور الذي يتمتع به كثير من علماء المسلمين في الدفاع عن قضية قتل النفس البشرية بشكل عام أياً كانت ديانتها او توجهها الفكري أو العقدي .

الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في كثير من المفاهيم وأن يكون هناك منهج فكري إسلامي جديد يتبنى أفكار عصرية وهي مسؤولية إسلامية إجتماعية قبل أن تكون مسؤولية أمنية عالمية لأن رسالة الإسلام العالمية يتحتم عليها القيام بمقاومة أي عمل إرهابي يصب في خانة قتل النفس البشرية التي حرم الله قتلها إلا بالحق .

كما أن من مسئولية علماء الأمة أن لايكلوا وأن لايملوا في الحديث والشرح والتأثير والمناظرة لأصحاب الفكر المتشدد والذي ينتهج القتل والتدمير منهجاً حياتياً له وكأنما عدنا الى العصور القديمة بتبني شريعة الغاب القوي يقتل أو يأكل فيها الضعيف .

إن الحديث عن ثلاثة إنفجارت وقعت بالأمس في منتجع بالي السياحي بأندونيسيا لهو جريمة نكراء بحق الإنسانية لما أسفر عن مقتل النفس البشرية وإحداث الخسائر المادية التي تؤكد حتما على إنحدار قوة الإقتصاد الإسلامي بشكل عام وخصوصاً في بلد إسلامي يتمتع بكثافة سكانية إسلامية هائلة على مستوى العالم .

ومن بين الضحايا عدد من السياح الأجانب ومن رشح من معلومات عن جنسياتهم حتى حين إعداد هذا المقال هم من السياح الأمريكيون والأستراليون واليابانيون والكوريون .

كما دلت المعلومات الأولية عن تفجيران إستهدفا مطعمين للمأكولات البحرية على شاطيء "جيمباران" بينما استهدف الثالث مطعما في ساحل كوتا في منطقة تزدحم بالمحلات التجارية , وكما ذكرنا سابقاً أن الإتهامات الأولية توجه ضد الجماعات الإسلامية وخصوصاً أن هذه الهجمات توجه في الأصل ضد أهداف غربية كما دلت بيانات السنوات السابقة المتبادلة حول الإرهاب والعمليات الإرهابية .

وإذا بدأنا ندرس ردود الفعل والتنديد بالعمليات الإرهابية نجد أن الرئيس الإندونيسي سوسيلو بامبانج يودويونو قد ندد بالهجمات التي وقعت بشكل شبه متزامن ووصفها بأنها إرهابية, كما أفاد "من الواضح أنه عمل إرهابي ،سوف نمسك بمنفذيه ونعاقبهم".

إلى ذلك اعتبر الخبير في شؤون الإرهاب بمعهد الدفاع والدراسات الاستراتيجية في سنغافورة روهان غونارتنا إن تنظيم الجماعة الإسلامية الإقليمي يستطيع وحده تنفيذ اعتداءات مماثلة لتلك التي ضربت أمس جزيرة بالي.

أما وزير الخارجية الأسترالي الكسندر داونر قد قال "الأمر يتصل عمليا ومن دون شك بهجوم إرهابي، ويمكننا القول إنه هجوم نفذته منظمة على غرار الجماعة الإسلامية".

لكنه تدارك في المقابل أن لا دليل واحدا حتى الآن على ذلك ولم تتبن أي جهة هذه الاعتداءات.

أما فرنسا فقد عبرت عن تأثرها الكبير ودانت بحزم شديد الاعتداءات , وتبعها بعد ذلك الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان الذي ادان الانفجارات وأعرب عن "ذهوله" لأن تكون بالي مرة أخرى هدفاً لاعتداءات إرهابية.

ودانت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس الاعتداءات وقالت إن "الولايات المتحدة تقف إلى جانب الشعب الإندونيسي وحكومته اللذين يعملان لإحالة المسؤولين عن هذه الأعمال الإرهابية إلى القضاء. وسنواصل العمل معا لمكافحة الإرهاب". وقالت إنه ليس في وسعها أن تؤكد حتى الآن وجود أمريكيين بين القتلى.

ووصف وزير الخارجية الأيرلندي درموت اهيرن الاعتداءات بأنها "بربرية"، وقال إنه لا سبب يبرر تلك الأعمال الوحشية.

"الجهات الأجنبية" تعتبر من الإفتراضات والمصطلحات التي تطلق جزافاً على من قام بالأعمال الإرهابية وكلمة "الأجانب" هي شماعة تعلق عليها كثير من الدول أخطائها وكأن هذا المواطن من ضمن شعب الله المختار والذي هو نفسه يعتبر في دولة أخرى أجنبي ومن الأغيار وعليه لابد من التحفظ على كلمة "أجنبي" وإتهام "الجماعات الأجنبية" إذا أردنا أن نواجه الحقائق بموضوعية ونزاهة .

وبدأت الحكومات بإطلاق يد رجال الإستخبارت لمزيد من البحث والتحري عن العمليات الإرهابية للتنبؤ بها قبل وقوعها أو لتعقب المجرمين لإلقاء القبض عليهم سواء من كان منهم مطلوباً أو مشتبه به أو متورط بعملية أخرى .

وبدأت الدول تعلن عن لوائح من الجماعات والتنظيمات الإسلامية التي وضعت على لوائح الإرهاب والتي يتم إيداعها في هيئة الأمم المتحدة ليتم العمل على إعلانها رسمياً وإبلاغ الدول بالقيام بتجميد أموالها ومنع المنتمين لها من السفر وتبادل المعلومات عن هذه المنظمات والأشخاص الذين ينتمون إليها أو يديرونها حتى لدرجة أن هذه الدول بدات تعتمد هذه اللوائح رغم عدم وجود أدلة كافية في تورط كل هذه الجماعات وتعدى ذلك أيضاً الى المدارس الإسلامية والمعاهد والجامعات الإسلامية في بعض الدول ويأتي في إطار الحرب التي تخوضها الدول ضد الإرهاب تحت مظلة الأمم المتحدة .

من جهة أخرى بدأت أجهزة الإستخبارات العالمية ترفع تقارير الى حكوماتها تتهم فيها المسلمين وتنعتهم "المسلمين المتطرفين" بإعتبارهم يشكلون اليوم التهديد الرئيسي للعالم بعد أن تبين أن هناك قواعد للتدريب بل ومعسكرات منتشرة في شتى ارجاء العالم كان الأساس في أفغانستان وبعد الحرب الأفغانية إنتشرت هذه الجماعات في مختلف دول العالم وكأنها تبعثرت ولكنها أعادت تنظيم نفسها من جديد على شكل خلايا هلامية مستقلة وتابعة تؤمن بالفكر التنظيمي والديني لتنظيم القاعدة الذي كان مقره الرئيسي في أفغانستان وأصبح الآن في كل مكان .

كما لايخفى على الجميع أنه بعد كل عملية إرهابية تبدأ الدول في إتخاذ إجراءات جديدة ضد الإرهاب وسن قوانين بهدف تسهيل الملاحقات القضائية حتى وكأننا مقبلون على قوانين صارمة ومحاكم تفتيش وعودة العالم الى بوتقة قوانين الطواريء التي إشتهرت بها دول العالم الثالث وكأنما دول العالم الثالث بدأت تجر العالم المتقدم الى الخلف لتعيق سرعة تقدمه ولهذا ينبغي على دول العالم المتقدم أن تتنبه لمثل هذا الأمر الذي يستدعي إيجاد نوع من التفاهم مع دول العالم الثالث وتأخذ بيديها لتخطي حواجز التخلف والإنطلاق سوياً في شراكة لقيادة العالم نحو التقدم الإقتصادي والمعرفي لعمارة الأرض التي نعيش عليها لينتهي إرهاب المنتجعات السياحية .

صحيفة الشرق القطرية 06-10-2005م

25 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة السابعة)

في "الحلقة السادسة" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ ذكرنا بعض المعلومات ، ويمكن تلخيصها في مايلي : العلاقة التاريخية والجغرافية لمنطقة سيناء وأبناءها وماحولها , دراسة تطلعات أبناء المنطقة على العموم وتوجهاتهم السياسية والتجارية والثقافية , الإنتفاضة الفلسطينية وأثرها على سكان منطقة سيناء , عاصمة سيناء ودورها في شحن أبناء المنطقة , نظام إدارة المناطق الحدودية الموروث عن الإنجليز , إنصهار بدو سيناء مع بدو النقب والفلسطينيين , ديموغرافيا سكان المنطقة وأثرها على التوجهات السياسية بشكل عام , تعدد هويات سكان المنطقة وأثره السلبي على المنطقة .

أما في "الحلقة السابعة" سنستكمل الدراسة والتحليل المتعمق لمعرفة المزيد من خلال تحديد الاطار الاقليمي والاداري للمنطقة الأمر الذي سيتيح لنا الإحاطة بحدود شبه جزيرة سيناء وداخل أراضيها والفضاء الذي يتحرك فيه السكان الذين ينتمون الى أعراق وهويات مختلفة فمنطقة العريش وقربها من الحدود الإسرائيلية والفلسطينية وقلة عدد سكانها مقارنة بسكان قطاع غزة أو سكان وادي النيل وموقعها الإستراتيجي والحدودي وطبيعة مناخها الذي يجمع بين مناخ البحر المتوسط والمناخ الصحراوي قد ترتب على ذلك سمات إجتماعية وإقتصادية وإقليمية وديموغرافية فريدة من نوعها، تكونت بسبب العواصف السياسية والتقلبات العسكرية وإعصارها الذي عصف بالمنطقة ومازال .

ولهذا نجد أن الأخطاء التي أرتكبت من مختلف الأنظمة السياسية بحق سكان المنطقة بفعل تطبيق السياسات الإستعمارية القديمة المبنية على النزعة العرقية والتي أدت الى نزاعات بين سكان المنطقة طبقاً لإختلاف هوياتهم وأعراقهم مما أدى الى تأخر أبناء المنطقة عن مواكبة التطورات العالمية المختلفة وهذه الأخطاء لها جذور تاريخية تعود الى حقبة الإمبراطورية العثمانية وتأثير الضغوط الإنجليزية عليها بضم كامل شبه جزيرة سيناء الى مصر إدارياً من خلال إتفاقية وقعت عام 1906م بين الطرفين المصري والتركي لإنهاء النزاع بشأن الأراضي بين القاهرة وإسطنبول الذي دام أكثر من نصف قرن .

هذه النزعة العرقية لها مؤشرات ديموغرافية في منظور تاريخي بعيد المدى فكتب التاريخ تحدثت عن الأصول التركية والبوسنية والألبانية التي كانت تخدم في الحامية التركية في مدينة العريش تحديداً لأنها كانت مركز للتزود بالمياه عند التحرك العسكري في الإتجاهات المختلفة وإستقرت بها لدرجة أن بعض كتب التاريخ فرقت بين العرايشية وإعتبرتهم من بقايا العساكر الاتراك او البلقان ، والفواخرية "واكثرهم من مهاجري جنوبي سوريا جاؤوها بعد تأسيس القلعة للاتجار مع حاميتها, وقد قيل انهم لقبوا بالفواخرية لأن أكثرهم كانوا يتاجرون بالفخار الذي يأتون به من غزة. " وإن كانت هذه الأصول قد إنصهرت وتلاشت وسط إعصار تكوين تاريخ المنطقة التي عانت من الحروب لفترة زمنية طويلة .

ولهذا نجد أن هناك ثلاث تيارات لتغذية النمو السكاني المتكون من هجرات مختلفة لأصول مختلفة ويمكن تقسيمهم الى ثلاث فئات كمايلي :

الأولى : البدو سكان سيناء الأصليين ومحاولة توطينهم لأهداف مختلفة ومنها تقييد حرية التنقل بين جانبي الحدود لتقسيم أرض سيناء الى عدة أقسام وعرقيات مختلفة .

الثانية : السكان القادمون من وادي النيل وزيادة عددهم من الجنود المصريين القادمين لتحرير الأراضي العربية من دنس الصهيونية الأمر الذي أدى الى إجتذاب وحدات عسكرية عربية الى العريش والمناطق الحدودية وقطاع غزة الذي كان يدار بواسطة المصريين حتى حرب الأيام الستة عام 1967م .

الثالثة : المهاجرون من أبناء فلسطين بفعل الحرب نفسها التي أدت الى نزوح أعداد كبيرة من فلسطين وخصوصاً من قطاع غزة الى الأراضي المصرية والإستقرار فيها سواء في مدينة العريش أو مدينة رفح أو باقي محافظات مصر .

هذه التوليفة السكانية والقوانين التي تفرق بينهم لاتخدم العدالة الإنسانية بين السكان قد أدت بشعور بعض الفئات بالغبن تجاه فئات أخرى الأمر الذي أدى وسيؤدي حتما الى حركات إنتقامية إذا ماتم تغذيتها من قبل أطراف تعمل ليل نهار لإشعال فتيل الأزمة لأنها تؤمن بمبدأ فرق تسد لينشأ عنها الإرهاب .

الموقع الإستراتيجي للمنطقة وقربها من الحدود جعلها فضاء كبير ذو الأثر المتداخل بين سكان طرفي الحدود وخصوصاً إذا كان هناك إختلاف جذري في الأحوال المعيشية ولاسيما أن قطاع غزة كان يعتبر مركزاً تجارياً أكثر إنفتاحاً على بلاد الشام في تلك الفترة وغير خاضع للقيود الإقتصادية التي فرضتها الحكومة المصرية بعد ثورة يوليو لعام 1952م .

نشأ عن هذا الوضع مركز تجاري أدى الى نهضة تجارية إستفاد منها التجار الفلسطينيون وأبناء المنطقة عموماً الأمر الذي أدى الى توسع تجارتهم وزيادة ثرواتهم مما سمح لهم فيما بعد بأن يمدوا نشاطهم الى قلب مصر حيث يحظون بزبائن تعاملوا معهم سابقاً , هذا وقد شهدت القاهرة موجة نزوح لتجار فلسطينين ومن أبناء سيناء بعد حرب الأيام الستة عام 1967م .

وحينئذ أصبحت العريش ورفح مراكز تجاريه وسيطه يلعب فيها اللاجئون الفلسطينيون دورا هاماً ورئيسياً في العلاقات التجارية العابرة للحدود , ولم يقتصر ذلك على الجانب الإقتصادي وإنما الزراعي والديموغرافي فقد قام العديد من الفلسطينيين المدركين لغموض مستقبلهم بسبب التقلبات السياسيه الأمر الذي دعى البعض الى تسجيل مواليدهم في الجانب المصري كمحاولة للاستفادة من بالجنسيه المصريه التي يحصلون عليها بعد اثبات ارتباطهم بأرض مصر , وقد ساعدت عوامل كثيرة على ذلك ومنها عدم وجود شهادة ميلاد ، و البنية القبلية لهؤلاء السكان الذي يعيش بعضهم حياة البداوة .

يبدو ان بدو سيناء والفلسطينيين المقيمين فيها مرتبطون بشدة بهويتهم وأرضهم لذا يعتبر الفلسطيني المقيم في العريش - على خلاف الحاله السائدة في باقي محافظات مصر - بانه ينتمي الى أقلية من بين الاقليات الاخرى : البدو والعرايشيه والمصريون القادمون من جميع محافظات مصر, واذا كان هذا السياق يحث على المنافسه بين الجماعات الا إنه لم يحدث كما يبدو حالة انطواء وعدم إندماج بل العكس تماماً هو الذي حدث .

فالاقامه في العريش ومنطقتها لها سماتها الخاصه التي تختلف عن المنفى بالنسبة للاجيء الفلسطيني فقرب المسافة ألغى الحدود الجغرافية ، اضافه الى تماثل اللهجه و المكان و

الثقافه واساليب المعيشه تضفي جميعها على هذه المنطقه هويه خاصه مصبوغة بطابع فلسطيني يؤكده جميع من زار المنطقة أو تربى في أحضانها .

ولكن بعد مفاوضات كامب ديفيد وتوقيع إتفاقية سلام بين مصر والكيان الصهيوني وإعادة سيناء الى السيادة المصرية نتج عن ذلك تحولات مأساوية بحق الفلسطينيين والمصريين القاطنين على طرفي الحدود ففي 25 إبرايل 1982 تم تقسيم مدينة رفح الى قسمين وفقاً لخط الحدود المرسوم على الخرائط لعام 1906م , وأصبح هناك جيب فلسطيني في الأراضي المصرية والمسمى بمخيم كندا وعند التقسيم وضعت أسلاك شائكة لتفصل بين الحدود كما قام شريط حدودي لفصل ابناء المنطقة والمقيمين فيها عن أسرهم وأعمالهم .

أدى ذلك الى مفاوضات متعددة الأطراف إعترفت مصر بموجبها بوضع سكان مخيم كندا " كلاجئين مؤقتين" الذين أصبحوا من بعد يحملون وثيقة سفر اللاجئين الفلسطينيين الصادرة من مصر ويتم تجديدها بدون تصريح للعمل , ويسمح للإسرائيليون بحرية الإنتقال للمحافظة على أعمالهم في المنطقة وفي قطاع غزة أو في إسرائيل , رغم تأكيد جميع الأطراف بأن حالة هؤلاء الفلسطينيون مؤقتة وتم الإتفاق على تأمين عودة اللاجئين الى قطاع غزة ولكن مع وقف التنفيذ كما حدث في قرارات الأمم المتحدة بحق الفلسطينيون .

إن الوضع الذي فرضته إسرائيل على طرفي الحدود ووافقت عليه السلطات المصرية أفرز مظالم بحق أبناء المناطق الحدودية المصريون والفلسطينيون لدرجة أنهم فصلوا عن بعضهم البعض بشريط حدودي عرضه 20 متر ومحاط بالأسلاك الشائكة المكهربة وكأنها أسوار وعليها أبراج المراقبة الأمر الذي أدى الى مظاهرات كثيرة بشانها ولكن التعتيم الإعلامي الذي فرض حينها منع العالم من مشاهدة مآسي سكان تلك المناطق الذي يشبه الى حد كبير جدار برلين الشهير الذي تحطم مؤخراً .

فكان من المؤكد أن تفرز جميع تلك الأحداث وعبر فترة زمنية طويلة نوعاً من الأعمال الإرهابية كتعبير عن الإحتجاج بطريقة تمكن الآخرون من سماع صوتهم المفروض عليه تعتيماً إعلامياً غريباً ومما زاد في الأمر سوءاً هو إتفاق السلطتين المصرية والإسرائيلية على عدم منح تأشيرات دخول لأفراد العائلة الواحدة من زيارة بعضهم البعض الأمر الذي أفرز عن قيام

سكان المنطقة بعمل الأنفاق السرية تحت الأرض تم تشييدها لتربط بين البيوت الواقعة على جانبي الحدود، لتلبية ضرورة ملحة كوسيلة للحفاظ على الاتصال بين أبناء المنطقة .

هذا أفرز أيضاً سلبيات كثيرة منها تهريب الأسلحة والمخدرات والبضائع غير المسموح بها أو لتلافي الضرائب على البضائع بين طرفي الحدود لإختلاف الأنظمة الإقتصادية والسياسية السائدة في المنطقة ، وإذا كانت هذه الأنفاق تلبية لرغبات من يقوم بتهريب الأسلحة والمتفجرات فمن المحتمل أنها تعمل في الإتجاهين وليس في إتجاه واحد ضد إسرائيل ودعماً للإنتفاضة وبالتالي فمن المرجح أن تكون المتفجرات التي ضربت طابا وشرم الشيخ قد تم تهريبها عبر الأنفاق ومن الأراضي الإسرائيلية ولاسيما أن بعض الخبراء أفادوا بأن نوعية هذه المتفجرات تشبه الى حد الكبير ماهو مستخدم لدى جيش الإحتلال الإسرائيلي .

وبدلاً من العمل على تخفيف الظلم الواقع على أبناء المنطقة حاولت بعض الأطراف في مجلس الشعب المصري بالتقدم بمقترح عام 1995م لهدم المساكن المحاذية للحدود في رفح للقضاء على التسلل عبر الانفاق ولكن يبدوا أن تحرك الإرهاب كان أسرع من تحرك الحكومات في إتخاذ التدابير الأمنية اللازمة وتخفيف معاناة الشعوب التي إنتفضت بعد أن نفذ صبرها .

تتميز الحدود المشتركة بين الدول بحساسية دقيقه نظراً للتقارب الشديد بين العادات والتقاليد ولهذا بينت كتب التاريخ أن دراسة المناطق الحدودية وطبيعة سكانها ومدى إرتباطهم ببعضهم البعض تعتبر بمثابة مجسات إستشعار حقيقية للرصد على الأرض ، وتمثل منهجا مثمراً لاستشراف الحوادث والظواهر الجديدة وبشكل مبكر , وفي هذا الشريط الحدودي تم تخليق هوية ذات طبيعة خاصة قد نتجت عن إنصهار أجناس مختلفة ومتعددة سواء كانت مصرية أوفلسطينية أو بدوية (سيناء, النقب) أو إسرائيلية والأصول القديمة الألبانية والبوسنية والتركية والشامية لتكون جنس جديد متعدد الإنتماءات والتوجهات والأهداف .

الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى المزيد من القراءة والتحليل لندرك الإجابة على سؤال : هو مازال ماثل أمامنا : الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟

صحيفة إيلاف الإلكترونية 07-10-2005م

26 متى ينتهي إرهاب المنتجعات السياحية ؟ (الحلقة الثانية)

متى ينتهي إرهاب المنتجعات السياحية ؟ سؤال نحاول الإجابة عليه في حلقات وفي الحلقة الأولى يمكن تلخيص ماجاء فيها : تصريحات الخبراء والناطقين الرسميين لاتخلو من إتهام القاعدة بعد كل عملية إرهابية , لماذا إستهداف المنتجعات السياحية , الآثار السلبية للعمليات الإرهابية على الإقتصاد المحلي والدولي , عوامل الإرتباط بين الجماعات الإسلامية والعمليات الإرهابية , أثر السيرة الذاتية للإرهابيين على العمليات الإرهابية , قصور آداء بعض علماء المسلمين في معالجة الظاهرة , خطأ إتهام الجهات الأجنبية فور وقوع الحدث , إطلاق يد الإستخبارات للبحث والتحري , أجهزة الإستخبارات العالمية تتهم المتطرفين الإسلاميين , الإجراءات والقوانين الجديدة بعد كل عملية إرهابية .

أما في هذه الحلقة سنقوم بالتعرف على المزيد من المعلومات علنا نجد إجابة لسؤال متى ينتهي إرهاب المنتجعات ؟

في شهر سبتمبر الماضي كان هناك إجتماع الأمم المتحدة وكان على جدول الأعمال تعريف الإرهاب وكيفية محاربته إلا أن نتائج هذه الإجتماعات لم تسفر عن تعريف للإرهاب يتفق عليه الجميع لتداخل الإرهاب بأعمال المقاومة المشروعة من أجل التحرر ودحر الإحتلال وجلاء الإستعمار وأعمال الإغاثة لمساعدة ضحايا الحروب , ولكن لازالت هناك بعض الجهات تقوم بتعريف العمل الإرهابي " أنه عمل يسبب ضررا بالغا للناس أو الممتلكات أو تعريض حياة الناس للخطر أو المخاطرة بالصحة العامة أو السلامة العامة أو إفساد الأنظمة الإلكترونية عندما يكون هذا العمل بغرض الدفاع عن قضية سياسية أو دينية أو عقائدية معينة" .

أما الدفاع عن قضية معينة أو الاحتجاج أو الانشقاق أو الإجراءات التي ليس الغرض منها التسبب بأي أذى أو مخاطرة فلا يشملها هذا التعريف بعدما عارضت جماعات حقوق الإنسان شمولية التعريف الذي قد يجعل صفة الإرهاب تشمل هيئات الإغاثة والنشطاء في حقوق الإنسان .

ومن تجربة تفجيرات منتجعات بالي الأولى في عام 2002م , إتضح أنها أثرت على الإقتصاد الإندونيسي والعملة والبورصة الذي إنخفض مؤشرها بمقدار 20% , كما أن السياحة تأثرت وهي مصدر مهم من مصادر العملة الأجنبية في البلاد , وربط بعض المحللين هذه الإنفجارات الأخيرة التي حدثت في عام 2005م , بأنها تأتي في أعقاب الاحتجاجات الشعبية التي عمت مدن كثيرة بالبلاد بسبب رفع أسعار الوقود.

ويعتقد بعض السياسيين من خلال تصريحاتهم أن هذه التفجيرات تهدف الى السيطرة على أنظمة الحكم في كل من أندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وجنوب الفلبين بمساعدة تنظيم القاعدة وتنظيمات الجماعات الإسلامية المحلية لتكوين دولة الخلافة الإسلامية العظمى في دول جنوب شرق أسيا لتصبح دولة إسلامية عظمى على أن تضم شمال أستراليا إليها في وقت لاحق .

وعلى مايبدوا لتضييق الخناق على منظمة الجماعة الإسلامية الإندونيسية بدأت التصريحات عن تقارير سرية للمخابرات الفلبينية تتهم هذه المنظمة بأنها كانت وراء مخطط الدولة الإسلامية العظمى وحسب قول رئيس جهاز الأمن الفلبيني رويلو غوليز الذي قال " إن الدولة الإسلامية العظمى حسب المخطط تضم ماليزيا وإندونيسيا والفلبين إضافة إلى منطقة شمال أستراليا" .

ولهذا بدأت الولايات المتحدة بالسعي لتصنيف هذه الجماعة الإسلامية على أنها منظمة إرهابية أجنبية الأمر الذي أدى إلى إعتقال العشرات من أعضاء الجماعة الإسلامية في ماليزيا وسنغافورة والفلبين خلال الأشهر الأخيرة على خلفية التآمر ضد المصالح الأمريكية في المنطقة.

وقد نفى أبو بكر بشير الزعيم الروحي للجماعة الإسلامية في سنغافورة، والتي تعمل في ماليزيا وسنغافورة، تورط جماعته في أي هجوم، وألقى باللوم على "جهات خارجية"، بما فيها الولايات المتحدة , التي تسلمت الفاروق الكويتي الجنسية من إندونيسيا بعد إعتقاله.

ومن الآثار السلبية التي حدثت نتيجة لتفجيرات بالي الأولى والثانية هو تعرض المساجد والمدارس الإسلامية والمسلمين في أستراليا الى إعتداءات وإهانات منها البصق وتمزيق حجاب

النساء والتي وصفها أحد المسؤولين الأستراليين بأن هذه الأعمال لايمت مطلقاً الى الطبيعة الأسترالية .

يقول المثل إن المصائب تجمعن المصابينا ولهذا بدأت بلدان رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان) قمة في منتجع بالي الإندونيسي لتركز على مكافحة الإرهاب وتعزيز التعاون الإقتصادي جاء هذا الإجتماع في عام 2003م , بعد عام من تفجيرات منتجع بالي عام 2002م , وتشكل قضية الإرهاب محور المناقشات في القمة وكان وزراء خارجية الرابطة قد وقعوا مع وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في بروناي عام 2002م ميثاقا لمكافحة الإرهاب , يهدف إلى الحيلولة دون تحول المنطقة إلى "معاقل للإرهابيين من خلال تبادل المعلومات حول الجماعات الإرهابية ومنع تمويلها".

وعودة الى تفجيرات بالي فقد ركزت الشرطة الإندونيسية في تحقيقاتها بتفجيرات جزيرة بالي الأخيرة وربطها بالأحداث السابقة عام 2002م لتحديد هوية منفذيها والعقول المدبرة لها، وسط إعتقاد واسع بإرتباطهم بالجماعة الإسلامية التي تنحى باللائمة عليها في الهجمات التي وقعت بملهي ليلي في الجزيرة عام 2002م وأدت لمقتل نحو 202 شخص , حيث قال مسؤول أمني كبير بمكافحة الإرهاب إن مؤشرات التحقيق تدل على أن الجماعة التي نفذت تفجيرات عام 2002م ، هي ذاتها التي تقف وراء تفجيرات عام 2005م التي استهدفت ثلاثة مطاعم.

وبعد العودة الى ملفات المتهمين في جزيرة بالي الإندونيسية عام 2002م نجد أن أحدهم ويدعى علي عمران والملقب بمخلص وهو داعية اسلامي قال أمام المحكمة أنا إرهابي صغير، بينما لا يزال هناك الكثير من الحيتان الضخمة أمثال أرييل شارون وتوني بلير وجورج بوش ونائبه ديك تشيني , فإذا سمح لهؤلاء الارهابيين بالمضي قدما في طريقهم فسيسقطون قنابلهم النووية في الحرب القادمة .

هذه الحيتان الكبيرة الضالعة في الارهاب هي الوحيدة التي تقود جرائم غير معقولة ضد الانسانية , ويستخدمون الارهاب في ميادين مختلفة بما فيها الدين والاقتصاد والسياسة والعسكر, وهم اللذين جعلوا المسلمين يتوقفون عن التوجه الى المساجد والمسيحيين عن

الذهاب الى الكنائس والهندوس عن التوجه الى المعابد وتفضيل بدلا من ذلك الذهاب الى اماكن لاشباع الرغبات.

ومن يدقق في كلام المتهم أعلاه لايتنافى مع طبيعة البشر المحبة للإنتقام لبني جلدتهم أو بني جنسهم أو بني عقيدتهم فما قامت حرب أفغانستان والعراق إلا إنتقاماً لأرواح الأبرياء في هجمات 11 سبتمبر 2001م ولكن البعض يغض النظر عن أسباب هجمات الحادي عشر من سبتمبر ولكن دعونا نذّكر بأحداث أفغانستان والعراق فهل يشك عاقل بأن مايحدث في العراق سيكون له آثاره السلبية المدمرة على الدول التي شنت هذه الحرب وأوغلت في قتل المدنيين فلماذا لاتكون أحداث لندن هي إنتقاماً لمايجري في العراق أو أفغانستان ولماذا لاتكون هي ردود فعل لسياسات خاطئة ضد الشعوب الفقيرة والمستضعفة , ولماذا لاتكون إنفجارات بالي هي إنتقاماً من رعايا أستراليا مثلاً لما فعلته في إنضمامها لقوات التحالف وإنتقاماً أيضاً لما حصل ويحصل للمسلمين في كل مكان .

إن التنظيمات الإسلامية تطورت أيضاً مع التطورات الجارية في كل مكان فجعلت نفسها هدفاً أكثر صعوبة لأجهزة المخابرات التي تلاحقها فكما الحرباء تستطيع أن تغير لون بشرتها عند إستشعارها الخطر فكذلك كل من يستشعر خطر قادم وفي نفس الوقت لابد أن تخطط لصد هجمات محتملة أو لتنفيذ هجمات لتحقيق أهدافها وخصوصاً أن تجد لنفسها مايبرر الهجمات على الملاهي الليلية كمراكز لاتقبل بها الأخلاق السليمة سواء في الشرق أو في الغرب .

ولاسيما أن شن الهجمات على المنشآت العسكرية أصبح أكثر صعوبة بعد النجاح الذي تحقق على هذا الصعيد ولهذا بدأت تختار هذه الجماعات الأهداف "السهلة" ضد المدنيين من رعايا الدول الغربية في منطقة آسيا وكانت الوسيلة التي استخدمها المتشددون الاسلاميون في الغالب هي الهجمات الانتحارية وهي سلاح يثير القلق في آسيا على نحو خاص حيث لم يكن مثل هذا الاسلوب معروفا فيها من قبل.

وإن كان هذا هو أسلوب الضعفاء إلا أن بعض الجهات تستغل هذا الأسلوب الرخيص بأسلوب أكثر رخصاً وسذاجة بأن تتعلق بالحرب على الإرهاب لتستغلها في القضاء على

معارضيها لتشدد من قبضتها على السلطة , ولهذا ينبغي أن يترفع الطرفان المتنازعان ويحاولوا بحث الأسباب الحقيقية وحل المشكلات بصوت العقل لا التركيز على الحلول العسكرية فقد يكون للإرهاب أسباب سياسية وإجتماعية وأخلاقية ودينية فأبحثوا عن الحلول التي تتناسب وكل سبب فقد يكون مخرجاً للإجابة على سؤال متى ينتهي إرهاب المنتجعات ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 17-10-2005م

27 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة الثامنة)

في "الحلقة السابعة" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ ذكرنا بعض المعلومات ، ويمكن تلخيصها في مايلي : الإطار الإقليمي والإداري والفضاء الذي يتحرك فيه السكان , قلة عدد السكان والأعراق والهويات المختلفة والموقع الإستراتيجي , الأخطاء التي أرتكبت بحق سكان المنطقة بفعل تطبيق السياسات الإستعمارية , تأثير جذور الحقبة العثمانية على المنطقة والضغوط الإنجليزية عليها , النزعة العرقية ومؤشراتها الديموغرافية من منظور تاريخي , التيارات المختلفة التي قامت عليها الهجرة والنمو السكاني والفئات التي تكون منها المجتمع في شبه جزيرة سيناء , القوانين التي لاتخدم العدالة الإنسانية بين التوليفة السكانية , دور سكان المنطقة في التجارة البينية بين طرفي الحدود , منطقة العريش وأثرها على الفلسطينيين وتأثرها بهم , إعادة سيناء وأثر إتفاقية السلام السلبي على مجمل الأوضاع , الضغوط الإسرائيلية وأثرها السلبي على أبناء المنطقة وتكوين الحاضنات لتفريخ الجماعات الإرهابية , تهريب الأسلحة والمخدرات وغيرها كنتيجة للقيود المفروضة على أبناء المنطقة .

وفي "الحلقة الثامنة" سنحرر العقل من قيوده ومن المنهجية التي يتبعها في الكتابة عله يبدع بين السطور مايفيد القاريء الذي يريد أن يدرس هذه المنطقة بل هذا الجزء المهم من العالم .

وعندما فكرنا في الكتابة عن الإرهاب في سيناء بعد التداعيات الخطيرة التي نتجت عن التفجيرات في طابا وشرم الشيخ وبداية أزمة جديدة ألقت بظلالها على المنطقة جعلتنا نذهل من هول الصدمة التي أصابت الجميع الأمر الذي دعانا أن نفكر في الأسباب التي أدت الى مثل تلك الأعمال التي لن تكون الأخيرة لأننا نتعامل مع المستقبل والمجهول فالماضي محسوم أمره أما المستقبل فأحداثه حبلى بالكثير من التطورات ولاسيما أن تاريخ المنطقة جعل العلماء يؤكدون تصنيفها على إنها منطقة حروب مستمرة .

ولهذا عندما نحاول أن نتخذ طريقة منهجية في الكتابة عن المنطقة تتداعى الأحداث وتؤثر في الذاكرة المؤقتة الأمر الذي يجعلنا نتفاعل مع أي خبر له علاقة بالمنطقة وبموضوع هذه

الحلقات ليتم الحديث عنه أثناء الكتابة , ففي وقت لاحق أعلن الجنرال أهارون زئيفي فركش رئيس الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية عبر وسائل الإعلام المختلفة عن قيام تنظيم شبكة القاعدة بإقامة قاعدة لها في شبه جزيرة سيناء وهذه التصريحات أدلى بها أمام الحكومة الإسرائيلية مكرراً القول بأن الحكومة المصرية على علم بوجود مثل هذه القاعدة التابعة لشبكة أسامة بن لادن على أراضيها وحاولت تفكيكها .

ولم يكتفي بهذا فقط وإنما حاول أن يعقب عليه بالقول أن الحكومة المصرية تفضل أن تتوخى الحذر لأنها تخشى مواجهة مع القاعدة يمكن أن تؤدي الى موجة إعتداءات في مصر ويستمر في تصريحاته بأن هذه القاعدة كانت محمية بشبكة الغام وبيت القصيد من هذه التصريحات التركيز على أن ناشطي القاعدة تمكنوا من التسلل الى قطاع غزة وإقامة قاعدة لهم في مدينة غزة .

ولكن على الطرف الآخر هناك نفي من جانب الحكومة المصرية للتصريحات التي أدلى بها رئيس الإستخبارات الإسرائيلية وقالت هذه المصادر أنه لايوجد أي تنظيم في سيناء لشبكة القاعدة وأضاف المصدر ذاته أن الحكومة المصرية إستبعدت أي علاقة لمنفذي تفجيرات سيناء بالقاعدة .

ومن هنا تبرز عدة تناقضات ولابد من تحليل معمق لها حتى يتم التعرف على الفاعل الحقيقي لمثل تلك التفجيرات فإذا تم إكتشاف أن تنظيم القاعدة وراء تلك التفجيرات فإن ذلك يؤدي الى إستنتاج مهم للغاية هو نجاح القاعدة من خلال الإنجازات التي تحققت وبالتالي يستطيع تنظيم القاعدة وزعماءه أن يبرهنوا على أنهم الوحيدون الذين يتصدون للإرهاب الإسرائيلي الرسمي وهو بمثابة إنتقام لضحايا الإرهاب الإسرائيلي من الفلسطينيين العزل .

ولاسيما أن العلاقات الودية بين الحكومة الإسرائيلية والحكومية المصرية بعد إتفاقيات كامب ديفيد والتطبيع مع إسرائيل قد أفرز نتائج خطيرة على مستقبل القضية العربية وزادت عدد الأطراف التي تزايد على حراج التقسيم والتطبيع وكأنما الكل يرغب في المضاربات على إعتبار

أن القضية هي سوق للأسهم والسندات من يدخل في الإستثمار فيها يحقق مكاسب مادية كبيرة وعلى حساب الفلسطينيين والأقصى .

إنهم ضحايا العلاقات العربية الإسرائيلية التي تنمو بشكل مضطرد وسمحت لأكثر من أربعين ألف إسرائيلي أن يتواجدوا في فترة قصيرة من الزمن ليحتفلوا بعيد المظلة الإسرائيلي في طابا والمناطق السياحية في شبه جزيرة سيناء وهنا نؤكد فرضية تقول إذا أقدمت بعض الدول العربية على إقامة علاقات دبلوماسية قسرية مع إسرائيل وبدأت الوفود السياحية الإسرائيلية لزيارة مناطق تعتبر تاريخية بالنسبة لهم فإن الأمر سيتكرر بعمل إرهابي جديد لن يقل بشاعة عن الأعمال التي حدثت وراح ضحيتها الكثير من الأبرياء سواء كانوا عرب أم يهود أم أجانب , وبالتالي يستطيع تنظيم شبكة القاعدة القول أنه لايفل الإرهاب إلا الإرهاب .

ولم يتأكد رسميا بأن تنظيم القاعدة يقف خلف هذه العمليات ولكن من المرجح أن نربط بين هذه العمليات والعمليات التي تأكد رسمياً بأن القاعدة كانت وراء تنفيذها وخصوصاً بعد الإنتقادات التي وجهت لتنظيم القاعدة بأنه يذهب الى مهاجمة أهداف غير ذات أهمية وفي أطراف العالم الإسلامي ، ويبتعد كليا عن مهاجمة اهداف اسرائيلية.

الأمر الذي غير من إستراتيجية التنظيم وظهر ذلك جلياً بعد تأكيد الدكتور أيمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة الذي بثته قناة الجزيرة مؤخراً يؤكد استراتيجية التنظيم الجديدة، أي التركيز علي أهداف اسرائيلية، عندما طالب شباب الامة بالتحرك للتصدي للإرهاب الاسرائيلي، والإقدام علي ضربات استباقية للانظمة واعداد العرب حتي لا يفاجأوا باحتلال بلادهم، مثلما حدث في العراق وافغانستان.

وهو يريد في الوقت نفسه بأن يعزز شعبيته في أوساط ملايين المحبطين في الوطن العربي من عجز الانظمة العربية الرسمية ورضوخها للاذلال الامريكي ـ الاسرائيلي في فلسطين والعراق وهناك بعض الدلائل التي تشير الى نتائج إيجابية تحققت لتنظيم القاعدة وكذلك نتائج إيجابية تحققت لإسرائيل ولاسيما بعد الإجتماعات التي عقدها وزير خارجية إسرائيل مع العديد من وزراء خارجية بعض الدول العربية والإسلامية .

ومن نتائج تحليل أحداث تفجيرات طابا هناك دروس مستفادة تؤكد على أن حرب الابادة التي تشنها حكومة شارون ضد الشعب الفلسطيني بدأت تعطي نتائج عكسية تماما، فالفلسطينيون الذين ابتعدوا دائما، رسميون او مواطنون عاديون، عن تنظيم القاعدة، لم يحزنوا مطلقا لعمليته الاخيرة في طابا ولم يتعاطفوا مطلقا مع ضحاياها، لان غالبية الاسرائيليين لم تتعاطف مع ضحاياهم الذين سقطوا ويسقطون يوميا برصاص الطائرات والدبابات الاسرائيلية.

وعندما نقوم بتحليل لما جاء أعلاه من كلام رئيس الإستخبارات الإسرائيلي عن وجود تنظيم جديد للقاعدة في غزة فهل هذا يعني أن الحكومة الاسرائيلية التي رفضت التفاوض مع جهات فلسطينية متعددة باعتبارها ارهابية متطرفة حسب تصنيفها، بات عليها ان تتعامل الان مع تنظيم القاعدة الاكثر تطرفا، واحتمالات تزايد عناصره من خلال القاعدة الجديدة له في غزة .

وبعد الحرب على العراق وتزايد وتيرة الأعمال الإرهابية في العديد من الدول العربية ومنها تفجيرات طابا وشرم الشيخ يمكن القول بأن المنطقة العربية باتت تسبح في بحر من الفوضي الدموية، وتتحمل إسرائيل والدول الغربية بما فيها أمريكا وبعض الانظمة العربية مسؤولية هذا الوضع ، ولأسباب متعددة ولكن المخرج له مسار واحد للخروج من دائرة العنف المرعبة وهو الاصلاحات، والاستماع الي أنين المواطنين، ومطالبهم العادلة والمشروعة في تعايش وسلام حقيقيين يقومان علي العدالة والمساواة وإنهاء الإحتلال في المنطقة برمتها .

وبدلاً من التفكير في بناء جدار أمني أحدهما في إسرائيل والآخر في طابا لمنع هجمات إرهابية محتملة فكأنما نعود الى القرون الأولى من حيث التفكير عندما شرعت الصين في بناء سور الصين العظيم وتلتها ألمانيا في بناء جدار برلين ولحقت بركبهما إسرائيل وبنت خط بارليف الذي تحطم تحت أقدام المقاتلين المصريين في معركة العاشر من رمضان وتريد الحكومة المصرية أن تلحق بالركب حسب ما أوردته الأنباء مؤخراً لبناء جدار أمني حول منتجع شرم الشيخ السياحي قد يليها جدر أخرى حول المنتجعات السياحية الأخرى لتجنب وقوع هجمات مشابهة لتلك التي شهدتها منتجعات شرم الشيخ في يوليو/تموز عام 2005م .

والهدف من بناء الجدار هو منع السيارات من دخول المنطقة السياحية من أماكن أخرى غير النقاط الأربع المحددة، وذلك من أجل تجنب هجمات محتملة , ويبلغ طول الجدار الذي انطلق بناؤه 10 كلم وارتفاعه 1.5م , وتقدر تكاليف البناء بنحو 3.5 ملايين دولار , وكانت ردود الأفعال الأولية حول الجدار هناك من تساءل "ما الفرق بين حكومة مصر وبين حكومة شارون التي أقامت جدارا عازلا لمنع المقاومة الفلسطينية".

والرد الآخر قال أن "تصرف الحكومة الغريب سيخلق جدارا نفسيا عازلا بين الحكومة ومواطنيها في جنوب سيناء أعلى من الجدار الذي تحاول بناءه ولن يحقق أمنا ولن يمنع إرهابا" , الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى المزيد من القراءة والتحليل لندرك الإجابة على سؤال : هو مازال ماثل أمامنا : الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟

صحيفة إيلاف الإلكترونية 19-10-2005م

28 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة التاسعة)

في "الحلقة الثامنة" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ ذكرنا بعض المعلومات ، ويمكن تلخيصها في مايلي : الأعمال الإرهابية في سيناء لن تكون الأخيرة , تنظيم شبكة القاعدة في سيناء وخشية مصر من المواجهة , ناشطي القاعدة تمكنوا من إقامة قاعدة لهم في غزة , مصادر مصرية تستبعد أي علاقة لمنفذي تفجيرات سيناء بالقاعدة , إتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل وأثرها على تفجيرات سيناء , العلاقات القسرية مع إسرائيل وإحتمالات وقوع هجمات مماثلة , إستراتيجية تنظيم القاعدة الجديدة , الدروس المستفادة من أحداث تفجيرات سيناء , الجدار الأمني في شرم الشيخ هل سيمنع هجمات جديدة والدروس التاريخية من بناء الجدر , الجدار النفسي العازل بين الحكومة ومواطنيها في سيناء .

وفي "الحلقة التاسعة" سنبحر في أفكار وخيال وأحلام إسرائيلية وعربية وأحلام قادة الجماعات المتطرفة حول سيناء التي تعتبر حجر زاوية مهم في مستقبل المنطقة العربية عموماً ومستقبل أبناءها ومستقبل اليهود أيضاً وماسوف يفيد القاريء الباحث عن الحقيقة وهو يدرس كل مايتعلق بهذا الجزء المهم من العالم .

فأحلام وزير الإسكان الإسرائيلي الذي يأمل ويتمنى أن تقوم مصر بتأجير جزء من شبه جزيرة سيناء للفلسطينيين, حتى يقيموا دولة متصلة جغرافيا تبدأ في غزة وتنتهي في سيناء!.

ولن ننتهي بالقول أن ذلك ضرب من الخيال قبل أن نضعه محل بحث ونقاش وتأمل لأن دروس التاريخ مع إسرائيل تعلمنا أن كل شيء تحقق لإسرائيل من خلال حلم قادتها وزعماءها فالحلم يتحول الى هدف والهدف يتحول الى حقيقة بالتخطيط والعمل الدؤوب ولو على مراحل فيتحقق جزء ومن يتابع المسيرة ينجز الباقي , فإسرائيل نفسها كانت حلم هرتزل اليهودي النمساوي وأصبحت حقيقة لاينكرها إلا جاهل بل قوة مؤثرة في المنطقة وفي العالم بل وستكون هي بداية نهاية الكون .

والأمثلة على ذلك كثيرة ففي بداية الستينات كانت عشوائية القادة العرب تقول عن اليهود في البحر سوف نرميهم واليوم هناك من يعيش هذه العقلية في إيران الذي صرح مؤخراً لمحو

إسرائيل من الخارطة ومازالت الوجبة العراقية ساخنة لم تبرد كعقاب لصدام عندما قال سنضربهم بالمزدوج .

ولنبدأ بدائرة إسرائيل الأوسع وما يحيط بها من دول جوار حاربت وتصالحت, تخاصمت وتعاهدت, قدمت التضحيات في صراع طويل ثم قدمت يدها لتصافح إسرائيل وتوقع على إتفاقيات سلام .

وعندما يحلم وزير الإسكان الإسرائيلي فإنه يريد أن يتخلص من عقدة المقاومة الفلسطينية وعقدة تفجيرات طابا وشرم الشيخ التي أعادت إسرائيل الى المربع الأول وهي القضية الأمنية ولحماية الأراضي العربية المحتلة والحيلولة دون إعادتها الى أصحابها وإن إكتسبتها إسرائيل بتشريع دولي عام 1948م من خلال قرار التقسيم ولكن التشريع الأهم جاء بعد إنتصارات خمس حروب بدأت بحرب عام 1948م وحرب عام 1956م وحرب عام 1967م وحرب عام 1973م وإنتهت بحرب لبنان عام 1982م ناهيك عن المواجهات الكثيرة وعبر الحدود وبمختلف الأسلحة التي لم تتوقف مصانع إنتاجها وبيعها لتأجيج الصراعات بين الدول والجماعات .

إن عقدة الموقف بدايته فهذه بداية العوامل التي تحكم علاقات إسرائيل بدول الجوار ويمكن تلخيصها في ثلاثة عوامل جوهرية وهي أطماع إسرائيل في الأرض وكيفية الإحتفاظ بها , قضية السكان وكيفية إستقطابها وزيادتها , قضية الموارد وكيفية توزيعها وإستثمارها لتحقيق الرخاء لشعبها , وهذه العوامل مبنية على إستراتيجية توازن القوة والسيطرة الإسرائيلية المدعومة أمريكياً وغربياً وعربياً وعالمياً .

وإسرائيل مرتبطة بسيناء قديماً وحديثاً إبتداء بقصة الخروج والتيه التي ذهبت مع التاريخ ولكنها مازالت ماثلة أمام من يدرس التاريخ ويريد أن يحقق لإسرائيل أطماعها التوسعية إبتداء من قصة البحث عن دولة وكانت سيناء مرشحة لذلك في المشروعات الصهيونية ثم زحف الحلم شرقاً إلى فلسطين حيث التراث اليهودي وقصة البحث عن الهيكل المزعوم .

ورمال سيناء تشهد على الحروب الثلاث بين إسرائيل والعرب في العصر الحديث وإن كانت قد تواجدت في سيناء لمدة ست سنوات إستغلت فيها ثروات الأرض البترولية وغيرها , وأقامت مستوطنة (ياميت) وحاولت الاحتفاظ بها لكنها اضطرت ووفقاً للمعاهدة المصرية - الإسرائيلية إلى أن تزيلها وتنسفها قبل أن تنسحب , ثم حاولت أن تحتفظ بطابا وفشلت في ذلك عندما صدر ضدها قرار التحكيم الدولي ولكنها استطاعت - وعبر المعاهدة أن تضع ترتيبات أمنية لسيناء بحيث لا تكون مجالاً لحرب جديدة تهددها إلا أن وعد الله بالنصر للمؤمنين سيقوض تلك الترتيبات الأمنية .

ما الذي تريده "إسرائيل" إذن من سيناء والذي تعبر عنه تصريحات وزير الإسكان وغيره ؟ وماهي قصة إجتماعات وزير الدفاع الإسرائيلي والقيادات المصرية ؟ وماهي قصة المبادرة المصرية حول المعابر ؟ وماهي قصة حرس الحدود المصريين وعلاقاتهم في حماية حدود إسرائيل ؟ وماهي حقيقة الزيارات المكوكية التي يقوم بها الوزير عمر سليمان ؟ وماهي حقيقة أهداف إسرائيل تجاه سيناء ؟ وهل إعادة إحتلالها هدف مطلوب يمكن تحقيقه في المدى المنظور أم هناك مخططات على المدى البعيد ؟ وماهي أولويات إسرائيل في هذه المرحلة من تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ؟

أسئلة يصعب الإجابة عليها في عجالة دون الربط بين الكثير من العناصر المختلفة فالأولوية في "إسرائيل" أن تستقر أحوال الداخل ويتوقف الصراع مع الفلسطينيين, لا أن تفتح جبهة جديدة, ومع أكبر دولة عربية.

وقضية التوسع في الأرض محفوفة بالمخاطر ولا تشكل عنصر ضغط والزيادة السكانية والديموغرافية غير متحققة, و"إسرائيل" تبحث عن سكان وليس عن أراض جديدة تحتلها والدول العربية لاتبحث عن سكان لتطوير أراضيها وإعمارها بل تعمل على تهجير الفلسطينيين المقيمين على أراضيها بحجة عدم ذوبان الهوية الفلسطينية التي سيصبح أهلها من فئة "البدون" إلا من هاجر الى الغرب وأصبح غربياً أو بقي في إسرائيل وأصبح إسرائيلياً ولكن لن يعود عربياً لأنه محروم من الجنسية العربية طبقاً لقوانين الجنسية المتشددة .

في نفس الوقت فإن ما قد يحرك "إسرائيل" -وكما قلت هي قضية السكان وقضية الموارد وبالتالي ينصب الإهتمام على الموارد أولاً لتشجيع السكان للهجرة الى إسرائيل أرض الميعاد والتي نسميها أرض المحشر والمنشر ولانعمل على ذلك أما إسرائيل فتعمل جاهدة لتحقيق حلم أرض الميعاد وعليه يخطر على بالنا السؤال التالي هل تصلح سيناء لإشباع ما تحتاجه "إسرائيل" من نفط أو مياه أو ثروات أخرى؟ وماذا يريد الوزير الإسرائيلي, أو غيره ممن يرددون الحديث عن سيناء إذن ؟

عند هذه الجزئية ينبغي أن نتوقف قليلاً لننظر ماذا يعمل شارون وماهي السياسة التي يتبعها ؟ ولاسيما أنه ينوي إقامة حزب جديد إسمه حزب كاديما , إنه يريد إستكمال سياسة الإبادة لكل ماهو كائن حي ليقتل البشر ويقطع الشجر ويدمر الحجر وينسف البيوت , لعل وعسى أن يكون ذلك كافياً - من وجهة نظره- للحصول على جائزة نوبل للسلام بعد أن يكون قد تمكن من تهجير الفلسطينيين طوعاً أو كرهاً من بلادهم للخارج .

بعد ذلك تأتي قصة دول الجوار, فهل يذهبون الى لبنان أم الى الأردن أم الى التيه في سيناء كما تاه اليهود فيها من قبل وكثيراً مانسمع عن رفض أي مخططات من هذا النوع قولاً وليس عملاً , أم يذهبون الى مصر , أم يذهبون الى العراق حيث يجري التخطيط للتوطين الواسع لهم - كما تدعو الدراسات - في الهضبة الوسطى العراقية التي تعاني ندرة سكانية نسبية أو إلى الشمال العراقي حيث هاجر اليهود قديماً ؟.

الآن , تقف "إسرائيل" على الحدود عاجزة حتى أن ترسل سياحها الى سيناء الذين ارتادوها كثيراً, وعاجزة عن تشغيل المنفذ المؤدي الى مصر في سيناء بعد إنسحابها تحت مسمى إعادة إنتشار أوعبر ميناء إيلات حيث لعب العامل الأمني وكراهية العرب للإسرائيليين الدور البارز في طرد السياح الإسرائيليين من شبه جزيرة سيناء .

لهذا جاء بيان قيادة وحدة مكافحة الارهاب التابعة لمكتب رئيس الوزراء أرييل شارون بمطالبة السياح الاسرائيليين بمغادرة سيناء لأنهم مهددين من ثلاثة منظمات: خلايا القاعدة , وخلايا مرتبطة بمنظمات فلسطينية , وخلايا محلية تابعة لاسلاميين مصريين يجندون عناصرهم بين بدو سيناء حسب البيان الإسرائيلي .

الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى المزيد من القراءة والتحليل لندرك الإجابة على سؤال : هو مازال ماثل أمامنا : الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟

صحيفة إيلاف الالكترونية 08-12-2005م

29 أحداث العنف في فرنسا(الحلقة الأولى)

عندما قررت الكتابة عن أحداث العنف الجارية حالياً في فرنسا بلغت بي الحيرة مبلغاً فمن أين أبدأ فالعلاقات متشابكة وحساسة ولهذا لن أستطيع إعطاء الموضوع حقه من التغطية إلا إذا تطرقت الى عدة أمور وإنني على يقين بأن العناصر التي سأقوم بتليخصها ستكون ناقصة كأي عمل بشري ولكن ستسلط الضوء على الموضوع بشكل على الأقل أراه مقبول من وجهة نظري .

ويمكن تلخيص تلك العناصر بما يلي : السياسيون , أسباب الهجرة , إنتفاضة الجائعين أو الفقراء , جرس إنذار , أحداث سبتمبر , الفشل في إنتهاج التعددية العرقية والثقافية , آثار إيجابية , آثار سلبية , المرجعيات الدينية والثقافية , الحرب على الفقر بدلاً من الحرب على الإرهاب , توجهات وسياسات , إستراتيجيات الإندماج , نتائج متوقعة .

وكل عنصر من العناصر السالفة الذكر يندرج تحته العديد من النقاط وهي التي ستعطي إنطباعات متابع للأحداث من بعيد ومن خلال نشرات الأخبار وتصريحات بعض المسؤولين وتعليقات النقاد من مختلف التخصصات والإتجاهات ونأمل أن نعطي القاريء فائدة وهي الهدف من وراء تلك الكتابات التي تحظى بإهتمامي على أقل تقدير .

السياسيون

تجاهلوا الحقائق على الأرض وهناك العديد من الأحياء داخل المدن تعاني من الفقر الشديد ولكن الإرادة السياسية للقادة الفرنسيين اهتمت بنشر مظاهر التحضر وكل أسباب النجاح في العاصمة والمدن الرئيسية فقط أما المناطق الأخرى فلم تحظ بإهتمامهم ، وأدى هذا الفقر الى إنتقاله من جيل الى جيل وبالتالي برز الجيل الثاني من أبناء المهاجرين الفقراء وغير المتعلمين في عقد الثمانينات ومعه كل التراكمات السلبية حتى إنفجر الوضع وحدثت الأزمة .

كما أن هناك العديد من السياسيين نشروا مزيداً من الحقد والكراهية مثل الأحزاب اليمينية المتطرفة وطالبوا بمزيد من التشريعات التي تحد من الهجرة والتهجير والترحيل مما أدى الى إحتقان الوضع ومن ثم يكون أكثر قابلية للإنفجار .

وبحجة الحرب على الإرهاب بدأت بعض الأطراف السياسية بالمطالبة بإصدار قوانين جديدة ضد الإرهاب وربما إنتقلت العدوى من بريطانيا بعد أحداث تفجيرات قطارات الأنفاق في يوليو الماضي الأمر الذي جعل الحكومة أن تتحفز وتستعد لمنع حدوث عمليات إرهابية داخل فرنسا ولاسيما أن التقارير الإستخبارية كانت تتوقع دائما عملاً إرهابياً على غرار الأعمال في أسبانيا وبريطانيا وبدأت تناقش سن قوانين لحماية فرنسا من آثار الإرهاب المدمرة .

كما نشط السياسيون من خلال وسائل الإعلام الغربية في الربط بين الإرهاب والإسلام وهو الذي جعل فرنسا تنادي بالإسلام الفرنسي ظناً منها أن الإسلام يمكن أقلمته بما يناسب كل إقليم أو دولة على حده , ولاشك أن فرنسا قامت بحملة واسعة بعد إصدار قانون منع الحجاب في المدارس ومنع أي مظاهر دينية كالقلنسوة اليهودية أو الشارة الهندية أو أي علامات دينية غير المسيحية متمثلة في الصليب أو الزي الخاص بالقساوسة والرهبان .

ومن أجل تعزيز مواقف السياسيين الإنتخابية ظهرت بعض الأطراف للحصول على أصوات أحزاب اليمين المتطرف بتصريحات وصفت سكان الأحياء الفقيرة بالحثالة ولهذا حذرت شخصيات إسلامية بارزة من توظيف أعمال العنف في الضواحي الفرنسية ومن ثم تدخلات المؤسسات الإسلامية كورقة انتخابية لصالح الأجنحة المتنافسة في السباق الرئاسي , كما حذرت بعض الشخصيات الإسلامية من توزع الولاءات بين المرشحين للإنتخابات القادمة .

وعند بداية الأزمة طالب بعض الوزراء التصدي لأعمال العنف بقوة دون العمل على إمتصاص موجة الغضب والعنف وبدلاً من إستقالة وزير الداخلية والتضحية بوزير سياسياً ركبت الحكومة رأسها وإستمرت في الإعتقال والمداهمة وفرض حظر التجول دون دراسة أسباب موجة العنف وبدأت تطلق تحذيرات ضد المهاجرين لدرجة أن أعمال العنف تزايدت

وشملت مدن أخرى حتى تم إقرار قانون الطواريء الذي عمل به في الخمسينات من القرن الماضي ولكن لمدة محدودة وليس كبعض الدول العربية التي عملت به أكثر من ربع قرن .

ومنذ بداية الأحداث لم يظهر زعيم ذو كاريزما يستطيع أن يخفف من حدة الشعور بالغضب لدى الجماهير التي ملت من المظاهرات التي لم تكن تعطي نتائج إيجابية فأخذت على عاتقها نوع من الإنتفاضة الشعبية العارمة بين صفوف الفقراء والمهاجرين , كما لم يقف وزير أو رئيس وزراء بإقرار التقصير في معالجة الفقر إلا بعد أن تطورت الأزمة لدرجة يصعب معها السيطرة حيث ان السيطرة في بداية الأزمة أسهل من السيطرة بعد إستفحال أعمال الشغب .

أما السياسيون الذين طالبوا بمعاقبة الخارجين عن القانون تبنوا عبارات في ظاهرها الرحمة ومن باطنها سوء العذاب وهي عبارات حق أريد بها باطل , ففرنسا تعتبر من الدول المتقدمة ودولة القانون والديموقراطية من خلال صناديق الإقتراع والتي تنادي بمباديء العدل والمساواة والحرية في كل مكان.

الهجرة والمهاجرين

تحظى فرنسا بعدد كبير من المهاجرين ومنذ عقود حتى أصبح الجيل الثاني والثالث لايعرف له لغة غير الفرنسية ولاثقافة غيرها حتى وإن كان يؤمن بديانات مختلفة ومن أهم أسباب الهجرة تعرض المهاجر الى الفقر في بلاده فيلجأ الى الهجرة لعله يجد فيها عملاً يقتات به أو قد يفر من الأنظمة القمعية في بلاده فيرى في النظام الغربي نوع من الحرية والديموقراطية فيستقر فيها على إعتبار أنها الجنة الموعودة فيقبل الذل والهوان على اساس أن شيء أفضل من لاشيء ويبقى يكدح ويعمل لتوفير لقمة العيش الكريم له ولأسرته .

ولكن ليس كل المهاجرين ممن يبحثون عن عمل أومضطهدين في بلادهم ولكن منهم أيضاً من يهاجر هرباً من السلطات التي تبحث عنه لأنه من أصحاب السوابق أو من إرتكب جريمة ويريد أن يختفي بعيداً عن مسرح الجريمة , ولم يكن يعلم أن الهجرة لابد أن يتوفر لديه الإستعداد النفسي للإندماج في المجتمع الجديد سواء كان من الأخيار أو من الأغيار ,

ويقبل في المجتمع بكل إيجابياته وسلبياته ويستقر فيه أو يفكر في العودة الى بلده الأصلي إذا لم يستطع الإندماج والتأقلم مع المجتمع الجديد ومن ثم إرتكاب جرائم جديدة بحق من آواه وإحتضنه .

إنتفاضة الفقراء أو الجائعين

هذا هو الإسم الذي أطلق على مثيري أعمال الشغب في الضواحي والمدن الفرنسية ومعروف أن من قام بهذه الأعمال هم الشباب من الجيل الثالث والرابع أي بحكم القانون من المواطنين ولكن هؤلاء المواطنين تجمعهم أكثر من صفة وهي الفقر والجوع والبطالة والعزلة عن المجتمع الفرنسي الذي ولدوا وترعرعوا فيه ولكن لم يستطيعوا الإندماج الكامل فيه إما بسبب تمسكه بعادات الآباء والأجداد ومعظمهم من العرب وغالبيتهم من المغرب العربي التي كانت مستعمرات فرنسية سابقة أو من الدول العربية الفقيرة وإن كان منهم أفارقة غير عرب ومن أصول أخرى سواء إسلامية وغير إسلامية ولم تأخذ تلك الأحداث الطابع الديني لتكون فتنة طائفية بالمعنى الدقيق .

ومن أسباب عدم إندماجه الكامل هو تغاضي وتراخي السلطات الفرنسية عن الوعود التي كانت قد قطعتها على نفسها فبلغ السيل الزبى أو كما يقال القشة التي قصمت ظهر البعير فلم توفر لهم السكن المناسب والعمل المناسب ولم تتبنى إستراتيجيات الدمج في المجتمع الفرنسي من خلال بعض الأنشطة الرياضية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية وحتى السياسية , كما لم تقوم بتحسين المستوى المعيشي لهؤلاء الفقراء وكان من مواقفها اللامبالاة والتجاهل التام .

ومن يحاول أن يدرس الظاهرة ومن يقف وراء الأحداث فقد يكون قريباً من معرفة السبب الحقيقي وقد يشطط في القول ولاسيما أن الأحداث مازالت مشتعلة ولم يتمكن العديد من صناع القرار والباحثين من معرفة الأسباب الحقيقية وتبقى كل الأطروحات في هذا المجال من باب التوقعات والتكهنات , فقد يكون الفقر هو السبب وقد تكون التصريحات العنصرية من

بعض الوزراء وقد تكون هناك جهات خارجية تعمل على إذكاء الفتنة وإشعالها كما صرح بذلك المدعي العام الفرنسي إيف بوت فإعتبر أن أعمال العنف كانت منظمة دون أن يوضح الجهة التي تقف وراءها .

وهناك من تجرأ القول وإعتبر أن أمريكا وراء تلك الأحداث وبسبب الخلاف الفرنسي الذي ظهر الى العلن أعقاب الحرب الأمريكية على العراق , وهناك من قال أن إسرائيل هي التي تقف وراء تلك الأحداث بسبب الخلاف الفرنسي الإسرائيلي أعقاب تصريحات شارون بدعوة يهود فرنسا بالعودة الى إسرائيل وفي أسرع وقت ممكن , والبعض يتهم القاعدة وخصوصاً من التصريحات التي كان يدلي بها زعماء التنظيم وهددوا وتوعدوا العديد من الدول وقد تكون هناك أسباب أخرى جديدة أو مجموعة من الأسباب السالفة الذكر .

ويخشى العديد من الخبراء أن تنتقل حمى الأحداث الى الدول الأوروبية المجاورة وإن بدت بوادر ذلك تظهر في أكثر من دولة أوروبية كما يخشى أيضاً من أن تنتقل العدوى الى سكان المخيمات الفلسطينية في كل من سوريا ولبنان والأردن على إعتبار أنها تعاني نفس الظروف وتتوفر لها نفس المعطيات وتلبية لدعوات تقول يافقراء العالم إتحدوا لأن المصائب تجمعن المصابينا , وسوف نستكمل في مقال آخر باقي العناصر التي تحدثنا عنها في مقدمة المقال .

صحيفة الحقائق اللندنية 10-11-2005م

30 أحداث العنف في فرنسا (الحلقة الثانية)

في هذه الحلقة من أحداث العنف في فرنسا نتابع ماقدمناه في الحلقة السابقة لنعطي الموضوع مايستحق من ذكر العوامل التي لها علاقة بالأحداث سواء بشكل مباشر أو غير مباشر وسنبدا بالعناصر التالية :

جرس إنذار

إن من فضل الله على الناس أنه يجعلهم يستقوا الدروس والعبر من أنفسهم ومن غيرهم ليتعلموا من تجاربهم وتجارب الآخرين لتكون وقاية لهم من أحداث قد تكون أكبر مستقبلاً وأيضاً وقاية لباقي دول العالم لمن يريد أن يعتبر فهي تجربة يجب أن تأخذها الحكومات بعين الإعتبار بالدرس والتحليل وأخذ العظة من تلك التجربة المريرة .

ومن باب أولى أن تأخذ العبرة من هذا الدرس هي الحكومة الفرنسية وأن تعيد حساباتها وقرراتها وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي هل فرنسا كانت أفضل الموجود بالنسبة لمثيري الشغب فيها ؟ أم أن هناك قصور يجب عليها تلافيه ؟ وهل الحكومة الفرنسية تتحمل المسؤولية عن الأحداث ؟ وإن كانت المسؤولية مشتركة بين الفاعل والمفعول به والمحرض على أعمال العنف وتصريحات بعض المسئولين .

وعبر عن ذلك رومانو برودي رئيس المفوضية الأوربية السابق في إطار مخاوفه من إنتقال موجة العنف الى الدول المجاورة حينما قال إن انتقال أعمال الشغب من فرنسا إلى الدول المجاورة ليس إلا مسألة وقت , أما في إيطاليا فقد إعتبر وزير الخارجية الإيطالي جان فرانكو فيني ، أن الوضع في ضواحي باريس "أخطر" من الوضع في إيطاليا، لأن هناك نزاعا اجتماعيا متأصلا في نزاع إثني .

على العموم فإن هذا الدرس ينبغي أن يتم إستيعابه وتجارب بعض الدول تفيد بعضها الآخر وهذه الظاهرة بحاجة الى مزيد من الدراسة والبحث وأن يشارك فيها العديد من الخبراء وصناع القرار وأن يعمل الجميع على تعديل القوانين التي تحد من إنتشار وتفشي هذه الظاهرة التي بدأت تتغلغل في المجتمعات حتى لاتؤدي في النهاية الى حروب أهلية.

أحداث سبتمبر

إنه من الصواب أن نربط بين أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م التي هزت العالم وغيرت مساره وبين مايحدث في كل دول العالم بعد هذا الحدث الكبير , لأن هذا الحدث أثار نقمة أمريكا ودول العالم الغربي ضد المسلمين وتلاها الحرب على أفغانستان ثم الحرب على العراق ثم الحرب على الإرهاب ثم الحملات الإعلامية ضد العديد من الدول الإسلامية ثم الخلاف الأممي في إنتزاع قرار بالحرب على العراق ثم الخلاف الفرنسي الأمريكي بشأن هذه الحرب ثم أحداث إرهابية في أسبانيا وفي بريطانيا وفي مصر والسعودية والمغرب وتركيا وأندونيسيا والعديد من دول العالم .

ومن الحملات الغربية المستمرة ضد الإسلام والمسلمين أثارت العديد ممن يحملون بذور الإنتقام وكأن العالم دخل في دوامة عنف وعنف مضاد وإن إختلفت الوسائل المستخدمة في هذا العنف كل على طريقته وبقدراته وإمكانياته وبدأت الإعتقالات والمطاردات والإعلانات عن مطلوبين في عمليات إرهابية وتعاون العديد من الجهات الإستخبارية للقبض على المطلوبين في جميع دول العالم , وإتخذت إجراءات إحترازية ومنها تأشيرات الدخول الى الدول المختلفة ونظام البصمات الإلكترونية المرتبط بالصورة .

الفشل في التعددية

رغم أن دول أوروبا أفضل بكثير من الدول العربية في تسهيل عملية الإندماج والتعايش السلمي بين المواطنين إلا أنه لا زال هناك قصوراً واضحاً في العديد من الدول الأوروبية وتم الإعتراف بهذه الأخطاء من قبل العديد من قادة الدول الغربية وبدأوا بالفعل في دراسة

وتطبيق عملية الإندماج وخصوصاً بعد صدور كتب عن صراع الحضارات وصراع الأديان ونهاية التاريخ وأقيمت المؤتمرات عن تسامح الأديان وصدرت عنها توصيات وبدأت بعض الدول في تعديل مناهجها الدراسية سعياً منها في كبح جماح الإرهاب والتخفيف من نقمة الغرب عليها .

وأقيمت العديد من المؤتمرات والإجتماعات الرسمية بين الدول للحد من الهجرة وإصدار قوانين تتلائم مع الطبيعة الديموغرافية لهذه الدول وعدلت قوانين الجنسية في عدد آخر من الدول كل ذلك من أجل الحد من تهميش الجماعات المهاجرة وإنخراطها في المجتمعات التي تؤوي إليها وبدأت بعض الدول تدرك معنى المساواة الكاملة بين البشر إلا أن البعض الآخر لازالت الأمور فيها تسير ببطء شديد لأن تغيير ثقافات المجتمعات تحتاج الى وقت كبير وتجارب دامية كالتي حدثت في فرنسا وقد سبقتها ألمانيا قبل عدة أعوام عندما ظهر النازيون الجدد أما بالنسبة لفرنسا فقد حذر الرئيس الفرنسي جاك شيراك من جماعات فرنسية عنصرية قبل عدة أشهر في بلاده إلا أنه لم يتمكن من تعديل القوانين وإصدار قوانين صارمة بهذا الشأن حتى إستفحلت المشكلة ثم إنفجر الوضع هناك .

ويطمع المهاجرون في المساواة الكاملة إلا أن بعض الكتاب والمثقفين لايؤمن بذلك ومن هنا تنشأ العنصرية بين البشر كما كانت العنصرية بين السود والبيض في أمريكا حتى صدرت قوانين بعد أحداث دامية منعت جميع أشكال التمييز العنصري وإستقر الوضع هناك .

وهناك بعض الأمور يصعب التحكم فيها مثل دمج الثقافات بين المجتمعات فهناك جماعات المهاجرين تجلب معها عاداتها وتقاليدها وثقافتها أيضاً وحتى يتم الإندماج تحتاج الى وقت طويل فهذه الجماعات تؤثر وتتأثر وذلك لأن سرعة إستجابة البشر للتغيير تختلف فيما بينهم . كما نجد أن التغيير يطال حتى الشكل المعماري فهناك في فرنسا وفي بعض الأحياء وكأنك في إحدى الدول المغاربية كما أن في بريطانيا في بعض الأحياء تجد نفسك وكأنك في الهند أو الباكستان مثلاً .

وتختلف طبيعة البشر من حيث إحترامها للنظام فمن أتى من دول لاتحترم النظام فإنه بطبيعته لن يحترم النظام إلا بعد أن يعتاد عليه أو يطبق بحقه هذا النظام فعندها يدرك مدى أهمية تطبيق النظام , ومما تقدم ندرك لماذا يكون هناك فشل في التعددية .

فكرة إنشاء مرجعيات دينية

بعض أصحاب القرار في فرنسا يدعم فكرة إنشاء مرجعيات دينية من أجل إحكام السيطرة عليها من خلال قادتها وزعماءها إلا أن الجماعات الأصولية إستغلت هذا الدعم لصالحها لقدرتها على تحريك الناس وإنقلب السحر على الساحر ولهذا السبب تحذر العديد من الجماعات الإسلامية من الإنحياز وراء الحملات الإنتخابية التي تحاول إكتساب التصويت في الإنتخابات لصالحها وإن كانت الحكومة إستفادت من ذلك الوضع قليلاً إلا أن تلك الجماعات إستفادت أكثر , ولازال الشد والجذب في مدى تأثير تلك الجماعات في عملية إندماج المجتمع المسلم في فرنسا .

الحرب على الفقر

إذا كان الفقر أحد الأسباب المؤدية الى الإرهاب سواء بطريق مباشر أم غير مباشر فمن باب أولى أن نحارب الفقر أولاً , وما يحدث الآن في فرنسا وماهو مرجح حدوثه في باقي القارة الأوروبية هو بمثابة جرس إنذار لجميع حكومات العالم بأن تتوحد في الحرب على الفقر كما توحدت الجهود في الحرب على الإرهاب وإذا كان الإرهاب لن ينتهي إلا بزوال مسبباته فمن باب أولى أن نحارب أسبابه ومن أهمها الفقر .

إن ما أنفق في الحرب على الإرهاب لو أستثمر جزء بسيط منه في الإنفاق على الفقراء لكان يكفي للملايين من الجائعين على الكرة الأرضية وكان يكفي لتوفير ملايين من فرص العمل للفقراء حول العالم , وإذا أطلق على مايحدث في فرنسا بثورة الفقراء فلماذا إنتظرنا حتى تحدث هذه الثورة التي إذا ما عولجت أسبابها فإنها حتماً ستودي الى آثار كارثية على فرنسا وعلى العالم أجمع , إنها كارثة لاتقل عن إعصار كاترينا الذي وحد العالم في التعاطف مع

متضرري هذه الكارثة , فلماذا لم نسمع عن متعاطفين مع الحكومة الفرنسية لمعالجة هذه الأزمة .

الآثار السلبية لأعمال العنف

إن مايحدث في فرنسا كأي أعمال عنف أخرى لها آثار سلبية منها ماهو بعيد المدى ومنها ماهو قريب المدى كما ستؤدي الأحداث الى إزدياد حالة التفسخ في المجتمع إلا إذا عولجت الأسباب المؤدية لهذه الأعمال , كما ستكون هناك آثار كارثية على الإقتصاد الفرنسي , كما أنها تؤدي الى إضعاف النظام الأمني والإجتماعي والحضاري , إنه مأزق أمني وإجتماعي لايستهان به وجعلت دولة القانون على المحك فإما أن تخرج الحكومة منها بماء الوجه أو تستقيل ليخلفها حكومة قوية تحافظ على الأمن والنظام .

الآثار الإيجابية لأعمال العنف

بعد الإنتهاء من أعمال الشغب ستبدأ الحكومة على الفور في علاج الآثار وضخ أموال لإعادة إعمار ماخلفته هذه الأعمال من دمار , وسيتم تعويض المواطنين عن خسائرهم في محاولة لتصحيح الأوضاع وإندماج هؤلاء الشباب في العمل مما يدعم نمو الإقتصاد من جديد ليعالج الآثار الكارثية التي حدثت , وستكون هناك إستجابة من الجميع للتعايش السلمي بين طبقات المجتمع , وستكون تجربة جديدة لرسم سياسة إجتماعية تساعد على الإندماج والإنخراط في مجتمع واحد على الأرض الواحدة حتى لاتحدث أعمال عنف مرة أخرى.

وسوف تستفيد من هذه التجربة الدول الأوروبية المجاورة وتعمل على صياغة سياسة أمنية أوروبية موحدة لمواجهة التحديات الداخلية وأعمال الشغب , وسوف تنشأ بعد ذلك حكومة قوية تواجه التيارات المتعصبة التي تسببت في الأحداث وسوف تقدمهم للعدالة ولانقصد بذلك الشباب الثائرين فقط وإنما أيضاً بعض المسؤولين الذين يصفون هذه الشريحة من المجتمع بالحثالة وسيتم حتماً القضاء على العصابات المنظمة .

صحيفة الحقائق اللندنية 17-11-2005م

31 أحداث العنف في فرنسا (الحلقة الثالثة)

في هذه الحلقة من أحداث العنف في فرنسا نتابع ماقدمناه في الحلقة السابقة بعد إيجاز سريع لأهم النقاط أدناه : تجربة ينبغي أن تستفيد منها الدول , بعض المخاوف من إنتقال موجة العنف الى دول أخرى , العمل على تعديل القوانين التي تحد من إنتشار أعمال العنف , علاقة أحداث سبتمبر بما يجري في فرنسا , الحملات المستمرة ضد الإسلام , الفشل في التعددية , الجماعات المهاجرة وإنخراطها في المجتمعات , مدى الصعوبة في دمج الثقافات , فكرة إنشاء مرجعيات دينية وماترتب عليها , الحرب على الفقر وعلاقته بالأحداث , الآثار السلبية والإيجابية لأعمال العنف , ضرورة صياغة سياسة أمنية أوروبية موحدة لمواجهة التحديات .

ويمكن تقسيم توجهات وسياسات بعض أعضاء الحكومة الفرنسية الحالية الى نوعين من التوجهات بعضها منظور والبعض الآخر غير منظور أما التوجهات المنظورة فهي تطهير فرنسا من المهاجرين ومايتبع ذلك من ترحيل وسجن وإعتقال الخارجين عن القانون أما التوجهات غير المنظورة وهي تطهير بعض الأحياء من العصابات وتطهير بعض الأحياء من الفقراء .

بعض الوزراء يحتقر المهاجرين ويحاول تطبيق سياسات لترحيلهم وإبعادهم عن البلاد وهي عنصرية بغيضة إذا ماقتلت في مهدها قد تكون مقدمة لحرب أهلية واسعة النطاق ليس في فرنسا فحسب بل قد تشمل القارة الأوروبية بأكملها , كما أن هناك أخطاء أرتكبت من قبل الحكومة بعدم تبني سياسات دمج المهاجرين في المجتمع وكذلك إهمال أبناءهم دون تعليم ودون عمل ودون مأوى وهي تتشدق بالحرية والديموقراطية والعدالة الإجتماعية.

على الرغم أن جيل الشباب الغاضب هم من الجيل الثالث والجيل الرابع من أبناء المهاجرين فقد جرى تهميشهم وهذه جاهلية القرن الواحد والعشرين التي تتبنى سياسة التمييز العنصري والكيل بمكيالين ولاتلقي بالاً للبطالة ولاتعمل على محاربة الفقر والجهل والمرض

على مستوى العالم أجمع بحجة الإيمان بإختلاف الطبقات بين البشر دون المساعدة على تبني سياسة التقارب والتعاون والتكافل الإجتماعي .

أقر رئيس الحكومة الفرنسية بالتمييز وقال أن هذا التمييز حرم فرنسا من كفاءات مهمة كما ويغذي الشعور بعدم الإنتماء للمجتمع لهذا تبنى طرح مبادرات إقتصادية وإجتماعية من شأنها تحسين أوضاع الضواحي الفقيرة وأكد الرئيس الفرنسي على ذلك بالقول لابد من إنشاء منشآت ذات طابع رياضي وإنشاء منشآت ذات طابع ثقافي ولكن أولوياتنا أن نعيد النظام والقانون وهذا يحتاج الى وقت.

بعد الأحداث إتضح أن تحسين أوضاع جميع الضواحي الفقيرة التي تبين أن الحكومة كانت مقصرة في ذلك أيما تقصير ولهذا طلبت الحكومة مزيداً من الوقت لتبذل مزيداً من الجهد وبدأت تطالب الجميع بالعمل على مبدأ التسامح الديني والإجتماعي وبدأت تتبنى سياسات لمكافحة كل أنواع التفرقة .

وعودة الى المهاجرين نجد أنهم من جماعات وأصول وجنسيات وديانات مختلفة فمنهم ذوي الأصول العربية سواء كانت مغاربية أوغيرها أو من ذوي اصول إسلامية أو إفريقية التي كانت مستعمرات فرنسية سابقة وما أثار المشكلة حقاً هو تصريحات وزير الداخلية الذي وصفهم بالحثالة وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي , هل المهاجرين مرتبطين بالبلد الأصل ؟ إن الإرتباط لابد منه ولهذا دعا رجب طيب أردوغان الأتراك المقيمين في فرنسا عدم المشاركة في أعمال العنف وكذلك دعا د.يوسف القرضاوي المسلمين بعدم المشاركة في أعمال العنف وحث على التفاهم لحل المشكلات ومعالجة أسبابها الحقيقية .

ومن ينظر الى الأحداث بنظرة ثاقبة يتضح له أن ما يحدث في الضواحي والمدن بأنها أعمال تخريبية وإجرامية لا تستند إلى مرجعية دينية أو سياسية أو فلسفية ، ولكن هذا لايعني تجاهل المشاكل التي تعاني منها الضواحي المهمشة نتيجة غياب مؤسسات الدولة والمرافق الفاعلة مثل المعاهد الكبرى والمؤسسات التعليمية المتخصصة , ولذا نستشهد بما قاله رومانو

برودي زعيم المعارضة الإيطالية :"لدينا أكبركانتونات أجنبية في محيط العاصمة الإيطالية، وهي عرضة للانفجار في أقرب وقت" .

من الطبيعي عندما تحدث الأزمات تزيد التكهنات والإحتمالات والأطراف العديدة التي تريد أن تستغل الأحداث لصالحها ولهذا لا نستبعد محاولات البعض من الربط بين أعمال الشغب والإرهاب والبعض الآخر يركز على الأخطاء الحكومية لأغراض إنتخابية وكثيرة هي الفئات التي تحاول أن تستغل الأحداث لصالحها رغم تفاوت ردود الأفعال إزاء اضطرابات الضواحي بين متفهم لأسباب الانفجار في أوساط أبناء المهاجرين وبين مطالب بتبني الخيار الأمني .

لايمكن أن نختم الحديث عن أحداث العنف في فرنسا دون أن نتطرق الى إستراتيجيات الإندماج وما تحتاجه من ميزانيات ضخمة وبرامج إقتصادية وبرامج ثقافية وبرامج إجتماعية وبرامج دينية وقوانين جديدة ترسخ العدل والمساواة بين طبقات المجتمع ورسم سياسات جديدة تساعد على الإندماج والإنخراط في مجتمع واحد متعدد الثقافات على الأرض الواحدة وترسيخ مباديء التعايش السلمي بين هذه الطبقات كما ينبغي وضع سياسة إصلاح شاملة في مناهج التعليم لتعمق أواصر الوحدة وإنصهار الثقافات ومبدا قبول الطرف الآخر وعدم التمييز بكل أشكاله .

كذلك لابد من الحديث عن معالجة الخلل في التوزيع السكاني وتحسين العلاقة مع الجاليات الأجنبية على الرغم من أنها تتطلب وقتا وخططا ومناهج تربوية بعيدة المدى، وأن تحرص هذه الخطط على تبني سياسة عدم إبعاد الطلبة الأجانب بل تحرض على دمجهم حتى يتم الإنصار الكامل في المجتمع وتتلاشى الفوارق الطبقية في العرق والجنس واللون والدين.

بعد أن هدأت الأحداث صدرت العديد من التقارير التي إستبعدت وجود أي تورط للإسلاميين في الاضطرابات التي شهدتها الضواحي الفرنسية خلال ثلاثة أسابيع ، وتم التأكيد في هذه التقارير على أن الأحداث كانت شكلا من أشكال التمرد غير المنظم مع إنبثاق ثورة

شعبية بدون زعامة ولا برنامج بشكل محدود في عدد من الأحياء كرد فعل لبعض التصريحات .

وركزت بعض التقارير على أن شبان الأحياء الشعبية كان لديهم إحساس كبير بالانتماء إلى هوية لا تستند فقط إلى أصولهم العرقية أو الجغرافية بل أيضا لأوضاعهم الاجتماعية المهمشة في المجتمع الفرنسي التي كانت منشغلة كثيرا بتنامي "التيار الإسلامي والإرهاب" إلى حد أنها أهملت مشكلة الضواحي المعقدة كما أقر وزير الداخلية بوجود "عنصرية وتمييز وانعدام المساواة"، لكنه أكد أنه لن يكون من الممكن النهوض بالضواحي "طالما تهيمن عليها المافيات".

السياسة الفرنسية الداخلية مطالبة بمواجهة الواقع القائم على الأرض وعدم غض الطرف، فالفرنسيون لم يعودوا قادرين على فهم ما يحدث من تدهور أمني , فقد إنطلقت الشرارة الأولى لأحداث الضواحي من كلمات غير موزونة قالها وزير ووصف بها الأحداث الجارية التي تعبر في حقيقة الأمر عن موقف إجتماعي سيئ لأن الشباب يعاني من البطالة والرسوب الدراسي وعدم احترام هويته وشخصيته، فتفجر كل ذلك وأخذ في الانتشار من ضاحية واحدة إلى كل ضواحي باريس ثم إلى مدن أخرى .

وكانت لجنة مكافحة التعذيب التابعة للأمم المتحدة قد وصفت قرار فرنسا ترحيل الأجانب المدانين بالتورط في أحداث العنف التي شهدتها الضواحي الباريسية بأنه إجراء تمييزي، وطالبت بعدم استخدام الترحيل كإجراء عقابي واعتبرت أن إجراء الطرد "تمييزا" لأنه لا يستهدف فقط الأجانب الذين لا يحظون بوضع إداري شرعي وإنما يستهدف أيضا "فرنسيين حصلوا على الجنسية الفرنسية وجردوا منها بقرار قضائي وأجانب مقيمين بشكل شرعي في فرنسا .

صحيفة الحقائق اللندنية 09-12-2005م

32 الهجرة قائمة مابقي الظلم قائم (الحلقة الأولى)

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م بدأت بعض الدول إن لم يكن معظمها تكثف نشاطها في الحرب على الإرهاب الأمر الذي أدى إلى تصاعد موجة الإرهاب في شتى بقاع العالم وكأنما الحرب على الإرهاب هي بداية إنتشاره وإزدياد وتيرته , وبدأت بعض القوى السياسية تستثمر هذا التوجه لصالحها بتسليط الضوء على المهاجرين لأسباب متعددة منها ماهو إنتخابي ومنها ماهو عنصري ومنها ماهو لأسباب أخرى كثيرة ليس المجال لحصرها في هذه السلسلة من المقالات .

إن الهدف الأساسي للكاتب هو إثبات أن الهجرة لايمكن القضاء عليها وستبقى قائمة مابقي الظلم قائم , وهي تأتي بأمر من خالق هذا الكون ومبدعه لأن مبدأ المسئولية في الحساب والعقاب نابعة من الإستقلالية لهذا الإنسان وهو مأمور بالهجرة , وأن الإنسان قد يكون ظالماً لنفسه وعند الحساب يوم الموقف العظيم يتعذر بأسباب منها أنه كان مستضعف في الأرض فيكون الجواب " ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها " سورة النساء الآية 97 .

وتتحدث الآيات التالية عن فوائد الهجرة في سبيل الله ونستطيع أن نقرر أن كل ظالم (ظالم لنفسه) وكل محسن محسن الى نفسه ، وكل عدوان عدوان على النفس فى مقياس القرآن وعليه يمكن إستنتاج أن كل مظلوم ظالم لنفسه , وهنا قد يتساءل البعض كيف يكون المظلوم ظالماً لنفسه ؟.

ونستطيع أن نجيب أن المظلوم عندما يتحمل الظلم , ويرضخ له ويكون سبباً في ظهور فئة مستكبرة ومتجبرة ومتعالية وطاغية وظالمة في المجتمع وهذه الفئة تعمل على إستضعاف وإفساد طبقة واسعة من المجتمع , وهنا نستطيع أن نقرر أن كل مظلوم يتحمل الظلم من هذه الفئة لابد أن يتحمل جزءً من هذه المسؤولية بالضرورة , وكل مظلوم بهذا الإعتبار يعد مشاركاً في توجيه الظلم الى نفسه والى الآخرين ولذلك فهو ظالم لنفسه.

ومن هنا فهو مأمور بمقاومة الظلم , أو يهجر الظلم بالهجرة الى بلاد الله الواسعة إن لم يتمكن من مقاومة الظلم وإن لم يفعل كان ظالماً يستحق من العقاب والحساب والعذاب ولهذا نجد أن الصادقين مع أنفسهم ومع خالقهم يعبروا عن هذا الإعتراض بشتى أنواع التعبير عن عدم قبول الظلم ولهذا نجد أن المهاجرين الى دول العالم الحر وفيها يعبروا عن رفضهم للظلم بتسجيل موقف وهذا ماظهر أخيراً في فرنسا وفي اليونان وفي كثير من دول العالم الحر .

لقد عمت المظاهرات في اليونان رافعين لافتات تدعوا الحكومة لتحسين أحوالهم مطالبين أيضاً بتعديل نظام الإقامة والتخلص من الروتين والبيروقراطية لأن هناك سلسلة من الصعوبات والعوائق تمارس ضدهم وضد حقوقهم المشروعة في مجال العمل والرعاية الطبية والإجتماعية ولقد ساند المتظاهرون عدد من المنظمات والهيئات النقابية والحزبية ولاسيما أن هناك قوانين جديدة للمقيمين تهدف الى زيادة الضغوط عليهم مما سجل إعتراضاً قوياً من جانبهم ومن جانب المساندون لهم لأن القوانين الجديدة لاتزال ترفض منح المقيمين الإقامات الدائمة كما قللت من حقوقهم مثل مسألة لم شمل الأسر وعدم الإهتمام بمشاكل الجيل الثاني ومابعده .

ولقد أسهمت الأحداث الأخيرة بفرنسا في دفع المشكلة للظهور , ومن هنا بدأت اليونان تدرس منح المقيمين حق الإنتخاب بالبلديات من خلال ماتقدم به الحزب الإشتراكي المعارض , وهناك من يدعي بأن الحكومة بصدد قبول المقترح وأن الإعداد له سيبدأ من الإنتخابات البلدية القادمة إلا أن هناك تعديلات قد تقرر أن حق الإنتخاب سيكون حصراً على حاملي الإقامات الدائمة حيث أن وزارة الداخلية تتفهم تماماً أن الإقامة الدائمة هي مقدمة للحقوق السياسية مثل إنتخابات البلديات وإنتخابات المحافظات بل وأبعد من ذلك أيضاً الى أن تصل الى حق إندماجهم الكامل في المجتمع .

ولونظرنا الى علاج الإسلام لمثل هذه المشكلة قبل أربعة عشر قرناً من الزمان هو ماقرره الإسلام بدمج المهاجرين بالأنصار والمؤاخاة بينهم حتى أصبحوا مواطنين لاتوجد بينهم نعرات

طائفية بل العدل التام والمساواة الكاملة في الحقوق والواجبات ولم يفرق الإسلام بين عربي أو أعجمي إلا بالتقوى , لذا ستبقى الهجرة قائمة مابقي الظلم قائم .

صحيفة الحقائق اللندنية 17-12-2005م

33 متى ينتهي إرهاب المنتجعات السياحية ؟ (الحلقة الثالثة)

في الحلقة الثانية ذكرنا بعض المعلومات التي يمكن تلخيصها في ما يلي : فشل المجتمع الدولي في الإتفاق على تعريف شامل للإرهاب , آثار الإرهاب السلبية على الإقتصاد وعلى الرعايا المسلمين في الدول الغربية , إتهام الجماعة الإسلامية بالتخطيط للسيطرة على دول جنوب شرق أسيا , المنظمات التي تتآمر على المصالح الأمريكية تصنف على أنها منظمات إرهابية , توحد رابطة دول جنوب شرق أسيا لمحاربة الإرهاب , عوامل الإرتباط بين الجماعات الإسلامية والعمليات الإرهابية على المنتجعات السياحية والنوادي الليلية , السياسات الخاطئة في معالجة أسباب الإرهاب , الأساليب الرخيصة من كلا الأطراف لجني فوائد على حساب ضحايا أبرياء .

في هذه "الحلقة الثالثة" سنقوم بتسليط مزيد من الأضواء على هذه الظاهرة التي شغلت العالم وبثت الرعب في قلوب الملايين من البشر ومازلنا في جنوب شرق أسيا نستعرض أهم العمليات الإرهابية التي هزت العاصمة الأندونيسية وفي فندق ماريوت وقد نفذ هذا العمل الإرهابي إندونيسي بشاحنة محملة بالمتفجرات وتأتي هذه الأعمال من ضمن الهجمات على الأماكن السياحية الهامة في أندونيسيا .

هذا الحدث الكبير قد أدى الى التعاون بين العديد من الدول لكشف الغموض الذي يكتنف حوادث من هذا النوع ولهذا أرسلت أستراليا فريق تحقيق يضم 22 خبيراً جنائياً لمساعدة السلطات الأندونيسية في تحقيقاتها بشأن إنفجار فندق ماريوت في العاصمة .

ويؤكد خبراء الإرهاب أن جميع العمليات الإرهابية التي حدثت هنا وهناك وستحدث في أماكن أخرى من العالم ستنتهي الى طريق مسدود لأن الإرهاب عبر العصور لم يحرر شعباً ولهذا يجب أن نفرق بين العمليات التي تقوم بها حركات التحرر الوطنية والتي تعارف العالم على تسميتها مقاومة وإن لجأت الى الكفاح المسلح أو أي وسيلة من وسائل المقاومة المشروعة التي بالتأكيد ستنتصر في نهاية المطاف .

ويؤكد خبراء حركات التحرر على أن أهم عوامل النصر هو وضوح الهدف ووجود قيادة حكيمة تلتف حولها الجماهير للمؤازرة والعمل الجماعي لتحقيق هذا الهدف والصبر عبر مراحل النضال الطويلة والشاقة لمقاومة الإحتلال ولهذا نجد أن الحركات التحررية تقاوم على أرضها لضرب أعدائها حتى تحقق الإستقلال .

ولهذا كان من الضروري أن يصل العالم الى تعريف متفق عليه للإرهاب وتعريف متفق عليه للمقاومة على أن لايتم الخلط بينهما لأن نهاية الإرهاب خاسرة ومندحرة ونهاية المقاومة رابحة أو منتصرة وعليه سنصل الى فرضية تقول إن نتائج الإرهاب خاسرة ونتائج المقاومة رابحة .

ويمكن القول أن الوسائل غير المشروعه لايمكن أن تحقق أهدافاً مشروعه ونستطيع أن نتنبأ بأن العمليات التي تقوم بها القوى الإستعمارية وخارج حدود أراضيها لتعلن الحرب على العالم وضد مباديء الأمم المتحدة وضد التاريخ لايمكن أن تنتصر في تلك الحرب مهما طال الزمان أو قصر ومهما كانت قوتهم ووسائل القتال لديهم وقوتهم التدميرية حتى وإن لجأوا الى القنابل النووية والتكتيكية والعنقودية وغيرها وينطبق نفس المعيار على الأعمال الإرهابية التي تقوم بها منظمات أو أفراد .

ومهما بلغت غطرسة القوى الإستعمارية فإنها في النهاية إذا لم تحكم صوت العقل وإستمرت على إتخاذ قرارات ترضي غرور القادة المتعطشين للدماء والإنتقام لابد أن تهدد القوانين والأعراف والتقاليد التي تحكم العلاقات الدولية بالإنهيار وبدأنا نرى بوادر هذا في القرارات التي أتخذت بحجة محاربة الإرهاب وإن تعارضت مع التقاليد والأعراف الحضارية التي تنادي بحقوق الإنسان .

ولهذا يصبح مصير العالم في ظل النظام الدولي الجديد ونظام مكافحة الإرهاب الدولي الجديد والذي سيتم تعميمه على جميع دول العالم لتكميم الأفواه التي تنادي بالعدالة والديموقراطية والحرية مهدد بأن يكون أسير فوضى سياسية مدمـرة ، لن يستطيع أحد أن

يتحكم باتجاهاتها أو يتنبأ بنتائجهـا التي ستخلف الهول والدمار في جميع أرجاء العالم بما فيها الدول العظمى التي تنادي بتحرير العالم من الظلم .

إن أي دولة كبرى أو عدد قليل من الدول والتي تعارف عليها بالمتحالفة تحاول أن تمرر مخططاتها للهيمنة على العالم والتحكم في موارده الإقتصادية أو تقنين معدلات نموه بهدف تحقيق السيادة ماهو إلا شكل جديد من أشكال الهيمنة والسيطرة والإستعمار والتي لن تقبل بها شعوب الدول المستهدفة ولهذا نجد أن تاريخ الحروب العالمية ماكانت إلا للسيطرة على أكبر عدد من الدول وأكبر مساحة ممكنة من الأراضي والبحار والأنهار أو للتحكم في مصير الشعوب .

وإذا أرادت الدول حقاً محاربة الإرهاب فما عليها إلا أن تعطي إهتماما كافياً للبحث عن الأسباب المؤديـة لظاهرة الإرهاب ، في الوقت الذي ينبغي التركيز على المسائل الأمنية والدفاعيـة ، لتحمي مواطنيها من شرور هذا الإرهاب وأن تعتمد على ثلاث أنواع من الخطط وهي خطة إستراتيجية وخطة تكتيكية وخطة عمليات أي خطط طويلة ومتوسطة وقصيرة المدى .

ويمكن القول بأن العمليات الإرهابية التي تحدث في أي مكان والتي يجب أن تشجب وتستنكر لأنها تنطوي على دلالات ومؤشرات ومضامين وتبعات خطيرة ينبغي على الدول التي تحاربها وأن تستوعب جميع هذه الدلالات والمؤشرات كما ينبغي أن تأخذها في الحسبان قبل إقدامها على تنفيذ التهديدات التي تصدر عن المسؤولين في لحظات إنفعال .

وعودة على تفجيرات منتجع بالي السياحي التي أوقعت تلك الخسائر الفادحـة في الأرواح من المدنيين الأبرياء ، والتي تعتبر عملاً إرهابيا ينبغي استهجانه وشجبـه والتصدي له ، لا يمكن أن يكون الإرهاب - بمعناه المجرد - هو الهدف النهائي من ارتكابهـا ، كما لا توجد أسباب ذاتيـة على ذلك القدر من التطرف والقـوة لا يمكن أن تدفع كائنـاً من كان لإرتكاب مثل تلك

الأعمال الفظيعـة ، ما لم تكن لديه من مشاعر اليأس والإحباط والشعور بالقهـر ما يبرر له ارتكابها .

وكان من أهم نتائج تلك الإستنتاجات أن إقترح عدد من الباحثين والخبراء وبينهم العديد من الخبراء الأميركيين إعادة النظر في التعامل مع مشكلة الإرهاب من خلال دراسات معمقة لمعرفة طبيعة الظاهرة والأخذ بعين الإعتبار التعامل مع المطالب السياسية التي تطالب بها الجماعات الإرهابية ولايعتبر ذلك إذعاناً لتلك الجماعات وإنما مراجعة عقلية لتلك المطالب فمنها أشياء يمكن قبولها واشياء لايمكن قبولها ولهذا يحدث شيء من التوازن وقال دهاة العرب "حب راس تريد قطعها" .

ودعا الخبراء في مناسبات عديدة إزاء ما إعتبروه فشل "الحرب على الإرهاب" إلى التعامل مع الإرهاب من زاوية جديدة, موضحين أن الجماعات الإرهابية وأنصارها يعبرون من خلال الهجمات عن مطالب معينة أو رفضهم لتصرفات معينة وقد حان الوقت للنظر فيها لمعرفة طبيعتها وأسبابها ومدى الأخذ ببعض منها .

ولا شك أن تنامي إندلاع أعمال العنف بجميع أشكاله إنما يتم في ظل غياب العدل والمساواة بين البشر وفي ظل حكومات مركزية ضعيفة أو قوات إحتلال أو حكومات تحت الإحتلال وقد يكون بسبب التحدي للحس الديني وإثارة للفتنة الطائفية سواء في هذه الدولة أو تلك تحقيقًا لمصالح فئة على حساب فئة أخرى في استغلال الثروات أو توزيعها .

ويمكن تشبيه الشارع الإندونيسي الذي يعاني من القهر والفقر بالشارع الفرنسي في الضواحي الفقيرة التي وصفها وزير الداخلية الفرنسي ساركوزي بالحثالة قد فاقت من مرقدها وثارت ضد الظلم والعنصرية والفقر وهي أحياء كانت ساكنة في مظهرها ولكن عندما إزداد الكيل قد تحولت الى شيء آخر لم تستطع الحكومة الفرنسية من إخماد جذوة العنف إلا بعد الوعد القاطع من رئيس الدولة ورئيس الوزراء بالقضاء على الظلم والعنصرية ولذلك يجهل أعداء

الإنسانية الذين يتشدقون بحقوق الإنسان أن ثورة الإنسان تتحول الى بركان إذا شعر بالخطر من التطاول على القيم التي تنظم حياته أو يؤمن بها .

ويوجد في أندونيسيا جماعات مختلفة التوجهات ويتزعمها مواطنون أندونيسيون سواء كانوا من أصول عربية أم غير عربية وهذه الجماعات تحظى بالدعم المادي والمعنوي من كبار الجنرالات الموالين لأنظمة سابقة , ومن هنا نستطيع القول بأن هناك علاقات ترتبط ببعضها البعض لابد من دراستها بشكل مستفيض حتى نستطيع الإجابة على سؤال متى ينتهي إرهاب المنتجعات ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 03-12-2005م

34 غزوة كوبنهاجن (الحلقة الأولى)

في سبتمبر من عام 2005م نشرت إحدى الصحف الدانماركية رسوماً كاريكاتيرية تتعرض للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبدأت تتفاعل القضية بشكل شعبي بعد ثلاثة أشهر عندما طالب العديد من العلماء المسلمين بمعاقبة الصحيفة الدانماركية بالإعتذار وفرض عقوبات رادعة على كل من شارك في هذا العمل المشين .

ومنذ اللحظة الأولى التي تم نشر هذه الصور بدأت الجهود الدبلوماسية لحث الحكومة الدانماركية لإتخاذ موقف مراعاة لشعور المسلمين ولكن تم هذا الرفض بلسان رئيس الوزراء على إعتبار أن ذلك الذي نشر في الصحيفة المذكورة أعلاه يعتبر من حرية الرأي .

وحول بداية قصة الكاريكاتير المسيء للرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقول أحد المشايخ في الدانمارك "لقد قام مؤلف دنماركي بتأليف كتاب للأطفال عن الإسلام، وأراد صورة للنبي صلى الله عليه وسلم ليجعلها على غلاف الكتاب، وحاول مع العديد من الرسامين فلم يفلح في إقناعهم برسم صورة فانبرت له صحيفة "يولاند بوسطن" وأخذت على عاتقها تشجيع الرسامين، واستطاعت أن تقنع 12 رساماً كاريكاتيرياً برسم اثنتي عشرة صورة للنبي صلى الله عليه وسلم كلها تتسم بالحقد والسوداوية والنظرة الخاطئة لنبي الإسلام والمسلمين .

وهكذا بدأت القصة في الدنمارك بتاريخ 30-09-2005م ، وأخذت تداعيات الحدث تتزايد داخل الدنمارك وبعد نشر الصور بأسبوعين تقريباً قامت صحيفة دنماركية أخرى بنشر صور أخرى لا تقل قبحاً عن الصور الأولى، وهكذا فقد تشجعت الصحف حتى رأينا صحيفة نرويجية تأخذ نفس صور صحيفة يولاند بوسطن وتنشرها واختارت لها أول أيام عيد الأضحى المبارك .

وهناك في السويد حزب عنصري صرح بأنه يفكر بأن يحذو حذو الصحيفة الدنماركية وبدأت بيانات الشجب والإستنكار من العديد من المنظمات والجمعيات الإسلامية والعربية في

الدانمارك، تعبر فيه عن غضبها الشديد مما نشرته صحيفة يولاند بوستن الدانماركية من تطاول على شخص الرسول محمد عليه الصلاة والسلام , وهي عبارة عن رسومات متخيلة ومشوهة تُزعم أنها للرسول الأعز الأكرم صلوات الله وسلامه عليه .

وفي تصريحات لأحد أئمة المساجد في الدانمارك، إن الرسوم تظهر شخصا على رأسه عمامة على شكل قنبلة وبيده خنجر وخلفه امرأتان منقبتان , ويأتي هذا في إطار التطاول على نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم تم تحت غطاء من "حرية التعبير" بينما لا يسمح بالكلام عن السامية .

ومع تفاعل القضية بدأ مسلموا أوروبا يتجهون لطلب مقاطعة اسلامية شاملة لمن "يهين" الرسول كما بدأت تتصاعد موجات الإستنكار الإسلامي لتطاول صحيفة دنماركية على "الرسول" وبدأ العلماء والكتاب يذكرون بأدلة من كتاب الله القرآن الكريم , هذا الإعجاز الذي تعهد الله بحفظه الى أن يرث الله الأرض وماعليها , ويسعى العلماء لنصرة نبي الهدى ومعلم البشرية وآخر الرسل ومخرجها من الظلمات الى النور قال تعالى: (ولئن سألتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) (التوبة - اية 66). وسبب نزول هذه الآية ان المنافقين لما قالوا من الطعن في المسلمين وفي دينهم وقد قالوا: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء- يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه- أرغب بطونا وأكذب ألسنا، وأجبن عند اللقاء) فلما بلغهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد علم بكلامهم جاءوا يعتذرون ويقولون: (إنما كنا نخوض ونلعب)، فلم يقبل الله تعالى عذرهم وكذبهم فقال عز وجل: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم). (التوبة - اية 66) , وقال العلامة السعدي في تفسيره: فان الاستهزاء بالله ورسوله كفر مخرج عن الدين، لأن اصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الاصل , وهذا فيه دلالة على أن الإعتذار لايكفي .

وبدأ بعض الكتاب من الإعلاميين متحمساً بإقتراح محاربة الدانمارك إعلامياً كأحد الإقتراحات ولكن نحب أن نذكر أن في الدانمارك يوجد مائتا ألف مسلم يشكلون 3% من عدد السكان الإجمالي , كما يُعد الإسلام ثاني أكبر ديانة بعد المذهب الإنجيلي اللوثري ومع ذلك فإنهم يعانون من التجاهل ونقصان الحقوق لدرجة منعهم من امتلاك مسجد كبير, وينظر كثير من الناس لهم بعنصرية بغيضة تعمل على تهميشهم وعدم الاستعانة بهم في الأعمال وهو ما يزيد من غربتهم وشعور بعضهم - أو قل أكثرهم - بالاضطهاد وعدم الانتماء للمجتمع ويرزحون تحت وطأة البطالة العالية في الدانمارك . فهل كل أوبعض هذه الضغوط ستؤدي الى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ وأنتم إيها القراء على موعد مع الحلقة الثانية قريباً .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة إيلاف الإلكترونية 29-01-2006م

35 غزوة كوبنهاجن (الحلقة الثانية)

تعودنا في الحلقات التي نكتبها أن نلخص أهم ماجاء في سابقتها حتى يستطيع القاريء أن يتابع ماقد سبق ويمكن تلخيص الحلقة السابقة كمايلي : توثيق تاريخي لما نشر في صحيفة "يولاند بوسطن" من رسوم كاريكاتورية تتعرض للنبي محمد صلى الله عليه وسلم , تفاعلات القضية ومطالبة العلماء بمعاقبة الصحيفة وطلب تقديم إعتذار رسمي , تثمين دور الجهود الدبلوماسية التي سارعت بالرد , تعنت الحكومة الدانماركية برفض الإعتذار حيث أنهم إعتبروا هذا العمل المشين هو من حرية الرأي , رواية لبداية الأزمة , تزايد تداعيات الحدث داخل وخارج الدانمارك .

لم يقف الحد عند نشر هذه الصحيفة ولكن تبعها بعض الصحف الأخرى , تزايد حملات الشجب والإستنكار من المنظمات والجمعيات الإسلامية والعربية في الدانمارك وباقي دول العالم , وصف ما جاء في الرسوم الكاريكاتورية حتى تتضح الصورة لدى القاريء , بدء المناداة بالمقاطعة والحرب الإعلامية , التذكير بعدد المسلمين في الدانمارك ومدى معاناتهم وتجاهل حقوقهم , توقعات الكاتب بردود الفعل الغاضبة على ماحدث .

وفي هذه الحلقة سوف نضيف العديد من الأفكار التي تم تداولها في مختلف الصحف العربية والعالمية كتعليقات على الحدث الجلل فالمسلمون يعتبرون إن التهجم على شخص النبي يأتي في سياق الحرب على الإسلام سواء كانت بطريقة خفية بهدف إبقاء مشاعر المسلمين ساكنة أو علنية لتأجيج المشاعر وهي في الواقع إسقاط لمايدور في خيال الحاقدين على الإسلام ويريدونها أن تكون حرب في سلسلة الصراع الطويل الذي يمارسونه منذ فجر الإسلام قال تعالى { ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} [سورة البقرة: 217] .

فالاية مبينة للقاعدتين معاً حتمية الصراع (ولا يزالون يقاتلونكم) وغايتهم من الصراع (حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) إذن لا بد ان يكون هذا الامر واضح عند المسلم غاية الوضوح فمن يحاربك فهو يطاردك أو يقاتلك أو يفاوضك إنما هدفه أن يردك عن دينك حتى يتسلل الخلل الى شخصك وأمتك ليغير إتجاه مسيرتها .

والرسومات التي وردت في الصحيفة الدانماركية قد مست كرامة ومشاعر المسلمين بالتجني على رسولهم المرسل من رب العالمين وفي السياق نفسه نجد أن المسلمين تعرضوا للأذى والإهانة في كثير من الدول فالتعدي على حقوق المرأة المسلمة وحجابها في دولة ما , وأظهرته بعض الصور المنشورة في الصحيفة المذكورة تأتي ضمن حملة تم التخطيط والإعداد لها مسبقاً , كما أن تدنيس المصحف الشريف في أكثر من مكان وتم نشره في أكثر من صحيفة له دلالات معادية .

وفي الصور التي نشروها عن النبي صلى الله عليه وسلم صوروه كأنه زعيم الإرهابيين في نظرهم , ويعتبر الإسلام في نظر العديد من وسائل الإعلام لديهم هو المعنى اللغوي الرديف لكلمة الإرهاب , والجماعات الإسلامية المتشددة هي منظمات إرهابية كما يحلوا لهم وصف بعضها مثل حماس والجهاد والجماعات الإسلامية في العراق بأنها منظمات إرهابية ولهذا فإنهم يخوضونها حرباً دينية ولكنها تحت شعارات إنسانية وبمسميات جديدة وينبغي على العاقلين فضحها وتبيين دلالاتها فالحرب ضد الإرهاب تم إلصاقها بالمسلمين ليتم وصفهم بالإرهابيين ومن ثم تعلن الحرب عليهم .

ألم يصرح رئيس إحدى الدول أن حربه مقدسة وصليبية وأن "الرب" هو الذي أرسله وفي بعض الدول وغيرها يعتبر الحجاب هو شعار الإرهاب وهنا يتسائل أحدهم بالقول لماذا لايكون هناك لجان تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي تتابع إعلاميا وثقافيا وسياسيا مثل هذه الحملات ؟ التي يبدو أنها بدأت تأخذ منحى وشمول الحرب المنهجية المؤسسية التي لا يجوز

أن يكون الرد عليها إلا منهجيا ومؤسسيا ومكافئا لها في القوة والمقاومة ومضاد لها في الإتجاه .

أما الآخر فيوجه التسائل التالي لماذا لانستطيع أن نحرك المحكمة الدولية وهيئة الأمم لإيقاف مثل تلك الإهانات بحق الشعوب والدول الإسلامية ؟ , ويتسائل ثالث بالقول لماذا لايتحرك البرلمانيون الإسلاميون للدفاع عن دينهم ممثل في الإهانات ضد رسول الإنسانية ؟ , ويتسائل رابع بالقول أين دعاة حقوق الإنسان؟ ويتسائل سادس بالقول أين دعاة السلم العالمي؟ .

ويتسائل سابع مندهشاً أين مؤتمرات الحوار والتقارب بين الأديان؟ , ويتسائل ثامن مستغرباً أين الملحقيات الثقافية لسفارات ست وخمسين دولة إسلامية من هذه القضية التي تعتبر ثقافية من الطراز الأول؟ ويتسائل تاسع مستهجناً أين قادة الفكر "العربي والإسلامي"؟ وآخرهم قال وتعلوا وجهه الحيرة ويعتصر قلبه الألم متعجباً بالقول هل تتذكرون يوم هدمت تماثيل بوذا كيف تحرك لها المجتمع الدولي ومجلس الأمن وحتى دول إسلامية ورموز علمية !!! .

وقبل أن نودعكم توقفت كثيراً عند تلك العبارة المقتبسة { الدنمارك، وما أدارك ما الدنمارك، التي تشير دراسات علمية إلى احتمال انقراض شعبها خلال نصف قرن } فهل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي الى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ وأنتم أيها القراء على موعد مع الحلقة الثالثة قريباً .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق اللندنية 30-01-2006م

36 غزوة كوبنهاجن (الحلقة الثالثة)

ومع إستمرار التفاعل العربي والإسلامي والعالمي مع قضية الرسومات الكاريكاتورية في الصحيفة الدانماركية والتي مست مشاعر المسلمين نستكمل مابدأناه في الحلقة الماضية بعد أن نلخص أهم ماجاء فيها بمايلي : عبر بعض الكتاب عن وجهة نظر العديد من المسلمين بأن ماجاء في الصحيفة يأتي في سياق الحرب على الإسلام سواء كانت بطريقة خفية أو علنية , إستعراض لبعض وجوه التعدي ومنها قضية حجاب المرأة , وقضية تدنيس المصحف الشريف , وخلط المفاهيم عند بعض وسائل الإعلام وربط الإرهاب بالإسلام , فضح وتوضيح لبعض المسميات الجديدة والتي فيها نوع من التحايل والتجني على المسلمين , وأنتهينا ببعض التساؤلات التي تدور في أذهان الكثيرين .

وفي هذه الحلقة سوف نستعرض أهم ماتداولته وسائل الإعلام حول تطورات القضية , فوزراء الخارجية العرب إنتقدوا عدم إتخاذ حكومة الدانمارك إجراء إزاء الصحيفة وكذلك أبدوا عدم رضاهم عن دور المنظمات الأوروبية لحقوق الإنسان التي لم تتخذ موقفاً واضحاً إزاء الرسوم التي نشرت في الصحيفة المذكورة , إلا أنه من الواجب أن نخص بالذكر ماقامت به العديد من الشخصيات اليهودية والمسيحية والعلمانية من إدانات تشجب وتستنكر ما أقدمت عليه الصحيفة وإعتبروه سبب رئيسي لردود الفعل الغاضبة .

وقد أكد القساوسة في الدانمارك مجتمعين رفضهم لكل إهانة أو مساس بالأديان السماوية أو الأنبياء والرسل , وبالتالي يتوجب على سفراء الدول الإسلامية في كل أنحاء العالم أن يكون لهم دور لصد مثل تلك الهجمات مستقبلاً , كما ينبغي أن تطالب الحكومة الدانماركية بمحاكمة كل من أساء الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أمام العالم .

كما ينبغي القول أنه قد طالب العديد من الكتاب بالقول كان اقل ما يقوم به سحب سفراء الدول العربية والاسلامية من الدنمارك في وقت واحد وطرد جميع سفراء هذه الدولة من كل الدول العربية والاسلامية ليشعر مسؤولو هذه الدولة بمدى خطورة تواطئهم , كما طالبوا

بتفعيل قرار الأمم المتحدة بخصوص حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، (بتاريخ 1426/3/3 هـ - الموافق2005/4/12 م) الداعي إلى محاربة تشويه الأديان، لاسيما الإسلام، الذي زادت وتيرة تشويهه في الأعوام الأخيرة وللأسف الشديد .

وإستمرت الدعوات مابين مطالب بتنظيم "هجوم إلكتروني على موقع الصحيفة" ومابين مطالب بالتعامل مع المشكلة باللغة التي تفهمها الدانمارك وهي لغة المقاطعة لمنتجاتهم وبضائعهم , وهناك دعوات بالتعاون مع رئيس لجنة الدفاع عن النبي في الدانمارك الذي حذر من إنفلات الحوار الحضاري , والدعوات الأخرى التي تؤيد دعم اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء التي كوّنت فريقاً من المحامين الأمريكيين والدنماركيين، لاستئناف قرار الرفع للمحكمة الفيدرالية، الذي يهدف إلى مقاضاة صحف دنماركية نشرت رسومات كاريكاتورية تسخر من النبي محمد صلى الله عليه والسلام .

ولقد أعرب العديد من الكتاب عن دعمهم وتأييدهم لمؤتمر دولي لنصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم لأن رئيس الوزراء الدانماركي مازال يقر ويدافع عن ما حصل بحرية التعبير وإن قال دون التحريض على الكراهية ضد المسلمين ولكن الغريب في الأمر أن المدعي العام الدانماركي رفض طلب دعوى ضد الصحيفة بحجة أنها لاتستحق النظر إليها أمام المحاكم الدانماركية .

ولم يكتف الكتاب بكل هذا بل قام البعض بالمطالبة الدولية بسن قوانين من شأنها تفعيل احترام العالم لديننا الحنيف ومقدساتنا الإسلامية , مطالبين الذين يمثلونا في الداخل او الخارج ان يردوا عليهم بمنطق اسلامي بعيدا عن العنف لان ديننا دين الرحمه والانسانيه , كما أدعوا الى دعم وإنشاء منظمة للمقاطعة العربية والإسلامية تحت أسس علمية وأن نستفيد من تجارب الماضي حتى نستطيع أن نحول المحن الى منح والمصائب إلى عمل صائب , أعلم أنني قد أتيت متأخراً للكتابة في هذا الموضوع , ولكن: أن تأتي متأخرا، خير من ألا تأتي أبدا , فإنتصروا لنبيكم ولأمتكم فالأمة التي لاينتصر لها تبقى مهزومة .

وقبل أن أودعكم أتسائل هل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي الى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق اللندنية 01-02-2006م

37 غزوة كوبنهاجن (الحلقة الرابعة)

ومع إستمرار التفاعل العربي والإسلامي والعالمي مع قضية الرسومات الكاريكاتورية في الصحيفة الدانماركية والتي مست مشاعر المسلمين نستكمل مابدأناه في الحلقة الماضية بعد أن نلخص أهم ماجاء فيها : الإنتقادات العالمية الواسعة , دور المنظمات الأوروبية لحقوق الإنسان , قيام العديد من الشخصيات اليهودية والمسيحية والعلمانية بالإدانة والإستنكار , الدور الذي يتوجب على سفراء الدول الإسلامية القيام به , مطالبة الحكومة الدانماركية بمحاكمة كل من أساء الى الرسول , المطالبة بتفعيل قرار الأمم المتحدة بخصوص حقوق الإنسان وسن قوانين لإحترام الأديان والرموز الدينية , المقاطعة وأثرها , التعاون مع لجنة الدفاع عن النبي , دعم اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء , إتخاذ تدابير لعلاج الأزمة بعيداً عن العنف , إنشاء منظمة إسلامية للمقاطعة .

وفي هذه الحلقة سوف نستعرض أهم ماتداولته وسائل الإعلام حول تطورات القضية , إبتداء من مطالبة ملكة الدانمارك بالتصدي للاسلام , ودعوتها إلى مساعدة المسلمين لفهم لغة الآخر وتأكيدها على أنه يجب أخذ التحدي الذي يشكله الاسلام على محمل الجد , جاء ذلك في كتاب حمل إسم مارغريت والملكة هي رئيسة الكنيسة الانجيلية-اللوثرية التي يتبعها 85% من سكان الدنمارك البالغ عددهم 5.4 ملايين نسمة .

ولقد أعربت الدول العربية والإسلامية عن إستنكارها وشجبها للرسوم الكاريكاتورية التي مست ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وأهم أسباب الإستياء كان لعدم رغبة الحكومة في إحتواء الموقف مما أدى الى شعور عارم بالغضب وإحتجاجات من كل أنحاء العالم الإسلامي , والغريب في الأمر أن التصريحات التي صدرت عن مختلف الفعاليات تبدوا متناقضة فقد أيد رجال دين حملة المقاطعات إلا أن البعض الآخر منهم إعترضوا على المقاطعة ولقد عبر بعض المثقفين العرب عن المقاطعة بالقول إنها أسلوب عاطفي، لذا ينبغي على المسلمين أن يسعوا إلى إيصال صورتهم بملامحها الحقيقية، لا كما يصورهم الخطاب الإسلامي المتطرف , كما تمكن

مستخدم للانترنت يطلق على نفسه اسم (030 مقاطعة) من تدمير موقع مجلة "يوري بوستن" الدنمارکية على الانترنت، ووضع الشهادتين احتجاجا على نشر صحيفة دنماركية رسوما مسيئة للرسول.

وأعربت منظمة المؤتمر الاسلامي عن "خيبة الامل" من رد فعل الحكومة الدنماركية, معتبرة ان شتم الانبياء يتناقض مع حرية التعبير وان على من قام بالاساءة "تقديم اعتذار واضح جلي" لـ1,3 مليار مسلم. وأعلن وزير الخارجية الايراني انه كتب الى نظيريه الدنماركي والنرويجي معترضا على نشر رسوم كاريكاتورية "سخيفة وتثير الغضب", تعتبر اهانة للمسلمين.

الكل يتذكر رد فعل الأوروبيين النارية على تعليقات الرئيس الإيراني ضد اسرائيل، حيث اتحدوا جميعهم على كلمة واحدة مفادها وجوب ادانة الجمهورية الإسلامية , والكل يتذكر كذلك رد فعل العالم اجمع ضد طالبان عندما قامت بتدمير التماثيل .

إن بعض الدساتير الغربية تحرم الإساءة الى جميع الاديان ناهيك عن الاسلام الدين الثاني بعد المسيحيه في معظمها , فلماذا لاتتخذ إجراءات صارمة عقابية بحق كل من خالف الدستور ؟ , ليست الحرية ان تقول وتفعل ما تريد , وكثيراً مايقال رب ضارة نافعة فما قامت به الصحيفة من عمل شائن قد أيقظ الأمة النائمة في سباتها وحركت مشاعرهم ولكنهم بحاجة الى من يقود سفينتهم الى بر الأمان وتتوحد جهودهم حتى يحققوا ماتصبوا اليه الامة , وإذا كان الغرب يؤمن بحرية التعبير فالشرق يؤمن بحرية التفكير في الرد وتقرير المصير.

ولنا تعليق على المقاطعة , صحيح أن المقاطعة تعطي ثمارها وتأثيرها الإيجابي ولكن السؤال عن البضائع التي تمت مقاطعتها وهي مدفوعة الثمن من أموال المسلمين قبل الأحداث ألا تعتبر خسارة على التجار وتأتي في طور إهدار الأموال .

إن الناظر فِي تاريخ الدنمارك يجد أَنَّ هذه البلاد الصغيرة البعيدة اشتهرت قديماً بالقرصنة واللصوصية , فَقَدْ كَانَ القراصنة الدنماركيون يجوبون البلدان الإسلامية المطلة على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط فيغيرون ويسرقون وينهبون ويهربون , وَقَدْ كانوا يعرفون ب`الأردمانيون` , وهم النورمان وإن كَانَ هَذَا اللفظ يجمع الدنمارك والنرويج والسويد وَقَدْ

كانوا فيهم كثرة مِنْ أَهْل الخسة والخبث ولهم باع طويل فِي الخراب والفساد كما جاء في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (261/8) .

إِنَّ الاستهزاء والسخرية ليس مِنْ باب حرية الرأي ولا هُوَ مِنَ الديمقراطية إنهما تَعَدٍّ على حقوق الآخرين، وهتك للحريات الشخصية، ونقض للديمقراطية , ومن شروط حرية الرأي أَنْ لا تثير النزعات الطائفية أَوِ العرقية ، ومن الواضح أَنَّ السخرية بنبينا مُحَمَّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيْهِ استعداء الأمة العربية والإسلامية على دولة الدنمارك الراعية لهذا الانتهاك لحقوق الأديان والرموز الدينية .

إن إنتهاك حقوق الأنبياء لهي جريمة نكراء وإن إنتهاك حقوق الشعوب والأمم فيه كثير من الظلم والندم وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي : ماذا تقولون في الصحافة التي تنشر آراء المشككين بالمحارق النازية ؟ , تخيلوا لو ان هذة الصحيفة تعدت على الساميه فماذا ستقول هيئة الأمم المتحدة حينئذ ؟ لذا ينبغي الأخذ على يد كل مستهزيء بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

لماذا لانستفيد من التجارب ؟ , ألا تستحق هذه الأحداث الدراسة والبحث والتحليل والكتابة وفي نفس الوقت نطلب من دور الخبرة العربية والإسلامية أن تدرس المشكلة وتقوم على تحليل الوضع حتى لاتطغى مساحة العاطفة على مساحة العقل والمنطق , جميل ان نرى كل هذه المشاعر الجياشة والدفاع القوي لكن الى متى نبقى أسيرين ردود الافعال وإستغلال المشاعر النبيلة بطريقة سلبية؟ , لماذا لا نقف ونفكر قليلا ؟ .

لقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قال تعالى مخاطبا نبيه: ((إنا كفيناك المستهزئين)) الحجر . وقال تعالى: ((لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا)). وقال صلى الله عليه وسلم : (والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه) .

جميل أن نرى أمة الاسلام وقد إجتمعت كلمتها وتوحدت لمؤازرة النبي وهذا دليل على ان الامة الاسلامية قد تختلف في امور الدنيا ولكن في الدين تكون كما اراد الله لها ان تكون كالبنيان المرصوص , ولنلجأ للدعاء إلى الله بأن ينصر دينه ورسوله والمؤمنين ويعلي كلمة

المسلمين ويعزهم وينصرهم ويقر عيوننا بنصرة المسلمين وعلو كلمتهم ودحر أعدائهم . فالدعاء الدعاء الدعاء . والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل .

اني استغرب كل الاستغراب لم كل الحقد على شخص الرسول وقد بعثه الله الى العالمين كافة رحمة ((وما ارسلناك الا رحمةً للعالمين)) , وانهم لو يعلموا بالحقيقه لأسلموا , ولكن كيف نمحوا الصورة السيئة عن المسلمين في عقولهم؟ .

إن أعداء الدين يرصدون المليارات للحروب وتطوير آلات الحرب كما أنهم يعملوا على تشويه كل شئ متعلق بالاسلام , ويلصقون الارهاب بالاسلام ويحاربوننا في بيوتنا، أمس في افغنستان واليوم في العراق وغدا الله اعلم . فحتى الانسان العادي في العالم اصبح يصدق بان الاسلام هو مصدر الارهاب.

وقبل أن أودعكم أتسائل هل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي الى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق اللندنية 06-02-2006م

38 غزوة كوبنهاجن (الحلقة الخامسة)

يبدوا أن قضية الرسومات الكاريكاتورية في الصحيفة الدانماركية وماتلاها من أحداث لن تنتهي قريباً , ومازالت الحشود الغاضبة تضرب في كل مكان والقادم أكبر, ونستكمل اليوم مابدأناه في الحلقة الماضية بعد أن نلخص أهم ماجاء فيها : ملكة الدانمارك طالبت بالتصدي للاسلام , تناقض بعض التصريحات بخصوص المقاطعة مابين مؤيد ومعارض , تذكير بردود فعل الأوروبيين على بعض التصريحات , الدساتير الغربية والإجراءات غير الصارمة , وجهة نظر الكاتب في المقاطعة , نبذة تاريخية , دعوة للإستفادة من هذه التجربة .

وفي هذه الحلقة سوف نعرض بعض الأفكار ونستعرض جزء مما تداولته وسائل الإعلام حول تطورات القضية , فقد نشر خبر إستطلاع للرأي مؤخراً مفاده أن 79 % من الشعب الدنماركي يعارض الإعتذار للمسلمين , وعليه يتضح أن الذين يغالطون التاريخ كثيرون , فهذه الإساءة تعتبر أحد أشكال العنصرية البغيضة التي جرت الويلات على المجتمع الدولي بأسره .

وبدأت بعض الهيئات الدولية العمل على حوار الأديان وعليه نقول إن من هو حريص على حوار الأديان وخصوصاً الفاتيكان عليه أن يأخذ زمام المبادرة ولكن هذا لم يحدث , فقد تأخر كثيراً في الرد على هذه القضية , وإذا لم يكن هذا الحوار معنياً بإحترام الأنبياء في المقام الأول فلا داعي للإستمرار فيه .

وبدأت الجهود التي تقوم بها منظمة المؤتمر الإسلامي تؤتي ثمارها بالدعوة الى عقد إجتماعاً إستثنائياً يضم 57 دولة على مستوى السفراء لبحث القضية "في القريب العاجل" , ولهذا نحث منظمة المؤتمر الإسلامي على أن تفكر كيف تستفيد من الأحداث لتكوين إستراتيجيات تقوم على أساسها بنشاط مكثف ومنظم له أهداف محددة ويتم تقييم هذه الأهداف على فترات دورية , وأن تعمل على البدء بحملة للتعريف بالإسلام والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في مختلف دول العالم الغربي .

ولاسيما أن هذه الدول بدأت تفهم وتتفهم طبيعة المسلم ، وهذا سيدفع الدول الغربية للنظر في قوانين النشر لديها إن عاجلاً أم آجلاً وأن كان البعض منها قد بدأ بالفعل على إصدار قوانين تجعل الإساءة لأي دين من الأديان عملا عنصريا يعاقب عليه القانون فالعاقل من إتعظ بغيره , وهذه فرصه جيده لنعطى للغرب نظره واقعيه ونبين لهم أن هناك خطوط حمراء ينبغي عليهم ألا يتعدوها وهو الوقت المناسب لنثبت أننا حضاريين وعلى درجة من التقبل للآخر والنقاش معه , كما ينبغي أن نتعلم أن لا نتساهل أو نتجاهل مايسيء الى الأديان .

ونريد أن نذكر وزراء منظمة المؤتمر الإسلامي قبل إجتماعهم ما قاله بات روبرتسن في حق النبي صلى الله عليه وسلم إنه "ارهابي وقدوة للكراهية وليس للحب.." أما جيري فويل , فقد قال إنه "رجل عنيف ويدعو الى العنف.." وغيرهم كثير طالما أن الملفات سوف تفتح .

ويجب أن نأخذ على محمل الجد ماقاله عضو الكونغرس، النائب الجمهوري توماس تانكريدو، عن التهديد بتدمير الأماكن المقدسة للمسلمين في مكة , كما نود أن نذكر بما قام به رسام الكاريكاتير الأمريكي المعروف دوج مارلت بتصوير النبي وهو يقود شاحنة محملة بالمتفجرات، وقد كتب تحت الرسم عبارة: "وماذا سوف يقود محمد؟!" , ألم يقل جون أشكروفت، وهو يتولى منصبا رسميا، وزارة العدل، إن: "الإسلام هو دين يطالبك فيه الرب أن ترسل ولدك ليموت من أجله (الرب). والمسيحية هي عقيدة يرسل فيها الرب ولده ليموت من أجلك"؟!

ونود أن نرفع بين أيديهم التحذيرات التي صدرت عن المفوضية الاوروبية من إنها قد ترفع شكوى الى منظمة التجارة العالمية في حال شجعت بعض الحكومات في العالم الإسلامي على مقاطعة المنتجات الدنماركية، كرد على نشر الصور المسيئة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام.

كما نود أن نرفع بين أيديهم إقتراحاً بدراسة أهم الأسباب التي من أجلها يهاجر المسلمون الى النرويج والدنمارك وباقي دول العالم الغربي وقد شبهها البعض بهجرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الى الحبشة متذرعين بالقول أن بلادهم ترزح تحت نير الدكتاتوريات وهدر

الثروات ونهبها وتوزيعها بين المسؤولين الفاسدين في تلك الدول وفي هذا تشويه لكل مايتصل بالحضارة العربية والإسلامية.

وأن لاينسوا بأن لهم إخواناً يعتبرون أقليات مسلمة هناك ينبغي التحذير من التعدي على حقوقهم المدنية وممتلكاتهم المادية إذا ماتطورت الأحداث الى أكثر من ذلك فهناك تنظيمات نازية تعمل على التحرش بهم وإثارتهم والبعض يعمل على التطهير العرقي ضدهم عن علم ودراية كاملة بذلك لأنهم مازالوا يحتفظون بهوياتهم ومعتقداتهم وعاداتهم وأديانهم .

كما ينبغي عليهم أن يناقشوا موضوعاتهم بكل تجرد وأن يضعوا نصب أعينهم أن بعض الحكومات التي تطالب ببعض المعارضين السياسيين في تلك الدول قد تستفيد من هذا الوضع بعقد صفقات سرية لتسوية الأوضاع على حساب قضية شغلت الرأي العام الإسلامي والعالمي حتى لانحيد عن الهدف وننشغل في قضايا جانبية ومن ضمنها تضييق الخناق على المعارضين المطلوبين لبعض الحكومات فهذه هي السياسة كيف تستفيد من الأزمات لتحقيق أهداف بعيدة عن لب المشكلة . وقد يذكي نار الخلاف هذا بعض أجهزة الإستخبارات التي همها الوحيد هو القبض على المعارضين السياسيين في الخارج .

وأن الهدف الأساسي هو المطالبة بحقوق المسلمين المشروعة التي تكفلها لهم جميع الديانات السماوية، والقوانين الدولية العادلة التي تنص على احترام الأديان، وتفرق بوضوح بين حرية الرأي والتطاول على الرسل .

وأفضل مانختتم به مقالنا قوله تعالى {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } التوبة40

وقبل أن أودعكم أتسائل هل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي الى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق اللندنية 08-02-2006م

39 غزوة كوبنهاجن (الحلقة السادسة)

يبدوا أن العلاقات بين الغرب والشرق ستأخذ منعطفاً تاريخياً وجذرياً بعد قضية الرسومات الكاريكاتورية المسيئة للإسلام والتي نشرتها الصحيفة الدانماركية والتي سيدونها التاريخ في صفحات سجلاته .

وإستكمالاً للحلقات السابقة نود في البداية أن نستعرض أهم النقاط التي وردت في الحلقة الخامسة لنستكمل بعدها التفاعلات المستمرة ويمكن تلخيص أهم النقاط فيما يلي : نشر خبر إستطلاع للرأي في الدانمارك , المكابرة ومغالطة التاريخ , العنصرية البغيضة تبدأ من الغرب , تأخر الفاتيكان في الرد وأثرها على حوار الأديان , الجهود التي تقوم بها منظمة المؤتمر الإسلامي , دعوة الكاتب للإستفادة من دراسة الحالة , بداية حملة للتعريف بالإسلام والرسول الكريم , إعادة النظر في قوانين النشر , لمحة سريعة عن الدعوات المغرضة والتحذير من الدعوات التي قام بها عضو الكونجرس الأمريكي .

الرسوم الكاريكاتورية وأثرها على الإقتصاد والسلم العالمي , المقاطعة ودورها في علاج الأزمة , أثر الرسوم الكاريكاتورية على الهجرة والمهاجرين الى الغرب , التنظيمات النازية وأثرها على المهاجرين , التحذير من إستفادة بعض الدول من هذه القضية وخصوصاً فيما يتعلق بالمعارضين السياسيين .

وإستكمالاً لما سبق سوف نركز على أن الهدف الأساسي هو المطالبة بحقوق المسلمين المشروعة التي تكفلها لهم جميع الديانات السماوية، والقوانين الدولية العادلة التي تنص على احترام الأديان، وينبغي التفريق بوضوح بين حرية الرأي والتطاول على الرسل .

ولاسيما أن بعض الصحف الأخرى ألمانية وإسبانية وفرنسية وسويسرية وغيرها من دول أخرى , أعادت نشر الرسوم متذرعين بحرية الرأي حتى قالت إحدى الصحف أنه لاحصانة لأحد من التهكم في الغرب , حتى أن منظمة مراسلون بلا حدود دافعت عن نشر الرسوم،

بالقول قد تبدو هذه المبادرة استفزازية, لكن أساسها مبرر بالكامل ولا تستحق في أي حال من الأحوال الاعتذار من أي كان .

حاولت الجالية الإسلامية ومعها السفارات العربية والإسلامية في الدنمارك تجاوز الأمر بالطريقة الأفضل وعبر القنوات الحكومية والدبلوماسية، إلا أن إعادة نشر الرسوم تعتبر بكل المقاييس عملا وقحا وشنيعا فيه تعدي على مشاعر المسلمين مع سبق الإصرار، وأن ذلك ما كان ليتم لولا قوانين النشر في يعض الدول الأوروبية التي لا تمنع ذلك ولا تحدده الأمر الذي يدعونا أن نطالب بتغيير قوانين النشر في تلك الدول وأن تتمسك منظمة المؤتمر الإسلامي بهذا الحق غير القابل للتنازل .

ولابد من الإشارة هنا الى وسائل الإعلام الصهونية ودروها في تأجيج الصراع بين الغرب والشرق من خلال تشويه صورة الإسلام والاستهزاء بالأنبياء والرسل ، بتغذية الحقد ، وماذا يعني أن يصف بعض الحاخامات المسلمين بأنهم أفاعي وحشرات، ومازالو يتطاولون على شخص رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وإن هذه الإساءات المتكررة سبَّبَها قادة الكراهية والشر في هذا العالم .

وهذه الإساءات ليست جديدة في طابعها ومقصودها , فقد دأبت كثير من وسائل الإعلام على التعرض للإسلام والمسلمين والنيل من قدسية معانيه ونبل مبادئه العظيمة، ولا تزال تلك الوسائل تحتضن كل شاذ وضال ممن له تاريخ أسود حافل بالتطاول على الإسلام وعلى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم والتربص بالإسلام والمسلمين , وتقدم لهم التسهيلات بحجة حرية الرأي وتشجيع الأعمال الفنية والأدبية .

وإن مايحدث من إستمرار التهجم على الإسلام والمسلمين يأتي ضمن سياق المفهوم الغربي لأيديولوجية "الخير والشر" التي تعتبر المسلمين شرا لا بد من إستمرار الحرب عليهم تحت أي ذريعة أوأي مسمى براق في ظاهرة ولكنه قاتم ينم عن حقد دفين في جوهره , وإن كان الخوف من الإسلام بعد سقوط الشيوعية هو الذي يدفع بعض الغربيين إلى النيل من شخص رسولنا الكريم .

ولم تكن الصحف الدانمركية والنرويجية الجهة الأولى في التهجم على الإسلام والمسلمين ، بل إنها تأتي في سياق زمني طويل بدأ بإصدار الدراسات التي تتهكم على النبي وأصحابه، والسخرية من عبادات المسلمين، وبث الأعمال الفنية والسينمائية التي تنتقد المسلمين، من خلال تشويه صورتهم لدى الرأي العام العالمي.

من الواضح أن هذا الأسلوب في الإساءة إلى المسلمين لدى بعض الكتاب ، غدت أقصر الطرق للشهرة ، ورفع حجم المبيعات، بدءا آيات شيطانية ومرورا بالاستهانة بلفظ الجلالة، وسلسلة طويلة من البذاءات ، وانتهاء بما أقدمت عليه الصحف الدانماركية والنرويجية وماتلاها .

ولعل البعض يتصور أن دور الموقف العربي والإسلامي في المقاطعة الإقتصادية للمنتجات الدانماركية والنرويجية سيضع حدا لهذا التطاول في العالم بأسره لعلهم يشعرون بمدى الجرم الذي قام به البعض منهم , وأن عليهم إحترام عموم المعتقدات والأديان السماوية ونحب أن نذكر بسؤال أين هؤلاء المتطاولون على الدين الإسلامي من كلمات الرسول الطيبة التي تدعو الى الرحمة والتعاون والسلام والعدل وكرامة الإنسان ؟ .

ونحن لانستغرب ماقامت به تلك الصحيفة وماتلاها من صحف ووسائل إعلام فكل ذلك مخطط مرسوم بدقة متناهية منذ الحروب الصليبية ولكن على مراحل وهذه المرحلة هي مرحلة دخول هذا المخطط إلى خطواته العملية والتنفيذية بدأت بعض ملامحها بالظهور ويقوم أساس هذا المخطط على الخطاب الإعلامي الذي أصبح يتسرب عن طريق صور ومعلومات وبطرق غير مباشرة لينتزعوا الأمة الإسلامية من واقعِها ويختطفونها من محيطِها ، يسهلُ التنظيرُ لها ، حتى لا تكونَ واقعاً عمليّا ملموسا ونحن نعيش في الغرب ونعلم ذلك تمام العلم .

ان المخطط الذي يستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين مستمر وسنتعرض إلى الأسباب الحقيقية الكامنة وراءه والتي تكمن في قياس ردة فعل الشارع الإسلامي وراء نشر مثل هذه الصور كبالون إختبار للاستعداد رسميا والتهيؤ من اجل إطلاق مخططات كيدية تدميرية والتي نعرف أهدافها جيدا ومنها هدفان الأول ضد رسول الله عليه أفضل الصلوات والسلام والثاني تدمير الإسلام وأهله .

ولكن أخشى ما أخشاه أن يطول الصمت المطبق على عقول البعض من قادتنا وشيوخنا وعلمائنا لما يتعرض له الإسلام وأهله من مؤامرات ، حتى يعتادوا على ذلك ، فتخرج الأمور عن سيطرتهم فتقل هيبتهم ، فلا يُقبل منهم رأي ولا مشورة ولا فتوى ولا نصيحة، لأنّهم سكتوا والساكت عن الحق شيطان أخرس ، وكلنا ثقة في شعوب هذه الأمة .

إن هذه القضية ليست بجديدة فالحرب على الإسلام بفكره ومنهجه ممثلة في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم مستمرة ومستعرة وان كانت تأخذ أشكالا مختلفة , ولكن الله عزيز ذو إنتقام وسوف ينتقم لرسوله الذي ارسله للبشر كافة بشيراً ونذيراً .

وهناك رسومات ومغالطات تشوه الرسول ومنها على سبيل المثال : صورته مع عائشة وجبريل والبراق في كتاب دنماركي جديد لتستمر الإساءات وتنطلق من قلب الدنمارك تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم، ويأتي كتاب `القرآن وحياة الرسول محمد` لمؤلفه كوري بلوتيكن ليشكل استهتاراً جديداً بمشاعر المسلمين بعد صدوره في 2006/1/24م. وعلى الرغم من الغضب الكبير الذي أنتجته الكاريكاتيرات الأولى التي نشرتها صحيفة `يولاند بوسطن` الدنماركية، في العالم الإسلامي. إلا أن الكاتب بلوتيكن أصر على تحدي المسلمين في كتابه الجديد المكون من 272 صفحة، مزودة برسومات تصور الرسول صلى الله عليه وسلم.

واللافت في الكتاب أن مؤلفه يدعي أنه موجه للأطفال، ولذلك زوّدوه بالرسومات التي تقدم تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعتبر تلك الرسومات مرفوضة أصلاً في العقيدة الإسلامية ، لأنها تقدم تشويهاً للرسول صلى الله عليه وسلم، فإحداها على سبيل المثال تصوره وهو يتأمل تعذيب اليهود في المدينة المنورة وهم يتألمون، وأخرى له مع عائشة رضي الله عنها، وثالثة، تظهره على البراق في الإسراء والمعراج، ولم يكن البراق لدى الرسام والكاتب سوى حصان بجناحين ورأس امرأة، ورابعة، في غار حراء ويبدو فيها جبريل عليه السلام بجناحين أيضاً... وما إلى ذلك من رسومات هدفها تشويه صورته صلى الله عليه وسلم.

ويدعي الكاتب أنه استمد معلوماته من كتب ثقافية إسلامية من أجل سرد حياة محمد عليه الصلاة والسلام، غير أن واقع الحال ومحتويات الكتاب تؤكد أنه لم يفعل ذلك سوى لغاية التأثير على عقول الأطفال وتقديم صورة مسيئة للإسلام. فالأطفال عند قراءتهم لمثل كتابه لا

يستطيعون التفريق بين الحقيقة التاريخية والخيال، وترسخ الصور بذاكرتهم وترسم الرؤية غير الصحيحة.

ويلاحظ أن محتوى الكتاب يتركز على آراء الكاتب الشخصية التي يظهر فيها الاتجاه العدائي للإسلام، إذ إنه لم يكن صادقاً في وصف الوقائع والأحداث التاريخية، ونجده يكتب بسخرية عن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة رضي الله عنها، ويحاول التأثير على عقول القراء في الغرب باختلاق روايات لا أساس لها من الصحة. وأمعن المؤلف في الإساءة حيث يصف الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنه قاتل بدم بارد، ولا يحمل مروءة، وكتب ألفاظاً كثيرة أخرى لوضع الصفات السامية موضع الشك لدى الأطفال.

وقبل أن أودعكم أتسائل هل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي الى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق اللندنية 14-02-2006م

40 غزوة كوبنهاجن (الحلقة السابعة)

كيف سيكون هناك حوار للأديان مالم يتفق الجميع على إحترام المشاعر الدينية لبعضهم البعض ؟ , إن صراع الحضارات قد يتحول الى صراع أديان مالم تحل قضية الرسوم المسيئة للرسول الكريم التي بدأت شرارتها الملتهبة من الدانمارك وتضامن دول أوروبا وأمريكا معها ضد المقاطعة الإقتصادية وضد أعمال العنف والتهديدات التي قد تتعرض لها والسؤال الآن هو كيف للدول العربية والإسلامية أن تتضامن فيما بينها لقيام مؤتمر دولي لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟ وتنسيق الجهود لتطويق الأزمة التي لم تنته بعد .

وإستكمالاً للحلقات السابقة نود في البداية أن نستعرض أهم النقاط التي وردت في "الحلقة السادسة" لنستكمل بعدها آخر التطورات والأفكار التي نشرت ويمكن تلخيص أهم النقاط فيما يلي : المطالبة بحقوق المسلمين المشروعة , بعض الصحف الأخرى أعادت النشر إستكباراً وتحدياً وإستهتاراً , منظمة مراسلون بلا حدود ورأيها في الرسوم , محاولات لتطويق الأزمة , قوانين النشر ودورها في التعرض للأديان , مطالبة الكاتب لتغيير قوانين النشر من خلال الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي .

دور وسائل الإعلام الصهيونية في تأجيج الصراع , المفهوم الغربي لأيديولوجية "الخير والشر" , أثر سقوط الشيوعية على الإسلام والمسلمين , الإساءة إلى المسلمين غدت أقصر الطرق للشهرة ، المقاطعة الإقتصادية وأثرها , الخطاب الإعلامي وأثره , هل هناك مخططات تستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين ؟ , هل هناك صمت عربي وإسلامي ؟ , وماهو دور شعوب هذه الأمة ؟ , كتاب دنماركي جديد يستهتر بمشاعر المسلمين .

وفي هذه الحلقة سوف نستعرض أهم ماتداولته وسائل الإعلام وآخر تطورات القضية ونحن مازلنا في أول المشوار فقد أعادت نشر الرسوم العديد من الصحف وهذا يعني تمادياً في الجريمة مع الإصرار ضد الإسلام والمسلمين وتشكل تحدياً صارخاً ولابد من وضع حد لكل تلك الإساءات سواء كانت للنبي محمد أو للنبي عيسى أو غيرهم من الأنبياء .

وليس من المنطقي أن نجد التبريرات بالقول أن هؤلاء الأشخاص يعبرون عن رأيهم الشخصي فقط , ولا يعبرون عن رأي الشعب الدنماركي بأكمله , صحيح أنهم لايعبرون عن رأي الشعب , ولكن إذا كان الأمر سيعرض أمن البلاد للخطر سواء كان إقتصادياً أو أمنياً فيجب معاقبة المسؤولين عن هذا الرأي , لا أن تقف الحكومة مكتوفة الأيدي من أجل قانون وجب تغييره الآن بما يخدم المصلحة العليا للبلاد .

نحن جميعاً فى حاجة الى التضامن من أجل حماية سنة رسولنا الكريم "ليس" بحرق الاعلام أو المظاهرات ولكن بالتطبيق العملى وإتباع سنته صلى الله عليه وسلم , ولنا أن نتسائل هل الدنمارك هى الدوله الوحيده التى أساءت للاسلام؟ .

ونسأل أنفسنا كمسلمين لماذا يقوم معظم الناس من كل الاديان والجنسيات بمهاجمه الدين الاسلامى ؟ , لنتعرف على السبب فى مهاجمه الاسلام و الرسول و تعاليمه و التشكيك فى صدقه طالما أن تعاليم الدين الاسلامى تتميز بإيقاظ ضمير الانسان و جعله يحب أخيه الانسان مهما كانت عقيدته أو لونه أو جنسيته ولايعتبر عاقلاً من يقوم بقتل أخيه الانسان لمجرد أنه يخالفه فى الفكر أو العقيده .

وبعد أن نتعرف على الأسباب ينبغي أن تقوم الجهات المسؤولة ممثلة في جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي بطلب إستصدار قرار دولي من هيئة الأمم المتحدة بتجريم الإساءة للإسلام وسيدنا محمد ، كما أستطاع اليهود إستصدار قرار بتجريم من ينكر محرقة الهولوكوست .

كما ينبغي أن يعلم دعاة الحضارة الجديدة أن ثمة محرمات لا تطالها الحريات وأن الديانات بشكل عام و السماوية بشكل خاص بل و الاسلام بالأساس هي من أكثر الأمور حساسية و المؤثر الأكبر في النفوس فمع كل تخاذل للمسلمين إلا أن المساس بشخص الرسول علية الصلاة و السلام حرك هذه الموجة العارمة من الغضب والإحتجاجات والمظاهرات .

لقد أخطأ الإعلام الغربي وكذلك المسؤولين الأوروبيين عندما أرادوا ان يصوروا لنا الإساءة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم على أنها تدخل ضمن حرية التعبير , كما أن محاولة الصحف الأوربية الأخرى للتضامن مع الصحيفة الدنماركية من هذا الباب ينبغي أن ينظر لها بأنها

عملية في غاية الخطورة والغرض منها إشعال حرب دينية عالمية ، وهو ما قد يؤثر على التعايش الإنساني برمته.

أعتقد بأن المطلوب حالياً من المسلمين التعقل ودرس الأمور بحذر وتأني فالإستفزاز العالمي قادم وليس من دولة الدنمارك وحدها بل سيتبع ذلك مراحل أخرى حتى تستيطع قوى الشر في العالم السيطرة على العالم الاسلامي أجمع ووصمه بالارهاب العالمي فلا بد من أخطاء يتم إرتكابها حتى تكون أعمالهم مبررة من قبل البعض وهذه الأخطاء لن تتم إلا بالإستفزاز العالمي الذي تترأسه قوى الشر في العالم عندما بدأوا بنشر صورة معادية للديانة الاسلامية ومن ثم ينتظروا ردود الأفعال فإذا لم تحصل حاولوا مرة أخرى وهذه هي السياسة الصليبة الجديدة القادمة للسيطرة على العالم الاسلامي فهم ينتظروا ردة فعل عنيفة من قبل بعض المسلمين ليتحركوا ضد هذه الدولة الإسلامية أو تلك .

وهذة الإستراتيجية لم تعد غريبة , فقد دنس المصحف الشريف في (غونتانامو) وأسيء الى رسول الهدى في الدنمارك والنرويج وغيرها من الدول , و كأننا فقدنا كل شئ , نقوم بمظاهرات لفترة محدودة وتنتهي موجة الغضب ثم ننسى كل شئ, فسواء إعتذروا أم لم يعتذروا , فقد وقع الظلم ويجب رفع الظلم حتى لاتتكرر المأساة وتزداد الإهانات .

هناك صورة مشوهة عن العالم العربي والإسلامي والكثير يشارك في صنعها وإزداد التخلف وعم الفقر حتى أصبح العرب والمسلمون أمة مستهلكة وغير منتجة , فأكثر الذين أساءوا للإسلام من اليمين المتطرف الذين هم أول من تكلم عن الإرهاب الإسلامي وتبعهم القطيع فصدقهم مغفلوا العرب لكي يزجوا بالمسلمين في أتون الإرهاب والعنف , وهذا العراق يصرخ وأفغانستان تأن ويستنجدان بالأمتين العربية والإسلامية فهل من مجيب ؟ لذا ينبغي أن نتدارك الأمر قبل إنتشار موجة العنف الى باقي الدول فيضع الغزاة شروطا على العالمين العربي والإسلامي .

صحيح أنه يتوجب علينا أن نقبل الإعتذار ولكن ينبغي علينا أن نعمل على نصرة الحبيب وننتصر لأنفسنا ونعيد للأمة عزها ومجدها ونغير من أنفسنا حتى يتغير حال الأمة ولن يتم لنا ذلك إلا من خلال تطبيق شرع الله وأن نعمل على إحترام الإنسان وتطبيق قاعدة لا إكراه

في الدين والصدق في المعاملة والإتقان في العمل لنصبح أمة منتجة تفرض إحترامها على باقي الأمم وبذلك سيكون هناك حوار للأديان مبني على إحترام المشاعر الدينية .

وقبل أن أودعكم أتسائل هل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي الى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق اللندنية 26-02-2006م

41 الدانمارك .. ومأأدراك .. ماالدنمارك

في سبتمبر من عام 2005م نشرت إحدى الصحف الدانماركية رسوماً كاريكاتيرية تتعرض للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبدأت تتفاعل القضية بشكل شعبي بعد ثلاثة أشهر عندما طالب العديد من العلماء المسلمين بمعاقبة الصحيفة الدانماركية بالإعتذار وفرض عقوبات رادعة على كل من شارك في هذا العمل المشين .

ومنذ اللحظة الأولى التي تم نشر هذه الصور بدأت الجهود الدبلوماسية لحث الحكومة الدانماركية لإتخاذ موقف مراعاة لشعور المسلمين ولكن تم هذا الرفض بلسان رئيس الوزراء على إعتبار أن ذلك الذي نشر في الصحيفة المذكورة أعلاه يعتبر من حرية الرأي .

وحول بداية قصة الكاريكاتير المسيء للرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقول أحد المشايخ في الدانمارك "لقد قام مؤلف دنماركي بتأليف كتاب للأطفال عن الإسلام، وأراد صورة للنبي صلى الله عليه وسلم ليجعلها على غلاف الكتاب، وحاول مع العديد من الرسامين فلم يفلح في إقناعهم برسم صورة فانبرت له صحيفة "يولاند بوسطن" وأخذت على عاتقها تشجيع الرسامين، واستطاعت أن تقنع 12 رساماً كاريكاتيرياً برسم اثنتي عشرة صورة للنبي صلى الله عليه وسلم كلها تتسم بالحقد والسوداوية والنظرة الخاطئة لنبي الإسلام والمسلمين .

وهكذا بدأت القصة في الدنمارك بتاريخ 30-09-2005م ، وأخذت تداعيات الحدث تتزايد داخل الدنمارك وبعد نشر الصور بأسبوعين تقريباً قامت صحيفة دنماركية أخرى بنشر صور أخرى لا تقل قبحاً عن الصور الأولى، وهكذا فقد تشجعت الصحف حتى رأينا صحيفة نرويجية تأخذ نفس صور صحيفة يولاند بوسطن وتنشرها واختارت لها أول أيام عيد الأضحى المبارك .

وبدأت بيانات الشجب والإستنكار من العديد من المنظمات والجمعيات الإسلامية والعربية في الدانمارك، تعبر فيه عن غضبها الشديد مما نشرته صحيفة يولاند بوستن الدانماركية من تطاول على شخص الرسول محمد عليه الصلاة والسلام , وهي عبارة عن رسومات متخيلة ومشوهة تُزعم أنها للرسول الأعز الأكرم صلوات الله وسلامه عليه .

وفي تصريحات لأحد أئمة المساجد في الدانمارك، قال " إن الرسوم تظهر شخصا على رأسه عمامة على شكل قنبلة وبيده خنجر وخلفه امرأتان منقبتان , ويأتي هذا في إطار التطاول على نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم وتم تحت غطاء من "حرية التعبير" بينما لا يسمح بالكلام عن السامية .

وبدأ بعض الكتاب بإقتراح محاربة الدانمارك إعلامياً كأحد الإقتراحات ولكن نحب أن نذكر أن في الدانمارك يوجد مائتا ألف مسلم يشكلون 3% من عدد السكان الإجمالي , كما يُعد الإسلام ثاني أكبر ديانة بعد المذهب الإنجيلي اللوثري ومع ذلك فإنهم يعانون من التجاهل ونقصان الحقوق لدرجة منعهم من امتلاك مسجد كبير, وينظر كثير من الناس لهم بعنصرية بغيضة تعمل على تهميشهم وعدم الاستعانة بهم في الأعمال وهو ما يزيد من غربتهم وشعور بعضهم - أو قل أكثرهم - بالاضطهاد وعدم الانتماء للمجتمع ويرزحون تحت وطأة البطالة العالية في الدانمارك .

وبعد الإطلاع على معظم المقالات التي عبر كتابها عن وجهات نظرهم والتي أمدتنا بالكثير من الأفكار كتعليق على هذا الحدث الجلل فالمسلمون يعتبرون إن التهجم على شخص النبي يأتي في سياق الحرب على الإسلام سواء كانت بطريقة خفية بهدف إبقاء مشاعر المسلمين ساكنة أو علنية لتأجيج المشاعر وهي في الواقع إسقاط لمايدور في خيال الحاقدين على الإسلام ويريدونها أن تكون حرب في سلسلة الصراع الطويل الذي يمارسونه منذ فجر الإسلام قال تعالى { ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} [سورة البقرة: 217] .

فالاية مبينة للقاعدتين معاً حتمية الصراع (ولا يزالون يقاتلونكم) وغايتهم من الصراع (حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) إذن لا بد ان يكون هذا الامر واضح عند المسلم غاية الوضوح فمن يحاربك فهو يطاردك أو يقاتلك أو يفاوضك إنما هدفه أن يردك عن دينك حتى يتسلل الخلل الى شخصك وأمتك ليغير إتجاه مسيرتها .

والرسومات التي وردت في الصحيفة الدانماركية قد مست كرامة ومشاعر المسلمين بالتجني على رسولهم المرسل من رب العالمين وفي السياق نفسه نجد أن المسلمين تعرضوا للأذى والإهانة في كثير من الدول فالتعدي على حقوق المرأة المسلمة وحجابها في دولة ما , وأظهرته بعض الصور المنشورة في الصحيفة المذكورة تأتي ضمن حملة تم التخطيط والإعداد لها مسبقاً , كما أن تدنيس المصحف الشريف في أكثر من مكان وتم نشره في أكثر من صحيفة له دلالات معادية .

وفي الصور التي نشروها عن النبي صلى الله عليه وسلم صوروه كأنه زعيم الإرهابيين في نظرهم , ويعتبر الإسلام في نظر العديد من وسائل الإعلام لديهم هو المعنى اللغوي الرديف لكلمة الإرهاب , والجماعات الإسلامية المتشددة هي منظمات إرهابية كما يحلوا لهم وصفها , ولهذا فإنهم يخوضونها حرباً دينية ولكنها تحت شعارات إنسانية وبمسميات جديدة وينبغي على العاقلين فضحها وتبيين دلالاتها فالحرب ضد الإرهاب تم إلصاقها بالمسلمين ليتم وصفهم بالإرهابيين ومن ثم تعلن الحرب عليهم .

ألم يصرح رئيس إحدى الدول أن حربه مقدسة وصليبية وأن "الرب" هو الذي أرسله وفي بعض الدول وغيرها يعتبر الحجاب هو شعار الإرهاب وهنا يتسائل أحدهم بالقول لماذا لايكون هناك لجان تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي تتابع إعلاميا وثقافيا وسياسيا مثل هذه الحملات ؟ التي يبدو أنها بدأت تأخذ منحى وشمول الحرب المنهجية المؤسسية التي لا يجوز أن يكون الرد عليها إلا منهجيا ومؤسسيا ومكافئا لها في القوة والمقاومة ومضاد لها في الإتجاه .

أما الآخر فيوجه التسائل التالي لماذا لانستطيع أن نحرك المحكمة الدولية وهيئة الأمم لإيقاف مثل تلك الإهانات بحق الشعوب والدول الإسلامية ؟ , ويتسائل ثالث بالقول لماذا لايتحرك البرلمانيون الإسلاميون للدفاع عن دينهم ممثل في الإهانات ضد رسول الإنسانية ؟ , ويتسائل رابع بالقول أين دعاة حقوق الإنسان؟ ويتسائل سادس بالقول أين دعاة السلم العالمي؟ .

ويتسائل سابع مندهشاً أين مؤتمرات الحوار والتقارب بين الأديان؟ , ويتسائل ثامن مستغرباً أين الملحقيات الثقافية لسفارات ست وخمسين دولة إسلامية من هذه القضية التي تعتبر ثقافية من الطراز الأول؟ ويتسائل تاسع مستهجناً أين قادة الفكر "العربي والإسلامي"؟ وآخرهم قال وتعلوا وجهه الحيرة ويعتصر قلبه الألم متعجباً بالقول هل تتذكرون يوم هدمت تماثيل بوذا كيف تحرك لها المجتمع الدولي ومجلس الأمن وحتى دول إسلامية ورموز علمية !!! .

رئيس تحرير الصحيفة رفض الإعتذار الرسمي , فماذا يعني هذا ؟ وعليه نوجه دعوة صريحة لكل من يحب رسول الله أن يردوا عليهم بمنطق إسلامي وليكون الجزاء من جنس العمل وبعيدا عن العنف لان ديننا دين الرحمه والانسانيه , أيها المسلمون أذكركم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها قالوا أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال بل كثرة ولكن غثاء كغثاء السيل ينزع الله من قلب عدوكم المهابة ويلقي في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن يا رسول الله قال حب الدنيا وكراهية الموت) .

وهو القائل لا يؤمن أحدكم حتى يحبني أكثر من والديه وولده وماله ونفسه فقال أبن الخطاب أكثر من والدي وولدي ومالي ولكن ليس أكثر من نفسي فقال صلى الله علية وسلم لا يا عمر فبكى الفاروق وقال بل أكثر من نفسي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الأن يا عمر أي الأن أكتمل إيمان عمر بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسه فأين نحن من هذا الإيمان .

أيها المسلمون ماذا تنتظرون , قال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عندتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) , إدعموا وزراء الخارجية العرب الذين إنتقدوا حكومة الدانمارك لعدم إتخاذها إجراء إزاء الصحيفة , وأبدوا عدم رضاهم عن المنظمات الأوروبية المعنية بحقوق الإنسان التي لم تتخذ موقفا واضحا إزاء الرسوم التي نشرت .

أيها المسلمون ماذا تنتظرون وطالبوا بحقوقكم فقد أدانت شخصيات يهودية ومسيحية دينية وعلمانية في الدانمارك "الإساءات" التي تعرضت لها شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال رسوم كاريكاتورية, مما تسبب بمشاعر غضب عارم في العالم الإسلامي عامة والجالية المسلمة في الدانمارك وأوروبا بشكل خاص , وأكد القساوسة في الدانمارك مجتمعين رفضهم لكل إهانة أو مساس بالأديان السماوية أو بالأنبياء والرسل .

نطالب بتفعيل قرار الأمم المتحدة بخصوص حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، (بتاريخ 1426/3/3 هـ - الموافق2005/4/12 م) الداعي إلى محاربة تشويه الأديان، لاسيما الإسلام، الذي زادت وتيرة تشويهه في الأعوام الأخيرة وللأسف الشديد , ولنتلمس الطريق السليم في التعامل مع هذه القضية , ولندعم رئيس لجنة الدفاع عن النبي في الدنمارك الذي حذر من انفلات الحوار الحضاري .

ولندعم أيضاً اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء التي بادرت وكوّنت فريقاً من المحامين الأمريكيين والدنماركيين، لاستئناف قرار الرفع للمحكمة الفيدرالية، الذي يهدف إلى مقاضاة صحف دنماركية نشرت رسومات كاريكاتورية تسخر من النبي محمد صلى الله عليه والسلام , كما ندعوا الى مؤتمر دولي لنصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم , على غرار المؤتمر الدولي لمحاربة الإرهاب , ولندعم أي حملة ترعاها جهة رسمية إسلامية للمطالبة بحقوق المسلمين في جميع أنحاء العالم .

كما ندعوا الى دعم وإنشاء منظمة للمقاطعة العربية والإسلامية تحت أسس علمية وأن نستفيد من تجارب الماضي حتى نستطيع أن نحول المحن الى منح والمصائب إلى عمل صائب , أعلم أنني قد أتيت متأخراً للكتابة في هذا الموضوع , ولكن: أن تأتي متأخرا، خير من ألا تأتي أبدا , فإنتصروا لنبيكم ولأمتكم فالأمة التي لاينتصر لها تبقى مهزومة .

وقبل أن أودعكم توقفوا كثيراً عند هذه العبارة المقتبسة { الدنمارك، وما أدارك ما الدنمارك، التي تشير دراسات علمية إلى احتمال إنقراض شعبها خلال نصف قرن } , فهل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي الى عمل إرهابي ضد الدانمارك ؟ وهل سيكون هذا العمل من الداخل أم من الخارج ؟ أتمنى أن تحل الأزمة التي تسببت بها الصحيفة أعلاه بالطرق السلمية لنثبت للعالم أن الإسلام هو دين السلام .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق اللندنية 04-02-2006م

42 كرة ثلج من الدانمارك

يبدوا أن كرة الثلج التي بدأت تتدحرج من الدانمارك أخذت تكبر لدرجة أنها ستمر على كل دول العالم أو على الأقل ستقسم العالم الى فسطاطين وهما إما أن تكون مع حرية الرأي أو تكون ضد حرية الرأي ولكن هذه العبارة هي كلمة حق أريد بها باطل وهنا تعود الضبابية لتطغى على العقول لتنذر بشبح حرب كلامية ستأخذ مسار الحرب الباردة ولكن هذه المرة بين العالم الإسلامي وباقي دول العالم ولو عبر الشبكة العنكبوتية والتصريحات الصحفية والإعلامية والتصريحات المضادة .

وبداية القصة تعود للخاتم من سبتمبر هذا الشهر الذي يبدوا أن مصائب العالم تبدأ عنده فما أن إنتهينا من أحداث الحادي عشر من سبتمبر وفواجعه وويلاته ولم ننته من آثاره والفاتح من سبتمبر وقيوده وأيلول الأسود وذيوله , والخاتم من سبتمبر وأثره على الإقتصاد وركوده , والنهج الإسلامي ومن يعترض على أهم بنوده ليفيق العالم من سباته وكأنها صحوة إسلامية جديدة بعدما تعرض مقام خاتم النبيين محمد صلى الله عليه في الرسم الكاريكاتوري الذي نشر في صحيفة دانماركية إسمها "يولاند بوسطن" التي تبعتها العديد من الصحف التي تريد الشهرة ولو على حساب مقام الأنبياء والرسل .

فأي حرية للرأي هذه الذي يتحدثون عنها ومن السخرية القول أن العالم أشبه بقطيع غنم يتأثر بعواطفه ولايتدبر بعقله في كثير من مجريات الأحداث التي تمر بالشعوب ولهذا عندما ترغب الشخصية الكاريزمية أن تؤثر في الناس فما عليها إلا أن تلعب بعواطفهم وتحيد العقل فتختار من القول شعارات تدغدغ المشاعر , وبدأت تتفاعل القضية بشكل شعبي يحرك مشاعرها حبها لدينها وعقيدتها ورسولها ولكن هذا الحب هو من باب دغدغة العواطف التي أشبه ماتكون كالنار في الهشيم عندما تذروه الرياح .

ومنذ اللحظة الأولى التي تم نشر هذه الصور , طالب العديد من العلماء المسلمين بمعاقبة الصحيفة الدانماركية بالإعتذار وفرض عقوبات رادعة على كل من شارك في هذا العمل المشين , وبدأت الجهود الدبلوماسية لحث الحكومة الدانماركية لإتخاذ موقف واضح مراعاة لشعور المسلمين ولكن قوبل ذلك بالرفض بداية وعلى لسان رئيس الوزراء بإعتبار أن ذلك الذي نشر في الصحيفة المذكورة أعلاه يعتبر من حرية الرأي وإن إتسمت بالحقد والسوداوية والنظرة الخاطئة عن نبي الإسلام والمرسل للناس كافة .

وبدأت بيانات الشجب والإستنكار من المنظمات والجمعيات الإسلامية والعربية في الدانمارك، تعبر فيه عن غضبها الشديد مما نشرته الصحيفة لرسومات متخيلة ومشوهة تُزعم أنها للرسول الأعز الأكرم صلوات الله وسلامه عليه والتي تظهر شخصا على رأسه عمامة على شكل قنبلة وبيده خنجر وخلفه امرأتان منقبتان وهي بداية الحرب الكاريكاتورية التي حتماً تؤذي المشاعر وتزيد من الإحتقان وربما ستؤدي الى بداية حملة عنصرية للتطهير العرقي لتشمل مائتا ألف مسلم يشكلون 3% من إجمالي عدد السكان في الدانمارك .

ويُعد الإسلام ثاني أكبر ديانة بعد المذهب الإنجيلي اللوثري ومع ذلك فإنهم يعانون من التجاهل ونقصان الحقوق لدرجة منعهم من امتلاك مسجد كبير, وينظر كثير من الناس لهم بعنصرية بغيضة تعمل على تهميشهم وعدم الاستعانة بهم في الأعمال وهو ما يزيد من غربتهم وشعور بعضهم - أو قل أكثرهم - بالاضطهاد وعدم الانتماء للمجتمع ويرزحون تحت وطأة البطالة في الدانمارك .

وبعد الإطلاع على معظم المقالات التي عبر كتابها عن وجهات نظرهم المختلفة ومنهم من إعتبر إن التهجم على شخص النبي يأتي في سياق الحرب على الإسلام وهي إسقاط لمايدور في خيال الحاقدين على الإسلام ويريدونها أن تكون حرب في سلسلة الصراع الطويل الذي يمارسونه منذ فجر الإسلام قال تعالى { ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} [سورة البقرة: 217] .

الرسومات التي وردت في الصحيفة الدانماركية قد مست كرامة ومشاعر المسلمين بالتجني على رسول الله وفي السياق نفسه نجد أن المسلمين تعرضوا للأذى والإهانة في كثير من الدول وفي بلادهم ولسنا هنا بصدد ذكرها أو تعدادها ولكن للتنويه فقط .

الصور التي نشرت صورت نبي الهدى وكأنه زعيم الإرهابيين في نظرهم , ويعتبر الإسلام في نظر العديد من وسائل الإعلام لديهم هو المعنى اللغوي الرديف لكلمة الإرهاب , والجماعات الإسلامية هي منظمات إرهابية كما يحلوا لهم وصفها , ولهذا فإنهم يخوضونها حرباً دينية ولكنها تحت شعارات إنسانية وبمسميات جديدة .

لقد إستفحلت المشكلة وأخذت جوانب متعددة ولكن المهم هو كيف نحتوي آثارها ونعالجها قبل أن تفلت من يد العقلاء ويتحكم فيها من يردد القول كالببغاء , فهل نحن بحاجة الى مؤتمر دولي ليناقش هذه القضية ؟ أو تعرض على المحكمة الدولية وهيئة الأمم ؟ لإيقاف مثل تلك الإهانات بحق الشعوب والدول الإسلامية ويترافع فيها نخبة من دعاة حقوق الإنسان ودعاة السلم العالمي .

هذه القضية ينبغي عدم التهاون فيها سواء نوقشت بشكل مستقل أم من خلال مؤتمرات الحوار والتقارب بين الأديان , ونتجنب العنف في الفعل ورد الفعل وليكون الجزاء من جنس العمل وأن لاتزر وازرة وزر أخرى لان الدين الإسلامي هو دين الرحمه والانسانيه , ويتسم بالعقل والعقلانية ويبتعد عن الغوغائية وطالما أن هناك شخصيات يهودية ومسيحية دينية وعلمانية في الدانمارك قد أدانت تلك "الإساءات" فلابد من أن نستفيد من هذا التقارب , ومادام قد أكد القساوسة في الدانمارك مجتمعين رفضهم لكل إهانة أو مساس بالأديان السماوية أو بالأنبياء والرسل فينبغي أن تكون المدخل ليتم الضغط على الجماعات المستهينة من عقلائهم ورهبانهم وقساوستهم .

وإذا كانت الأمم المتحدة هي منظمة وهيئة يعترف بها وبقرارتها جميع الدول فلنأخذ بالحجة ونطالب بتفعيل قرار الأمم المتحدة بخصوص حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، (بتاريخ 1426/3/3 هـ - الموافق2005/4/12 م) الداعي إلى محاربة تشويه الأديان، لاسيما الإسلام، الذي زادت وتيرة تشويهه في الأعوام الأخيرة وللأسف الشديد , ولنتلمس الطريق السليم في التعامل مع هذه القضية , ولندعم رئيس لجنة الدفاع عن النبي في الدنمارك الذي حذر من انفلات الحوار الحضاري .

ولندعم أيضاً اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء التي بادرت وكوّنت فريقاً من المحامين الأمريكيين والدنماركيين، لاستئناف قرار الرفع للمحكمة الفيدرالية، الذي يهدف إلى مقاضاة صحف دنماركية نشرت رسومات كاريكاتورية تسخر من النبي محمد صلى الله عليه والسلام , كما ندعوا الى مؤتمر دولي لنصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم , على غرار المؤتمر الدولي لمحاربة الإرهاب , ولندعم أي حملة ترعاها جهة رسمية إسلامية للمطالبة بحقوق المسلمين في جميع أنحاء العالم .

كما ندعوا الى دعم وتفعيل الدور الذي تقوم به منظمة المؤتمر الإسلامي طالما أن هناك تأييد إسلامي شعبي يمكن من خلاله أن نحول المحن الى منح والمصائب إلى عمل صائب , أعلم أنني قد أتيت متأخراً للكتابة في هذا الموضوع , ولكن: أن تأتي متأخرا، خير من ألا تأتي أبدا , فإنتصروا لنبيكم ولأمتكم فالأمة التي لاينتصر لها تبقى مهزومة .

مصطفى الغريب – شيكاغو

موقع قناة العربية 03-02-2006م

43 الإرهاب العولمي بكفالة أوبدون كفالة

قد يعجب المرء من دكتور جامعي يتبنى مبدأ التعميم من غير دراسة وفي هذا المقال سوف نفند بعض الآراء المتطرفة التي تتبنى الإرهاب الفكري الذي سينعكس بدوره على الأمن الإجتماعي فمثل تلك الأفكار غير الإيجابية تعبر عن إسقاطات حاقدة وفيها نكران للجميل وتعبث بمباديء طالما تغنى بها الشعراء قم للمعلم ووفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا ولكن هناك من يتبنى فكر الجاهلين حتى وإن كان من المتعلمين فمنهم من يقول قم للمعلم يا بني عجولا ...واضربه حتى يرتمي مقتولا .

هناك من كتب مقالاً بعنوان نحن محطة تجارب بل معهد عالمي للتدريب وبعد مقدمة حول الميكانيكي الذي تحول الى طبيب فقد تكون قصة واقعها ملموس ولايعني هذا أن يكون التعميم بأن كل ميكانيكي سيتحول الى طبيب ولهذا تأتي الإتصالات مستنكرة على من قام بمثل هذا العمل ونحن نطالب بإيقاع أشد العقوبة على من ينتحل العمل بمهنة سامية دون أن يحمل شهادة دراسية مهنية في ذلك .

ولكن ينبغي التحذير من تعميم الحادثة بالقول لأحد الكتاب مقتبساً بين قوسين " وإذا كانت الجرأة قد بلغت بالكثير أن يتحولوا من الورش إلى العيادات الطبية، فما بالك ببقية المهن التي لا تحتاج إلى معايير أو مواصفات معقدة " ولانحتاج الى براهين إضافية لنصب الزيت على النار في قضية السعودة التي حملناها أكثر مما تحتمل وخير دليل هو تفهم معالي وزير العمل بعد لقاءه برجال الأعمال في المجال الطبي وغيرها من المجالات وقناعة معاليه بتخفيض نسبة السعودة في بعض القطاعات كما لاننسى أن هناك قيوداً فرضت علينا بعد الإنضمام الى منظمة التجارة الدولية .

أما موضوع الكفالة ونقل الكفالة فسوف تكون في المستقبل القريب شيئاً من الماضي فينبغي أن لانعول عليه كثيراً فالمنافسة الحرة والشريفة هي المخرج الوحيد لتكافؤ الفرص في سوق العمل , أما موضوع الإبتكارات للهروب من المهن السوداء فهي تأتي من باب الحاجة أم الإختراع .

وفي مقالنا هذا نحب أن نوجه دعوة الى الباحثين ليتبنوا دراسات تثبت أو تنفي أن إستقطابنا الكثيف للعمالة الرخيصة يؤدي بالضرورة الى إستيراد ثقافة رخيصة موازية وبعد نشر نتائج الدراسات حول هذه الفرضية نستطيع الحكم من واقع دراسات وليس من واقع تخمينات وهذا هو الأسلوب العلمي لإثبات أونفي فرضية معينة وعلى الباحث أن ينحي جانباً أهواءه وإنفعالاته حول موضوع الدراسة والبحث الذي هو بصدده .

وتعقيباً على موضوع مكافحة الأمية في بلادنا ينبغي أن تكون المكافحة شاملة وليست مقصورة على المواطنين ولكن ينبغي أن تشمل المواطنين وغير المواطنين حتى لانضيف الملايين من الأميين من غير المواطنين ظانين بهم ظن السوء أنهم جميعاً أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني , وإذا أردنا أن نكون من المنصفين فلنسأل أنفسنا عندما كنا في المدارس الإبتدائية وماتلاها المتوسطة والثانوية والجامعية من كان يعلمنا ؟ هل هم مواطنون أم وافدون ؟ .

أما موضوع القوانين والأنظمة فمن يكسرها هل هو الكفيل أم المكفول ؟ وهل هناك قوانين دون رقابة ومتابعة في التنفيذ ومن المسؤول عن عدم تطبيق القوانين في بلادنا ؟ وإذا كانت هذه العمالة الوافدة كلها شر فلماذا لانتخلص من هذا الشر المستطير حتى لانسمح لها بأن تسبح في الفوضى ونرضع سلوكها , وأما موضوع العقل الرخيص لايأتي ولايثمر فينا إلا ثقافة رخيصة فهذه فرضية بحاجة الى إثبات أو نفي حتى يكون الحكم علمياً لايستند الى الأهواء .

أما التجني بالقول " سبعة ملايين وافد أجنبي لا يقرأ فيها فرد واحد صحيفة أو كتاباً " فهذا ليس من حرية الرأي في شيء بل ينبغي الإعتذار عن هذا القول إذا أردنا أن نوصف بالإنصاف والعدل والإيمان ، ومن يقول " نحن نستورد مع هذه الفوضى تنمية رديئة رخيصة " فعلى من قالها النصيحة وعلى المسؤولين السمع والطاعة ومن يمسك القلم ويكتب فليعلم أن على كتفيه رقيب وعتيد .

وإذا كانت هذه النهضة الشاملة التي نعيشها واقعاً ملموساً قد بنيت على قاعدة " مشوارنا التنموي أصبح مجرد محطة تجارب لتدريب هذه الملايين " فالحمد لله رب العالمين أن سخر

لولاة أمرنا البطانة الصالحة التي تعينهم على الحق وندعوا الله أن يجنبهم البطانة الفاسدة التي لا تريد لهذه البلاد خيراً .

وحتى نكون منصفين علينا أن نبتعد عن التعميم ونتخلى عن العنصرية البغيضة التي نهانا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم , وعلينا أن نحارب الإرهاب الفكري كما نحارب الإرهاب الاجتماعي الذي تحدثه الجريمة وعصاباتها وقد تكون العصبية المنتنة أشد خطراً من الإرهاب العولمي بكفالة أوبدون كفالة .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق اللندنية 20-02-2006م

44 أحداث العنف في فرنسا (الحلقة الرابعة)

في هذه الحلقة من أحداث العنف في فرنسا نتابع ماقدمناه في الحلقة السابقة بعد إيجاز سريع لأهم النقاط أدناه : بعض الوزراء يحتقر المهاجرين ويحاول تطبيق سياسات لترحيلهم وإبعادهم عن البلاد , أحداث العنف قد تؤدي الى حرب أهلية , أخطاء الحكومة بعدم تبني سياسات دمج المهاجرين في المجتمع وإهمال أبناءهم دون تعليم ودون عمل ودون مأوى وهي تتشدق بالحرية والديموقراطية والعدالة الإجتماعية .

ونتابع أيضاً أن هناك تهميش للجيل الثالث والرابع من أبناء المهاجرين بتبني سياسة التمييز العنصري والكيل بمكيالين , ولاتلقي بالاً للبطالة , ولاتعمل على محاربة الفقر والجهل والمرض , ولاتعمل على التكافل الإجتماعي , إقرار رئيس الحكومة بالتمييز مما حرمها من كفاءات مهمة , ومن ينظر الى الأحداث بنظرة ثاقبة يتضح له أن ما يحدث في الضواحي والمدن بأنها أعمال تضر بالممتلكات ، ولكن هذا لايعني تجاهل المشاكل التي تعاني منها تلك الضواحي المهمشة نتيجة غياب مؤسسات الدولة والمرافق الفاعلة مثل المعاهد الكبرى والمؤسسات التعليمية المتخصصة .

وفي هذه الحلقة سنركز على الأحداث الجارية بعد المظاهرات التي عمت فرنسا إعتراضاً على "قانون العمل الجديد" الذي جاء توقيته سيء الطالع على فرنسا ولاسيما أنها بدأت تفكر في تبني إستراتيجيات الإندماج وإقامة البرامج إقتصادية والثقافية والإجتماعية والدينية وإصدار قوانين جديدة ترسخ العدل والمساواة بين طبقات المجتمع وترسيخ مباديء التعايش السلمي بين هذه الطبقات بعد الأحداث الدامية في إنتفاضة الفقراء قبل عدة شهور .

ولكن بدلاً من وضع سياسة إصلاح شاملة في مناهج التعليم لتعمق أواصر الوحدة وإنصهار الثقافات ومبدا قبول الطرف الآخر وعدم التمييز بكل أشكاله , ومعالجة الخلل في التوزيع السكاني وما أن هدأت الأحداث مالبثت أن إشتعلت من جديد وإن دل هذا على شيء فإنما

يدل على السياسات الخاطئة التي مازالت ترتكب فالوزراء الفرنسيون لم يعودوا قادرين على فهم مايحدث من تدهور أمني .

وإذا كانت الشرارة الأولى لإنتفاضة الفقراء إنطلقت من الضواحي إلا أن الجذوة مازالت مشتعلة لأن ذلك يدل بكل تأكيد على الموقف الإجتماعي السيء الذي يعيشه الشباب على وجه التحديد فهو مازال يعاني من البطالة وعدم إحترام الهوية الشخصية وإذا كان الوضع المتفجر مازال قائماً فلماذا إصرار الحكومة على تبني قوانين جديدة للعمل من شأنها أن تؤجج المشاعر الملتهبة والنفوس المتوترة .

مما سبق أعلاه يعتبر سبب مهم أدى الى تظاهرات حاشدة ومصادمات مع الشرطة في قلب باريس والتي شارك فيها مئات الآلاف من الموظفين وطلاب الجامعات والمدارس مطالبين بإلغاء القانون المسمى "عقد الوظيفة الأولى" وهذا أيضاً أدى الى توحيد جهود النقابات العمالية وأحزاب اليسار المعارض ومنظمات طلاب الجامعات والمدارس الثانوية جهودها في المدن الفرنسية ضد القانون الذي يسمح بفصل الموظفين الجدد الذين تقل أعمارهم عن 26 عاما خلال أول عامين من عملهم بدون أي مبرر.

ولابد أن تتخوف السلطات الفرنسية من أن تتحول هذه التظاهرات إلى أعمال عنف مماثلة لما شهدته ضواحي باريس منذ عدة شهور , فبعض الوزراء يلعب بالنار لأغراض إنتخابية وفي مثل هذه الحالة ليس أمام دوفيلبان سوى سحب "عقد الوظيفة الأولى" , و"الإصغاء لمنطق العقل" .

أما الرئيس جاك شيراك فهو في وضع لايحسد عليه خصوصاً قرب إنتهاء ولاية عهده فهو يدعوا إلى الهدوء ويحث مختلف الأطراف إلى فتح الحوار , رغم تعالي الأصوات المنتقدة له ولغيره حتى من داخل حزب رئيس الحكومة "دوفليبان" والذي مازال يتمسك ب "القانون الجديد" ويدافع عنه بالقول إنه يتيح محاربة البطالة ولكن المتوقع هو إذا تراجع رئيس الحكومة عن ذلك القانون فسوف يقضي ذلك على مستقبله السياسي وعلى مستقبل حزب الاتحاد من أجل الحركة الشعبية الذي يتزعمه وزير الداخلية نيكولا ساركوزي وهو مرشح محتمل آخر في

الانتخابات , وهناك تراجع في شعبية الحكومة أظهره إستطلاع للرأي بنسبة 68% من الفرنسيين يوافقون على المطالبة بسحب "القانون الجديد" , ما أعطى هذا النزاع زخما لشعبية الحزب الاشتراكي المعارض الذي أضعفته الانقسامات .

وتسعى هذه التظاهرة التي تدعمها عشرة أحزاب يسارية كالحزب الاشتراكي إلى حشد عدد أكبر من المتظاهرين وهي تأتي إحتجاجا على "نظام التعاقد الجديد" الذي سيتيح لأرباب العمل إنهاء خدمة أي شاب وشابة يتم توظيفهما للمرة الأولى من دون تقديم أي تبرير.

ومابين رأي المؤيدين والمعارضين يبقى إحساس الشبان بعدم الأمان وهو مايبقي جذوة العنف مشتعلة وقد تغير مسار مصير فرنسا بأكمله ولا سيما أن الطلاب مازالوا مضربين في ثلثي جامعات البلاد التي يبلغ عددها 84 جامعة , وفي عشرات الثانويات كما لا يزال التوتر قائما في ظل عدم نية دوفيلبان التراجع عن موقفه وحاول بعض الوزراء وقف المعارضة المتزايدة لنظام "التعاقد الجديد" باستخدام لهجة استرضائية, وقال أحدهم إنه لن يكون ممكنا فصل العامل دون مبرر بموجب هذا القانون رغم ما يقوله المعارضون من أنه سيخلق جيلا من العمال الذين يمكن الاستغناء عنهم.

وقال وزير الداخلية نيكولا ساركوزي "إن معظم الطلبة احتجوا بشكل سلمي ملقيا باللائمة في العنف على مجموعة صغيرة من قطاع الطرق الراغبين في وقوع مصادمات على حد قوله" ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد القول إن هذا الوزير هو الذي اتخذ نهجا متشددا ضد مثيري الشغب في الضواحي العام الماضي ويعزى له سبب إشتعال إنتفاضة الفقراء بسبب الألفاظ النابية التي أطلقها ضد المهاجرين سكان الضواحي .

كما أن أصحاب العمل يبدون مشاعر متباينة بشأن "قانون التعاقد الجديد" الذي يأمل البعض أن يؤدي إلى تحسن الحياة في ضواحي باريس الفقيرة التي تعرضت الى أحداث عنف حيث أشعل شبان غاضبون بسبب التفرقة أو تصريحات وزير الداخلية آلاف السيارات العام الماضي وحيث تصل نسبة البطالة بينهم إلى 50%.

وهنا نتوجه الى جميع الأطراف بالحوار الهاديء حتى لاتضيع مكتسبات فرنسا وفي نفس الوقت نوجه الدعوة الى بعض الدول العربية التي تنتهج نفس أسلوب فرنسا وسياساتها ضد المهاجرين بالعمل سريعاً على تغيير تلك الأنظمة والقوانين حتى لاتقع أعمال عنف لاتحمد عقباها , ووضع سياسة إصلاح شاملة في مناهج التعليم وفي العلاج وقوانين الجنسية لتعمق أواصر الوحدة وإنصهار الثقافات ومبدا قبول الطرف الآخر وعدم التمييز بكل أشكاله , ومعالجة الخلل في التوزيع السكاني فهناك فئات كثيرة مظلومة في المجتمع العربي والضغوط مازالت عليها مستمرة الأمر الذي سيؤدي حتماً الى إنفجارها وخروجها من عقالها وتذكروا دوماً الجذوة المشتعلة .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق اللندنية 20-03-2006م

45 غزوة كوبنهاجن (الحلقة الثامنة)

إن صراع الحضارات قد يتحول الى صراع أديان مالم تحل قضية الرسوم المسيئة للرسول الكريم التي بدأت شرارتها الملتهبة من الدانمارك وتضامن الدول الغربية معها والسؤال الآن هو كيف للدول العربية والإسلامية أن تخرج من هذه الأزمة متوحدة ؟ .

وإستكمالاً للحلقات السابقة نود في البداية أن نستعرض أهم النقاط التي وردت في "الحلقة السابعة" لنستكمل بعدها آخر التطورات والأفكار التي نشرت ويمكن تلخيص أهم النقاط فيما يلي : أعادت العديد من الصحف نشر الرسوم وهذا يعني تمادياً في الجريمة مع سبق الإصرار , المسلمون بحاجة الى التضامن من أجل حماية سنة رسولنا الكريم "ليس" بحرق الاعلام أو المظاهرات ولكن بالتطبيق العملى وإتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم , لماذا يقوم معظم الناس من كل الاديان والجنسيات بمهاجمه الدين الاسلامى ؟ , لنتعرف على السبب فى مهاجمه الاسلام و الرسول , وبعد أن نتعرف على الأسباب ينبغي أن تقوم الجهات المسؤولة بطلب إستصدار قرار دولي من هيئة الأمم المتحدة بتجريم الإساءة للإسلام وسيدنا محمد ، كما إستطاع اليهود إستصدار قرار بتجريم من ينكر محرقة الهولوكوست .

وفي هذه الحلقة سوف نستعرض أهم ماتداولته وسائل الإعلام وآخر تطورات القضية ونحن مازلنا في أول المشوار وينبغي أن يعلم دعاة الحضارة الجديدة أن ثمة محرمات لا تطالها الحريات وأن الديانات بشكل عام والسماوية بشكل خاص بل والاسلام بالأساس هي من أكثر الأمور حساسية و المؤثر الأكبر في النفوس , لقد أخطأ الإعلام الغربي وبعض السياسيون عندما أرادوا أن يصوروا الإساءة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم على أنها تدخل ضمن حرية التعبير .

إن محاولة الصحف الأوربية الأخرى للتضامن مع الصحيفة الدنماركية من هذا الباب ينبغي أن ينظر لها بأنها عملية في غاية الخطورة وهو ما قد يؤثر على التعايش الإنساني برمته , وأعتقد بأن المطلوب حالياً من المسلمين التعقل ودرس الأمور بحذر وتأني فالإستفزاز العالمي

قادم وليس من دولة الدنمارك وحدها بل سيتبع ذلك مراحل أخرى حتى تستيطع قوى الشر في العالم السيطرة على العالم الاسلامي أجمع ووصمه بالإرهاب العالمي .

فلا بد من أخطاء يتم إرتكابها حتى تكون أعمالهم مبررة من قبل البعض وهذه الأخطاء لن تتم إلا بالإستفزاز العالمي الذي تترأسه قوى الشر في العالم عندما بدأوا بنشر صور معادية للديانة الاسلامية ومن ثم ينتظروا ردود الأفعال وهذه هي السياسة الجديدة المعادية للعالمين العربي والإسلامي , فهم ينتظروا ردة فعل عنيفة من قبل بعض المسلمين ليتحركوا ضد هذه الدولة الإسلامية أو تلك .

وينبغي أن لانكرر الأخطاء مثلما حدث في معظم أرجاء العالمين العربي والإسلامي ومن أمثلة ذلك في لبنان عندما خرجت الجموع الغاضبة وأحرقت السفارة الدانماركية وخرجت الوف اللاجئين الفلسطينيين في مسيرة بشوارع مخيمهم أحرقوا فيها الاعلام الدنمركية والنرويجية داعين أسامة بن لادن زعيم القاعدة للانتقام للرسول , أو ماحدث في سوريا عندما أحرقت السفارة الدانماركية أو ماحدث في الأراضي المحتلة أو ماحدث في البحرين عندما خرج بضعة الوف من المتظاهرين في مسيرة حاملين لافتات مكتوبا عليها "تسقط الدنمرك" و"تسقط فرنسا" , أوماحدث في مصر أو الباكستان أو العديد من البلدان .

لذا لانستغرب أن تكون هناك صورة مشوهة عن العالم العربي والإسلامي والكثير يشارك في صنعها وإزداد التخلف وعم الفقر حتى أصبح العرب والمسلمون أمة مستهلكة وغير منتجة , فأكثر الذين أساءوا للإسلام هم من المسلمين أنفسهم ثم من اليمين الغربي المتطرف الذين هم أول من تكلم عن الإرهاب الإسلامي وتبعهم القطيع لكي يزجوا بالمسلمين في أتون الإرهاب والعنف , وهذا العراق يصرخ وأفغانستان تأن وفلسطين تنتفض والشيشان تنتحب فهل من مجيب ؟ لذا ينبغي أن نتدارك الأمر قبل إنتشار موجة العنف الى باقي الدول فيضع الغزاة شروطا على العالمين العربي والإسلامي .

وينبغي أن لانصدق كل مايقال فهناك من يعبر عن قلقه بسبب ما يجري حالياً معللين ذلك بالتقاليد العريقة والتعاون السلمي والعلاقات المفتوحة مع العالم الإسلامي", مشددين على عدم قدرتهم مراقبة الصحف ولا يتحملوا مسؤولية ما تنشره هذه الصحف , ويؤكدون بين

الحين والآخر أن الشعوب الغربية تقدر قيمة العلاقات الوطيدة بينهم وبين العالم الإسلامي والتي تقوم على أساس الصداقة والاحترام المتبادل، ويقولون أن الحضارة العربية قامت بمساهمة تاريخية هامة في الحضارة العالمية .

ويتشدقون بأنهم لا نية لهم لإيذاء الإسلام أو المسلمين ، منوهين بأن لديهم جالية مسلمة في بلادهم أعطوها الحقوق لممارسة الأعمال ويساهمون بشكل إيجابي في المجتمع الغربي وبعض المسلمين تم انتخابهم في المجالس البلدية المحلية، ومنهم من انتخب في البرلمانات الغربية ويقولون إننا نقدر لهم كبير مساهمتهم في المجتمع الغربي وبعض المسلمون أعضاء حزبيون في الدول الغربية ، ونقدر بشكل كبير مساهمتهم داخل الأحزاب .

هناك بعض العلماء المسلمين طالبوا الشعوب الإسلامية بالضغط على حكوماتها لاتخاذ مواقف جادة إزاء ما حصل , وهناك دعوات عديدة لإصدار قوانين تحمي المقدسات وتحرم إهانة الأنبياء، ودعوات أخرى لموقف إسلامي تجاه الدول الغربية التي استمرت في إساءاتها فنشرت الرسوم الدنماركية، ووصفت الجريمة التي تمت بأنها جريمة في أعظم شخصية بشرية في الوجود، وأن ماحدث يعتبر سباب علني، معتبرين أن الغضب الإسلامي فضيلة بل فريضة .

وهناك تساؤلات هامة وهي : ما الباعث على هذه الجريمة ؟ ما الدافع إليها ؟ وما هو موقف أمتنا من هذه الجريمة ؟ وماينبغي علينا أن نعمل من أجل نصرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهل السكوت على مثل تلك الجريمة سيولد العنف ؟ وهل ينبغي أن نأخذ بالثأر لأنفسنا ؟ وكيف يكون ذلك ؟

لم يفهم الكثيرون أن الرسوم الكاريكاتيرية ومن نشرها ليسوا هم الغرب كله, بل هي جهات يمينية متطرفة سواء في الدنمارك أم في النرويج أم في غيرها من الدول الغربية أو حتى من سيعيد نشرها, وبالتالي فلا حاجة لنا بإتهام الغرب بمجمله أو دول بأكملها, فلا توجد مجتمعات كاملة تقصد إهانتنا وتجريح مقدساتنا.

إن أجمل هدية يمكن أن تقدمها لخصمك هي محامٍ فاشل لقضيتك العادلة, بل زادت الهجمة المتعمدة والممولة من الصهيونية الصليبية فنشر مؤخرا كتاب أسود بعنوان (القرآن وحياة الرسول) للكاتب الدانماركي كوري بلوتيكن وهو موجة للأطفال للتعبئة الحضارية

المستقبلية الحاقدة وحمل الكتاب صور عديدة تسيء للنبي وللإسلام وتصوره وهو ينظر ويتأمل تعذيب اليهود في المدينة المنورة وهم يتألمون وفي خلاصة هذا الكتاب الأسود وصف الرسول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بأنه قاتل بدم بارد ولا يحمل أي مروءة نزهه الله تعالى عما يصفون .

إن الحريات التي يتشدق بها الغربيون عموماً والثقافة التي ينادون بها هي لتأجيج المشاعر وصناعة الكراهية لتقود العالم إلى بركان دموي ينسج خيوطه هؤلاء المجردين من الأخلاق والمروءة والثقافة .

ورب ضارة نافعة فما حدث مؤخراً قد يكون فيه إصلاح حال الأمة الإسلامية إذا قامت بإعادة دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على أسس علمية حديثة والتعمق في فقهها وفهم دروسها وربطها بالأجيال المسلمة وجعلها القاعدة الصلبة في إقامة المجتمع المسلم المثالي المبني على طاعة الله ورسوله وعلى التعاون والمحبة بين البشر جميعا لاسيما وان السيرة النبوية الشريفة تحمل معاني عظيمة وتعد مدرسة متكاملة ينبغي الإستفادة منها والتأسي بها .

وأنه من خلال تقيدنا بتعاليم شرع الله سنقدم للعالم أجمع قيماً حضارية جليلة ومبادئ سامية تساهم في تخليص الشعوب من الإنحلال والتخبط ومعالجة العديد من قضايا الإنسانية المتمثلة في السلم والأمن والاستقرار وقضايا الفقر والأمراض المتفشية وخصوصاً في المجتمعات الغربية التي تدعي حقوق الإنسان وهي التي ستدمر هذا الإنسان الذي خلق لعبادة الله وحده .

وإنني على يقين بان إيمان المسلمين بعالمية دينهم وتطبيق أحكامه في كافة مجالات حياتهم ومعاملاتهم اليومية وعلاقاتهم مع الآخرين بما فيها علاقاتهم الدولية يمنحهم ذلك حصانة وقوة ومنعة وحماية من دعوات التمييز والكراهية التي تستهدف الدين الإسلامي والنبي العظيم والهوية الحضارية للإسلام وأبناء هذه الأمة الذين يواجهون حاليا الاضطهاد والتفرقة وانتهاك حقوق الإنسان باسم محاربة الإرهاب العالمي.

وعلينا أن نكون صرحاء مع أنفسنا بالقول إن تعامل المسلمين فيما بينهم هو الذي إستعدى أعدائهم عليهم , فيجب إصلاح البيت من الداخل وبشكل عملي لا أن نتناول الإسلام من خلال التنظير والتأطير وقبل أن نوضح للعالم أن مبادئ الإسلام فيها الخير والرحمة والتعاون والعدل وأن نطبق الحلول التي جاء بها الدين الإسلامي على أنفسنا لمواجهة الموبقات وتفشي المخدرات والانحلال الخلقي الذي يأتينا من كل حدب وصوب ويخل بالأمن الاجتماعي للشعوب كافة .

ولكي نقوم بإبراز الجانب الأخلاقي في الإسلام والتعريف به وترسيخ مبادئ وقيم على رأسها التأسي بأعمال الرسول عليه الصلاة والسلام الذي أرسل ليتمم مكارم الأخلاق وأن نقوم بتطبيق ذلك من خلال تعاملاتنا فيما بيننا كمسلمين أولاً لنكون قدوة قبل أن نعمل على نقل هذه المعاني والقيم إلى العالم الخارجي ولتكن في شكل صور ونماذج واقعية عملية وأمثلة رائعة تساهم في جذب الشعوب الأخرى إلى الإسلام لا النفور منه ولتفادي حملة العداء المستعرة على الإسلام.

من المنطقي أن تثير الكاريكاتيرات بعض المسلمين لأنها إستهزأت بالرسول و لكن من عدم المنطقي أن ننهى عن خلق ونأتي بمثله ونكرر القول هنا إذا كان هناك خلل فهو في التطبيق السليم لتعاليم الإسلام وليس في مباديء الإسلام نفسها وعليه ينبغي على المسلمون أن يلتزموا بمبادئهم قبل الدعوة الى إلزام الغير بتلك المباديء وعلينا أن نثبت صدق مبادئنا عملياً قبل كل شيء .

وعلينا أن ننبذ العنف أولاً قبل أن نستمع لكلام المستشارة الالمانية انجيلا ميركل التي شجبت الأعمال العنيفة للمسلمين الذين يحتجون على نشر رسوم كاريكاتورية عندما قالت "إن تشريع اللجوء الى العنف غير مقبول".

وقبل أن أودعكم أتسائل هل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي الى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ .

صحيفة الحقائق اللندنية 22-03-2006م

46 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ (الحلقة العاشرة)

في "الحلقة التاسعة" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ ذكرنا بعض المعلومات ويمكن تلخيصها في مايلي : أحلام قادة الجماعات المتطرفة حول سيناء التي تعتبر حجر زاوية مهم في مستقبل المنطقة العربية , أحلام وزير الإسكان الإسرائيلي , حلم إيران الذي صرح به مؤخراً أحد قادتها هو محو إسرائيل من الخارطة , إسرائيل مرتبطة بسيناء قديماً وحديثاً إبتداء بقصة الخروج والتيه والتي مازالت ماثلة أمام من يدرس التاريخ , ما الذي تريده "إسرائيل" إذن من سيناء والذي تعبر عنه تصريحات وزير الإسكان وغيره ؟

وماهي قصة إجتماعات وزير الدفاع الإسرائيلي والقيادات المصرية ؟ وماهي حقيقة أهداف إسرائيل تجاه سيناء ؟ وهل إعادة إحتلالها هدف مطلوب يمكن تحقيقه في المدى المنظور أم هناك مخططات على المدى البعيد ؟ أسئلة يصعب الإجابة عليها في عجالة دون الربط بين الكثير من العناصر المختلفة , وعليه يخطر على بالنا السؤال التالي هل تصلح سيناء لإشباع ما تحتاجه "إسرائيل" من نفط أو مياه أو ثروات أخرى ؟

وفي هذه الحلقة سنتحدث بإيجاز عن أحداث مدينة دهب والتي مازالت الأخبار متضاربة بشأنها ولعل الأيام القليلة القادمة ستفرز معلومات جديدة وسنبدأ بأقوال محافظ سيناء الذي أكد أنه لا علاقة بين تفجيرات طابا وشرم الشيخ مع التفجيرات الثلاث التي ضربت مدينة دهب , كما أن الأنباء تحدثت عن أكثر من 30 قتيلاً ومائة وخمسون جريحاً , أما فيما يتعلق بالتوقيت فإنه يتم عشية الإحتفال بأعياد شم النسيم وأعياد تحرير سيناء من إسرائيل .

ومعظم الخبراء الأمنيون يتحدثون عن ثغرات أمنية واضحة لاسيما انه حدثت ثلاث عمليات إرهابية خلال الفترة الماضية , ومثل تلك العمليات تحدث أضرار جسيمة بالإقتصاد المصري وبالسياحة المصرية , وكانت أول ردود الفعل على الحادث من الرئيس المصري الذي ذكر إنه عمل إرهابي ومن إرتكبه سينال جزاءه بقوة القانون , ومن خلال المشاهدات يتضح أنه هناك تعتيم أمني على ماجرى من تفجيرات في مدينة دهب , وأيضاً يتضح أن التلفزيون الإسرائيلي

أكثر نشاطاً من التلفزيون المصري الذي ذكر أن هناك تعزيزات أمنية كبيرة إنتشرت عقب الحادث .

والسؤال المطروح الآن هو هل هناك علاقة بين القبض على أعضاء تنظيم جديد وبين ماحدث في مدينة دهب ؟ وفي كل مرة يحدث فيها عمليات إرهابية يتطرق العديد من الكتاب والصحفيون وخبراء الأمن عن قانون الطواريء الذي مازال العمل به جارياً منذ أكثر من خمسة وعشرون عاماً والذي فرض في أعقاب مقتل الرئيس السادات , وهناك تكهنات بقيام الأمن المصري بحملة إعتقالات واسعة كما هو متبع في مثل تلك الحالات , وبالمقارنة بين ماحدث في مدينة دهب والطوق الأمني الذي فرض على المنطقة من أجل منع اي حالات هروب كما حدث في طابا وشرم الشيخ .

ولايستبعد أن يكون هناك إرتباط بين الفاعلين وبين بعض الجهات الأمنية أو من أبناء المنطقة , وبعد أحداث طابا وشرم الشيخ حدث إتفاق أمني بين شيوخ القبائل وبين الحكومة المصرية لتسليم المطلوبين , ووصفت التفجيرات في مدينة دهب بالبدائية والصغيرة ولكن لا أحد يستطيع تفسير العدد الكبير للضحايا من قتلى وجرحى وخسائر مادية كبيرة في ظل تلك التصريحات , وهناك تعليقات متعددة بخصوص التصريحات الأمنية الخاطئة والمتسرعة وغير دقيقة , ويأتي هذا الحادث كسلسلة من أحداث متتالية أهمها غرق العبارة المصرية السلام 98 , وأحداث الفتنة الطائفية في الأسكندرية بين الأقباط وبين المسلمين .

ومما يجدر الإشارة إليه أن هذا الحدث يأتي في أعياد شم النسيم وأعياد تحرير سيناء من إسرائيل , وأيضاً الأحداث السابقة في طابا والتي حدثت في أعياد ثورة 23 يوليو , أما ماحدث في شرم الشيخ فيأتي في ليلة عيد المظلة الإسرائيلي , أي أن هناك جهات تخطط لمثل هذه التواريخ , ولابد من الشفافية في نقل الأخبار وعدم التهوين من شأن ماحدث , والسؤال الآن هو كيف ستتعامل الحكومة المصرية مع الحدث بإعتباره إدارة أزمات وليس حدثاً عرضياً فإذا ماتم إتباع نفس الأسلوب السابق فإن هذا يعني مزيد من الفشل في علاج العمليات الإرهابية .

لذا لابد من معالجة الأمور من واقع إستراتيجية مختلفة وذات مصداقية وشفافية عالية , ويأتي هذا الحادث بعد إسبوعين من التحذيرات الإسرائيلية لرعاياها بعدم التوجه الى المنطقة , ولابد من مراجعة إتفاقية كامب ديفيد والتي تنص في أهم بنودها على التحديد الدقيق لعدد القوات المصرية في منطقة سيناء , ولهذا قد يعزى القصور الأمني الواضح لعدم تمكن الحكومة المصرية من توفير عدد أكبر من قوات الأمن بموجب الإتفاقية السالفة الذكر .

ومن يتدبر هذا العمل الإرهابي الجبان يتضح له أن هناك نقلة نوعية في طبيعة منفذي الهجمات فقد يكون من التيار القريب من فكر القاعدة أو هو على علاقة وثيقة بهذا التنظيم , أو أن هناك تنسيق إرهابي لما يحدث في مصر والسعودية والأردن والعراق , ورغم الإستنفار الأمني في المنطقة إلا أننا نجد أن الإستنفار قد يكون كاف في المدن الكبيرة أو المناطق التي حدثت فيها عمليات إرهابية سابقة أما قدرة الأمن على التنبؤ بالأحداث والإستعداد للتكثيف الأمني في مناطق قريبة ومستهدفة قد لا يكون ذو جاهزية , ثم نود أن نتساءل أين هو دور الإستخبارات المصرية التي تستطيع أن تفشل المخططات الإرهابية قبل حدوثها ؟ مثل ماحدث بشأن التنظيم الأخير "الطائفة المنصورة" الذي ألقي القبض على بعض عناصره في القاهرة قبل أيام وهذا يدل على التركيز فقط داخل المدن , ويبدوا من تفجيرات دهب أنها نفذت بطريقة منظمة واحترافية بحسب آراء المراقبين خاصة وأنها تزامنت مع احتفال مصر الرسمي بذكرى تحرير سيناء، مثلما حدث في تفجيرات شرم الشيخ التي تزامنت مع الاحتفال بذكرى حركة يوليو/ تموز 1952.

ويرى مراقبون أمنيون أن بعض هذه الهجمات قد يكون ردا انتقاميا على أسلوب تعامل أجهزة الأمن المصرية مع سكان شبه جزيرة سيناء منذ تفجيرات طابا في أكتوبر/تشرين الأول 2004، وما أعقبها من حملات اعتقالات واسعة أثارت سخطا على السلطات وهي تعبير عن مشاعر الإحباط السائدة، ولتوجيه ضربات موجعة للحكومة تستهدف بشكل أساسي الاقتصاد المصري .

والآن , تقف "إسرائيل" على الحدود عاجزة عن إرسال سياحها الى سيناء الذين إرتادوها كثيراً, وعاجزة عن تشغيل المنفذ المؤدي الى مصر في سيناء بعد إنسحابها من قطاع غزة أوعبر ميناء

إيلات حيث لعب العامل الأمني وكراهية العرب للإسرائيليين الدور البارز في طرد السياح الإسرائيليين من شبه جزيرة سيناء .

لهذا جاء بيان قيادة وحدة مكافحة الارهاب قبل إسبوعين بمطالبة السياح الاسرائيليين بمغادرة سيناء لأنهم مهددين من ثلاثة منظمات: خلايا القاعدة , وخلايا مرتبطة بمنظمات فلسطينية , وخلايا محلية تابعة لاسلاميين مصريين يجندون عناصرهم بين بدو سيناء , الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى المزيد من القراءة والتحليل لندرك الإجابة على سؤال : هو مازال ماثل أمامنا : الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟

صحيفة الحقائق اللندنية 25-04-2006م

47 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية؟ (الحلقة الحادية عشرة)

في "الحلقة العاشرة" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ ذكرنا بعض المعلومات ويمكن تلخيصها في مايلي: أحداث مدينة دهب والتي أسفرت عن سقوط قتلى وجرحى , تأكيدات محافظ سيناء على أنه لاعلاقة بين تفجيرات طابا وشرم الشيخ وتفجيرات مدينة دهب , توقيت العملية تم عشية الإحتفال بأعياد شم النسيم وأعياد تحرير سيناء , الخبراء الأمنيون يتحدثون عن ثغرات أمنية واضحة , تلك العمليات تحدث أضرار جسيمة بالإقتصاد المصري وبالسياحة أيضاً ، العلاقة بين أعضاء تنظيم "الطائفة المنصورة" والتفجيرات .

قانون الطواريء وضرورة إنهاء العمل به , الإرتباط بين الفاعلين وبين بعض الجهات الأمنية أو من أبناء المنطقة ، كيف ستتعامل الحكومة المصرية مع الحدث , هل سيؤدي الحادث الى مراجعة كاملة لإتفاقيات كامب ديفيد , النقلة النوعية في طبيعة منفذي الهجمات , رد إنتقامي على حملة الإعتقالات الواسعة بين صفوف بدو سيناء , لعب العامل الأمني وكراهية العرب للإسرائيليين الدور البارز في طرد السياح الإسرائيليين من شبه جزيرة سيناء .

وفي هذه الحلقة سنقوم بالتحليل وسرد لأهم الأفكار التي كتبت حول الموضوع رغم أنه لاتزال الأنباء متضاربة حول الجهة التي تقف وراء هذه الأعمال الإجرامية , وطالما أن وسائل الإعلام أصبحت من الكثرة فقد أصبح المشاهد في حيرة من أمره وماكان لهذا الأمر أن يحدث لولا أن المصداقية قد إنعدمت تماماً من بعض الجهات الإعلامية الرسمية كما أن هناك من له أهداف في توجيه الرأي العام العالمي نحو مايريد فمثلاً من يتهم القاعدة في تنفيذ الهجوم هو إسرائيل والدول الغربية أما باقي الجهات الإعلامية العربية فقد تتهم بعض التنظيمات المحلية والتي هي في صراع معها , إذاً أصبحت هذه الجهات تجير هذه الأعمال لصالح توجهات معينة وليس لإظهار الحقائق كما ينبغي أن تكون .

ومن تابع الأحداث فقد إتضح له عدم مصداقية بعض الجهات الإعلامية في التغطيات التي قامت بها وعلى سبيل المثال فقد ذكر أنها قنابل بدائية ثم بعد ذلك قيل إنها أعمال إنتحارية قام بها إنتحاريان على الأقل ومما يلاحظ أنه لاتوجد جهة واحدة مسؤولة تقوم بالتصريحات

فمثلاً في بعض الدول تقوم وزارة الداخلية فقط ببث البيانات والتصريحات حتى وإن تأخرت إلا أنها تأخذ طابع فيه من المصداقية ما يجعل بياناتها يعتمد عليها بشكل كبير .

وبعد أقل من يومين حدث هناك وفي منطقة سيناء أيضاً هجومان إنتحاريان أحدهما في سيارة تابعة للقوات الدولية لحفظ السلام المتواجدة في سيناء للإشراف على تطبيق إتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية وأول الأخبار التي نسمعها هو الإتهام الصريح والمباشر للبدو من أبناء سيناء وفي هذا الإتهام تجني على عموم أبناء سيناء وكأننا ننساق وراء ماتتمناه القوى المعادية من بث بذور الفتنة بين أبناء البلد الواحد .

ومن الغريب في الأمر أن هناك جهات إعلامية بدأت بالحديث عن تورا بورا سيناء لتعيد للأذهان أحداث أفغانستان وكأنها تؤيدها وتربط بينها بين مايجري في سيناء وكأنها طبعة جديدة لطالبان تأوي رجال بن لادن والأكثر غرابة أنه تم الدمج بين توجه رجال دين وتوجه مهربي مخدرات وداعرات أي إعلام هذا الذي يشوه الحقائق فرجال الدين لهم توجه آخر غير توجه المهربين للداعرات الى إسرائيل .

ولتضخيم الأحداث هناك جهات إعلامية تتحدث عن الألغام المتقدمة والتي زرعت بطريقة إحترافية يستحيل تفكيكها دون حدوث خسائر في القوات المهاجمة وهنا نتسائل أين هو دور الدول المتحالفة في حربها ضد الإرهاب ؟ , وأين التعاون الدولي بهذا الصدد ؟ , أم أن مايحدث في سيناء إذا كان يخدم التوجه الصهيوني فلا بأس ! , وعندما تعرض إسرائيل مساعدة مصر لمكافحة الإرهاب إنما تريد لتؤكد من طرف آخر على أن مصر غير قادرة على مواجهة الإرهاب أو أنها غير قادرة على السيطرة على سيناء .

ومن تشويه الحقائق ما يقال عن تحالف تجار سلاح ومخدرات وسلفيين جهاديين يلتقون في جبل الحلال مع المطاردين والفارين من أحكام قضائية وإعتقالات ، ومهربوا الداعرات الروسيات لاسرائيل والسلفيون الجهاديون، والذين تشير بعض المعلومات الأولية إلى أنهم يشكلون تنظيما قويا عابرا للحدود مرتبط بفكر القاعدة ، متخذا وجودا قويا له في قطاع غزة وهنا نود أن نتساءل لماذا يتم إقحام قطاع غزة بكل هذه الجماعات ؟ , بل إنها أكاذيب لايروج لها إلا من فقد صواب عقله .

ومن تشويه الحقائق ماقيل ومايقال عن جبل الحلال من أن صخوره وكهوفه شديدة الصعوبة على أي غريب عن المنطقة ، ولا يعرف مسالكها ودروبها إلا بعض البدو , ليتم إقحام بدو سيناء وأنهم يعملون على إيواء مجموعات مسلحة قوية ويتم الترويج لهذه الأكاذيب بالتضخيم حجماً وكماً للألغام الموجودة في تلك المناطق , لدرجة أن حوالي أربعة آلاف ضابط وجندي وخبير متفجرات مزودين بإمكانيات فنية هائلة وتساعدهم طائرات مروحية وآليات وسيارات مدرعة وجيب، فشلوا في العام الماضي في ملاحقة العناصر المسلحة اللاجئة بالجبل والذين تعتقد أجهزة الأمن أنهم يجدون مساعدة لوجستية من بعض البدو في شمال سيناء ولم يقال أنهم يجدون مساعدة لوجستية من إسرائيل مثلاً , والهدف من ذلك هو إعطاء مبررات للحكومة لإعتقال المزيد من بدو سيناء .

ولإحكام السيناريو ضد أبناء البدو للإنتقام منهم تم الترويج لإمتلاك تلك العناصر على أسلحة حديثة والغام قيل انها من نفس النوعية التي أستخدمت في تفجيرات شرم الشيخ ، وهي من نوعيات حديثة جدا غير متوفرة في مصر، ويعتقد أنه تم ادخالها عبر الحدود دون الإشارة الى إسرائيل ولو من باب الإحتمالات ولكن يتم ترويج معلومات يقال عنها مؤكدة بأن شيطان الجبل يأوي تلك العناصر المسلحة ، وأنه تحول إلى طبعة مصرية للملا عمر، حيث لاذ بحمايته التنظيم السلفي من معتنقي فكر القاعدة، الذي يقوم أفراده بالعمليات الانتحارية في المنطقة فهل يوجد هناك تشويه للحقائق أكبر من هذا .

ومن تشويه الحقائق تبث التقارير عن أصول القبائل البدوية في شمال سيناء ووسطها معظمهم من أصول فلسطينية هجرت من صحراء النقب عام 1948 , ولهذا نرى إستمرار القمع الأمني لهم وتجاهل عاداتهم وتقاليدهم ، كما أن هناك نزعة جاهلية للتفريق بين بدو شمال سيناء وبدو جنوب سيناء ويتم ترويج إشاعات مفادها أن بدو شمال سيناء يحقدون على بدو جنوب سيناء بسبب إزدهار منطقتهم ليجدوا مبرر يمكن الإستناد إليه في تفسير جديد لعملية تفجيرات مدينة دهب الأخيرة وإحتمال تورط بعض العناصر الفارة من بدو شمال ووسط سيناء فيها.

ولكن لا أحد من المسؤولين يعترف بأن شبه جزيرة سيناء لا تزال في حاجة ماسة للتعمير والتنمية بالمشاريع الزراعية والصناعية التي تستوعب البطالة المنتشرة بين شباب سيناء , وليس بالمشاريع السياحية الهابطة والتي تهتم بالسياح الذين ينقلون كل موبقات بلادهم إليها والتي تتنافى وطبيعة وأخلاق البدوي السيناوي صاحب الأرض والمدافع عن العرض ليسجل إنخراطه في طابور الناقمين على السياحة والسائحين وممثلي الدولة أجمعين .

الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى المزيد من القراءة والتحليل لندرك الإجابة على سؤال: هو مازال ماثل أمامنا: الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية؟

صحيفة الحقائق اللندنية 28-04-2006م

48 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية؟ (الحلقة الثانية عشرة)

في "الحلقة الحادية عشرة" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ ذكرنا بعض المعلومات ويمكن تلخيصها في مايلي: إنعدام المصداقية في بعض وسائل الإعلام الرسمية , وسائل الإعلام المختلفة تعمل لتوجيه الرأي العام بما يخدم أهدافها وبعيداً عن الحيادية , إتهام صريح ومباشر لأبناء بدو سيناء , القوى المعادية تحاول بث بذور الفتنة بين أبناء البلد الواحد, أخطاء إعلامية في الربط بين توجهات رجال الدين ومهربي المخدرات والداعرات , أين هو دور الدول المتحالفة في حربها ضد الإرهاب ؟ , أين التعاون الدولي بهذا الصدد ؟ إسرائيل تحاول التقليل من دور مصر في السيطرة على منطقة سيناء , محاولات للربط بين مايجري في سيناء وبين تنظيمات فلسطينية , بعض وسائل الإعلام تحاول إيجاد مبررات لإعتقال المزيد من أبناء بدو سيناء , النزعة الجاهلية للتفريق بين بدو شمال سيناء وبدو جنوب سيناء .

وفي هذه الحلقة سنقوم بالتحليل وسرد لأهم الأفكار التي كتبت حول الموضوع رغم ان الوقت مبكر ولاتزال الأنباء متضاربة حول الجهة التي تقف وراء هذه الأعمال الإجرامية إلا أن هناك بعض المعلومات المهمة التي توصلت إليها أجهزة الأمن المصرية حول أبعاد التفجيرات التي ضربت مدينة دهب السياحية في سيناء ، بالقول أن تنظيماً أصولياً متشدداً يضم عناصر من بدو سيناء يقف خلف حوادث التفجيرات في سيناء , وزيادة في التأكيد على تلك المعلومات أن مصادر رسمية افادت بأن المتفجرات التي حصل عليها الجناة من تجار للمتفجرات في سيناء .

وتم إقحام شخص فلسطيني قيل انه المؤسس ويتبنى اراء المتشددين الإسلاميين وأن الجناة لديهم صلات أيديولوجية بتنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن , وينتمي كثير من اعضاء الجماعة من منطقة العريش عاصمة محافظة شمال سيناء وهي مدينة يقطنها خليط من البدو وأناس جاءوا من وادي النيل وسكان من أصل فلسطيني .

ومازالت المعلومات تتوارد وبدأت تتكشف خيوط العملية الإرهابية بعد الإعلان عن تمديد العمل بقانون الطواريء الذي يحتج عليه شريحة كبيرة من المجتمع المصري سواء كانوا في

المعارضة أو مستقلين أو من كتلة الإخوان المسلمين , وقد جاءت نسبة التصويت على القانون المذكور بأغلبية 287 عضوا مقابل 91 عضوا من إجمالي 387 نائبا ولقد عبر النواب المعارضون عن رفضهم للقانون بارتداء أوشحة سوداء كتب عليها "لا للطوارئ" .

أما الحكومة فماضية في إقرار القانون وتمديد العمل به متذرعة بأحداث الأسكندرية الطائفية والعمليات الإرهابية في مدينة دهب (جنوب شرق سيناء) ولكن التمديد هذه المرة لسنتين فقط أو لحين صدور قانون مكافحة الإرهاب الذي قد يستغرق سنتين قبل إقراره كما أعلن مؤخراً الرئيس حسني مبارك الذي وعد أثناء الحملة الإنتخابية الرئاسية في سبتمبر 2005 بإلغاء حالة الطوارئ المفروضة منذ اغتيال الرئيس السابق أنور السادات في أكتوبر 1981م التي إتضح فيما بعد أنها وعود إنتخابية فقط .

وعليه ستشهد جمهورية مصر العربية عدة تظاهرات احتجاجية في الأيام القليلة القادمة كما أعلنت عن ذلك الحركة المصرية من أجل التغيير "كفاية" معتبرة أن الدكتاتورية والإرهاب وجهان لعملة واحدة .

المهم أن يعرف القاريء أن الوضع غير مستقر ولايستبعد أن يكون وراء ذلك أجهزة الإستخبارات الاسرائيلية سواء فيما يتعلق بتفجيرات دهب وطابا وشرم الشيخ أو الفتنة الطائفية في الأسكندرية لأن إسرائيل هي الجهة الوحيدة المستفيدة من ذلك وهي تهدف الى صرف الأنظار عن المجازر البشعة بحق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة وخصوصاً بعد وصول حماس الى السلطة ومن مصلحة إسرائيل أيضاً أن يستمر الصراع طويلاً بين السلطات المصرية ومجموعات من بدو سيناء والذي أثبت التاريخ بأن لهم دور تاريخي معروف وممتد من مواقفهم الوطنية عندما كانت سيناء تحت الإحتلال الإسرائيلي , وتعترف الجهات الأمنية في مصر بأن البدو عادة ما يبادروا بتقديم النصائح الى الأجهزة الأمنية .

ورغم أن البدو يأكدون دائماً بالقول كلنا شركاء في تأمين الأمن لجميع مدن سيناء كما هي باقي المحافظات وأن الأمن في سيناء مسألة حياة أو موت لجميع البدو وقد قدم مشايخ القبائل منذ فترة اقتراحا بضرورة الاستعانة بالبدو في عمليات التأمين بشكل عملي كما أن تضحياتهم معروفة ومعلومة , لكن هؤلاء البدو لهم مطالب ايضا ولايجب ان تتجاهلها

الدولة ولاسيما أن الحكومة تتعامل معهم بقدر كبير من الإهمال و التجاهل و النسيان , و حرم عليهم أن يتقلدوا المناصب القيادية او الحساسة بالدولة او يلتحقوا بالكليات العسكرية و كأنهم غير مواطنين بل وهناك من يعتبر البعض منهم عملاء مزدوجين .

ويبدو ان معاهدة السلام أيضا كانت سببا في حرمان أهل سيناء من فرص التنمية فسيناء بها مجالا واسعا للمشروعات التي يمكن أن تساعد على التخفيف من مشاكل البطالة والتكدس السكاني بالمدن الرئيسية ويمكن إستغلال سيناء التي تقع على البحر الأحمر و البحر الأبيض والتي تحوي معادن من بينها اليورانيوم و التي كان يمكن أن يقام بها محطات لتحلية مياه البحر او محطات كهرباء تعمل باليورانيوم و يفتح بها الجامعات و المدارس ولكن ترك أهلها يعيشون في الجبال و يحملون السلاح للدفاع عن أنفسهم ويزرعون المخدرات و يتاجرون فيما تبقى من مخلفات الحرب .

إن التقرير الذي أصدرته منظمة هيومن رايتس واتش منذ بضعة أشهر عما يحدث في سيناء به أحداث مفجعة و مؤسفة عن الممارسات القمعية للسلطات ضد بدو سيناء و كان لا بد للمشايخ والقبائل التي أهين رجالها و نساءها من المواطنين وأنتهكت حرماتهم أن ينتقموا لشرفهم و لكرامتهم فكانت بداية العلميات الإنتقامية والمبنية على الفعل ورد الفعل .

وجدير بالذكر أن هناك أسباباً أخرى ومنها أن إسرائيل تهدف من شيوع الإرهاب في سيناء إلى الإيحاء بأن الفراغ الأمني ملأه الإرهاب في سيناء ، وهو خطر على أراضيها مما يدفعها إلى اقتراح التعاون مع مصر والولايات المتحدة فتصبح سيناء مسرحاً للحملة الأميركية وحلفائها لمكافحة الإرهاب بما يمكن إسرائيل من السيطرة عليها ضمن هذا الإطار، وليس عن طريق الغزو والاحتلال .

وتعتبر مدينة دهب المنتجع المفضل للإسرائيليين الذين يصلون إليها بالآلاف وبعضهم مقيم فيها بشكل دائم , ويعود ذلك لعدة أسباب منها رخص الأسعار مقارنة بالمنتجعات الأخرى ، وتوفر كثير من الممنوعات وخصوصا الحشيش، وعدم وجود كثافة سكانية يمكن ان تسبب إزعاجا، ووجود خدمات محببة للإسرائيليين خصوصا الشرقيين منهم مثل الحمامات التركية، وشعورهم بالأمان النسبي في هذا المكان .

ويتمتع الإسرائيليون بقضاء إجازاتهم وإقامة حفلات ليلية خاصة على الشواطيء يمارس فيها الجنس الفردي والجماعي , ووفقا لما تنشره الصحف الإسرائيلية، بين الحين والأخر، فان سمعة سيناء كأرض للجنس المختلف والشبق ، تجعل الإسرائيليين يشدون الرحال لها، غير عابئين بالتحذيرات التي تطلقها أجهزتهم الأمنية من إمكانية استهدافهم بعمليات إرهابية .

وينقسم الإسرائيليون الذين يقصدون سيناء إلى عدة أقسام، منها شبان وشابات يذهبون للتعارف، ثم يعودون إلى إسرائيل للزواج ، والعودة الى سيناء مرة أخرى لقضاء شهر العسل ، وأيضا يذهب الإسرائيليون في مجموعات الى سيناء لممارسة الجنس الجماعي، ويعيشون فيها حفاة عراة مما يدفع غيرة البدوي السيناوي الى الإنتقام وخصوصاً أن هناك بوادر صحوة دينية بين ابناء بدو سيناء .

الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى المزيد من القراءة والتحليل لندرك الإجابة على سؤال: هو مازال ماثل أمامنا: الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية؟

صحيفة الحقائق اللندنية 03-05-2006م

49 تصريحات إيران والمواجهة الحتمية

يبدوا أن العالم يعيش أجواء حرب باردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربي من جهة وبين أطراف عديدة منها إيران من جهة أخرى , فقد كشف كتاب صدر مؤخراً في الولايات المتحدة الأمريكية عن بعض أسرار وكالة الإستخبارات الأمريكية بخصوص إيران , وإدعى مؤلف الكتاب أن الوكالة قد قدمت لإيران معلومات مغلوطة لصنع قنبلة نووية بداية عام 2000م , ويؤكد الكتاب على أن العديد من الجواسيس الأمريكين التابعين ل CIA قد أعتقلوا بسبب أخطاء إرتكبوها , هذا ما أكده الصحفي في نيويورك تايمز جيمس رايسن في كتابه "حالة حرب" .

وإن إفترضنا أن مثل هذا الكلام صحيحاً فإن الهدف من تلك المعلومات المضللة هو عرقلة البرنامج النووي الإيراني ومما تقدم نستطيع القول أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها والتي تخوض حرباً باردة مع العديد من الدول ومنها إيران قد تجد نفسها في وضع لاتحسد عليه إذا بدأت تفكر في شن هجوم على إيران وستكون إيران خاسرة إذا راهنت على أن أمريكا وحلفائها لن تخوض حرباً ضدها وخصوصاً بعد التورط الأنجلوأمريكي في العراق .

وقرار مجلس الأمن الدولي الأخير بشأن الملف الإيراني الذي أعطى إيران مهلة ثلاثون يوماً قد حسم الأمر لصالح التصعيد الأنجلوأمريكي , وبات واضحاً وأكثر من أي وقت مضى أن دول العالم الغربي ستتحالف فيما بينها ضد إيران ومن أجل عيون إسرائيل التي تعهد بوش الإبن في خطاب له بجامعة كنساس بحماية أمن إسرائيل من أي تهديد إيراني محتمل, قائلا "لقد قطعنا على أنفسنا عهدا بضمان أمن إسرائيل، وهو عهد سنفي به", في رده على تهديدات الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد السابقة بـ"محو إسرائيل من الخارطة".

هذا يذكرنا بما أقدم عليه الرئيس العراقي صدام حسين عندما هدد بضرب إسرائيل بالمزدوج فبدأت مرحلة التخطيط من تلك اللحظة الى أن تمكنت أمريكا من إحتلال العراق بعد حصار دام طويلاً وحروب متعاقبة أنهكت العراق , وكأننا أمام نفس السيناريو وعليه تبدوا الصورة أكثر جلاءاً وواضحة للعيان فالكيان الصهيوني لا يعتمد في بقائه وقوته على جنوده وأسلحتهم

المتنوعة فقط ، فهذه مظاهر طبيعية لكيان أسس نفسه على أشلاء الضحايا , من أبناء الأمة العربية ، وعليه نستطيع أن نؤكد على أن "اسرائيل" في نظر الغرب عموماً والولايات المتحدة خصوصاً إنما تخدم مصالحهم مباشرة في المنطقة حتى لو ظهرت بعض بوادر الاختلاف والتي غالباً ما تكون هامشية .

وعودة الى المقدمة نجد أن المعلومات المغلوطة التي قدمت لإيران كانت واضحة لدرجة أن علماء روس يعملون في البرنامج الإيراني سارعوا الى تصحيحها ولن نخوض في طريقة نقل أو توصيل هذه المعلومات فإن العملاء المزدوجين موجودين في كل وقت وفي كل حين ولكن الغريب في الأمر أن من قام بتسليم هذه المعلومات تعهد وأعلن عن إستعداده لتصحيح الأخطاء الواردة بمقابل مادي .

ويتضح جلياً أن اللاعبين الأساسيين في أزمة الملف الإيراني هم ثلاثة أطراف أساسية أمريكا وحلفائها , وإيران ومن يساندها , وإسرائيل ومن يدعمها , ولهذا أريد من القاريء أن يتخيل معي دور كل طرف من هذه الأطراف للوصول الى النتيجة الحتمية ومن هم الكاسبون ؟ ومن هم الخاسرون ؟ , هذا إضافة الى أطراف غير أساسية سنعرفها لاحقاً .

ولن نذهب بعيداً فقد ربط بوش الإبن بين التهديدات الإيرانية ضد إسرائيل وبين الأزمة النووية, مشيرا إلى أن تلك التهديدات تعد مؤشرا على أن طهران تسعى لتطوير أسلحة نووية, رافضا ما أسماه "الابتزاز القادم من سلاح نووي".

ودخلت إسرائيل على خط المواجهة، ودعت على لسان رئيس وزرائها بالنيابة إيهود أولمرت إلى إحالة ملف إيران النووي سريعا إلى مجلس الأمن الدولي لاتخاذ إجراءات تمنعها من امتلاك القدرة النووية.

والإسرائيليون يعتمدون على المساندة والدعم من القوى الداعمة للصهيونية والتي تتمثل في الجماعات والمنظمات اليمينية الأصولية , ممن يعتقدون وبإيمان عميق إن "اسرائيل" هي رمز الخلاص وتتجسد هذه الحركة المسيحية وفكرها الصهيوني في مؤسسات إعلامية وإمكانيات مالية كبيرة وتحالفات متعددة تظهر بشكل قوي في الولايات المتحدة الأميركية ولها إرتباطات وثيقة وكبيرة مع "اسرائيل" فهي بإعتقادهم تمثل تحقيق النبوءات التوراتية وهي أيضاً تشكل

الحليف الأقوى والشريان الأساسي لمصالح العالم الغربي في المنطقة العربية والتي إصطلحوا على تسميتها بالشرق الأوسط .

أما الموقف الإيراني ففيه لهجة التحدي عندما أقدمت على رفع الأختام عن مراكز البحث النووي , وهي متمسكة بمواقفها، حيث قال مرشد الجمهورية الإيرانية آية الله علي خامنئي إن بلاده لن تتخلى عن برنامجها النووي وإن التهديدات بفرض عقوبات لن يكون لها أي تأثير على إرادة شعبها، معبرا في الوقت نفسه عن ترحيب بلاده بمشاركة دول أوروبية وغير أوروبية في برنامجها النووي.

وكان التحدي الأكبر عندما أعلنت إيران خلال الأيام القليلة الماضية عن تطوير أسرع صاروخ تحت الماء في العالم وقامت بتجربته بنجاح في اليوم الثالث من مناورات عسكرية ضخمة على سواحل الخليج العربي وتحدث نائب القوات البحرية متباهياً بهذا الصاروخ حيث قال إن سرعة الصاروخ 360 كلم في الساعة" ويملك رأسا حربية قوية جداً بحيث يمكنه ضرب الغواصات, وحتى إذا اكتشفته السفن الحربية المعادية, فإنه لا يمكنها تفاديه بسبب سرعته الكبيرة" , ويأتي هذا التحدي بعد صدور قرار مجلس الأمن بشأن التعامل مع أزمة الملف الإيراني .

أما الأطراف غير الأساسية ولكنها فاعلة فتتمثل في الوكالة الدولية للطاقة الذرية التي أعلنت على لسان مديرها د. محمد البرادعي محذراً من تجاهل إيران لمطالبها , معتبرا أن مصداقية مسار التحقق من البرنامج النووي الإيراني في خطر. وإن العالم في غنى عن مواجهة جديدة , إلى أن إختتم حديثه قائلاً "إنني أرتعد لمجرد التفكير في النتائج التي قد تخلقها مواجهة, لذا على الناس أن يفكروا مليا قبل أن يدخلوا في مسار مواجهة" .

أما باقي الأطراف فلن نركز عليها كثيراً لأنها لن تؤثر على مجريات الأمور أو على النتائج الحتمية للمواجهة بكل أشكالها بين إيران من جهة وبين أمريكا وحلفائها من جهة أخرى ونكاد نجزم أن إيران لم تستمع الى نصائح دول الجوار وقامت بإرتكاب خطأ خطير في الحسابات بعد قرارها استئناف أبحاثها في مجال الوقود النووي، وزادت الخطأ بخطأ أكبر عندما قامت بإجراء تجربة الصاروخ المائي , وأخشى ماأخشاه أن تتهم بحيازة أسلحة الدمار

الشامل ويعود السيناريو الذي طبق على العراق ليتم تطبيقه على إيران ولهذا ينبغي على العقلاء أن ينزعوا فتيل الأزمة قبل أن تصبح المواجهة العسكرية حتمية .

صحيفة الحقائق اللندنية 24-04-2006م

50 الصاروخ المائي سيشعل المنطقة

في مقال سابق بعنوان تصريحات إيران والمواجهة الحتمية كتبنا عن الحرب الباردة بين إيران وبين دول العالم الغربي وإستنتجنا في مقالنا الآنف الذكر أن المواجهة حتمية بين إيران وبين أمريكا وإسرائيل ودول التحالف وأكدنا في مقالنا أن إيران ستكون خاسرة إذا راهنت على أن أمريكا وحلفائها لن تخوض حرباً ضدها وخصوصاً بعد التورط الأنجلو_أمريكي في العراق .

وذكرنا أيضاً أن قرار مجلس الأمن بشأن الملف الإيراني قد حسم الأمر لصالح التصعيد الأنجلو_أمريكي , وبات واضحاً وأكثر من أي وقت مضى أن دول العالم الغربي ستتحالف فيما بينها ضد إيران ومن أجل عيون إسرائيل وإستشهدنا بتعهد الرئيس بوش الإبن بحماية أمن إسرائيل من أي تهديد إيراني محتمل , رداً على تهديدات الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد السابقة بـ"محو إسرائيل من الخارطة".

وضربنا مثل بتهديدات الرئيس العراقي صدام حسين بضرب إسرائيل بالمزدوج الأمر الذي أدى إلى الحرب ضد العراق وتدمير قواته وإقتصاده وشعبه وأخيراً إلقاء القبض عليه وهو يحاكم الآن في العراق , وتحدثنا أيضاً عن السيناريو المحتمل للتعامل مع القيادات الإيرانية والشعب الإيراني الذي لن ينجوا من كارثة محققة إذا لم تتدارك الأمر قبل فوات الأوان وإحتمال أن تلقى نفس مصير الرئيس العراقي السابق صدام حسين والعراق المجيد .

وبعد هذه المقدمة سنسلط الضوء على بعض التصريحات الإيرانية والأنجلو_أمريكية والتصريحات الفرنسية والتصريحات الإسرائيلية وسندرس إمكانية تحقيق تلك التصريحات وماهو مصير المنطقة والعالم أجمع إذا لم تتدارك إيران إنها في خطر حقيقي ومنطقة الخليج العربي وماحولها وهنا نتسائل لماذا كل تلك السلبية من بعض دول المنطقة التي من المحتمل أن تتعرض لكارثة إنسانية وكأنها لاتستشعر الخطر المحدق بالمنطقة بأسرها تاركين إيران والعالم الغربي وإسرائيل على الساحة السياسية والعسكرية لاعبين وحدهم بمصير المنطقة القابل للإنفجار كما تركوا العراق وحيداً .

ومعروف أن اللاعبين الأساسيين في أزمة الملف الإيراني هم ثلاثة أطراف أساسية أمريكا وحلفائها , وإيران ومن يساندها , وإسرائيل ومن يدعمها , وهنا نستنتج أن إيران ضعيفة بكل المقاييس أمام هذه التحالفات ولهذا ننصح القيادات الفلسطينية بعدم التعاون مع إيران أو قبول أي مساعدات مالية منها لأنهم بذلك يراهنون على الجواد الخاسر أمام الوحش الكاسر .

ونريد من القيادة الإيرانية الإحتكام الى صوت العقل والمنطق وإنهاء الأزمة بأي شكل من الأشكال مع حفظ ماء الوجه حتى لاتضطر الى محو إسرائيل من الخارطة وهي تهديدات غير قابلة للتحقيق أو التصديق فقضية وجود "اسرائيل" وبقائها كدولة قوية وامتلاكها لكل أسباب القوة هي قضية مسلم بها لا اختلاف عليها في الغرب وكذلك الحال بالنسبة الى دعمها المتواصل ، فلا تكاد تخلو دولة في الغرب لا تخصص مساعدات لإسرائيل في ميزانيتها .

وكل ما تتوصل اليه هذه الدول من تكنولوجيا حديثة ومتطورة في مختلف الميادين يصل فوراً الى الكيان الصهيوني دعماً له لمواصلة بقائه وازدياد بسط نفوذه وما ذاك إلا لأن الفكر اليهودي بات مسيطراً على العقول الغربية وحتى بعض العربية منها , وباتت تلك الشعوب تخدم المصالح العديدة للإسرائيليين دون تهويد عقائدي ولكن تهويد فكري وهو الأخطر .

فليس ضرورياً أن تكون يهودياً حتى تكون صهيونياً، لأن الصهيونية ليست جزءاً من تاريخ اليهود ولا التوراة ولا التلمود، ومعظم التصريحات للقيادات الإيرانية هي للإستهلاك المحلي لزيادة المشاعر العاطفية المتأججة واللغة الشاعرية التي يتمتع بها أبناء تلك المناطق التي شغلتهم أغاني الفيديو كليب ولم يفكروا في مصيرهم المحتوم ونرجوهم أن لايعودوا بنا الى الوراء أقصد القيادات الى عهد الستينيات والقادة الذين هددوا برمي إسرائيل في البحر الأمر الذي أدى الى هزيمة عسكرية منكرة سموها نكسة .

فالأمة ليست بحاجة الى نكسات جديدة وينبغي أن ننشغل بالإقتصاد لدعم مشاريع تنموية صناعية تنقذ أبناء المنطقة من البطالة التي بدأت تعصف بهم وتهجرهم الى بلاد المهجر , كفانا إرتكاب أخطاء مدمرة فالعبرة بالأمم السابقة أقصد بذلك "الإتحاد السوفيتي" الذي إنهزم بسبب سباق التسلح فنزل عن عرش الدول العظمى , وكأن هناك في الأفق سيناريو آخر

يتبع مع إيران التي ماتزال تحلم بالترسانة العسكرية بعد أن كانت شرطي المنطقة في عهد الشاه , وبالتالي ستستنزف كل مواردها الإقتصادية لسباق تسلح جديد سيجعلها أفقر دول المنطقة وهي دولة بترولية فيها من الإحتياطي مايجعلها قوة إقتصادية كبيرة وهذه العبرة خير طريق للنجاة من الإنهيار.

وعودة الى التصريحات التي وعدنا بإستعراضها لنترك للقاريء أن يقارن ليعلم من هم الصادقون ومن هم الكاذبون , فهناك تصريح من رفسنجاني لوكالة الأنباء الإيرانية الرسمية قال فيه " أن إيران قررت كسر المحرمات الاستعمارية باستئناف برنامجها للطاقة النووية السلمية ".

وهناك تصريح آخر للتلفزيون الإيراني عن الرئيس محمود أحمدي نجاد قوله " إن إيران ستمضي قدما في برنامجها النووي لأن من يملكون اليوم أعلى مستويات التقنية في إنتاج الطاقة النووية, يملكون الوقود النووي, وهم يستعملونه سلاحا اقتصاديا وسياسيا ".

وهناك تصريح لمصدر مسؤول للتلفزيون الإيراني قال فيه إنه "تم بنجاح اختبار زورق طائر حديث للغاية في إطار مناورات (الرسول الأعظم), مضيفة أنه "بسبب التصميم المتطور لهيكله الخارجي, لا يمكن لأي رادار في البحر أو في الجو أن يحدد موقعه, كما يمكنه الإقلاع من المياه, و تم تصنيعه محليا بالكامل ويمكنه إطلاق صواريخ تصيب أهدافها بدقة بالغة خلال تحركها".

وتعقيباً على التصريح السابق هناك مخاوف أوروبية من مناورات أمريكية ترى فيها استعدادات لهجوم على طهران لأن إيران تختبر زورقا طائرا وصاروخا يتجنب الرادار وتتعهد بمواصلة نشاطاتها النووية .

وعلقت الولايات المتحدة على التجارب الإيرانية بقولها إنه "من المحتمل أن تكون إيران قد أنتجت صاروخا قادرا على تجنب الرادار والموجات الصوتية, لكن لديها ميل للتفاخر والمبالغة", وأعربت عن قلقها من المناورات الإيرانية.

وأعربت إسرائيل عن مخاوفها من التجارب الإيرانية , وخصوصا بعد ظهور تقارير صحفية ذكرت أن طهران نصبت شبكة تجميع استخبارات معقدة في جنوب لبنان لتحديد أهداف في شمال إسرائيل في حال حدوث مواجهة عسكرية حول برنامجها النووي .

وهناك تصريحات لرئيس لجنة الشؤون الدولية في البرلمان الروسي قسطنطين كوساتشوف " أن استعراض القوة من جانب إيران عمل غير لائق , وأن هذه التصرفات تعطي مردودا معاكساً، ولا تخلق جو الثقة الضروري في المحادثات ".

أما تصريحات وزير الدفاع الإسرائيلي شاؤول موفاز التي أكد فيها أن إسرائيل لن تقبل بحصول إيران على التكنولوجيا النووية تحت أي ظرف من الظروف , وردت عليه إيران بالتصريح التالي " إن إسرائيل سترتكب "خطأ قاتلا" في حال لجأت إلى الخيار العسكري ضد برنامج طهران النووي، ووصفت التهديدات الإسرائيلية بأنها لا تتعدى كونها "لعبة صبيانية".

وواصل موفاز تصريحاته بالقول أن تل أبيب "لن تتساهل في أي حال من الأحوال حيال امتلاك إيران للخيار النووي" , وفي الوقت نفسه أكد أن الأولوية تعود للعمل الدبلوماسي وإستطرد القول إنه سيكون على إسرائيل الاستعداد لمواجة البرنامج النووي الإيراني .

أما التصريحات الأمريكية جاءت على لسان المتحدث باسم الخارجية الأميركية آدم إريلي أن تجربة الصاروخ الجديد التي أجرتها طهران تثبت عدوانية البرنامج العسكري الإيراني , مضيفا أنه يتضمن الجهود لتطوير أسلحة دمار شامل وكذلك منظومات إطلاق هذه الأسلحة.

وتأتي التصريحات الفرنسية على لسان رئيسها جاك شيراك التي هدد فيها باستخدام بلاده السلاح النووي ضد أي دولة تدعم ما وصفه بالهجمات الإرهابية في إشارة واضحة الى إيران .

وفي تصريح لرئيس الوزراء البريطاني توني بلير أنه يشاطر الرئيس الفرنسي جاك شيراك مخاوفه من "الدول المارقة"، التي تطور قدراتها النووية بما يخالف واجباتها الدولية، في إشارة واضحة لإيران.

وفي تصريح لرضا آصفي ردا على تهديدات الرئيس الفرنسي جاك شيراك باستخدام بلاده السلاح النووي ضد أي دولة تدعم ما وصفه بالهجمات الإرهابية، وقال إن التصريحات تعكس النوايا الحقيقية للقوى النووية الكبرى.

وهناك تصريح واضح من الرئيس بوش الإبن لوح فيه بإمكانية فرض عقوبات دولية على إيران في حال إصرارها على عدم التخلي عن برنامجها النووي , وقال إن العقوبات مسألة مطروحة بقوة، دون أن يحدد نوع العقوبات التي يتحدث عنها ولا في أي مرحلة يمكن أن تفرض , وأشار إلى احتمالية اللجوء إلى القوة العسكرية ضد طهران كخيار أخير، لكنه شدد على ضرورة استنفاد جميع الإمكانيات الدبلوماسية أولا.

إن تجربة الصاروخ المائي الإيراني لن تمر بسلام وستتهم بحيازة أسلحة الدمار الشامل ويعود السيناريو الذي طبق على العراق ليتم تطبيقه على إيران ولهذا ينبغي على العقلاء أن ينزعوا فتيل الأزمة قبل أن تصبح المواجهة العسكرية حتمية .

صحيفة الحقائق اللندنية 06-04-2006م

51 متى ينتهي إرهاب المنتجعات السياحية ؟ (الحلقة الرابعة)

ذكرنا في "الحلقة الثالثة" بعض المعلومات التي يمكن تلخيصها في ما يلي : التعاون بين العديد من الدول لكشف الغموض الذي يكتنف حوادث الإرهاب , التفريق بين الإرهاب وبين المقاومة يسلتزم التعريف الدقيق لكل منهما, الوسائل غير المشروعة لايمكن أن تحقق أهدافاً مشروعة , تحكيم صوت العقل بدلاً من إرضاء غرور القادة , أشكال الهيمنة والسيطرة لن تقبل بها الشعوب , دراسة الأسباب المؤدية للإرهاب هي أفضل السبل لمعرفة كيف نحارب الإرهاب , مشاعر اليأس والإحباط والشعور بالقهر غالباً ماتؤدي الى العنف , إعادة النظر في التعاطي مع مشكلة الإرهاب , التمسك بمباديء العدل والمساواة بين البشر يخفف من حدة العنف , من يقوم بالإرهاب يتلقى الدعم من جماعات متنفذة ينبغي دراسة أوجه العلاقة بينها .

أما هنا في هذه "الحلقة الرابعة" سنقوم بالطرح لعوامل لم نذكرها من قبل وقد تكون ذات مغزى مختلف نوعاً ما , فهي تعتمد على أبحاث ودراسات وبالتحديد من جامعة شيكاغو فقد درس "البروفسور روبرت باب من جامعة شيكاغو 462 عملية انتحارية في محاولة للتعرف إلى الحوافز التي تحرك الانتحاريين, ناقضا الاعتقاد السائد بأن الانتحاريين يحركهم تعصب ديني , وقال"دهشت كثيرا لاكتشافي أن 95% من العمليات الانتحارية التي جرت منذ العام 1980م , وحتى اليوم لديها قاسم مشترك ليس الدين بل هدف واضح وإستراتيجي وهو إرغام ديمقراطية حديثة على سحب قواتها العسكرية من أراض يعتبرها الإرهابيون موطنهم الأم".

ونتائج الدراسة أثبتت بما لايدع للشك عدم صدق أقوال كثير من الزعماء السياسيين والعسكريين وفي كل المناسبات التي يتحدثون فيها عن الإرهاب وفي مقدمتهم الرئيس بوش الإبن الذي أعلنها حرباً صليبيةً على العرب والإسلام والمسلمين بدعوى محاربة الإرهاب ، وهذه الحرب جرى الإعداد لها قبل مجيء الرئيس بوش الإبن للحكم بزمن طويل ، في إطار ما يسمى بالإمبراطورية الأمريكية وهو مشروع يستهدف السيطرة والهيمنة على العالم

وإقتصادياته ، وبمشاركة ودعم من المشروع الصهيوني الحالم الذي يطمح في الاستيلاء على أرض فلسطين التاريخية وصولاً لإقامة دولة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل ، بل وإقامة الدولة اليهودية العالمية التي خطط لها المؤتمر الصهيوني الذي عقد عام 1897م , في بازل بسويسرا .

كما أن هناك تأكيدات بحثية أيضاً من جامعة نيويورك هذه المرة وعلى لسان آلن زركين من مركز الاستعداد للكوارث في جامعة نيويورك حيث قال "إذا كان من الأكيد أن لا يتمكن الإرهابيون من كسب الحرب فأننا أيضا لا يمكننا ذلك".

أما تأكيدات جامعة هارفارد فقد جاءت في دراسة بعنوان "هل حان الوقت للحديث مع القاعدة ؟" وقد جاءت هذه التأكيدات على لسان مساعد مدير برنامج الابحاث حول النزاعات السيد محمود محمدو الذي قال إن "التخطيط للمرحلة المقبلة من الرد الشامل على القاعدة يستوجب معرفة عدونا". كما أشار أيضاً أن جميع الرسائل الصوتية التي تبثها القنوات الفضائية عن زعماء القاعدة تطالب بوضوح وضع حد للتدخل الأمريكي في المنطقة بل ووجودها العسكري وكذلك دعمها المطلق للاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية وللانظمة الفاسدة والقمعية في العالم العربي والاسلامي".

وهناك تأكيدات جاءت على لسان الاميرة "إيرينا" شقيقة الملكة الهولندية "بياتريكس" التي دعت الحكومات الغربية الى محاورة تنظيم "القاعدة" من خلال حديث لها في جريدة الشعب "فولكس كرانت" , وإعتبرت الأميرة أن التحدث إلى قادة هذا التنظيم يساعد في التعرف على وجهة نظرهم وسيغير صورة العداء التقليدية بينهم وبين دول الغرب , وأضافت أيضاً بالقول "اذا لم تقدم للاخر أي فرصة وتبقى تطلق احكاما عليه من وجهة نظرك فحسب فلن تغير شيئا أبدا" . وبررت "العنف الاسلامي" بأنه نتيجة للفقر والعلاقات الخاطئة والحواجز التجارية.

أما أطروحات مايكل شاور المدير السابق ل"وحدة بن لادن" في وكالة الاستخبارات المركزية (سي اي ايه) الذي ينتقد نهج ادارته السابقة , حيث قال في أحد محاضراته إن "الناشطين المسلمين (ومئات ملايين المسلمين غير الناشطين) يكرهون الولايات المتحدة بسبب ما نقوم به في العالم الاسلامي وليس بسبب مثلنا العليا الديموقراطية".

ومما سبق يمكننا القول إن النزعة العدوانية التي تتصف بها الإدارة الأمريكية ممثلة في اليمين المتطرف نحو العرب والإسلام والمسلمين ومحاولاتها الهيمنة على ثروات الدول ، قد لا تترك أمام الجماهير خياراً سوى خيار المقاومة المسلحة ، أو القيام بعمليات إرهابية والتي بدأت تستهدف المنتجعات السياحية والمنشآت النفطية وغيرها من مراكز الإقتصاد العالمي , وليس غريباً القول بأن الانحياز الأمريكي الكامل لإسرائيل ، والتأييد الأعمى لها خصوصاً بعد وصول حماس الى السلطة والمحاولات المتكررة لإفشال حكومتها بتجفيف مصادر تمويلها وعدم دفع رواتب موظفيها .

وهنا نقدم نصيحة لقادة حماس بالقول إذا كنتم غير قادرين على دفع رواتب موظفي الدولة وتنتظرونها من الدول المانحة فلا بد لكم من أن تقبلوا شروطهم , أما إذا كانت شروطهم لاتتماشى مع أهدافكم ففي هذه الحالة يجب أن تقدموا الإستقالة ويفضل أن تحافظوا على شعار "حماس" حركة مقاومة إسلامية , والمقاومة كحركة ستلقى الدعم أما الحكومة كمقاومة فلن تجد دعماً إلا إذا وافقت على نبذ العنف وليس هناك دعماً في عالم السياسة غير مشروط .

ولنا في محاكمة الدكتور سامي العريان عبرة , الذي قضت محكمة أمريكية بسجنه أربع سنوات وتسعة شهور بتهمة تمويل "حركة الجهاد" , فما بال من يقوم بتمويل "حركة حماس" ولاسيما أنها حركة مدرجة على قائمة الجماعات الإرهابية "من منظور غربي " , ومن يجرؤ على الدعم لحكومة ترأسها "حركة حماس" إلا بموافقة أمريكية وبطريقة مقننة ومدروسة , وإلا فالتهمة جاهزة والعقاب آتي لامحالة .

وتذكروا , إن الرئيس بوش الإبن لن يتردد هو وإدارته في إتخاذ أي إجراء يرى فيه تعزيزاً لموقف إسرائيل وموقفه أيضاً من اعتبار منظمتي حماس والقاعدة وجهان لعملة واحدة إسمها "الإرهاب" وهما مسؤولتان عن العمليات الإرهابيـة التي جرت وتجري في مختلف أنحاء العالم ، ودعمه المستمر في حشد أكبر قدر من التأييـد العالمي لضربة وشيكة ومتوقعة لإيران من ناحية ، والقضاء على المنظمات العربية والإسلاميـة التي تعمل على مقاومـة الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربيـة من ناحية أخرى .

وهل لنا أن نتسائل بالقول أليس الإرهابي هو إنسان أولاً وأخيرا ؟ له شخصية ووجدان ومشاعر وتصورات ثقافية خاصة تحتاج إلى سبر أغوارها ومحاولة فهم كيف تعمل ؟ ولماذا تفعل ذلك ؟ وهل الإرهابي يقوم بمحاولات لإيقاع الأذى بالغير ؟ أم أنها مشاعر وقائية لحماية الذات الجريحة والمهددة والمهانة ؟ .

ويمكن أن نتصور الإجابة تكمن , بإن الإنسان يحب ذاته حبا جما ويود أن يجد التقدير والحنو والاحترام من الآخرين وتتولد لدية آليات وقائية ودفاعية ضد عمليات التهميش والإهانة والظلم الذي يقع عليه والتي تسبب له جراحات عميقه في ذاته سواء كانت مشاعر الظلم والإهانة حقيقية أم وهمية لا وجود لها سوى في خياله المبدع الذي يضخم له تلك المشاعر السلبية في الخارطة الذهنية والمحفورة في الذاكرة التي تتعرض يومياً لضغوط كبرى من ضيق ذات اليد والتهميش لتزيد من الجرح النازف دماً والذي بالتأكيد يخلخل توازنات النفس البشرية السوية التي تبحث عن العدل والمساواة .

فيصبح هو الإنسان المقهور وذاته المغلوبة التي تشعر بالإنهزام والإهانة واليأس حيث تندفع عوامل نفسية كبيرة في ذاته لتتحول الى عمليات إرهابية إنتقامية كردة فعل أمام كل ما يقع عليها فالمشاعر السلبية المتضخمة تحتاج إلى عمليات تفريغ لتحقيق الراحة من كل الأحمال الذي تنوء به هذه النفس البشرية التي تشعر بالظلم وعدم العدل والمساواة .

فتنتمي الى أيديولوجية العنف والتطرف والبأس لتفرح بمشاهدة ضحاياها ودماءهم التي تسيل لتروي عطش حب الإنتقام عبر الإرهاب لتستقطب الضالين المهووسين، وتهمس في آذانهم وصدورهم ، لتحضهم على إرتكاب أكبر المعاصي الدينية جميعاً، بإسم الدين والجهاد في سبيل الله , وما من سبيل لوضع حد ونقطة نهاية لدائرة العنف الشريرة هذه، إلا سبيل واحد , هو إرساء مباديء العدل والمساواة بين البشر وإلحاق الخزي والعار بأيديولوجية الكراهية والحقد ، ونبذها باعتبارها سمة مخزية ووصمة عار في جبين مرتكبها أياً كان مذهبه الديني .

إن إلحاق الهزيمة بأيديولوجية الكراهية التي تعم العالم اليوم تأتي من قوة مباديء العدل والمساواة بين البشر ولنا في الفاروق عمر بن الخطاب أسوة حسنة والذي كان يتمتع الذمي في عهده بكفالة الدولة الإسلامية له عند العجز أو الفقر أو الشيخوخة وقولته المشهورة " فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم " وبدون هذا العدل ستتحول الكراهية الى ثأر تأريخي لرد المظالم الكبيرة التي تقع على الشعوب المقهورة وهو مايفسر ردة الفعل الشرسة والعدوانية لتختلط المفاهيم من جديد بين مفهوم المقاومة ومفهوم الإرهاب ومفهوم الحقوق المشروعة والمصالح الوطنية لنرى إستهداف المنتجعات السياحية كتعبير عن عدم الرضا بحجة ممارسة الممنوعات بإسم السياحة كإقامة الحفلات الليلية الخاصة على الشواطيء التي يمارس فيها الممنوع وغير المألوف الأمر الذي يبقي التساؤل قائماً متى ينتهي إرهاب المنتجعات ؟ .

صحيفة إيلاف الإكترونية 05-05-2006م

52 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية؟ (الحلقة الثالثة عشرة)

في "الحلقة الثانية عشرة" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ ذكرنا بعض المعلومات ويمكن تلخيصها في مايلي: إن تنظيماً أصولياً متشدداً له صلات أيديولوجية بتنظيم القاعدة يضم عناصر من بدو سيناء يقف خلف حوادث التفجيرات في سيناء , إن الوضع غير مستقر في سيناء ولايستبعد أن يكون وراء ذلك جهات خارجية , بدو سيناء يطالبون الحكومة بأن لا تتعامل معهم بنوع من الإهمال والتجاهل والنسيان , معاهدة السلام كانت سببا في حرمان أهل سيناء من فرص التنمية , التقرير الذي أصدرته منظمة هيومن رايتس واتش بشأن سيناء , إبراز دور بعض السياح الإسرائليون وممارساتهم غير الأخلاقية .

وفي هذه الحلقة سنقوم بالتحليل وسرد لأهم الأفكار التي كتبت حول الموضوع فمن الطبيعي أن تقوم الأجهزة الأمنية المختلفة بشن حملات دهم وملاحقات الأمر الذي أدى الى إستسلام عدد من المطلوبين في تفجيرات سيناء وتواصل قوات الأمن حملاتها المكثفة في مدن سيناء مثل مدينة العريش والشيخ زويد ووسط سيناء للبحث عن باقي الهاربين من المتهمين والمتورطين في التفجيرات.

وتطارد قوات الأمن المطلوبين في منطقة جبلية وعرة بشمال سيناء، وقد قتلت عدد منهم وطالبت سلطات الأمن مشايخ القبائل بسيناء بإقناع أبناء القبائل الهاربين والمطاردين والضغط عليهم "لإعلان التوبة" وتسليم أنفسهم للسلطات الأمنية لتقديمهم إلى العدالة واتخاذ الإجراءات القانونية بحقهم .

وهناك معلومات جديدة تفيد بوجود سائح إسرائيلي في أحد الفنادق والتي تحوم حوله الكثير من الشكوك وكشفت التحريات عن وجود بعض الملاحظات ومنها أن كل الحوادث الإرهابية التي شهدتها البلاد في طابا وشرم الشيخ ودهب والأزهر وعبدالمنعم رياض وقعت في فترات زيارات السائح الإسرائيلي للبلاد وانه كان متواجدا في أغلبها أو غادر البلاد قبل بعض هذه التفجيرات بساعات أو بعدها بوقت قصير.

كما رصدت أجهزة الأمن تردد عدد الفتيات اللاتي يترددن علي الفنادق للجلوس مع هذا السائح المشكوك في أمره ولساعات طوال وكان لابد من إزاحة الغموض الذي يحيط به وتتبع رجال الأمن خط سير إحدي الفتيات وتبين أنها متزوجة ومقيمة بمنطقة باب الشعرية وتقرر استدعاؤها وخضعت لتحقيقات مكثفة وكانت نتائح التحقيق تفيد بأن هناك معاملات تجارية بينها وبين السائح الإسرائيلي وقالت انه عرض عليها صفقات تجارية وسوف يساعدها علي إبرامها لتصبح سيدة أعمال وتخرج من البيئة التي تسكن فيها ووعدها بأن تصبح مليونيرة في غضون عدة سنوات .

أما تحريات أجهزة الأمن كشفت عن مفاجآت جديدة تتعلق بسيدة باب الشعرية والسائح الإسرائيلي وبعد الفحص اكتشف رجال الأمن أن السيدة حصلت علي تأشيرة دخول لدولة "سوزريلاند" ولم تستطع تبرير الحصول علي تأشيرة دخول لتلك الدولة إلا أنها قالت أن السائح 'الإسرائيلي' سوف يقابلها هناك لعقد صفقات .

وتواصل أجهزة الأمن تتبع تحركات السائح الإسرائيلي والذي يتحدث العربية بطلاقة وجمعت هذه الأجهزة معلومات عن الفتيات اللاتي أقام معهن السائح الإسرائيلي علاقات مشبوهة وبعضهن من الساقطات اللاتي يترددن علي الفنادق الكبري من أجل إقامة العلاقات المحرمة مع السياح العرب والأجانب على حد سواء ، وأكدت التحريات أن بعضهن إعتدن بيع أجسادهن من أجل حفنة من الدولارات .

كما يجري الربط حاليا بين أسباب وجود السائح الإسرائيلي وبين الساقطات وكذلك تفحص أجهزة الأمن سر تواجده في البلاد خلال كل الحوادث الإرهابية التي شهدتها البلاد خلال الفترة الأخيرة , كما أنها تعيد فحص ملفات بعض الساقطات في مباحث الآداب ومدي حجم علاقاتهن بالسائح الإسرائيلي المشتبه فيه .

وتفيد معلومات أخرى عن إلقاء القبض على مواطن من شمال سيناء كان من الهاربين من حكم بالإعدام لتورطه في جريمة قتل ولهذا ستبقى أعمال البحث مستمرة حتى يتم الكشف عن جميع أبعاد الجرائم التي استهدفت قطاع السياحة في محافظات سيناء ويتوازي مع ذلك أعمال المطاردة التي تمت في منطقة جنوب العريش والقطاع الأوسط وسيناء حتى يتم إغلاق هذا الملف والقبض علي كافة العناصر الهاربة التي تستخدم كافة أنواع الأسلحة والتفجيرات لإستمرار الأعمال الإرهابية في سيناء .

وتفيد المعلومات الأمنية بأن "ناصر خميس الملاحي العقل المدبر لما يسمي بتنظيم "التوحيد والجهاد" وقد قتل في مواجهات بين الشرطة وعناصر من مجموعة تابعة له , في مدينة العريش شمال سيناء وإعتقلت ذراعه الأيمن محمد عبدالله عليان.

وتفيد معلومات أمنية أخرى بأن السياح اليهود يرون في سيناء ملاذا لممارسة الخيانة الزوجية، وهناك فئة من السياح الإسرائيليين تفضل قضاء شهر العسل في سيناء ، وهؤلاء يكونون اقل تطرفا في ممارساتهم الجنسية من الفئات الأخرى، ويقصدون فنادق غالبا ما تكون رخيصة يقضون فيها أوقاتهم ، بعيدا عن ما يوصف بمخيمات العراة والحشيش والجنس اللاهب المجنون .

أما المعلومات الواردة عن الإستخبارات البريطانية فتربط بين التفجيرات الإرهابية التي استهدفت مدينة دهب وشريط زعيم القاعدة اسامة بن لادن الذي بثته قناة الجزيرة قبل 24 ساعة من وقوع أحداث مدينة دهب الإرهابية ، وكان القسم المختص بمتابعة الارهاب والجماعات المتطرفة في الاستخبارات البريطانية MI-6 ، قد ذكر في تقرير له عقب بث قناة الجزيرة لشريط زعيم تنظيم القاعدة ، أنها تخشى من أن يكون الشريط تضمن إشارات مشفرة لخلايا تابعة لتنظيم القاعدة بتنفيذ عمليات ارهابية ضد بريطانيا ومصالحها واصدقائها ، ويكون توقيتها مشفرا داخل الرسالة , مما يدفع بالإرهابيين الى تنفيذ التفجيرات المخطط لها مسبقا ومنذ وقت طويل .

ويرى محللو الاستخبارات البريطانية ان شريط بن لادن تضمن الاشارة الى " الهجمة الصليبية" والى دور بريطانيا و"الصليبيين" بفصل السودان " عن مصر" ويعتقدون أن الإشارة الى مصر والصليبيين في هذا الإطار قد تكون دعوة مشفرة الى التوقيت في "شم النسيم" وهو آخر أيام أعياد الكنيسة المسيحية القبطية المصرية .

ويرى محللون أمنيون أن سلطات الأمن وجهت أنظارها ناحية "تنظيم القاعدة" وتركت الإشارات التي تشير الى وجود جهات خارجية مثل اسرائيل ، والتي ربما نجحت على الاقل في اختراق هذه التنظيمات ، أو أنها علمت بهذه التفجيرات قبل أن تقع ولم تبلغ المخابرات المصرية.

ماحدث من تفجيرات فى مدينة دهب، يعد دليلاً على أن مصر اصبحت بلداً مستهدفاً، من خلال التركيز على سيناء، التى وصفها خبراء استراتيجيون، بأنها المنطقة الرخوة فى جدار الأمن القومى، حيث تعمدت الجماعات الإرهابية التى تقوم بتلك العمليات التفجيرية المتكررة، ضرب الاقتصاد المصرى، من خلال تدمير قطاع السياحة ، وتشويه صورة مصر وزعزعة أمنها واستقرارها، لإظهارها غير قادرة على حماية أمنها الداخلى .

ويقول بعض الخبراء إنه طبقاً لما وقع من حوادث سابقة فى سيناء يتضح ان هناك عدة أهداف وراء تلك التفجيرات فى سيناء ، وأهمها التأثير على أمن واستقرار مصر فى الداخل، والانتقام من أجهزة الأمن بسبب العمليات السابقة، التى تم فيها القبض على عدد كبير من بدو سيناء، فضلاً عن أن هناك تداعيات أخرى مثل التأثير على قطاع السياحة ، والإضرار بالنواحى الاقتصادية .

ويحذر الخبراء من ردة الفعل للإرهابيين ستكون أسوأ لو إستعملت الأجهزة الأمنية أساليب تعسفية كما حصل في المرات السابقة عندما قصفت بالطائرات أماكن معينة، وإعتقلت العديد من أبناء المنطقة رجالاً ونساءاً , ولايستبعد أن ينتج عن ذلك ردود فعل وعمليات إنتقامية أشد وأكثر وجعاً وأكبر حجماً , لأن مثل تلك الأساليب تأخذ الأبرياء بجريرة المجرمين

، وتساوي بين تجار المخدرات وبين أصحاب الافكار السياسية أو الدينية المتشددة ، وتهمل الطبيعة القبلية لسكان هذه المناطق مما سيزيد من تنامي ظاهرة الإرهاب وإستفحالها .

الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى المزيد من القراءة والتحليل لندرك الإجابة على سؤال: هو مازال ماثل أمامنا: الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية؟

صحيفة إيلاف الإلكترونية 13-05-2006م

53 أيها العرب لاتلوموا إلا أنفسكم

لا يمكن أن نستغني عن الإنجاز الحضاري للغرب فهناك مخترعات ومكتسبات حضارية وعلوم ومكتشفات وتقنيات لايمكن أن يعيش العالم بدونها , ثم لماذا هذا الإستغناء ؟ هم أخذوا منا ونحن نأخذ منهم وما الضير في ذلك ! , لهم إيجابيات وسلبيات فما يمنع أن نأخذ الإيجابيات ونترك السلبيات ولا أريد أن أضرب أمثلة فلينظر كل واحد منا الى بيته ومافيها من مخترعات وأجهزة وأدوات وتقنيات .

إن العالم العربي والإسلامي يعيش أزمة ثقة في نفسه أولاً وفي الآخرين ثانياً , فمنذ إنتهاء الخلافة العثمانية ومابعدها خصوصاً بعد الهزيمة النكراء التي مني العرب بها عام 1948م وعام 1967م ومابعدها من حروب أهلية وخلافات عربية على أعلى المستويات الى أن جاءت حرب الخليج الأولى والثانية وأخيراً الغزو الأنجلوأمريكي للعراق ورغم كل ذلك أستطيع القول أنه لايمكن للعرب الإستغناء عن المنجزات الغربية بأي حال من الأحول وخصوصاً في هذه الحقبة من الزمن .

إننا نعيش أزمة ثقة سواء فيما بين العرب أنفسهم أو بينهم وبين العالم الغربي ولم تنفعهم شعارات سابقة رفعوها كالقومية العربية والوحدة العربية والأيديولوجيات المتعددة التي كان ينادي بها العديد من الزعماء والمفكرين والسياسيين , الى أن جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م , حتى أصبح العرب رعاة الإرهاب والتعصب الديني على الأقل من وجهة نظر الغرب الذي اراد أن يثأر لنفسه وبدأت الضغوط على العالمين العربي والإسلامي وتزايدت الإستحقاقات عليهم كضرورة إصلاح مناهج التعليم وخصوصاً الديني منها , والانفتاح على الغرب , ومحاربة الأرهاب , وتقليص دور المؤسسات الخيرية , والقبول بمبدأ المصالحة والسلام والتطبيع مع إسرائيل دون شروط .

أمام كل هذا يظهر الغرب مُهماً في علاقات العرب اليومية سواء كانت العلمية منها أو في باقي مناحي الحياة رغم إمتداداته السلبية التي تنتقص من قيمنا وهويتنا ، وهنا نتساءل ماهو الحل لتجاوز هذا المأزق الحضاري ؟ .

العلاقة بين الثقافتين العربية والغربية

علاقات العرب بالغرب تكاد تكون علاقة إشكالية منذ عدة قرون ولا نستطيع أن نقول أنها وليدة أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م , فمنذ عصر الفتوحات الإسلامية وبداية تكوين الحضارة العربية الإسلامية التي أرادت أن تسيطر على العالم يوماً ما , ولهذا لا أرى عجباً أن تقوم حضارات وإمبراطوريات تريد أن تحقق لها أهداف حاول العرب أن يحققوها من قبل ولكن فشلوا في ذلك .

ومن يدرس التاريخ يعرف أن هناك حضارات سادت ثم بادت منذ أن خلق الله الإنسان على هذه الأرض وهناك إمبراطوريات قديمة يذكرها المؤرخون ولهذا نجد أن عمارة الأرض وتطور الإنسان ليس حكراً على أمة دون أمة , وفي بدايات القرن العشرين بالتحديد ، بدا بعض المثقفين يرى أن خلاص الأمة العربية يأتي في إرتباطها بالغرب وكانت هذه هي وجهة نظرهم . وإذا كان الإنسان عدو ما يجهل فإنه لابد وأن تكون هناك إشكالية حقيقية حول الموقف من الغرب , ولانريد أن ننكر على أصحاب الرأي الآخر الذي يطالب مجتهداً بالإعتماد على النفس والإرتباط بتراث الحضارة العربية الذين يعتبرونه أفضل بكثير من اللهاث وراء الغرب ولكل وجهة نظره الخاصة أو الزاوية التي ينظر من خلالها الى الموضوع مثار البحث والجدل ولكن يبقى السؤال قائماً ما المانع من أن نأخذ من الغرب مايفيدنا وينفعنا ؟ .

وأستطيع القول أن هناك إشكالية في الفهم فمثلاً عندما يسأل سائل عن جهاز التلفزيون أو الفيديو هل هو حلال أم حرام ؟ نجد أن هذا السؤال غير صحيح فهو جهاز قد يضر وقد ينفع فالحكم هو على النتيجة من جراء إستخدام هذا الجهاز أو ذاك , ودليلنا على ذلك في قول عمر بن الخطاب لما طاف بالكعبة قال للحجر الأسود "والله إني أعلم انك حجر لاتضر ولاتنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك" .

هذا التداخل في المفهوم والفهم نجد أن هناك من ينظر الى صورة الغرب ومافيه من حضارة وتقدم , وهناك من ينظر اليه على أنه الغازي والمحتل كمن ينظر الى نصف كوب من الماء , فالبعض يرى النصف العلوي الفارغ , والبعض الآخر يرى النصف السفلي الذي به الماء , وهذا التداخل هو الذي جعل صورة الغرب نصفها جيد والنصف الآخر سيء ورواد الفكر العربي

الذين حاولوا القيام بنهضة عربية في بدايات القرن العشرين وجدوا معارضة شديدة من أولئك الذين أفسدوا عليهم بعض طموحاتهم .

العالم العربي مر بتوجهات مختلفة متوازية أحياناً ومتعاكسة أحياناً أخرى ومؤيدوها نادوا بالارتباط بالغرب ورأوا أن الخلاص في الارتباط بالغرب أعقبتها موجات أخرى متعاكسة ومؤيدوها نادوا بفكرة أن نعتمد على أنفسنا وأن نعود إلى تراثنا، وأن نعتمد عليه وأن نتمثله وأن نهضمه ونواجه التغريب والهجرة نحو الغرب بل منهم من توجه الى مقاطعة الغرب وبضائع الغرب .

أسباب نجاح رواد الفكر العربي في الغرب

من الملاحظ أن الكثيرين من روادنا ورواد الفكر العربي ينجحون أكثر في البلدان الغربية وليس في بلادهم العربية، وهذا يعود الى توفر وتكافؤ الفرص هناك وكذلك بسبب الأنظمة الإجتماعية والسياسية وغيرها من النظم وهذا يعني بكل تأكيد أن المجتمع الغربي يعطي الفرص للناس ويعطيهم الحرية ويوفر لهم جميع الوسائل الممكنة للإبداع أما في محيط عالمنا العربي المعاصر يقتل فينا الإبداع بل يولد فينا النفاق الإجتماعي ويمكن القول أن المجتمع الغربي يعطي فرص للناس أكثر من المجتمعات العربية بل إنها تحبذ المبادرة الفردية وتحبذ النجاح الفردي ، وهذا فارق حضاري بالدرجة الأولى .

علينا أن نواجهه المشكلة الحقيقية وهي أننا نعاني من إزدواجية في التعامل مع الغرب مع العلم أننا نتهمه بالإزدواجية في التعامل مع قضايانا , ولشرح الفكرة دعونا نرجع الى الوراء قليلاً وننظر كيف كان المستشرقون يعكفون على دراسة الثقافة العربية وينهلون منها وبالتالي نستطيع تقييم ذلك بأنه عمل جيد ولذا نستطيع القول بأن العرب لم يدرسوا الإيجابيات الغربية بشكل جيد ولم يضعوا المعايير المناسبة لها والكثير من المثقفين العرب والعامة يعتقدون بأن المباني الضخمة والطرق والأجهزة الإلكترونية والكهربائية ووسائل الإتصال الحديثة هي أساس التطور أو النموذج الإيجابي في التطور الغربي، وأن بعض المظاهر السلبية غير الأخلاقية التي تمارسها فئة نادرة من المجتمع الغربي إعتبرها العرب هي أساس الإنسلاخ والتفسخ الأخلاقي .

نحن نؤكد القول بأن تلك الأشياء هي قشور الحضارة الغربية، بدليل أن كل تلك الأشياء موجودة في أكثر من قطر عربي ولكن أين أمة العرب من أمة الغرب ؟ فلا إبتكارات ولا مراكز أبحاث علمية متطورة ولامصانع ولاإكتشافات ولامخترعات ولاديموقراطية في تداول السلطة ولا إستقلالية في القضاء ولاعدل بين الناس ولادولة قانون ومؤسسات تلك هي جوهر الحضارة الغربية فهل نسمح لأنفسنا بالوصول إليها لنصبح دول منتجة لا أن نبقى دول مستهلكة .

ولنأخذ العبرة من دول إسلامية وغير إسلامية إستفادت من الثقافة الغربية في فترة زمنية قياسية مثل ماليزيا واليابان والهند ومجموعة الدول التي تسمى النمور الآسيوية والتي أخذت إيجابيات الثقافة الغربية فالهند مثلاً لا تشتري دبابة إلا بعد أن تشترط بإيجاد مصانع لها في الهند ولقطع الغيار والذخيرة، إذن الإشكالية ليست إشكالية الغرب ولكن الإشكالية إشكالية العرب في التعامل مع الغرب لدرجة أن الكثير من العرب أصبح يؤمن بنظرية المؤامرة وأن كل من حوله يتآمر عليه .

سمعنا ومازلنا نسمع ونقرأ بأن حركة الاستشراق قامت بتشويه التراث الحضاري الإسلامي بالإساءة المتعمدة للإسلام الذي يشكل المكون الثقافي للعرب، إضافة إلى وضعها وتوظيفها، الأبحاث والدراسات الاستشراقية في خدمة الأهداف الاستعمارية ولم نسمع أو نقرأ عن أي أدوار إيجابية قامت بها تلك الحركة ولتوضيح ذلك أكثر هناك هجرات عربية الى الدول الغربية فهل حركة الهجرة هذه التي يقوم بها العرب الى بلاد الغرب تعمل على تشويه التراث الحضاري الغربي بالإساءة المتعمدة لثقافتهم أو دينهم وهل سمعناهم يقولون ذلك , على العكس تماماً نجد أن العربي يندمج في المجتمعات الغربية ويصبح مواطن ويحمل جنسية البلد التي يهاجر إليها أما في بلادنا العربية فالعربي يفني عمره في قطر عربي آخر دون أن يصبح مواطن أو يحمل هوية البلد العربي الذي هاجر إليه هل هذا كله ذكاء أم غباء منقطع النظير ؟ .

كثيراً مانسمع عن بعثات التنقيب الأثرية تعمل بإستخدام الأبحاث ودراسات علماء الآثار والحفريات ونتهمها بأنها تعمل على صياغة هويات مزعومة مزورة ومزيفة للمنطقة العربية بأكملها بدلاً من هويتنا الأصلية التي سيأتي يوم ونتخلى عنها أصلاً لأننا وإن كنا نؤمن بالله إلا

أن بعضنا يكفر بكل ماحوله ونكفره ونتوجس منهم خيفة وننعتهم بالأجانب ونتهم كل من يأتي منهم الى بلادنا للعمل تحت إشرافنا المباشر بأنهم قدموا لينافسوا أبناءنا لقمة العيش وأنهم سبب البطالة ونتهمهم بأنهم جاءوا لينهبوا ثرواتنا وأموالنا ونعمل جاهدين على إحصاء حوالاتهم الخارجية ونسينا العرق الذي بذلوه والجهود التي يقومون بها في كل مناحي الحياة والتعمير وأصبحنا لانستطيع الإستغناء عنهم ورغم ذلك نكابر وننعتهم بأنهم ذئاب بشرية عاثوا في البلاد فسادا وإن كان معظمهم من أبناء العرب والمسلمين .

وفي كثير من الأحوال نقوم بإتهام الغرب بأنه هو المسؤول عن مشاكلنا ؟ هذا ماكتب لنا في كتب التاريخ المدرسية والتي أشك في انها مزورة ونطالب بأن نعمل على إعادة كتابة تاريخنا المعاصر ليكون تاريخ حقيقي غير مزور ونكون أكثر صدقاً مع أنفسنا ولمصلحة أجيالنا القادمة إذا أردنا أن نتقدم , بعض من زعماءنا يقولون أن معاهدة سايس بيكو قسمت الدول العربية ونقرأ ذلك ليل نهار ولكن لم نحرك ساكناً ولازلنا نفرق بين أبناء الدين الواحد عوضاً عن الوطن الواحد ورب العزة يقول " إن هذه أمتكم أمة واحدة " فهل نلوم الغرب أم نلوم أنفسنا ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 19-05-2006م

54 الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية؟ (الحلقة الرابعة عشرة)

في "الحلقة الثالثة عشرة" من الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية ؟ ذكرنا بعض المعلومات ويمكن تلخيصها في مايلي: إستسلام عدد من المطلوبين في تفجيرات سيناء , قوات الأمن تطارد المطلوبين في منطقة جبلية وعرة بشمال سيناء، وجود سائح إسرائيلي يرتاد الفنادق المصرية تحوم حوله الكثير من الشكوك ويقيم علاقات مشبوهة مع بعض الساقطات , أكدت التحريات أن بعضهن إعتدن بيع أجسادهن من أجل حفنة من الدولارات .

السياح اليهود يرون في سيناء ملاذاً آمناً لممارسة الخيانة الزوجية ، الإستخبارات البريطانية وموقفها من أحداث سيناء , سلطات الأمن وجهت أنظارها ناحية تنظيم القاعدة وتركت الإشارات التي تشير الى وجود جهات خارجية ، شبه جزيرة سيناء تعتبر المنطقة الرخوة فى جدار الأمن القومى، هناك عدة أهداف وراء تلك التفجيرات فى سيناء ، الخبراء يحذرون من ردة فعل الإرهابيين .

وفي هذه الحلقة سنقوم بالتحليل وسرد لأهم الأفكار التي كتبت حول الموضوع وفي تطور ملفت للنظر أصدرت وزارة الداخلية المصرية بياناً قالت فيه أن منفذوا تفجيرات سيناء تدربوا في قطاع غزة بمساعدة من وصفتهم بأصوليين فلسطينيين وتضم بدواً من سيناء وجاء في البيان أسماء فلسطينيين قيل إنهم أمدوا عناصر في المجموعة بالمال وسهلوا دخولهم الأراضي الفلسطينية وتدريبهم على تصنيع المتفجرات وإستخدام الأسلحة , وتقول السلطات أن أفراد المجموعة التي تسمى "التوحيد والجهاد" إستخدموا في عملياتهم متفجرات مستخرجة من الألغام التي زرعتها إسرائيل في سيناء.

وبعد قراءة متأنية لبيان وزارة الداخلية نجد أن هناك غموض في صيغة البيان وهو بحاجة الى توضيح فكلمة أصوليين فلسطينيين فيها غموض إذا لم يتم تحديد من هم ومن يقف وراءهم ويدعمهم وهل يتبعون تنظيماً معروفاً أم مجموعة فردية غير منظمة ؟ , وهذا يضع علامات إستفهام كثيرة قد تستغل من قبل جهات عديدة .

وتعليقاً على البيان قال الناطق بإسم الحكومة الفلسطينية إنها مازالت في إنتظار تفاصيل أكثر حول ما جاء في البيان وشدد على أن المجتمع الفلسطيني يؤمن بالفكر الإسلامي الوسطي ويرفض كل ما من شأنه أن يمس أمن مصر.

أما محمود الزهار وزير خارجية فلسطين فقد نفى أية علاقة لحماس أو الجهاد الإسلامي بتفجيرات سيناء وقال في تصريح للصحفيين عقب إجتماعه مع الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى إن بيان الداخلية المصرية "أعطى إيحاءات كثيرة ولكن المؤكد أن الجهة التي يقصدها لا هي حماس ولا الجهاد الإسلامي".

وأضاف الزهار "أن هناك أصحاب فكر أصولي وجماعات معدودة لهم فكر متطرف وهم أفراد فقط وهم المتورطون في هذا الحادث".

وكانت النيابة المصرية قد قالت إن فلسطينيا يدعى إياد صالح قد خطط ونفذ عملية طابا إنتقاما من الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني بالأراضي المحتلة، وقالت إن المهاجمين إستهدفوا الإنتقام من الإسرائيليين في تلك المنتجعات , وقتل إياد صالح في الهجمات.

وكل يوم نتابع فيه مايحصل في سيناء يجعلنا في حيرة من الأمر فالتأويلات كثيرة منها من يتهم إسرائيل , ومنها من يتهم تنظيم القاعدة , ومنها من يتهم بدو سيناء , ومنها من يتهم أصوليين فلسطينيين , وقد يكون لكل تلك الجماعات مصلحة في زعزعة الأمن في شبه جزيرة سيناء , ولكن إتهام جماعات أصولية فلسطينية على غرار ماحصل من إتهام الحكومة الأردنية لعناصر قريبة من حماس , يجعلنا نتساءل هل هناك إختراق إسرائيلي لكلا البلدين أم أن هناك إستراتيجية موحدة في التعامل مع الفلسطينيين ؟ .

ولانستبعد أن يحصل نفس السيناريو في لبنان ولكن على نمط مختلف بحيث يلقى باللائمة على فلسطينيين أصوليين يأتمرون بأمر من حماس و/أو سوريا وكأن حكومة حماس على موعد مع سوء الطالع , وعودة الى موضوعنا الرئيسي وهو الإرهاب في سيناء نجد أننا دائماً نصطدم بحقائق جديدة ومعلومات متناقضة , لذا يحتار الكاتب والمفكر وغيرهما , وفي كثير من الأحيان يعود الى كتب التاريخ وغيرها من المصادر يبحث فيها ليستنبط أفكاراً جديدة تمده

بزخم المعرفة وهو الباحث عن الحقيقة ليبينها للناس لعلهم يقتنعون , وتمثل الحقيقة بالنسبة للكاتب ماتمثله الحكمة بالنسبة للمؤمن .

وبعد البحث والقراءة المستفيضة نود أن نلقي الضوء على جانب آخر مهم وهو قبيلة العزازنة التي تركت سيناء كلها بالكامل وهربت الى فلسطين في 9 سبتمبر 2001م , بجميع افرادها وأغنامها وخيامها إحتجاجاً على القمع الامني الذي كانت تتعرض له على أيدي السلطات ولايهمنا قضية الهروب بقدر مايهمنا النتائج العكسية والتي من الممكن أن تتولد , فمن الطبيعي أن تزداد نسبة المتمردين والكارهين للنظام الذين يمكن تهيئتهم من قبل أطراف معادية بالتجنيد وعبر الحدود فمنهم من يستقطب للعمل كجواسيس للموساد وغير الموساد .

ولانريد أن نستبق الأحداث فكل الروايات التي صدرت حتى الآن لايمكن نفيها أو إثباتها حتى تصدر بيانات أو معلومات موثقة من جهات مستقلة تؤكد رواية بعينها أوتنفي روايات أخرى وهناك بعض المعلومات التي حصلنا عليها تؤكد تنامي التيار السلفي الذي قد يتحول الى جزء من منظومة القاعدة وإنه في طريقه ليصبح منافساً قوياً لمنظمتي حماس والجهاد وقد تأتي تباعاً معلومات عن إرتباط له بالسلفية الجهادية الموجودة الآن في مصر سواء كانت بإسم تنظيم "التوحيد والجهاد" أو أي تنظيم آخر يقوم بالعمل السري ولايريد الظهور بقدر مايريد تحقيق الأهداف الذي أنشيء من أجلها .

ولاشك أن الغليان في المنطقة نتيجة طبيعية لما يحدث في العراق وفلسطين وأفغانستان ولبنان وسوريا وماتتعرض له إيران من تهديدات إذ لايمكن الفصل بين مايحدث في مختلف دول العالم من عمليات إرهابية الأمر الذي قد يحول شبه جزيرة سيناء الى أرض خصبة لإستمرار موجة العنف أو المواجهات , فهي مهيأة لذلك وهي مليئة بالمتفجرات والألغام التي زرعتها إسرائيل زمن الحرب وأصبحت من مخلفاتها , كما أن سيناء مليئة بالمحاجر التي تستخدم المتفجرات في تفجير الجبال للحصول على الأحجار .

وعلى الكاتب أن يكون غير منحاز لوجهة نظر بعينها ولهذا آثرنا أن نأخذ بروايات محللون إسرائيليون سواء كانوا عسكريين أم أمنيين والمعروفين بقربهم من أجهزة الأمن والإستخبارات الإسرائيلية وبعض رواياتهم إتهمت مصر بالفشل في محاربة تنظيم القاعدة أو أي تنظيمات تابعة له بعد التفجيرات التي إستهدفت منتجعات سياحية كان آخرها منتجع مدينة دهب .

وكتب المحلل العسكري في صحيفة هآرتس زئيف شيف أن "القاعدة هي الجهة التي تقف وراء الهجوم الإرهابي الذي وقع في دهب". ورأى زئيف أنه "على الرغم من جهود مصر لإيقاف نشاط القاعدة في شبه جزيرة سيناء فإنه من الواضح أن التنظيم الإرهابي يواصل نشاطه قرب الحدود مع إسرائيل" , أما البعض الآخر أمثال يوسي ميلمان فقد رأى " أن هناك ثغرة أمنية في سيناء خصوصاً في منطقة خليج العقبة وأن إستهداف جماعات "الجهاد العالمي" لمنتجعات الساحل الشرقي في سيناء يعود إلى "سهولة تهريب المواد المتفجرة "إليه وقربه من مقرات القاعدة في اليمن والسعودية والأردن والعراق "والثغرات في الحدود بين قطاع غزة وسيناء ".

إن منفذي العملية قد يكونوا متأثيرين ومتفاعلين مع القضية الفلسطينية لذا لن يكفوا عن محاولاتهم للإنتقام من الإسرائيليين والسخط على سياسات الحكومة المصرية التي وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل وترجمت ذلك عملياً عندما فتحت بوابة التطبيع مع إسرائيل ورعاياها من خلال السياحة .

إن معظم الضحايا هم من المصريين وهذا يعطي إشارات واضحة تؤكد ضلوع إسرائيل وإن كان منفذوا تلك التفجيرات هم من أبناء بدو سيناء , لأن هناك إمكانية كبيرة للموساد لتجنيد عملاء لهم من بعض ضعاف النفوس أو الذين لهم أهداف تتقاطع مع أهداف إسرائيل وخصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار المساحة الشاسعة لشبه جزيرة سيناء والتي يصعب السيطرة عليها لوجود قيود إسرائيلية على نشر القوات المصرية بحكم بنود معاهدة كامب ديفيد، مما يسهل عمليات التهريب ومنها المتفجرات، فضلا عن حركة السياح الإسرائيليين التي قد تتيح للاستخبارات الإسرائيلية حرية أكبر وإمكانية زرع العملاء وترتيب مثل تلك العمليات الإرهابية ومتابعتها بشكل دقيق ومحكم.

الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى المزيد من القراءة والتحليل لندرك الإجابة على سؤال: هو مازال ماثل أمامنا: الإرهاب في سيناء هل هو بداية أم نهاية؟

صحيفة إيلاف الإلكترونية 27-05-2006م

55 غزوة كوبنهاجن «الحلقة التاسعة»

إن صراع الحضارات قد يتحول إلى صراع أديان مالم تحل قضية الرسوم المسيئة للرسول الكريم التي بدأت شرارتها الملتهبة من الدانمارك وتضامن الدول الغربية معها والسؤال الآن هو كيف للدول العربية والإسلامية أن تخرج من هذه الأزمة متوحدة ؟ .

وإستكمالاً للحلقات السابقة نود في البداية أن نستعرض أهم النقاط التي وردت في "الحلقة الثامنة" لنستكمل بعدها آخر التطورات والأفكار التي نشرت ويمكن تلخيص أهم النقاط فيما يلي : أن ثمة محرمات لا تطالها الحريات ومنها الأديان والأنبياء والذات الإلهية فلا تدخل ضمن حرية التعبير , محاولة الصحف الأوربية الأخرى للتضامن مع الصحيفة الدنماركية هو أمر في غاية الخطورة وهو ما قد يؤثر على التعايش الإنساني برمته , المطلوب حالياً من المسلمين التعقل وعدم الإستجابة الى الإستفزاز العالمي , السياسة الجديدة المعادية للعالمين العربي والإسلامي مبنية على ردود الأفعال ليتحركوا ضد هذه الدولة أو تلك , عدم تكرار الأخطاء والإستفادة من التجارب , وينبغي أن لا نصدق كل العبارات الرنانة مثل التقاليد العريقة والتعاون السلمي والعلاقات المفتوحة مع العالم الإسلامي .

لم يفهم الكثيرين أن الرسوم الكاريكاتيرية ومن نشرها ليسوا هم الغرب كله, بل هي جهات يمينية متطرفة سواء في الدنمارك أم في النرويج أم في غيرها من الدول الغربية أو حتى من سيعيد نشرها, وبالتالي فلا حاجة لنا بإتهام الغرب بمجمله أو دول بأكملها, فلا توجد مجتمعات كاملة تقصد إهانتنا وتجريح مقدساتنا , كتاب (القرآن وحياة الرسول) موجه للأطفال للتعبئة الحضارية المستقبلية الحاقدة , إن الحريات والثقافة التي ينادي بها البعض هي لتأجيج المشاعر وصناعة الكراهية لتقود العالم إلى بركان دموي ينسج خيوطه هؤلاء المجردين من الأخلاق والمروءة والثقافة , إن بعض من يدعي حقوق الإنسان هم من سيدمر هذا الإنسان الذي خلق لعبادة الله وحده وعمارة الأرض , الأمة الإسلامية الآن تواجه الاضطهاد والتفرقة وإنتهاك حقوق الإنسان بإسم محاربة الإرهاب العالمي , يجب إصلاح البيت من الداخل وبشكل عملي لا أن نتناول الإسلام من خلال التنظير والتأطير , بل نقوم

بتطبيق ذلك من خلال تعاملاتنا فيما بيننا كمسلمين أولاً لنكون قدوة قبل أن نعمل على نقل هذه المعاني والقيم إلى العالم الخارجي ولتكن في شكل صور ونماذج واقعية عملية وأمثلة رائعة تساهم في جذب الشعوب الأخرى إلى الإسلام لا النفور منه ولتفادي حملة العداء المستعرة على الإسلام .

وفي هذه الحلقة سوف نستعرض أهم ما تداولته وسائل الإعلام وآخر تطورات القضية ونحن مازلنا في بداية الطريق وليس غريباً أن تتضارب و/أو تتقاطع بعض المصالح بين عموم المسلمين وبين أقوال لا أفعال بعض أعضاء تنظيم القاعدة ونخص منهم بالذكر الفار من سجن باجرام العسكري الأمريكي في أفغانستان، والذي دعا المسلمين الى توجيه ضربات في الدنمارك والنرويج وفرنسا، ردا على نشر رسوم كاريكاتورية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك في شريط فيديو بث على شبكة الانترنت وهذا التقاطع في الهدف والرؤيا الإستراتيجية وليس بأي حال من الأحوال في طريقة التنفيذ التكتيكية والتي أضرت بهذا التنظيم الذي لم يكن يعي حجم المخاطر والمفاسد ولم يطبق القاعدة الشرعية المعروفة وهي " أن درء المفاسد مُقَدَّم على جلب المصالح " وذلك في صورة واحدة عند تساوي المصالح والمفاسد .

ومن هنا نستطيع القول أن هذا التنظيم وبعض أعضاءه يتخبطون في إدارتهم للأزمات فحين يقول الشيخ أبو يحيى الليبي والمسمى محمد حسن " "يا أيها المسلمون انتقموا لنبيكم ... من الدويلة الدنمارك ولقرينتها النرويج وفرنسا عدوة الحجاب والنقاب والعفة والطهر، فإنها قد آذت الله ورسوله، وان شاء الله، لنود أن تدك دكا وتصير هشيما تذروها الرياح".

ماهذا القول الهراء وما هذه الكلمات الجوفاء التي نطق بها بين شولتين "حطموا حصونا وهدموا كل بناء واجعلوا الارض بحارا من الدماء" , ولن تنفعه خلفية الصورة المزينة بالمجلدات أو حتى لباسه وهو معمم بعمامة سوداء كدلالة على حالة الحرب أو حتى بندقيته التي على مكتبه فالعالم الإسلامي بحاجة الى من يأخذ بيديه الى بر الأمان لا أن يزج به في أحقاد وعداوات ولن ينسى المسلمون ماحل بهم من أذى جراء تلك الخطب الرنانة والخرقاء في القيمة والمكانة .

المسلمون يتعاطفون مع الأسرى والمعتقلين في سجون الإحتلال أينما كانوا ولكن بأي حال من الأحوال لن يتعاطفوا مع الفارين الذين يطالبون بالإرهاب والإنتقام فهم بمثابة الورم السرطاني الذي يجب إستئصاله إلا إذا إستتابوا وتابوا وحسنت توبتهم أما فيما يتعلق بموضوع المقاطعة فهذا مرده الى السياسات الإقتصادية لكل دولة من الدول الإسلامية ولها الحق فيما تراه مناسباً بهذا الشأن , أما المطالبة بتقديم واضعي هذه الرسوم الكاريكاتورية المسيئة وتقديمهم للعدالة فهذا شيء مطلوب ومصالح الدول مقدمة على المفاسد كما أن العدالة لن تقضي إلا بالحق .

كما أن إحترام الأديان وعدم المساس بمشاعر أي كان هو مطلب أممي وإن "حرية التعبير" لاتستلزم الإهانة بالضرورة وإن أعتبرت من ركائز الحكومات الغربية عموماً كما أعلن الرئيس الفرنسي جاك شيراك بعد ان استقبل مدير مسجد باريس دليل بوبكر في القصر الرئاسي.

وإن كان الغرب يطالب الآن بالحوار بين الأديان والثقافات وهو حريص على عملية الإندماج الصعبة والطويلة التي إلتزم بها الإتحاد الأوروبي فأمة الإسلام حري بها أن تلتزم بها من باب أولى وعلى الدول الإسلامية عموماً أن تبدأ ببرامج الإندماج بين أبناء الأمة الواحدة والدين الواحد الذين هم أبعد مايكونوا عن هذا الإندماج فسكان الدول العربية والإسلامية يجري التفريق بينهم على أساس العرق واللون واللغة والهوية وتمارس بحقهم أبشع الطرق الجاهلية والتي نهى عنها الإسلام منذ قرون ولنكن رواد هذا التوجه ولنجعله من قيم الدول الإسلامية وتحت سقف منظمة المؤتمر الإسلامي .

وهذا سيمنع أي تأويلات سلبية قد يستفيد منها الإرهابيون في تجنيد المزيد من الشباب ودفعهم إلى التطرف وربما إلى العمليات الانتحارية , كما ينبغي أن تعالج قضية الرسوم بشيء من العقلانية وأن نتعاون مع الإتحاد الأوروبي الذي يرفض ردود الفعل العنيفة والتهديدات بمقاطعة البضائع حتى نستفيد من تحديد مفهوم "حرية التعبير" كما ينبغي أن تكون , لأن الحرمان من الحرية يولد المعاناة ويفضي الى حب الإنتقام وهو المقدمة الأولى للإرهاب .

وفي هذا المقام ينبغي أن لانغفل إنتقادات الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون الرسوم الكاريكاتورية التي نشرت في الدنمارك وتناولت النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، متسائلا " ما اذا كان العالم يتجه نحو استبدال معاداة السامية بمعاداة الاسلام ؟" , وتساءل كلينتون ايضا "هل يعقل ان يتم تعميم امور لا تعجبنا نقرأها في عناوين الصحف، على ديانة باكملها وعلى عقيدة او منطقة باسرها؟".

واضاف الرئيس الاميركي السابق "في كل مرة نبني شراكات جديدة مع اشخاص جدد من مختلف انحاء العالم، نقوض هذا النوع من الجهل والتداعيات التي قد تنتج عنه في القرن الحادي والعشرين". وتابع "ما زال هناك جهل في بقية العالم للصورة المشرقة للشرق الاوسط بما في ذلك الديانة الاسلامية".

وها هو الأمين العام لمجلس الكنائس في النرويج والمسؤول عن العلاقات الدولية مع الأديان الاخرى، اولاف تفيت. قال في بيان له " يجب الا تقبل اي كنيسة او اي رئيس لكنيسة ما فعلته المجلة، ومن الصعب ان نجد غرضاً آخر لما فعلته سوى الإساءة الى المسلمين وشعورهم الديني. لقد أدى ذلك، ومن خلال تغطية الصحافة العالمية، الى خلق انطباع خاطئ عن المواجهة بين المسلمين والمسيحيين في النرويج، اننا وبالقدر الذي نحترم فيه "حق التعبير"، فإننا بالقدر نفسه ندين استخدام هذا الحق للإساءة للمؤمنين ".

ومما سبق أعلاه يمكن القول يجب الدفاع عن الحرية بالطرق السلمية وإتباع سياسة الحوار بإعطاء فرصة التعبير لمن لا نتفق معه ، إذ لا حوار ممكن بدون حرية ولاحرية بدون حوار .

وقبل أن أودعكم أتساءل هل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي إلى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 24-05-2006م

56 هل نحظى بمرسوم يمنع كل أشكال التفرقة ؟

قوات الأمن السعودية قتلت 6 من المطلوبين (الإرهابيين) , وإعتقلت أحدهم بعد إصابته وهو يعالج الآن في العناية المركزة ويعتبر صيد ثمين إن تمكنت السلطات من إنتزاع بعض المعلومات منه , ليتم تفكيك بعض خلايا التنظيم و/أو التنظيمات التي يتكون منها الإرهابيين ويزول بعض الغموض الذي يكتنفها، ولاشك أن الحرب على الإرهاب له ثمن لابد أن يدفع وإستحقاق لابد أن يؤدى ففي هذه العملية أستشهد أحد أفراد قوات الأمن الخاصة , وأصيب عدد من رجال الأمن .

وتعتبر هذه العملية ضربة إستباقية تضاف الى رصيد أجهزة الأمن السعودية من النجاح في تعقب الإرهابيين ومطاردة فلولهم , ولاشك إن هذه العملية منذ بدايتها حتى نهايتها إنجاز للإستخبارات السعودية بما تملكه من معلومات ومايتم من تحليل وتخطيط وتنسيق بين مختلف الأجهزة الأمنية , وقلنا إنها ضربة إستباقية لأن قوات الأمن هي التي تأخذ زمام المبادرة والمفاجأة للقضاء على النفوس الشريرة التي لاتعرف الوطنية ولاتحكم عقلها وضميرها ولاتعمل من منطلق ديني إسلامي وإنما هي بمثابة دمى تتحرك وفق أهواء زعماء الشر والفساد .

الجديد من معلومات على صعيد هذه العملية هي أن الإرهابيين قد زودوا الفيلا التي جعلوها وكراً لأعمالهم الشريرة بعدد لايقل عن 8 كاميرات لمعرفة مايدور في الخارج وهذا أعطى إجابة للحيرة التي كانت تتملك بعض الأجهزة الأمنية عندما كانت تشن حملات على بعض مواقع الإرهابيين فيلوذوا بالفرار قبل وصول أجهزة الأمن مما يضع علامات إستفهام كبيرة ويفقد بعض أفراد القوة المهاجمة الثقة .

والجديد أيضاً هو سرعة التعامل مع الحدث وقوة الطوق الأمني وهذا يضاف الى الدروس المستفادة من العمليات السابقة , والجديد أيضاً من الطرف الآخر هو أن الإرهابيين بما قاموا به من عمليات إطلاق نار عشوائي في محاولة لفك الطوق الأمني الذي لفه رجال الأمن حولهم يدل على أن عنصر المفاجأة والتوقيت كان العنصر الحاسم في القضاء عليهم ولكن التساؤل

الذي يكتنف أمثال تلك العمليات هو ماهي مصادر التمويل والتجهيز التي يعتمد عليها الإرهابيين ؟ .

أي أنه لازال هناك من يدعم تلك التنظيمات بمقرات وسط الأحياء الراقية وبمركبات حديثة وأسلحة وذخيرة ومتفجرات ومعدات وأجهزة حديثة كالمنظار الليلي وأسلحة القناصة وأموال نقدية كافية والسؤال الآن هو هل هذا الدعم داخلي أم خارجي ؟ دعم أفراد أم دعم منظمات ؟ هل هو دعم تتورط فيه أجهزة إستخبارية عالمية ؟ , الأيام القادمة ستكشف المزيد من هذا الغموض والتساؤلات المحيرة .

والجديد أيضاً في هذه العملية هي تجهيز غرفة بعازل للصوت لتستخدم كأستوديو لبث الأفكار الهدامة والتحريض على الفساد والضلال ولايستبعد أنها كانت مجهزة لعمليات إختطاف لبعض الرهائن كتكرار للمشهد العراقي الدامي وهذا يجعلنا نربط بين الجماعات الإرهابية المختلفة .

وعلى الرغم من الهدوء الذي جاوز 3 أشهر دون أي عملية مسلحة إلا أن الهدوء تبدد , مما يدل على أن الإرهاب لا يزال يتلقى دعماً خفياً لأعماله، وعلى الرغم من قيام الأجهزة الحكومية المختصة بضبط جمع التبرعات أمام المساجد , إضافة إلى تشديد الرقابة على الحسابات الشخصية من قبل مؤسسة النقد السعودي (البنك المركزي) , إلا أن المبالغ المالية الكبيرة التي يعثر عليها بحوزة الإرهابيين تثير علامات استفهام حول وجود داعم مالي خفي حتى اللحظة من خلال تمكن أفراد التنظيم من الحصول على التمويل المالي على الرغم من كل الإجراءات الاحتياطية.

هذا يدل على أن المعركة مع تنظيم القاعدة أو أي تنظيمات أخرى في المملكة لم تنته رغم مقتل العديد من الإرهابيين ولا أحد يعرف متى تنتهي فربما ظهر قادة جدد لهذا التنظيم أو أي تنظيمات أخرى وهنا نتسائل هل البيئة العربية هي بيئة تفرخ الإرهاب والإرهابيين ؟ أم أن هناك خلل يبدأ من المنزل ثم من المدرسة ثم من الثقافة التي يتغذى عليها المجتمع وهي بيئة تفرق بين الناس وتجعلهم شيعاً وأحزابا ؟ هذا مواطن وهذا أجنبي ونستشهد هنا بما قاله خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حينما دعا المواطنين وطلبة العلم

والصحفيين والكتاب إلى التمسك بالوحدة الوطنية وعدم تقسيم المواطنين إلى تصنيفات بينها علماني أو ليبرالي أو منافق أو إسلامي متطرف , وهل نحظى بمرسوم يمنع كل أشكال التفرقة بين المسلمين ؟ لنتخلص من العصبية الجاهلية المنتنة التي نهانا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صحيفة الحقائق اللندنية 26-06-2006م

57 غزوة كوبنهاجن «الحلقة العاشرة»

إن صراع الحضارات قد يتحول إلى صراع أديان مالم تحل قضية الرسوم المسيئة للرسول الكريم التي بدأت شرارتها الملتهبة من الدانمارك وتضامن الدول الغربية معها والسؤال الآن هو كيف للدول العربية والإسلامية أن تخرج من هذه الأزمة متوحدة ؟ .

وإستكمالاً للحلقات السابقة نود في البداية أن نستعرض أهم النقاط التي وردت في "الحلقة التاسعة" لنستكمل بعدها آخر التطورات والأفكار التي نشرت ويمكن تلخيص أهم النقاط فيما يلي : هناك تضارب و/أو تقاطع بعض المصالح بين عموم المسلمين وبين أقوال لا أفعال تنظيم القاعدة , إن تنظيم القاعدة لم يكن يعي حجم المخاطر والمفاسد ولم يطبق القاعدة الشرعية المعروفة وهي " أن درء المفاسد مُقَدَّم على جلب المصالح " .

هذا التنظيم وبعض أعضاءه يتخبطون في إدارتهم للأزمات , العالم الإسلامي بحاجة الى من يأخذ بيديه الى بر الأمان لا أن يزج به في أحقاد وعداوات , المطالبة بتقديم واضعي الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول وتقديمهم للعدالة , وإذا كان الغرب حريص على عملية الإندماج الصعبة فأمة الإسلام حري بها أن تلتزم بها من باب أولى , سكان الدول العربية والإسلامية يجري التفريق بينهم على أساس العرق واللون واللغة والهوية وتمارس بحقهم أبشع الطرق الجاهلية والتي نهى عنها الإسلام منذ قرون .

ينبغي أن تعالج قضية الرسوم بشيء من العقلانية , الحرمان من الحرية يولد المعاناة ويفضي الى حب الإنتقام وهو المقدمة الأولى للإرهاب , إنتقادات الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون للرسوم الكاريكاتورية المسيئة للإسلام وتساءل " ما اذا كان العالم يتجه نحو استبدال معاداة السامية بمعاداة الاسلام ؟" , يجب الدفاع عن الحرية بالطرق السلمية وإتباع سياسة الحوار بإعطاء فرصة التعبير لمن لا نتفق معه ، إذ لا حوار ممكن بدون حرية ولاحرية بدون حوار .

وفي هذه الحلقة سوف نستعرض أهم ما تداولته وسائل الإعلام وآخر تطورات القضية ونحن مازلنا في بداية الطريق ولهذا نحن بحاجة الى مزيد من التواصل مع الدانماركيين لشرح الإسلام

وشرح سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لان هذا الموضوع هو شعله الامل التي سوف تضيء لنا ولهم الطريق والخروج من هذا النفق المظلم .

إن المواقف يجب أن تأخذ بعقلانية لا بعشوائية وبعموميات الموقف لا بخصوصيته فإذا أراد شخص أو جماعة التحريض وإثارة الفتنة فينبغي علينا أن نتفهم الموقف ونحدد من هو المسيء لا أن تأخذ أمة بجريرة شخص واحد قال تعالى (من إهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإسراء الآية 15 .

وقال تعالى (قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ولاتكسب كل نفس إلا عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) الأنعام الآية 164 .

ومما سبق يتضح لنا أن لا يأخذ المسالم بجريرة المسيء فهل يجوز أن نعاقب شعب لإن أحد أبناءه أساء للرسول محمد صلى الله عليه وسلم أم ندعوا للمطالبة بتقديم هذا المسيء للعدالة ونوضح ما إستطعنا سماحة هذا النبي الكريم وهذا الدين القويم وإذا كان صحيحاً مايقال عن هذه الصحيفة بأنها تزين صدر صفحاتها بشعار نجمة داوود وإن كان هذا إشارة واضحة الى انها يهودية صهيونية حاقدة على الاسلام , رغم تحفظي على هذا الشعار فقد حمل الملك داوود درعاً رسمت علية نجمة داوود.

لذا لابد لنا من التأني في رد الفعل وأن يكون رد الفعل مساوي للفعل في المقدار ومضاد له بالإتجاه فالجزاء من جنس العمل فإذا كان المقصود من هذا العمل هو محاربة الله ورسوله فحكم الله واضح قال تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) المائدة الآية 33 .

لذا لابد من العودة الى القضاء ورفع الدعوى حتى تأخذ العدالة مجراها وهناك لجنة للدفاع عن النبي عليه الصلاة والسلام وهنا يتضح لنا أن التعامل مع القنوات الرسمية أكثر جدوى من القيام بمظاهرات غوغائية تثير الفتن وتعمق الشرخ وتزيد العداوة ولهذا قد لانستغرب قيام مظاهرة حاقدة ضد الإسلام في الدانمارك بعدما قدمت الشرطة الدانماركية تصريحاً

بالتظاهر ضد الإسلام في مدينة أورهوس لجمعية عنصرية تدعى " أوقفوا أسلمة الدانمارك " وقد جرت هذه المظاهرة الإستفزازية يوم السبت الموافق 01-06-2006م .

وكدليل على الاستفزاز المتعمد ، اختارت هذه الجمعية العنصرية منطقة «غيليروب» في«برابراند» حيث تعيش هناك أغلبية مطلقة من الجاليات العربية والتركية والصومالية والإيرانية , وذكر ناطق باسم هذه الجمعية بأن هدفهم من التظاهرات والاحتجاجات يتمثل في " طرد الإسلام من الدانمارك " , وأضاف " نحن ضد وجود ثقافة غير متسامحة مع الثقافات الأخرى " . ومن الجدير بالذكر، أن مدينة أورهوس الدانماركية، حيث تقع المكاتب الرئيسية لصحيفة "يولاند بوستن" ، كانت الشرارة التي انطلقت منها قضية الرسوم المسيئة للرسول الأكرم، محمد، عليه الصلاة والسلام .

وهنا نتساءل لماذا يحقد هؤلاء على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ، أغلب الظن أنهم مدفوعون لذلك الحقد تحت وطأة المعلومات المغلوطة التي يتلقونها من أعداء الحقيقة إضافة إلى الطمع المادي الذي دفعهم لعمل ذلك دون مبرر وإلا فلقد سبق وأن اعترف سيدهم قديما وهو هرقل ملك الروم بعد أن عرف حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم وهو يناقش أبا سفيان قبل أن يسلم قال: (إن يكن ما تقول حقا إنه لنبي، وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي) .

إن المعلومات الخاطئة هي التي تضل بعضهم وتغرس في نفوس ذلك البعض حقدا على سيد البشر فيصورونه إرهابياً وغيرها من الصور التي لا تليق به ولعل الإنطباع الذي خلفه بعض المسلمين في الغرب هي التي ساعدت على إنتشار فكر كهذا ، ونحن عندما نرد عليهم من خلال أقوال مفكريهم وعلمائهم لأنهم أدعى للتصديق من بني جلدتهم فنعرض شيئاً من أقوال المنصفين منهم فإن كان منهم أعداء فالفضل ما شهدت به الأعداء , وبهذا نكون قد دافعنا عن نبينا بالمجادلة الحسنة .

وعود على ذي بدء لابد من مراجعة التاريخ لنستقي العبر فقد حدث موقف حازم من السلطان عبدالحميد الثاني حاكم الدولة العثمانية عندما علم برغبة فرنسا وبريطانيا الاساءة

لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك في اوج ضعف الدولة العثمانية إلا أن العثمانيون كانوا متعلقين بدينهم حتى في أضعف أدوارهم , وخلاصة القصة أن هناك مسرحية للكاتب الفرنسي "فولتير" يهاجم فيها رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام , وكانت فرنسا تريد عرضها في أحد المسارح في ذلك العهد وقد كان يطلق على حاكم الدولة العثمانية في ذلك الحين بإسم "الرجل المريض" .

ولكن هذا "الأسد المريض" عندما علم بوجود نية الهجوم على النبي الكريم زأر ضد فرنسا، حيث أرسل , برقية إنذار لفرنسا قائلاً فيها: "لو قمتم بتمثيل هذه المسرحية التي تستهدف رسولي صلى الله عليه و سلم ورسول جميع المسلمين فإنني سأثير جميع العرب وجميع المسلمين ضدكم" , وإمتنعت فرنسا عن عرض المسرحية .

كم كنا نتمنى أن يملك العالم الإسلامي مثل هذا الوعي وهذا الشعور, وقد أثارت هذه البرقية موجة ذعر في فرنسا بحيث أنها لم تستطع تمثيل هذه المسرحية على مسارحها. وهنا أرادت إنجلترا تمثيل هذه المسرحية في بلدها فأرسل الأسد الجريح برقية إنذار لها فأحجمت إنجلترا أيضا عن تنفيذ نيتها وتراجعت عنها, هكذا كان أسلافنا الأشاوس .

وأنني على يقين بأن هناك من يحدث نفسه بالقول لقد ادخلت الدانمارك نفسها في متاهات لا قبل لها فيها ولن تستطيع منع من يريد أن ينتقم لنبي الرحمة محمد بن عبدالله علية الصلاة والسلام .

وقبل أن أودعكم أتساءل هل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي إلى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 14-10-2006م

58 غزوة كوبنهاجن «الحلقة الحادية عشر»

إن صراع الحضارات قد يتحول إلى صراع أديان مالم تحل قضية الرسوم المسيئة للرسول الكريم التي بدأت شرارتها الملتهبة من الدانمارك وتضامن الدول الغربية معها والسؤال الآن هو كيف للدول العربية والإسلامية أن تخرج من هذه الأزمة متوحدة ؟ .

وإستكمالاً للحلقات السابقة نود في البداية أن نستعرض أهم النقاط التي وردت في "الحلقة العاشرة" لنستكمل بعدها آخر التطورات والأفكار التي نشرت ويمكن تلخيص أهم النقاط فيما يلي : الحاجة الى مزيد من التواصل مع الدانماركيين لشرح الإسلام وشرح سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم , إن المواقف يجب أن تأخذ بعقلانية لا بعشوائية وبعموميات الموقف لا بخصوصيته , ويتساءل الكاتب هل يجوز أن نعاقب شعب لإن أحد أبناءه أساء للرسول ؟ , أم ندعوا للمطالبة بتقديم هذا المسيء للعدالة .

لابد لنا من التأني في رد الفعل وأن يكون رد الفعل مساوي للفعل في المقدار ومضاد له في الإتجاه فالجزاء من جنس العمل فإذا كان المقصود من هذا العمل هو محاربة الله ورسوله فحكم الله واضح , ولم يستغرب الكاتب قيام مظاهرة حاقدة ضد الإسلام في الدانمارك بعدما قدمت الشرطة الدانماركية تصريحاً بالتظاهر ضد الإسلام في مدينة أورهوس لجمعية عنصرية تدعى " أوقفوا أسلمة الدانمارك " .

وتساءل الكاتب لماذا يحقد هؤلاء على النبي محمد بن عبدالله , إن المعلومات الخاطئة هي التي تضل بعضهم وتغرس في نفوس ذلك البعض حقدا على سيد البشر فيصورونه إرهابياً وغيرها من الصور التي لا تليق به ولعل الإنطباع الذي خلفه بعض المسلمين في الغرب هي التي ساعدت على إنتشار فكر كهذا ، كما طالب الكاتب بمراجعة التاريخ لأخذ العبر وذكر قصة السلطان عبدالحميد الثاني حاكم الدولة العثمانية الذي كان يدعى بالرجل المريض الذي طالب فرنسا وبريطانيا بعدم تمثيل مسرحية لفولتير يهاجم فيها الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وإستجابتا لطلبه وإمتنعتا عن عرض المسرحية , وتمنى الكاتب على العالمين العربي والإسلامي إمتلاك مثل هذا الوعي والشعور بالمسئولية .

وفي هذه الحلقة سوف نستعرض أهم ما تداولته وسائل الإعلام وآخر تطورات القضية التي مازالت تتفاعل وعلى العديد من الأصعدة ففي ندوة الإسلام في إيطاليا والولايات المتحدة شهدنا حالة من التذبذب في المواقف تجاه العالم الإسلامي ففي جانب دعا وزير الداخلية الإيطالي جوليانو أماتو الإيطاليين والغربيين بشكل عام إلى أهمية الاعتذار بشأن الرسوم المسيئة لرسول الله عليه الصلاة والسلام , وأن هذا الاعتذار ينطبق على المسلمين حين يتعرض أي مسيحي للعنف باسم الإسلام .

ولم ينس وزير الداخلية الإيطالي أن يرجع للإسلام الفضل في ظهور عهد التنوير الأوروبي، موضحا أن المسلمين في مطلع هذا القرن سقطوا في فخ الجهاد المسيحي المعروف بالحرب الصليبية , وشدد أماتو على ضرورة الحوار مع العالم الإسلامي لخلق سلام وتعايش دائمين بين الشعوب وللقضاء على المتشددين والمتطرفين في هذا العالم , وقال "نعم للحوار، ولكن فقط مع الذين يريدونه" .

أما في الجانب المضاد فقد أقامت منظمة الشبيبة التابعة لحزب الشعب الدانماركي -المشارك في ائتلاف الحكومة الدنماركية الحاكم- حفلا لرسم ما وصفته بـ "أبشع صورة" للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم , وعرضت صحيفة "أفيسن" شريطا للحفل وأظهرت فيه صورا مسيئة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم, وتنص المسابقة التي أقيمت في إطار مخيم صيفي شبابي على أن من يخسر فيها يرتدي نقاباً كنوع من السخرية والاستهزاء بالإسلام .

وأوضح رئيس منظمة الشبيبة كنيث كريستيانسين أنه لم يكن متواجدا أثناء عرض الرسوم بالاحتفال، واصفا عرض الرسوم بالخطأ الكبير وأنه لا يقبل بهذا العمل إطلاقا لو كان متواجدا في الحفل , ولكنه ورفض أن يتناول مسألة الاعتذار بشكل مباشر عن عرض الرسوم واكتفى برفضها، داعيا المسلمين إلى الاعتراف بأن المسيح ابن الله تعالى، وأن عليهم أن يؤلفوا كتبا تعريفية عن الرسول صلى الله عليه وسلم "لتحسين صورته في الغرب والتعريف به" .

من جانبه قال الناطق باسم الوقف الإسلامي الدانماركي قاسم سعيد " إن تاريخ هذا الحزب أسود تجاه المسلمين، فتارة يشتمون الإسلام ويصفونه كمرض سرطان بأوروبا، وتارة يساوونه

بالفاشية والنازية " , وأضاف سعيد "دعونا قيادة الحزب لاتخاذ موقف رسمي تجاه الرسوم ومحاسبة القائمين عليها، وذلك بطردهم من الحزب بشكل رسمي، لأن قوانينه تنص على أن أي شخص يخرج عن سياسة الحزب ويلحق أذى بتصريحاته أو أعماله تنعكس على الحزب بالضرر يفصل ".

أما في النرويج فقد أعادت القناة الثانية النرويجية نشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم ضمن فيلم وثائقي بعنوان "هدد حتى صمت" في إشارة لرئيس تحرير الصحيفة النرويجية الذي تلقى تهديدات بالقتل ولجأ إلى الصمت والاعتذار ، مثيرة عاصفة قد هدأت منذ حوالي السنة, ويبرر القائمون على البرنامج ذلك بالانتصار لحرية التعبير, وفي حين أدان القائمون على الرابطة الإسلامية بالنرويج إعادة نشر الرسوم .

وسرد الفيلم الوثائقي الأحداث التاريخية منذ اندلاع الأزمة، وعرض ردود أفعال الشارع العربي والإسلامي، واستشهادات كثيرة بخطب الدكتور يوسف القرضاوي التي حثت المسلمين على الغضب لرسولهم الكريم، ومقتطفات لخطب للشيخ أحمد أبو لبن بالدانمارك وأئمة وعلماء ساهموا بإشعال الشارع العربي والإسلامي .

وتمحور البرنامج حول شخصيتين أساسيتين وهما فيبريون سيلبيك رئيس تحرير الصحيفة المغمورة ماغزينت أول من أعاد عرض الرسوم بعد الدانمارك، والشيخ أبو لبن رئيس الوقف الإسكندنافي وأكثر شخصية اتهمتها وسائل الإعلام الدانماركية بتأليب الشارع العربي، إضافة لعرض مقتطفات لمقابلات جانبية لرئيس القسم الثقافي للصحيفة وغيرها.

وقال أبو لبن بالبرنامج لا تلمسوا محمد عليه السلام، وأرواحنا فداء الإسلام ورسوله، لقد تركنا بلادنا حفاظا على ديننا وكرامته التي من كرامتنا، ونحن مستعدون لترك الدانمارك لنفس السبب، وحمل الصحيفة مسؤولية تفجير الأوضاع, فيما تساءل رئيس القسم الثقافي بيولاندس بوسطن "لا أفهم العلاقة بين الرسوم والعنف الذي تبعها بالعالم الإسلامي" .

وعرضت القناة شخصا يتكلم دون الظهور على الشاشة يقول "يجب ألا نرضخ لدين (الاسلام) الذي يتعامل مع مخالفيه بقطع الرؤوس، ويجب ألا نتنازل عن حرية التعبير.

وأجرى البرنامج مقابلة مع بروفيسور إيراني يعمل بجامعة دانماركية عرفته بأنه خبير بالإسلام، وقال "ليست كل الصور سيئة" وبدأ يعرض كتبا فارسية عرضت رسوما لمعارك المسلمين وخطباء وصورة رسمت بإيران للرسول الكريم .

وأضاف الخبير "الإسلام ليس عدو الغرب، وليس عدوا لحرية التعبير، كما أنه ليس عدو الديمقراطية، لكن الاسلاميين هم أعداء الغرب والديمقراطية وحرية التعبير وأعداء المسلمين " .

ولم يخل البرنامج من استشهادات جانبية لمسلمين داعمين لرأي عرض الصور، ومستخفين بردود الأفعال الغاضبة , وتعامل معد البرنامج مع بعض التصريحات ليصب في تحقيق العنوان الذي يفيد بأن الاعتذار ليس نابعا من قناعة بخطأ بمقدار ما هو استجابة لتهديد بالقتل، وضغوط من الحكومة النرويجية .

كما أورد معد البرنامج قول رئيس الوزراء النرويجي السابق "نعلم بأن رسم محمد محرم بالاسلام، وما قامت به ماغزينت عمل غير مقبول، وحرية التعبير يجب أن تستعمل ضمن الأطر الصحيحة" .

ثم عرض البرنامج سيلبيك وهو يعتذر للمسلمين عن جرح مشاعرهم ويعلن عدم قصده القيام بذلك، لكنه يستطرد بدعوته المسلمين لتدريب أنفسهم على حرية التعبير, منتقدا خارجية بلاده لتحملها نفقات إرسال الوفود لمقابلة المسؤولين وصناع القرار لشرح وجهة النظر النرويجية. وكان ضمن الوفد رئيس أساقفة أوسلو الذي امتدح القرضاوي .

ومما تقدم نستطيع أن نستنتج أن مشكلة الرسوم المسيئة للرسول ماهي إلا مشهداً يتكرر في العديد من المناسبات فهو يعبر عن الاختلاف بين قطبي العالم الثابتين الشرق والغرب وهذا الإختلاف في المفاهيم والقيم والعادات والتقاليد والأيديولوجيا خصوصاً حين يتعلق الأمر بقضية مثل حرية التعبير عن الرأي والفكر .

وهذا التكرار حدث في الماضي في مواقف مماثلة منها : إساءة الكاتبة البنغالية تسليمة نسرين إلى بعض المفاهيم الإسلامية، وتجريح الأديب الهندي الأصل سلمان رشدي لشخص النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الأكرمين في كتابه آيات شيطانية ، ودراسات الأكاديمي المصري نصر

حامد أبو زيد حول القرآن الكريم باعتباره نصا تاريخياً نسبياً، ومواقف غيرهم ممن يكرمهم الغرب ويمنحهم جوائزه، في حين ينظر إليهم المسلمون باعتبارهم مارقين خارجين عن الإجماع العربي والإسلامي .

وهذا الإختلاف جعل كل فريق يتمسك برأيه فهل نحن أمام صراع حضارات ؟ أم صراع أديان ؟ أم صراع في الفكر والثقافة ؟ أم صراع على المصالح ومناطق النفوذ ؟ أم ماذا ؟ ولعله من خلال هذه الصراعات يمكن التبرير والفهم لماذا المسؤولون وساسة الدولة في الغرب لم يروا حاجة إلى الاعتذار عن نشر الرسوم؟ , هل لأنهم لم يقعوا في مخالفة قانونية ؟ أم أن هناك قناعات ثابتة في عقولهم من خلال ثقافاتهم ، ونعزوا لنفس الأسباب والمنطق لعموم المسلمين الذين يرون ضرورة رد الاعتبار لأن الرسوم خدشت جانبا من الهالة القدسية التي يجب أن تبقى عالية عن التطاول لأنها تمس العقيدة , وفي مشكلة الرسوم المسيئة القائمة بوجه خاص، بدا الطرفان منذ البداية وكأن كل واحد منهما يتكلم بلغة غير لغة الآخر، أو كأنهما يناقشان قضيتين مختلفتين .

وقبل أن أودعكم أتساءل هل هناك علاقة ذات دلالة علمية أو دينية ستؤدي إلى غزوة كوبنهاجن ؟ وهل ستكون من الداخل أم من الخارج ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 15-10-2006م

59 الفصل الثاني

60 العراق

61 الولايات المتحدة العراقية وعاصمتها الفلوجة

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين* إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم اللّه الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الخائنين).

الفلوجة، المدينة الباسلة المجاهدة الصابرة، وقفت في وجه القوة العظمى في العالم وعاشت الحصار وأعدت قوات الإحتلال العدة لحربها وكأنها تعد لمعركة فاصلة , وكشفت الحملة العسكرية على الفلوجة عن مقاومة شرسة ومسألة أخرى لم توردها وسائل الإعلام وهي أن أهالي المدينة شكلوا لهم سلطة مستقلة , ولم تنجح المفاوضات من إعادة بسط الحكومة المركزية سيطرتها على المدينة لذا تعرضت المدينة لكل أشكال التدمير بحجة أن الزرقاوي وجماعته يعيثون في المدينة فساداً وللإستفادة من أسطورة الزرقاوي لإتخاذه حجة أخرى لتدمير مدينة أخرى فقد قيل أنه هرب قبل أن تحكم القوات الغازية سيطرتها على المدينة

ما حدث في الفلوجة "ملحمة الجهاد والفداء"، إذ واجه المدنيون العزل والمقاومون بأسلحتهم البدائية وأجسادهم أعتى جيوش العالم التي لم تكتف بقصف الطائرات والصواريخ وكل الاسلحة الفتاكة التي تمتلكها، وإنما لجأت ايضا للأسلحة المحرمة دولياً ، جاءت معركة الفلوجة بعد معركة سامرّاء, التي قامت من خلالها قيادة المقاومة بجرّ قوات الإحتلال إلى المدينة من أجل اسقاط جوهر الخطة العسكرية في العراق، وهي تجنّب الوقوع ضمن مرمى أسلحة المقاومة واستخدام الشرطة العراقية كدروع بشرية تحمي قوات الاحتلال من نيران المقاومة , وليس غريباً أن تقوم جماعات المقاومة بإستعادة السيطرة على مراكز الشرطة في الموصل خلال ساعتين وتبقى الحرب سجالاً بين مقاومين وغزاة وكأنما الموصل أصبحت لها حكومة مستقلة عن الحكومة المركزية في بغداد ومناطق الأكراد تشهد هدوء نسبي وسلطة مستقلة لايسري عليها قانون الأحكام العرفية الذي أصدره رئيس الوزراء المؤقت , ومناطق الشيعة في الجنوب إلتزمت الصمت تجاه أحداث الفلوجة وكادوا ينسون ما ألم بهم من أحداث في النجف عندما هبت الجماهير لنجدتهم ونصرتهم من كل حدب وصوب لدعم مقاومتهم

ولكن شيعة العراق واهمون إذا إعتقدوا أنهم سيتسلمون سلطة أو حكم إذا دخلوا الإنتخابات معتمدين على كثافتهم السكانية وذلك لأن أمريكا دفعت قواتها للعراق وقدمت الخسائر البشرية والمادية ليس من أجل تسليم الحكم لتيار شيعي ولكن لواشنطن شيعتها الخاصون بها ويأتمرون بأمرها وتستجيب للإملاءات والشروط التي تفرضها وبالتالي لايمكن أن تكون هذه الإنتخابات نزيهة في ظل قوات غزو وإحتلال مهما قامت بالترويج لعراق حر وديموقراطي وجديد يختلف نظامه عن النظام العراقي السابق، وانه عراق "حضاري" ، مادام أمريكي الهوية والتوجه، ويخدم مصالح "اسرائيل" أيضاً.

ومما تقدم نستطيع أن نستنتج أن هذه الحرب ماهي إلا مقدمة لتقسيم العراق لتصبح كل محافظة دولة مستقلة ,مما ينذر بنشوب حرب أهلية طاحنة ولاسيما أن حمامة السلام التي كانت تحمل غصن الزيتون إختفت من سماء العراق وأستبدلت بطائرات الأباتشي وهذا يعني أن غصن الزيتون تحول الى قذائف وصواريخ تحملها هذه الحمامة الأمريكية الصنع ولن تخلف وراءها إلا النار والدمار وقصف للأعمار ومن الغريب اننا نسمع عن إعادة الإعمار فهل يجدي إعادة الإعمار بعد قصف الأعمار .

ماهي النتائج التي تحققت خلال سنة ونصف من الغزو والإحتلال ؟ وهل لازالت القنوات العربية تنشر أحداث الفلوجة ؟ أم أن التعتيم الإعلامي الذي فرض عليها هو الوجه الآخر للديموقراطية ؟

وكأنما الديموقراطية هي التي تنشر الدمار والخراب والفوضى في العالم ، بدليل أن الإرهاب زاد بعد إعلان الحرب على العراق بشهادة الرئيس الفرنسي جاك شيراك , ولكن أي إرهاب إنه إرهاب الدول وخصوصاً في عهد زعيم المتطرفين اليمينيين الجدد الذين تحكموا بقرارات البيت الأبيض والذين لازالوا يسخرون كل خططهم وعملهم لخدمة الحركة الصهيونية ، وها هي سنوات أربع عجاف أخرى سيصلى أتونها أبناء جلدتنا من العرب والمسلمين بعد ان تربع الزعيم على عرش الدولة العظمى لفترة رئاسية ثانية ، ووزير دفاعه لازال قابع في مكانه ومستشارة الأمن القومي ستتولى قيادة السياسة الخارجية الأمريكية لتزداد إسرائيل طرباً وفرحاً بمقدمها لأنها سوف تعني بتنفيذ المخطط الصهيوني بكل دقة حرفاً بحرف وكما هو

مخطط , لأنها ستزداد قرباً من الرئيس بما لها من قدرة على تلخيص التقارير والسياسات والقرارات لأن الرئيس لايحب أن يشغل باله بأدق التفاصيل , وسيستمر الصمت العربي الرهيب وسيحافظ على ضبط النفس , أما وزير الخارجية المستقيل سيبقى مبعوثاً للسلام لخدمة إسرائيل , وسيتم تعيين مستشار جديد للأمن القومي ولابد أن يكون يمينياً متطرفاً حتى يزيد من إحكام قبضة الرئيس على الأمن القومي , وزير العدل إستقال وقبلت إستقالته لأن دوره إنتهى وخصوصاً بعد القانون الذي أصدره والمثير للجدل , هناك خمسة وزراء إستقالوا وسيتم تعيين وزراء جدد طبعاً يجب أن يكونوا من اليمين المتطرف حتى تزداد هذه الحكومة تطرفاً ضد العرب والمسلمين , رئيس الإستخبارات الأمريكية إستقال مع إثنان من أهم أعضاء الإستخبارات الأمريكية , الحزب الجمهوري زاد من بسط نفوذه على مجلسي الشيوخ والنواب أي أن الحزب الديموقراطي تراجع , فهل يعني ذلك أن الديموقراطية تراجعت في أمريكا نفسها ؟ أين مشروع الشرق الأوسط الجديد ؟ أين وصلنا في خارطة الطريق ؟ أين الإنتخابات العراقية ؟ ماذا جرى في النجف ؟ وماذا يجري في الفلوجة ؟ وماذا سوف يجري في الموصل قريباً ؟ وهل إجتماع شرم الشيخ حقق أهدافه التي من أهمها منح مزيد من الشرعية لقوات الإحتلال الأمريكية ؟ وهل إعادة إعمار العراق لايصلح إلا بعد تدمير العراق أولاً ثم إعادة الإعمار؟ وإذا إفترضنا جدلاً أنه يمكن إعادة الإعمار فهل يمكن إعادة أعمار من أزهقت أرواحهم في مختلف المناطق العراقية ؟ أم أن الأعمار بيد الله والإعمار بيد البشر ؟ .

إن من يتباكى على الفلوجة ويقول إنها مسكينة فهو مخطيء , فالفلوجة قدمت للتاريخ دروساً وعبر في المقاومة والنضال من أجل الحرية ودفاعاً عن النفس وقد قدمت صور تحتقر جندي الإحتلال الذي أجهز على الجريح والطاعن في السن وفي مسجد الله فلا هم إحترموا دور العبادة ولا الجرحى ولاالشيوخ ولا الأطفال ولا النساء , وقالت منظمات لحقوق الانسان إن قيام جندي من مشاة البحرية الامريكية بقتل جريح عراقي يمكن أن يرقى الى جريمة حرب ويبين ان هناك حاجة لكي تصبح القوات الامريكية أفضل تدريبا بشأن قوانين الحرب . وقالت منظمة العفو الدولية إن "إطلاق النار المتعمد على مقاتلين غير مسلحين وجرحى لا

يمثلون خطرا فوريا هو جريمة حرب وفقا للقوانين الدولية ولذلك هناك إلتزام على السلطات الامريكية بالتحقيق في كل هذه التقارير ومعاقبة المسؤولين عن مثل هذه الجرائم أمام القانون." نحن المساكين لأننا لم نزل مذهولين , خائفين , مرتعشين ومصدقين منظمات العفو .ولكن يتسائل المرء بينه وبين نفسه عن سر هذا التكالب الأممي على العراق ومن بعده الشرق الأوسط بأكمله . وتهيىء مسرح الجريمة في ظل تعتيم إعلامي شديد لم تعهده حروب سابقة قط، وتستمر في قصف المدن والقرى العراقية بشكل يومي ومتواصل إنها نار الحقد والتعطش للانتقام من قبل جنود دولة عظمى حاملة لواء الديمقراطية البالي الممزق لترويج الديموقراطية الغربية الزائفة . فلم ولن تجد الجواب المقنع لهذه الحرب الظالمة إلا إذا عرفت أنه الحقد والكراهية والسيطرة والرغبة في الإحتلال ، ولن تجد السبب المناسب لاحتلال العراق إلا إذا آمنت أن إسرائيل وأمريكا وجهان لعملة واحدة فأمريكا ملتزمة بأمن إسرائيل أما دول المنطقة لا أمن لهم . إن هذه الجرائم يندى لها جبين الانسانية في ظل صمت مطبق من قبل الأمم المتحدة وعواصم العالم أجمع . هل يتوقع الامريكيون ان ينتهي عدوانهم على الفلوجة بإخضاعها وإخضاع المدن العراقية الاخرى، تمهيدا للانتخابات الصورية القادمة ؟ وأقول صورية لأن معظم القوى الإسلامية قاطعتها .

لقد أعاد احتلال الولايات المتحدة للعراق حقبة الاستعمار القديم التي تصور الكثيرون أن الماضي طواها تحت عباءته ولن يكون لها حضور في القرن الحادي والعشرين. فالاحتلال الأمريكي للعراق أشبه بعهود الانتداب البريطاني والفرنسي، وأي حكومة في ظل هذا الإحتلال الذين سموه إنتداب لا يمكن ان تكون حكومة مستقلة الرأي والإرادة , ولكن ما قدمته المقاومة العربية في الفلوجة خلال الايام المنصرمة سيسطر في صفحات التاريخ دروساً وعبر ، وسيكون مناراً للشعوب التي ترفض الاحتلال وتصر على حقها في المقاومة، وتدفع أرواحها في سبيل الله ثم الوطن ، وتنقل الصحف الامريكية عن حال الهستيريا التي يعيشها جنودهم في الفلوجة وبما تبثه القنوات الأمريكية لإيذاء شعور المسلمين في كل بقاع العالم وتحدياً وإذلالاً لهم , إن الحديث عن لجنة مستقلة للتحقيق في مزاعم بان قوات التحالف إستخدمت القوة

بدون تمييز داخل المناطق المدنية ومنعت المدنيين من دخول المستشفى الرئيسي بالفلوجة وانها أطلقت النار على سيارات الاسعاف ماهي إلا لذر الرماد في العيون .

ما أصعب الحديث عن عمق المأساة الانسانية حيث لا ماء ولاغذاء ولا دواء ولاقوافل إغاثة حتى للمدنيين العزل من أطفال ونساء وشيوخ حقاً إنها مدينة أهلها مجاهدون لذى نرى العقاب الجماعي ينم عن غطرسة وحقد دفين .

لكن ستدرك القوات الغازية أن الإحتلال والعنف لن يطفئا الروح الوطنية والدينية في بلاد المسلمين والدليل على ذلك أن المقاتلين العرب هم المدافعون عن الفلوجة وتحولت الحرب النظامية الى حرب عصابات ولن تتمكن قوات التحالف من السيطرة عليها وستعيد الى الأذهان صورة أمريكا المهزومة في حرب فيتنام فالمقاتلون العرب والمسلمون لازالوا يقاومون في أكثر من مكان ولاتوجد قوة على وجه الأرض ستقضي عليهم أو تتمكن منهم لأنه الصراع الأزلي بين الحق والباطل , وإذا إختفى المقاتل العربي من أمامهم فإنه سيظهر من حولهم ولذا لم ولن تتمكن قوات الإحتلال من السيطرة الكاملة على مدينة الفلوجة ، وها هي مدن العراق تتحول الى بركان يثور في وجه قوات الإحتلال ، إنها تضحيات وصبر وجهاد ، إنها تقدم للتاريخ دروساً في التضحية والفداء والبطولة، فحتى لو كسبوا حرب الفلوجة اليوم فلن يكسبوها غداً ، ولن يكسبوا ما بعد الفلوجة فقوات المقاومة تكبر ككرة الثلج وتزداد في العراق إنتشاراً بفضل ما تقوم به قوات الإحتلال اليوم من مجازر ومذابح سيزيد من مساحة الغضب والحزن والرغبة في الثأر، وإني لأستغرب صمت المرجعيات الدينية الشيعية ! أوليس هتك دم المسلم يستوجب الدفاع عنه ؟! أين حرمة دم المسلم وقد سفكت دماء الابرياء من المدنيين من الاطفال والنساء والشيوخ ؟ إن من يتجرأ ويقول على رؤوس الاشهاد ان ما يجري في الفلوجة هو درس لمعارضي الديمقراطية ! سيلقى جزاؤه وأي ديموقراطية ستفرض تحت ضربات المدافع والطائرات والصواريخ إنها همجية القوة وليست قوة الديموقراطية , أي ديمقراطية تلك التي تقوم على جماجم الابرياء من أهالي العراق الذين أصبحوا لاجئين في بلادهم منكوبين بالاحتلال وأعوانه , إن السائرين في ركاب الاحتلال والمروجين لمشاريعه في السر والعلن ، والداعين لانتخابات مزورة ومشوهة تكرس واقع الاحتلال لن يخرجوا العراق

من أزمته الحالية بل سيتحرر على أيادي المقاومة العربية الباسلة ، التي إنطلقت وتشكلت بعد الغزو مباشرة والسبب ان الاعداد لها قد تم مسبقاً فالمخزون العراقي من الأسحلة كبير جداً وهناك قيادات ميدانية متمرسة ومتمكنة من حرب العصابات فالتدريبات لم تذهب سدى وسيولي الادبار كل من تعاون مع قوات الإحتلال , فالاحتلال يولد المقاومة والامعان في القتل ينتج التصميم والإرادة على المقاومة، والثورة ضمّت الى صفوفها رجال دين وزعماء عشائر وخريجي الدورات الايمانية من الاسلاميين المعتدلين فاصبحت ثورة وطنية عربية عامة ، والامثلة الحية في الفلوجة والرمادي والموصل وبعقوبة وغيرها . ويقينا أن الارهاب مرفوض، ولكن كيف نميز بين الإرهاب وبين مقاومة "الاحتلال" فالمقاومة مشروعة بكل الوسائل المتاحة بما فيها استخدام السلاح للدفاع عن الدين والمدنيين وعن المال والعرض والأرض لافي دعم الاحتلال وتعزيز قدراته على أي نحو كان , فمدينة المساجد أصبحت رمزاً ومعقلاً للمقاومة وليست عشاً للإرهابيين فهل بعد الحرب الأهلية ستتحول المحافظات الى ولايات متحدة وتسمى الولايات المتحدة العرقية وتختار عاصمتها الفلوجة , (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) التوبة 14.

صحيفة إيلاف الإلكترونية 24-نوفمبر-2004م

62 المقاتلون العرب ... وأزمة الوطن العربي

برز مصطلح المقاتلون العرب في وسائل الإعلام ليطلق على مجموعات من الشباب العربي المتوجه الى العراق لمساندة أعمال المقاومة العراقية ضد الغزو الأنجلوأمريكي ولايمكن معرفة جميع توجهات هؤلاء الشباب ولكن يمكن معرفة من أين أتوا وبكل تأكيد لهم إرتباط بالقضية العراقية بإعتبار أن العراق أرض عربية تم الإعتداء عليها من قبل قوات أجنبية , ومهما حاولنا من تلميع صور الغزو الأنجلوأمريكي إلا أن أعمالهم تدحض جميع من يقول بحسن نواياهم وأهدافهم والمهم الآن هو التصور الحقيقي لأسباب توافد المقاتلون العرب الى العراق غداة وقوع بغداد في قبضة القوات الأنجلوأمريكية في التاسع من أبريل من عام 2003م والجميع كان يشاهد هذا الحدث الأليم على شاشات التلفزة في جميع القنوات الفضائية العالمية سواء منها العربية أم الأجنبية وعندما عبرت الدبابات الأمريكية أهم الجسور في بغداد إبتدأت مشاعر الحزن تظهر على الوجوه والمشاهد المؤلمة التي ستبقى عالقة في الذاكرة لفترة طويلة بل لن تغيب عن ذهن من عاش هذه الفترة المؤلمة من عمر الزمن لأن كل شيء في بغداد كان يحترق فالسيارات المحترقة كانت منتشرة على امتداد الطريق باعثة على الفزع، وجثث آدمية مبعثرة ينبعث منها الدخان هذه الحرب التي لم تترك شيئاً يتحرك إلا وإستهدفته بالقصف والتدمير , لتخلف مئات الأجساد المتفحمة ، وأخرى تحترق ببطء ليختلط الدخان المنبعث منها، بالدخان الذي كان يلّف بغداد بأكملها راسمة لوحة تعبيرية لخيال فنان يتخيل أهوال يوم القيامة وهي لوحة تجسد الهمجية البشرية والخسارة الحقيقية من جراء سقوط بغداد .

في صبيحة سقوط بغداد (9 أبريل 2003)، كانت عمليات النهب والسلب قد اجتاحت جميع المناطق العراقية ، ودخلت المجنزرات الأمريكية ساحة الفردوس، حينها أدرك العرب سقوط بغداد . ومن ساحة الفردوس حيث كان ينتصب تمثال "صدام حسين" الذي كان شاهداً على سقوط بغداد قبل ان يسقط التمثال أيضاً على يد القوات الأمريكية التي كانت تقوم بجمع الذخائر والصواريخ لتفجرها بعد وضعها في خنادق حفرت لهذا الغرض. غير أن خطأ لم يعرف

سببه أدى لاشتعال النار في عدد غير قليل من الصواريخ والقذائف، مما أجبر القوات الأمريكية للتراجع بسرعة تاركة المنطقة بأسرها تحت رحمة الصواريخ والشظايا النارية المتطايرة .

وستكون أيام الحرب هذه محفورة في الذاكرة لسنوات طويلة ولاسيما المشاهدات عبر الفضائيات لصور الدمار والجثث الآدمية المحترقة والنيران المشتعلة . كل هذه المشاهد بدأت بالتأثير على ذلك المشاهد الذي بدأت الدماء تغلي في عروقه حتى وصل الى قناعة بالذهاب الى بغداد لتحريرها من الغزو الأنجلوأمريكي , وبدأو يتدفقون على بغداد مجموعات من الشباب كمقاومين أومقاتلين ومعظمهم ممن جاهد في أفغانستان وعادوا الى بلدانهم بإعتبار أنهم مجاهدين ساهموا في حرب التحرير وأطلق على كل منهم لقب مجاهد وهي لغة الإعلام في ذلك الوقت وبدلاً من إستقبالهم إستقبال الأبطال وإحتوائهم , بدأ التضييق عليهم في أكثر من دولة عربية وكانت أجهزة إستخبارات بعض الدول العربية تتهمهم بالمشاركة في أعمال عنف أي سقط لقب المجاهد عنهم وأصبح لقب إرهابي هو السائد ، وما أن لاحت في الأفق الأزمة العراقية والغزو الأنجلوأمريكي على العراق بدأت قوافل ومجموعات من هؤلاء تتجه الى العراق قادمة من كل مكان للدفاع عن هذا البلد وأهله كما حاولوا زمن الغزو السوفيتي على أفغانستان . ويمكن تحديد أهم أسباب قدوم مجموعات الشباب إلى العراق , لمساندة المقاومة العراقية لصد هجمات القوات الأنجلوأمريكية التي غزت العراق وأدت الى سقوط بغداد وإحتلال العراق , وسيتكرر نفس السيناريو الذي حدث في أفغانستان سيأتي هؤلاء الى العراق للعمل في المجال الإغاثي أو مجال إعمار العراق وفي مناطق اللاجئين في العراق ومن ثم الإلتحاق بمعسكرات التدريب التابعة للمقاومين العراقيين ومعظم هؤلاء المقاتلون العرب بدأو رحلة الهرب من بلدانهم فرارا من دولهم إما خوفا من الاعتقال أو لملاحقتهم بتهم موجهة إليهم .

ولقد شجعت الحرب على العراق مجموعات من الشباب العربي للتوجه إلى العراق للإشتراك في الحرب الدائرة في العراق ولاسيما أن الحرب لم تنتهي وإنما لازال القصف مستمر على المدن والقرى بحجة قصف مراكز المقاومة العراقية المسلحة والمدعومة من جماعات المجاهدين

القادمين من كل مكان ولاسيما جماعة الزرقاوي التي بدأت تروج لها الإستخبارات الأمريكية , ولا نشك أن هناك دولاً تدعم هذه الجماعات كما كانت أمريكا تدعم المجاهدين ضد الإتحاد السوفيتي في أفغانستان وكما كانت أيضا روسيا تدعم الثوار الفيتناميين ضد الغزو الأمريكي فهذا صراع أبدي أزلي وستكون هذه الحرب فرصة لإنتقام القوى العالمية من بعضها البعض بأيدي المقاتلين العرب .

ومازال الشارع العربي يعيش الواقع المر والأليم الذي حدث بعد سقوط بغداد وبعد مرور أكثر من عام ونصف العام على هذا الحدث المؤلم لم نر التحرك الرسمي العربي الجاد للقيام بمبادرات عملية لإنقاذ الوضع الأمني المتدهور في العراق لأسباب سياسية أقوى من قدرة بعض الدول العربية بالإضافة الى حركة الإنقسامات العربية داخل الجامعة العربية مما أدى بالجماعات الشبابية التوجه الى العراق من خلال قرارات فردية غير مدعومة من أي جهة عربية متخذين مايسمى بسياسة التوريط حتى تتسع دائرة الحرب المفروضة على العراق الى دول عربية مجاورة ولاسيما التهديدات المستمرة من اليمين الأمريكي المتطرف ضد إيران وسوريا ويجب أن نعترف بالحقيقة المرة وهي أن الدول العربية لاتمتلك القوة الكافية للدفاع عن نفسها او حدود أراضيها عوضاً عن الدخول في مغامرات متهورة غير محسوبة ومعروفة نتائجها سلفاً لغير صالح العرب ولانجد في الأفق أي بوادر وحدة عربية عوضاً عن وحدة إسلامية ولو على شكل تكتلات إقتصادية فهذه الدول لازالت تعاني من التفكك والأزمات الإقتصادية الخانقة , ومن الأسباب الرئيسية الكامنة وراء هذا الجمود رغم قوة الزلزال الذي هز الضمير العربي وهو يرى بالصوت والصورة سقوط إحدى قلاع الحضارة العربية بطريقة مهينة، هو الطوق المضروب على الحركات الشعبية من طرف الحكومات العربية التي تحاول المحافظة على أعلى درجات ضبط النفس ولو بالضغط على الشعوب لأن ذلك الدمار إن توسع فإنه سيطال الجميع شعوباً وحكومات والشعوب العربية لازالت تتبنى العاطفة مساراً لأهدافها إن هي تبنت أهداف أصلاً والحكومات العربية تدرك حساسية الموقف ولكن تعترف بالعجز التام إزاء إتخاذ أي إجراء ولو عبر قنوات الأمم المتحدة التي اصبحت بلا شك في يد الدوله العظمى الوحيدة في هذا العالم وفي هذه الحقبة من الزمن التي قد يسميها المؤرخون

فيما بعد بزمن الصمت العربي الرهيب أو زمن العجز والضعف العربي وأصبحت حكومات الدول العربية تعاني من المطرقة الأمريكية المرفوعة فوق جغرافيا الجسد العربي وبين سندان العمليات الإرهابية التي تحدث في الدول العربية من هنا وهناك بل مما يزيد الأمور تعقيداً هو حالة الضجر الشعبي بسبب الفقر والبطالة والإنحلال من خلال بعض وسائل الإعلام التي بدأت تكثر وتتزايد بدرجة أصبحت الرقابة عليها فيما يتعلق بالأخلاق مستحيلاً ولكن لازال هناك خوف شعبي رغم حالة التمرد الذي يعيشه المواطن العربي فهي حالة قد تبدوا متناقضة ولكنها سهلة التفسير فالتمرد على الأخلاق من خلال وسائل الإعلام غير المراقب أو الموجه ولكن الخوف من عصا الحكومات ضد أي حالات تعبير عن حرية الرأي والفكر سواء بمظاهرات او بندوات أوحتى بلقاءات في برامج إعلامية سياسية وهذا هو سر الذهول . ويجب أن نخلص الى القول لماذا لانستفيد من دروس الماضي ؟ حتى لايتكرر في المستقبل فما حدث في أفغانستان وماتلاه من عودة المجاهدين الى بلدانهم وعدم إنخراط بعضهم في الحياة الإجتماعية بشكل كامل أدى الى تدهور الحالات الأمنية في بعض الدول العربية وهو ما سوف يحدث بكل تأكيد إذا لم تتبنى الحكومات العربية من الآن برامج تأهيل العائدين من العراق عند إنسحاب القوات الأجنبية منها وعدم التفكير في الدخول بقوات عربية مشتركة تتحول الى إنتشار عربي جديد في العراق الأمر الذي ينذر بحرب أهلية عراقية عربية وتشتعل المنطقة من جديد كما حدث في لبنان مثلاً .وبرامج التأهيل التي نتحدث عنها بحاجة الى تظافر جميع الجهود لإحتواء هؤلاء المقاتلين خوفاً من أن تتكرر مأساة الأفغان العرب التي لازالت آثارها باقية الى الآن وتتحول الى مأساة المقاتلون العرب .

مجلة فلسطين 15-نوفمبر-2004م

63 تلمذة على "الأستاذ"... صدام

وافقت بعض الدول على تدمير اسلحة الدمار الشامل بمحض اختيارها, مستوعبة الدرس مما جرى في العراق. ومن اللافت للنظر انها تمت في هذا التوقيت بالذات لتكون بمثابة رسالة من اميركا لسورية, قامت احدى الدول بتوصيلها. وطالب مجلس الامن ان تكون هذه الخطوة مبادرة يجب ان تحذو الدول حذوها. ولكن بعض الدول تناست الظروف الصعبة والدقيقة التي تمر بها سورية بعد إقرار قانون "محاسبة سورية" في الكونغرس الاميركي, وتوقيع الرئيس بوش عليه ليبدأ العمل بموجبه. كما انها تعتبر رسالة ايضاً موجهة الى بعض الدول التي تعتبرها اميركا "مارقة" او دول "محور الشر".

واستغرب كيف ادركت هذه الدول ان هذا هو زمن الهروب العالمي, او زمن المهادنة للقوة العظمى الوحيدة. ولن ندعي الحكمة لأحد في ظل هذا الانهيار الكبير في اوضاع العالم العربي, بل والعالمي. ولكن المعلوم ان بعض الدول العربية آخر من يقدر اهمية الحماية الجماعية بعضها لبعض, فمن كان ينادي بالوحدة العربية هو اول من سيترك الجامعة العربية, ويهدد من حين لآخر بالانسحاب منها. وما كان لكل هذا ان يحصل لولا سقوط بغداد. وان من البديهيات المسلم بها ان من يخطط لا يصل الى نتائج خاسرة.

وأطرح سؤالاً على بعض قيادات العالم العربي: هل كانت تعلم بعض الدول التي تسعى الى امتلاك أسلحة الدمار الشامل انما تسعى لاستنزاف مواردها المالية في مشاريع خاسرة مسبقاً؟ وطبعاً لا يهم الاجابة عن هذا السؤال, فالنتيجة ان بعض الدول اقرت واعترفت اخيراً بالنوايا في امتلاك مثل هذه الاسلحة, وستقوم بتدميرها, وسواء كانت تعلم انها ستتمكن من الوصول الى الحلقات المطلوبة كلها في تطوير تلك البرامج, ام لا. وهنا يتبادر الى الذهن سؤال في غاية الاهمية: كم من المبالغ الهائلة صرفت حتى صدور القرار الطوعي بالتخلي عن هذا البرنامج؟ وكم اقتطع من ثروات الشعب او الشعوب حتى الآن من هذه المشاريع وأمثالها؟ فلماذا تذهب اموالنا سدى, ولا يستفاد منها في التنمية, ولا في النهضة؟ وهل بعض الدول العربية, الصغيرة بموقعها او سكانها, في حاجة ماسة لامتلاك هذه البرامج؟ ولماذا تمضي بعض الدول

قدماً, ثم تتراجع, وترغب دول اخرى ثم تتراجع؟ ثم هل كانت بعض هذه الدول قد هندست مشاريعها النووية كجزء من سياسة مفهوم الأمن القومي العربي, وهل تم تنسيق ذلك في ما بينها؟ واذا كانت بعض الدول فتحت باب التعويضات على مصراعيه فمن يستطيع إغلاق هذا الباب؟ ومن هم المتنافسون؟

صحيفة الحياة 14/01/2004

64 الدبلوماسية البرتقالية والسياسة الحمراء

هل ستكتفي أمريكيا في توجيه التهديدات فقط إلى سوريا أم ستقوم بعمل عسكري ؟ هذا السؤال يحتاج إلى إجابة خالية من الدبلوماسية البرتقالية التي تدور بعكس عقارب الساعة والسياسة الحمراء التي لم تتوقف عن بطش الأنظمة بحجة تسويق الديموقراطية الزائفة أو ربما ذات التصنيع التجاري . الكل شاهد فرط القوة الأنجلو أمريكية والمتحالفة معها في الحرب على العراق . فالديموقراطية والحرب لا تجتمعان لأن خيار الحرب من سمات الديكتاتورية، أما السلم فربما انتفخت بالونته بالديموقراطية إذا كانت الأخيرة من فئة نخب أول ، على أية حال إن الحرب والسلم وجهان لعملة الهيمنة ، إذاً من أخذ العراق بالقوة فلن يتردد بأن يأخذ سوريا بالمجان !

ومن ثم يتجه الى إيران والسودان من هنا ستنطلق اللعبة السياسية بقص الشريط إيذاناً بفرض شروط على سوريا وستمر هذه اللعبة على محطة الحصار الاقتصادي وتتوقف عند محطة العقوبات إلى أن يتحقق مراد الهيمنة ، هذه الطبخة الأمريكية ذات البهارات الإسرائيلية ! التي نضجت على نار هادئة من جمر النار الذي لازال مشتعلا في العراق والتي لا يزال ينبعث دخانها بلا توقف.

إن من يقود العالم الآن لا يحتاج إلى أي ذريعة ليقوم بعمل عسكري ضد بلد ما ! وإذا كان ولا بد فالذريعة المنسوبة إلى سوريا وإيران والسودان أنها دول ما زالت على القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب!.فقد ألمح وزير الخارجية الأمريكية كولن باول إلى احتمال فرض عقوبات إذا أظهرت دمشق عدم تجاوب وخصوصا من قبل الكونغرس الأمريكي الذي سن قانون يعاقب سوريا .

إن سيناريو أسلحة الدمار الشامل ما زال يتكرر ، حيث تواجه دمشق منذ انهيار نظام الرئيس صدام حسين ضغوطا أمريكية وصلت إلى حد التهديدات .

واتهمت واشنطن مؤخرا سوريا أكثر من مرة بامتلاك هذا النوع من الأسلحة إلى جانب أسلحة كيميائية ، كما لاتزال تتهمها بالسماح للمتطوعين العرب بدخول العراق للمشاركة في الأعمال الإنتقامية وخطف الرهائن .

فبالرغم من نفي دمشق هذه التهم إلا أن طبق النفي لا يشبع معدة العملاق الأمريكي ! الذي يحاول أن يلبس ثوب الوداعة ويطرزه بخيوط قلق تبدوا للناظر وكأن سوريا تدعم الإرهاب لأنها تؤوي جماعات فلسطينية ولازال لها قوات في لبنان ولقد ركزت الولايات المتحدة الأمريكية في تصريحاتها على أن سوريا أصبحت جارة جديدة لها في المنطقة ، وبالتالي يجب الدفاع عن حدودها هي وحليفتها إسرائيل وأخذ كافة الاحتياطات اللازمة ضد الإرهاب الذي تعتبر واشنطن مصدر تفريخه هو بعض الدول العربية وإيران أو الدول والمنظمات والأحزاب التي تقف في وجه رغبات إسرائيل هذا الفطر الذي يسترزق قوته ويأكل من المعدة الأمريكية . وما يؤكد هذا الكلام هو تصريح كولن باول الذي حذر فيه سوريا من أنها ستتحمل ما أسماه عواقب تصرفها إذا أظهرت سوء نية - على حد تعبيره - حيال عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية والمسألة العراقية ، إنها لعبة السياسة العالمية التي تعاقب على سوء النية قبل التنفيذ في مشروع النية ذاتها . مازلت أكرر إنها الهيمنة المشبعة بالدكتاتورية التي تستعمل العصا بدون أي جزرة على أجساد العرب ومن سار على دربهم .وحتى لا تواجه هذه الهيمنة بمقاومة أو مناهضة دولية نجد واشنطن تجيد توظيف كلمة "قد" في تصريحاتها حيث أشار باول إلى أن سوريا " قد " تجد مصلحة لها، إذا اعتمدت سياسة معتدلة في الشرق الأوسط، مضيفا أن : على الطاولة خيارات جديدة " قد " يستفيد منها السوريون . أما ماهية تلك الخيارات الجديدة فهي مجهولة وستبقى كذلك إلا إذا أضاء لنا وزير الخارجية السوري فارق الشرع قدراته - التي نثق بها - ، وركز على فتح حوار مع الولايات الأمريكية حول الشرق الوسط حيث أنه أوضح : أن سوريا تريد من واشنطن حوارا معها وليس تقديم المطالب والإنذارات وإن هذا سيكون أساس المحادثات مع باول وبيرنز أو غيره , وأضاف: سوريا تؤمن بالحوار لا بتقديم المطالب . ربما ينجح فاروق الشرع في مهمته بمؤازرة عربية - أتمنى أن تتمخض قريباً - للخروج من هذه المحنة وتبقى سوريا واحة الأمن والأمان، فلا أحد

ينكر أن السوريين أساتذة في ضبط النفس والحلم والتروي، وخصوصاً موقفها الأخير من دعوة فرنسا لإستكمال إنسحابها من لبنان واكتفت بعدم الرد على الأقل خلال هذه الفترة التي تدعوا بعض الدول إسرائيل إلى الموافقة على استئناف المفاوضات بهدف إعادة المفاوضات الى مسارها الطبيعي تمهيداً للإنسحاب من هضبة الجولان ، فهذا في حد ذاته يعتبر نجاحاً للسوريين في قدرتهم على توضيح مطلبهم الأساس لعودة المفاوضات مع إسرائيل باشتراط عودة هضبة الجولان أولاً .

لا شك أن الضغوط على سوريا كبيرة وموقفها حرج للغاية خصوصاً أن ميزانية وزارة الأمن الوطني و قانون المصروفات الإضافية للعام الماضي قد بلغ 6.71 ألف مليون دولار بينما زاد المخصص لهذا العام لتمويل عملياتها لمكافحة الإرهاب . وهذا الرقم أكبر من ميزانية سوريا الدولة . فمن هذا المنطلق أقول : يجب على العرب المؤازرة بالعمل السياسي الجاد والهادئ للخروج من الأزمة الحالية .

مجلة فلسطين 21-سبتمبر-2004م

65 هل من حل لحماية الشعوب من شراهة الأنظمة الرأسمالية ؟

هل سألت عقلك وضميرك يوماً ما عن وسيلة سلمية لتغيير الواقع الرديء الذي تعيشه كفرد داخل أسرتك تعاني الكثير من المشكلات بل داخل المجتمع ككل الذي يعاني من التبعية للغرب في ميادين شتى وتقدم الغرب اقتصاديا وعسكريا واجتماعيا وحضاريا وإذا كان الأمر كذلك فلا يعني هذا أننا يجب أن نقلد الغرب وننسى دستورنا وقيمنا وتقاليدنا. ولاشك أنك تريد إجابة تقول لك نعم والجواب تجده في قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فلننظر إلى الأخطاء في السلوكيات والعادات غير السليمة ونحاول تصحيحها بالحوار وليس بالشجار وإذا تأملت وتتبعت الخطاب الإعلامي والاقتصادي السائد في الوطن العربي بشكل عام فستلاحظ تعثر المحاولات الإعلامية والاقتصادية وستجد فيه تبعية وتقليدا للنظام الرأسمالي بدلا من الاستقلالية والابتكار وهذا النظام الرأسمالي المادي الغربي استطاع أن يسيطر على الأنظمة العالمية الأخرى مثل الشيوعية والاشتراكية وابتلعها ويحاول أن يسيطر على العالم ويبتلعه ولكن هل يستطيع أن يحقق ذلك, وإذا كانت الأسواق العربية ترزح تحت عبء استيراد المواد الاستهلاكية الضرورية وغير الضرورية من الشرق والغرب لاستنزاف ثرواتها الأساسية ليزداد عجزها الاقتصادي وتزداد ديونها الأمر الذي يجعلها تتجه إلى الاقتراض بفوائد وهذا ما نلاحظه في العديد من الدول العربية والإسلامية الأمر الذي يجعلها تابعة في اقتصادياتها إلى الغرب وأدت هذه التبعية إلى إحداث خلل كبير في التوازن بين القطاعات الاجتماعية الأمر الذي يؤدي إلى تعميق الهوة بين طبقات المجتمع ونشوء طبقات اجتماعية متباينة في المستوى المعيشي ونشوء نظرة جاهلية طالما حاربها الإسلام لأنها تسهم في تفكيك النسيج الاجتماعي الذي ينعكس على الوضع الاقتصادي العام وعلى المرأة والطفل وطبقة الخدم والسائقين وهي الشريحة الأضعف داخل المجتمع بل إن استقدام الخدم والسائقين أحدث نوعا من ابتعاد الطفل عن أمه وأبيه عوضا عن أقاربه وجيرانه, فالبنية الاجتماعية أصبحت هشة والبنية الاقتصادية صارت أكثر هشاشة والبنية الإعلامية لا تخلو من التبعية الأمر الذي يجعلها أكثر ضعفا في استيعاب ومقاومة التطور المعلوماتي الكمي

والنوعي، فقد ساهم الإعلام الغربي والعربي عبر القنوات الفضائية، في حقن المتلقي العربي يوميا بآلاف الصور والمسلسلات والأفلام والأخبار والبرامج التي تعرض الإثارة، وتمجد القوة والعنف والجريمة والاحتلال والفردية, ويتخلل ساعات البث المتواصل على مدار أربع وعشرين ساعة, حملات إعلامية ضخمة لشركات رأسمالية غربية، بغرض فرض منتجاتها وسلعها الاستهلاكية، على شعوب البلاد الفقيرة المستهلكة لتتجاوز مرحلة استهلاك السلع إلى تقليد قيم وأنماط الاستهلاك الغربي أيضا، كل هذا من أجل تسويق فائض الإنتاج عند الغرب، وإحداث إغراق للسلع والمنتجات إضافة إلى الاحتكار الدولي لتدفق كل شيء غربي فأصبح المشاهد العربي يستقبل ما يملى عليه من الشركات التي تحتكر كل شيء على الساحة الدولية فعلينا إذن أن نتصدى لها ونكشف نواياها، بدلا من أن نشترك في عملية الحقن اليومية هذه بسيل معلوماتي، يعمل على تدمير الذاتية الشخصية للفرد، والذاتية الثقافية والروحية العامة للأمة، وذلك بالتأثير على العادات والتقاليد, في الوقت الذي أصبحت فيه الشريحة الكبرى من شبابنا متأثرة بنمط الحياة الرأسمالية وتقوم بتقليدها فهناك فئات دمرتها المخدرات وفئات دمرتها البرامج غير السوية أخلاقيا واجتماعيا وبعيدة كل البعد عن ديننا الحنيف وقيمنا وأخلاقنا، إذن لابد من وقفة من هذا الخطر لاستئصاله من جذوره فهل نحن قادرون على التغيير الذي أمرنا الله به أم أن الحاجة وضيق ذات اليد والأزمات الاقتصادية والاستعمار الجديد ستحول دون هذا التغيير.

صحيفة الوطن السعودية الأحد 20 رجب 1425 هـ الموافق 5 سبتمبر 2004 م العدد (1437) السنة الرابعة

66 عقدة صولاغ

الدعوات التي نسمعها هنا وهناك بخصوص العراق , هي دعوات وإن كانت صادقة في توجهها إلا أنها جاءت متأخرة وسيكون من الصعب على المجتمع الدولي إيجاد حلول لمشكلة خرجت عن إطار الأمم المتحدة وأصبحت مزمنة في عرف الزمن , الدعوة الصادقة والصريحة التي أدلى بها وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل والذي كان حريصاً منذ البداية أن يكون أميناً مخلصاً ورأى الصورة القاتمة قبل حدوثها وحذر منها كسابق لزمان عصره .

نجد أن التاريخ يعيد نفسه ولكن بصورة مغايرة هذه المرة فبعد نصيحة سعود الفيصل لنظام صدام حسين لإنقاذ الشعب العراقي من حرب طاحنة لم يستمع له القادة المبجلون بل قام طه ياسين رمضان وتفوه بكلام فيه من الغرور أعماه عن فهم الخطر الداهم مما أودى به نهاية الأمر الى زنزانة إنفرادية أمريكية داخل العراق والآن وبعد النصيحة السعودية الجديدة نجد أن "صولاغ" الذي لانعرف أصله هل هو الزبيدي العربي أم التركماني يتهجم من جديد على الجبال الشامخة بألفاظ بذيئة لاتليق إلا برجل شارع وليس برجل دولة .

الأمر الذي نتنبأ به هو نفس المصير مع إختلاف جنسية الزنزانة الإنفرادية التي سيكون نزيلها لأنه تجاهل الحقائق من فرط العمالة التي طغت على عقله وهذا للتذكير فقط ونترفع عن النزول الى مستوى أدنى , ومنذ توليه منصب وزير الداخلية والأصوات تتعالى من الداخل بإقالته لعدم جدوى إدارته فهو لم يكن يوماً ما رجل أمن فكيف سيدير أمن وزارة مهددة في ظل ظروف إحتلال حتى وإن تلقى الأوامر من العسكر المحتلين أو من الشيعة المتنفذين , فهو يقف بين طرفي نقيض ولهذا نجد أنه يصب جام غضبه على زعماء دول الجوار .

وزير داخلية العراق يستخدم إسماً حركيا كما صرح بذلك للصحافيين في عمان مشيرا الى إسمه الحقيقي هو (باقر) صولاغ جبر حاضر الزبيدي وهو الإسم الذي لم يكن يستخدمه في الماضي خوفا من قتل افراد أسرته من قبل الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين وإن كانت حجج واهية عفا عليها الزمان .

"عقدة الخوف" التي يمكن أن نصطلح عليها "عقدة صولاغ" التي إنتهت ظروفها ولكن لم تنته آثارها إنعكست عليه كإسقاط نفسي في محاولة للتحرر منها فبدأ يتهجم على الجميع بكلام غير مسؤول وغير واع وفيه تدخل في الشؤون الداخلية لبلد مجاور فتح مخيمات للاجئين العراقيين على الحدود , ولما وصل "صولاغ" الى السلطة لم يحترم واجباتها ولامسؤولياتها فكانت تصريحاته خالية من الأطر الدبلوماسية الإعتيادية خصوصا عندما شن هجوما قاسيا علي جيرانه وعندما تجاهل بروتوكولات الضيافة متحدثا عن (ممولين) للإرهاب موجودين داخل الأراضي الأردنية كل هذا إسقاط لعقدة الخوف التي مازالت تلازمه .

وبدلاً من عمله كوزير لضبط الأمن بدأ يدس المكائد لعراقيين مقيمون في الأردن وفشل في إقناع الأردن بتشكيل لجنة أمنية مشتركة تحقق في النشاطات المالية والإستثمارية التي تعود لشخصيات عراقية في الأردن، حيث كان "صولاغ" قد طلب صراحة من الجانب الأردني التدقيق فيما أسماها تجاوزات مالية لعراقيين بارزين يقيمون في الأردن مدعيا بان بعض الاموال العراقية الموجودة في الأردن تستخدم في تمويل نشاطات مسلحة وإرهابية داخل العراق.

"عقدة صولاغ" بدت واضحة لإرضاء غرور الوزير للإنتقام من أبناء العراق المخلصين ليتحلل من "عقدة الخوف" التي تلازمة وتنعكس على كل تصريحاته بل بدت أساليبه المكشوفة واضحة حتى في المباحثات مع الجانب الأردني علي تحريض منهجي مع محاولات إيحاء بان بعض أقرباء الرئيس العراقي وبعض أركان حزب البعث والمقربين من صدام حسين يقومون ببعض النشاطات إنطلاقا من الأراضي الأردنية وهو ما سبق ان نفاه جملة وتفصيلا مروان المعشر الناطق بإسم الحكومة الأردنية .

ومن أبسط قواعد الإجتماعات والتفاوض هي تقديم أدلة وحيثيات ومعلومات موثقة تصلح كأساس لإجراء عملية تحقيق بشأن مزاعم "صولاغ" حول شخصيات عراقية بارزة تقيم في الأردن وتمول نشاطات مناهظة داخل العراق، ولاكن "صولاغ بعقدته " إكتفى بالإتهامات ولم يكن يملك أدنى إتهام أو أي وثائق أو أدلة تثبت بان أقرباء لصدام حسين أو رجال أعمال

محسوبين عليه أو أركانا سابقين في حكمه يقومون بأي نشاط من أي نوع داخل الأراضي الأردنية.

لم تكن من أخلاق "صولاغ" سليل حضارة حمورابي كما يدعي إلا التركيز على إتهام إبنة الرئيس صدام حسين رغد بالقيام بنشاطات عدائية ونسي أن أخلاق العرب السامية تترفع عن الخوض في مسائل النساء ولن يخوض فيها إلا من يتمتع بأخلاق باهتة هابطة لا أخلاق سليل حضارة حمورابي ولامن مكارم أخلاق العرب ولهذا أوضح له الجانب الأردني بأن رغد تقيم كضيفة وهي ممنوعة من القيام بأي نشاطات سياسية ، ولم يكتفي بذلك بل حاول أن يقدم معلومات كاذبة للنيل من إبنة الرئيس التي تركها الأمريكان رغم بشاعة الإحتلال للعراق لأن أخلاق رعاة البقر تمنعهم من التعرض للنساء .

ويعرف الجانب الأردني بان الحكومة العراقية تضغط لكي تقوم عمان بمضايقة رجال اعمال ومستثمرين بارزين من العراق لا علاقة لهم بحكام العراق الجدد ويرفضون التعاون معهم او العودة باموالهم للعراق فيما سبق لرئاسة الوزراء في الأردن ان طلبت من السفير العراقي عطا عبد الوهاب مطالبة مسئولي بلاده بالتوقف عن إطلاق الإتهامات بعنوان وجود ممولين للإرهاب في الأردن وإستخدام القنوات الرسمية والدبلوماسية لتقديم اي حقائق او ادلة او معلومات في هذا الإتجاه.

وكان الوزير "صولاغ" قد شن هجوما غريبا علي أحد دول الجوار بعد دعوة وزير خارجيتها لعدم تسليم العراق للنفوذ الإيراني حرصاً على وحدة العراق وإستقلاله ولكن "صولاغ" يأبى إلا أن يتكلم نيابة عن وزير خارجية بلاده إحتكاراً للسلطة وتعبيراً عن "عقدة الخوف الصولاغية" التي مازالت تلازمه ليقول إن حكومته ترفض تدخل السعودية في الشئون الداخلية العراقية ونصب نفسه مفوضاً عن الحكومة العراقية المؤقتة التي لاتملك من أمرها إلا الإستجابة لقوات الإحتلال فكيف يدعي أن العراقيين مسؤولون عن حل مشاكلهم ولا يريد من أحد ان يحل لهم مشاكلهم .

هذا الوزير صاحب "عقدة صولاغ" بدلاً من العمل على وأد الفتنة الطائفية في بلادة بدا وكأنه يرغب في إثارة فتنة طائفية في أحد دول الجوار حيث وصف الشيعة هناك بأنهم مواطنون من الدرجة الثالثة ويعلم القاصي والداني أنه لاتوجد في هذا البلد لا درجة أولى ولادرجة ثالثة أو رابعة كلهم متساوون كأسنان المشط لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات فليترفع عن المهاترات التي أطاحت بالعراق الى مهاوي الردى ولازال العراق تحت الإحتلال من مثل تلك التصرفات والتصريحات فالسياسة لها أهلها.

ومن الغريب أن من يريد أن ينصف المرأة متهماً أحد دول الجوار بهضم حقوق المرأة نجده أول من يتهم نساء بلاده بالتحريض على المشاكل الداخلية في العراق والكل يعلم أن إبنة الرئيس العراقي صدام حسين ممنوعة من ممارسة أي عمل سياسي حرصاً على أصول الضيافة التي منحتها الأردن لعائلة صدام حسين بل يتعدى الأمر الى التدخل في الشؤون الداخلية لدول الجوار ومن أبسط قواعد القانون الدولي عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول .

هناك معلومات خطيرة تكشف عن تفاصيل دور باقر صولاغ ومنظمة بدر والمجلس الاعلى للثورة الاسلامية في حادثة جسر الائمة من مصدر مطلع وعلى مقربة ممن خططوا لتلك العملية الإجرامية , وجاء بيان هذا المصدر "ان دم الضحايا الذي سقطوا في جريمة جسر الائمة هو في رقبة باقر صولاغ وال الحكيم واتباعم الصفويين، وعلى شعبنا ان يعي حجم المؤامرة التي تحاك ضده ويفوت الفرصة على هؤلاء ويعمل على ملاحقتهم بعد ان باءت خطتهم الخبيثة الإجرامية هذه بالفشل عبر التلاحم الشعبي بين كل اطياف الشعب العراقي".

فمتى يتحلل صولاغ من "عقدة الخوف" ويبادر بالإعتذار ويتحلى بالشجاعة والمسؤولية ويغتنم فرصة دعوة الأمير نايف لزيارة السعودية ليبدأ التنسيق الإيجابي والعمل الجاد لتخليص العراق من شرور الإرهاب ويتعلم دروس جديدة وتكون تصريحاته سحابة صيف كما أسماها في آخر مقابلاته الصحفية مع إيلاف الإلكترونية .

صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية 15-10-2005م

67 هل يصلح وزير خارجية ما أفسده وزير داخلية

بعدما أفسد وزير الداخلية العراقي بيان باقر صولاغ علاقات بلاده مع دول الجوار أبدى هوشيار زيباري وزير الخارجية العراقي أسفه على مافعل صولاغ من الهجوم الحاد الذي شنه على دول الجوار ولهذا قال زيباري "إن هذه التصريحات مؤسفة جداً، وغير موفقة إطلاقاً، أن تصدر من زميل لنا في الحكومة، خاصة أن وزير الخارجية ووزارة الخارجية هي المعنية في تحديد العلاقة مع دول العالم الخارجي وكيفية التعامل معها" .

وكان العراق تقدم بورقة عمل لوزراء خارجية دول السعودية، مصر، سورية، الأردن، الكويت، البحرين، والجزائر بصفتها رئيسا للجنة، جاء أبرز ما فيها مطالبة الدول العربية بإرسال بعثات دبلوماسية دائمة، وإدانة العنف الجاري على الساحة العراقية، وتأمين حدود الدول المجاورة للعراق.

تزامنت تصريحات صولاغ غير المبررة مع محاولات وزراء الخارجية العرب لحث الجامعة العربية لإصدار قرار لضرورة زيارة أمينها العام للعراق والالتقاء بالقيادات السياسية والحكومة في ظل المشاكل والتحديات التي تواجهه، وذلك لتحقيق وفاق وطني .

الجميع يعرف أن صولاغ بتصريحاته غير المسؤولة لا يمثل إلا نفسه، والجميع يعرف أن تصريحاته هي رد على انتقادات وزير الخارجية السعودي لتدخلات إيران المكشوفة في العراق، والجميع يعرف أن الوزير لا يمثل الحكومة العراقية، لكن المؤسف أن يتحدث الوزير العراقي بهذه اللهجة التي ينبغي أن تكون قد إندثرت بزوال نظام صدام حسين ولكن يبدوا أن الطبع غلب التطبع .

ونود هنا أن نسأل لماذا لا يتحلل صولاغ من عقدته ؟ ويحاول أن يمتلك الشجاعة ويعتذر الى البدو فركوب الجمل ليست عيباً ولانقيصة ، ثم يعتذر لحمورابي الذي أساء إليه والى شريعته لأنه على مايبدوا أنه لم يدرس هذه الشريعة أو لم يفهمها .

ونكرر الأسئلة ولماذا لم يقم صولاغ بتبرير الإتهامات التي نسبت إليه ؟ عبر العديد من الصحف ومواقع الشبكة العنكبوتية من إطلاقه كافة المعتقلين الإيرانيين داخل السجون العراقية دون محاكمة على إختلاف أنواع جرائمهم .

إن حالة الفوضى التي يعيشها الشعب العراقي تدل بكل تأكيد على عدم قدرة وزير الداخلية ووزارته والمنسوبين لها في تحقيق الأمن والإستقرار وبالتالي يمكن لنا القول بأنه في ظل الفوضى الراهنة، وغياب الدستور المرفوض من قبل نسبة كبيرة من الشعب في ظل معادلة التوافق وغياب الرأي العام يصبح إرتكاب جرائم الفساد الاداري والسرقات والخيانة العظمى عمل يمارس بكل إستهتار بالقيم والتشريعات ، وظهر ذلك جلياً من إتهام وزير سابق في ظل حكومة تحت الإحتلال ولهذا لن نستبعد أن يكون بعض القادمون الجدد أناس متعطشون للسلطة والمال .

وعودة الى صولاغ وتصريحاته غير المسؤولة وإقتراحاته غير الموفقة هناك إقتراح تقدم به لتغيير مفهوم العلاقات الدبلوماسية المتبع عالمياً بين الدول منها إقتراح " لتحويل عمليات الدخول - منح التأشيرات - الى وزارة الداخلية لا الى وزارة الخارجية كما هو معمول الان في جميع دول العالم ".

وكأنه بهذا الإقتراح يلغي دور مهم من أدوار وزارة الخارجية وكأنه يريد أن يستولي على قرارات الخارجية أيضاً أو يريد أن يقوم بعمل الوزارتين في آن واحد ولا أفهم كيف يفكر وزير الداخلية الحالي، وهو من المؤكد أنه يعرف قبل غيره أن من مصلحة العراق الجديد أن يكون مستقراً لايعادي أي دولة لأن معاداة وإعتداءات نظام صدام حسين على الكويت هي سبب رئيسي في إحتلال العراق .

ومن الأخطاء التي مازال صولاغ يبتكرها هي دعوته لوزراء الداخلية العرب لزيارة بغداد لعقد قمة أو لتنظيم مؤتمر أمني في بغداد يحضره وزراء الداخلية في الدول المجاورة وعدد من الدول العربية والاجنبية , وهو يعلم قبل غيره أن الأمن في العراق بشكل عام مفقود فكيف سيحافظ على أمن هؤلاء الوزراء وهذه الوفود , إنها نوع من المكابرة أو المغامرة التي لايستطيع أن يوافقه عليها أحد .

ونستمر في مسلسل القرارات غير الموفقة وهي المحاولات الجادة لتغييب الكلمة الصادقة والإعلام النزيه الذي يصور الأحداث في العراق والمآسي التي تتعرض لها بعض طوائف المجتمع في كل مكان منه تحت غطاء محاربة 'الإرهاب'، فقد أصدر قراراً وزاريًّا لعناصر الشرطة العراقية بإعتقال من أسماهم الصحفيين المحرضين على 'الإرهاب', والذين يعملون في وكالات إعلامية أو صحف مناهضة للعراق .

ومن الأساليب المكشوفة التي قام بها الوزير هو ما أسماه عمليات التطهير والتغييرات في وزارة الداخلية وقال انه سيباشر وفريقه الخاص " في تحقيقات واسعة في عمليات فساد إداري ومالي وتجسس لمصلحة الإرهابيين. " متهماً بعض المسؤولين بنقل معلومات خطيرة الى الإرهابيين" ولهذا يقول الوزير " سنباشر فوراً بإقالة هؤلاء لأن ذلك يسهم في إحلال الأمن بسرعة . "

وحري بمن لديه مشاكل داخلية أن لايقوم بمحاولة إفتعال مشاكل خارجية فإصلاح البيت من الداخل أفضل من التصريحات لإستعداء دول الجوار ولهذا يجوز لنا القول إن من جاء مع قوات الإحتلال أو ساهم في تواجدها أو تحفيزها لغزو العراق هم من أحفاد إبن العلقمي ولكن من هو إبن العلقمي؟

إن العوامل والأسباب التي أدت لسقوط بغداد في أيدي قوات التحالف استفزت الذاكرة لتستدعي من خلاياها معلومات وأحداث حفرت في ذاكرة بغداد ومنها حدث سقوط بغداد سنة 656 هـ 1258 م , في قبضة البرابرة التتار الذين أبادوا أهلها ودمروا حضارتها وأحرقوا مكتباتها وكان ذلك الإجتياح بعد أن تسلط على حكومة بغداد في حينها عميل يسمى (إبن العلقمي) كان وزيراً للخليفة (المستعصم) فسرح الجيش وظلم الناس وعزل الخليفة عن الرعية .

كاتب إبن العلقمي التتار وتعاون معهم ليستولوا على بغداد وزين لهم غزوها فلما قدموا وحاصروها خرج للتفاوض معهم وإتفق معهم على مؤامرة تسليم بغداد وإستباحتها وأخرج لهم الخليفة والعلماء بخدعة منه لهم فقبضوا عليهم وقتلوهم وفتح لهم أبواب بغداد وأسوارها ففعلوا فيها الأعاجيب وما أشبه الليلة بالبارحة فما حصل بعد الإحتلال من تدمير

ونهب وإشاعة للفوضى والقتل وسرقة المتاحف لهو غزو منظم مبني على إستراتيجية بعيدة المدى للعراق ولعموم المنطقة وما كان لهذا أن يحدث لولا صنيعة أحفاد إبن العلقمي الجدد .

ان التاريخ سوف لن يغفر لاولئك الذين إستثمروا مأساة العراق ووظفوها لخدمة أهداف قصيرة المدى ذات رؤية قاصرة ومحدودة , ولهذا برزت دعوات لوضع استراتيجية ذات ابعاد متعددة ومستويات مختلفة للتحرك العربي لمساعدة العراق للخروج من هذا المأزق .

ولكن تصور الوزير صولاغ لدور الجامعة العربية وعلاقتها المستقبلية تجاه العراق, هو مازال في مرحلة العتب الشديد على الجامعة العربية لأنها حسب قوله كانت تتعامل مع النظام السابق ولم يسمح على حد تعبيره للشعب العراقي ولممثليه ـ ولو مرة واحدة ـ حتي في اللجان التابعة للجامعة العربية مثل: لجان حقوق الانسان وغيرها أو التعامل مع القوي الوطنية والإسلامية في المعارضة العراقية, كما حصل في التعاون والتفاهم مع قوي المعارضة العربية الأخرى .

ومازال الوزير صولاغ يردد بأن الشعب العراقي ترك بيد الجزار والديكتاتور وعاني ما عاني, واستخدم النظام الأسلحة الكيمياوية ضد شعبه, ولم نسمع صوتا من الجامعة العربية, ولو يؤبن هؤلاء الشهداء الـ5 آلاف الذين قتلوا من المسلمين الأكراد, ولم يؤبن الشعب العراقي عندما قتل400 ألف في انتفاضة مارس1991م , بالتعاون بين النظام وبين الولايات المتحدة الأمريكية الذي سمحت له باستخدام كل أسلحة الدمار الشامل ضد شعبه, لذلك لدينا عتب شديد علي الجامعة العربية كما يصرح .

ومن تصريحاته أيضاً وتصوره لطبيعة العلاقات العراقية في الفترة المقبلة, خصوصا مع دول الجوار: إيران وسوريا والكويت وتركيا والسعودية, أوضح أنه عندما تركنا العراق كنا نحو4 ملايين مهاجر, لم نجد دولة من دول العالم تستقبل اللاجئين العراقيين سوي سوريا, وايران منذ1980م إلي1990م, حيث كان العالم كله مع صدام حسين ماعدا هاتين الدوليتين ونسي الوزير أن هناك كانت مخيمات للاجئين العراقيين في شمال السعودية والتي كانت تحت إشراف الأمم المتحدة ولا ينكر هذا إلا جاحد ومن يوجه التهديدات اليوم لسوريا هو حاقد .

وتكلم الوزير عن دور مصر ولم يتكلم عن دور الدول الأخرى التي قدمت النصائح المتكررة والمبادرات بل ويقول في أحد تصريحاته بالحرف الواحد " لقد الرئيس المصري الكثير في الوقت الذي يندر فيه أن يقدم رئيس عربي أو أوروبي ذلك بشكل علني, عندما نصح رأس النظام بضرورة تنحيه أو ضرورة محاولة حل هذه المشكلة, وهذا كان محل إعجاب المعارضة العراقية والشعب العراقي" وفي ذلك تجني على محاولات ومبادرات زعماء الدول الأخرى .

وعليه نستطيع أن نستنتج أن من ينكر مجهودات ومبادرات الآخرين لايتصف بالعدل والإنصاف بل وفيه تجني على أصحاب تلك المجهودات وبالتالي هل يصلح وزير الخارجية ما أفسده وزير الداخلية ؟ .

موقع العربية نت الإلكتروني الاحد 16 أكتوبر 2005م، 13 رمضان 1426 هـ

68 علامات إستفهام وعلامات تعجب وغيرها

بعد الإحتلال الأنجلو-أمريكي للعراق لجأ الكثير من العراقيين الى الأردن وسمحت لهم الحكومة الأردنية باللجوء , وقدمت لهم التسهيلات , وسمحت لهم بالإقامة والعمل وهي مبادرة إيجابية من حكومة جلالة الملك , ومن يزور الأردن هذه الأيام قد ينسى أنه في الأردن خصوصاً إذا مر بالأحياء العراقية تماماً كمن يمر بالمخيمات الفلسطينية ولكن هناك فوارق شتى في المعاملة بين الطائفتين .

ومن يرتاد المطاعم سواء في العاصمة أو غيرها من المدن الأردنية يجد أن هناك عدد كبير من المطاعم العراقية التي يمكن تمييزها سواء باللهجة العراقية أو الأغاني الشعبية أو نوعية المأكولات العراقية المشهورة ولكن في المقابل لاتجد مايميز الفلسطيني عن الأردني وكأن الشعبين إنصهرا في شعب واحد ولكن الهوية مختلفة فمنهم أردني أصيل ومنهم أردني دخيل أي (فلسطيني) هذا يحمل هوية برقم وطني وهذا إما بدون هوية أو بدون رقم وطني .

في المجالس الشعبية والأروقة السياسية يدور جدل كبير حول إتساع ظاهرة تواجد العراقيين والفلسطينيين في الأردن ولكن هناك فرق كبير بين الطائفتين فإقبال العراقيين على شراء العقارات من قصور وفلل وشقق سكنية وبأسعار خيالية وكأنها أموال مسروقة يعطيهم القانون تسهيلات ويسمح لهم بذلك أما الطائفة الأخرى فمحظور عليها بحكم القانون شراء شيء من تلك العقارات وهنا تتجلى معاني الإزدواجية التي نعيب على الغرب تبنيها .

الأردن الآن يعاني من خلل في التركيبة السكانية فهناك طوائف بدوية وحضرية وأرمنية وشركسية وشيشانية مسلمة ومسيحية ومن ديانات أخرى وطائفتان أحدهما عراقية والأخرى فلسطينية وجميع الطوائف السابقة تحمل الهوية الأردنية إلا الطائفتان الفلسطينية والعراقية ولكن العراقية فمستقبلاً ستحمل الهوية الأردنية وبدا تأثيرهم واضحاً في المجتمع الأردني وسبقهم الفلسطينيون في ذلك ولكن هناك فرق في المعاملة فجميع الطوائف تلقى المعاملة الحسنة إلا الطائفة المحظورة , فهل لهذا الظلم يوماً أن ينتهي ؟ وهل سيعود الهاشميون الى حكم العراق مستقبلاً ؟ .

نقل الفلسطينيون تقاليدهم الى الأردن فأصبحت فيما بعد تقاليد أردنية والآن يتبعهم العراقيون فهل ستصبح أردنية فيما بعد ؟ .

قامت الحكومة الأردنية بتسهيل عملية دخول العراقيين من غير شروط كالحصول على تأشيرة دخول مثلا ، ثم منحتهم إذن بالإقامة الرسمية لثلاثة اشهر، وقد يحدث تعديلات على الأنظمة لصالحهم ولاسيما أنهم تملكوا العقارات والمطاعم والشركات والمصانع وأغلب أصحابها من الأثرياء والأطباء والأكاديميين المعروفين والعوائل ذات الجذور .

وإستفاد العراقيون في الأردن من أنظمة الإستثمار فأقاموا شركات تجارية وصناعية، واستثمروا في قطاعات العقارات والمستشفيات الخاصة وحظوا بإهتمام كبير من قبل السلطات الأردنية , مستفيدين من التسهيلات التي قدمتها الحكومة الأردنية للمستثمرين العرب والأجانب ماعدا الفلسطينيون من أبناء المخيمات .

ومما سبق أود أن أشير الى عدة تساؤلات أتمنى أن يجيب عليها مسؤول أو مثقف جريء وهي كما يلي :

لماذا يعامل الفلسطيني في الأردن كلاجيء ؟ وهل هناك فرق بين اللاجئين ؟ اللاجيء العراقي غير اللاجيء الفلسطيني فكل منهما له معاملة خاصة .

أين هي حقوق الإنسان ؟ ولماذا التمييز في المعاملات بين الطوائف المختلفة ؟ .

لماذا يحظر على الفلسطيني إمتلاك مسكن ويسمح لباقي شعوب الأرض قاطبة بمن فيهم الإسرائيليون إمتلاك مساكن بل ومصانع ؟ .

لماذا يسكن العراقي داخل المدن أما الفلسطيني ففي المخيمات ومحظور عليه أن يسكن في غيرها ومحظور عليه أن يعمل في الدوائر الحكومية إلا من يحمل جواز أردني بحجة أنه من أبناء غزة , وهناك حالات كثيرة تم فصلها من عملها في البلديات وغيرها ؟ .

لماذا يحمل بعض الفلسطينيين جوازات سفر أردنية بدون رقم هوية أي أن هناك مواطن درجة أولى ومواطن على الهامش ؟ .

لماذا لايسمح للفلسطيني بدخول الأردن إلا بضمانات مالية ؟ .

لماذا النظرة الدونية لأبناء المخيمات من الفلسطينيين وكأنهم من صنف بشري منبوذ ؟ .

وهناك الكثير من التساؤلات وغيرها نضع عليها علامات إستفهام ؟ وعلامات تعجب ! وغيرها من العلامات .....ولماذا لايعامل الفلسطينيين مثل العراقيين وأسوة بهم ؟ أم أن هناك ضغوط عربية وعالمية وسياسة موحدة في التعامل مع الفلسطينيين ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 17-04-2006م

69 الفصل الثالث

70 فلسطين

71 لماذا لايقدم الفلسطينيون والعرب الدعم الكافي لقضيتهم ؟ الحلقة الأولى

قد يتبادر الى الى الذهن سؤال يقول لماذا لايقدم الفلسطينيين والعرب الدعم الكافي لقضيتهم, وللإجابة على هذا السؤال قد يجعلنا نتطرق الى مواضيع كثيرة مبنية على عدة عوامل سوف تثير غضب الكثير من الأطراف ولكنها الحقيقة المرة التي ينبغي أن نتجرعها ليعترف كل طرف بمسؤوليته عن الأخطاء التي ترتكب بحق قضية بحجم قضية فلسطين وقضية القدس الشريف.

وقد تكون هذه العوامل مباشرة أو غير مباشرة مما يجعلنا نجد صعوبة في إختيارهذه العوامل حسب أهميتها وإنما سنحاول أن نسلسل الأفكار قدر الإمكان, وبمناسبة الحديث عن الإرهاب والمؤتمرات التي تعقد من أجل القضاء على الإرهاب والآثار السلبية التي أحدثها الإرهاب وأحدثتها وسائل الحرب على الإرهاب على القضية الفلسطينية.

وعليه نجد أن عامل الخوف من تهمة دعم الإرهاب قد قلصت كثيراً دور الأفراد والمؤسسات والجمعيات الخيرية والدول في إستمرار دعمها للقضية الفلسطينية بل ومما زاد الطين بلةً هو إتهام بعض منظمات المقاومة بإنها منظمات إرهابية وبالتالي تضرر العمل الخيري كثيراً وهو مما يعتبر من أهم سلبيات أحداث 11 سبتمر 2001م.

وعودة الى الفلسطينيين ومسؤوليتهم قبل غيرهم في دعم قضيتهم نجد أن القيود المفروضة عليهم تضعهم في خانة الفقراء والمعدمين وخصوصاً من يعيش منهم في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين حيث لافرص عمل ولاتعليم ولاعلاج مما يؤصل الفقر لديهم وبالتالي عدم وجود قدرة مالية لديهم لدعم قضيتهم مادياً.

وهي سياسة نجحت الكثير من الدول في فرضها عليهم فهم يعانون شتى أنواع الحصار والمقاطعة بدلاً من تفعيل المقاطعة ضد إسرائيل حتى تعود لرشدها وتعمل على تحسين أوضاع فلسطينوا الداخل بصفتها دولة إحتلال والقانون الدولي يفرض عليها ذلك كما يفرض القانون الدولي أيضاً على الدول التي يتواجد اللاجئين على أراضيها أن تعمل على تخفيف المعناة عنهم وهم مانسميهم فلسطينيوا الخارج أو الشتات.

وبمناسبة الحديث عن فلسطينيوا الشتات نجد أن غالبيتهم يقوم بدعم شخصي لأقاربه سواء من كان منهم في الداخل أو من كان منهم يتلقى دراسته في الخارج حيث لاتقوم الدول العربية بالسماح لهم بالدراسة المجانية في جامعاتها وبالتالي نجد أن الفلسطيني في الشتات مرهق مادياً وفي جميع مناحي الحياة وهو مما يجعله لايستطيع أن يدفع أكثر.

كما يجب أن لا نغفل دور الحروب المتعاقبة التي أدت الى هجرات متعاقبة وبالتالي أفرزت مشاكل ومعاناة. وكان آخر هذه الحروب ماتعرضت له العراق من إحتلال وبالتالي يعتبر الفلسطينيين من أكبر المتضررين في العراق ولجأوا الى المخيمات عوضاً عن أن يقدموا دعماً لقضيتهم فهم أيضاً كانوا بحاجة الى من يقدم لهم الدعم من جديد ويسهل لهم حركة المرور للإقامة بجوار ذويهم ولكن العكس تماماً هو الذي حدث. فمخيم الرويشد كان أكبر شاهد ووصمة عار على جبين منظمات حقوق الإنسان والدول التي لم تستطع أن تحل مشاكل اللاجئين العالقين على الحدود.

ومن ضمن فلسطينيوا الشتات من كان منهم موجود في الولايات المتحدة الأمريكية فقد تعرضوا أيضاً لضغوط وملاحقات وتجميد أموال وإقفال مؤسساتهم الخيرية التي كانت تقدم أكبر الدعم لفلسطينيوا الداخل. ومن يقرأ التاريخ سوف يتعرف على ماتعرض له اليهود من مذابح وتعذيب وتشتت عبر القرون الماضية وبالمقارنة في عصرنا الحاضر نستطيع أن نستقريء أنه تم إستبدال اليهود بالفلسطينيين ليبدأوا نفس رحلة التاريخ وكأن التاريخ يعيد نفسه ولكنه إستبدل الفلسطيني باليهودي وكأن الإنسان عبر العصور يبحث عن عدو ليحاربه أو يسطوا عليه وهذا ماحصل بعد إنتهاء الحرب الباردة التي ساهم العرب في التعجيل بإنتهاءها لتطحنهم رحى التاريخ وتضعهم بين جانبيها وهي لاتزال تدور. وسوف نستكمل بمشيئة الله باقي العوامل في مقال آخر.

صحيفة إيلاف الإلكترونية 23-فبراير -2005م

72 لماذا لايقدم الفلسطينيون والعرب الدعم الكافي لقضيتهم ؟ الحلقة الثانية

كنا قد ذكرنا في الحلقة الأولى بعض العوامل ونقدم اليوم بعضها الآخر لمحاولة الإجابة على السؤال عنوان المقال, وكنا قد ذكرنا أيضاً أن رحى التاريخ تضع العرب بين جانبيها وهي لاتزال تدور مبدياً نوع من التشاؤم تجاه المستقبل العربي في دعم القضية المركزية لعلنا نعي الحقيقة المرة التي ينبغي أن نتجرعها حتى نتفهم حقيقة مانحن فيه من ضعف وهوان في هذا العالم الذي لامجال فيه للضعفاء.

وأول من أتهمهم بالضعف هم أبناء جلدتنا الفلسطينيون أنفسهم لعدم تمكنهم حتى وقتنا الحاضر من تكوين لوبي فلسطيني ليقوم بدور مشابه لما يقوم به اللوبي الصهيوني في جميع الدول بلا إستثناء وإلا لما نستطيع أن نتخيل المبررات للدعوة التي قامت بها تونس لدعوة رئيس وزراء إسرائيل لزيارة تونس على هامش قمة المعلوماتية.

وقبلها بأيام كانت هناك دعوة قامت بها شخصية نسائية قيادية خليجية بدعوة لأحد أركان الكيان الصهيوني وهو نائب وزير التربية الإسرائيلي , وإذا كان هذا ماتتحدث به وسائل الإعلام علناً ففي الخفاء ماهو أعظم وأدهى, والهدف هو خطب ود إسرائيل إما لإقامة علاقات جديدة أولتجديد العلاقات التي إنقطعت خلال إنتفاضة الأقصى التي إندلعت في سبتمبر / أيلول عام 2000م, وكأن ثمار الإنتفاضة تقطفها إسرائيل ونعود للمثل القائل كأنك ياأبوزيد ماغزيت.

ولابد أن تثبت الدول العربية حسن النوايا قبل الزيارات المرتقبة أي لابد من تقديم ثمن كعربون صداقة وهذا الثمن يتمثل في أشياء كثيرة منها الموافقة على إقامة كنس يهودية على أراضيها أو إعادة فتح كنس كانت موجودة قديماً وتسهيل المهمة للوفود اليهودية لزيارتها, وفي ظل هذا الحضور الديني اليهودي القوي نجد التراجع الديني الإسلامي.

وهذا التراجع يعتبر من أهم العوامل التي أدت الى فقدان القضية للدعم, فقضية فلسطين هي في الأساس قضية إسلامية عربية قبل أن تكون قضية جغرافية سياسية فلسطينية تبحث في قضايا الأمن والحدود بل هي قضية تمس الوجود الإسلامي في القدس والدفاع عن

المقدسات ومن هنا يتضح لنا عدم وضوح الهدف وهذا يؤكده تعدد المنظمات الفلسطينية وإختلاف توجهاتها وتأثرها بالخلافات العربية الجانبية.

إسرائيل حاليا ترتبط بعلاقات دبلوماسية مع ثلاث دول عربية في حين توترت علاقاتها بباقي الدول بشكل كبير بعد أعمال العنف التي ترتكبها ضد الفلسطينيين منذ عام 2000. ولكنها تسعى في المرحلة الأولى -وفق تصريحات مسؤوليها- إلى إعادة علاقاتها مع أربع دول كانت تقيم معها علاقات تمثيلية، وذلك في إشارة إلى كل من المغرب وتونس اللتين تقيمان مكتبين للتمثيل في إسرائيل, وسلطنة عمان وقطر اللتان لديهما مكتب تمثيل اقتصادي بالدولة العبرية.

وهنا نريد أن نتسائل بعض التساؤلات:

لماذا لاتوجد مكاتب أو مؤسسات تجارية فلسطينية أسوة بالإسرائيليين ؟

لماذا لاتوجد مراكز أو فروع لتسويق المنتجات الفلسطينية ؟

لماذا لاتوجد فروع لبنوك مشتركة فلسطينية عربية ؟

لماذا لاتوجد مؤسسات لدعم الإعمار ؟

لماذا لاتوجد مراكز للدراسات الفلسطينية في الدول العربية ؟

لماذا لاتوجد مراكز لدعم الجاليات الفلسطينية في الخارج ؟

لماذا لاتوجد جمعيات خيرية فلسطينية في الدول العربية ؟

فجميع الأنشطة السابقة من الممكن أن تعمل على دعم الفلسطينيين تجارياً وإقتصادياً وتساعد على تنشيط التجارية البينية أو حتى تقوم على توظيف الفلسطينيين في الدول التي يقيمون فيها ودعم تسويق المنتجات الفلسطينية التي تشد من أزر المزارعين والصناعيين والمنتجين الفلسطينيين في الداخل كما تساهم في إعادة الإعمار وتسمح ببناء ودعم إقتصادي فلسطيني قوي يحظى بإستقلاليته عن دولة إسرائيل قبل الإستقلال السياسي وتكوين الدولة وما العمليات التي تقوم بين الحين والآخر ماهي إلا نتيجة الإحباط والمعاناة التي يشعر بها الفلسطيني في الداخل.

وهنا نستطيع أن نؤكد أنه لن تكون هناك دولة فلسطينية قبل أن يقوم فيها إقتصاد قوي ومستقل فالدول بحاجة الى إقتصادها القوي قبل إستقلالها السياسي وهو الذي يساعدها على البقاء والإستمرار أو الإنتهاء والإندثار.

ولهذا نجد أن القيود المفروضة على قيام إقتصاد فلسطيني أكبر من أي قيود ومثال ذلك نجد أن الفلسطينيين في الداخل ليس لهم تعاون إقتصادي مع الدول العربية عوضاً عن دول الإتحاد الأوروبي, وكما أن الفلسطيني لايحمل جواز سفر يمكنه من سهولة الحركة والتنقل نجد ايضاً أن البضائع الفلسطينية ليس لها شهادات منشأ أي أنها بضاعة لاجئة ولايمكن أن تعبر الحدود وهذا مايميز بين المنتجات التي يتم تصنيعها داخل إسرائيل وتلك التي داخل الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة والتي يعتبرها الاتحاد الأوروبي خارج اتفاق التجارة الحرة كونها أراضي محتلة. وبالقياس الى حجم صادرات إسرائيل إلى دول الاتحاد بلغت العام الماضي عشرة مليارات دولار معظمها تكنولوجية ولكن ماهي حجم صادرات الفلسطينيين ونوعها.

إن الهوة التي تفصل بين إسرائيل وبين العرب كبيرة والسرعة التي تسير بها إسرائيل أكبر, فلابد من تحرير التجارة قبل تحرير الأرض وتحرير اللاجيء قبل تحرير المخيمات وتحرير العقل قبل تحرير الجسد وتحرير المرأة قبل تحرير الولد وفتح الحدود بدل فرض القيود , فورقة التوت قد سقطت عن الجميع.

صحيفة إيلاف الإلكترونية 26-فبراير-2005م

73 سفراء فلسطين الواقع والمأمول

سفراء فلسطين أين هم من الواقع الأليم الذي يعيشه الشعب الفلسطيني في الشتات بل كل فلسطيني في العالم , ويعلم القاصي والداني أن المخيمات الفلسطينية تعيش على هامش الواقع ولكن ماهو الدور الذي يقوم به السفير على أرض الواقع لتغيير هذا التهميش , فإذا كان مناضلاً فلماذا لايقوم بالدور المطلوب منه تماماً .

ولن نطلب منهم أكبر من طاقاتهم ولاسيما أنهم بالأقدمية أصبحوا عمداء السلك الدبلوماسي في العالم كله , وهي درجة رفيعة يتمتع بها معظم سفراء فلسطين في شتى دول العالم فهل حان وقت التغيير بعد رحيل الزعيم ياسر عرفات وهذا حتماً سيحصل فكل رئيس يتمكن من الوصول الى السلطة لابد أن يقوم ببعض التعديلات وبعض التغيير حتى يضع بصمته الخاصة من خلال الناس المحسوبين عليه ورفاق دربه ومن يثق فيهم من أبناء عشيرته أو عائلته أو بلدته دون النظر الى المعايير التي ينبغي أن تتبع في مثل تلك الحالات في الدول الديموقراطية المتقدمة .

وليس هناك سراً فيما نقول وإنما حسابات مدروسة فطالما أن التمثيل في الإنتخابات لايمثل جميع الفصائل وهناك مقاطعة للإنتخابات من جانب فصائل أخرى فإن المرشحين سيكون ترشيحهم صورياً ليس إلا ! وبالتالي سيستأثر رئيس فتح برئاسة السلطة الوطنية وبعدها يزيد من نطاق صلاحياته ليصبح مركز القيادة والسلطة ويملك جميع أوراق اللعبة الفلسطينية , وهذا الرئيس القادم إن لم يكن منتخب إنتخاباً ديموقراطياً فلن يشذ عن القاعدة الذهبية " رئيس مدى الحياة " التي تتمتع بها الدول غير الديموقراطية وبالتبعية سيكون السفراء المحسوبين على رئيسهم مثله تماماً " سفراء مدى الحياة " وعلى الرغم أنهم ضربوا الأرقام القياسية الأمر الذي ينبغي أن يتم تسجيلهم في موسوعة جينيس للأرقام القياسية .

وتعجبني بعض الدول فيما يتعلق بنظام الجنسية لديها فهي لاتسمح بما يسمى نظام إزدواج الجنسية وأرغب أن يطبق هذا النظام في أسرع وقت ممكن عبر مناقشة ذلك في المجلس الوطني الفلسطيني وإقراره حتى يفقد معظم سفراؤنا كراسيهم ونأتي بكوادر جديدة تتلمس

إحتياجات الجاليات الفلسطينية في الشتات وبمجرد حصول السفير أو أي عضو في السفارة على جنسية أخرى يعتبر تلقائياً مفصول من خدمة سفارة فلسطين ولايحق له تمثيلها حتى يكون أولى بالشعور بالمعاناة التي يعاني منها هذا الفلسطيني في الشتات , كما لابد من وضع أنظمة صارمة تمنع إستغلال أي سفير لموقعه في كثرة الطلبات الخاصة به أو أفراد عائلته ومعارفه التي يتقدم بها لسلطات الدولة التي يمثل سفارة فلسطين فيها حتى لايكون محسوباً على الدولة المضيفة أو أحد عملاؤها.

كما ينبغي العمل بالأنظمة المتبعة في الدول الديموقراطية بنظام التدوير أو التغيير المستمر وتحدد مدة تمثيل دولة فلسطين بعدد محدد من السنوات وبعدها لابد من التغيير ولاداعي أن يكونوا سفراء الى الأبد في دولة معينة حتى لاتمل الدولة المضيفة منهم ومن كثرة طلباتهم . وعلى سبيل المثال لا الحصر ومن غير المعقول أن يمثل دولة فلسطين في فرنسا مثلاً أن يكون فلسطينياً يحمل جواز فرنسي أو من يمثل فلسطين في الأمم المتحدة فلسطينياً يحمل جواز أمريكي وهكذا في كل سفاراتنا في الخارج .

لأن رعاية المصلحة الوطنية الفلسطينية هي مسؤولية المواطن الفلسطيني الذي يحمل هوية الشعب الفلسطيني وليس هوية الدولة المضيفة وعليه ستكون هوية فلسطينية خالصة نقية لايشوبها الكدر وبالتالي تكون الدبلوماسية الفلسطينية حرة بمعنى الكلمة .

لوقامت السلطة الفلسطينية بالتحقق من وثائق سفرائها التاريخيين أوالقدماء في الخارج , فلن تجد منهم سفيرا لايحمل جنسية أخرى أو أكثر وهو الذي يطالب بعدم تجنيس الفلسطينيين للحفاظ على الهوية الفلسطينية حتى يتمتع بما يدفع رعاياه من أتاوات ورسوم في صناديق هذه السفارات فالسفراء هم الساده والرعايا هم العبيد , وهذا ماهو حاصل منذ زمان بعيد .

إنهم سفراء متسلطون يعتقدون أنهم خالدون وغريب أمر هؤلاء السفراء حينما يهرولون للحصول على جنسيات الدول التي يعملون بها , ويرفضون منح أي فلسطيني جنسية الدولة التي ولد علي أرضها او أفنى فيها عمره , بحجة الحفاظ على الهوية الفلسطينية والتي يرغب

السفير في إسقاطها عن نفسه وهو سفير يمثل السلطة الفلسطينية فهو يعطي الحق لنفسه ويحرم غيره من هذا الحق .

كيف يريد أن يؤمن بقضية ويدافع عنها ويمثلها في المؤتمرات والمحافل الدولية وهو لايشعر بالمعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني وهل يعلم سفرائنا في الخارج أن من يحمل وثيقة سفر اللاجئين لاتخوله دخول الدولة التي أصدرتها بل فقط تخوله الحصول على خروج بدون عودة الى مثواه الأخير يتنقل بها فقط في إتجاه واحد من الحياة الدنيا الى الحياة الآخرة فهي تشبه الى حد بعيد وثيقة الموت (شهادة الوفاة) .

إن من يتذرع بقرار الجامعة العربية الرقم 1547 الصادر عام 1959م الذي طالب بالحفاظ على الهوية الفلسطينية وهو القرار الذي ينفذ ناقصاً ويجري الإلتفاف عليه بين الحين والآخر حيث أصبح غير ذي جدوى بعدما نسفت قرارات الجامعة العربية كلها من أولها الى آخرها والمتعلقة بالقضية الفلسطينية عندما تم التوقيع على إتفاقية أوسلوا وقبلها مؤتمر مدريد للسلام ألغى العديد من قرارات الجامعة العربية وأن المبادرات المتعددة والمتعلقة بالقضية ألغت أيضاً العديد من قرارات الجامعة العربية .

والسؤال الذي يطرح نفسه , أين هي قرارات جامعة الدول العربية بشأن تخفيف المعاناة عن أبناء الشعب الفلسطيني ؟ وهل المطالبة بحق العودة دون مقاومة سيحقق هذا الحق ؟ ماذا فعلت قرارات مؤتمرات القمة منذ خمسون عاما ؟ هل حررت شبراً واحداً ؟ ولكن على مايبدوا أن جميع مؤتمرات القمة وقرارات الجامعة العربية وقرارت مجلس الأمن الدولي وهيئة الأمم المتحدة لن تحل مشكلة فلسطيني يحمل وثيقة سفر اللاجئين وعالق على الحدود كمن هم في مخيم الرويشد مثلاً على الحدود الأردنية العراقية .

إن وزراء السلطة وسفراءها الذين يحملون جوازات سفر غير فلسطينية يجب أن يتنحوا عن مراكزهم القيادية أو يتخلوا عن جوازات السفر الأجنبية التي يحملونها ويتفاخرون بها هم وزوجاتهم وأنجالهم حتى لايصبح غالبية الوزراء والقيادات الفلسطينية أجانب .

وأحب أن أؤكد أن حق العودة المسلوب لم تنجح جميع المحاولات المماثله عبر التاريخ في إلغاءه إبتداء بحركات التحرر والإستقلال في جميع دول العالم ومروراً بجدار برلين وخط

بارليف وبإنهيار الشيوعية وإنتهاء بجدار الفصل العنصري الذي تحاول أن تستكمل إسرائيل بناؤه بتعاون أطراف عربية وأجنبية .

إن من يؤمن بحق العودة هو الشخص الذي لديه الرغبة لرفع الظلم عن نفسه وعن الملايين المعذبين من الفلسطينيين في جميع دول العالم ويسهل لهم ويمنحهم وسائل العودة لا أن يحاصرهم ويفرض عليهم القيود في العمل والتنقل والتعليم إنها قضية ملايين من المعذبين من الفلسطينين في شتى أنحاء العالم .

فكيف يتناسى من يملك حق التنقل أن ينكره على الآخرين إنها قضية عدم إحساس وعدم شعور بالمسئولية بل والأنانية وظلم الإنسان لأخيه الإنسان الذي يساهم في تشريد المشرد وتهجير اللاجيء وتعقيد جميع أموره الدنيوية .

جريدة الصباح الفلسطينية 10-ديسمبر-2004م

74 سفراء مدى الحياة

ليس المطلوب هو الدفاع عن سفراء فلسطين فبعضهم من خيرة المناضلين ولديهم الخبرات الكافية للرد ولكن لماذا لايملكون الإجابة على أسئلة طالما حيرت كل لاجيء فلسطيني في هذا العالم , إن الحديث عن مسيرة النضال الطويل لن تجدي نفعاً طالما لم تحقق طموحات الشعب الفلسطيني في الشتات وفي المهاجر وبإعتراف الكثير من هؤلاء السفراء الذين وصلوا الى مناصبهم ليس بناء على تخرجهم من الجامعات أو الكليات الدبلوماسية وإنما بما يتمتعون بعلاقات جيدة مع أقرانهم الذين هم على رأس هذه السلطة وكما يقولون .. بتاريخهم النضالي ومسيرتهم الطويلة التي أهلتهم بدون علم أو خبرة في العلوم السياسية وإنما تمت ترقيتهم في العمل الوظيفي وليس النضال من أجل حرية اللاجئين وإنما الحرية الشخصية الذاتية لهم ولعائلاتهم وليس هذا الكلام تشكيك أو إتهام بقدر ماهي إلا دراسة النتائج على أرض الواقع .

فمخيمات اللاجئين لاتحظى بالأولوية عند بعض هؤلاء السفراء المبجلين وإنما تعتمد على نظرة قاصرة في زيادة المعاناة لهذا الشعب حتى لاينسى أنه لاجيء فقط هذا هو الهدف الحفاظ على الهوية الفلسطينية , أي أن يبقى لاجيء مدى الحياة , أما المطالبات بشكل مستمر في تحسين أوضاعهم ليست مسؤوليات بعض السفراء الذين يتمتعون بكل أشكال الحرية التي إفتقدها أولئك المهاجرين الأمر الذي أدى الى إبتعاد اللاجيء عن أولئك الذين يفترض أنهم مسئولون عنه .

ولانريد من خلال هذا المقال التعرض لتاريخ أي منهم النضالي وإنما ندرس النتائج المتحققة على أرض الواقع ومسئولية هؤلاء السفراء تتمثل في تشكيل قواعد شعبية عريضة للمطالبة بحقوقهم المهضومة وأغلبها حقوق إنسان قبل حق العودة وتحرير الأرض من براثن الإحتلال وعلى سبيل المثال هناك جاليات فلسطينية متواجدة في كل بقعة من بقاع العالم والسؤال المهم هو .. هل قام أي سفير في بلد ما بتوحيد صفوفهم وأهدافهم ومعالجة مشاكلهم مع الدولة التي يقيمون فيها ؟ أم يساهم في تسكين الوضع وأن يبقي الحال على ماهو عليه ؟

وعليه لانلوم من يعيش المعاناة اليومية من إتهام هؤلاء السفراء بأنهم ضد رغباتهم وأحلامهم . ولاسيما أن المعاناة لاتزال تتكرر منذ البداية وحتى هذه اللحظة سواء من كان منهم في المخيمات أو في الشتات .

فهل قام بعض السفراء بعمل مايمكن عملة تجاه اللاجيء الذي يعاني الأمرين في المطارات العربية والبلاد العربية ولا أظن أن أحد يختلف معي في هذا المطلب فهي مآسي وعذابات تتكرر يومياً وفي كل الدول العربية بلا إستثناء ولا داعي للرياء بإستثناء دولة دون أخرى .

ومن هذا المنطلق نحن لانتهم أحد من السفراء الأعزاء ولكن نريد أن نقول لهم لاتفضلوا أبناء الداخل على أبناء الخارج ولا أبناء الخارج على أبناء الداخل فكلهم في المصيبة سواء وهي درجة نسبية , ولكن لكل منهم مطالبهم التي تعتبر أولوية بالنسبة لهم , وهنا ينبغي على السفراء العمل على إتجاهين متوازيين كقضبان السكك الحديدية التي فوقها عربة القطار المتجه الى القدس وفلسطين فلن تصل العربة إلا إذا كانت متوازنة على القضبان ، ونحن نعلم ما بذله العديد من السفراء من أجل الإعتراف بالجواز الفلسطيني وهو الممنوح الى الفلسطينيين الذين يحملون هوية مواطنة فلسطينية أي الذين تعترف بهم إسرائيل وتسمح لهم بزيارة فلسطين وهي هوية إسرائيلية أصلاً ولكن يجب أن يكون الجهد موصول في سبيل الحصول على إعترافات أخرى لمن يحملون وثائق سفر ولايحملون جواز السفر الفلسطيني أو منحهم جوازات سفر فلسطينية حتى تكون المعاملة مثلية بين الفلسطينيين أنفسهم .

وكما أشارت بعض التقارير أن الرئيس الراحل ياسر عرفات تغمده الله بواسع رحمته قد أمر بتشكيل لجنة تحقيق في فساد بعض السفارات الفلسطينية وهذا يدل على إعتراف ضمني بفساد بعض السفارات ولكن ماهي النتائج التي تحققت حتى الآن ؟ أعتقد أن القدر لم يمهل القائد من الإطلاع على مشاكل سفاراته حول العالم , وطالما نحن في مرحلة إنتقالية جديدة فهذا يعني أن النتائج لن تتحقق سريعاً وسيستمر الفساد في بعض السفارات ردحاً من الزمن لأن المشكلة مركبة ومتعددة الجوانب الأمر الذي يحتاج الى علاج جذري يصل الى مرحلة البتر والحسم والطرد والمحاسبة الكاملة عن الإضرار بمصالح الشعب . وحتى يكون القرار

الفلسطيني مستقلاً في تعيين السفراء ينبغي العمل بقواعد العمل الدبلوماسي وأن يكون إختيار السفير من قبل المجلس الوطني الفلسطيني وليس من قبل الدولة التي سيتعين فيها . فبعض الدول العربية مسئولة عن فساد بعض سفراء فلسطين وهذا مايناقي سياسة عدم التدخل في الشئون الداخلية الأمر الذي أحدث خلافات دائمة وليس مصالح دائمة بين المنظمة والدول العربية وينعكس على الشعوب تلقائياً . فليس من حق الدول العربية التدخل في ترتيب البيت الداخلي الفلسطيني بعوض أو بدون عوض وعلى السفير أن يقدم أوراق إعتماده كغيره من السفراء المعتمدين . وفي مقالات سابقة لبعض الزملاء الذين أكدوا من خلالها أن بعض السفراء حولوا سفاراتنا إلى أملاك خاصة لهم , دون الدخول في تفاصيل ذلك . ولكن مانعرفه ويعرفه أي مواطن أن من مهام السفارات أن تقوم برعاية وحماية مصالح رعاياها في البلد الذي تمثلهم فيه , لكن ما لا نفهمه ولا نعرفه أن تكون هموم بعض سفرائنا متمثلة في التضييق وممارسة سياسة الخنق على مواطنينا وابتزازهم حتى يغادروا هذا البلد أو ذاك وذلك تحت ذرائع تقليل مشاكل الجالية , والتي لا نفهم أسباب أخرى لوجود السفارة إذا لم يكن من مهامها الرئيسية مساعدة أفراد الجالية على حل مشاكلهم . لاالعمل ليل نهار لحل مشاكل بعض السفراء الشخصية ومن معه في السفارة على حساب القضية , ويترك بعضهم مشكلة الشعب دون حل وعليه نقترح على من بيده الحل والعقد في السلطة الوطنية أن يعتمدوا قانون مماثل للقانون النمساوي الذي يحرم على مواطني النمسا أن يعملوا سفراء أو دبلوماسيين لدول أجنبية . وهذه القضية بحاجة الى الحسم والبتر والطرد لبعض السفراء ومحاسبتهم على مافعلوه في العقود الماضية بحق الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية التي هي في تراجع مستمر بفضل سفراء فلسطين المكرمين وبعض قياداتها الخالدين .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 08-ديسمبر-2004م

75 قانون شاروني جديد

تعقد حاليا في مقر الجامعة العربية بالقاهرة الاجتماعات التحضيرية لمؤتمر القمة العربي العادي المقرر عقده في الجزائر وتعتبر هذه الدورة الثالثة والعشرون بعد المائة، وقد ابتدأت الجلسة بالتلاسن والعتاب واللوم بين ثلاثة أطراف يعول عليهم المجتمع العربي الكثير من الآمال.

وطالما هذه هي نقطة البداية وكما يقول المثل "المكتوب من عنوانه" فهذا هو العنوان ورغم أن لكل طرف من هذه الأطراف ما يؤيد وجهة نظره، إلا أن ذلك يدل على غياب الإستراتيجيات، فالطرف الفلسطيني يطالب الدول العربية بالتشاور المسبق مع السلطة قبل إعادة السفراء إلى إسرائيل وأن هذا القرار يضر بالقضية والطرف الثاني يعتقد أن ذلك يخدم القضية والطرف الثالث يرى أن عودة السفراء يحكمها اتفاقيات السلام.

ورغم أن قرار سحب السفراء كان بسبب سياسات إسرائيل التي أدت إلى الانتفاضة لأن زيادة الضغط تولد الانفجار وهو قانون في الطبيعة يمكن الاستعانة به لتشبيه مثل تلك الحالة وما ترتب عليها من نتائج كارثية.

ولكن في مرحلة ما بعد عرفات بدأنا نشم رائحة العرق من الهرولة السريعة نحو إسرائيل لإحداث نوع من العلاقات الدبلوماسية معها فهناك من يوجه دعوة لشارون وهناك من يوجه دعوة إلى أحد أركان شارون وهناك أطراف بدأت تروج لمرحلة جديدة لتثبت أن عرفات كان عقبة في وجه السلام وطالما أن الرجل في ذمة الله فالمثل المصري يقول "المرحوم كان غلطان" حتى لا يحاسب المعتدي على جرم قد تسبب به وتسجل القضية ضد المرحوم.

ومن هنا ظهرت الدعوة لمؤتمر شرم الشيخ الذي عقد مؤخراً وجمع بين كلاً من حسني مبارك وشارون والملك عبد الله الثاني ومحمود عباس أبومازن وكان هناك شرطاً مسبق من قبل إسرائيل لحضور هذه القمة سواء نجح المؤتمر أم فشل وهذا الشرط هو إعادة السفيرين المصري والأردني إلى إسرائيل.

ومن نتائج هذا المؤتمر

تسلم رفات 15 فلسطيني والإفراج عن 530 معتقلاً فلسطينياً وتسليم خمس مناطق وليس خمس مدن إلى الفلسطينيين وإعادة المبعدين بين الضفة وغزة ولم شملهم بعائلاتهم ويشمل أيضاً بعض المبعدين إلى خارج الأراضي المحتلة أثناء الانتفاضة. والتأكيد على مواصلة السلطة للإصلاحات المالية والإدارية والسياسية، وتم الإعلان عن وقف متبادل لإطلاق النار من أجل إنهاء الانتفاضة واستئناف المفاوضات بين الطرفين وتكوين لجنة مشتركة لإعادة تقويم الأسس التي سوف تقوم عليها المفاوضات بين الطرفين. وتسارعت الأحداث وكان هناك مؤتمر لندن لدعم السلطة الفلسطينية.

ومن نتائج مؤتمر لندن

تعهدات مالية من الدول المانحة بمبلغ 2.1 مليار دولار للسلطة الفلسطينية وإصدار إدانة جديدة للإرهاب والمقصود به المنظمات الفلسطينية التي تعارض خارطة الطريق أو ي خطط تضعها إسرائيل وأمريكا واللجنة الرباعية والاتحاد الأوروبي لتحقيق حلم الدولة الفلسطينية, العمل على التعاون الاقتصادي والمدني بين الفلسطينيين وإسرائيل ودعم الإصلاح الفلسطيني وإنهاء العزلة العربية لإسرائيل وتفكيك المنظمات الفلسطينية وتوفير الأمن لإسرائيل قبل تحسين أوضاع الفلسطينيين المعيشية . ولا يعني عدم مشاركة إسرائيل في هذا المؤتمر أنها لم تتدخل في صياغة البيان الختامي والنتائج .

وتحرص إسرائيل حاليا بالعمل الجاد وخصوصاً بعد مؤتمر شرم الشيخ وبمساعدة أمريكية وأوروبية لقيام بداية علاقات إسرائيلية عربية وبداية علاقات تجارية وربما تبادل سفراء وتقوم بنشاط دبلوماسي مكثف لعقد لقاء عربي إسرائيلي في تل أبيب وقيام مبادرة عربية إسرائيلية جديدة مشتركة بعد قيام مصر بجهود ملموسة لممارسة الضغط على الفصائل الفلسطينية بحجة الاتفاق على موقف وطني فلسطيني موحد.

وبعد أن يتحقق كل ذلك ستكون الأجواء العربية مهيأة تماماً لإيجاد تفاهمات جديدة لبداية علاقات عربية إسرائيلية وإعطاء تنازلات عربية لتشجيع شارون على تنفيذ الانسحاب من قطاع غزة وهو ما كان يعرف باتفاق غزة أريحا أولاً كل ذلك قبل البدء في تنفيذ خارطة

الطريق ولهذا تم التفاهم في مؤتمر شرم الشيخ على تأجيل بعض القضايا على أن تبحث فيما بعد وهي قضية الجدار والاستيطان والقدس.

ومن يقرأ التاريخ جيداً يتضح له السياسات التي تنتهجها إسرائيل والتي بنيت على أفكار متسلسلة مبنية على إستراتيجية واضحة من مؤتمر مدريد إلى اتفاقيات أوسلوا إلى كامب ديفيد إلى شرم الشيخ وهي الأرض مقابل السلام ثم السلام مقابل الأمن ثم الدولة مقابل التوقف عن الإرهاب ثم السلام مقابل الاستسلام ثم لاسلام ولا أرض ولا أمن حتى ولو تم الرضا بالاستسلام كالمثل القائل "رضينا بالهم والهم ما رضي بينا".

هذا ما أكد عليه شارون مؤخراً حيث قال "يجب أن يكون واضحا أنهم ما لم يتخذوا قراراً إستراتيجيا بتفكيك البنية التحتية للإرهاب لن تكون هناك دولة فلسطينية ولا سلام. وهذا هو قانون شارون الجديد "الدولة مقابل تفكيك المنظمات ووقف المقاومة والاستسلام".

مجلة فلسطين 07- مارس – 2005م

76 جائزة نوبل من أجل التطبيع

كنا ذكرنا في مقال سابق تحت عنوان قانون شارون الجديد " الدولة مقابل تفكيك المنظمات ووقف المقاومة والإستسلام " وعرفنا أيضاً أن إنتفاضة الأقصى كانت هي السبب الرئيس لسحب كل من مصر والأردن سفيريهما من إسرائيل الى أن إلتئم مؤتمر شرم الشيخ وبشرط مسبق من إسرائيل هذا على حد قول وزير خارجية دولة عربية وهو لكي تقبل إسرائيل حضور القمة سواء نجح المؤتمر أم فشل لابد من إعادة السفيرين المصري والأردني الى إسرائيل وبالتالي نجد أن من أبسط نتائج الإنتفاضة هي تأخير التطبيع ومن العجيب في أروقة المؤتمرات العربية ونحن على عتبة أبوابها أنه لا أحد يجرؤ على أن يقاوم التطبيع ولكن جميع مؤتمرات القمة ترفض التوطين وهنا نتساءل أليس من السذاجة أن نهرول من أجل التطبيع ونرفض التوطين ؟

والسبب بسيط جداً وهو أن التطبيع يخدم مصلحة إسرائيل الإقتصادية والتوطين يحل عقد اللاجئين النفسية والإقتصادية , فمن يقول لا للتوطين لايقدم برنامج بديل لتخفيف المعاناة عن أبناء المخيمات , ولازال أبناء المخيمات يحدوهم أمل العودة منذ العام 1948م . ولكن أصبح لاأمل لهم بالعودة قريباً بعدما إنفرط عقد جامعة الدول العربية الذي كانت تزين به صدرها هذا العقد كان يحتوي على ثلاث حبات من اللؤلؤ عرفت باللاءات الثلاث : لا صلح ولا تفاوض ولا اعتراف وهو ماكان يعرف بنتائج مؤتمرالخرطوم .

أما نتائج مؤتمر الجزائر من المتوقع أن تكون نتائجه نعم ثلاث مرات " نعم للصلح ونعم للتفاوض ونعم للإعتراف " ليتناسب مع زمن الهرولة الجديد أما على الصعيد الفلسطيني فستبقى اللاءات الثلاث من أهم نتائجه " لا للتوطين لا للدعم لا للمقاومة " وتعليل اللاءات الثلاث لا للتوطين لأن التوطين يحل أزمات أبناء المخيمات ولا للدعم لأن كل من يدعم فلسطين هو في محل تهمة دعم الإرهاب ولا للمقاومة لأن خيار السلام هو وقف المقاومة فإسرائيل وأمريكا وكل العالم الغربي والمنطق المقلوب يقول المقاومة والسلام لايجتمعان .

وشارون وبوش وشيراك وزعماء العالم الغربي لازالوا يطالبون بالضمانات الأمنية العربية للدولة الصهيونية حتى إذا ماتحققت فستكون هناك مطالبة بضمانات أمنية إيرانية وإذا ماتحققت فسيطالبون بضمانات من باكستان لأنها دولة إسلامية نووية ولكن ماذا تعني الضمانات الأمنية العربية الإسلامية للدولة الصهيونية في الوقت الذي تتمتع فيه الأخيرة بالتفوق العسكري والدعم المالي والإعلامي والسياسي من الدول الغربية، وبالأسلحة النووية، وبسطوة الحركة الصهيونية العالمية؟ ومن الذي يهدد من: الدول العربية أم الدولة الصهيونية؟ ومن الذي يحتل أرض من؟ ومن يقتل ويشرد شعب من؟!

ومن نتائج جولة بوش الأخيرة الى دول أوروبا هو مساندة ودعم فرنسا لتنفيذ القرار 1559 وهو بداية الإتفاق الأمريكي الأوروبي على مخطط "الشرق الأوسط الجديد" هو مخطط صهيوني - أمريكي قديم، دلّلت على وجوده أكثر من وثيقة، منها الوثيقة التي ترجمها إسرائيل شاحاك، عام 1982 عن العبرية إلى الإنجليزية عن مجلة كيفنيم (اتجاهات)، وهي الناطق الرسمي باسم المنظمة الصهيونية العالمية .

تتحدث هذه الوثيقة عن ضرورة تفتيت الدول العربية الكبيرة مثل مصر وسوريا والعراق والسعودية، وعن إقامة الوطن البديل في الأردن , وتقوم فكرة التفتيت في هذه الاستراتيجية على تفجير الصراعات الطائفية والإثنية وغيرها، وعلى تسعير النزاعات الإقليمية وكانت البداية في إحتلال العراق ثم التلويح بالتهديد لسوريا وإيران وإثارة مشكلة الأقباط في مصر بين الحين والآخر وأخيراً إنقسام الشارع اللبناني بعد إغتيال الرئيس الحريري يرحمه الله .

إنها خطط إستراتيجية مرسومة بدقة وجاري تنفيذها خطوة خطوة وتعتمد على نظرية العاملين لفردريك هزربرج وتسمى أيضاً الدوافع والنتائج أي أن العوامل المؤدية للرضا تختلف تماماً عن العوامل المؤدية الى الإستياء فالعوامل الوقائية وظيفتها هي منع عدم الرضا ولكنها لاتؤدي في حد ذاتها الى الرضا واستراتيجية التفتيت التي تنفّذ في الدول العربية مرتبطة بسبب عاملين يتشابكان ويتقاطعان ويعززان بعضهما في الدوافع والنتائج، أولهما يتعلّق بالمصلحة الصهيونية، وثانيهما يتعلق بالعولمة.

أما العامل الأول فينبع من حقيقة موضوعية مفادها أنّ الأمن الحقيقي لدولة إسرائيل لا يمكن أن يتحقق على المدى البعيد طالما لهذه المنطقة هوية عربية - إسلامية، وطالما وجد في هذه المنطقة دول أو أقطار عربية كبيرة نسبيا. فالأمن الحقيقي لدولة إسرائيل يقتضي إذن تغيير هوية المنطقة الحضارية إلى "شرق أوسطية" وتغيير تركيبتها السياسية والاجتماعية , فإذا بقيت هذه الأرض عربية، فلا مكان لأي شيء اسمه "إسرائيل" عليها. أما إذا أصبحت هوية المنطقة "شرق أوسطية"، فيصبح وجه "إسرائيل" طبيعيا فيها .

أن مشروع الدولة الفلسطينية بحد ذاته لا يتناقض مع مشروع "الشرق الأوسط الجديد" إذا تم على قاعدة "اندماج" دولة إسرائيل في المحيط العربي، لا على قاعدة الانسحاب الإسرائيلي من الضفة والقطاع دون قيد أو شرط، وهو المطلب الأساسي للانتفاضة الثانية. لا بل أن الدولة الفلسطينية ضمن سياق مشروع "الشرق الأوسط الجديد" تصبح المدخل الطبيعي للتغلغل الإسرائيلي في المنطقة العربية.

ويؤكد هذا الأمر أيضاً تصريح السفير الإسرائيلي في الأردن ديفيد دادون، حسب وكالة الصحافة الفرنسية يوم 26 تشرين الأول/أوكتوبر 2001 :" فقط في اليوم الذي تخلق فيه دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة سوف تنفتح عقول وقلوب كل الشعوب العربية لإعطاء المشروعية لحق الشعب اليهودي بدولة خاصة به . . . وإذا أردنا هذه المشروعية، فإن علينا أن نعترف بأن ذلك يرتبط بخلق دولة فلسطينية".

وأما مايتعلق بإستراتيجيات تعزيز الديموقراطية في الدول العربية فهو من منطلق إستراتيجيات صهيونية لتعزيز حكم الأغلبية وسياسة إسرائيل في الحرب والسلام يجب أن تتوجه نحو التخلص من الفلسطينيين عبر الأردن ونقل الحكم للأغلبية الفلسطينية هناك وتغيير النظام شرق النهر سوف يحل مشكلة المناطق المكتظة بالسكان غرب النهر، فيكون الأردن لهم، والمناطق غرب النهر لليهود.

وسيكون هناك تعايش وسلام حقيقيين فقط عندما يفهم العرب أنه بدون حكم يهودي بين النهر والبحر، لن يكون لهم أمن ولا وجود، فإذا أرادوا دولة وأمن، فإنّ ذلك سيكون لهم في الأردن فقط". ولهذا نجد أن الأردن سارع بإتفاقيات وادي عربة الذي أسفر عن الإعلان

"الإسرائيلي" الرسمي "أن الأردن ليس فلسطين"، أي التعهد بالتخلي عن مشروع إقامة الوطن البديل للفلسطينيين في الأردن وهذا مايعتبره النظام في الأردن أحد أهم المكتسبات السياسية التي حققها من جراء توقيعه على معاهدة وادي عربة .

ولابد أن نعرف أن الدول تلتزم بمصالحها الإستراتيجية، لا بتعهداتها فكيف لا وسجل الدولة الصهيوينة وتاريخها حافل لذا نؤكد على أن الثغرة الأساسية في تصديق هذا التعهد الصهيوني تنبع من تناقضه مع وقائع ما يسمى بعملية التسوية ذاتها، وبالتحديد أكثر الطريقة التي يريد الطرفان الصهيوني والأمريكي أن يحلا فيها مشكلة اللاجئين. ولا بد من الإشارة هنا أن معاهدة وادي عربة تركت قضية اللاجئين دون حل، ورحلتها إلى مفاوضات المتعددة، أي أنها تركت باب توطين اللاجئين في الأردن مفتوحاً على مصراعيه، وبالتالي تركت باب مشروع الوطن البديل مفتوحاً من الناحية الموضوعية، بغض النظر عن أية نوايا أو تعهدات.

والحقيقة هي أن مجرد الاعتراف بحق الدولة اليهودية بالوجود، وهو ماأكد عليه بوش في مؤتمر العقبة وهو على حد تعبير السفير دادون، وبمشروعية الاستيطان الصهيوني في فلسطين، يترك مشكلة اللاجئين بدون حل، خاصة وأن هناك شبه إجماع صهيوني على هذا الموقف والغريب أيضاً وفي نفس الوقت هو إجماع عربي على عدم التوطين باللاءات الثلاث المذكورة أعلاه " لا للتوطين لا للدعم لا للمقاومة"

ومن الخيارات المطروحة لحل مشكلة اللاجئين، يبرز على رأسها مشروع التوطين. لكن التوطين بالنسبة لبلد مثل الأردن يفتح الباب لتسلل مشروع الوطن البديل، مما يفجر النزعات الإقليمية ويهدد أمن واستقرار البلاد والنظام، على حد سواء. ويصر لبنان على رفض التوطين لاعتبارات مماثلة، رغم كونها أقل وطأة في الأردن منها في لبنان، بسبب ارتفاع نسبة الفلسطينيين في الأردن من السكان عن أضعاف مثيلتها في لبنان.

ومشروع التوطين/التطبيع/التفتيت كل متكامل هو فحوى مشروع "الشرق الأوسط الجديد " وهو الشكل الذي سيأخذه بالضرورة مشروع التسوية في ظل موازين القوى الحالية. ونجد أن جميع المؤتمرات التي تبحث في قضايا اللاجئين تنظر إليها من زاوية "البعد الإنساني لقضية اللاجئين"،وليس من زاوية شعب له أرض أحتلتها إسرائيل وشردت أهلها ولذا نجد حضور

صهيوني مكثف ومن أهم المشاركون في مثل هذه المؤتمرات وذلك "من أجل إبقاء القضية ضمن إطارها الإنساني فقط".

فهم دائماً يركزون على الوضع الإنساني " للاجئين الفلسطينيين في لبنان والأردن وسوريا "، وعلى استعدادهم للمساهمة في الجهود الرامية إلى تحسين أوضاعهم. فما يعني طرح قضية اللاجئين ضمن إطارها الإنساني فقط إلا فرض المشروع الصهيوني وهو التوطين كبديل عن العودة؟! والعجب كل العجب أن يتفق العرب واليهود على مبدأ عدم التوطين في زمن الهرولة للتطبيع مع إسرائيل ولاسيما أن دعاة التطبيع في الآونة الأخيرة بدأوا في إرسال الدعوات لممثلي إسرائيل لحضور القمم الدولية وكأنما نجاح هذه القمم مرهون بحضور ممثلي إسرائيل وكل مؤتمر لايحضره ممثل عن إسرائيل لاينجح .

والمعيب في الأمر أن إسرائيل هي دائما أول من يكشف مايحدث في الخفاء ويبادر في الإعلان . شارون زار مصر لحضور مؤتمر شرم الشيخ وسوف يزور تونس ولاتمانع دول عربية أخرى بذلك والجميع يتكلم عن الحق الفلسطيني والشعب الفلسطيني والأرض الفلسطينية المحتلة ! فكل من يخطوا خطوة مع إسرائيل فهي من أجل فلسطين فالتطبيع من أجل فلسطين والتوطين من أجل فلسطين وإنسحاب سوريا من لبنان من أجل فلسطين والقرار 1559 من أجل فلسطين والحرب على العراق من أجل فلسطين ؟ اليس من العيب أن ترتبط جميع المسائل العربية والدولية بإسم فلسطين وتحت دعوى مساندة الشعب المظلوم ؟

حتى صدام عندما إحتل الكويت قال إن الطريق الى القدس يبدأ من الكويت وبن لادن يجاهد في أفغانستان من أجل فلسطين وعبدالله عزام عندما سئل لماذا الجهاد في أفغانستان قال إن الطريق الى القدس يبدأ من أفغانستان والكل يعرف أنه لم يتحقق شيئاً حتى الآن من أجل فلسطين حتى شارون لم ولن يقدم للعرب شيئا لا الان ولا في المستقبل ؟ لان شارون لديه مشروع جديد إسمه " التطبيع من أجل التوطين" .

والتوطين، مثل التطبيع ومشروع الوطن البديل، جزء متكامل من مشروع "الشرق الأوسط الجديد" الذي يستهدف ابتداء إضعاف، ومن ثم تفتيت، الدول العربية الكبيرة ومما تقدم ألا يستحق أن ينال شارون جائزة نوبل من أجل التطبيع ؟ .

مجلة فلسطين 12- مارس – 2005م

77 من يقول إفتح ياكارني إقفل ياكارني ؟

يعتبر معبر رفح الحدودي الممر الوحيد الذي يصل سكان قطاع غزة، بالعالم الخارجي، وهناك ثلاثة أطراف تعمل في هذا المعبر على خلاف أي معبر آخر في هذا الكون الفسيح فجميع المعابر تتحكم فيها طرفين ولكن هذا المعبر حالة شاذة فالمتحكم فيه طرف واحد وهي إسرائيل والذي يعمل فيه ثلاث جهات وهي إسرائيلية فلسطينية مصرية والجميع يعرف لماذا تصر إسرائيل على السيادة على الحدود وهذا يدل على أن الإحتلال سيبقى طالما تتحكم إسرائيل في الحدود وقد يصدق على الدولة الفلسطينية القادمة هي فقط دولة حكم ذاتي لا أقل ولا أكثر وسيبقى الإحتلال جاثماً على الأرض ليصبح أول قوة غاشمة، من نوعها، على مر التاريخ، تحبس الناس بالملايين، في مساحة جغرافية، يمكن تشبيهها بالمحميات الطبيعية التي يرتع فيها الإنسان من جنس الحيوان بالمفهوم الصهيوني .

وتم تقسيم فئات البشر حسب الفئة العمرية الى فئتين

أ- فئة أكبر من 35 عام

وهذه الفئة في الغالب لاتواجههم مشكلة من الجانب الإسرائيلي إلا عند الإغلاق الكامل لهذا المعبر لظروف أمنية ولكن فيما عدا ذلك فتكون المشاكل من الجانب العربي فهو الذي يوافق أو لايوافق لهم بمواصلة العبور الى الأراضي العربية إما لزيارة قريب أو لرحلة علاجية أوسياحية أو للقيام بتجارة وهناك من المآسي التي وقعت على الجانب العربي من الحدود والسبب مشترك إسرائيلي عربي فالكثير من الفلسطينيين لم يعودوا الى منازلهم إلا جثامين وهذه قصة المواطن الفلسطيني محمد حمدان مصطفى الشاعر الذي ظل ينتظر الفرج أياما طويلة لكي يتمكن من عبور معبر رفح إلى مدينة رفح الفلسطينية وتوفي في الجانب العربي من الحدود بسبب أزمة قلبية ألمت به وحتى الآن لايوجد مستشفيات تعني بمثل تلك الحالات ولم يتمكن هذا المواطن من العبور وهو حي ولكن وهو ميت من خلال نعش .

ب- فئة أصغر من 35 عام

وهذه الفئة تقوم إسرائيل من حين لآخر بفرض قيود عليهم ومنعهم من الخروج الى الجانب العربي أو الدخول من هذا الجانب ومن الغريب في الأمر أن المسؤولين الفلسطينيين عن المعابر يبتهجوا طرباً وفرحا عندما تتكرم إسرائيل وتقرر فتح المعبر ويدعي هؤلاء المسؤولين أن مشكلة منع الفلسطينيين ممن هم دون سن الخامسة والثلاثين عبر معبر رفح قد إنتهت وهم يعلمون أن ذلك لن يستمر طويلاً .

وتبدأ التصريحات إبتهاجاً بهذا الخبر لأن الجانب الإسرائيلي أبلغهم بذلك , ونبدأ بالضحك على أنفسنا بوصف ذلك بالخطوة الإيجابية في إطار جملة من التسيهلات التي اتفق عليها الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي ولكن في الواقع أننا نستجدي ذلك . ويبدأ التشديد عبر تصريحات صحفية على ضرورة ان يقوم الجانب الإسرائيلي بالعمل على منح الفلسطينيين مزيداً من التسهيلات كإعادة فتح المعبر للعمل 24 ساعة متواصلة كما كان الحال قبل انتفاضة الأقصى وعدم تحديد أعداد المسافرين وإنهاء مشكلة إجراء المقابلات مع الفلسطينيين أثناء دخولهم وخروجهم . إلا أن هذه التصريحات فيها نصائح للفلسطينيين مثل أن من لديه أي مشكلة أمنية مع الجانب الإسرائيلي أن لايسافر حتى لاتتخذ إجراءات من قبل الإسرائيليين ضدهم فإذا كان الأمر كذلك فماهو الدور الذي يقوم به الفلسطينيين أنفسهم .

وتتم المناشدة للجانب الإسرائيلي بمنح مزيد من التسهيلات وتشغيل هذا المعبر وكافةالمعابر بكامل طاقاتها لما له من فوائد إقتصادية تعود على القطاع والمعابر والسماح لعدد أكبر من الفلسطينيين للعمل داخل الخط الأخضر .

ويمكن تقسيم هذه الفئة العمرية الى قسمين كما يلي :

يحملون إقامات أو جوازات سفر عربية

ونأتي على الجانب العربي من الحدود ونقوم بتحليل مايحدث وماهي المعاملة التي يتلقاها أبناء فلسطين على الحدود في الطرف الآخر فمن يحمل إقامات سارية المفعول في بعض الدول العربية كونهم طلبة يدرسون في فلسطين وذويهم مقيمون في باقي الدول العربية ففي الغالب لاتوجد لديهم مشكلة إلا أنهم يعاملوا بطريقة الترحيل أي من المعبر الى موانيء

الحدود البرية أو البحرية أو الجوية ولايأتمنون على جوازات سفرهم وإنما يقوم شرطي بتسليم هذه الجوازات الى موانيء الحدود حتى تتم مغادرتهم فعلاً .

ولكن المشكلة الحقيقية هي للفئة التي إنتهت إقاماتهم ولكن يحملون جوازات سفر عربية أخرى غير الوثيقة المصرية أو جواز سفر السلطة ويرغبون في العودة الى ذويهم لتجديد إقاماتهم فهنا تقوم السلطات العربية بالسماح لهم على إعتبار أنهم يحملون جنسيات أخرى ولاتستطيع منعهم في هذه الحالة ولكن يعانوا من مشاكل إنسانية في التعامل وهنا نتساءل .

هل الجانب العربي لايتفهم المشكلة؟

هل الجانب العربي يتخوف من تخلفهم وتحمل أعباء ذلك ؟

هل من باب زيادة الضغوط وعدم رفع المعاناة ؟

هل هناك تنسيق مشترك مع قوات الإحتلال وأجهزته الإستخباراتية ؟

هل دخولهم يشكل خطر على الأمن القومي العربي وهم أبناء هذا الوطن ؟

هل لاتوجد من وراءهم منافع إقتصادية أو سياحية ؟

هل يعتقد الجانب العربي أن من بينهم عملاء أو رجال مخابرات ؟

هل من أجل عدم إحتكاكهم بقيادات عربية أو تنظيمات إرهابية ؟

لايحملون إقامات ولاجوازات سفر عربية

وهذه الفئة لاتسمح لهم السلطات لالدخول للجانب العربي بأي شكل من الأشكال وينطبق عليها نفس التساؤلات السابقة .

وبعد هذا التقديم والتقسيم لا ندري هل سيهتم المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان بالأمر ويجرؤ أحد ما برفع مذكرة واحدة وترسل الى أولي الأمر وأصحاب الحل والعقد في هذا العالم ويقال فيها أن هناك، في القرن الحادي والعشرين، وبسبب الجانبين الإسرائيلي والعربي " أن هناك جنس بشري يحتاج الى حماية دولية موجود بين شقي بلدة صغيرة، اسمها رفح يمر بأطول رحلة عبر التاريخ وهي أطول وأكثر مشقة وعذاباً من رحلات مكوك الفضاء , ويتمنى كل من تضرر بمشكلة فلسطين أن يساهم في دعم برامج الفضاء لتوطينهم في القمر حتى لايشكل أي منهم أي خطر على أمن إسرائيل ".

وهل تناول كتّاب الصحف الغربية حتى ولو من باب النصح والمشورة لأصحاب الحل والعقد سواء كانوا زعماء أوحكاماً أو مسؤولين تنفيذيين على سوء المعاملة التي يعاني منها الفلسطينيين أو من باب تسليط الأضواء على الديموقراطية العربية وإهتماماتها بحقوق الإنسان أو معاناة الفلسطينيين تحت حصار "ديموقراطية" إسرائيل التي تدمر حقوق الإنسان .

وهل راقبت منظمات حقوق الإنسان العلاقة بين النظرية والتطبيق وتابعت تصريحات المسؤولين ومن ضمنهم شارون وبين مايحدث على أرض الواقع وماهو موقف الأمم المتحدة من القيود المفروضة على الفلسطينيين فهناك الملايين في الشتات وهناك أكثر من ثلاثين ألف إنسان تنقطع بهم السبل عند معبر كارني ويفقدوا مصالحهم وحقهم الإنساني في التنقل وبعضهم يفقد حياته وكل هذا متوقف على كلمة واحدة من شارون عندما يقول " إفتح ياكارني إقفل ياكارني " .

مجلة فلسطين 17- مارس - 2005م

78 الفكر الصهيوني داخل العقل العربي

قد يستنكر بعض القراء هذا العنوان ولكن دعونا نغوص في أعماق بعض الأفكار الصهيونية التي نجد لها صدى كبير في بعض العقول العربية وبالتالي نجد المثقف العربي يخدم الفكر الصهيوني من حيث لايدري .

وهذا الفكر يمكن أن نعتبره ظاهرة غربية , عرقية , وإمبريالية , وإستعمارية وهو جزء لايتجزأ من الفكر الغربي الإمبريالي الذي لم يحصل على ماحصل عليه من مكاسب , ولم ينهب من ثروات الأمم إلا من خلال الحروب والإبادة والإحتلال بقوة الآلة العسكرية الغربية وبناء المستعمرات والقواعد العسكرية وحملات التطهير العرقي وليس من خلال المفاوضات والحديث العقلاني الهاديء وإن نادى بهذا الإتجاه بين الحين والآخر .

ففكرة معاداة السامية أي معاداة اليهود هي في الأصل فكرة صهيونية تبناها النازيون الألمان قبل أن تتبناها بعض العقول العربية . ودأبت الأفكار الصهيونية على الدوام بإتهام يهود المنفى , بالهامشية والشذوذ والعجز وأنهم لاخير فيهم وتبنت هذه الأفكار بعض العقول العربية فهي لم تميز بين الصهيونية وبين اليهودية .

مع العلم أن الوجود اليهودي في العالم الإسلامي لم يكن هامشياً , حيث تفاعلوا في محيطهم الحضاري وإصطبغوا به فأبدعوا من خلاله وإنخرطوا في سائر المهن والوظائف . ولهذا إنقلبت بعض المفاهيم في بعض العقول العربية تجاه الفلسطينيين لدرجة أن اللاجئين الفلسطينيين في المنفى أتهموا بالهامشية والعجز وأنهم لاخير فيهم لدرجة أن بعضهم يقول لو أن هناك أي خير فيهم لحرروا أراضيهم .

كما تبنت بعض العقول العربية الأفكار الصهيونية بجعل الوجود الفلسطيني في العالم العربي هامشياً ويحظر عليهم التفاعل في محيطهم الحضاري حتى لايندمجوا فيه ولايبدعون وحظر عليهم سائر المهن والوظائف . ولو نظرنا الى بعض الدول الأوروبية التي تتمتع بالحضارة الغربية نجد أن الوجود الفلسطيني في أمريكا وفي الغرب عموماً لم يكن أبداً هامشياً وإنما كان في صميم المجتمع الذي أسبغ عليهم صفة المواطنة من غير منه .

ويرى الصهاينة أن وجود اليهود في المنفى والشتات (أي خارج فلسطين) حالة شاذة وهكذا يتبنى بعض المثقفين العرب نفس الأفكار وبتحوير بسيط أي ينبغي أن يبقى الفلسطينيين في المخيمات كحالة شاذة حتى لايضيع حق العودة وكأنما المخيم هو الذي سيحفظ حق العودة . وقد إنعكست هذه الظاهرة سلباً على الفلسطينيين حيث ظهر إزدواج الولاء عندهم . فهم نظراً لإفتقادهم الى الوطن وشدة المعاناة في المخيمات فإنهم يضطرون الى أن ينتمي الواحد منهم الى مجتمعات غربية غريبة يحاول أن يندمج فيها ولهذا نجد أن الفلسطيني أكثر إندماجاً في المجتمعات الغربية عنه في المجتمعات العربية .

وفي نفس الوقت نجد أن نزعته الشرقية الإسلامية الحقيقية تستمر في التعبير عن نفسها رغم أنفه , فينقسم على نفسه وتتنازعه الولاءات المتناقضة . ولهذا ظهرت بعض الأفكار المعادية لعزل اللاجئين الفلسطينيين عن محيطهم العربي الحضاري والإجتماعي وينظرون إليهم من خلال نماذج دنيا يجب أن تعيش في مخيمات ليبقى الفقر يداهمهم حتى لاتقوى شوكتهم .

وهي في الواقع تخدم مصلحة الدولة الصهيونية فمن يتبنى هذه الأفكار داخل العقل العربي فقد تبنى الفكر الصهيوني من حيث لايدري .

ولو نظرنا الى النظام الديموقراطي الغربي نجد أن صنع القرار يتم من خلال مؤسسات الدولة الحديثة ويشارك أعضاء الجماعات منفردين أو مجتمعين في السلطة وعلى سبيل المثال يعد تعيين "مادلين أولبرايت" وزيرة للخارجية الأمريكية وهو يعتبر من أهم المناصب بل ثالث منصب من حيث الأهمية في الولايات المتحدة الأمريكية فهو تعبيراً صادقاً عن المساواة في المشاركة في السلطة .

ولهذا لن نستغرب كيف جاء "تيودور هرتزل" (1860-1904) الصحفي النمساوي اليهودي على رأس المنظمة الصهيونية بل مؤسسها والمهيمن عليها حتى وفاته , ولهذا لم تمنعه هويته النمساوية من تأسيس هذه المنظمة وفي هذا رد على التيار المنادي بالحفاظ على الهوية الفلسطينية .

هذا ولم يمنع إكتشاف نشاط الجاسوس الأمريكي اليهودي "بولارد" , من دعم أمريكا المستمر لدولة إسرائيل . هذا ولم تمنع الجنسية البولندية كل من "ديفيد بن غوريون" , و"مناحم بيجين" , و"شيمون بيريز" , و"إسحاق شامير" من الوصول الى قمة الهرم في دولة إسرائيل .
وكذلك لم تمنع الجنسية الروسية كل من "حاييم وايزمان" , و"فلاديمير جابوتنسكي" و"ليفي إشكول" من الوصول أيضاً الى قمة الهرم في دولة إسرائيل وكذلك لم تمنع الجنسية العربية التي كان يتمتع بها كل من "ديفيد ليفي" و"شاحل" من الوصول الى قمة الهرم في دولة إسرائيل والأمثلة على ذلك كثيرة من اليهود الذين لم يولدوا في إسرائيل وإنما كانوا يحملون جنسيات غربية ويتكلمون الإنجليزية أمثال "جولدا مائير" , "وموشيه أرينز" , و"مائير كهانا" و"أبا إيبان " الذين وصلوا أيضاً الى قمة الهرم في دولة إسرائيل .
وكما وجه الفكر الصهيوني النقد اللاذع لليهود وناقشوا المسألة في إطار نفع اليهود وهي عبارة عن مدى نفعهم للمجتمعات التي يوجدون فيها وهو منظور رفضهم وعدم قبولهم كبشر لهم حقوقهم الإنسانية المطلقة إذا لم يكن الواحد منهم نافعاً ومنتجاً بل يجب التخلص منه إن أصبح غير نافع وغير منتج وهي نظرة علمانية مادية تتساوى مع ماتطرحه الحضارة الغربية من أفكار غير إنسانية .
ومفهوم نفع الإنسان مفهوم محوري في فكر حركة الإستنارة نابع من الأفكار المادية البحتة وعند مقارنة وضع الفلسطينيين (في الشتات العربي وليس الغربي) بمثل تلك الأفكار نجد أن كثير ممن يحملون عقولاً عربية تنظر إليهم بنفس النظرة المادية غير الإنسانية , مستبعدين نظرية الجسد الواحد التي نص عليها الحديث الشريف بقوله (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .
وكأنما أصبحنا نحمل شعارات جميلة غير قابلة للتطبيق في هذا الزمن أما زمن المهاجرين والأنصار الذي آخى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بينهم قد ولى وأدبر . ومثال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار هو بحد ذاته رد على كل مثقف أو متملق ينادي بالحفاظ على حق

العودة بترسيخ عوامل الشتات الفلسطيني .. فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يقل للمهاجرين عيشوا في أطراف المدينة وفي مخيماتها حتى يثبت حقهم في مكة بعد أن هاجروا الى المدينة . وكان عمر بن الخطاب يعطى رجل يهودي أعمى من بيت مال المسلمين كصدقة، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور جاره اليهودي إذا مرض أما اليوم فهناك مسلمين لا سلام بينهم و لا يعرفون سوى لغة الاضطهاد والإقتصاد .

وأريد أن أتسائل هل هناك دولة عربية واحدة تعطي المقيم الفلسطيني العاجز المضطر أو المسن حق من الضمان الإجتماعي فيها ؟ أو تعطيه حق العلاج المجاني في مستشفياتها ؟ رغم أن هذا المقيم الفلسطيني كان في شبابه يخدم هذه الدولة أو تلك بما أوتي من قوة فأرحموا ضعفهم ليرحمكم الله .

وكثير من أصحاب العقول العربية تتعامل مع الفلسطينيين كما تعامل الفكر الصهيوني الغربي مع اليهود في العصور الوسطى حيث كان ينظر إليهم بإعتبارهم مادة بشرية تستقدم للمجتمع كي تستخدم وتقوم بدور أو وظيفة محددة , ويتم قبولها أو رفضها في إطار مدى النفع الذي سيعود على المجتمع من جراء هذه العملية بل وينبغي الحفاظ عليهم في المخيمات بسبب دورهم الذي يلعبونه في المنفعة الإقتصادية للدول التي تشارك في اللعبة السياسية .

ولكن هذا الوضع لن يستمر طويلاً بسبب التحولات العميقة التي يخوضها المجتمع العربي في ظل سياسة الإصلاح التي بدأت تعتمدها الدول العربية تجاه مواطنيها والمقيمين فيها والسياسات التي بدأت تطبق لمحاربة الإرهاب والعنف بعد الأحداث الأخيرة التي لم تستثن أي دولة عربية فجميع الدول العربية وقعت فيها حوادث إرهابية .

وهناك أسباب أخرى ومنها الدعوات المتكررة من أطراف عديدة لإعلاء الحرية والديموقراطية في العالم العربي بعد إحتلال العراق قبل أن يتكرر نفس السيناريو لإستخدام القوة لتطبيقها أو فرض النموذج الغربي على دول العالم العربي إذا نجحت الولايات المتحدة في تحقيق أهدافها في العراق .

ومن الأسباب أيضاً التأكيدات الأخيرة حول فرص السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين ولاسيما أن الولايات المتحدة ستساعد الطرفين على حد زعم بوش "إقامة دولتين ديمقراطيتين, إسرائيل وفلسطين, تعيشان جنبا إلى جنب بسلام" .

وقد يتحقق هذا السلام ولكن بصورة مؤقتة لأن الخلاف جذري وعميق فهو خلاف بين عقيدتين ومن أجل تثبيت قيام دولة إسرائيل كدولة يهودية وديموقراطية لذا لايمكن فهم تاريخ الحركة الصهيونية ولاتاريخ العداء لليهود أو للفلسطينيين إلا في إطار مفهوم المنفعة المادية البحتة التي يتمتع بها الفكر الصهيوني .

مجلة فلسطين 07-فبراير-2005م

79 قوانين الجنسية والحرب الأهلية

تعتمد قوات الإحتلال الإسرائيلي على سياسات غير عادلة في التعامل مع سكان الأراضي العربية منذ عام 1948م , ويتم ذلك بحجة التوازن في التركيبة السكانية بين العرب واليهود لصالح الدولة الصهيونية حتى يتم تغيير الهوية والثقافة وهو ماأصبح يعرف بالتغيير الديموغرافي ثم بدأت تتلاعب بقوانين الجنسية والتفرقة العنصرية على أساس العرق أو الدين أو المذهب أو العقيدة . (1)

وهي في الأساس تنفيذاً لتعليمات الحركة الصهيونية العالمية من إستمرار تدفق الهجرة اليهودية من جميع بقاع العالم للإستيطان في فلسطين وقوات الإحتلال لا تتورع عن استخدام أي سلاح معنوي أو تدميري من أجل كسب الحرب الديموغرافية, فهي تعتبر أن تكاثر السكان الفلسطينيين هو تهديد لأمنها, لذلك فإنها لا تترك وسيلة للحد من هذا التكاثر . (2)

وتعمد سلطات الدول المتجاورة في معظم أنحاء العالم بإستقطاب مجموعات من سكان الحدود وتقوم بمنحهم جنسيتها لكسب ودهم وهي ظاهرة عامة في معظم الدول إلا أنها تلاشت وإنتهت في أوروبا الموحدة ومازالت تعتبر من أهم أسباب النزاعات على الحدود بين كثير من الدول إذ تشكل بذور خلافات ماتلبث أن تكبر لتصبح مشكلة دولية يتم بموجبها رفع شكاوى الى محكمة العدل الدولية لفض مثل تلك النزاعات .

وبرأينا أن معظم قوانين الجنسية في دول العالم الأخير لاتخضع لمعايير تخدم الوطن وإنما تخدم مزاجية من بيدهم القرار . ومن هنا تنشأ التعديلات على أنظمة الجنسية في هذه الدول بإستمرار وهذه التعديلات تثبت بشكل قطعي أن صوت الشعب مغيب تماماً فما على أصحاب القرار إلا أن يصدروا توجيهاتهم وما على الجهات التنفيذية إلا إتباع التعليمات وتطبيق الأنظمة فهي قرارات شخصية إرتجالية واجبة التنفيذ لاتعتمد على معايير واضحة . (3)

والتعديلات على أنظمة الجنسية إرتبطت بقضايا الهجرة واللجوء في مختلف دول العالم فكان لهجرة الأشخاص والجماعات من بلد الى آخر إلتماساً لأحوال معيشية أفضل أو كنتيجة مباشرة للحروب أوالركود الإقتصادي .

ومن أهم نتائج الحروب بخلاف الضحايا والخسائر المادية والبشرية هي مشاكل الهجرة والمهاجرين واللاجئين وإرتبطت الهجرة أيضاً بالإضطهاد الديني أوالعرقي أو السياسي وهذا يعني إن مشاكل الهجرة لن تنتهي طالما أن هناك حروب أوإضطهاد ديني أوعرقي أوسياسي أو ركود إقتصادي .

ولكن يمكن التخفيف من الآثار السلبية بإعتماد أنظمة تنبثق من المفهوم الإسلامي لحقوق الإنسان والمساواة بين البشر وقيام كيان تكون فيه السيادة للدولة الراشدة ومؤسساتها المدنية ويلغى مفهوم القرارات المستبدة وإلغاء جميع أنواع التمييز بين البشر كما قال تعالى (يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير). (الحجرات ـ 13). (4)

لذا فمن المفيد إستحداث قوانين وأنظمة تضع حداً لكل شكل من أشكال التمييز وإنهاء الحروب ومشاكل الحدود والتركيز على التنمية الإقتصادية وتحقيق أحوال معيشية أفضل لسكان الدول .

إن الحاجة ماسة لتفعيل قوانين اللجوء التي تعتمدها كثير من دول العالم الأول , وهو حق حماية تمنحه الدولة في نطاق أراضيها للأجانب الذين يفرون إليها لحماية أنفسهم من جبروت وطغيان الأنظمة الحاكمة في دول العالم الأخير التي تعاني من الحروب والنزاعات العرقية والمذهبية وتعاني أيضاً من قوانين جائرة لاتتسم بالعدالة بين السكان ولا أقول المواطنين .

وتختلف قوانين الهجرة واللجوء من دولة الى أخرى , ومن الجدير ذكره بهذا الصدد أن الدول الغربية إستقبلت العديد من المهاجرين واللاجئين والكثير من حالات اللجوء السياسي ولكن ذلك تم بموجب أنظمة راقية تتعامل مع حقوق الإنسان ولاتغفل في نفس الوقت كيفية إستثمار الجانب الإنساني لمزيد من التنمية الإقتصادية والمجتمعية .

فهذه الدول تنظر الى ذلك من منظار تفاؤلي أما في الدول العربية فالمنظار دائماً تشاؤمي , وتركز دول العالم الأول عموماً على إستثمار هجرة العقول البشرية والإستفادة من الكوادر العلمية وتنميتها دعماً لمؤسساتها العلمية والمدنية والإقتصادية , وهناك أنظمة تقوم على تشجيع الهجرة إليها لمن يستطيع الاستثمار في مشروع أو تجميد ودائع مالية في بنوكها لدعم الإقتصاد الوطني .

أما دول العالم الأخير فتقوم بإقصاء العلماء والمثقفين المخالفين لتوجهاتها المختلفة وتهجير أصحاب هذه العقول الى الخارج ومن هنا يتضح إزدياد معدلات التنمية في الدول المتقدمة عنها في بقية الدول . التي تزداد تخلفاً وهذا مايجعل ملفات الهجرة في هذه الدول ملفات مفتوحة في أرشيف مغلق وتشكل أزمات والسبب أنها ليست دول يسود فيها العدل أو يتمتع كل من يعيش على ثراها بنفس الدرجة من الرعاية والإهتمام أوسرعة الإنجاز , وعليه تكون الهجرة قسرية ومتعمدة في أحيان كثيرة فالإنسان الحر يبحث عن الحياة الكريمة في أي مكان وهرباً من الإضطهاد أو الفقر أو الحروب . (5)

وفي معظم دول العالم الأخير يكون هناك تمييز واضح بين المواطنين أنفسهم عوضاً عن التمييز بين عدد آخر من السكان , فهناك بعض الدول تقوم بالتفريق بين المواطنين فهذا مواطن بالتجنس وهذا مواطن بالسلالة وعليه يحرم بعض المواطنين من العمل في وظائف معينة طبقاً لشروط محددة ومن أهمها أن يكون المتقدم لهذه الوظائف مواطن بالأصل والمنشأ والولادة ومن أبوين أصليين وهذا فرق واضح بين دول العالم الأول ودول العالم الأخير. (6)

ويبدوا أن ذلك من أهم الفوارق بين الديموقراطية الحقيقية والديموقراطية غير الحقيقية فالدول التي تتعمد إفقار بعض الفئات فيها أو حرمانهم من العمل والعيش أو محاربتهم في أرزاقهم أو إعطائهم أجور منخفضة أو حرمانهم من التعليم المجاني أو العلاج المجاني فهي دول لاتتمتع بأي نوع من الديموقراطية الحقيقية . (7)

إن من يحاول تخريب أو خلخلة الوضع الديموغرافي أو العبث به سيحقق نتائج كارثية من سوء عمله هذا , وتتمثل هذه النتائج في المذابح والفتن التي لن تنتهي من جيل الى جيل حتى يظهر الحق ويزهق الباطل ومثال جنوب أفريقيا أكبر دليل ففي جنوب أفريقيا التي

حكمها البيض عنوة وإستطاع النظام العنصري ما يقارب القرن البقاء بسلوك طريق التمييز والمجازر ضد المواطنين الأصليين مصّرا على تغيير تركيبة وهوية البلد لكنه لم يستطع البقاء طويلا وتم إنقاذه عبر استلام السود للسلطة بعد صراع طويل وسفك دماء , وهي بشرى تاريخية لأهل فلسطين المجاهدين والمرابطين الى يوم الدين . (8)

وهذا يعني أن تغيير أو خلخلة أو تخريب الوضع الديموغرافي القسري سيزيد الوضع الطائفي سوءا وسيضاعف من الشعور بالحقد والغبن والاضطهاد الذي تحرمه جميع الأديان السماوية والأعراف والقوانين الدولية وهي الشرارة التي بها تشتعل نيران الحروب الأهلية أوالطائفية أو الإنتفاضات الشعبية .

المصادر والمراجع

1- مركز غزة للحقوق والقانون ،الأبعاد القانونية لبناء جدار الفصل العنصري الإسرائيلي في الضفة الغربية ، نوفمبر 2003 .

2- موقع مستقبليات , التسلح النووي الإسرائيلي .

3- موقع قناة العربية , 12 فبراير 2005م، 04 محرم 1426 هـ , السنة الأولى، اليوم 356 .

4- القرآن الكريم سورة الحجرات الآية (13) .

5- رسالة النور , متى نحرر المسجد الأقصى .

6- كتاب التجنيس والتغيير , عبدالله مؤمن , الطبعة الأولى 2002م-1423هـ .

7- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني , الفقر في فلسطين .

8- كتاب التجنيس والتغيير , عبدالله مؤمن , الطبعة الأولى 2002م-1423هـ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 12-فبراير-2005م

80 في إنتظار الزوال .... تعويضات متداعية

إن لعملية السلام العربية - الإسرائيلية تأثيراً بعيد المدى على نظرة العرب داخل اسرائيل الى مسألة الهوية وعناصرها. ويمكن القول ان مسألة القومية الفلسطينية تحمل في نظرهم طابعاً اسرائيلياً محلياً، وان الحركات والتيارات السياسية العربية تتمحور حول النضال من أجل المساواة المدنية، والمسائل القومية على الصعيد الداخلي في قضايا مثل أملاك الوقف، ومشكلة اللاجئين في وطنهم (أي السكان الذين تم تدمير قراهم في حرب عام 1948 وظلوا داخل اسرائيل ولكن تم ضمهم لقرى أخرى)، ومسألة الأراضي العربية المصادرة. ويتم ذلك مع ازدياد حجم التنازلات التي تقدمها السلطة الفلسطينية عن أربعة ثوابت أساسية وهي المطالبة بإزالة كل المستوطنات، وتنفيذ حق العودة للاجئىن، والسيادة الفلسطينية على القدس الشرقية، واقامة الدولة الفلسطينية على جميع الأراضي الفلسطينية التي احتلت في حزيران (يونيو) عام 1967.

وهناك أهمية قصوى لعدم التعامل مع اليهود المتعصبين بأي شكل من الأشكال، ولا سيما انهم بدأوا مرحلة التفكير في الانسحاب من قطاع غزة من طرف واحد، أي لا يريدون التعامل معنا إلا بما يخدم مصالحهم فقط. وبناء على ما يفكرون به، وما يعملون من أجله، علينا ألاّ ننخدع مرة أخرى بقيادات اسرائيلية جديدة تكون مرنة في التعامل مع جيرانهم العرب. ولكن كل الأمل يذهب أدراج الرياح عندما يصطدم بالمصالح المادية والأمنية. فعلى رغم قوة اسرائيل الا انها تتخيل حجم الدول العربية المجاورة لها من ناحية العدد والعدة بعد السلام المنتظر. فينتابها القلق والخوف لأنها دولة احتلال، ومصيرها الى زوال. كمن يظلم يكون لديه إحساس قوي بالخوف من جراء ما ظلم. وكذلك هم يؤمنون بأنهم زائلون. ولا أحد منا، ولا منهم، يعرف متى هذا الزوال.

والحكومة الصهيونية عقدت اجتماعات سرية في شأن التفكير بمطالبة العرب بدفع تعويضات عن ممتلكات اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل. فهي تعتزم مطالبة حكومات العراق ومصر واليمن والمغرب والبحرين بما لا يقل عن 55 بليون دولار نظير ممتلكات المهاجرين والديون

التي تركها اليهود بعد هجرتهم الى فلسطين. والسؤال هو: هل تستطيع أن تثبت اسرائيل ذلك؟ وهل هي بحاجة لمثل هذا الاثبات؟ بعدما اقتنعت بعض القيادات العربية بدفع تعويضات لهم بعدما فتحوا باب التعويضات على مصراعيه. وهل الدول العربية تمتلك ما يثبت عكس ذلك ببيع اليهود لممتلكاتهم قبل الهجرة الى فلسطين؟ وكيف لبلد مثل العراق الآن أن يثبت بيع اليهود لممتلكاتهم، بعد كل هذا الدمار الذي لحق به تحت شعار تحرير العراق، والبحث عن أسلحة الدمار الشامل. وفي أعمالهم ما يثبت عكس أقوالهم. فالهدف غير المعلن هو تدمير العراق تدميراً شاملاً حتى يتمكن اليهود من المطالبة بالتعويضات المستحقة عن ممتلكات اليهود المزعومة. فهي تعادل كما يدعون 03 في المئة من حجم التعويضات المطلوبة من العالم العربي.

وعندما تنجح اسرائيل في مطالبة العراق بالتعويضات، ستنجح في تشكيل سابقة خطيرة لمطالبتها بالتعويضات المزعومة لدى بقية الدول العربية. كما هو الحال مع ليبيا عندما وافقت على دفع تعويضات لضحايا الطائرة الأميركية، لرفع الحظر عنها. واضطرت، تحت عصا «الفيتو» الفرنسي، الى الموافقة على دفع تعويضات لضحايا الطائرة الفرنسية. كذلك مطالبة المانيا بتعويضات عن ضحايا الملهى الليلي في المانيا. وهي، أقصد المانيا، أجبرها اليهود على دفع تعويضات مقدارها 4 بلايين دولار لأسرى يهود عملوا فيها خلال الحرب العالمية الثانية. وبهذا المبلغ تكون المانيا قد دفعت 240 بليون دولار كتعويضات لقاء ما عاناه اليهود خلال العهد النازي. ولا أحد ينظر الى ما عاناه العراقيون والفلسطينيون خلال العهد الغازي الأنغلو أميركي للعراق.

صحيفة الحياة اللندنية 01-12-2004م

81 هل يحق لمجلس الأمن أن يقرر اين يدفن عرفات ؟

يروج الإعلام الإسرائيلي معلومات مفادها أنهم يعرفون عن حالة عرفات الصحية أكثر من أطبائه الذين أقنعوه بضرورة نقله إلى المستشفى لأنهم لم يستطيعوا تشخيص حالته , وكأن الطب بدأ عاجزاً عن تفسير الحالات المرضية للزعماء وبدأ الذهول يسيطر على بعض الأطباء وأنهم قاب قوسين أو أدنى من مرحلة اليأس التي عاشها المقربين من عرفات خلال الأيام القليلة الماضية لدرجة أنهم بدأو بمقايضة حياة عرفات بما تبقى للمقايضة من قضية فلسطين المستعصية على الحل وهي أمام جميع الأروقة والمؤتمرات وكأن إستمرارية المفاوضات تبدأ بالبحث في حياة عرفات أولاً ومن ثم بعد ذلك تبدأ صافرة إطلاق الماراثون المحموم وخصوصاً بعد إنتهاء الإنتخابات الأمريكية وتدخلت أطراف عديدة لكي يتجاوز عرفات حالة الغيبوبة التي لازمته فترة من الوقت وكان عنوان هذه المفاوضات "الترياق" مقابل "عدم العودة" ويبدوا أن هذه المفاوضات بدأت تؤتي ثمارها عندما بدانا نسمع على لسان أكبر المسؤولين أنه ليس في غيبوبة وجميع هذه التصريحات تؤكد على عدم معرفة مايعاني منه على وجه الدقة .

وبدأت الإشاعات تطفوا على السطح إن ماحصل لعرفات هو حالة من التسمم الشديد وهو مايشبة الحالة التي تعرض لها خالد مشعل في الأردن قبل عدة سنوات من قبل عملاء إسرائيليين ولكن هذه المرة تريد وسائل الإعلام على التأكيد أن من قام بهذا العمل هم من المقربين من عرفات والهدف من هذا الكلام هو التركيز على خيانة المقربين لقائدهم أي بمعنى أوسع خيانة الشعب لقائده ورئيسه وتهدف مصادر هذه الأخبار الى ضرورة اللجوء الى إسرائيل على إعتبار أن المادة السامة مصدرها من إسرائيل وتم التشبيه بين الغيبوبة التي تعرض لها خالد مشعل والتي حيرت الأطباء حينها ولم تزول هذه الغيبوبة إلا بعد تزويد معالجي خالد مشعل بترياق طبي مضاد للمادة السامة، حيث أفاق مشعل من الكوما المحيرة حال حقنه بالعلاج المضاد للتسمم في دمه .

ولن تنتهي علاقة الإسرائيليين مع ياسر عرفات التي تزودنا بمواد إعلامية غنية للنشر تفرز حقداً وكراهية بين الشعبين لعدم حلحلة القضية وليبقى الصراع أزلي غير قابل للحل .

وبشهادة كثير من الكتاب والصحفيين أن عرفات ليس محبوباً في إسرائيل وأظهرت وسائل الإعلام بعض المتشددين اليهود يتقبلون التهاني عند سماعهم أخبار غير دقيقة تحدثت عن وفاة الرجل ، وإن كان اليسار الصهيوني لازال يعتقد أن عرفات هو الأداة الضرورية من أجل إقناع الشعب الفلسطيني بقبول التسوية بالشروط الإسرائيلية . وتورد بعض الأحزاب الإسرائيلية مقولة أنه تم إنقاذ عرفات بعد حرب الكويت لغرض فرض الشروط عليه .

وكان الثمن سلطة في الضفة الغربية بدل جهاز في تونس، وبساطاً أحمر في واشنطن وفتح أبواب البيت الأبيض وحتى جائزة نوبل وغيرها.

وهنا يرغب الإسرائيليون بالتأكيد على فرضية تسميم طعام عرفات ، بعد إقرار مستشفى بيرسي لذوي عرفات ومرافقيه بوجود مركب كيميائي سام في دماء عرفات من الصعب معرفة ماهيته، ,وستتم عملية المقايضة بترتيبات فرنسية يتم بموجبها قيام إسرائيل (الموساد) بتزويد المستشفى بترياق طبي مضاد للمركب السام في دم عرفات مقابل إتمام عملية المقايضة السرية . ولاسيما أن اليهود لهم سجل حافل في مجال دس السم منذ عهد الرسول (ص) الى وقتنا الحاضر , وذكرت الأنباء الواردة من إسرائيل عبر أحد أعضاء الكنيست الإسرائيلي الذي أكد إحتمال فرضية وضع السم لعرفات في طعامه وعلى إثر ذلك طالب بعض الأعضاء بإجراء تحقيق فوري في الأمر حتى لاتؤدي هذه الأقوال الى سفك مزيد من الدماء .

وأعلن وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي أنه سيصدر تعليمات للشرطة للبدء في التحقيق في أقرب وقت ممكن . ولكن هناك فرضية يجري الحديث عنها في إسرائيل وهي أنه في الغالب سيتم فصل أجهزة التنفس الصناعية عن عرفات يوم الثلاثاء المقبل وأنه سيتم تشييع جثمان الفقيد يوم الجمعة ولهذا السبب قرر أحمد قريع وأبومازن السفر الى باريس للإطلاع على حقيقة الوضع الصحي عن كثب رغم عودة محمد دحلان من باريس .

ومع ذلك تحولت الآمال المعلقة الى كراهية عميقة شخصية لياسر عرفات، بسبب عدم تفريطه بقضية القدس والاجئين . وبعد فشل «كامب ديفيد» فتح اليمين الإسرائيلي باب التحريض على مصراعيه ، الإسرائيليون يكرهون عرفات ويتمنون له الموت علناً. وتزداد الكراهية طبعاً الى درجات غير مألوفة لأنه تصرف عكس ماهو متوقع منه، وهذا بحد ذاته

أهم سبب للكراهية ولهذا السبب سمعنا في الأخبار أنباء كثيرة عن ضرورة إبعاد عرفات لأنه أصبح شخص غير مرغوب فيه .

وهناك إتصالات مصرية مع الإسرائيليين في محاولة لحلحلة الموقف الإسرائيلي الرافض لمسألة دفن عرفات في القدس في حالة وفاته ، رغبة في تنفيذ وصيته التي أدلى بها عكرمة صبري مفتي فلسطين . وهنا نتسائل ولماذا تتدخل المراجع الدينية بالحديث عن أحقية دفنه في القدس؟وهل آن أوانها ؟ وماهي المبررات التي سيقت ؟ إنهم قالوا إن القدس مسقط رأسه وأنه يحتفظ بمجسم للقدس في غرفة نومه ، في مقره في المقاطعة- وأنها أرضاً فلسطينية بموجب القرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة، وهناك من يقول " ليس من حق إسرائيل أو غيرها منع دفن الرئيس عرفات في مثواه الأخير الذي اختاره ".

وإذا كان هذا الكلام صحيحا فهل تملك السلطة الفلسطينية اي قوة لإجبار إسرائيل على تنفيذ الوصية . بالطبع لا والدليل على ذلك لقد كان الرجل يحلم أن يصلي في القدس ولكن ماهي النتيجة هل صلى بالقدس بعد إتفاقيات أوسلوا أم لم يصلي بها من الواضح أنه لم يتمكن من الصلاة في القدس لماذا ؟ لأنه إذا صلى بالقدس فهذا يدل على إعتراف من إسرائيل بشكل أو بآخر بموضوع القدس ، لكن الحلم ظل يراوده يوميا وهو الأمل الذي بقي يعيش من أجله صحيح أن القدس بالنسبة لعرفات كانت خطا أحمر في المفاوضات التي خاضها مع الإسرائيليين والأمريكيين علي مدى السنوات الماضية، ورفض تقديم أي تنازل بخصوصها، وهو الأمر الذي أغضب الأمريكيين في مفاوضات كامب دافيد الثانية التي رعاها الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون ، وأدى إلي التراجع الملحوظ في العلاقات الفلسطينية- الأمريكية . ومعظم خطاباته السياسية كان دوما يتحدث فيها عن القدس وضرورة استعادتها، ليس فقط لأسباب دينية عقائدية ولكن أيضا لأنها أرض فلسطينية بموجب قرار مجلس الأمن 242 الذي نص على انسحاب إسرائيل الكامل إلى حدود الرابع من يونيو 1967.

انتقلت الأزمة التي تواجهها الدول العربية من تنفيذ وصية الرئيس عرفات بدفنه في القدس، إلي المكان الذي سيخصص لتلقي العزاء فيه وهو الذي ستحدد طبيعة ومستوى المشاركين في تقديم العزاء، فيما اقترح بعض المثقفين المصريين تخصيص مبنى الجامعة العربية في وسط

القاهرة لتلقي العزاء في الرئيس الفلسطيني والقضية التي عجز المجتمع الدولي عن إيجاد حل يستند إلى الشرعية الدولية وقرارات مجلس الأمن الدولي الصادرة، وحتى مبدأ الأرض مقابل السلام.

وتناولت الاتصالات العربية - الفلسطينية الجارية الآن موضوع ترتيبات انتقال السلطة الفلسطينية، والمكان الذي سيكون المثوى الأخير للرئيس الفلسطيني في ضوء الاتصالات التي يجريها العرب والفلسطينيون مع الجانب الإسرائيلي.

ولكن من المرجح أن يتم دفن الرئيس الفلسطيني في غزة إلى مدفن عائلته في غزة بجوار والدته وأخته أم ناصر .

ولكن المهم الآن بالنسبة للدول العربية هو مسألة إنتقال السلطة الى طرف غير الجماعات الإسلامية وإقصاء حركتي حماس والجهاد من إحتلال مواقع تقدمية على طريق الإستحواز على السلطة ويتمثل ذلك بدعم موقف اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح . وأصبح من الواضح الحديث الآن عن استراتيجية وطنية موحدة توحد الخطاب والقرار الفلسطيني، "وإيجاد خطة سياسية لتثبيت الموقع الفلسطيني خاصة بعد إعادة انتخاب الرئيس الأمريكي جورج بوش", وكذلك إقرار الكنيست الإسرائيلي لخطة فك الارتباط وقانون الإخلاء والتعويض . وطبيعي أن تقوم الجماعات الإسلامية بطلب تشكيل زعامة جماعية فلسطينية بصورة فورية لملء أي فراغ يحدث في حال وفاة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

على أن تضم الزعامة الجماعية الفلسطينية جميع المنظمات الوطنية والإسلامية الفلسطينية بما في ذلك حماس وحركة الجهاد الإسلامي .ولو أخذنا ردود الفعل الدولية حول الأزمة الراهنة سنجد أن الدول الأوروبية تؤكد على صعوبة المرحلة السياسية التي تمر بها فلسطين مع غياب الرئيس ياسر عرفات، وأن هذه المرحلة الحرجة تتطلب الوقوف والمساندة الدولية للفلسطينيين لعبورها.

ولاسيما أن الإنتخابات الأمريكية إنتهت بفوز من وعد بقيام دولتين فلسطينية وإسرائيلة تعيشان بسلام وإنهاء الصراع التاريخي في المنطقة . ولكن الواقع الجديد يفرض على إسرائيل أن تقرر لنفسها قواعد سلوك جديدة ومختلفة عن السياسات السابقة سواء العسكرية منها

أو التكتيكية والعودة الى المفاوضات مع السلطة الوطنية حتى تفوت الفرصة امام منظمتي حماس والجهاد الإسلامي للسيطرة على الأرض ومن هنا سيكون التدخل لفرض محمد دحلان الرجل القوي في قطاع غزة لمنع الزعماء المحليين من السيطرة الكاملة على الوضع الأمني المتدهور . وهدف إسرائيل أيضاً من وجود قيادة جديدة هو مكافحة ماتسميه الإرهاب ومايسميه العرب بالمقاومة المشروعة والهدف الآخر هو وقف تهريب السلاح والتحريض ضد إسرائيل بمساعدة القانون الأمريكي الجديد لمحاربة من يعادي السامية والهدف الثالث هو إثبات خطأ الإدعاء الذي يقول أن "عرفات وحده يمكنه أن يصنع سلاما حقيقيا مع إسرائيل" حتى تجذب قوى عربية لمفاوضات السلام عبر مؤتمر إقليمي دولي نادت به امريكا وأطراف أخرى لتحريك عملية السلام .

ولم يبقى في ظل الأزمة الراهنة إلا صدور قرار من مجلس الأمن أين يدفن عرفات ومن يتولى قيادة الشعب الفلسطيني من بعده .

مجلة فلسطين 10-نوفمبر -2004م

82 وصية نستقرأها من تاريخ عرفات

الكل يعلم أنّ الرئيس ياسر عرفات هو مركز القيادة والسلطة هذا القائد من أبناء قبيلة العمّـــاريّة ، التي انتسب إليها "أبو عمّـــار" عندما ترك للتاريخ اسمه الحقيقي .. محمد عبد الرحمن عبد الرؤوف القدوة ، ولم تتمكن أمريكا بكل قوتها وجبروتها من نزع هذه الشرعية عنه ولم تتمكن ربيبتها إسرائيل من فعل الشيء نفسة فهو الرقم الصعب في المعادلة السياسية الدولية حول قضية الشرق الأوسط .

ورغم أن هذا الرئيس منتخب ديموقراطياً إلا أنه يملك السلطة والقيادة وجميع أوراق اللعبة الفلسطينية فهو بلا منازع صانع التاريخ الفلسطيني الحديث , وسيبقى هو القائد الرمز في حياته وسيكتب التاريخ ذلك بعد وفاته وما كان يتمتع به عرفات لن يتكرر للزعماء والقادة الفلسطينيين على الأقل في عصرنا هذا ويعود ذلك إلى شخصيته القيادية التي أقنعت الفلسطينيين بأنه رغم الأخطاء التي حصلت أثناء فترة قيادته الطويلة إلا أنها أخطاء أملتها ظروف السياسة الدولية التي حاك مؤامراتها ضده الكثير فهو بلا شك له خصوم سواء من داخل بيئته أو من خارجها فهو المحارب القديم وعلى عدة جبهات ويكفينا الحقد الدفين الذي يبديه من حين لآخر أعداؤه فهو يتمتع بالسلطة والنفوذ والقيادة إستخدمها بكفاءة عالية.

ومهما يقال عن الفساد وسوء الإدارة في بعض هياكل السلطة إلا أن عرفات بما يملكه من التجربة المبنية على المعرفة التاريخية والسياسية لأسباب الصراع العربي الإسرائيلي أكدت أنه إستخدم سلطاته بذكاء ودهاء سواء في زمن الحرب أو زمن البحث عن السلام وماكان ينقص عرفات فعلاً هو إلتفاف الشعب الفلسطيني حوله بكل فصائله وأشكاله السياسية ولكن بكل أسف شعبنا هم كالصقور تجدهم فرادى وكأنهم كلهم قادة وهذا هو سر الضعف ولو توحدوا وإجتمعوا لما ضرهم من خذلهم وهذا هو الوتر التي تلعب عليه إسرائيل منذ زمن طويل ويكفينا فخراً من هذا الزعيم أنه أسس منظمة التحرير وإنتزع الإعتراف الكامل في جميع المحافل الدولية عربية كانت ام إسلامية ام دولية رغم التجاذبات السياسية على

الساحة الدولية عبر تاريخ القضية وهذا يزيدنا قناعة بإن بقاء عرفات على رأس الهرم والقيادة سيزيد من فرص هزيمة شارون رغم إمكانياته ورغم قوة سلطانه والدولة العظمى التي تناصرة ضد هذا الشعب الأعزل لتجريد الزعيم الفلسطيني من سلطاته وصلاحياته .

ولكن هذا المناضل بقي شامخاً ضد كل المؤامرات داخلية كانت أم خارجية وبهذا نخلص الى القول أن الزعماء يصنعون المجد لأنفسهم ولأمتهم وبذلك هم يصنعون التاريخ ولايصنعهم التاريخ فهم المؤثرون وما التاريخ إلا مرآة نشاهد فيها ماصنعوا وما سيكتبه التاريخ هو وصف تام لجميع الأقوال والأعمال والأحداث التي صنعوها هؤلاء الزعماء والقادة وماهي إلا بصمات يتركوها محفورة في صفحات التاريخ المشرق لهذه القضية العادلة التي سينتصر أصحابها يوما ما !

فالقضايا العادلة حتماً ستنتصر وهذا مايدركه شارون قبل غيره ومن الصعب أن نفهم أن من يحوز على جوائز السلام كيف يوصم بالعقبة في طريق السلام وهو الذي قدم التنازلات من أجل هذا السلام , سلام الشجعان كما يحلو للقائد أن يصفه فهو صانع السلام ورغم ذلك فالمتشددون اليهود قتلوا رابين الطرف الآخر في عملية السلام من الجانب الإسرائيلي وكان يحلوا للقائد القول عنه شريكي في عملية السلام .

ومن الغريب أن راعي الإرهاب شارون هو الذي يقرر لصانع السلام عرفات بمغادرة مقره المحاصر في رام الله لتلقي العلاج خارج الوطن . ولكن إنظروا في المقابل مايقوله أبناء فلسطين إحتفاء بصانع السلام من كل شبر من فلسطين التي رفعت راياتها نودعك أيها القائد فلتهنأ بشعبكَ العظيم الوفيِّ المرابط ولتقرَّ عيناً بمن سيدخل المسجدَ معكَ أو من بعدك إنه وعد الحق وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلو تتبيرا هذا الوعد مازال قائما لفئة لا تزالُ تجاهد في سبيل الله أبناء الجبارين المجاهدين الصابرين سيكتب لهم إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة , هم على الطريقِ للقدسِ مجاهدين لاعلاء كلمة الدين وليدخلوا في فلسطين بالملايينْ على خطاك رجال من المؤمنينَ .

لقد بكيت حين شاهدتك لأول مرة بدون الكوفية المرقطة والنظارات سوداء , أو البزة العسكرية الكاكية , هذه الكوفية رمز هذا الشعب من زمن العهدة العمرية الى زمن قائد الثورة الفلسطينية .

أيها القائد ماذا قالوا عنك ؟ فعندما عقدت العزم على تفجير الثورة قالوا عنك مجنون، وعندما قاومت السيطرة على الثورة سجنوك ، ولما اشتد عود الثورة إتهموك بالتوريط للعرب عندما إنطلقت رصاصتها مدوية بقرار فلسطيني مستقل حتى أتهموك بالتفريط بالقضية ووحدة الامة ، لماذا ؟ لأنك إخترت التوقيت للانطلاقة بعيدا عن التنسيق العربي المفقود . وبقيت الوحيد الشامخ كالطود لا تهزه الريح أو كما يحلوا لك أن تقول ياجبل مايهزك ريح . ، واتهموك بتصدير الثورة وتنفسوا الصعداء مرات عديدة منها عندما خرجت من عمان وبيروت وعندما سقطت طائرتك في الصحراء الليبية وأمثال تلك الأحداث لدينا منها الكثير ؟.

كان بطلا في الحرب شجاعاً مقداماً وبطلاً عندما قرر أن يخطوا في طريق السلام وحدد هدف الإستقلال بالمفاوضات ونأمل من الله أن تتحول المنظمة الى دولة وتبقى القدس عاصمة لهذه الدولة ليعود إليها اللاجئين .

ورغم مرور الثورة بعدة أطوار وأشكال ومراحل تتغير وتتبدل حسب الظروف السياسية ولكنها تتواصل ولم تتوقف , فلم يستسلم للضغوطات الدولية نهائيا، لكنه لم يرفض كل ما عرض عليه , اشتهر أكثر من فلسطين نفسها لكن بفضلها، حيث كان الناس يقولون "عرفات فلسطين وفلسطين عرفات " وهذا تأكد لي في أكثر من مناسبة عندما زرنا العديد من دول العالم يسألون من أين أنت كنت أقول من فلسطين فيقولون آه عرفات ، لقد ساهم بنفسه ومعه رفاق دربه في تكريس تلك الصورة عربيا ودوليا. فلا عجب أن القضية مرتبطة بإسم عرفات , انه بطل يصنع الأحداث ولا يتوانى عن الإقدام أو المخاطرة وخاض مجازفة الحرب بإعلان الثورة، وخاض مجازفة التسوية بالدخول في مسار السلام , ولم يسلم من منتقديه الذين يتهمون ويشككون .

رغم أنه كان رمزاً في معركة الكرامة وكان رمزاً في معركة الصمود في بيروت وكان رمزاً في إنتزاع القرار الوطني المستقل وكان رمزاً في الأمم المتحدة عندما حذر قائلاً لاتجعلوا غصن الزيتون يسقط من يدي .ولانستطيع حصر مئات المبادرات والنجاحات والانتصارات التي صنعها هذا القائد العظيم الذي لايمكن تجاوزه حتى يُكمّل المشـوار الذي خطـاه ، ويواصل مسيرة نضاله التي بدأهــا منذ نعومة أظفاره ، ونذر لها نفسه ، وارتهن لها حيـــاته . ومنذ فترة بعيدة تسائل كثيرون ماذا بعد عرفات ؟ وعاد هذا السؤال يطفو على السطح من جديد إثر مرض نقل على إثره للعلاج إلى فرنسا وليس غريباً أن يجيب على هذا السؤال كل كاتب أو صحفي أوسياسي وفقاً لما تمليه علية أهوائه وطموحاته أو أهدافه أو تنبؤاته فالكاتب والسياسي والصحفي الإسرائيلي سيتصور ماهو مناسب لأهوائه ويتخيل أن رحيل عرفات سيكون صداماً فلسطينياً لأنهم يرغبون ويؤملون هذا ومنهم من شطح ابعد من هذا بالقول بعد عرفات ستبدأ في المناطق حرب أهلية تعزز البنية التحتية للإرهاب, وربما تنهار أجهزة السلطة الفلسطينية ويتطلب الأمر تدخلا دوليا " .

أما بعض الكتاب العرب أدلوا بدلوهم ايضاً عبر تخيلاتهم حينما قالوا " أن الأمور ستئول من بعد عرفات إلى المؤسسات الفلسطينية سواء التشريعية أو التنفيذية, " وهذا شيء جميل ولكن عندما إستطردوا وقالوا " فاللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كانت ولازالت لجنة صورية، جسد بلا روح، بيت بلا جدران، غرفة من زجاج، شاهد زور،" فقد ظلموا أبناء جلدتهم بحجب الثقة عنهم من خلال عبارات تصور المؤسسات الفلسطينية سواء التشريعية او التنفيذية بصورة غير حقيقية .

كثيرون هم الذين ينطلقون في تحليلاتهم لما سيكون بعد عرفات من هذه النظرة السوداوية التي تفضي بالنهاية إلى نتائج عكسية . ولكن هناك فئة أكثر منهم من يعتقد أن ما بعد عرفات سيكون هو عهد الاستقرار والهدوء الداخلي الفلسطيني, حتى أنهم وصفوه بعهد الإجماع الفلسطيني , بمعنى انه قد يكون العهد الذي سيظهر للوجود القيادة الموحدة, أو المرجعية الوطنية للسلطة التي تحدث عنها الجميع ونادت بها كافة الفصائل الفلسطينية

خلال حوارات عدة جرت فيما بينها . وكأنما يؤكدون من غير قصد ان عرفات هو مازال عقبة في سبيل الدولة الفلسطينية .

وعندما تسمع تصريحات من هنا وهناك تجد التناقض يلف كثير من الامور فعند سفر الرئيس للعلاج قال مساعدوه إنهم يسيرون الأمور عبر المؤسسات الدستورية والشرعية ولايوجد فراغ سياسي من جراء سفر الرئيس وفي المقابل هناك تصريحات أخرى تقول إن سفره المفاجيء أحدث نشوء فراغ قيادي لا بد لنا من الاعتراف بنشوئه حيث لابد من الإسراع بإعادة ترتيب أوضاعنا بشكل افضل ، وتوحيد صفوفنا ، لمواجهة التطورات التي تنتظرنا ، والتي يأتي في مقدمتها - خطة شارون الأحادية الجانب ، وبدأوا يتخيلون الصور القائمة من جراء هذا الغياب القسري وكأنهم يريدون ان يرثوا الرجل وهو لازال حي يرزق .

وهم بهذا الإسقاط يسقطون من أعين أعدائهم قبل اصدقائهم . ونحن بمقالنا هذا نعلم اننا لن نرضي هذا الطرف ولاذاك ولكن أستطيع القول مطلوب منك ياعرفات أن تصدر أوامرك بقيام مجلس حكماء يتولى تصريف الأمور لحين إتضاح الرؤية وأن تعمل قاسماً مشتركاً بين جميع المنظمات والفصائل الفلسطينية ولو على شكل وصية وأن تضع آلية لملىء الفراغ الذي قد يحدث مستقبلاً لتبني دولة المؤسسات والقانون لادولة الفصائل والمنظمات التي لم تتجاوز الخلافات وتصفية الحسابات .

صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية 09-نوفمبر-2004م

83 إسرائيل لاتريد التعامل معنا إلا بما يخدم مصالحها

لعدم التعامل مع اليهود المتعصبين بأي شكل من الأشكال أهمية قصوى ،ولاسيما أنهم بدأوا مرحلة التفكير في الانسحاب من قطاع غزة من طرف واحد أي لا يريدون التعامل معنا إلا بما يخدم مصالحهم فقط, وبناء على ما يفكرون به وما يعملون من أجله فإسرائيل ومن خلال قراءاتنا لصحافتها وما يفكر به زعماؤها يدعونا الأمل إلى أن لا ننخدع مرة أخرى بقيادات إسرائيلية جديدة تكون مرنة في التعامل مع جيرانهم العرب ولكن كل هذا الأمل يذهب أدراج الرياح عندما يصطدم بالمصالح المادية والأمنية.

فرغم قوة إسرائيل إلا أنها تتخيل حجم الدول العربية المجاورة لها من ناحية العدد والعدة بعد السلام المنتظر فينتابها القلق والخوف لأنها دولة احتلال ومصيرها إلى زوال كمن يظلم يكون لديه إحساس قوي بالخوف من جراء ما ظلم وكذلك هم يؤمنون بأنهم زائلون ولا أحد منا ولا منهم يعرف متى هذا الزوال وعودة على ما يفكر به اليهود تجاه جيرانهم فإن هذا يدعونا للنظر والتأمل فيما يقال ويكتب في صحافتهم فمثلا خرجت علينا صحيفة يدعوت احرونوت بالقول إن الحكومة الصهيونية عقدت عدة اجتماعات سرية بشأن التفكير بمطالبة العرب بدفع تعويضات عن ممتلكات اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل فهي تعتزم مطالبة حكومات العراق ومصر واليمن والمغرب والبحرين بما لا يقل عن 55 مليار دولار نظير ممتلكات المهاجرين والديون التي تركها اليهود بعد هجرتهم لفلسطين .

والسؤال الآن هو هل تستطيع أن تثبت إسرائيل ذلك ؟ وهل هي بحاجة لمثل هذا الإثبات بعدما اقتنعت بعض القيادات العربية بدفع تعويضات لهم بعد ما فتحوا باب التعويضات على مصراعيه. وهل الدول العربية تمتلك ما يثبت عكس ذلك ببيع اليهود لممتلكاتهم قبل الهجرة إلى فلسطين ؟ وكيف لبلد مثل العراق الآن أن يثبت بيع اليهود لممتلكاتهم بعد كل هذا الدمار الذي لحق به تحت شعار تحرير العراق والبحث عن أسلحة الدمار الشامل وفي أعمالهم ما يثبت عكس أقوالهم بأن الهدف غير المعلن هو تدمير العراق تدميراً شاملا حتى

يتمكن اليهود من المطالبة بالتعويضات المستحقة على العراق عن ممتلكات اليهود المزعومة في العراق فهي تعادل كما يدعون 30% من حجم التعويضات المطلوبة من العالم العربي.

وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي ما هو دور إسرائيل في حرب أمريكا على العراق ؟ أليست هي المستفيدة الوحيدة من هذه الحرب ؟ وهي المستفيدة من استمرار أعمال العنف بل والحرب الأهلية التي تخطط لها في العراق , فهي من ناحية أضعفت إحدى قوى المواجهة وأهم القوى في وجه إسرائيل في المنطقة وكذلك ستطالب بتعويضات طالما المحتل أنجلو أمريكي. كما استلمت التعويضات عن الصواريخ التي سقطت على إسرائيل أثناء حرب الخليج الثانية عند تطبيق سياسة النفط مقابل الغذاء ودفع التعويضات.

وعندما تنجح إسرائيل في مطالبة العراق بالتعويضات ستنجح في تشكيل سابقة خطيرة لمطالبتها بالتعويضات المزعومة لدى باقي الدول العربية.

كما هو الحال مع ليبيا عندما وافقت على دفع تعويضات لضحايا الطائرة الأمريكية لرفع الحظر عنها واضطرت تحت عصا الفيتو الفرنسي إلى الموافقة على دفع تعويضات لضحايا الطائرة الفرنسية وكذلك مطالبة ألمانيا بتعويضات عن ضحايا الملهى الليلي في ألمانيا وهي أقصد ألمانيا التي أجبرها اليهود على دفع تعويضات مقدارها 4 مليارات دولار لأسرى يهود عملوا فيها خلال الحرب العالمية الثانية وبهذا المبلغ تكون ألمانيا قد دفعت 240 مليار دولار كتعويضات لقاء ما عاناه اليهود خلال العهد النازي ولا أحد ينظر إلى ما عاناه العراقيون والفلسطينيون خلال العهد الغازي الأنجلو أمريكي للعراق .

لقد كتبت صحيفة يدعوت احرونوت عن موشيه شاحال المكلف حاليا بملف التعويضات اليهودية في العراق فهو يمتلك ملفات عقارية وبنكية تثبت حقوق عدد من المهاجرين اليهود الذين تركوا ممتلكاتهم وأموالهم في العراق. فلم ينفعهم المثل القائل إن أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا وهذا هو سر التمرد اليهودي بعينه على من أكرمهم وأحسن إليهم ولكن ينطبق عليهم المثل القائل اتق شر من أحسنت إليه .

ولم يكتف اليهود بالتعويضات من ألمانيا بل امتدت إلى البنوك السويسرية التي وافقت عام 1998م على دفع تعويضات عما دعي بالفوائد المترتبة على ممتلكات اليهود في البنوك السويسرية بمبلغ وقدره 1250 مليون دولار.

وكذلك أقرت واعتمدت السلطات النمساوية مبلغ 800 مليون دولار لتعويض اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد النازي خلال الحرب العالمية الثانية.

ومما تقدم فهل سنكون أقوى من الدول السالفة الذكر في مقاومة المكر والدهاء اليهودي والتي دفعت التعويضات وكانت أمام حكومات إسرائيلية أضعف من حكومة "أرييل شارون" وهي الحكومة الوحيدة من بين الحكومات الإسرائيلية التي وافقت على حملة استعادة أموال اليهود في الدول العربية بداية بالعراق ثم ليبيا ثم مصر ثم تفرط حبوب السبحة دولة دولة بلا استثناء.

ومما تناقلته الأنباء بهذا الخصوص أيضا أن الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون" كان أول من أثار قضية الأموال اليهودية المتروكة في الدول العربية حينما بحث هذه المسألة مع الرئيس المصري حسني مبارك والفلسطيني ياسر عرفات واقترح إقامة صندوق دولي خاص برئاسة أوروبا وأمريكا لتعويض يهود الدول العربية. وسينفذ هذا المشروع إذا تسلم مهام الأمين العام للأمم المتحدة بعد انتهاء ولاية كوفي عنان والمرشح لها كلينتون بقوة.

وما تسعى إليه إسرائيل في قضية استعادة الأموال اليهودية المتروكة في العراق بصفة خاصة سيكون على إلغاء قوانين التأميم التي صدرت في ظل حكم الرئيس العراقي المخلوع "صدام حسين"، حيث إن إلغاء التأميم سيضفي الشرعية على طلبات استعادة الأموال اليهودية بالعراق وهو الأمر الذي دعا الإدارة الأمريكية لترشيح أحد اليهود في صياغة القانون والدستور العراقي الجديد.

وقبل أن يستتب الأمن في العراق لابد من دفع وإعادة الممتلكات اليهودية في جميع أرجاء العراق، ولكن بهدوء ودون ضجة إعلامية. فهل بعد كل ما تقدم نستطيع أن نقول ما ضاع حق وراءه مطالب.

صحيفة الوطن السعودية , العدد 1493 بتاريخ 31-10-2004م

84 تقاطع المصالح .. يهدد ... قبة الصخرة

لقد تبنى العرب مواقف إستراتيجية ومؤلمة ومحورية لم تكن اصلا واردة في خلد قادتهم منذ زمن بعيد وهذه المواقف نشرت من خلال المبادرة العربية لحل مشكلة الصراع العربي الاسرائيلي وهو صراع دام أكثر من خمسة وخمسون عاماً وكأننا نراوح مكاننا في هذا الصراع والعرب في موقف لايحسدون عليه اليوم بعد قيام أمريكا بالحرب على الإرهاب فان هم ساعدوا جيرانهم واخوانهم في اللغة والدين اتهموا بالارهاب وان هم لم يساعدوهم جاءهم تأنيب الضمير وكما هو معروف ان رضا الناس غاية لاتدرك ولهذا السبب يجب على الانسان ان يعمل ما يمليه عليه الواجب والمصلحة الوطنية غير عابئ بما يقوله الناس ولكن هل تناسى العرب مايحاك ضد المقدسات الإسلامية التي تدخل في صلب النزاع اليهودي العربي الإسلامي ؟

وما يحاك ضد المقدسات الإسلامية هو ما يؤمن به اليهود المتدينين وهو أنهم يعتبرون قبة الصخرة رجساً ينبغي إزالته لبناء الهيكل الثالث مكانها كما حاول فعل ذلك أعضاء التنظيم اليهودي ويشاركهم في هذا التوجه مايفكر به المتعصبين المسيحيين بإتجاه هدم قبة الصخرة . أي تقاطع للمصالح يهدد مقدساتنا الإسلامية ؟ .

أن لعملية السلام العربية الإسرائيلية تأثيراً بعيد المدى على نظرة العرب داخل إسرائيل حيال مسألة الهوية وعناصرها ويمكن القول بأن مسألة القومية الفلسطينية تحمل في نظرهم طابعاً إسرائيلياً محلياً, وأن الحركات والتيارات السياسية العربية تتمحور إلى جانب النضال من أجل المساواة المدنية حول المسائل القومية على الصعيد الداخلي في قضايا مثل أملاك الوقف ومشكلة اللاجئين في وطنهم (أي السكان الذين تم تدمير قراهم في حرب عام 1948 وظلوا داخل إسرائيل ولكن تم ضمهم لقرى أخرى) ومسألة الأراضي العربية المصادرة .

ويتم كل ذلك مع إزدياد حجم التنازلات التي تقدمها السلطة الفلسطينية عن أربعة ثوابت أساسية وهي المطالبة بإزالة كل المستوطنات وتنفيذ حق العودة للاجئين والسيادة

الفلسطينية على القدس الشرقية وإقامة الدولة الفلسطينية على جميع الأراضي الفلسطينية التي احتلت في يونيو (حزيران) عام 1967م .

وبعد هذه المقدمة أبدأ الحديث عن أهمية عدم التعامل مع اليهود المتعصبين بأي شكل من الاشكال ولاسيما أنهم بدأوا مرحلة التفكير في الإنسحاب من قطاع غزة من طرف واحد أي لايريدون التعامل معنا الا بما يخدم مصالحهم فقط , وبناء على مايفكرون به وما يعملون من أجله فاسرائيل ومن خلال قراءاتنا لصحافتها وما يفكر به زعماؤها يدعونا الأمل أن لاننخدع مرة أخرى بقيادات اسرائيلية جديدة تكون مرنه في التعامل مع جيرانهم العرب ولكن كل هذا الامل يذهب ادراج الرياح عندما يصطدم بالمصالح المادية والامنية فرغم قوة اسرائيل الا انها تتخيل حجم الدول العربية المجاورة لها من ناحية العدد والعدة بعد السلام المنتظر فينتابها القلق والخوف لأنها دولة إحتلال ومصيرها الى زوال كمن يظلم يكون لديه إحساس قوي بالخوف من جراء ما ظلم وكذلك هم يؤمنون بأنهم زائلون ولا أحد منا ولامنهم يعرف متى هذا الزوال وعودة على مايفكر به اليهود تجاه جيرانهم يدعونا للنظر والتأمل فيما يقال ويكتب في صحافتهم فمثلا خرجت علينا صحيفة يدعوت احرونوت بالقول ان الحكومة الصهيونية عقدت عدة اجتماعات سرية بشأن التفكير بمطالبة العرب بدفع تعويضات عن ممتلكات اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل فهي تعتزم مطالبة حكومات العراق ومصر واليمن والمغرب والبحرين بما لايقل عن 55 مليار دور نظير ممتلكات المهاجرين والديون التي تركها اليهود بعد هجرتهم لفلسطين . والسؤال الان هو هل تستطيع أن تثبت اسرائيل ذلك ؟ وهل هي بحاجة لمثل هذا الإثبات بعدما إقتنعت بعض القيادات العربية بدفع تعويضات لهم بعد ما فتحوا باب التعويضات على مصراعيه . وهل الدول العربية تمتلك مايثبت عكس ذلك ببيع اليهود لممتلكاتهم قبل الهجرة الى فلسطين ؟ وكيف لبلد مثل العراق الان أن يثبت بيع اليهود لممتلكاتهم بعد كل هذا الدمار الذي لحق به تحت شعار تحرير العراق والبحث عن أسلحة الدمار الشامل وفي أعمالهم مايثبت عكس أقوالهم بأن الهدف غير المعلن هو تدمير العراق تدميراً شاملا حتى يتمكن اليهود من المطالبة بالتعويضات المستحقة

على العراق عن ممتلكات اليهود المزعومة في العراق فهي تعادل كما يدعون 30% من حجم التعويضات المطلوبة من العالم العربي .

وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي ماهو دور اسرائيل في حرب امريكا على العراق ؟ اليست هي المستفيدة الوحيدة من هذه الحرب ؟ وهي المستفيدة من إستمرار أعمال العنف بل والحرب الأهلية التي تخطط لها في العراق , فهي من ناحية أضعفت أحدى قوى المواجهة وأهم القوى في وجه اسرائيل في المنطقة وكذلك ستطالب بتعويضات طالما المحتل أنجلوأمريكي . كما إستلمت التعويضات عن الصواريخ التي سقطت على إسرائيل أثناء حرب الخليج الثانية عند تطبيق سياسة النفط مقابل الغذاء ودفع التعويضات .

وعندما تنجح اسرائيل في مطالبة العراق بالتعويضات ستنجح في تشكيل سابقة خطيرة لمطالبتها بالتعويضات المزعومة لدى باقي الدول العربية .

كما هو الحال مع ليبيا عندما وافقت على دفع تعويضات لضحايا الطائرة الامريكية لرفع الحظر عنها واضطرت تحت عصا الفيتو الفرنسي بالموافقة على دفع تعويضات لضحايا الطائرة الفرنسية وكذلك مطالبة المانيا لتعويضات عن ضحايا الملهى الليلي في المانيا وهي أقصد ألمانيا التي أجبرها اليهود على دفع تعويضات مقدارها 4 بلايين دولار لأسرى يهود عملوا فيها خلال الحرب العالمية الثانية وبهذا المبلغ تكون المانيا قد دفعت 240 بليون دولار كتعويضات لقاء ماعاناه اليهود خلال العهد النازي ولا أحد ينظر الى ماعاناه العراقيين والفلسطينيين خلال العهد الغازي الأنجلوأمريكي للعراق .

ان ماكتبته صحيفة يدعوت احرونوت عن موشيه شاحال المكلف حاليا بملف التعويضات اليهودية في العراق فهو يمتلك ملفات عقارية وبنكية تثبت حقوق عدد من المهاجرين اليهود الذين تركوا ممتلكاتهم وأموالهم في العراق . فلم ينفعهم المثل القائل إن أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا وهذا هو سر التمرد اليهودي بعينة على من أكرمهم وأحسن إليهم ولكن ينطبق عليهم المثل القائل إتق شر من أحسنت إليه .

ولم يكتفي اليهود بالتعويضات من المانيا بل امتدت الى البنوك السويسرية التي وافقت عام 1998م على دفع تعويضات عما دعي بالفوائد المترتبة على ممتلكات اليهود في البنوك السويسرية مبلغا وقدره 1250 مليون دولار .

وكذلك أقرت واعتمدت السلطات النمساوية مبلغ 800 مليون دولار لتعويض اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد النازي خلال الحرب العالمية الثانية .

ومما تقدم فهل سنكون أقوى من الدول السالفة الذكر في مقاومة المكر والدهاء اليهودي والتي دفعت التعويضات وكانت أمام حكومات اسرائيلية أضعف من حكومة "إريل شارون" وهي الحكومة الوحيدة من بين الحكومات الاسرائيلية التي وافقت على حملة استعادة أموال اليهود في الدول العربية بداية في العراق ثم ليبيا ثم مصر ثم تفرط حبوب السبحة دولة دولة بلا إستثناء .

ومما تناقلته الانباء بهذا الخصوص أيضا أن الرئيس الامريكي السابق "بيل كلينتون" كان أول من أثار قضية الاموال اليهودية المتروكة في الدول العربية حينما بحث هذه المسألة مع الرئيس المصري حسني مبارك والفلسطيني ياسر عرفات واقترح إقامة صندوق دولي خاص برئاسة أوربا وأمريكا لتعويض يهود الدول العربية. وسينفذ هذا المشروع إذا تسلم مهام الأمين العام للأمم المتحدة بعد إنتهاء ولاية كوفي عنان والمرشح لها كلينتون بقوة .

وما تسعى اليه اسرائيل في قضية استعادة الأموال اليهودية المتروكة في العراق بصفة خاصة سيكون على إلغاء قوانين التأميم التي صدرت في ظل حكم الرئيس العراقي المخلوع "صدام حسين"،حيث ان الغاء التأميم سيضفي الشرعية على طلبات استعادة الأموال اليهودية بالعراق وهو الامر الذي دعا الادارة الامريكية لترشيح احد اليهود في صياغة القانون والدستور العراقي الجديد .

وقبل ان يستتب الامن في العراق لابد من دفع واعادة الممتلكات اليهودية في جميع أرجاء العراق ، ولكن بهدوء ودون ضجة إعلامية. فهل بعد كل ماتقدم نستطيع أن نقول ماضاع حق وراءه مطالب .

صحيفة الصباح الفلسطينية 27-أكتوبر -2004م

85 قنبلة ذرية ووقودها النووي من ظهور الفلسطينيين

ان مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي ستصنعه الأسرة الفلسطينية القادرة على الإنجاب عملاً بقول المصطفى " تكاثروا تناسلوا فإني مباهي بكم الأمم يوم القيامة" وهذه المراة الفلسطينية القادرة على الإنجاب هي القادرة بحول الله على إنتاج القنبلة الذرية ووقودها النووي من السائل المنوي في مفاعلها النووي أي رحمها القادر على الحمل والإنجاب لكسب الحرب الديموغرافية بعيداً عن المراقبة الدولية ومحاربة الإرهاب والبحث عن اسلحة الدمار الشامل فلم يبقى لهم إلا النسل ليمنعوه ويحددوه ولو فطنوا لذلك فسيمنعوه عبر قرار أممي ويتبناه مجلس الأمن كما تبنى بوش قانون معاداة السامية فهو الآن يحارب على عدة جبهات منها الحرب على الأرهاب والحرب على من يعادي السامية والحرب في العراق والحرب في أفغانستان والحرب ضد إمتلاك إيران السلاح النووي والحرب ضد إمتلاك كوريا السلاح النووي والحرب لخروج القوات السورية من لبنان لتمكين إسرائيل من الإلتفاف على لبنان والحرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية بحجة إقفال منابع تمويل الإرهابيين لدرجة أصبح من يساهم في حملات تفطير الصائمين يشك بأن أمواله ستذهب الى الإرهابيين وكذلك كفالة اليتيم وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم وعود على ذي بدء حول المرأة الفلسطينية القادرة على الإنجاب والقادرة على تعويض سيل الشهداء من أمثال الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبدالعزيز الرنتيسي وإسماعيل أبوشنب ومحمود هنود والمهندس يحيى عياش وغيرهم كثير والإستشهاديات من الفتيات أمثال دلال المغربي وزينب أبوسالم ودارين أبوعيشه وهنادي جرادات وآيات الأخرس وغيرهن كثيرات فقوافل الشهداء مازالت تسير وكان آخرها القائد البارز في كتائب القسام الشهيد البطل عدنان الغول و معه مساعده الشهيد البطل عماد عباس . وواضح من حملة الإغتيالات الاسرائيلية لتصفية قيادات الجماعات والمنظمات الإسلامية حيث ان جميع الحركات الإسلامية تعتبر أن الارض الفلسطينية هي أرض إسلامية مقدسة وسيطرة اليهود عليها تدنيس لها . أما توجهات السلطة والعرب عموماً هي في قبول

حق إسرائيل في الوجود ونفي اللاجئين من الوجود , وهذا هو الفارق بين توجهات السلطة الوطنية ومن يدعمها وتوجهات الجماعات الإسلامية ومن يحاربها ويغتال كوادرها .

ويستعد الجيش الإسرائيلي لإستدعاء الجنود الاحتياط والقيام بحملة تجنيد لقوات من جيش الاحتياط الإسرائيلي , لتقييم الأوضاع ولضرورة تدعيم قوات الجيش الإسرائيلي في المناطق الفلسطينية بحجة منع وقوع عمليات وسيتم في مرحلة اولى تجنيد خمس ألوية , فيما يتوقع أن يتم في المرحلة الثانية تجنيد عدد أكبر من جنود الاحتياط ربما كان هذا هو الهدف المعلن أما الهدف غير المعلن فربما يكون إستعداداً لشن حرب واسعة النطاق خارج حدود إسرائيل التي تريد من وراء ذلك تنفيذ مخططات قديمة لديها وهي ما تعارف علية بخطة الترانسفير لترحيل الفلسطينيين بإتجاه دول عربية لإعادة ترتيب وتقسيم المنطقة بالتعاون مع دول أخرى تريد الهيمنة على ثروات المنطقة وخصوصاً بعدما تجاوز سقف برميل البترول ال 50 دولار , ولكن قضية التوسع الإسرائيلي في الأرض محفوفة بالمخاطر ولا تشكل عنصر ضغط لأن إسرائيل تبحث عن سكان وليس عن إحتلال مزيد من الأراضي فلربما هذا هو المانع من إحتلال مزيداً من الأراضي العربية وهي قادرة على ذلك في ظل الصمت العربي الرهيب . وهنا نتسائل فلماذا لايكون العرب أذكياء إستعداداً ليوم المواجهة الكبرى عندما تتمدد إسرائيل وتكبر لتحقيق الحلم من الفرات الى النيل ولكن الخوف الذي لايزال يعشش في رؤوسنا حسب نظرية القرود الخمسة وهو خوف بعض العواصم العربية من ان يصبح التوطين امرا واقعا نتيجة رفض اسرائيل القاطع لعودة اللاجئين الفلسطينيين وأصبح العرب بعد مقاومتهم لفكرة التجنيس كمن هو صائم وأفطر على بصلة .

وكان الهدف المعلن هو تفويت الفرصة على اسرائيل! وعدم منحها خدمة جليلة مجانية تتمثل في اعفائها من مسؤولية احتلال فلسطين وتشريد اهلها والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل باقي هناك أمل في قرارات الامم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين ؟ أم سيتغير النص الى تجنيس اللاجئين في الدول التي هاجروا إليها وليس عودتهم الى الدولة التي هاجروا منها ولاسيما أن هناك لاجئين بالهوية ولكنهم في حكم المواطنين فنشأتهم وولادتهم وولاءهم

للأرض التي وجدوا عليها ولهذا السبب المواليد اليهود في فلسطين لايمكن طردهم خارجها فلماذا المواليد الفلسطينيين في الدول العربية لايتمتعون بجنسيتها .

لهذا السبب ينبغي على القيادة الفلسطينية التركيز على مقاومة الإحتلال من داخل الأراضي المحتلة وتنسى مقاومة تجنيس اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية لأنها لن تستطيع تأمين الحصول على المقاتلين والدعم كلما احتاجت لذلك . وكفى هؤلاء العيش في مخيمات منذ الخمسينات وحتى الآن بإنتظار أمل العودة وتعتبر المخيمات حلاً مؤقتاً ريثما يتم تحرير الأرض والقضاء على إسرائيل وضحك علينا زعماؤنا كثيراً عبر خطابنا الإعلامي في البحر حنرميهم بل على العكس تماماً فهم الآن يفترشون شواطئنا للراحة والإستجمام والفلسطينيون في المخيمات لاتعرف أن تنام , ولازلنا نعتبر مخيمات اللاجئين حلا عربيا مؤقتا, لحين عودة الفلسطينيين الى بلادهم . ولم يجر اتخاذ اي اجراء او ترتيب اي حق انساني او قانوني او اجتماعي او اقتصادي سياسي لهؤلاء . اللاجئون انفسهم اقتنعوا بعدم جدوى أحلام العودة الى مدنهم وقراهم في فلسطين, وبدأ يتلاشى في قلوبهم الحنين الى الوطن .واسرائيل بالمقابل تكبر, تتوسع, تقوى وتستقبل مئات الآلاف والملايين من المهاجرين امام ناظريهم أما الفلسطينيين لا يزالون في مخيماتهم . ويبحثون عن هجرة جديدة بعدما فقدوا الحماية والوقوف الى جانب قضيتهم بعد توقيع إتفاقيات السلام مع إسرائيل والإنشغال في الحرب على الإرهاب .

ولا أدري لماذا يشغل المسؤولين في الدول العربية بالهم بقضية اللاجئين وكأن أراضي الدول العربية لاتوجد بها مساحة كافية لإستقطاب اللاجئين او حتى لإستثمارها وزراعتها ومن ثم حمايتها من الأطماع الخارجية .

ويا زعماء وقادة الدول العربية أناشد ضمائركم الحية بالتخفيف عن معاناة هذا الشعب سواء شعب الشتات أو شعب الداخل فشعب الشتات يعيشون أسوأ مراحل حياتهم في مخيماتهم . وإنني أذكركم بأن الفلسطينيين في الدول العربية أقل إحتراماً من السائح الاسرائيلي وهو الذي سلب ارضه ويدافع عما سلب بقوة ولذلك فأنتم تحترمونهم بقوة , ومسؤوليتنا نحن أصحاب الأقلام الحرة أن نضع الخطوط الحمراء بأقلامنا التي تجري على الورق من مداد دمائنا ليس لنا حول ولاقوة إلا هذا القلم وذاك اللسان ونعلن جرأة القول

لأننا نعيش على هامش الأحداث لذا ينبغي أن لانخفي الحقيقة عسانا نساهم بإنقاذ مايمكن إنقاذه ليصحوا الضمير النائم من سباته وليس ذلك على الله مستحيلاً أما شعب الداخل فليس لهم معين غير رب العالمين فإسرائيل ترميهم بقنابل وصواريخ وندعوا الله أن يرميهم بحجارة من سجيل فوعده الحق وقوله الصدق وبه نؤمن وعليه نتوكل وإليه ننيب . فالفلسطينيون منذ اللجوء عام 1948م هربوا من المجازر "الاسرائيلية" برحلة البحث عن الذات ولكن هيهات , فمن حرمان التوظيف والعمل، ثم مروراً بالحرب الأهلية وما أصابهم من نكبات إلى أن اجتاحهم العدو الصهيوني عام 1982م بقيادة شارون والمجازر التي ارتكبها هذا المجرم بحق المخيمات، ثم رحيل المقاومة عن لبنان وانتقال كوادر المنظمات الى تونس مروراً بإتفاقية أوسلوا ليستدرجهم شارون مرة أخرى بالعودة فكأنهم على موعد مع مجازر شارونية جديدة ضد البشر والشجر والحجر والمخيمات في فلسطين لاتقل فظاعة عن مجزرة دير ياسين على مرأى ومسمع العالمين فهي حرب إبادة غير مسبوقة عبر التاريخ ومازال الجزار ينحر والعرب تتقهقر وتتأخر . وها هم فلسطينيوا الشتات في الدول العربية يعيشون نسياً منسياً ووضعهم جامد لايتحرك يعيش تحت طائلة ظلم التاريخ وظلم أبناء جلدتهم من العرب أجمعين الذين بعدوا عن الدين هذه الأمة العربية التي لم تنصفهم ولم تتنبه لأهمية وجودهم ومشاركتهم في الحياة الإقتصادية والإجتماعية حتى يحين موعد رحيلهم أو يأتيهم اليقين قبل العودة الى فلسطين!

صحيفة إيلاف الإلكترونية 23-أكتوبر-2004م

86 اللاجئين ... خيمة وكوفية

إن من يدرس التاريخ يتوصل الى حقائق مذهلة حول موضوع دراسته وإن كان التاريخ من الماضي إلا أنه بداية طريق الحاضر والمستقبل وفي هذا المقال سننشر حقائق يجوز للرأي الآخر الرد عليها أو عدم قبولها ولكن ذلك لن يغير من التاريخ شيئاً ولهذا يتهم بعض المؤرخين بتزوير التاريخ وتشويه الحقائق ورغم ذلك نستطيع أن نستخلص العبر .

هذه الحقائق بمجرد البوح بها وإنتشارها سينفث ضباباً وإشعاعات لاتقل خطورة عن الإشعاع المتسرب من مفاعل ديمونة ولن أبدأ الحديث عن مفاعل ديمونة التي لايشك عاقل في مدى خطورته على بيئة المنطقة وسكانها وخصوصاً أن عمره الإفتراضي كما يدعي الخبراء قد إنتهى أو على وشك الإنتهاء .

ولاأريد أن أستفز عقل القاريء العربي بما سيتولد لديه حتماً من مفاهيم جديدة عن القضية الفلسطينية التي تسمى بالقضية المركزية أو قضية الشرق الأوسط أو الصراع العربي الإسرائيلي ، وستسد رمق الكثير من علامات الاستفهام القابعة في أذهان البعض وربما غيرت شيئاً من المفاهيم عن القضية برمتها , إستناداً الى المثل القائل " مصائب قوم عند قوم فوائد " وهو السر أيضاً في تبني القوى العظمى سياسة فرق تسد ولم يكن العراق يعلم أنه أكل يوم أكلت فلسطين على غرار إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

ولن أنظر الى المخاوف ! فقد تكون أعلى بكثير من تصوراتي ! وتخميناتي ! وتوقعاتي! ... أعذرني أيها القاريء لم أعد أقوى على التركيز في محاولة لقياس أبعاد تلك المخاوف . ولنبدأ بنزوح العديد من اللاجئين الى الدول العربية المجاورة بعد حرب عام 1967م وقيام دولة عربية بمنح جوازات سفر لكل النازحين إلى أراضيها في الوقت الذي منحت دول عربية أخرى للنازحين إلى أراضيهم وثائق سفر اللاجئين وهناك فرق بين جواز السفر ووثيقة السفر. فمثلا من لديه وثيقة سفر لا تخوله دخول الدولة التي أصدرتها إلا بموافقة أمنية أو تأشيرة دخول أي لايعتبر مواطن عربي وبالتالي لاحقوق أما حامل جواز السفر الإسرائيلي يحق له دخول بعض الدول العربية بكل وجل ! (نتائج كامب ديفيد أو الإتفاقيات العربية الأسرائيلية الأخرى) .

وفي عام 1972 طرحت دولة عربية مشروعٍ المملكة العربية ، ولكن لم يرى هذا المشروع طريقه الى النور ، واستمر الوضع السابق حتى 31 يوليو 1988 حين أعلنت قرار شهير سمي بقرار فك الارتباط والعلاقة القانونية والإدارية ، الذي جاء استباقاً وتمهيداً لعملية التسوية التي كانت تبحث من وراء الكواليس لمنح اللاجئين كيان يعودون إليه وهي خدعة كبرى وقعت فيها معظم الأطراف العربية (بداية تحييد الصف العربي والمجازر ضد هذا الشعب) .

ومن هنا نخلص إلى القول أن العرب لم يتفقوا يوما واحدا على مشروع يخدم قضيتهم المركزية أو تتوحد جهودهم كما اتفقوا على عدم تجنيس اللاجئين أو توطينهم أو منحهم أي حقوق ليبقوا لاجئين ويطلبوا لهم المساعدات من وكالات غوث وتشغيل اللاجئين ليستفيد الكل منها , فالجامعة العربية أصدرت القرار الرقم 1547 عام 1959، الذي طالب بالحفاظ على الهوية الفلسطينية. وجاء القرار، قبل أن تنشأ منظمة التحرير ولكن ! إستمر العمل به خوفاً من أن تقوى شوكتهم وليس خشيةً من أن تذوب هويتهم .

وعندما تذوب الهوية الفلسطينية فستقطع المساعدات الدولية الممنوحة لهم تلقائياً وسينتهي دور كثير من الأطراف المستفيدة من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والدليل على مانقول هو الصمت العربي إزاء مايجري الآن في فلسطين على الأقل منذ إندلاع إنتفاضة الأقصى مروراً بمجزرة جنين الى الإجتياحات المتكررة الى الإغتيالات الى هدم المنازل على الحدود المصرية الى مجزرة جباليا الى عملية أيام الندم وفعلا سيندم العرب كثيراً على الصمت الرهيب , ولكن الغريب في الأمر أن أهم المسؤولين في المنظمات الفلسطينية يحملون الجنسيات المختلفة هم وعائلاتهم لأنهم أدوات بيد هذا النظام أو ذاك , ونسوا أنه إذا كان الهدف هو الحفاظ على الهوية فلماذا غيروا هوياتهم ولماذا لم يطالبوا في القرار المذكور آنفاً بأن تعطى كل التسهيلات للاجئين مع بقاء الهوية كرمز .. ! كصاحب الكوفية الشهير (الرمز) ، بمعنى أن يستفيد صاحب الكوفية عفواً (الهوية) من حقوق الإنسان أو المواطن في الدولة التي يعيش فيها، ويحتفظ بكوفيته عفواً (بهويته) . أما أن يترك بكوفية فقط من دون تعليم ، ومن دون مأوى يملكه وبدون خدمات صحية مجانية ، وهو الأحوج من غيره، فلا ميراث من

الآباء والأجداد وإنما ورثوا أخطاء الدول العربية جميعها بل وأخطاء آباءهم وتكالب القوى الغربية والصهيونية عليهم ..! , واحتفظوا بمخيمات ترفض الحيوانات الأليفة العيش فيها، وأصبح شعار هذا اللاجيء (كوفية وخيمة) فكيف يطور صاحب هذا الشعار ذاته من العدم وهناك قانون طبيعي يقول " المادة لاتفنى ولاتنشأ من العدم " وفي ظل عدم وجود إمكانيات ؟ ويأمل في العودة ويتساءل هل بقرارات الأمم المتحدة ؟ أم بمبادرات السلام ؟ أم بمن يسومونهم سوء العذاب ؟ أم بمن يمنون عليهم بالإستضافة في مخيمات ليبقى بكوفية وخيمة فقط .

هذا اللاجيء يبحث عن حقوق الإنسان فلا يجدها , وحتى الممثل الشرعي والوحيد لهذا الشعب بدأت تتخلى عنه ولا تعرف منه إلا دفع الرسوم والتعويضات والتبرعات وبالتعاون مع دول شقيقة بعدم تجديد وثيقة السفر إلا بخطاب من سفارته موجه لقنصلية الدولة بالإيعاز بالتجديد بعد أخذ الأتاوه والرسوم مع ختم الوثيقة بختم لاجيء رسمي أي (لايحمل جواز سفر السلطة أو هوية مواطنة) , رغم أن هذه الوثيقة لا تخول صاحبها بدخول الدولة التي أصدرتها وبها لايستطيع دخول الأراضي المحتلة لأن إسرائيل هي التي تتحكم في المعابر والحدود , وطالما أن إسرائيل سعت منذ البداية إلى طمس حق اللاجئين في العودة , فكيف لهذا الشعب المغلوب على أمره أن يرفض هذه المشاريع أو يصر على تمسكه بحقه في العودة وكما يقول الشاعر لبست ثوب العيش لم أستشر وحرت فيه بين شتى الفكر أو كما يقول شاعر آخر وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند ، فالفلسطينيين صابرون وما بقي لهم إلا التضرع إلى الله ويتسلحوا بسهام الليل علها تصيب أعدائهم أو من يقتر عليهم من أبناء جلدتهم .

وبعض الدول العربية تحظر تنقلهم أو العمل لديها في بعض المهن , بل أنهم معزولون في مخيمات ، لا يخرج من المخيم إلا بتصريح، ولا يدخل إلا بتصريح وكأنهم في ثكنة شبه عسكرية ، أو محمية محاطة بأسلاك شائكة حفاظاً على من بداخلها من الانقراض، لأن هذه الهوية (الخيمة والكوفية) يجب ألاّ تنقرض لأننا نحتاجها في المسلسلات البدوية . فالعرب

أمة لاتدرس تاريخها بل تتفرج عليه ! فهل تستحق الأمة حملة أيام الندم طالما إسرائيل عفواً (أمريكا) هي الخصم والحكم .

مجلة فلسطين 05-أكتوبر-2004م

87 كيف تتعامل بعض الدول مع الفلسطينيين

قد يبدو هذا العنوان غريبا ولكن ! سيناريوهات التوطين والتحرير والإنسحاب وإتفاقيات السلام والمبادرات المتعاقبة أوحت لي بهكذا عنوان ، فلا تكاد دولة في العالم إلا وتنظر إلى فلسطين والفلسطينيين نظرة تكاد تكون مختلفة عن الدولة الأخرى , أي أن هناك تباين في النظرة العامة للفلسطينيين من دولة إلى أخرى على مستوى العالم بل أن الفلسطينيين أنفسهم منقسمون في وجهات نظرهم , وهذا هو سر تأخر إستقلال فلسطين ومن غير اليسير بمكان أن نوجز بمقال واحد جميع وجهات النظر ولكن سنأخذ بعضها بالتحليل والدراسة التاريخية ، إذن لا يمكن أن نفهم مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بمعزل عن الدول التي يعيشون فيها , ولنأخذ مثالا على ذلك المملكة الأردنية الهاشمية .

فعند دراسة تطلعات النظام الأردني منذ إنشاء إمارة شرق الأردن كانت مبنية على توسيع رقعة المنطقة التي يريد أن تكون تحت سيطرته ويحكمها فكانت فلسطين ضمن حدود تطلعاته , فالنظام الأردني يرغب في ضم جزء من فلسطين الى السيادة الأردنية أما إسرائيل فكانت ترغب في الإستقلال حسب قرار التقسيم وتحوز على 50% من الأراضي الفلسطينية في ذلك الحين ولم تكن تطلعات النظام الأردني وليدة صدفة بل أن هناك مخطط موضوع سلفاً ومنذ عام 1937م كتوصيات لجنة (بيل) التي إقترحت مشروعاً لتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب، على أن يكون «الجزء العربي من فلسطين جزءاً متحداً مع شرق الأردن». وهو ما يؤيد طموحات النظام الأردني الذي كان يلتقي والمخططات البريطانية التي كانت منتدبة على تلك المنطقة إلا أن قرار التقسيم رقم 181 لعام 1947م نصَّ على إقامة دولتين يهودية وفلسطينية، متجاهلاً رغبة النظام الاردني في ضم الضفة الغربية ولذلك امتنعت بريطانيا برأي بعض المراقبين عن التصويت على هذا القرار.

وظل الأردن يعارض إنشاء دولة فلسطينية مستقلة حتى سيطر الجيش الأردني على كامل المساحات التي كانت الجيوش العربية قد استولت عليها في حرب 1948، وأنشأ في «فبراير» 1949 «الإدارة المدنية الأردنية».

وبينما كانت مصر تدعم (حكومة عموم فلسطين) التي تشكلت بعد إنشاء الهيئة العربية العليا بقيادة أمين الحسيني التي اعترفت بها جامعة الدول العربية ماعدا الأردن، وهذا تاريخيا يدل على الخلافات بين أعضاء جامعة الدول العربية حول هذه القضية التي يدعي كل منهم بمساندتها ودعمها , صحيح أن هناك مساندة ودعم ولكن على خلفية أي هدف ؟ هذا هو السؤال الذي بإجابته تختلف همم المساندة وتقديم المساعدة !, فكان الملك عبدالله جد الملك حسين يدعم تنظيم مؤتمري أريحا وعمان لانتزاع شرعية فلسطينية ودولية، وكان من أهم مقررات مؤتمر أريحا «أن تتألف من فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية مملكة واحدة، وأن يبايع جلالة الملك عبد الله بن الحسين ملكاً دستورياً على فلسطين».

كذلك سمح منذ «فبراير» 1949 لأي شخص فلسطيني بحق الحصول على جواز سفر أردني، كخطوة أولى على طريق تجنيس الفلسطينيين، وطمس الهوية الفلسطينية تمهيداً لضم فلسطين ضمن إطار دولة واحدة وما قامت به الجامعة العربية بحجة عدم طمس الهوية الفلسطينية إلا لمنع الأردن من هذا الضم وحتى لا يستحوز على مزيداً من الأراضي الفلسطينية وتكبر مساحة الأردن وبذلك كان الأردن يسعى لاعتبار كل الفلسطينيين الذين لجأوا إلى الأردن أو المقيمين في ظل الحكم الأردني أردنيين، وفي مطلع عام 1950م وبعد سلسلة إجراءات إدارية جرى إلقاء اسم فلسطين والاستعاضة عنه بالضفة الغربية، واعتبارها جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية ، وجرت بتاريخ 1950/4/11 أول انتخابات نيابية مشتركة أعطت 20 مقعداً لكل الضفة الغربية. وجرى تحرير قانون الضم في أول جلسة للبرلمان المنتخب بتاريخ 1950/4/24. والذي وافقت عليه بريطانيا باستثناء القدس، كما تعاملت إسرائيل مع الضم كأمر واقع . وكذلك وافقت جامعة الدول العربية بعد ممانعة لم تدم طويلاً. واستمر هذا الوضع حتى بعد حرب عام 1967م وقيام الملك حسين بمنح جوازات سفر أردنية لكل النازحين إلى الأردن في الوقت الذي منحت مصر وسوريا ولبنان للنازحين إلى أراضيهم وثائق سفر اللاجئين وهناك فرق بين جواز السفر ووثيقة السفر. فمثلا من لديه

وثيقة سفر اللاجئين الفلسطينيين الصادرة من مصر فهي لا تخول صاحبها بدخول مصر إلا بموافقة أمنية أما حامل جواز السفر الإسرائيلي يحق له دخول مصر بكل وجل .

وفي عام 1972 طرح الملك حسين مشروعٍ المملكة العربية، لكنه لم ينفذ، واستمر الوضع السابق حتى 31 يوليو 1988 حين أعلن الملك حسين قرار الأردن بفك الارتباط والعلاقة القانونية والإدارية بين الضفتين، والذي جاء استباقاً وتمهيداً لعملية التسوية التي كانت تبحث من وراء الكواليس لمنح الفلسطينيين كيان يتحمل بموجبه مسؤولية القرار المتعلق بالشعب الفلسطيني وأراضيه المحتلة وقضاياه المختلفة وهي خدعة كبرى وقعت فيها معظم الأطراف العربية .

ومن هنا نخلص إلى القول أن العرب لم يتفقوا يوما واحدا على مشروع يخدم قضية فلسطين أو تتوحد جهودهم كما اتفقوا على عدم تجنيس الفلسطينيين أو توطينهم أو منحهم أي حقوق ليبقوا لاجئين ويطلبوا لهم المساعدات من الأنروا ليستفيدوا منها , فالجامعة العربية أصدرت القرار الرقم 1547 عام 1959، الذي طالب بالحفاظ على الهوية الفلسطينية. وجاء القرار، قبل أن تنشأ منظمة التحرير ولكن ! استمر العمل به خوفاً من أن تقوى شوكتهم وليس خشيةً من أن تذوب هويتهم .

وعندما تذوب الهوية الفلسطينية فستقطع المساعدات الدولية الممنوحة لهم تلقائياً وسينتهي دور كثير من الأطراف المستفيدة من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والدليل على مانقول هو الصمت العربي إزاء مايجري الآن في فلسطين على الأقل منذ إندلاع إنتفاضة الأقصى مروراً بمجزة جنين الى الإجتياحات المتكررة الى هدم المنازل على الحدود المصرية الى مجزرة جباليا الى عملية أيام الندم . ولكن الغريب في الأمر أن أهم المسؤولين في منظمة التحرير يحملون الجنسيات المختلفة هم وعائلاتهم , ونسوا أنه إذا كان الهدف هو الحفاظ على الهوية فلماذا لم يطالبوا في القرار بأن تعطى كل التسهيلات لهذه الفئة مع بقاء الهوية كرمز، بمعنى أن يستفيد صاحب الهوية من حقوق الإنسان أو المواطن في الدولة التي يعيش فيها، ويحتفظ بهويته. أما أن يترك من دون تعليم، ومن دون مأوى يملكه ولا خدمات صحية،

وهو الأحوج من غيره، فلا ميراث من الآباء والأجداد وإنما ورثوا أخطاء الدول العربية جميعها بل وأخطاءهم أيضاً واحتفظوا بمخيمات ترفض الحيوانات الأليفة العيش فيها، فكيف يطور شعب كهذا ذاته من العدم وفي ظل عدم وجود إمكانيات ؟ ويأمل في العودة هل بقرارات الأمم المتحدة أم بمبادرات السلام أم بمن يسومونهم سوء العذاب ويمن عليهم بالإستضافة في مخيمات .

وهذا اللاجيء ممنوع من أبسط حقوق الإنسان وحتى الممثل الشرعي والوحيد لهذا الشعب بدأت تتخلى عنه ولا تعرف منه إلا دفع الرسوم والتعويضات والتبرعات وبالتعاون مع دول شقيقة بعدم تجديد وثيقة السفر إلا بخطاب من سفارة فلسطين موجه لقنصلية الدولة بالإيعاز بالتجديد بعد أخذ رسوم منه على أنه لا يحمل جواز سفر السلطة أو هوية مواطنة رغم أن هذه الوثيقة لا تخول صاحبها بدخول الدولة التي أصدرتها طالما لا يحمل هوية مواطنة أو جواز سفر السلطة لأن إسرائيل هي التي تتحكم في المعابر والحدود سواء من ناحية الأردن أو من ناحية مصر وطالما أن إسرائيل سعت منذ البداية إلى طمس حق اللاجئين في العودة , فكيف لهذا المغلوب على أمره أن يرفض هذه المشاريع أو يصر على تمسكه بحقه في العودة وكما يقول الشاعر لبست ثوب العيش لم أستشر وحرت فيه بين شتى الفكر أو كما يقول شاعر آخر وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند ، فالفلسطينيين صابرون وما بقي لهم إلا التضرع إلى الله ويتسلحوا بسهام الليل علها تصيب من يقتر عليهم من أبناء جلدتهم .

88 العالم العربي وسياسة التوريط

عندما تطلق إسرائيل تهديداتها الى أي جهة فإنها تؤكد نواياها لتنفيذ أهدافها فعندما حدثت عملية بئر السبع الإستشهادية لم تخفي إسرائيل تهديداتها بضرب سوريا بحجة أنها تؤوي المنظمات الفلسطينية والسؤال هو لماذا لانأخذ تلك التهديدات على محمل الجد ؟ ونقوم بدراسة تلك التهديدات وإتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر بل البدء في التخطيط لإتخاذ خطوات عملية لردع هذا التهديد وأن لايكون موقفنا سلبياً في كل مرة ولنأخذ العبرة من حزب الله ومن إيران فعندما تقوم إسرائيل بأي عمل ضد لبنان فإن حزب الله يقوم بالرد الفوري والجاهز وكأنما هو مستعد للتصعيد والتهدئة في نفس الوقت وكذلك إيران عندما ألمحت إسرائيل انها ستقوم بضرب المفاعل النووي الإيراني للأغراض السلمية قامت إيران بالرد على تلك التهديدات وقامت بتهديد أكبر لإسرائيل بضرب مفاعل ديمونة النووي إذا أقدمت إسرائيل على تنفيذ تهديداتها , واليوم عندما أقدمت إسرائيل على إغتيال القيادي في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) عز الدين صبحي الشيخ خليل في دمشق, إكتفت سوريا بإتهام إسرائيل وحملتها المسؤولية الكاملة عن هذا العمل "الإرهابي".

ووصفت ذلك بأنها خطوة خطيرة , دون أن تقوم بالرد الإيجابي على تلك العملية او على أقل تقدير إصدار تهديدات جدية وعمل شيء ما ليكون ذلك رادعاً , صحيح إن إسرائيل لها نوايا عدوانية لزعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة ولم يتحرك العالم ولا الأمم المتحدة بأي جهود دولية لتخفيف حدة التوتر في المنطقة بل على العكس قامت إحدى الدول الغربية بالتعاون مع أمريكا بتبني مشروع قرار في مجلس الأمن ضد سوريا ولبنان الذي صدر مؤخراً تحت الرقم 1559 , وقامت الأمم المتحدة بغض الطرف من ناحية وإصدار قرار بخصوص إقليم دارفور في السودان مما يعني أن العالم العربي برمته مستهدف , وبدأ يدور في أذهان بعض قادة المقاومة الفلسطينية بنقل الصراع الى خارج الأرض المحتلة , رغم النفي الذي صدر عن حماس ولكن هذا النفي مبطن حيث قالت " أن موضوع نقل دائرة الصراع باعتباره سياسة عامة للحركة مازال قيد الدراسة ولا يمكن القول بأنه تم أتخذ قرار بهذا الصدد".

ونستطيع أن نسمي ذلك القرار لو أتخذ فعلا بأنه سياسة التوريط وهي ليست سياسة جديدة بل أستخدمت من قبل عند بداية تكوين المنظمات الفلسطينية حيث كان هذا الإتجاه عند بعض المنظمات , والمقصود هو توريط العالم العربي ليعيش واقعاً جديداً وكان هذا شعارً دون الوعي الكامل بالنتائج المترتبة على هذه السياسة أو كما يقول المثل العامي المصري " مفيش حد أحسن من حد " وغرقت المنطقة في حروب لم يكن للعرب أي إستعداد لخوضها ثم إنتهجت القاعدة نفس السياسة (سياسة التوريط) فقامت بتوريط أفغانستان قبل ان تتمكن من تكوين دولتها الإسلامية بل زادت الورطة بالإحتلال الأنجلوأمريكي للعراق , ومازالت هناك في العراق جماعات الخطف والإغتيالات وقطع الرؤوس تتبنى هذه السياسة نفسها لإستعداء العالم وتمكين القوات الأمريكية من تبرير أعمالها وإعطائها ذريعة للتوسع في الإحتلال بل والتهديد العلني لسوريا وإيران لتصبح سوريا بين فكي كماشة , إسرائيل من جهة وأمريكا وبريطانيا من جهة ثانية لتصبح المنطقة تحت النفوذ الأنجلوأمريكي والإسرائيلي !! .

وليس غريباً أن تقوم السلطة الفلسطينية بإدانة الحادث من جهة وتهدئة الموقف من جهة ثانية حيث أكدت على أن نقل عمليات الإغتيالات خارج الأراضي الفلسطينية يعني توسيع دائرة العنف والفوضى والتطرف مع التوضيح أن العنف لن يجر إلا العنف . هذا وحتى الآن لم يصدر عن إسرائيل أي إعلان رسمي بالمسؤولية عن العملية ولكن عبرت عن نواياها بالقول إن العملية تكتيك جديد لمحاربة فصائل المقاومة الفلسطينية .

وعند دراسة أسباب الحادث تبين أن الإنفجار وقع عند تشغيل الشهيد محرك سيارته وهو نفس الأسلوب التي تتبعه إسرائيل في التخلص من القيادات الفلسطينية , فقد سبق وأن إغتالت في وقت سابق من هذا العام مؤسس حركة حماس الشيخ أحمد ياسين وخليفته الدكتور عبد العزيز الرنتيسي. كما إغتالت في وقت سابق القيادي إسماعيل أبو شنب , وقامت بإغتيال جهاد أحمد جبريل في لبنان , وبنفس الأسلوب وهي تقنية على قدر كبير من الدقة ولاشك إن إسرائيل هي المستفيد الأكبر . وتأتي هذه العمليات على خلفية التهديد الذي يمثله الحضور العسكري الأنجلوأمريكي في العراق ضد سوريا لطرح مطالب كبيرة عليها نذكر منها على سبيل المثال طرد المنظمات الفلسطينية من سوريا وتفكيك قواعدها في لبنان ، وتجريد

حزب الله من سلاحه، وإنسحاب الجيش السوري من لبنان والتنازل عن الجولان حتى لايبقى لها أي نفوذ في المنطقة بل ليتفجر الوضع الداخلي في سوريا وما كان هذا ليحصل لولا سياسة التوريط التي قامت بها جماعات أقل ما يوصف بحقها أنها غير مسؤولة .

مجلة فلسطين 01-أكتوبر-2004م

89 وصايا الإستشهاديات

لقد شاركت المرأة الفلسطينية بالعمل العسكري وبالعمليات الإستشهادية إبتداءاً بالعملية التي قامت بها دلال المغربي ومروراً بالعملية الأخيرة التي قامت بها زينب أبو سالم، وغالبيتهن في العشرينيات من عمرهن وسجلن على نحو خاص جرأة غير معهودة وقد فجرت الشهيدة وفاء إدريس نفسها في القدس الغربية ليتوالى بعد ذلك تجنيد الفلسطينيات لهذه العمليات , ومن الطبيعي أن ينتج عن ذلك قتل وجرح العديد من الإسرائيليين كما قامت الاستشهادية دارين أبو عيشة بتنفيذ عملية فدائية بعدما أبرت بقسمها وقد تختلف الدوافع وراء هذه العمليات إلا أن الهدف الرئيسي يجب أن يكون الشهادة في سبيل الله والمساهمة في رفع الظلم عن هذا الشعب الذي يرزخ تحت الإحتلال لأكثر من نصف قرن .

وأكدت دارين في شريط فيديو تم تصويره قبل تنفيذها العملية "أنها قررت أن تكون شهيدة لتنتقم لدماء الشهداء وانتهاك حرمة المسجد الأقصى وأقسمت أن تمزق جنود الاحتلال الإسرائيليين إربا انتقاما لما تعرضت له امرأتان حبليان عند حاجز إسرائيلي قرب نابلس في الضفة الغربية.

وهكذا نالت دارين الشهادة التي تمنتها عندما لفت حول جسمها الطاهر المتفجرات. وقالت والدة دارين إن ابنتها "عندما استشهد شاب في قرية زواتا قرب نابلس زارت دارين عائلة الشاب وغمرت منديلها بدم الشاب وأقسمت على الانتقام .

وأوضحت الشهيدة دارين أن المرأة الفلسطينية كانت وما زالت تحتل الصدارة في الجهاد والمقاومة، داعية كل النساء الفلسطينيات إلى مواصلة درب الشهداء، وقالت: "وليعلم الجبان شارون أن كل امرأة فلسطينية ستنجب جيشا من الاستشهاديين، ولن يقتصر دورها على البكاء على الابن والأخ والزوج بل ستتحول إلى استشهادية".

هنادي جرادات .. الاستشهادية تخرجت من كلية الحقوق وختمت القرآن ليلة استشهادها, فأرعبت الصهاينة في كل العالم , وأثبتت للعالم كله أنه لا أمن لليهود مادام هناك مقدسات مغتصبة . هنادي جرادات محامية دافعت عن حقوق شعبها بطريقتها الخاصة ، فلحقت

بالرفيق الأعلى بجوار الشهداء وحلّقت مع السرب المهاجر إلى الجنة . بدلاً من الهجرة من مكان الى مكان ليستقر أخيراً في مخيمات اللاجئين ورسمت باستشهادها طريق الكرامة و سبيل التحرير .

زينب أبو سالم واصلت المسيرة وسيتبعها إستشهاديون آخرون رغم سياسة هدم المنازل والعقاب الجماعي ولن يثني ذلك , أي إستشهادي عن القيام بتنفيذ معتقداته وواجباته الدينية , وتتوالى هذه العمليات في زمن لا عرب ولا مسلمون يحمون الإسلام من الأعداء . إن جميع الإستشهاديات ماخرجن إلا بعد سكوت المسلمين من الرجال على جرح فلسطين والمقدسات الإسلامية , وأثبتت المرأة المسلمة أن الحال لم يقتصر على الرجال حتى يكونوا وحدهم في بلاد المســلمين الذين ينالون الشهادة في سبيل الله ، و يقدمون التضحيات الجسام ، والتي أغلاها التضحية بالنفس ، بل أصبحت هناك مشاركة فاعلة على طريق الجهاد من قبل النساء في فلسطين ، وبعضهن جدن بأنفسهن في سبيل الله . لتنضم إلى قوافل الشهداء ، بفعل آلة الحرب الصهيونية ، المدعومة أمريكياً ، حتى أصبح العديد منهم يتامى بقرار صهيوني , مما يجعل الحر منا يتمزق من الألم كلما رحلت شهيدة مسربلة بدمائها . وستظل المقاومة والعمليات الاستشهادية أسلوب فعال للرد على المجازر الصهيونية اليومية بحق الشعب الفلسطيني , فمن يعيش ممارسة قوات الإحتلال لهذه الأعمال الوحشية ستتغير لديه حتماً الخارطة الذهنية وستغيب عنه الفرحة وستسيل من عينيه الدمعة ويعاني من الألم والحسرة فيزداد حباً للمقاومة والدفاع عن النفس وإن من يشاهد الأجسام المتفحمة والدماء وقد إختلطت بالأشلاء ويعيش الخوف والرعب كل يوم فسيفكر بالإنتقام لأرواح الأبرياء والجهاد لأنه يتخيل أن الخطر داهم وأن العدو غاشم ، وان الطريق صعب و حاسم ، ولكن سيتمنى الشهادة وستكون هي الهدف الأسمى ويبدأ مرحلة الإستعداد للتضحية بروحه ودمه وفي سبيل الله ثم في سبيل الوطن .

ان هذه الدماء لن تضيع هدرا فان هدفنا هو إحدى الحسنيين اما النصر او الشهادة ، وان الانتفاضة بإذن الله ستبقى مستمرة برغم من كل ما يخطط أعداؤنا حتى يتحقق الهدف الذي قامت من أجله ، ونقول لهم باننا لن نعود الى المربع الأول ، ولن يستطيعوا قتل روح

الجهاد وروح المقاومة . فعندما يسمع الانسان سيرة الإستشهاديات يدرك تماماً أنه يقف أمام العديد من أحفاد الصحابيات المجاهدات الذين يربين أبناءهن على حب الله والجهاد لإعلاء كلمة الله ثم الوطن إنهن يزرعن في نفوسهم مفاهيم العزة والكرامة .. فأنبت جهدها ثمرة طيبة .. وآتى زرعها أُكُله أحياناً كثيرة . وبعد كل غارة من طائرات الأباتشي تظهر المسيرات في شوارع فلسطين يعلوها أصوت التكبير ، ويهتف المشاركون فيها مطالبين من كتائب المقاومة بالرد السريع، والانتقام لدماء الشهداء . مؤكدين بأن هذه الجرائم لن تمر بدون عقاب .

هذه هي صفات المرأة المسلمة التي ما فتِئت تنجب الأبطال و المجاهدين و تقدّم مواكب الشهداء الواحد تلو الآخر، و لا تبخل بنفسها و تدافع عن كرامة الوطن و قداسة القضية . هذه الأم رمزاً و عنواناً لكلّ الذين يبحثون عن العطاء الصادق و الإخلاص النقيّ ، ولماذا لانتذكر الاستشهاديات أمثال ريم الرياشي و هنادي جرادات و آيات الأخرس و وفاء إدريس و عندليب قطاقطة ، و دارين أبو عيشة ، أم أن إعلامنا غائب وينقل عن إعلام الديموقراطية الذي يساوي بين الجلاد والضحية .

إن هناك أيادي في السماء لاتزال تنسج للإستشهاديين أثواباً من سندس وإستبرق وهناك قناديل تحت عرش الرحمن تستعد لأرواح الشهداء " ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون " فهم سينتقلون من العالم المحدود الى عالم الخلود , لماذا لاندرس وصايا الإستشهاديات لقد تركت دلال مغربي وصية تطلب فيها من رفاقها وأبناء الشعب الفلسطيني المقاومة حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني كما أوصت الاستشهادية دارين أبو عيشة " داعية كل النساء الفلسطينيات إلى مواصلة درب الشهداء" وكانت وصية الإستشهادية آيات الأخرس " ايها العرب كفاكم تخاذلا" .

مجلة فلسطين 01-أكتوبر-2004م

90 بركان التوطين متى يثور ومتى يهدأ ؟

نطالع من حين الى آخر الدعوات التي تطلقها منظمات حقوق الإنسان والصحفيين والكتاب عن توطين اللاجئين الفلسطينيين فتارة نقرأ عن التوطين في الأردن ومرة أخرى عن التوطين في صحراء سيناء ومرة في شمال العراق ومرة في لبنان ومرة في دول الخليج وهناك دعوات الى توطين جزء منهم في كندا ومرة في أمريكا ومرة في دول الأوروبية ويتم الإستشهاد بأقوال بعض المسؤولين من هذه الدولة أو تلك أو هذا الخبير أو ذاك ولكن ماحقيقة الأمر وهل هي أضغاث أحلام أم مخططات جاهزة لتوطينهم أعدها خبراء وسياسيون دوليون . وتعود هذه القضية الى الساحة كالبركان يثور أحياناً ويهدأ أحياناً أخرى ولكن إتفاق شرم الشيخ كان البداية وهو الذي مهد لمفاوضات الوضع النهائي ومن خلال عدة أطراف بما فيها الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني . وأستطيع أن أشخص الوضع كالمبادرات التي كثرت في الآونة الأخيرة دون جدوى لتنفيذها على أرض الواقع .

ومن أطرف ما قرأت في هذا الشأن دعوة كاتب إسرائيلي الولايات المتحدة إلى ممارسة ضغوط على مصر لاقتطاع جزء من أراضي سيناء وإلحاقه بقطاع غزة ليكون وطنًا جديدًا للفلسطينيين، مقابل منح الرئيس المصري حسني مبارك جائزة نوبل للسلام وتحسين الأوضاع الاقتصادية لمصر على سبيل المقايضة! ويضيف الكاتب قائلا ولكن المشكلة تكمن في السيادة المصرية على سيناء وأن الأرض لأصحابها ولكن يمكن نقل السيادة الى الفلسطينيين أو لأي منظمة إقليمية أو أمنية للتعاون الإقليمي .

وتناولت صحف كثيرة نقلا عن صحافة إسرائيل الحديث عن خطة جديدة لتوطين الفلسطينيين على أراضي الأردن، مقابل منح الأردن جزءًا من عقود إعادة إعمار العراق، مستغلا الاحتلال الأمريكي لهذا البلد، وسيطرته الحالية على مقدراته.

كما تناولت صحف أخرى قولا على لسان مسؤول لبناني كبير القول إن لبنان رفض عرضاً تقدمت به جهات دولية لمنحها 20 مليار دولار مقابل توطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد وهذا الرقم يوازي الدين العام على لبنان.. وهذا الدين هو أحد العوامل المهمة في الضغوط

التي تمارس على لبنان، مضيفا أن "هناك بعض السياسيين اللبنانيين المستعدين للمضي في مشروع التوطين، وإن كانوا يعلنون عكس ذلك".

ورغم أن كندا نفت على لسان رئيس وزرائها جان كرتيات أي شكل من أشكال التوطين على أراضيها إلا أن بعض المصادر أكدت أن الحكومة الكندية عرضت توطين 25 الف فلسطيني في أراضيها كما أعلنت عن استعدادها لاستقبال لاجئين فلسطينيين في إطار اتفاق سلام في الشرق الأوسط .

ومما يذكر في هذا السياق عن مخططات إسرائيلية ترمي الى توطين مليوني مواطن فلسطيني في منطقة الخليج بتأييد من الولايات المتحدة الامريكية ومساندة الدول الغربية . والهدف هو دعم إسرائيل في توجهها لإختراق دول الخليج وتهيئة الأجواء لتوطين من ترفض عودتهم الى فلسطين ومن المحتمل أن يصل الرقم الى قرابة المليونين بإعتبار أن دول الخليج تعاني من ندرة في السكان وزيادة في الأراضي . وهذا هو السر في المحاولات الإسرائيلية المستمرة للتطبيع مع دول الخليج ومحاولاتها لإستمرار وجود مكاتب إسرائيلية في المنطقة ومحاولة إفتتاح مكاتب جديدة في دول أخرى لتسهيل عملية توطين الفلسطينيين والانفتاح الاقتصادي لتضرب عصفورين بحجر واحد .

ومن ضمن المشاريع والخطط الداعمة لسياسات التوطين المزمع تنفيذها وفقا للمشاريع الأمريكية لحل مشكلة اللاجئين وهي التي تقضي بحل قضايا هؤلاء اللاجئين في مناطق تواجدهم ومنحهم حقوق المواطنة في دول الشتات وقد أشار إليه الرئيس كلينتون في أكثر من مناسبة عندما إقترح عرضاً لتشكيل صندوق دولي لتوطين اللاجئين الفلسطينيين الذي رفضه الرئيس عرفات في ذلك الوقت وطالب بتطبيق قرار الأمم المتحدة رقم (194). وقبل الآن بيهودية دولة إسرائيل وبمبادرة جنيف الذي فيها تلميح بالتنازل عن حق العودة أملا في فك الحصار عنه وهو مادعى الملك عبدالله الى إطلاق تصريحاته الأخيرة بشأن التنازلات الفلسطينية المتكررة وشمل الرفض ايضاً مقترحاً أمريكيا إذ أعربت عن إستعدادها لتوطين أعداد من اللاجئين الفلسطينيين في أراضيها في نطاق خطة شاملة يتم في إطارها استيعاب

وتوطين قسم من اللاجئين في الدول الأوروبية، والعربية وجزء في مناطق الدولة الفلسطينية المزمع إقامتها في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وآخر مشاريع التوطين كان من نصيب العراق حيث سيتم توطين مليوني فلسطيني في جنوب العراق وتحديدًا في المنطقة الواقعة بين العمارة والبصرة ويقترح هذا المخطط بتوطين مجموعات أيضاً في الشريط الحدودي الممتد من كركوك الى الحدود مع إيران وبموجبه سيتم منح الفلسطينيين الجنسية العراقية ومنزل وسلفة مالية من إيرادات النفط ومن ثم تزويد الفلسطينيين بالسلاح للدفاع عن أنفسهم في حالة حدوث مواجهة مع إيران أو مع سكان المناطق الكردية . ويهدف المخطط أيضاً الى التوزيع الطائفي على أساس سنة وشيعة وأكراد وتركمان وآشوريين لإشعال فتيل الحرب الأهلية التي نرى بوادرها الآن وهي مخططات يقول عنها أحد الزعماء العرب سايس بيكو جديد . وطالما هذه هي المخططات والسيناريوهات التي ستفرض من الغرب سواء بالقوة أو بالمفاوضات فما هي الخطط أو الجهود العربية التي تبذل من أجل إنهاء وضع هؤلاء اللاجئين أليس من الأفضل حل وضعهم قبل أن يفرض بالقوة ويثور البركان الهادىء من زمان .

جريدة الصباح الفلسطينية 03-ديسمبر-2004م

91 هجرة جديدة للفلسطينيين ولكن الى أين ؟

بعد هزيمة الايام الستة عام 1967م إستولى على الساحة السياسية العالمية شعارين أحدهما كان شعارا للعرب إدفع ريالا تنقذ عربيا والآخر كان شعار لليهود إدفع دولارا تقتل عربيا , ولقد حققت هذه التبرعات الكثير من أهدافها لكلا الطرفين ولكن أحد الاطراف إستفاد أكثر من الطرف الاخر وهذا ماظهر جليا من تفوق إسرائيل في شتى الميادين على العرب حتى أصبح ميزان القوى لصالح إسرائيل وبدأت الدول العربية في الاستعدادات للمعركة التالية وبدأت حرب 1973م وتحقيق العرب فيها بعض الانتصارات وهنا أدركت مصر بعد أن خاضت الحرب وشاهدت الجسر الجوي من أمريكا لدعم إسرائيل فتم وقف إطلاق النار وبدأت الامور تأخذ طابع التهدئة ثم أصبح هناك تحولا جذريا في طبيعة الصراع إبتدأ بزيارة السادات للقدس وخطابه الشهير في الكنيست الاسرائيلي وماتلى ذلك من إتفاقية كامب ديفيد التي إنسحبت بموجبها إسرائيل من جميع الاراضي المصرية بعد مفاوضات شاقة وطويلة وبدأت الاختلافات في التوجهات العربية وإنقسام العرب بين مؤيد للسلام ومعارض له وتجلت حدة الاختلاف بنقل مقر الجامعة العربية من القاهرة الى تونس الامر الذي أدى الى عزل مصر عن محيطها العربي لفترة من الزمن ثم جاءت حرب الجنوب اللبناني وإحتلال إسرائيل لجنوب لبنان ووصولها الى العاصمة بيروت ومانتج عن ذلك من طرد منظمة التحرير والفصائل الفلسطينية الى مختلف الدول والجزء الاكبر الى تونس وبدأت المقاومة اللبنانية تتصاعد حدتها حتى تحرر الجنوب اللبناني وبعد حرب الخليج الثانية طرأ تحول في فكر منظمة التحرير وبضغوض سياسية ودبلوماسية أمريكية عقد مؤتمر مدريد وبعده بدأت المفاوضات السرية بين منظمة التحرير وإسرائيل في أوسلوا الى أن تم توقيع إتفاق أوسلوا وأصبح هناك مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والفلسطينيين وتطور الامر الى أن كانت مفاوضات كامب ديفيد الثانية التي كانت قاب قوسين أو أدنى الى الاتفاق ولكن لم يصل الطرفان الى أي إتفاق سواء كان بتعنت طرف أو الطرفين أنفسهم المهم لم يتم التوصل الى إتفاق وفشلت المفاوضات وبدأت الانتفاضة الفلسطينية الثانية بعد زيارة شارون الى الحرم

القدسي الشريف وتلاحقت الاحداث بسرعة مذهلة وفجأة حصلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م بعدها تغيرت المفاهيم والمصطلحات ولم يستطيع العالم ولا الامم المتحدة من الاتفاق على تفسير الارهاب بل اصبح لكل بلد تفسير خاص به , وبدأت حرب أفغانستان ثم تلاها حرب العراق وأحتل العراق ومن يقرأ التاريخ جيدا سوف يتضح له فيما بعد أن هناك حملة منظمة ضد الفلسطينيين والدول العربية على إثرها ستتهم هذه الدول واحدة بعد أخرى لقيامها بدعم المقاومة الامر الذي يفسره الصهاينة ومناصريهم بأن التحويلات المالية تدعم الارهاب الامر الذي سيتخذ ذريعة للقيام بعمل ما ضد هذه الدولة أو تلك لتحقيق هدفين الاول وقف الدعم والثاني الضغط على المقاومة لإيقاف الانتفاضة الفلسطينية ، وبهذا يتأكد نجاح السياسة الصهيونية في إرهاب الحكومات والشعوب العربية والاسلامية بمساعدة أمريكية ومازالت إسرائيل تعمل بجد لضم مزيد من الاراضي الفلسطينية وبناء الجدار العازل وتشرع حاليا لشق النفق العازل على طول الحدود المصرية لتحقيق عدة أهداف منها وقف تهريب الاسلحة الى الجانب الفلسطيني وإحراج مصر بأنها لاتقوم بما فيه الكفاية لمنع هذا التهريب وأخيرا لتحكم قبضتها على ماتبقى من أرض فلسطين وهي تظهر للعالم بأنها تنوي الانسحاب من قطاع غزة ولايبدوا أن هناك في الافق حل لمشكلة اللاجئين وحق العودة بعد ما إتفق شارون وبوش على إلغاء هذا الحق وإعتمادا على تنازلات وردت في مبادرة جنيف الذي قيل عنها أنها مبادرة شخصية ولكن في الوقت نفسه يزداد عدد اللاجئين الفلسطينيين في بلادهم وفي المهاجر والمخيمات وفي الشتات وبدأت الروابط تتلاشى فيما بينهم وهذا يؤدي حتما الى التخلي عن حق العودة إما رغبة في النجاة أو خوفا من الاضطهاد وبالتالي الانصهار في المجتمعات المختلفة أينما وجدوا ورغم أن التوطين آت لامحالة ولكن يبدوا أن الشعور بالانتماء الى هذا الوطن من شدة الضغوط بدأ يتلاشى تدريجيا عند الكثيرين رغم وجود الوثائق التي تؤكد الحق الفلسطيني في مساحة مثبتة تاريخيا بمقدار (27009) كيلو متر مربع ,وهو مانصت عليه الكثير من الوثائق وهي مودعة في الامم المتحدة ولكن جميع قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن لن تجد طريقها الى النور مادامت لاتخدم مصلحة إسرائيل ولايوجد هناك قوة إقليمية أو عربية أو إسلامية تدعم هذه القرارات , وإذا لم

تتضافر الجهود فسيكون هناك إحتلال لمزيد من الاراضي العربية المجاورة بحجة ملاحقة الفلسطينيين ولهذا لم تدرك الدول العربية أن قرار الجامعة العربية بعدم تجنيس أو توطين الفلسطينيين جاء من مصلحة إسرائيل لتجد لها ذريعة لملاحقتهم داخل حدود الدول العربية المجاورة كما كانت تفعل تركيا لملاحقة الاكراد داخل الاراضي العراقية , وبدأت بوادر ذلك تظهر في الحملة على سوريا من خلال قانون معاقبة سوريا ومطالبتها بطرد الفلسطينيين ومنظماتهم والانسحاب من لبنان وعليه ينبغي على الفلسطينيين الاستعداد لهجرة جديدة الى دول غير عربية لتحقيق هدفين اولهما التخفيف من معاناة العرب لأن بقاءهم في الدول العربية سيزيد من معاناة هذه الدول والهدف الثاني طلبا للحماية من دول غير عربية التي تسمح قوانينها المستنيرة بإعطاء حقوق المواطنة لمن يقيم فيها وبالتالي حصولهم على حقوق حرموا منها عشرات السنين على أيدي إخوانهم في العقيدة والدين واللغة وبذلك يكون قد تحقق لهم حماية أنفسهم من الملاحقات المستمرة من أعداءهم الامر الذي يجوز أن نسميه إستراحة محارب .

92 نظرية الجسد الواحد تعرقل قيام دولة إسرائيل الكبرى

لقد وردت إلينا العديد من الرسائل حول المقال الذي نشر في صحيفة إيلاف الإلكترونية يوم الإثنين 24 يناير 2005م تحت عنوان السياسة الديموغرافية العربية تساهم في بناء دولة إسرائيل الكبرى وهذه الرسائل منها ماهو مؤيد ومنها ماهو معارض لما ورد في المقال الآنف الذكر أعلاه ولعلي هنا أريد التعليق والرد على كل الأحبة اللذين خالفوني الرأي ولا أريد أن أختلف معهم أو ندخل في جدل لاطائل منه بل أريد أن أختصر المسافات فهناك عبارة جيدة تريحني وتريحهم وهي قولي صواب ويحتمل الخطأ وقول غيري خطأ ويحتمل الصواب أي قد يكون كل منا على حق في بعض مايقول وليس في كل مايقول وحين كتبت هذا المقال أعلم علم اليقين أن هناك من يخالفني الرأي ومن يشاطرني الرأي وحسماً لهذا الموضوع أريد أن أقول نحن هنا لسنا في مجال الخلاف على أي شيئ لأن الأمة يكفيها مايكفيها من خلافات وفي نفس الوقت أقبل بوجهة نظرهم وأحترمها لأنها هي نتيجة الثقافة التي يتمتع بها كل فرد منهم وهي نتيجة للمعلومات التي حصلوا عليها والتجارب التي مروا بها ولكن أريدهم أن يمعنوا النظر من جديد وبشكل مجرد من العواطف فسوف يخرج لدينا ولديهم مخرج جديد أو إبداع جديد من داخلي ومن داخلهم لأن القناعات الداخلية لن تتزعزع إلا بعد تقليب الأمور مرة بل ومرات أخرى وإمعان النظر من جديد قد يكون فيه نوع من التحول ومن هنا أقول وحوارنا عسى أن يكون في صالح قراء إيلاف قبل أن أقول في صالح الأمة فنحن لسنا من الساسة أو المنظرين لهذه الأمة ففيها من الساسة والمنظرين والمفكرين بما هم أجدر منا وفيهم الخير والبركة ومن هنا أستطيع القول لسنا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال أصابت إمرأة وأخطأ عمر فكثير منا تأخذه العزة بالإثم نسأل الله أن لانكون منهم بل نكون من اللذين عرفوا الحق فأتبعوه ولهذا دائما أسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا إجتنابه أخواني الكرام أرحب بكم وبأفكاركم ومهما كان الخلاف في الرأي فينبغي أن نؤمن بقوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) .

وأستطيع إقتباس بعض ماجاء من الردود وبالحرف الواحد بين قوسين ((أنت تطالب من دول الخليج التسهيل في عملية التجنيس...

وإن كنت أجزم بإن المعني هنا هي " المملكة العربية السعودية " على وجة التحديد ..))

وعليه أستطيع الرد بالقول دعونا نستبعد الأسماء والتحديد والتقييد ونطلق للفكر العنان فإنني أحببت أن أقول في مقالي ((المدد القادم في الحرب الديموغرافية الدائرة حالياً ضد جميع الدول العربية)) وهذا القول نابع من إيماني بأن المصير مشترك أو مايسمى بوحدة المصير ولن أدخل في مجال مناقشة موضوع نظام التجنيس الجديد . وهناك من قال أيضاً أضعه بين قوسين ((قانون التجنيس الجديد الذي سنته الحكومه السعودية قبل فترة وجيزة .. ولا اعتقد بإن هناك اية تعقيدات مفروضه .. (10 سنوات من الإقامه والإنضباطية في العمل والتعامل ليست كثيره على من يريد الجنسيه) . وهنا أحببت أرد بالتعليق التالي وبكلمة عامة على جميع القوانين والأنظمة في جميع الدول العربية وليس دولة بعينها وهذه الكلمة هي " لو أننا نقوم بتطبيق القانون أو النظام حسب ماجاء دون تدخلات من هنا أو هناك لأنجزنا العديد من الأفكار والمشاريع التي يحلم بها كل عربي ولكن الإنتقائية في تطبيق القوانين والأنظمة جعلت الناس تؤمن بالواسطة وإزدواج المعايير وهو مانعيبه على الدولة العظمى بالقول إنها تقوم بسياسة الكيل بمكيالين .

وهناك من قام بالتعليق التالي بين قوسين أيضاً ((عذراً ..سأكون بقمة الوضوح هنا ..

بالنظر للأخوه الفلسطينيين المقيمين في دول الخليج ..أعتقد من الأصلح لهم / لـ فلسطين .. للإسلام .. للعرب .. بقائهم " فلسطينيين " .. دون الإلتفات لـ حضن اي جنسية أخرى ...))

فردي على ماسبق بين قوسين هو إن نظرية الحفاظ على الهوية الفلسطينية هي نظرية إفتراها الغرب وصدقها كثير من العرب وإسمحوا لي بالقول إن عمر بن الخطاب الذي حرر القدس لم يكن فلسطينياً بل كان من قريش وإن صلاح الدين الأيوبي الذي حرر القدس لم يكن فلسطينياً بل كان كردياً وإن إبراهيم الخليل الذي بنى الكعبة لم يكن خليجياً وإنما هاجر من فلسطين الى مكة , ولو قدر الله لمن كتب هذا التعليق أن يكون أحد أبناء المخيمات الفلسطينية في أي دولة عربية لشعر بمدى المعاناة التي يتجرع مرارتها الفلسطيني

وحده فهل من كتب هذا التعليق يؤمن ببقاء الفلسطينيين في المخيمات وهل هذا هو من صالح الإسلام والعرب والفلسطينيين , إن أكثر ما يحزنني أننا أبناء أمة واحدة نعيش حالة اغتراب شديدة , نحن نريد أن ننام فنصحوا على إختفاء الحدود والجنسيات ويصدق قول الله فينا (إن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون). (الأنبياء : 92) نحن نريد أن نعتصم بحبل الله كما في قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا, واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها , كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . وأولئك هم المفلحون . وأولئك لهم عذاب عظيم). (آل عمران : 103 , 104, 105) .

وهناك من كتب إلي معترضاً وهو بين قوسين أيضاً ((الدول العربية ليست بحاجة لـ تجنيس احد .. الدول العربية بحاجة لإستعادة علمائها من الخارج .. الدول العربية بحاجة للإهتمام بشعوبها ومنحهم المزيد من الثقه في امكانياتهم ..)) .

وأحب أن أرد على ذلك بطريقتي في تفسير ماقيل بين قوسين أعلاه , صحيح ماقلت أن الدول العربية ليست بحاجة الى تجنيس أحد إذا كان كل العرب يحملون جنسية واحدة . وصحيح أيضاً أن الدول العربية بحاجة لإستعادة علمائها من الخارج على شرط أنهم يحملون جنسية واحدة وعقيدة واحدة وهي عقيدة التوحيد . وصحيح أيضاً أن الدول العربية بحاجة للإهتمام بشعوبها ومنحهم المزيد من الثقة في إمكانياتهم على شرط أن يكونوا أمة واحدة حسب قوله تعالى في الآيات السالف ذكرها .

وخاتمة القول أن من يده في النار ليس كمن يده في الماء . وهناك حديث شريف يقول فيه (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ولولا وجود هذا الحديث لآمنا بالفطرة السليمة وجوب الوقوف مع هذا الشعب المظلوم لا أن نزيد عليه الظلم ويبقى لاجيء في مخيمات الشتات , فوجوب مساندة الشعب الفلسطيني المسلم بديهي ولا يحتاج الى نقاش، وينبغي علينا أن نقوم بإحياء نظرية الجسد الواحد ، والا نخذل اخواننا في فلسطين وفي الشتات كي لايخذلنا الله عز وجل يوما في أوطاننا كما في الحديث الشريف (ما من امرئ يخذل امرءا

مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضة وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته)

وهنا تبرز أمامنا أسئلة ...كيف نساند هذا الشعب المظلوم ؟ وكيف ندعمه ونرفع من معنوياته ؟ وهذه الأسئلة سنحاول الإجابة عليها في مقال لاحق .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 29-يناير -2005م

93 السياسة الديموغرافية العربية تساهم في بناء دولة إسرائيل الكبرى

قد يبدوا هذا العنوان غريباً ولكن الغريب هو كيف تفكر الدول العربية في مستقبلها , ولو ضربنا المثل في إسرائيل التي تسعى جاهدة الى التفوق الديموغرافي ليس على الفلسطينيين فحسب وإنما على الدول العربية مجتمعة بعدما تحقق لها التفوق العسكري بعد إعتمادها على سياسة توازن القوى مع جميع الدول العربية وكما تسعى أيضاً الى جلب المهاجرين من كل مكان وهي تعلم أن جميع القادمين ليسوا يهوداً وعلى سبيل المثال فإن المهاجرين الروس الى إسرائيل والذين بلغوا نسبة 15-18% من إجمالي سكان إسرائيل وهو مايعتبر أكبر نقلة ديموغرافية في تاريخ الدولة العبرية وهو بمثابة المدد القادم في الحرب الديموغرافية الدائرة حالياً ضد جميع الدول العربية.

ولنا أن نتخيل عدد المهاجرين الى إسرائيل خلال عقد من السنوات وهو مايقدر بمليون مستوطن وهو مايزيد على تعداد دول الخليج مجتمعه ماعدا السعودية وهذا الذي دعانا الى التساؤل والتعجب بكيف تفكر الدول العربية بمستقبلها وخصوصاً الدول الخليجية التي لازالت ترفض زيادة عدد سكانها عن طريق منح الجنسية لكثير من المسلمين من الطبقة العاملة ومن العلماء وهي قادرة مالياً على الإنفاق وعلى الإحتواء ولاسيما أنهم مسلمون ويتحدثون العربية ومن العجب أن إسرائيل تستقدم المهاجرين من شتى بقاع العالم ويتكلمون جميع اللغات ولايدينون باليهودية والحكومة الإسرائيلية على علم بذلك . وهذا ما أكده رئيس الحكومة الإسرائيلي الأسبق "إسحق رابين" في موسكو حين سأله أحد الصحافيين الروس: "هل تعلمون أن عددًا كبيرًا من المهاجرين إلى إسرائيل من روسيا ليسوا يهودًا؟" فأجاب رابين: "نعلم ذلك.. ولا تقلق عليهم، سوف يصبحون يهودًا"!

ومما يلفت النظر والإنتباه الى وجود نسبة مرتفعة تصل من 23%- 25% منهم من الفئات المهنية المؤهلة للنهوض بأي مجتمع كالعلماء في شتى الميادين والأطباء والمهندسين والتربويين والعسكريين ويكفي أن نعلم أن نسبة ذوي التعليم العالي لدى المهاجرين الروس تصل الى أربعة أضعاف نظيرتها الى بقية الإسرائيليين وهذا ما أدى الى زيادة نتيجة نسبة المؤهلين

أكاديمياً في إسرائيل لتقترب من 15% من إجمالي عدد السكان لتصبح دولة من أهم الدول التي تضم السكان الأكثر مهارة في العالم .

وكذلك الدول الغربية رغم أنها تعامل المهاجرين العرب بطريقة إنسانية وتوفر لهم الحياة الكريمة إلا أنها تستفيد من وضعهم كجماعات ضغط على الدول العربية لتنفيذ سياساتها أو قد تستفيد منهم للعودة ضمن الحملات العسكرية وهذا المثال يبدوا جلياً في شن الحرب على الإرهاب وقدوم أعداد كبيرة من المجندين العراقيين للمشاركة في إطاحة النظام الديكتاتوري في العراق وهذا ماقصدنا به التغيير من الخارج ولكن التنفيذ من الداخل في مقال سابق وما كان لمثل هذه الأزمات أن تحدث لو أن الدول العربية تعتمد على الدستور الإلهي في كل النواحي , بل أن معظمها يفتقد الى دستور عام لتنظيم شؤون حياتها والى مجالس شورى منتخبة بل أن معظمها بالتعيين وكثير من هذه الدول تعتمد بما يسمى قانون الطواريء أو قانون الأحكام العرفية سواء تم الإعلان عنه أو لم يتم , فقانون الطواريء هو القانون السائد في معظم الدول العربية فالشعوب مغلوبة على أمرها وطالما إعتمدنا على قوانين الطواريء فنحن نعتمد على قوانين غير عادلة وعليه فإن أنظمة الجنسية تعتمد على إقصاء المثقفين والعلماء وإحلال المهاجرين غير المثقفين محلهم فالجنسيات تعطى طبقاً لمصلحة السلطة وليس لمصلحة الدولة وغالباً مايحصل طالب الجنسية العربية بالواسطة أو بالرشوة أو بالتزكية أو بالعلاقات الشخصية مع أصحاب القرار أو بالمحسوبية وهناك مايعرف بنظام الحالة أي أن الجنسية لاتمنح بنا على المؤهلات العلمية أو تطبيق مواد النظام كشرط عدد سنوات الإقامة أو الولادة أو غيرها ولكن تدرس كحالة بغض النظر عن شروط إنطباق النظام على هذه الحالة أم لا.

وكثيراً مانجد تعدياً أيضاً على النظام كتجنيس الرياضيين أو تجنيس بعض الشخصيات بما تتمتع بعلاقات مع المسؤولين وأصحاب القرار وهنا يكون التمييز في المنح ولهذا تسمى منحة أو مكرمة ولاتعطى درجة من الإستحقاق حسب النظام بل ويجوز للدولة أن تسحب هذه الجنسية متى شاءت ولو بوشاية من حاقد أو مغرض أو لأسباب أخرى . ورغم كل الإجراءات والإحتياطات المتبعة بهذا الشأن إلا أن المشاكل الديموغرافية تزداد تباعاً وخصوصاً فيما يتعلق

بالتركيبة السكانية الديموغرافية وهذه تتفاوت في نتائجها السلبية من بلد عربي الى آخر وهذا مايظهر جلياً في الدول العربية وتقف كثير من المنظمات أو الهيئات عاجزة عن إيجاد حلول لمثل تلك المشكلات التي سوف تكبر وتتفاقم في المستقبل وسوف يتكرر ماحصل في العالم مثل مشكلة البوسنة والهرسك أو مشكلات التطهير العرقي في كثير من الدول . وتقف الجامعة العربية ومجلس التعاون الخليجي موقف المتفرج العاجز الذي يغض النظر عما يجري من ممارسات تسير بإتجاه طمس وتغيير التركيبة السكانية الديموغرافية .

فهل فكرت الدول العربية بالمهاجرين العرب الى أمريكا وكندا وأستراليا والدول الأوروبية والذين أصبحوا من علمائها ومثقفيها وأصحاب الأعمال والمصانع والمفكرين ومن الغريب أيضاً أن الدول العربية لاتستطيع إستغلال الفرص فعند تفكك الإتحاد السوفيتي بعد أن تبنى الرئيس السوفيتي الأخير جورباتشوف ماعرف بسياسة البيرستيروكا (إعادة البناء) ورفع الحظر عن هجرة العلماء السوفييت ومنهم علماء مسلمون أيضاً وكان لديهم إستعداد للتوجه الى الدول الغنية بحثاً عن حياة أفضل ولكن الدول العربية تأبى إلا أن تكون في مؤخرة الدول وهو ما دعانا الى تسميتها دول العالم الأخير وليس دول العالم الثالث.

ولننظر كيف إستغلت إسرائيل هذا الموقف وعملت على تسهيل إجراءات السفر والإقامة والعمل مما دفع بمئات الآلاف الى الهجرة الى إسرائيل وهو نفس السيناريو الذي أتبع في موجات الهجرة الصهيونية من أجل الإستيطان في فلسطين فكأنما العرب لاتقرأ التاريخ جيداً وهذا ما يدعونا للتساؤل لماذا لانسهل إجراءات الهجرة وإستقطاب العلماء للنهوض بعجلة التنمية بدلاً من سياسة الإقصاء والتهجير للمثقفين والعلماء وأصحاب رؤوس الأموال التي تجعل الكثير من الكوادر العربية والإسلامية تذهب الى الغرب في الوقت الراهن ثم الى إسرائيل بعد عقود لتتمتع بقوانين تحمي عقولها وتحمي رؤوس أموالها فلا أنظمة للكفالة ولا أنظمة للإستقدام ولا أنظمة لترحيل الوافدين حتى ولو كانوا من العلماء البارزين . وليس بمستغرب أن يهاجر غداً علماء عرب الى إسرائيل بدلاً من الهجرة الى أمريكا وكندا وأستراليا والدول الأوروبية وبالتالي ستتفرغ الدول العربية من محتواها وستبقى صحاري جرداء لاتجد من يعمرها عوضاً عن أن يبني فيها حضارات .

ولن تنتهي المنظمات الصهيونية من بث الدعاية والترويج للهجرة الى إسرائيل إلا بعد أن تصبح إسرائيل قوة عظمى تضاهي قوة أمريكا في الوقت الراهن .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 24-يناير-2005م

94 الحرب الديموغرافية في الوطن العربي هل بدأت؟

إن الحديث عن تعديل قوانين الجنسية في العالم العربي قد بدأ منذ عدة سنوات ولكن ذلك لم يأخذ الصبغة الرسمية في مختلف دول العالم العربي إلا منذ وقت قصير ويمكن تحديد زمن بداية الحديث عن تطوير هذه الأنظمة مع بداية توجه زعماء العالم العربي للسلام كخيار إستراتيجي وهو في الواقع خيار ظاهره عقلاني رشيد وحقيقة جوهره عجز وضعف شديد.

وإن كان السلام مطلب سام لجميع الدول والشعوب التي ترغب في الإستقرار الإقتصادي ومن ثم الإستقرار السياسي حتى تبدأ بالتطوير وإستمرار مرحلة البناء وقد يتعذر علينا تحديد تاريخ البداية فقد تكون منذ زيارة الرئيس السادات الى القدس وبداية إتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية وقد تكون البداية منذ نهاية حرب الخليج الثانية وتحرير الكويت وهذا التاريخ هو بداية دخول العالم العربي في نفق مظلم وقد نسمية بداية الحرب الديموغرافية بين شعوب المنطقة بتأثيرمن السياسيات الحكومية التي إنقسمت أراء زعمائهم وتوجهاتهم بين مؤيد وبين معارض.

ولكن على جميع الأحوال فإن الزلزال قد حصل ونتائجه الكارثية لم تنتهي بعد وإستمرت الأحداث من سيئ الى أسوأ الى أن جاء الزلزال الأكبر وهو زلزال الحادي عشر من سبتمبر2001م في نيويورك وواشنطن وما تلى ذلك من أحداث دموية في أفغانستان ومن بعدها العراق ولازال هذا الزلزال وتوابعه وردات فعله جعلت الكثير من الحكومات تتخبط في وحل هذا البركان الذي أفرز ومازال يفرز جماعات إرهابية وجماعات مقاومة فإختلط المعنى بين مفهومي الإرهاب والمقاومة حتى بين رجال السياسة ورجال القانون كما إختلط مفهوم الجهاد بين كبار علماء المسلمين وكل منهم له رأيه وتفسيره بالرجوع الى نصوص من الكتاب والسنة وهذه المقدمة ماهي إلا سرد سريع قبل الدخول في صلب موضوع الحرب الديموغرافية بين شعوب المنطقة العربية كتأثير مباشر للسياسات والأنظمة المتبعة في هذا الشأن في كل دولة عربية على حدة.

ولن ندخل في تفاصيل مايحدث في كل دولة عربية وإنما سنذكر ذلك على سبيل المثال حتى لانتهم بالإنحياز لفئة أو لطرف على حساب الطرف الآخر , ولكن هناك بكل تأكيد خطط وبرامج موضوعة في كل دولة حسب ظروفها الإجتماعية والسياسية سواء الداخلية منها أو الخارجية أو فيما يتعلق بالأمن الخاص للسلطات الحاكمة بها فكل دولة أدرى بظروفها الداخلية والكثير من القيادات ترغب في إحداث الكثير من التغيير والتطوير ولكن لايقدمون على ذلك بصورة ثورية أو سريعة حتى يمكن السيطرة على هذا التغيير وقياس نتائجه من وجهة نظرهم.

وهذا هو سر من أسرار التقدم البطيئ نحو الديموقراطية والحرية والتطور في كثير من الدول العربية وهو نفسه السر في إحتفاظ القيادات العربية بأنظمتها وسلطاتها الى أطول فترة ممكنة إذا لم يكن هناك تدخلات خارجية لإزاحة هذا النظام أو ذاك فالتغيير بدأ من الخارج في حالتي أفغانستان والعراق لتغيير أنظمة الحكم وكذلك سيبدأ التغيير من الخارج في مسألة الحرب الديموغرافية التي يتم التحضير لها في واشنطن ولكن التنفيذ سيبدأ من الداخل وفي هذه الحالة لانستطيع الإنكار.

أن هناك تخطيط متفق عليه لتغيير التركيبة السكانية لجميع الدول العربية لإشعال حروب ونعرات طائفية وإقصاء المواطنين الأصليين وهذا بحد ذاته ليس جديداً على أجزاء كبيرة من الدول العربية وبلا إستثناء ولينظر كل باحث الى بلده وما يحدث فيها من إقصاء .

وإذا كانت أحداث الشرق الأوسط وحروب الخليج المتعاقبة قد أفرزت كتاب صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي لمؤلفه صموئيل هنتنغتون في عام 1996م وهو تطوير لمقالة نشرت في مجلة العلاقات الخارجية صيف عام 1993م , وفي هذا الكتاب أفكار نظرية عن فكرة الحضارات وإشكاليتها والعلاقة بين القوة والثقافة وتوازن القوة المتغيرة بين الحضارات والتأصيل الثقافي في المجتمعات والأصولية الإسلامية وأسباب وديناميات حروب خط الصدع بين الحضارات فيمكنني أن أقول أن نفس الأحداث ومايتبعها من إمتداد للزلزال

في واشنطن ونيويورك في 11 سبتمبر 2001م والذي أصبحت بغداد المركز الجديد لإمتداد الزلزال السالف الذكر.

سيخلق صراع بين الطوائف المختلفة , ومما نتنبأ به هو أن صراع الحضارات سيتحقق وصراع الطوائف والنعرات سيتحقق أيضاً وهذه الأحداث ستفرز كتباً في صراع الطوائف والنعرات بل والحروب الأهلية أيضاً , أما بخصوص الإقصاء فيمكننا القول , إن هذا الإقصاء ليس جديداً في معظم البلاد العربية فهو في حقيقة الأمر صراع على السلطة وتسلط فئة أو طائفة على أخرى في هذه الدولة أو تلك وبعداً عن الديموقراطية وقرباً من الإستعباد والطغيان بجميع أشكاله , إبتداء من الدول المتقدمة وإنتهاء بالدول المتخلفة والتاريخ أكبر شاهد على تفريغ كثير من الدول من سكانها الأصليين ونشوء أنظمة وحضارات وحكام ورؤساء ليسوا أصلاً من سكان البلاد التي يحكمونها والأمثلة في التاريخ كثيرة.

إبتداء بالفتوحات الإسلامية الى الدول الإستعمارية الى الخلافة العثمانية الى الحكام الذين ينتمون الى قبائل في الجزيرة العربية ويحكمون دولاً في الخليج العربي الى طوائف أقلية عرقية تحكم أكثرية سكانية في بعض الدول العربية الى قضية الصراع العربي الإسرائيلي وكثيراً قرأنا في كتب التاريخ أبناء قبيلة معينة وطئت أقدام بلد ما حتى أصبحوا حكاماً عليها ومن ثم إستقدموا بني جنسهم في بلد معينة وإستقروا فيها وحتى تصير لهم الغلبة تبدأ قضية الإقصاء أو الترانسفير المصطلح الإسرائيلي والغربي لعملية الإقصاء والتهجير وماهو إلا تخطيط لتغيير التركيبة السكانية للبلد وإقصاء المواطنين الأصليين.

ويتم ذلك في هذا العصر بما يسمى خطط التجنيس والتوطين وتختلف قوانين التجنيس من دولة الى أخرى بما يخدم مصلحة الحكام وليس بما يخدم مصلحة الدولة بشكل عام . وما من شك أن الدول التي عانت من نير الإستعمار لازالت تعاني من السياسات التي رسمها الإستعمار لهذه البلد أو تلك قبل أن يغادر البلاد ومن هذه السياسات هي سياسة فرق تسد فكانت الدول الإستعمارية تتولى جلب بعض المتعاونين معها ومنحهم القوة والسلطة والمال ومن ثم تثبيتهم حتى أصبحوا مع مرور الزمن حكاماً ومواطنين ولهذا السبب نشأ في بعض الدول

التفريق بين التجنيس والجنسية أي أن هناك مواطن درجة أولى ومواطن درجة ثانية أو هذا مواطن برقم وطني وهذا مواطن بدون رقم وطني وهذا بدون أي لايرقى الى درجة المواطن.

وجميع هذه الأمور تفرز روائح نتنة وستحدث مستقبلا حرباً ديموغرافية بين سكان البلاد ففي الحقبة العثمانية زمن الخلافة كانت الدول العربية ضمن إطار حدود دولة الخلافة الإسلامية ولم تكن هذه التقسيمات نشأت بعد ومن ضمن السياسات التي قامت بها الدول الإستعمارية هي رسم الحدود على الخرائط وبطريقة تنشأ من وراءها النزاعات على الحدود فلا توجد دولة عربية رسمت حدودها بطريقة صحيحية وسليمة ولذلك تغذت النزعات العرقية والطائفية التي ستؤدي إن عاجلاً أم آجلاً الى أهداف التخطيط الإستعماري بعد جلاءه ورحيلة ففي حقبة الإستعمار البريطاني لاتوجد دولة رزحت تحت الإحتلال البريطاني إلا وتعرضت لمشاكل حدودية مع دول الجوار ونفس المثال ينطبق على الإستعمار الفرنسي أو الإيطالي أو البرتغالي أو غيرها .

وستأتي مرحلة إستعمارية جديدة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بحجة الدفاع عن الحرية والديموقراطية ومحاربة الإرهاب والبحث عن أسلحة الدمار الشامل وهكذا يقول بوش الإبن في خطاب ولايته الثانية " طالما ظلت مناطق بأكملها في العالم مضطربة بالظلم والطغيان، فسوف يوجد العنف ويتكاثر ليشكل قوى مدمرة، وسيتخطى أكثر الحدود تحصنا ويمثل تهديدا مميتا. إن أفضل أمل للسلام في عالمنا هو نشر الحرية في كافة أنحاء العالم , ولذلك فان سياسة الولايات المتحدة هي السعي لدعم نمو الحركات الديموقراطية والمؤسسات والثقافة في كل امة، بهدف إنهاء الطغيان والديكتاتورية بشكل كامل في عالمنا " إنتهى كلام بوش.

وهنا نستطيع أن نؤكد إنها بداية الحرب الديموغرافية في الوطن العربي . ولهذا قلنا أن التغيير سيبدأ من الخارج ولكن التنفيذ سيبدأ من الداخل وعليه يؤكد بوش " ولن نفرض أسلوب حكمنا على من لا يريده، وهدفنا البديل هو مساعدة الآخرين على أن يكون لهم رأيهم وصوتهم والحصول على حريتهم وشق طريقهم بأنفسهم " وهي دعوة لإنطلاق شرارة الحرب

الديموغرافية والدليل على مانقول هو النص التالي الذي ذكره بوش في خطاب ولاية العرش الثانية " كل من يعيشون تحت الطغيان بلا أمل يمكنهم أن يعلموا: الولايات المتحدة لن تتجاهل قمعكم أو تسامح قامعيكم، وعندما تطالبون بحريتكم وتدافعون عنها سنقف معكم ونساندكم. "

صحيفة أيلاف الإلكترونية 22-يناير-2005م

95 متى نسمع عن مبادرة عربية لتطوير المخيمات ؟

من المفروغ منه الآن أن جميع مبادرات السلام بخصوص القضية الفلسطينية لم تحقق أهدافها سواء منها العربية أو غير العربية ولازالت حالة من الضياع والتردد والحيرة تنتاب العالم العربي ولاسيما أن شارون قد فرض عليها وعلى البيت الأبيض شروطه للإنسحاب من قطاع غزة والذي لازال يماطل ليكسب مزيداً من الوقت وخصوصاً بعد التأجيل الأخير لمدة ثلاثة أسابيع إن صدق .

والغريب في الأمر أن مؤتمرات القمة لازالت تؤكد على مبادرة السلام العربية التي إستبدلتها الولايات المتحدة الأمريكية واللجنة الرباعية بخارطة الطريق , في الوقت الذي لاتزال القمم العربية تدعمها على أنها الإنجاز الرئيسي إن لم يكن الوحيد على الصعيد العربي ولقد عبرت الأوساط العربية بالإجماع عن تأييدها لهذه المبادرة التي حظيت في الوقت نفسه بتأييد متزايد من قبل دول الإتحاد الأوروبي والكل يعلم أنه لامجال لتحقيق أي تقدم طالما هناك محور أقوى في التأثير على التطبيق وهو المحور الإسرائيلي والأمريكي .

ولقد كان من المفيد أن يقدم العرب للعالم رؤية متزنة وواقعية لتحقيق السلام في المنطقة العربية ولا أقول منطقة الشرق الأوسط وإذا كان الهدف من هذا السلام هو إنهاء حالة الحرب والعداء بين الدول العربية وبين الدولة العبرية وطالما أن هذا السلام هو لتحقيق قيام دولة فلسطينية ودولة يهودية يعيشان بسلام .

وإذا كان هذا السلام هو من مصلحة الفلسطينيين والعرب قبل غيرهم فلماذا لاتقوم هناك مبادرة عربية لتحسين أحوال الفلسطينيين في المخيمات كمرحلة إنتقالية يتم تهيأتهم فيها للعودة الى أراضيهم كما وعدتهم الدول العربية منذ العام 1948م بأن العودة قريبة ولايبدو حتى الآن أن هناك أمل بالعودة ولكن التفاؤل من الإيمان لعل أن يكون هناك جدوى من الحلول السلمية .

وليكن من أهم أهداف هذه المبادرة هي القضاء على الفقر والجهل والمرض وتأمين الحياة الكريمة للاجئين الذين طال إنتظارهم وهم يحلمون بالعودة على أن يتم تهيأتهم بقبول أي

حلول سلمية بعد أن تم تجريب الضغط عليهم حتى يقبلوا بأي حلول وحتى يتخلص العالم العربي من حالة فقد الثقة بالقيادات الإسرائيلية التي أدت الى فقد ثقة الشعوب العربية بقياداتها في كثير من الدول حتى أصبحت قرارات مؤتمرات القمة محفورة في الذاكرة لاتغيير فيها ولاتعديل وخصوصاً فيما يتعلق بالتوطين .

وطالما أن إسرائيل إعتادت الرد على كل تنازل عربي بتشديد الضغط العسكري والسياسي على الشعب الفلسطيني الذي أصبح ينظر بعين الشك الى أي مبادرة سياسية عربية سلمية ويعتبرها نوعاً من التغطية على موقف الضعف والعجز العربي لاغير وحتى نتخلص من كل هذه العقد لابد من قيام مثل هذه المبادرة التي ستحقق إنجاز عربي على صعيد تحسين أحوال المخيمات التي تعاني من الويلات .

ولاسيما أنه بعد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ومعاهدة وادي عربة مع الأردن حققت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تحييد لهذين النظامين على الأقل في حربها ضد الفلسطينيين وتجاوزت جميع الحدود والمباديء الأخلاقية والقانونية المعترف بها عالمياً وليس ذلك فقط وإنما أضعفت كل مبادرة وحققت نتائج من ضمنها إفتتاح مكاتب تجارية لها في كثير من الدول العربية .

وليس غريباً في هذه الحالة أن ينتشر الإرهاب في كل مكان من عالمنا العربي وغير العربي وليس المقصود من مطالبتنا بمبادرة جديدة لتحسين معيشة الفلسطينيين في المخيمات هو التقليل من قيمة المبادرة العربية ولا من المكاسب السياسية والدبلوماسية العديدة التي يمكن أن تقدمها للقضية العربية ولكن من أجل تحقيق جزء من أحلام قاطني المخيمات ولاتعتبر هذه دعوة مبطنة للتوطين ولكن دعوة لتحسين معيشتهم قبل عودتهم وليس ذلك يعني إسقاط لحق العودة .

ولن تضير هذه المبادرة العرب بل ستظهر إستعدادهم في مد يد العون لإخوانهم الفلسطينيين حتى يتم تلطيف الأجواء السياسية لإطلاق التسويات التاريخية وتقديم التنازلات المؤلمة في سبيل التوصل إلى السلام وضمان الأمن والازدهار لشعوبهم وشعوب المنطقة بأكملها.

ولن يعتبر هذا الكلام تراجعاً تكتيكياً أو إستراتيجيا عربياً عن مبادرتهم ولكن يعتبر ذلك من باب حسن النوايا لتحسين معيشة هؤلاء البشر فليس من المعقول والمقبول أن يبقوا في مخيمات الى أن يتكرم عليهم من سلب ارضهم أن يعيدها إليهم ولكن هو نوع من تعديل وتطوير في المواقف العربية التقليدية منذ عام 1948م .

هذه المواقف المتقدمة والمتطورة ستعزز التوازن في الهجرة اليهودية الى فلسطين ليعيشوا في مستعمرات على أحدث طراز ويبقى الفلسطينين في مخيمات من أسوأ طراز هذا التوازن سيعيد لهذا اللاجيء الثقة في نفسه وفي قيادته وفي الزعامات العربية بشكل عام ويعطي مؤشر قوي لتنفيذ حقوق الإنسان .

وهذا أيضاً سيعطي مؤشر قوي وبشكل واضح وصريح أن العرب لن يتخلوا عن إخوانهم بدل التلويح بالتنازلات للرأي العام الإسرائيلي وتعريفهم بمكاسب السلام ولكن ذلك سيكون رداً مناسباً على التحدي الذي تمارسه حكومات إسرائيل المتعاقبة على الشعب الفلسطيني .

إن قيام مشاريع إسكان في مكان هذه المخيمات سينعش الدورة الإقتصادية في البلدان التي تتواجد على أراضيها هذه المخيمات وهو الرد السلمي والمقبول ويعتبر تأكيد ضروري للاحتفاظ بتأييد الرأي العام العالمي وهو مهم من زاوية التفكير الإستراتيجي ومن منظور المدى الطويل بدلاً من الهجرات الفلسطينية المتعاقبة الى العالم الغربي وقدوم مهاجرين يهود الى المنطقة العربية .

وهي أيضاً تعتبر دعم سلمي إقتصادي وضمان إستمرار مقاومة الشعب الفلسطيني وإنتصاره السياسي وأيضاً يعتبر دعم لمصداقية الزعماء العرب أمام شعوبها حتى لاتصبح في نظر هذه الشعوب ضالعة في مؤامرة الصمت العالمية المستمرة أو مؤامرة الكلام الذي لايحقق أي نتائج على الأرض .

إن مبادرات السلام ينبغي أن تبدأ من هذا الطريق وهي خيارات عملية لحماية الشعب الفلسطيني الأعزل بل وهجرة معاكسة للفلسطينيين للعودة الى النظام العربي والأرض العربية التي تتسع لملايين البشر والتي تنادي الدول المتقدمة مثل أستراليا وكندا للهجرة إليها وفتح باب العمل لهم لعمارة الأرض التي نادى بها ديننا الحنيف .

وسنجد أن المبادرة العربية هذه هي التي يتطلع الرأي العام العربي والفلسطيني منه بشكل خاص إليها بل وينتظرها اللاجئون بفارغ الصبر فهي التي ستحقق لهم طموحاتهم لقهر الجهل والفقر والمرض قبل قهر إسرائيل فهي التي ستعزز مقاومة الشعب الفلسطيني وتمكنه من مواجهة الهجرات اليهودية المتعاقبة الى أرض فلسطين إبتداء من حقبة بن غوريون الى حقبة شارون .

وينبغي أن تراعى في هذه المبادرة المحافظة وضمان حقوق الدول التي يوجد بها مخيمات فلسطينية وما أقصده هنا أن تتضمن المبادرة نص صريح على أنها ليس إعادة لطرح الوطن البديل الذي تنادي به إسرائيل ولكن لتجنب قيام وطن بديل وحماية لهذا الشعب من محاولات الطرد أو تسهيل الهجرة لهم الى خارج المنطقة العربية وإنما هي إعادة لتنظيم وجودهم على أساس شرعي عالمي جديد وبداية للقيام بخطوات عملية حقيقية لدرء خطر قيام وطن بديل وحماية لكيان الدول التي يتواجدون على أراضيها ومنعاً لقيام حروب أهلية مستقبلية عند أي إختلالات سكانية أو مظاهرات شعبية أو نعرات طائفية .

ولاسيما ان هناك دعوات عربية تحذر من الوجود الفلسطيني على أراضيها وتطالب بعمل المخططات اللازمة لمواجهة أي إحتمالات وخصوصاً على المدى الطويل ومن نسبة تزايد سكان المخيمات التي تعتبر من أفضل البيئات لقيام حركات تمرد شعبية التي ستؤدي في النهاية الى حروب أهلية وقد سبق وأن حدثت في الأردن وحدثت في لبنان أو قد تتكرر على شكل إنتفاضة كالتي ماتزال مستمرة في الأراضي المحتلة .

إن موضوع اللاجئين والنازحين معقد، لدرجة يحتم أن تطرح له مبادرة قبل أن يترك الى مفاوضات الحل النهائي التي تبدوا من شكلها أنها لانهائية والأمر الذي أبرز دعوات من الدول التي تتواجد المخيمات على أراضيها بعدم الوقوف مكتوفي الايدي، إلى حين اقامة دولة فلسطينية والى حين أن يقرر الفلسطيني البقاء أو عدم البقاء . أو تركه للمفاجئات التي ستنجم عن المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية والتي من المحتمل أن يتنازل فيها الفلسطينيون عن حق العودة ، كما روجت لهذا الموضوع بعض المبادرات غير الرسمية وبرعاية وتمويل من بعض الدول الغربية .

ان مراقبة التطورات في الأراضي الفلسطينية، وتطورات العلاقة الفلسطينية الاسرائيلية لا يبشر بأي حـل في المدى المنظور، واذا جاء الحل فإنه سيكون على حساب بعض الدول التي يتواجد اللاجئون على أراضيها ، ولأسباب عدة .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 15- مايو - 2005م

96 حفظ الهوية يكسب "المهمّين" هويات جديدة ووثائق سفر لا تخول أصحابها دخول بلدانها

ان العرب لم يتفقوا يوماً واحداً على مشروع يخدم قضيتهم المركزية, أو تتوحد جهودهم كما اتفقوا على عدم تجنيس اللاجئين أو توطينهم, أم منحهم حقوقاً, ليبقوا لاجئين, ويطلبوا لهم المساعدات من وكالات غوث وتشغيل اللاجئين. فالجامعة العربية أصدرت القرار الرقم 1547, عام 1959, الذي طالب بحفظ الهوية الفلسطينية. وجاء القرار قبل أن تنشأ منظمة التحرير, واستمر العمل به خوفاً من أن تقوى شوكتهم, وليس خشية من أن تذوب هويتهم.

الغريب في الأمر ان أهم المسؤولين في المنظمات الفلسطينية يحملون الجنسيات المختلفة, هم وعائلاتهم. ونسوا أنه إذا كان الهدف هو حفظ الهوية فلماذا غيروا هوياتهم؟ ولماذا لم يطالبوا في القرار المذكور آنفاً بأن تعطى كل التسهيلات للاجئين مع بقاء الهوية كرمز؟ واحتفظوا بمخيمات ترفض الحيوانات الأليفة العيش فيها. وأصبح شعار هذا اللاجئ "كوفية وخيمة". فكيف يطور صاحب هذا الشعار ذاته من العدم, وهناك قانون طبيعي يقول: "لماذا لا تفنى ولا تنشأ من العدم", وفي ظل عدم وجود امكانات؟ ويأمل في العودة ويتساءل: هل بقرارات الأمم المتحدة؟ أم بمبادرات السلام؟ أم بمن يسومونهم سوء العذاب؟ أم بمن يمنون عليهم الاستضافة في مخيمات ليبقى بكوفية وخيمة فقط؟

هذا اللاجئ يبحث عن حقوق الإنسان فلا يجدها, وحتى الممثل الشرعي والوحيد لهذا الشعب بدأ يتخلى عنه, ولا يعرف منه إلا دفع الرسوم والتعويضات والتبرعات, والتعاون مع دول شقيقة لعدم تجديد وثيقة السفر إلا بخطاب من سفارته موجه لقنصلية الدولة بالإيعاز بالتجديد, بعد أخذ الأتاوة والرسوم, مع ختم الوثيقة بختم لاجئ رسمي أي (لا يحمل جواز سفر السلطة أو هوية مواطنة). وهذه الوثيقة لا تخول صاحبها دخول الدولة التي أصدرتها, وبها لا يستطيع دخول الأراضي المحتلة, لأن اسرائيل هي التي تتحكم في المعابر والحدود. وطالما ان اسرائيل سعت منذ البداية الى طمس حق اللاجئين في العودة, فكيف لهذا الشعب المغلوب على أمره أن يرفض هذه المشاريع, أو يصر على تمسكه بحقه في العودة؟

وبعض الدول العربية تحظر تنقل الفلسطينيين أو العمل في بعض المهن. بل أنهم معزولون في مخيمات, لا يخرجون من المخيم إلا بتصريح, ولا يدخلون إلا بتصريح, وكأنهم في ثكنة شبه عسكرية, أو محمية محاطة بأسلاك شائكة حفاظاً على من بداخلها من الانقراض. لأن هذه "الهوية" يجب ألا تنقرض, لأننا نحتاجها في المسلسلات "العربية". فالعرب أمة لا تدرس تاريخها بل تتفرج عليه! فهل تستحق الأمة حملة "أيام الندم" طالما اسرائيل, عفواً أميركا هي الخصم والحكم؟

صحيفة الحياة اللندنية 13-10-2004م

97 الإنسحاب وأثره على التطبيع والتجنيس

أصبح الإنسحاب من قطاع غزة أمراً واقعاً بعد أيام من إحياء الذكرى السابعة والخمسون للنكبة والتي إعتبرتها الصحف محطة سوداء في تاريخ الشعب الفلسطيني ولاسيما أن هناك خمسة ملايين فلسطيني في الشتات ، يطالبون بحق العودة والحقوق المدنية لهم في أماكن وجودهم ولكن العزاء هو أن هذه السنين كانت مصدراً للعبر والإستفادة من درس هذا الحدث المأساوي للإنطلاق نحو الإحتفالات بيوم الجلاء والتحرير جراء الإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة وهدم المستوطنات فيها .

ولم تنهار أحلام الشعب الفلسطيني بالتحرر من الإستعمار وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس رغم بطش التنظيمات الصهيونية، والقيود العربية ورغم الدموع والتشرد والخوف من الهزيمة التي عرفت فيما بعد باسم "النكبة" وبدا اللاجئون واثقين من العودة لديارهم وفي هذه الذكرى تبدو حقائق الواقع أقسى من أحلام الماضي وآلامه .

وها نحن اليوم نرى قطعان المستوطنين وقد جلوا عن المستوطنات طواعية وقسراً بعد ما كان يعدهم قادتهم بالعودة الى أرض الميعاد , أرض الفردوس المفقود نراهم قلقون من المستقبل وهم يرون شارات النصر على أيدي الشعب الفلسطيني .

ورغم هذا الإنسحاب لم يعترف الإسرائيليون حتى يومنا هذا بالمسؤولية عن نكبة الشعب الفلسطيني أو يخففوا من تعنتهم إزاء حق عودة اللاجئين الذي كفلته لهم قرارات الشرعية الدولية

وفي الوقت نفسه يعرب الجيش الإسرائيلي عن "تفهمه العميق" لما وصفه بـ "الألم" الذي يشعر به المستوطنون، وينظر الفلسطينيون إلى خطة شارون لإخلاء مستوطنات قطاع غزة على أنها انتصار للمقاومة الفلسطينية المسلحة ضد إسرائيل كما يرون أن الانتفاضة قد أسهمت في تنفيذ الحقوق الفلسطينية التي فشلت المفاوضات في تحقيقها .

ولكن ماذا بعد الإنسحاب فقد نقل عن شارون قوله أن المجموعات الفلسطينية قد لا تستمر بالالتزام بالهدنة الحالية التي تعهدت بها للسلطة الفلسطينية، ولكنه لم يتحدث عن الأسباب

التي دفعته لهذا الاعتقاد ولم يشر إلى الانتهاكات التي تقع من الطرف الإسرائيلي للهدنة غير المعلنة بين إسرائيل والفلسطينيين .

وفي هذه الأثناء تضاربت تصريحات المسؤولين الإسرائيليين بشأن تقييمهم لآثار الانسحاب، حيث أكد وزير المالية الإسرائيلي المستقيل بنيامين نتنياهو أن خطة الانسحاب الإسرائيلية المزمعة "ستشجع الإرهاب" وتهدد مسار عملية السلام وقال أيضاً ان خطة رئيس الوزراء ارييل شارون للانسحاب من غزة قد تجعل اسرائيل تواجه خطر الموت ونحن نواجه عدوا لا يهدد اسرائيل فحسب، بل كذلك مصر والاردن .

أما وزير خارجية إسرائيل سيلفان شالوم فقد أطلق تصريحات عن إتصالات حثيثة مع الدول العربية لتطبيع العلاقات مع إسرائيل وكأن الثمن الذي ينبغي أن يدفعه العرب بعد إنسحاب إسرائيل من قطاع غزة هو التطبيع وخصوصاً مع الدول الخليجية ودول شمال إفريقيا وسيتم ذلك بدعم أميركي .

إن ما جرى من هزيمة نتاج تراكم الفشل العربي من جهة وتراكم النجاح الصهيوني من جهة أخرى، فإلى متى تبقى سياسة "صم بكم عمي" هي المعتمدة عربياً تجاه اللاجئين ومعاناتهم اليومية وفقدانهم لحقوقهم المدنية عوضاً عن المجازر بحقهم سواء كانت على أراضي عربية مجاورة لفلسطين أم داخل فلسطين على أيدي العصابات الصهيونية .

إن العالم العربي بحاجة إلى دراسة أسباب الفشل العربي وأسباب النجاح الصهيوني وتبني فلسفة ديموقراطية جديدة بعيدة عن الخلافات وأن تعطي مزيداً من الحريات لشعوبها من أجل تحقيق الغايات الكبرى للأمة ، وأن تساهم في إعادة النظر في القرارات العربية السلبية التي أتخذت بحق اللاجئين ومن ثم إعادة تطوير هذه القرارات بما يتناسب والمرحلة الحالية لتتغير طبيعة وجوهر الأداء ومستواه، والعمل الجاد للتغلب على الضعف والوهن والتجزئة والانقسام والتخلف لأن قواعد اللعبة قد تغيرت الآن .

إن نكبة 1948م أسفرت عن احتلال ثلاثة أرباع فلسطين التاريخية، وتدمير 531 تجمعا سكنيا وطرد وتشريد 58% من السكان الفلسطينيين آنذاك الى الدول العربية المجاورة ومنذ ذلك

الوقت والدول العربية تتمسك بعدم إعطاء اللاجئين الفلسطينيين حقوقهم المدنية بل وتمنع تحركهم أو تسهيل مهمتهم بل وتحرمهم من العمل في معظم المهن .

ويقدر عدد الفلسطينيين الذين طردوا في أحداث النكبة بحوالي 150 ألف مواطن، إضافة إلى 350 ألفا عام 1967م ، فالتقديرات الحالية لعدد المقيمين خارج وطنهم تشير إلى حوالي خمسة ملايين فرد نهاية عام 2004م . فمن كان السبب في تزايد عدد اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية ؟ , وهل كان الإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة الذي سيتبعه إنسحاب من الضفة الغربية بسبب المقاومة والإنتفاضة في الداخل أم بسبب وجود اللاجئين في الدول العربية ؟ .

إن إسرائيل لم ولن تسمح تحت أي ضغط دولي أو عربي أو غيره لعودة اللاجئين الى فلسطين فهو بمثابة إنتحار لها حيث يعيش نحو 1.7 مليون فلسطيني في الضفة الغربية ، وأكثر من مليون آخرين في قطاع غزة، بينما يعيش داخل إسرائيل نحو 1.2 مليون فلسطيني ترى فيهم إسرائيل قنبلة موقوتة وخصوصاً بعد الحادث الإرهابي الذي قام به مستوطن متعطش للدماء أودى بحياة أربعة منهم في مدينة "شفا عمر" قضاء حيفا , الأمر الذي أدى بالحشود الغاضبة الى قتله بأيديهم وتحت أرجلهم وفي اليوم التالي قام أربعون ألف منهم بمظاهرات تعبيراً عن غضبهم وقوة تنظيمهم الأمر الذي جعل شارون ولأول مرة يعترف بأنها عملية إرهابية ومن قام بها هو إرهابي متعطش للدماء .

وبدأ القادة الإسرائيليون يتحدثون عن نوايا إسرائيل من الإنسحاب وعلى لسان كبار المسؤولين فيها بأنه لا يوجد لدولة إسرائيل وللسياسة الإسرائيلية أي شروط أو أي ثمن للانسحاب من قطاع غزة, وأن التوصل إلى نتيجة الانسحاب كان واضحا لأسباب وأهمها أولاً : تحريك العملية السلمية وإيصالها إلى وضع يختلف عما كانت عليه في الأربع سنوات الماضية , وحينما تم الاتفاق وضعت أجندة الإنسحاب من قطاع غزة , وثانيا : إلى تطبيع العلاقات مع إسرائيل , وليس بسر أن هناك علاقات مع معظم الدول العربية والإسلامية منها علاقات معلنة ومنها علاقات غير معلنة وحين تتحدث إسرائيل مع دول مختلفة نرى أن هنالك رغبة شديدة لتشجيع الجانبين على العودة إلى طاولة المفاوضات.

إن سيلفان شالوم وزير الخارجية منذ عام وهو يتحدث عن قضية التطبيع مع دول عربية بلقاءاته، وإتصالاته مع العرب في أوروبا وفي بعض الدول العربية, وتدعي إسرائيل بأن الانسحاب والعلاقات مع الدول العربية الفائدة منه هو كسب وبناء الثقة والتفاهم بين الإسرائيليين والعرب, بعد صراع دام أكثر من مائة عام .

إن القمة العربية في بيروت عام 2002م , قالت سلام كامل مقابل انسحاب كامل , ولكن إسرائيل تريد انسحاب جزئي وتطمع في تطبيع عربي جماعي كامل , وإسرائيل تقولها صراحة أنها أعلنت عن انسحاب أحادي الجانب كان الهدف الأول والأخير إعطاء الفرصة للعملية السلمية .

فإذا إستطاعت السلطة الفلسطينية السيطرة على منطقة قطاع غزة واستطاعت أن تقول لإسرائيل وللعالم أجمع أنها تمكنت من ذلك فحينها ستعود إسرائيل إلى طاولة المفاوضات لتنفيذ خارطة الطريق رغم تحفظات شارون عليها .

وأثناء زيارة شارون الى فرنسا وجه إنتقاداً لاذعاً للدول العربية بقوله للجالية اليهودية في فرنسا بالحرف الواحد إن خطة الانسحاب من غزة ستضمن عدم العودة إطلاقا إلى حدود 1967م , وعدم عودة اللاجئين الفلسطينيين ، وأرييل شارون قال في باريس أيضاً لصحيفة لوموند الفرنسية إن إسرائيل توصلت إلى اتفاقات سلام مع مسؤولين عرب ولكن الشعوب العربية لا تقبل بإسرائيل بل قال أن الخرائط في المدارس في الأردن وفي مصر لا يوجد عليها اسم إسرائيل رغم أن مصر والأردن وقعوا اتفاقيات سلام .

وتصر إسرائيل بقولها أن التوصل لاتفاق بين الجانبين يتم عن طريق مفاوضات مباشرة بين الجانبين ومن لا يعتقد أن يكون هنالك تنازلات من الجانبين وهذه تنازلات من الممكن أن تكون مؤلمة إلى الجانبين لن نصل إلى حل, الحل هو أن يكون هنالك مفاوضات مباشرة بين الجانب الإسرائيلي والجانب الفلسطيني .

ومنذ أن أُعلن عن الانسحاب الأحادي في غزة , قال كبير مستشاري رئيس الوزراء الإسرائيلي دوف فيسغلاس وكان مدير مكتبه السابق قال إن الانسحاب من غزة هدفه وضع خارطة الطريق, ومسيرة السلام, ومشروع الدولة الفلسطينية في مختبر للتحنيط .

ولكن الجانب العربي يعتقد أن الإنسحاب من غزة لم تعطى هبة للفلسطينيين وإنما تم الإنسحاب تحت ضغط المقاومة وليس بسبب الدبلوماسية العربية أو الاتفاقيات مع السلطة والدليل على ذلك إن إسرائيل تعتبر إنسحابها من طرف واحد دون التنسيق مع السلطة وهي الشريك في عملية السلام .

انتفاضة الأقصى منعت الدول التي كان لها علاقات تطبيع بشكل غير مباشر في الخليج وفي شمال إفريقيا وذلك بسبب ردة الفعل الإسرائيلية ضد الانتفاضة الفلسطينية, هذه الدول لم تطبع مع إسرائيل إلا بعد أن كانت مفاوضات أوسلو بين الفلسطينيين والإسرائيليين .

أما قضية ما يقال عن التطبيع بعد الانسحاب من غزة , فربما يكون هناك شيئاً في صالونات السياسة العالمية لتشجيع إسرائيل على تنفيذ خارطة الطريق وقبول إسرائيل لمبادرة السلام العربية التي أطلقها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وتبناها الزعماء العرب في قمة بيروت عام 2002م , ومن أهم بنودها سلام كامل مقابل انسحاب كامل الأمر الذي رفضته حكومة شارون , ووسعت من عدوانها تحدياً للعرب رغم أن العرب إنتهجوا خيار السلام كخيار إستراتيجي عربي واحد .

ومن الغريب في الأمر أن الحكومات العربية تعطي التنازلات لإسرائيل ولا تعطي تنازلاً للاجئين الفلسطينيين على أراضيها إنها لغة القوة التي تؤمن بها النفس البشرية بشكل عام فهذه أحداث شرم الشيخ الأخيرة وأحداث قطارات الأنفاق في لندن أرمت بظلالها على مجمل الأوضاع السياسية في العالم وأصبحت الحرب الحقيقية هي محاربة الإرهاب والإرهابيين , ولكن في الوقت نفسه بدأت الحكومات تراجع سياساتها الظالمة على مستوى العالم بحق الشعوب المستضعفة ولهذا أستجدت بعض المواقف لدى بعض الحكومات العربية والغربية ، ومن ضمنها التغيير في قوانين العمل ومنح الجنسية .

ومازال هناك شكوكاً تضع بظلالها حول موضوع الانسحاب الإسرائيلي من غزة ، من طرف واحد، منبهة إلى احتمال أن هذا الانسحاب كان مخططا له ومتفقا على آلياته بين أطراف عديدة , وأنه أيضا شمل مقايضات تتخلى بموجبها السلطة الفلسطينية عن حق العودة ، وعن التمسك بالقدس كعاصمة للدولة الفلسطينية المرتقبة . وتقوم الحكومات العربية بدورها في تسهيل تنفيذ هذا التنازل ، من خلال قبولها بتوطين الفلسطينيين والسماح لهم بالعمل وكانت محرمة عليهم حتى الوقت القريب .

إن الدول التي أقامت علاقات دبلوماسية أو تجارية مع إسرائيل مطالبة أكثر من غيرها بحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين لديها فلا يعقل أن تقيم علاقات تجارية وسلام مع إسرائيل من جهة وتضغط على اللاجئين من جهة أخرى بحجة الضغط على إسرائيل لقبولها بعودة اللاجئين , ولايعقل أن يحق لليهودي أن يستثمر في دولة عربية ويستقدم عمالة خارجية والفلسطيني في المخيمات محظور عليهم العمل في معظم المهن إلا إذا كان هناك إتفاقات غير معلنة مع إسرائيل لمنع هذا اللاجيء من حقوقه المدنية المشروعة .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 18-08-2005م

98 عودة اللاجئين مرهون بموافقة إسرائيل

تناقلت وكالات الأنباء أخباراً مفادها " إن إسرائيل ترفض عودة اللاجئين من أبناء قطاع غزة الى أراضيهم التي شهدت جلاء المستوطنين عنها أخيراً "

بدأت بعض القيادات العربية تتدارس فيما بينها مصير أبناء القطاع الموجودين على أراضيها فمنهم من رأى أن ذلك سابق لأوانه ومنهم من يرى بضرورة التنسيق مع السلطة الفلسطينية كما هو الحال ضرورة التنسيق مع الحكومتين الإسرائيلية والأميركية وبعض الدول المؤثرة في القرار الدولي .

إن بعض الدول العربية التي تتلقى مساعدات من أمريكا لن يكون قرارها نابع من ذاتها وإنما ستكون هناك إملاءات مفروضة عليها , فهناك إتفاقيات سرية بهذا الخصوص مرتبطة بالقوانين الأمريكية التي تحظر تقديم مساعدات ومنح للدول التي لاتصادق على هذه الإملاءات .

إن المساعدات الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية تذهب فعليًّا لصيانة المنظومة الإقليمية التي تحافظ على المصالح الأمريكية والغربية والصهيونية في هذا الجزء من العالم ، وتمنع بالتالي تطوره الاقتصادي والسياسي الحقيقي، مع العلم أن أكثر من نصف المساعدات الخارجية الأمريكية في العالم يذهب تقليديًّا للشقين الأمني والعسكري.

وهنا يتبادر الى الذهن العديد من الأسئلة بخصوص عودة اللاجئين نوجزها فيما يلي :

بعد الإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة هل سيعود أبناء المخيمات الى قطاع غزة ؟

ماذا سيفعل مناهضوا التطبيع والتجنيس في حالة إصرار إسرائيل على عدم العودة ؟

هل حق العودة حقيقة أم سراب ؟

هل هناك جدول زمني لعودة بعض اللاجئين من أبناء قطاع غزة ؟

هل سيبقى أبناء المخيمات بدون تجنيس أو توطين ؟

ماذا ستفعل الدول العربية إزاء رفض إسرائيل عودتهم الى قطاع غزة ؟

هل سيحق لهم زيارة أقاربهم في قطاع غزة ؟

ماهو موقف دول العالم من عودتهم ؟

ماهو موقف الدول التي يتواجد أبناء المخيمات على أراضيها وترفض التوطين أو التجنيس ؟

هل هناك صفقات دولية بخصوص تسوية أوضاعهم ؟

ماهو موقف الجامعة العربية من هذه الأزمة ؟

ما أثر عدم العودة على التطبيع مع إسرائيل ؟

ماهو موقف الأمم المتحدة من المسألة ؟

ماهو دور منظمات حقوق الإنسان من هذه المشكلة ؟

ماهو الدور الذي ستلعبه منظمة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين بعد الإنسحاب ؟

ماهو موقف أمريكا من هذه المسألة ؟

ماهو موقف الدول الأوروبية من هذه المسألة ؟

ماهو موقف السلطة الفلسطينية من هذه المسألة ؟

ماهو موقف الفصائل من هذه المسألة ؟

ماهو موقف أبناء المخيمات أنفسهم من المشكلة ؟

ما أثر عدم العودة على الإرهاب في المنطقة ؟

وهنا سنؤكد على حقيقة هي أن عودة اللاجئين أو بقائهم في مخيماتهم أو توطينهم أو تجنيسهم مرهون بموافقة إسرائيل ومن يساعدها ومن يحافظ على إسترضاءها ويطبق سياساتها ولن تجدي معها المبادرات نفعاً بل هي ذر للرماد في العيون التي إبيضت من الحزن على الأقصى ولن تقتنع إسرائيل بجدوى مثل تلك المبادرات إلا مقابل إمتيازات ستجنيها إسرائيل حتماً من وراء ذلك الإنسحاب المنقوص فكل النتائج تصب في مصلحة إسرائيل منذ قيامها لإنها تعرف كيف تستفيد من تسارع الأحداث وتجيره لصالحها بإمتياز .

موقع قناة العربية الفضائية 02-09-2005م

99 كذب السياسيون ولو صدقوا

ان للكذب دور كبير في حياة صانعي السياسة في الدول الديمقراطية خاصة وغير الديموقراطية عامة , حيث أثبتت الأبحاث أن الناخبين يتوقعون من السياسيين ان يكذبوا عليهم بل ويطلبون منهم ذلك في بعض الأحيان , هذا وإن برر السياسيون الكذب في حملاتهم الإنتخابية لكسب أصوات الناخبين إلا أنهم يمارسون شكلاً من ألعاب الورق "البلوت" مثلاً التي تتطلب من اللاعب بذل المستطاع لعدم الكشف عما بحوزته من أوراق .

ان المواطن تعود ان يكون هدفا لشعارات ووعود كاذبة تدغدغ طموحاته وتواسي آلامه رغم أنه يعرف من خلال التجربة أن أكثر هذه الوعود لاتتحقق , لذا فإن القائد أو الزعيم أو السياسي لا يجد غضاضة في إطلاق الوعود الطموحة رغم علمه المسبق بعجزه عن تحقيقها , كما أن الشعوب تكذب على قادتها بشعارات بالروح بالدم نفديك يازعيم وعندما يقع الزعيم في مشكلة لانجد من يساعده في الخروج منها .

وليس غريباً أن أسوق هذه المقدمة في الوقت الذي تستعد العديد من الدول العربية والإسلامية لإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل رغم الكذب والنفي المتكرر وسنضرب لهذا مثلاً ذلك اللقاء الباكستاني-الإسرائيلي في إسطنبول الذي قال عنه مسؤول سياسي رفيع بأنه للدفاع عن القضية الفلسطينية ، كما كرر أيضاً "ينبغي عدم إساءة الفهم ، هذا لا يعني أننا نعترف بإسرائيل، ولن نعترف بها حتى يحصل الفلسطينيون على دولتهم" ثم استدرك "أو نلمس بوادر اتفاق في هذا الاتجاه".

أما الأسباب الكاذبة والتي تعطي إيحاء بالصدق فقد جاءت على النحو التالي :

- تعزيز الحضور الباكستاني على الساحة الدولية .
- القلق الباكستاني من أن التوازن الإستراتيجي في جنوب آسيا قد يتأثر بتنامي الروابط العسكرية بين إسرائيل والهند وقربهما من الولايات المتحدة .
- الهدف من اللقاء كان الدفاع عن القضية الفلسطينية .
- إن الاجتماع عقد عقب استشارة وموافقة أطراف عربية فاعلة على هذه الخطوة .

- رغبة الباكستان بعدم العيش في عزلة لأن الدول التي تتطلع إلى المستقبل تتلمس التغييرات العالمية مسبقا .

- إن باكستان لن تعترف بإسرائيل قبل إقامة الدولة الفلسطينية .

- إسرائيل تقول إن اللقاء جاء "بمبادرة من الرئيس الباكستاني الذي طلب من رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان القيام بدور الوسيط في هذا الصدد".

- باكستان تقول اللقاء جاء بضغوط أمريكية ورغبة شديدة وإلحاح إسرائيلي .

- باكستان تقول إن اللقاء جاء على خلفية الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة ، ولتشجيع إسرائيل على المضي قدما بعملية السلام وصولا لإقامة دولة فلسطينية .

- خبراء ومحللين سياسيين يقولون إن اللقاء جاء بعد اتصالات سرية بين البلدين, مشيرا إلى أن باكستان تعتقد أن إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل من شأنها تخفيف الضغوط الهندية وتعميق العلاقات مع الولايات المتحدة .

- إسرائيل تقول إن تطبيع العلاقات مع باكستان سيشكل مدخلا لتطبيع العلاقات مع دول إسلامية أخرى كإندونيسيا وماليزيا وبنغلاديش .

ويتعلم السياسيون في علم السياسة بعض المباديء منها " انه ليس من الخطأ ان تكذب وإنما الخطأ هو أن يكتشف الناس إنك تكذب " وعلى أرض الواقع نعلم أن الجماهير قد يغفروا للكاذب فعلته لكنهم لن يرحموا ابداً من يقول الحقيقة , وتؤكد بروتوكولات حكماء صهيون على اليهودي أن يكذب و يكذب ويكذب حتى يصدق نفسه فيصدقه الناس , وحال الشعوب وزعماءها في علاقاتهم مع بعضهم البعض كحال أحد الشخصيات في مسرحية هنري الرابع لشكسبير حيث يقول " إذا كان الكذب يسعد مولاي فاني أسوق له كذبي بكل حبور" .

اذن فالسياسيون والشعوب يكذبون على بعضهم البعض وهذا مايؤكده الواقع الذي تعيشه الأمم الديموقراطية وغير الديموقراطية على حد سواء . ويؤكد أحد الباحثين إن أحد أسباب لجوء السياسيين الى الكذب هو إصرار الجماهير على الدخول في تفاصيل لا يحبذ السياسيون مناقشتها بشكل علني. حيث قال " إنه لو غض الناخبون الطرف عن الكثير من الأمور لكذب السياسيون بشكل أقل" .

ومن يتابع المؤتمرات الصحفية للسياسيين لوجد أن القاسم المشترك الأكبر فيما بينهم هو الإفصاح عن القليل والتهرب من الإجابة وربما الكذب في بعض الأحيان , ويبدو ان السياسيين على اختلاف أشكالهم يعتبرون إحتكار الحقائق وتصريفها بحذر جزء هاماً من طبيعة عملهم .

لعلنا بعد كل ما تقدم نستطيع القول بأن السياسيين يكذبون لإسعادنا ويسمعوننا ما نطرب له ومن يتقبل ذلك الكذب من الشعوب فإنهم في الواقع يكذبون على أنفسهم وهنا نتساءل ألم يكذب زعماء كثيرون في إيجاد المبررات لأفعالهم المشينة بحق البشرية وهي الحروب التي طحنت ولاتزال تطحن النفوس البريئة بحجج أمثال تدمير أسلحة الدمار الشامل والحرب على الإرهاب وحق العودة ومقاومة التطبيع والتوطين .

وفي نهاية مقالنا هذا ندعوا الساسة والزعماء أن يتحروا الصدق في أقوالهم وأفعالهم ليكونوا صادقين مع أنفسهم وشعوبهم , كما نحث الباحثين في العلوم السياسية على دراسة أقوال الساسة والمنظرين وشعاراتهم وحملاتهم الإنتخابية التي لاتخلوا من الكذب لتوضيحها لشعوبهم حتى نزرع الصدق في النفوس المريضة , الأمر الذي دعانا أن نقول كذب السياسيون ولو صدقوا .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 03-09-2005م

100 رسالة الى الجامعة العربية

نحن نعلم مدى المسؤولية الملقاة على عاتقكم ونحن نقدر جهودكم المبذولة لتطوير الجامعة وبمناسبة إنعقاد مجلس وزراء الخارجية العرب دورته نصف السنوية العادية في الثامن والتاسع من سبتمبر الجاري في القاهرة ونحن نعلم إن الاجتماع سيتمحور بشكل خاص حول تطورات القضية الفلسطينية بعد الانسحاب الاسرائيلي من غزة وغيرها من المواضيع الهامة على الساحتين العربية والدولية .

ولاشك أنكم تتابعون بقلق بالغ الأخبار حول هذه القضايا وخصوصاً ماتناقلته وكالات الأنباء بخصوص رفض إسرائيل لعودة اللاجئين من أبناء قطاع غزة الى أراضيهم التي شهدت جلاء المستوطنين عنها أخيراً .

ولاشك أنكم وإخوانكم من زعماء العالم العربي تتدارسون مصير أبناء القطاع الموجودين في المخيمات على الأراضي العربية وهناك وجهات نظر مختلفة فمنهم من رأى أن ذلك سابق لأوانه ومنهم من يرى بضرورة التنسيق مع السلطة الفلسطينية كما هو الحال ضرورة التنسيق مع الحكومتين الإسرائيلية والأميركية وبعض الدول المؤثرة في القرار الدولي .

وتعلمون أيضاً أن بعض الدول العربية ترزح تحت فقر مدقع الأمر الذي يجعلها تتلقى مساعدات من أمريكا وبالتالي لن يكون قرارها نابع من ذاتها وإنما ستكون هناك إملاءات مفروضة عليها , فهناك إتفاقيات سرية بهذا الخصوص مرتبطة بالقوانين الأمريكية التي تحظر تقديم مساعدات ومنح للدول التي لاتصادق على هذه الإملاءات .

إن المساعدات الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية تذهب فعليًّا لصيانة المنظومة الإقليمية التي تحافظ على المصالح الأمريكية والغربية والصهيونية في هذا الجزء من العالم ، وتمنع بالتالي تطوره الاقتصادي والسياسي الحقيقي، مع العلم أن أكثر من نصف المساعدات الخارجية الأمريكية في العالم يذهب تقليديًّا للشقين الأمني والعسكري.

وهنا نرفع لمعاليكم ما يتبادر الى ذهن اللاجيء العديد من الأسئلة بخصوص عودة اللاجئين نوجزها فيما يلي :

بعد الإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة هل سيعود أبناء المخيمات الى قطاع غزة ؟

ماذا سيفعل مناهضوا التطبيع والتجنيس في حالة إصرار إسرائيل على عدم العودة ؟

ماهو موقف الجامعة العربية من هذه الأزمة ؟

هل هناك جدول زمني لعودة بعض اللاجئين من أبناء قطاع غزة ؟

هل سيبقى أبناء المخيمات بدون تجنيس أو توطين ؟

ماذا ستفعل الدول العربية إزاء رفض إسرائيل عودتهم الى قطاع غزة ؟

هل سيحق لهم زيارة أقاربهم في قطاع غزة ؟

ماهو موقف الدول التي يتواجد أبناء المخيمات على أراضيها وترفض التوطين أو التجنيس ؟

هل هناك صفقات دولية بخصوص تسوية أوضاعهم ؟

ما أثر عدم العودة على التطبيع مع إسرائيل ؟

ماهو موقف الأمم المتحدة من المسألة ؟

ماهو دور منظمات حقوق الإنسان من هذه المشكلة ؟

ماهو الدور الذي ستلعبه منظمة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين بعد الإنسحاب ؟

ماهو موقف أمريكا من هذه المسألة ؟

ماهو موقف الدول الأوروبية من هذه المسألة ؟

ماهو موقف السلطة الفلسطينية من هذه المسألة ؟

ماهو موقف الفصائل من هذه المسألة ؟

ماهو موقف أبناء المخيمات أنفسهم من المشكلة ؟

ما أثر عدم العودة على الإرهاب في المنطقة ؟

وهنا سنؤكد على حقيقة هي أن عودة اللاجئين أو بقائهم في مخيماتهم أو توطينهم أو تجنيسهم مرهون بموافقة إسرائيل ومن يساعدها ومن يحافظ على إسترضاءها ويطبق سياساتها ولن تجدي معها المبادرات نفعاً بل هي ذر للرماد في العيون التي إبيضت من الحزن على الأقصى ولن تقتنع إسرائيل بجدوى مثل تلك المبادرات إلا مقابل إمتيازات

ستجنيها إسرائيل حتماً من وراء ذلك الإنسحاب المنقوص إذ لا سلطة للسلطة على المعابر البرية والبحرية والجوية .

ومنذ النكبة عام 1948م وكل النتائج تصب في مصلحة إسرائيل منذ قيامها لإنها تعرف كيف تستفيد من تسارع الأحداث وتجيره لصالحها بإمتياز , والجامعة العربية بحاجة الى تنسيق المواقف والعمل الجاد من أجل الخروج بحلول مشرفة على الصعيدين العربي والدولي وبيدكم الكثير من الوسائل التي لو أستغلت بالشكل المطلوب لأصبح حال اللاجئين أفضل نسبياً .

ومعلوم لديكم أيضاً إن الحاجات الغريزية والحضارية والتي تعتبر عناصر رئيسية وجوهرية في حياة كل فرد . حيث تتولد حاجاته من الرغبة في البقاء والمقدرة على العيش والاستمتاع بتجارب وخبرات اجتماعية حضارية محددة . وتثير هذه الحاجات المتسلسلة هرميا" الدوافع التي تدفع الشخص لأن يتصرف بطريقة ما لا يمكن معها لما يسمى بحاجاته العليا أن تشبع (تلبى) ما لم تشبع احتياجاته الدنيا .

وهو ماتسعى إسرائيل دوماً على أن يبقى اللاجيء يلهث وراء لقمة العيش حتى لايجدها ودخلت الأمة في جدل لاطائل منه بخصوص حق العودة والتوطين إستمر لسبع وخمسون عاماً , وساهمت الجامعة بالقرار رقم 1547الصادر عام 1959م في بقاء اللاجيء في المخيمات دون إعطاءه حقوقه المدنية التي ينشدها الجميع .

فهل يتكرم المجتمعون في إعادة النظر في هذا القرار وغيره من القرارات التي هي بحاجة الى إلغائها أو تحديثها وبما يتناسب مع المعطيات السياسية الحالية ولاسيما أن اللاجيء تعود ان يكون هدفا لشعارات ووعود طموحة تدغدغ طموحاته وتواسي آلامه رغم أنه يعرف من خلال التجربة أن أكثر هذه الوعود لن يتحقق , وليس غريباً أن يبقى وضع هذا اللاجيء على حالة والعديد من الدول العربية والإسلامية تسعى وتستعد لإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 04-09-2005م

101 الجدار العازل ستدمره الأنفاق

من منبر الأمم المتحدة تباكى شارون على السلام وهو متأنق بزة حمل وديع أنكر الذئب أعماله وأخذ يسدي النصائح للفلسطينيين بأن عليهم أن يثبتوا للعالم أنهم يريدون السلام القائم على قواعد المستوطنات التي دمرت قطاع غزة وتسعى لتدمير الضفة الغربية ولازالت تحتفظ بالجولان ومزارع شبعا في لبنان , إن الذهول الذي يعيشه العالم اليوم يبرهن يوماً بعد يوم أن المقاومة هي القلم الذي يرسم لوحة الحرية ولو عبر أنفاق ستدمر الجدار العازل .

إن هذا الإنسحاب المنقوص سيوفر فرصة لإنعاش المصابين برعاش حمى قنابل النابالم المحرمة دولياً والتي هتكت أجساد أطفال غضة طرية تلعب في باحات مخيماتها بكرة من قماش لإنعدام القدرة لشراء البديل , يلهو بها في مرتع صباه ثم كبر فحملته المسؤولية الكلاشينكوف المهرب من أنفاق مظلمة عبر المناطق الحدودية ليتنسم هواء الحرية , ولكن تصر إسرائيل على الإحتفاظ بالمعابر البرية والبحرية والجوية وتدعي إن هذا إنسحاب مشجع للسلام .

إن خارطة الطريق رسمت بريشة يد ترتجف , صاحبها مصاب بداء باركنسون من ضربات ولكمات المقاومة الإسلامية وإرهاب التطرف اليهودي المتعجرف الذي يحن الى محرقة الهولوكوست مرة أخرى ليس على أيدي النازيين هذه المرة ولكن على أيدي أبناء الجبارين المتمترسين داخل أنفاق الرعب التي حيرت خبراء الهندسة والبناء مثلهم كمثل الفراعنة الذين شيدوا الأهرامات بتكنولوجيات الأزمنة الغابرة وحضارات عابرة سادت ثم بادت .

عندما تطلب الذئاب السلام فإنها تدعوا الى إنتقام ولن يغتر هذا الشعب من تطبيق نادم لخطة فك الإرتباط من طرف واحد ويدعوا للسلام بدون أن تمتد له يد ليصافح شركاء السلام ودون أن يمهر توقيع لإتفاق على إنسحاب ويدعي بأن هذا الهروب من قطاع غزة يفتح الفرصة لدفع عملية الإستسلام وهو يؤكد إلتزام إسرائيل بخريطة الطريق التي تتحفظ عليها بأربعة عشر بنداً والتي تهدف الى إقامة دولة فلسطينية ناقصة السيادة غير قابلة للحياة على الأرض وإنما داخل أنفاق الغضب التي ستفجر الجدار العازل .

ويزداد الذئب تبجحاً في قمة صراع الحضارت والأمم التي لم تنفذ أي قرار يدعم أرض يبوس ويتهمها بأنها ظلمت إسرائيل بإتخاذها قرارات ضدها حتى لو أنها لم تنفذ على أرض الواقع .ويطالب الفلسطينيين بالوفاء بإلتزاماتهم بالقضاء على الإرهاب وبناه التحتية , وإذا كان إرهاب الدولة هو مايعنيه فحق على الفلسطينيين الإلتزام بضرب قواعد الإرهاب التي سبق وأن أرهبتهم وهم في بطون أمهاتهم وإشتعلت رؤوس الأجنة في الأرحام شيبا .

وإن لم يفعلوا ذلك فسيتولى جزار الشرق الأوسط الكبير الذي إنهالت عليه العروض لتقديم تنازلات بالأسعار وبالمجان ومن أفضل التجار لعقد صفقات الأنخاب على موائد الولائم من اللحوم البشرية التي تطيب طعم لحومها في نفوس الأفاكين وتحت أضراسهم وأنيابهم المسمومة التي لازالت تبث الرعب والخوف في نفوس المقاومين وتنعتهم بالإرهابيين .

إن غزة هي "اختبار" لكيفية تعامل الفلسطينيين مع إرهاب الدولة عبر أنفاق الندم لترسم خارطة طريق جديدة للمنطقة لتدمر كل منبر ينكر حق الفلسطينيين في أرضهم أوأي نصيب لهم في حكم أنفسهم من خلال ثقافة المقاومة التي أشعلت قبس الحرية لتضيء درب الأحرار من أنفاق غزة الى حفريات الأقصى لتلتقي من جديد لتصافح أيادي عرب الداخل والخارج إبتهاجاً بعيد الإستقلال.

إن طلب الذئب من السلطة للسيطرة على المنطقة بأكملها هو طلب منطقي تسعى اليه السلطة لاخدمة للمستوطنين وإنما خدمة للشعب الذي قدم التضحيات بدماء الشرفاء من أبناءه فداء لرفع راية التوحيد على أرض الإسراء أرض فلسطين مسرى خاتم النبيين . أرض الأنبياء والشهداء والصديقين وأرض الجبارين وسيكون الإنسحاب من غزة هو " نهاية السيطرة الاسرائيلية ونهاية الإحتلال لكامل التراب الوطني " .

عندما يحترم الذئب خصمة فإنه يسعى للخلاص ولايرغب في المواجهة ولا السيطرة ولهذا يقول " وليس لدينا اي تطلعات في ان نحكمهم. كما ان من حقهم ان ينعموا بالحرية والسيادة الوطنية في دولتهم". ورغم هذا فهو يغالط نفسه بالتعهد بمواصلة بناء الجدار العازل المثير للجدل والذي يمر عبر الضفة الغربية , وقال "سنواصل بناء الجدار حتى يكتمل"،

وتناسى أن تحت هذا الجدار أنفاق جاري حفرها لتدميره وستكون خطوط الرعب من تحت الأقدام برعاية من عين لاتنام .

فالادارة الحالية التي إنسحبت من قطاع غزة تعرف يقيناً القاعدة الارهابية العالمية التي انطلقت منها كل الاعمال والتنظيمات المقاومة للارهاب والتي كان لزاماً منحها كل التقدير لو امكن التعامل مع قضيتهم بما تستحقه من العدل والتوازن وفقاً لقرارات الشرعية الدولية التي سمحت لاسرائيل بالوجود مع الفلسطينيين جنباً الى جنب , أخذ الإسرائيليين نصيبهم وزادوا عليه وحرم الفلسطينيين من نصيبهم وإجبروا على هذا الحرمان في كل مكان لهم فيه مخيمات شتات .

أحد أهداف المقاومة الفلسطينية هو تقسيم الشعب الإسرائيلي وكسر روحه وشموخه وان وقف العمليات مرهون بالإستقلال ووقف الإستيطان وعودة المقدسات بالطرق المشروعة والكفاح من أجل الأمن والهدوء والسلام , وإن لم يتحقق هذا الخيار فطريق الأنفاق معروفة يشهد عليها محور "فيلادلفي" من خلال نشاط أبناء المقاومة الحقيقي الواسع النطاق من أجل الإمداد والدعم اللوجستي وتقليص إنقياد العملاء لإسرائيل .

إن تَصَوُّر قيام دولة فلسطينية قد إتخذ المقاومون قراراً تاريخياً بشأنه وليسوا مستعدين لأي تنازل بالنسبة لأمن إسرائيل دولة أو مواطنين إلا بعد أن ينعم أبناءهم بالحرية وتنسم شذى عبيرها الذي لاحت في الأفق بالنصر بشائره وولى زمن يسيطر فيه شعب واحد على الآخر لأنه سيؤدي حتماً إلى كارثة للشعبيين .

تقول المقاومة نضطر للدفاع عن أنفسنا بسبب الهجمات علينا ونعرف كيف أن ننجح , ولكننا نعلم أن نرد بهدوء ونمد اليد الصريحة والشجاعة ردا على هدوء ومد يد السلام أحدها يحمل بندقية والأخرى غصن زيتون كما قال عرفات , لننشد ونغرد أنشودة السلام ومعزوفة الحرية في حياة جنبا إلى جنب بتفاهم لابخصام .

ويدعي بعض اليهود أن المسجد الأقصى قد أقيم على أنقاض الهيكل الذي بناه سليمان بعد جلوسه على العرش ملكا علي بني اسرائيل بعد موت ابيه داوود غير أن هذا ليس صحيحا ، فحتى هذه اللحظة لم يكتشف أي اثر يدل على بناء الهيكل في هذا المكان أو في منطقة

القدس ، وحتى هذه اللحظة لم يستطع أحد أن يحدد مكان مدينة داود فكيف لليهود أن يتحدثوا عن الهيكل المزعوم .

أن صراع الصهاينة مع الفلسطينيين صراع خاسر منذ أن سجل التاريخ أول إنتفاضة ومقاومة شعبية ، وأنه سيؤدي إلى نهاية "إسرائيل". وكتب التاريخ الحديث منها والقديم مليئة بالتجارب فقوة البطش والقمع لن تطفيء جذوة نار المقاومة , ولم تكن قوات الإحتلال يوماً تأبه لمطالب المقاومين من خلال وسائل الإعلام أو الرأي العام العالمي أو صرخات أنين مظلوم , إلا بعد إحراز تقدم على الساحة العسكرية والميدانية ، وكما هزم هتلر سيهزم شارون أو من يتولى القيادة العسكرية من بعده في نهاية الأمر .

إن ظاهرة رفض الخدمة في صفوف الجيش الإسرائيلي دليل على أن الجيش في حالة تفكك ، وهو ما دعا شارون للقول إن الخروج من غزة هو لضمان أمن دولة إسرائيل وقد يكون هذا أفضل تطور إستنتجته العقلية العسكرية الصهيونية لأنه قد يضطرهم إلى الخروج من الأرض المحتلة . وهذا أكبر مؤشر على تردي وضع الجيش الإسرائيلي الذي فضل قادته الإنسحاب ومن طرف واحد على أن يولوا هاربين من المواجهة أو من ضربات المقاومة المتلاحقة عبر أنفاق النار .

إن تضامن الدول المحيطة بفلسطين هو الذي يمنع تسلل المقاتلين وآخرها الكتيبة المصرية في محور فيلادلفي جزء من شبكة أوسع كأنها مثلثين متداخلين بشكل سداسي الأبعاد يشبه نجمة داوود لمحاربة الإرهاب العالمي الذي إستهدف إسرائيل والأردن ومصر وسوريا ولبنان والسعودية وهي الدول التي لها حدود مشتركة مع فلسطين ومنطقة سيناء .

ومن المحتمل ان العداوة والنزاعات بين الجانبين عرباً ويهوداً أعمق من ان تكون قابلة للتسوية في المفاوضات، و أتوقع أن "لا" تعمر إسرائيل كثيراً لان المشروع الصهيوني القائم على الإستيطان وظلم السكان الذي لم ولن ينجح بالتغلب على العائق الديمغرافي الذي قض مضاجع اقطابه منذ ان أسسوه وإن الإحتياجات الوجودية للفلسطينيين ستضطر الدولة الفلسطينية المستقبلية الى محاولة التوحد مع دول الجوار نتيجة الزيادة الطبيعية الكبيرة التي يحظى بها الفلسطينيون ومن هنا جاءت الدعوة التي تقدم بها قيادي فلسطيني بارز

بإلغاء الآثار المدمرة التي خلفها الإنتداب البريطاني في المنطقة وإعادة ترسيم الحدود بين فلسطين ومصر بإعادة توحيد مدينة رفح .

كما طالب برسم الحدود المصرية الفلسطينية عند العريش كما كانت , وإعطاء الفلسطينيين منفذا على البحر الاحمر بعد ان تنازلت دول عربية عن ام الرشراش لاسرائيل التي حولتها الى ميناء ايلات .

ومن خلال خبرته ومشاهداته أكد أن إعادة ترسيم الحدود ستحل مشاكل انسانية وستعطي قطاع غزة مجالا حيويا جديدا , وأيد إقتراحه بأن يتحول وادي العريش لمنطقة استثمار مشترك بين الفلسطينين ومصر تقام فيها مشاريع زراعية وصناعية تستوعب عشرات الالاف من العمال وان الدول الصناعية الكبرى مطالبة برصد الاموال اللازمة لذلك , ودعا أيضاً لإقامة كونفدراليه بين مصر والاردن وفلسطين تفتح افاقا لا حدود لها للتطوير والنمو في المنطقة , لاجداراً عنصرياً عازلاً ستدمره الأنفاق إن عاجلاً أم آجلاً .

صحيفة الصباح الإلكترونية 17-09-2005م

102 الدوران في دوامة العنف

كلما بدأنا الحديث عن فلسطين إستكملناه بالحديث عن إسرائيل وكأنهما وجهان لعملة واحدة , إنه ذلك التلازم القدري الساخر بين الجاني والضحية , بين اليهود والعرب , بين الإسرائيليين والفلسطينيين , من يؤمنون بالعدل يأملون أن تتغير قواعد اللعبة السياسية في ملتقى القارات (فلسطين , إسرائيل) , لتحقيق التوازن بين الجاني والضحية ليكون هناك عدل في القضية .

مساحة من الأرض يسكنها مسلمون ويهود ومسيحيون , أمن العالم مرتبط بها ومهدد بأسره فهل المشكلة في الأرض أم في سكانها أم في من يغذي العنف فيها سواء كانت جهات داخلية أم خارجية أم هي حكمة إلهية لبداية نهاية الحياة على الكرة الأرضية بعدما يعم الظلم ويظهر الدجال ويبعث المسيح.

جميع الكتب السماوية تحدثت عن هذه المنطقة وأحداثها ومازالت الأحداث تتسارع وتتغير والعنف فيها يزداد وينمو ويطرد وتتغير السيطرة على المساحات الأرضية بين الجاني والضحية , أخيراً قررت إسرائيل أن تنسحب من قطاع غزة تحت مسمى خطة فك الإرتباط وإعادة إنتشار لقواتها الأمر الذي أدى الى فتح الحدود بطريقة عشوائية بين شطري مدينة رفح والتي تقع على الحدود الفلسطينية المصرية , وتتميز بأراضيها الرملية حيث تحيط بها الكثبان الرملية من كل جهة , وعرفت قديما بأنها الحد الفاصل بين مصر وسوريا على البحر المتوسط.

مرت رفح بأحداث تاريخية هامة منذ العصور القديمة وذلك لتميز موقعها , وفي عام 1906م , حدث خلاف بين العثمانيين والبريطانيين حول ترسيم الحدود بين مصر والشام , وفي عام 1917م , خضعت رفح للحكم البريطاني الذي فرض الانتداب على فلسطين . وفي عام 1948م , دخل الجيش المصري رفح وبقيت تحت الإدارة المصرية إلى أن احتلها اليهود في عام 1956م , ثم عادت للإدارة المصرية عام 1957م , حتى عام 1967م , حيث إحتلها اليهود.

وبعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد إستعادت مصر سيناء ووضعت أسلاك شائكة لتفصل رفح سيناء عن رفح فلسطين .

وتقدر مساحة ما ضم إلى الجانب المصري حوالي 4000 دونم وبقى من مساحة أراضيها 55000 دونم أُقتطع منها حوالي 3500دونم للمستوطنات , يعود معظم سكان رفح في أصولهم إلى مدينة خانيونس وإلى بدو صحراء النقب وصحراء سيناء ثم أضيف إليهم اللاجئون الفلسطينيون الذين قدموا لرفح بعد النكبة في عام 1948م , وترجع أصولهم إلى مختلف قرى ومدن فلسطين المحتلة خاصة التي كانت تابعة لقضاء غزة .

تعرضت مدينة رفح الى مجزرة وعدوان سافر كانت حجة إسرائيل فيها هي تدمير الأنفاق المقامة بين شطري المدينة لمنع تهريب السلاح من مصر الى غزة , وفي ذكرى المجزرة لابد أن نتذكر قول بيتر هانسن مدير وكالة الأونروا إن الأمر مؤثر جدًا "كما في كل مرة نشاهد فيها مثل هذا العدد من المدنيين يفقدون منازلهم ويحرمون من كل شيء". وبين الحين والآخر يلوح في الأفق بصيص أمل عندما تتعالى الأصوات المطالبة بحماية دولية للفلسطينيين أو قيام محاولات لمنظمات دولية جادة للوقوف إلى جانب منكوبي مدينة رفح .

بعد الإنسحاب الإسرائيلي إنطلقت ثلاث حجج لتقرير مصير شطري رفح ومعبر صلاح الدين على الحدود :

الحجة الأولى إسرائيلية : تقول أن هناك أنفاق بين شطري رفح مقامة لتهريب السلاح الى قطاع غزة .

الحجة الثانية مصرية فلسطينية : تقول لابد من السيطرة على المعبر لحفظ الأمن ولمنع تهريب المخدرات ولتنظيم الإنتقال الشرعي للسكان والبضائع .

الحجة الثالثة للمواطنين الفلسطينيين والمصريين : تقول إن أبناء المنطقة بحاجة الى زيارة أقاربهم والتسوق والشعور بحرية زوال الإحتلال .

وبين هذه الحجج الثلاث ومؤيدي كل حجة تبقى رفح أسيرة غير موحدة ويبقى سكانها وسكان قطاع غزة في معاناة حقيقية لم يفارقهم من زمن السلطة العثمانية والإنتداب البريطاني والإحتلال الإسرائيلي والحروب المتعاقبة على المنطقة .

تتعاون السلطة الفلسطينية والمصرية على فرض الأمن وتهدئة أبناء المدينة الواحدة بعد الإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة في الوقت الذي ماتزال إسرائيل تغلق معبر رفح الحدودي المسمى معبر صلاح الدين لتحول قطاع غزة الى سجن كبير , وإذا طال أمد هذا الإجراء فستنتعش الحركة عبر الأنفاق بين شطري المدينة لتلبي حاجات المواطنين ليتنسموا عبير الحرية بعد خروج قوات الإحتلال وهو شيء طبيعي أن يتم خصوصاً في الفترة الأولى للجلاء للتعويض عن الكبت والقهر الذي عاناه أبناء قسمي رفح لمدة ثمانية وثلاثون عاماً .

أنباء تتحدث عن إقتراح "يقضي بسفر الافراد الفلسطينيين الذين يحملون بطاقات هوية (ارقام وطنية) ذهابا وايابا عبر المعبر لكن غير الحاصلين على بطاقات هوية (مثل اللاجئين والنازحين) يمكن دخولهم بعد التوصل الى اتفاق".

إن الخلافات مع (اسرائيل) "لا زالت حول فئة غير الحاصلين على بطاقات هوية وامكانية دخولهم قطاع غزة بتصريح زيارة فلسطيني أو اسرائيلي" . ويفصل بين قطاع غزة ومصر شريط حدودي يبلغ 220 كلم من رفح شمالا وحتى إيلات على خليج العقبة جنوبا يطلق عليه الجيش الإسرائيلي اسم "ممر فيلادلفيا". ويتراوح عرضه بين 80-180م في أجزائه المختلفة، منها 14 كلم قبالة مدينة رفح ومخيماتها، والجزء الأكثر سخونة منه في المواجهات بين المقاومين الفلسطينيين وجنود الاحتلال يقع ما بين مصر ورفح بطول 9 كلم.

ويدخل ممرّ فيلادلفيا إذنْ كعنصر أساسي في الإستراتيجيّة الأمنيّة الإسرائيليّة الكبرى، والتي ترتكز على الأهداف التالية:

الأمن الغذائي والمائي .

الحماية الأمنية لشعب إسرائيل .

إحتكار أسلحة الدمار الشامل في المنطقة .

التفوق العسكري بتفكيك دول الطوق .

وتساهم إسرائيل في تشكيل الأحداث إيجاباً وسلباً فهي إقترحت منح الفلسطينيين أرضا مصرية على الحدود لاقامة الدولة الفلسطينية وإستيعاب قسم من اللاجئين الفلسطينيين في

تلك الاراضي!ومعالجة مشكلة الاكتظاظ السكاني هناك ولايخفى على المتابع للأحداث مافرضه الإحتلال من حدود مصطنعة لفصل أبناء العائلة الواحدة للعيش منفصلين عن بعضهم البعض فكان من الطبيعي بعد الإنسحاب أن يحدث التدافع بين آلاف السكان والتدفق نحو طرفي الحدود لتعزيز التلاحم بين الأسرة الواحدة التي تم فصلها قسراً بفعل الإحتلال .

بعد الإنسحاب تعالت أصوات , إعادة ترسيم الحدود بين قطاع غزة ومصر بهدف جمع شمل العائلات المنقسمة ما بين شطري رفح المصرية والفلسطينية ، وإلغاء الآثار المدمرة التي خلفها الانتداب البريطاني في المنطقة ، وذلك باعادة توحيد رفح ورسم الحدود عند العريش , هذه الأصوات جميل ظاهرها إن تمت بإتفاق وخبيث باطنها إذا أسفرت عن نزاع إقليمي من أجل مزيد من الدوران في دوامة العنف .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 23-09-2005م

103 قوة إعصار الديموغرافيا

اللقاءات السرية بين بعض وزراء الخارجية العرب وبين وزير الخارجية الإسرائيلي إعترف بها سيلفان شالوم وزير خارجية إسرائيل التونسي الأصل بقوله "تشرفت بلقاء أكثر من عشرة من زملائي من العالم العربي والإسلامي , الأمر الذي كان لا يمكن تصوره قبل عامين فقط".

وآن الآوان لسيلفان شالوم أن يرفع من نبرة صوته بدعوة القادة العرب للمجاهرة بعلاقاتهم مع إسرائيل , حيث إعتبر أن الجدار الحديدي بين إسرائيل والعرب والمسلمين بدأ في الانهيار , وضاعت المصداقية والهيبة , الأمر الذي جعله يكرر الدعوة بالإنضمام لتل أبيب التي لاتزال العلاقة معها "تحدث في الظل, بعيدا عن الأعين", للتحدث للرأي العام عن السلام وليس عن الصراع وعن أسباب التعاون وليس عن أسباب المقاطعة وطالما أن كل ذلك يحدث في الظل فهو نوع من الإثم .

ويعتبر هذا بحق نجاح للدبلوماسية الإسرائيلية التي يقودها يهودي من أصل عربي تونسي وفي نفس الوقت فشل للدبلوماسية الفلسطينية التي لانعرف من يقودها حتى الآن هل هو مندوب عن السلطة أم مندوب عن منظمة التحرير فهل هو القدوة أم القدومي ويعتبر هذا من أبسط أسباب الفشل , فالصراع لازال قائماً ولن ينتهي إلا بزوال أسبابه , وليس بالضرورة أن يزول بالسلاح وحده , وإن كان أطفال الإنتفاضة سطروا ملاحم البطولة بالحجارة .

والسؤال الذي يفرض نفسه , كيف تقوم إسرائيل بإقناع قادة الدول العربية والإسلامية لتدشين العلاقات العلنية فيما بينهم ؟ .

ويجيب سيلفان شالوم بقوله إن إتصالات إسرائيل بالعالم العربي والإسلامي ستساعد في جعل الشرق الأوسط "منطقة تسامح وتعاون"، مما يعطي دفعة للمعتدلين ضد المتطرفين الذين كانت أعمال العنف التي يقومون بها هي التي تحدد الأولويات فترة طويلة .

نود أن نذّكر بأسباب الصراع العربي الإسرائيلي من جديد وهي , إحتلال الأراضي والمقدسات العربية , وتهجير الفلسطينيين والعرب من أراضيهم , وإختلاف في الأهداف والنوايا والعقليات بين العرب وإسرائيل .

فماهي النتائج التي تحققت على الأرض منذ الإحتلال , هل عادت الأراضي المحتلة الى أصحابها ؟ (مزارع شبعا اللبنانية , وهضبة الجولان السورية , والقدس والضفة الغربية) , وهل تنازل أصحاب الأرض عن المطالبة بها ؟ وهل عاد اللاجيء الى أرضه ؟ وهل تم تعويضه ؟ إذا كان يقبل بهذا التعويض وهل ذابت هويته بالتجنيس أو التطبيع أو التوطين ؟ وهل تغيرت الأهداف والعقليات ليحدث هذا التقارب ؟ .

إذاً إعصار التطبيع فرض بالقوة من جانب إسرائيل وحلفاءها وقُبِل بالضعف والهوان من جانب العرب والمسلمين وهنا نتذكر قول الشاعر "وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا" .

لماذا لايتغنى سيلفان شالوم طرباً بمعزوفة السلام المفروض بالقوة والمقبول بالضعف وهو يرى نتائج أعماله أدت الى تصافح رئيس باكستان برويز مشرف مع رئيس الوزراء الإسرائيلي الملطخة يداه بدماء الأبرياء إبتداء بمذبحة صبرا وشاتيلا ومروراً بتدنيس المسجد الأقصى وإغتيال العديد من القادة الفلسطينيين وإنتهاء بعملية قوس قزح وأيام الندم في رفح .

وهذا يدل على قوة التحرك الدبلوماسي والتفاني والإخلاص الذي يقوم به سيلفان شالوم حيث التقى نظيره الأردني والتونسي بنيويورك، وقبل ذلك نظيره الباكستاني في تركيا , وكشف شالوم النقاب عن نيته عقد لقاءات أخرى مع وزراء دول عربية وإسلامية على هامش الجمعية العمومية للأمم المتحدة دون أن يفصح عن أسمائهم.

وتقيم إسرائيل في الوقت الراهن علاقات دبلوماسية كاملة مع أربع دول هي الأردن ومصر وموريتانيا وتركيا، ولها مكاتب تمثيل تجارية في عدد من الدول العربية والإسلامية , وهي ليست نهاية أهداف سيلفان شالوم وإنما يسعى حثيثاً لمزيد من التقارب الى حد الوصول لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مقابل إنسحاب غير مكتمل من قطاع غزة .

زعيم عربي إجتمع مع شارون وركزا على مرحلة مابعد الانسحاب من غزة , فأعلنت إسرائيل أن علاقتها مع هذا البلد في تحسن مستمر لأن هذا البلد إتخذ قراراً إستراتيجياً بتعزيز العلاقات بين الطرفين , ولن يتم هذا إلا على حساب الطرف العربي الثالث المعني بالقضية

واللاجئين الفلسطينيين الذين بدأوا مرحلة فقدان الأمل لأنهم فقدوا البصر من كثرة الرماد الذي ذر في عيونهم .

دولة عربية وإسرائيل تدعيان أنهما حققتا إنجازاً إقتصادياً بإقامة مشاريع مشتركة , أهمها بناء مطار مشترك على طرفي الحدود , ولكن ماهو الإنجاز الذي تحقق على مستوى القدس مثلاً أو على مستوى تحسين أوضاع اللاجئين ومخيماتهم في الشتات , اللاجئين في هذه الدولة يشكلون قاعدة سكانية عريضة من الممكن أن تدعم الإقتصاد الوطني بدلاً من الإعتماد على المساعدات الأجنبية.

وبعد كل ماتقدم يتضح جلياً أن هذه الإجتماعات واللقاءات لاتصب إلا في مصلحة إسرائيل سياسياً وإقتصادياً وعلى حساب الفلسطينيين واللاجئين الذي لايتعدى نصيبهم سوى التحذير من مخططات توطينهم وحرمانهم من حق العودة , ولهذا تؤكد القيادات العربية دائماً رفضها لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في بلادها وكأن الفلسطيني ليس من نفس الجنس واللون واللغة والدين وخلال سبع وخمسون عاماً ونحن نسمع عن التصدي لأي مخطط يهدف إلى حرمان الفلسطينيين من حق العودة وإقامة دولتهم المستقلة على التراب الفلسطيني كلمات حق أريد بها باطل وكأن هذه المخططات يقوم بها طرف آخر غير إسرائيل .

وتتوالى التصريحات والتحذيرات حول أي مخططات تستهدف إعادة رسم خارطة المنطقة, أو تسوية بعض القضايا التاريخية على حساب دول عربية أخرى ومن الإستخفاف بالعقول القول إن المواطنين من أصول فلسطينية يجب أن يكونوا أول من يتصدى لمثل هذه "المؤامرات" التي لا تستهدف الشعب الفلسطيني فحسب وإنما الدولة العربية التي يقيمون فيها , فمن هو الذي قام بمنحهم صفة المواطنة في ذلك البلد ؟ , أي سذاجة في تبني مثل تلك التصريحات في الوقت الذي يقابل من "يخطط وينفذ" تلك المؤامرات , ويفتح لإسرائيل السفارت والإقتصاد والحدود .

ومن تجارب ونظريات التاريخ ينبغي على العديد من الدول إعادة حساباتها بخصوص اللاجئين على أراضيها وقوة إعصارهم الديموغرافي الذي سيحدث بلا شك أثار سلبية غير

متوقعة لاينفع حينها الندم فالأعاصير والبراكين تحدث فجأة ويمكن رصدها ولكن لايمكن التنبؤ بآثارها السلبية .

أي دولة يقوم إقتصادها على المساعدات والمعونات ويتشكل نصف مواطنيها من عرق الأغلبية والربع من لاجئين والربع الأخير من عرقيات مختلفة لابد أن يكون وطناً بديلاً لعرق الأغلبية طال الزمان أو قصر ولن تنفع كافة الإجراءات المتخذة من التصدي لهذه التحديات التي ستفرضها عاجلاً أم آجلاً قوة إعصار الديموغرافيا الذي لاتفيد معه قوة الدول العظمى .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 27-09-2005م

104 الانسحاب الإسرائيلي لايعتبر إنسحاباً كاملاً

لقد أصبح خروج المستوطنون من الأراضي الفلسطينية أمراً واقعاً وماكان لهذا المشهد أن يتم لولا وجود مقاومة وتضحيات من قبل الشعب الفلسطيني بكل فصائله وقواه وسواء تم ذلك بما سمي فك الإرتباط أو خطة الإنسحاب لن يغير من الأمر شيئاً ولقد عودتنا سلطات الإحتلال الإسرائيلي أن نتعامل معها ومع كل خطوة تخطوها بشك وحذر شديدين كما هي تتعامل مع العرب عموماً .

وبالنسبة "لإسرائيل" فإنها تريد أن تستغل الانسحاب من غزة، لكي تسوقه بحسبانه تنفيذاً "إسرائيلياً" لقرار مجلس الأمن 242 في صيغته الإنجليزية . ومن الثابت أن الجهات المختصة في "إسرائيل" أعدت دراسة ووثائق قانونية في هذا الصدد، للاستناد إليها في تسويق هذه الحجة بالمحافل الدولية .

وهذا الانسحاب لم يتأتي من فراغ فقد عملت السلطة الفلسطينية بالتنسيق مع الإدارة الأمريكية وبعض الحكومات العربية بعد لقاء شرم الشيخ على تهدئة الموقف ومنع استمرار العمليات الفلسطينية مدفوعة بحرص شديد على عدم استثارة الإسرائيليين وتعطيل عملية الانسحاب, كما جرت إعادة النظر في المواقف السابقة من القدس وحق العودة , وإن لم يتم ذكر ذلك بشكل صريح . وتبع ذلك جملة من القرارات والتشريعات العربية التي تيسر لعملية توطين اللاجئين في الأقطار التي يقيمون بها.

وهناك من يعتبر هذا الإنسحاب هو بداية مرحلة جديدة في الصراع العربي الإسرائيلي وهذه المرحلة أثبتت المقاومة نجاحاً في التعامل معه وأثبتت هذه المرحلة أيضاً أن المفاوضات في أوسلوا لم تساهم في إيجاد تفاهمات مع إسرائيل ولاسيما أن هناك تصريح شهير لداف فايس كلاس مدير مكتب رئيس الوزراء " شارون" الذي قال فيه بأن إسرائيل حالما تنتهي من الانسحاب من قطاع غزة ستحكم سيطرتها على الضفة الغربية وعلى القدس .

كما يجب أن لاينخدع العرب وينسى الفلسطينيون أن هذا الإنسحاب تم في ظروف بالغة السوء بالنسبة للعالم العربي بعد إحتلال العراق وإختلال في موازين القوة، الذي هو لمصلحة

"إسرائيل" بامتياز، بفضل المساندة والدعم الأمريكيين بالدرجة الأولى. إذ بسبب ذلك الخلل، فإن الطرف الأقوى سيكون الأقدر على فرض إرادته وإملائها على الآخرين .

وأن لاينسى العرب أيضاً أن هذا الإنسحاب قد تم في حالة من الضعف الشديد في الموقف العربي وعدم تماسكه وفي ظل تزايد وتيرة الإرهاب والضعف الشديد في عموم الموقف العربي وحالة من الخضوع والإستجابة لطلبات الولايات المتحدة ، بل إن ثمة عواصم أصبحت لا تتردد في التقرب من "إسرائيل" حتى بمصالحة شارون شخصياً وتوجيه الدعوات له لزيارتها .

وإذا كان هذا الإنسحاب أحادي الجانب في التخطيط وفي التكتيك وفي أسلوب المناورة ، فلابد أن يكون إنجاز مسموم وبحاجة الى إيجاد المصل المضاد لنتجنب مخاطره وإذا كانت العرب تقول إن الحرب كر وفر فالإنسحاب الإسرائيلي سيتبعه تقدم فلسطيني فالمعيار النسبي هنا هو خطوة فلسطينية الى الأمام ولكن هل سيتبعها خطوات الى الوراء من الجانب الإسرائيلي أم من الجانب العربي ؟ ! .

فإسرائيل تريد مقابل الإنسحاب الجزئي تطبيع كامل للعلاقات مع العالم العربي, و ليس سراً أن تسويق العملية بدأ بالفعل . وإذا كان وزير الخارجية "الإسرائيلي" سيلفان شالوم قد تحدث عن "طفرة" في العلاقات العربية "الإسرائيلية" هذا العام، فان وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس فصلت في الأمر، حين أعلنت في تل أبيب (يوم 2005/7/22) أن الإدارة الأمريكية قررت أن تؤدي دوراً نشطاً لإعادة العلاقات المقطوعة بين العرب و"إسرائيل"، بعد الانسحاب من غزة .

وعليه تقترح الولايات المتحدة بدخول بعض أطراف عربية في اللجنة الرباعية كما إقترحت عقد مؤتمر دولي ، تشارك فيه عدة دول عربية ليتم التطبيع ثم التجنيس وهو ما يثير التوجس ويبعث على القلق أن تلك الضغوط تمارس في أجواء من عدم الممانعة ، يخشى في ظلها أن يقع العرب في الكمين ويبتلعون الطعم المسموم ، بحيث ينتهي بهم الأمر إلى الانصياع و الاسهام في إجهاض الحلم ، عبر ادراج تسويغ التطبيع والتجنيس والتوطين بعد الانسحاب من غزة .

ما تسعى إليه إسرائيل هو تفتيت الشعب الفلسطيني وصهر هويته لتذوب في مجتمعات وقعت إتفاقيات سلام معها لضمان عدم العودة وإظهاره للعالم بإن هذا الشعب هو شعب ضعيف وغير قادر على حكم ذاته وبالتالي لا يستحق أن يدير دولة , وما تقوم به إسرائيل هو تجسيد وتأكيد لإرادتها في هذا الاتجاه ,وتؤكد على أهمية تفكيك المخيمات كوسيلة عملية للقضاء على المقاومة .

وهناك من يعتقد إن الإنسحاب من قطاع غزة على أهميته ليس إلا اللبنة الأولى نحو التحرير الكامل , ولاشك أن الإنسحاب سيترك عبئاً ثقيلاً وعملية تتطلب كل العناية ووحدة هذا الصف وأيضا فكر سياسي عقلاني تصالحي , ولكن ينبغي أن لايتوهم الفلسطينيون أن إسرائيل بإنسحابها من قطاع غزة ليس بفعل ضربات المقاومة فقط وإنما ايضاً للتخلص من الثقل السكاني الفلسطيني (يعيش في القطاع مليون وحوالي 300 ألف نسمة)، وهو الهاجس الذي يؤرق "إسرائيل". إذ بعد الخروج من غزة فان الصراع يحسم ديموجرافياً لمصلحة إسرائيل داخل الأراضي التي تريد الإحتفاظ بها .

وهناك سبباً آخر وهو انعدام الفائدة الاستراتيجية لقطاع غزة بالنسبة لإسرائيل فهذا القطاع كان ومازال يشكل عبئاً إقتصادياً وأمنياً لإسرائيل سواء من حيث الموقع، أو الحجم (مساحته 365 كيلومتراً مربعاً، مثل 6% من الأراضي التي احتلت عام ،67 كما انه اصغر من أي محافظة في الضفة الغربية) .

ومن المفارقات العجيبة أنه في عهد شارون عندما كان وزير البنية التحتية وسع وبنى مستعمرات جديدة وزاد حجم الإستيطان وها هو اليوم يأمر بتفكيك المستوطنات والإنسحاب من قطاع غزة ليعيد إنتشارها وبناءها من جديد في مكان آخر وهو رئيس وزراء , وهو اليوم يحاول إستكمال بناء الجدار العازل ليعيش شعبه في منطقة قابعة خلف الجدار ليحميها من شباب الإنتفاضة اللذين بثوا الرعب والإرهاب في قلب العدو .

وخرج من القطاع الذي يسبب له مآسي وآلام على مستوى أمني وسياسي وعسكري أيضا وبالتالي لا يريد أن يصل إلى حل، ولكن الخروج من قطاع غزة هل يعني أن الأرض تم تحريرها ؟ بالطبع لا , ولذا ينبغي أن يكون خيار المقاومة هو الخيار الأمثل وليس السعي

خلف إسرائيل للوصول معها إلى حل طالما أنها لا تريد أن تصل إلى حل ونحذر من هذه الحلول السرابية .

المطلوب الآن ترميم البيت الفلسطيني لإدارة المناطق التي سيتم إزاحة الاحتلال عنها جزئيا، وترميم ما خلفه الاحتلال من دمار ولتقوية برنامج المقاومة في التعليم وفي الصحة وفي الزراعة وفي الصناعة وفي الاستثمار وغيرها , ومن هنا يأتي إجماع على عدم السماح بسرقة أو سوء التصرف في هذه الأراضي التي سيتم إزاحة الاحتلال عنها .

كما تم الإجماع أيضاً على عدم توزيع الأراضى على أصحاب السلطان والنفوذ وأتباعهم ولا على هذا الفصيل أو ذاك . الإجماع يريد أن تبقى هذه الأراضي وديعة حتى تأتي الحكومة المنتخبة لتتصرف فيها، الانتخابات ليس المقصود منها أن تفرز سلطة أو حكومة تتعاطى مع الوضع الراهن لتنفيذ المطالب الإسرائيلية والضغوط الأميركية التي تسمى خارطة الطريق التي قد تسبب أزمة داخل الشارع الفلسطيني ليقتتل الفلسطينيين تحت اسم القضاء على الإرهاب وسلطة واحدة وسلاح واحد .

إن التحدي أمام الفلسطينيين هو وضع برنامجا انتخابيا توافقياً يُجمع عليه الشارع الفلسطيني يضع في خياراته كل البدائل الممكنة والمتاحة والإجماع يقول إن الانتخابات لا تعني الدخول في حكومات تستجيب للمطالب الإسرائيلية ولكن تستجيب للمطلب الوطني الذي يدافع عن الأرض ويطوِّر طرق إزاحة الاحتلال عن قطاع غزة والضفة الغربية إلى مساحات أخرى حتى يستطيع هذا الشعب أن يصل إلى مستوى الحد الأدنى المتفق عليه .

والفلسطينيون أمام واقع متردٍ أمنيا في داخل قطاع غزة فهناك طفرة من الجماعات المسلحة ولكي يكون السلاح مشروعا لابد أن يكون المعيار موحد بين جميع الفصائل الفلسطينية وأن يكون المعيار هو الاعتقاد بأن السلاح هو سلاح مقاومة فقط ولابد أن يكون موجود لأن حركة التحرير الوطني الفلسطيني لم تحقق أهدافها بعد .

وينبغي على أي جهة فلسطينية أن لا تسعى لخدمة الأمن الإسرائيلي بل تسعى لخدمة الشعب الفلسطيني أينما وجد . والتركيز الآن يجب أن يكون على الانسحاب وعلى مابعد

الانسحاب ولسيتمر الحوار بين الأشقاء والشركاء في التحرير للخروج بإدارة سليمة وشفافة ومنطقية وعملية للأراضي المحررة .

ولن يعتبر الإنسحاب من قطاع غزة إنسحاباً كاملاً لثلاثة أساب وهي :

1- لازالت إسرائيل هي المسيطرة على المعابر البرية .

2- لازالت إسرائيل هي المسيطرة على الأجواء والتحكم في المطار .

3- لازالت إسرائيل هي المسيطرة على الشواطيء والموانيء والتحكم فيها .

صحيفة الشرق القطرية 01-10-2005م

105 خادم الحرمين والمبادرة العربية الجديدة

لقد قدم الملك عبدالله بن عبدالعزيز مبادرة سعودية مالبثت أن اصبحت مبادرة عربية وبإجماع عربي في قمة بيروت ومازالت الجهود العربية مستمرة لحلحلة القضية من أجل سلام شامل وعادل للمنطقة .

ومن المعروف أن الظروف السياسية في حالة تغير دائم لمعطياتها لذا نجد أن الجهود التي بذلها الملك عبدالله بن عبدالعزيز والرئيس محمود عباس بدأت تعطي ثمارها فعادت العلاقات السعودية والفلسطينية مع الولايات المتحدة الى التحسن بعد زيارة كل من جلالة الملك عبدالله بن عبدالعزيز والرئيس محمود عباس اليها وظهر ذلك جليا صيف هذا العام , ويرجع هذا الفضل الى تفهم وبعد نظر القيادتين .

ومن هنا نوجه الدعوة الى المليك المفدى عبدالله بن عبدالعزيز للقيام بمبادرة شخصية تجاه الفلسطينيين في المملكة العربية السعودية لتجنيسهم إستكمالاً لمبادرته الكريمة في قمة بيروت ولاسيما أن القيادة الفلسطينية الجديدة أكدت أكثر من مرة وعلى لسان رئيسها محمود عباس في خطابه يوم 2005/08/09م أمام المجلس التشريعي " أن تجنيس الفلسطينيين في الدول العربية لا يعني توطينهم وأكد أثناء خطابة بقوله : ليس عندنا في القانون ما يحرم ازدواجية الجنسية، فالفلسطينيون في الضفة الغربية لديهم جواز السفر الأردني وكذلك الفلسطينيون في الأردن والفلسطينيون في الولايات المتحدة لديهم أيضاً جواز سفر أمريكي ولا أعتقد أن أحدا ينسى وطنه بجواز السفر.

وشدد أبو مازن على أن مصير اللاجئين لا يتم بالتوطين، نافيا أن يكون هناك قرار في الجامعة العربية برفض تجنيس الفلسطينيين في الدول العربية مشددا على أن هناك توصية وليس قرار . "

ومن اللافت للنظر أن الحكومة الأمريكية تبذل جهوداً جبارة من أجل تحسين الأحوال المعيشية للفلسطينيين في الدول العربية إيماناً منها بالأوضاع الإنسانية المزرية التي يعيشونها في المخيمات وترسل الوفود ولكن دعواتها المستمرة تجابه بالرفض من معظم القوى

السياسية التي لازالت تؤمن بنظرية المؤامرة التي ينبغي أن تتخلص من تبعاتها التي أفرزت الإرهاب في كل مكان وزادت من التخلف والتمسك بأهداب الماضي دون التطلع الى غدٍ واعد ومشرق ينتظر عالمنا العربي في ظل السلام العادل والشامل هذا إن تحقق .

وسبب الدعوة هو ما يحظى به هذا المليك المفدى من ثقل في العالمين الإسلامي والدولي ولعل ذلك يكون مقدمة لتحسين الأحوال المعيشية لإخواننا في العقيدة والدين والإنسانية في كل مكان من هذا العالم الفسيح ولو ألقينا نظرة على الأحوال المأساوية التي يعيشها هذا الشعب سواء تحت الإحتلال أو في مخيمات الشتات التي سوف نستعرض بعضاً منها للتذكرة لأن الذكرى تنفع المؤمنين .

ولا يخفى على الكثير أن الفلسطينيون يعيشون في مخيمات كالزرائب ويُفرض عليهم ما يُشبه الحجر الصحي ويُمنعون من ممارسة أبسط أنواع المهن فإلى متى سيستمر هذا الوضع ؟

إن الفلسطينيون يعانون من المرارة والقسوة على الحدود العربية ويُعامَلون بطريقة مأساوية فإلى متى سيستمر هذا الوضع ؟

وهنا نوجه السؤال الكبير الى زعماء العالم العربي لنقول لهم أليس التجنيس هو الحل الأمثل لتخفيف المعاناة عن هذا الشعب العربي المسلم ؟

إن الشعور العام لدى الفلسطيني في عدم إسقاط حق العودة ولكنه يتساءل متى سيعود ؟

موضوع اللاجئين موضوع شائك ومعقد ويشكل لب الصراع في المنطقة وهذا الصراع الذي مازال مستمراً منذ سبعة وخمسون عاماً ومن سيء الى أسوأ وبدت تتداعى الثوابت والحقوق والمحرمات في ظل متغيرات المعطيات السياسية .

وهناك من يؤمن بأن الشعب الفلسطيني هو وحدة جغرافية وديمواغرفية سكانية واحدة لا يمكن أن يتجزأ . ومن المعروف سياسياً أن أيّ دولة في العالم تتكون من ثلاثة مكونات رئيسية هي سيادة وأرض وشعب، ولكن أين هي السيادة والأرض والشعب في ظل الهيمنة الإسرائيلية وقضية القدس مازالت الظروف مبكرة جداً في الحديث عنها من خلال المفاوضات .

وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي ما الفرق ما بين التجنيس والتوطين؟

يختلف الناس في التفريق بين التجنيس والتوطين فمنهم من يقول أن التوطين يمر بعدة مراحل وهي أن يكون الضيف أو اللاجئ ملتزم بقانون الدولة المضيفة ويلتزم بقوانين العمل والإقامة ويدفع الضرائب أو الرسوم المقررة عليه في الدولة المضيفة وبناء عليه يمنح الحقوق المدنية وبعدها ينسجم مع المجتمع ، الانسجام الثقافي، الانسجام الأدبي، الانسجام الاجتماعي وبالتالي يصبح مواطنا صالحا من خلال هذا الانسجام ووفقاً لقوانين الجنسية في البلد المضيف .

ولكن لابد من الإشارة الى أن الكثيرين ممن يتمتعون بالجنسية للدولة المضيفة لم ينسوا حق العودة والمطالبة بحقوقهم التاريخية ومنها ممتلكاتهم التي تركوها حين الهجرة أو المغادرة ، ولهذا إقترح الرئيس محمود عباس التجنيس ومنح الحقوق المدنية طبقاً لمعظم التشريعات الدولية ومباديء حقوق الإنسان .

أما المعارضين لهذا الرأي ينبع من خوفهم وإعتقادهم بأن مبدأ التجنيس هو التنازل عن حق العودة معللين ذلك بالتأكيد على أنه لا يمكن أن يقبل لا الطرف الإسرائيلي ولا الطرف الفلسطيني ولا أي طرف عالمي ودولي بأن هؤلاء لاجئون ولهم حق العودة .

والرد على هؤلاء نستنتجه من دعوة شارون يهود فرنسا بالهجرة الى إسرائيل التي أدت الى أزمة سياسية بين إسرائيل وفرنسا مالبثت أن إنتهت بعد الزيارة التي قام بها شارون الى فرنسا وكذلك من اليهود أصحاب الجنسيات الأوروبية اللذين أسسوا دولة إسرائيل .

والبعض قال الفرق بين التوطين والتجنيس، أن التوطين هو التسليم بالتنازل عن حق العودة من قِبَل اللاجئين الفلسطينيين، أما التجنيس فهو أن يَحمل الفلسطيني جنسية أي بلد يقيم فيه لينال حقوقه المدنية كما يُقدم واجباته الوطنية .

وعندما نستذكر تاريخ الشعب الفلسطيني الحديث نجد أنه شعب مجزأ نصفه يعيش في فلسطين والنصف الآخر في الشتات , وفي شتى أصقاع المعمورة رغماً عن إرادته ولكنه يناضل من أجل حق العودة . ومن أمثلة الفلسطينيين اللذين يحملون جنسيات مختلفة وطالبوا بحق العودة أمثال الدكتور إدوارد سعيد وهو يحمل الجنسية الأميركية، والأستاذ حسين الطبري فلسطيني من كندا أما الشيخ رائد صلاح ،والدكتور عزمي بشارة، والأستاذ محمد بركة،

والأستاذ أحمد الطيبي وكلهم من فلسطيني 1948 وجميعهم يحمل الجنسية الإسرائيلية وهناك أمثلة من الدول العربية أمثال الأستاذ والصحافي المعروف شفيق الحوت , والأستاذ والصحافي سمير قصير , والأستاذ محمود سويد رئيس مركز الدراسات الفلسطينية وجميعهم يحمل الجنسية اللبنانية .

ومنذ زمن الرئيس الفلسطيني أبو عمار ناشد الدول العربية بقوله أرجوكم امنحوا هؤلاء الناس حقوقهم ، ولماذا لا تعامل الدول العربية اللاجئين الفلسطينيين كما عاملت أوروبا اليهود ؟

أوروبا وفرت لليهود كل المستلزمات إحتضنتهم ، حتى الدول العربية احتضنت اليهود المقيمين فيها وعاملتهم معاملة حسنة أفضل من معاملة الفلسطينيين في المخيمات الآن ، فلماذا لا تعامل الدول العربية الفلسطينيين كما فعل الأوروبيون مع اليهود ؟ أليس من حق الرئيس الفلسطيني محمود عباس أن يطالب بتجنيس هؤلاء كي يخلص ساكني المخيمات من هذا العذاب ؟

وهناك بعض أصحاب التفكير العقلاني يتساءلون إذا كان فلسطيني المخيمات لايستطيعون صيانة مخيماتهم بحجر البطون (الإسمنت) فكيف سيسمح لهم بحمل الجنسية ومنحهم الحقوق المدنية ؟

لكن كما أسلفنا فإن المبادرات العملية الصادقة التي كان آخرها مبادرة الملك عبدالله التي سميت بالمبادرة العربية والتي إنطلقت من قمة بيروت , ستأتي ثمارها ولن يتحول الصراع الى هدية مجانية أو تنازل مجاني إلى الكيان الإسرائيلي بل سيؤكد على الحقوق الثابتة وحق العودة لمن يرغب في العودة وحق المواطنة لمن يرغب في المواطنة وهي من أكثر الأمور التي تسبب الصداع للكيان الإسرائيلي .

وتأكيد الرئيس محمود عباس في دعوته الى عدم الممانعة في تجنيس الفلسطينيين في الدول العربية يؤكد عدم إلزامية التوصية الصادرة عن جامعة الدول العربية بالرقم 1547 لعام 1959م ويؤكد على سقوطها بالتقادم ولم يبق لها إلا الشطب بتأكيد توصية جديدة تلغي التوصية السابقة وبناء على المعطيات الدولية المستجدة .

صحيح أن قضية اللاجئين تعتبر عقدة حقيقية لإسرائيل ولكن فيها سلبيات تقع على اللاجيء نفسه ولا تقع على الذي يقوم بالتنظير السياسي أمثال المطالبين بحق العودة من خلال المؤتمرات في أوروبا وفي أميركا والفلسطيني لن يذوب لأن قضيته إسلامية فيما يتعلق بالقدس وعربية فيما يتعلق بالأراضي المحتلة ولذا يتساوى الفلسطيني والعربي من أي جنسية في مايتعلق بالمطالبة بالمقدسات الإسلامية . ومن هنا جاء التأكيد على أن حق العودة حق مقدس شرعي لا يمكن إسقاطه والشعب الفلسطيني والعربي أصبح شعب واع بالمخططات التي تدور في صالونات السياسة العالمية .

ولهذا أكد الرئيس الفلسطيني محمود عباس وحث المسؤولين العرب على منح الجنسية للاجئين الفلسطينيين على اعتبار أن ذلك لا يلغي حق العودة .

وبرر الرئيس الفلسطيني مطالبه بأنها تهدف أساسا إلى تحسين أوضاع اللاجئين الفلسطينيين وضمان حصولهم على فرص العمل المناسبة في البلدان التي يقيمون بها، مؤكدا تمسكه بالقرار 194 الخاص بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين .

وتؤكد أوساط مطلعة أن منح الجنسية سواء العربية أو الأجنبية للفلسطينيين لا يلغي حقوقهم في العودة إلى ديارهم إن أرادوا ، فتلك الحقوق تظل محفوظة طالما أنهم مقيدون في سجلات وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين (الأنروا).

يذكر أن نحو أربعة ملايين لاجئ مقيدون في سجلات الأنروا موزعون على 59 مخيما، يعيش أكثر من 1.7 مليون منهم في الأردن ويحملون جنسيتها، بينما يعيش أكثر من 1.6 مليون في الأراضي الفلسطينية ويحملون الجوازات الفلسطينية، في حين يعيش أكثر من مليون في لبنان وسوريا ويحملون وثائق سفر البلدين وباقي الدول العربية الأخرى .

ويحيي الفلسطينيون هذه الأيام الذكرى السابعة والخمسين لنكبتهم بمسيرات حاشدة وتجمعات جماهيرية أكدت التمسك بالحقوق المشروعة وفي مقدمتها تحرير الأرض والعودة إليها فهل تبادرها القيادات العربية بنفس الشعور الوطني الإسلامي الصادق وتعمل على

منحهم جنسيات بلدانها لتتجلى الرغبة الصادقة في السلام وإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي وإنهاء عذابات اللاجئين في المخيمات .

موقع العربية الإلكتروني 12-08-2005م

106 بداية نـهاية إعصار التطبيع

بدأت عاصفة التطبيع بنهاية عملية الإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة ومالبثت أن تتحول الى إعصار يدور على الساحة السياسية بسرعة زادت من تطورات مراحله قبل التنبؤ بنتائجه , وكأن مكافأة المعتدي هي أسمى ما يلهث وراءه المطبعون لزيادة رصيد الإفلاس السياسي لديهم بإعلانهم الولاء الكامل دون أي تحفظات , وهي بوادر أزمة جديدة لتزيد من هوة الإختلافات العربية والإسلامية أو لنقل التخبطات السياسية التي ستؤدي بالعالمين العربي والإسلامي الى مزيد من التخلف والفرقة والتناحر وبعداً عن الديموقراطية الأمر الذي لايخدم مصالح الأمة .

فلنخوض هنا في عمق المصطلحات والمفاهيم بخصوص ما يجري مع اليهود اليوم فالتطبيع مثلاً يمكن أن نستشف مفهومه من واقع ثلاث معاهدات تمت مع اليهود (السلطة الفلسطينية و مصر و الأردن) ويمكن القول : التطبيع هو تمكين اليهود من أرض إسلامية ، وعلى رقاب شعب مسلم ، ووجود سفارات , وبعثات دبلوماسية , ومكاتب تجارية ، وملاحق عسكرية , وثقافية وفنية ، لإستجلاب اليهود مما يؤدي إلى إنشاء فنادق ومطاعم وبنوك ومراقص ومسارح ولا يخفى أن هذه تتحول إلى أوكار للجاسوسية والماسونية والإرهاب .

وهنا نتساءل : هل يجوز إستفتاء هذه الشعوب بخصوص التطبيع إذا ما أردنا أن نأخذ بمباديء الديموقراطية ؟ أم ننتظر ليقرر الحكام مصير شعوبها حسب ماتملي عليهم ولاءاتهم دون ضمائرهم وتبعيتهم دون عقولهم ؟ .

اليهود إستغلوا أحداث الحادي عشر من سبتمبر في العام 2001م ، وذلك بغرض المطالبة بتغيير المناهج لتسهيل عمليات التطبيع ، وإلغاء مفاهيم البراء والولاء ، والجهاد وكثير من المفاهيم التي تمس التوحيد ، وصلب العقيدة الإسلامية ، ولسوف يضيع الجزء الباقي بعد إكتمال التطبيع ، وكأننا ابتعدنا عن قول الله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى) . {الأية: 120 سورة البقرة }. وهذا تأكيد واضح وصريح عن ملة اليهود والنصارى في هكذا قضية .

يقصدون بالتطبيع الكامل إقامة علاقات تجارية وسياحية ودبلوماسية وثقافية وتاريخية ؟ طبق قرارات هيئة الأمم المتحدة (المتصارعة) ، وليس طبقاً للدستور الإسلامي وهو القرآن والسنة ! . هذا هو معنى التطبيع عندهم . وبذلك نعرف أن الصلح بعد التطبيع يعني الاستسلام التام لهم وعلو لشأنهم (اليهود) حتى ترضى عنهم (المطبعين والمتطبعين) ، إنه الضياع للدين ، وفقدان المزيد من أراضي عربية وإسلامية .

أما ما يقصد بالصلح فلايهمنا منه إلا ما أصطلح عليه شرعاً والمجمع عليه من علماء الأمة وهو :

الصلح مع الكفار إن دعت المصلحة على وضع الحرب مدة معلومة إن كان عقدا ملزماً ، أو مدة مطلقة إن كان عقدا جائزا ممكن الفسخ وقت الحاجة , هذا هو حدود الصلح الشرعي بالإجماع , أما المصالحة المتضمنة تنازلات عقدية وإلغاء لأحكام شرعية فهذا صلح باطل شرعا بالإجماع ولا يجوز ، و ليس هو صلحا مسموحا به شرعا بل حقيقته استسلام ونكوص عن الشريعة وتخل عن بعض أحكامها وشرائعها ، فالأمر متروك برمته لمن هو الأقدر على حمل وزر الفتوى الشرعية في هكذا جدلية ، إنما العقل يقول ما لا يستعصى علينا فهمه وإدراكه في الدين وأحكامه الشرعية الواضحة التي لا تقبل القسمة على اثنين .

وهنا لنا وقفة مع السياسيين وبعض المثقفين أولئك الذين ينادون بالتطبيع ! ، وهل هم يستندون الى فتاوى شرعية تحكم القائد ؟ الذي يوجه بدوره الرعية ، ويتحمل وزر حكمه فإن أفلح نجا وإن طغى وتكبر كانت له عقبى النار ، فلاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فلن يسود الوئام إن بعثروا الحرية ، وجعلوها مطلقة فيما يقولون ويعملون ، وتحت هذه المظلة الأيدلوجية نعود الى مبدأ الإستفتاء الديموقراطي وهل هم يعملون به ؟ أم أنهم تولوا أمر الأمة وشأنهم ومصالحهم الزائله دون الرجوع الى علماء الدين الشرعيين ! ، ... ينبغي أن يعلموا أن شروط كتاب الله أحق ، وكلام الله هو الأبلغ وثوقاً , إذ لا إستفتاء على ما يخالف أمر الله وشرعه المبين .

لن نخوض في جدل المسائل الفقهية وهناك الأقدر على التعامل معها بالحسنى ، فمردها الى علماء الأمة وفتاواهم التي ينبغي أن يأخذ بها ويعمل بموجبها لا أن تترك حبيسة الملفات غير المحسومة .

وبالإمكان تناول مفهوم التطبيع من معاجم اللغة علنا نجد فيها ما يجعلنا ندرك المفهوم اللغوي أولاً قبل الخوض في تفسير الظاهرة وأبعادها ، ومراحل تطور نظرياتها ، فهناك أمثلة في معاجم اللغة تقول : طبع الإنسان وسجيّته، وطبع الله على قلب الكافر،ومنه أيضاً طبْع السيف والدرهم، وتطبّع النهر إذا إمتلأ , فهل نستطيع القول - وفقاً لما يحدث الآن على الساحة السياسية - أن التطبيع هو الوصول بالمنطقة الى حالة من الإحتقان (الإمتلاء) السياسي ؟ ، أو حالة من التماثل بين اليهود والمسلمين في العادات والتقاليد ؟ .

وتكون تقاليدهم طبعاً فينا ومن سجايانا بحيث يزول مفهوم الولاء والبراء القائم على أساس الدين ويكون طبعنا مخالفاً لما شرع الله لنا وأن نلتزم بما يشرعه لنا القانون الدولي والمعاهدات والإتفاقيات الثنائية مع إسرائيل الذين أرادوا لنا التطبيع معها , بحيث لا يقبل منّا غير الإمتثال لهم - حسب مفهومهم للسلطة - . كيف يحدث هذا ؟ والتطبيع هو الامتلاء بما يوضع فيه كامتلاء القربة أو الإناء أو غيره . وبالتالي يزيد الضغط على الأطراف المطبعة لكبح جماح المقاومة الشعبية التي أصطلح عليها (منظمات إرهابية) حتى يتم تطبيعهم أو ترويضهم أو كسر شوكتهم أو نحو ذلك وهي ما أصطلح عليها " الاستراتيجية التطبيعية" .

تأتي المرحلة الثانية من تطور نظريات التطبيع وهي محاولة دخول دول إسلامية في التطبيع ظهرت بوادره في لقاء الباكستان مع إسرائيل لتسير قدماً نحو التطبيع حتى يتم سلخهم عن هويتهم الإسلامية يتبعها بعد ذلك دول أخرى مثل ماليزيا وأندونيسيا والمبررات التي سيقت لهذا التطبيع كان منها هو تشجيع إسرائيل للقبول بقيام دولة فلسطينية بعد إنسحابها من قطاع غزة لترسخ أهداف الهيمنة الصهيونية على المنطقة برمتها وتهميش الكبار فيها بعد تهميش مصر وتقييدها بمعاهدة السلام في كامب ديفيد حتى أصبحت مصر الآن طرفاً لتسوية النزاعات بين الفلسطينيين والإسرائيليين بعدما تم تحييدها بالكامل بعد التطبيع ، بل كان ذلك من أكبر نتائجه .

ويمكن أن نعزوا عملية الإنسحاب للمقاومة العنيفة والإنتفاضة المباركة التي تسعى أطراف عديدة الى إنهاءها بشتى الوسائل ، لأنها هي التي أفشلت ، بل أخرت عملية التطبيع تماماً كما أخرت المقاومة اللبنانية حينها ، وأفشلت عمليات التطبيع ، ونشوء مقاومة واسعة لها في الأوساط الشعبية حتى سقط هرم التطبيع وتحول الى سراب .

ظهرت بعد ذلك المرحلة الثالثة من نظريات التطبيع لتصبح ماسمي بنظرية التشجيع وتتبناها الآن باكستان وقطر والأردن ، وفحواها هو تشجيع الإسرائيليين من خلال التطبيع على التنازل الأمر الذي تأكد فشله في أكثر من مناسبة ، فقد حصل أن تحركت عجلة التطبيع إلى الأمام قليلاً في المرحلة السابقة، لكنها لم تشجع الإسرائيليين على التنازل ، بل انعكست على مساراتها تماماً ، وإرتدت خاسرة الأمر الذي أدى الى تنازلات عربية وإسلامية أكثر مما ينبغي دون التطرق الى أسس حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حتى بعد إنسحاب إسرائيل من غزة وهي ترفض الى الآن عودة اللاجئين الى القطاع .

تطورت المرحلة الثالثة لتبدأ المرحلة الرابعة من نظريات التطبيع لتصبح متجددة في أهدافها ، إذ هي محاولة لتقوم بربط التطبيع بالمفاوضات ومن ثم الإنسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة والقبول بخارطة الطريق لقيام دولة فلسطينية قابلة للحياة - كما يبثون - جنباً الى جنب مع الدولة اليهودية وهو مصدر الإلهام لمن صاغ خارطة الطرق في مرحلتها الثانية وهي الدولة المؤقتة - هكذا أرادوا لها - مقابل التطبيع الذي لايقوم العمل به زلفى ، وهو ماظهرت بوادره هذه الأيام لتستعيد إسرائيل ماكان يربطها من علاقات مع الدول العربية ، بل زادت عليه مع دول إسلامية أخرى لها شأنها النووي كالباكستان .

نخلص إلى ما سبق أنه قد يكون أهم مراحل تطور نظريات التطبيع حسب مفهوم أممي جديد بعد ما فشل مشروع إصلاح الأمم المتحدة ومنح إسرائيل مقعد دائم لها في الأمم المتحدة حتى تتبوأ مكانة القوة العظمى التي تتولى ولاية العهد فيها الآن بعد إنتهاء ولاية أمريكا على عرش العالم وسقوطها الأكيد , وبداية نهاية إعصار التطبيع الجديد .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 21-09-2005م

107 عقدة الفلسطيني...؟

سبحان الله الذي سخر بعض الزعماء العرب لتقريب وجهات النظر بين الفلسطينيين والإسرائيليين ولهذا لانستغرب في الأخبار العنوان التالي "عباس وشارون يلتقيان بفضل وساطة عربية" ومن يدرس تاريخ القضية الفلسطينية يجد في أحد مسارات تحركها أنه كان هناك إجماع عربي في قمة السودان قد عرف باللاءات الثلاث "لاصلح لاتفاوض لاإعتراف" وعفا الزمن على هذه التوصيات وأصبح الزعماء العرب مع إسرائيل سمن على عسل وبقي الفلسطيني وحده في ساحة الوغى لماذا ؟ .

بكل بساطه لأنه هو الذي يمسك السلاح ويمسك البندقية وهو الذي معني بالدرجة الأولى لتحرير أرضه وكأنما القدس لاتهم " العرب والمسلمين " إبتداء من أقرب الجيران الى الباكستان .

إذاً المشكلة في السلاح ومن يحمله ومن يتحكم في زناده وكأن السلام من وجهة نظر البعض هي رمي السلاح وإبتدأت العقول الآثمة تفكر في كيفية نزع سلاح المقاومة وخصوصاً بعد الإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة مثلها مثل الذين هرولوا لإقامة علاقات قسرية وليس طبيعية مع الكيان الصهيوني الذي لازال يقبض بيد من حديد على مصير المنطقة برمتها .

من يتذكر فيما مضى من تاريخ فلسطين كانت اليهود تتمنى أن تلتقي أطراف عربية أو تبدأ مفاوضات عربية ولكن الآن إنعكست المفاهيم وأصبحت السلطة الفلسطينية تتمنى لقاء أطراف يهودية لماذا ؟ لأسباب كثيرة .

إنها حالة من اليأس والعجز والإستسلام للضغوط والقيود المفروضة على الجميع بحجة تهدئة الأجواء ووقف أعمال التصعيد بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي والبدء في مفاوضات تفضي الى إتفاقات أو تفاهمات إستكمالاً لتفاهمات سابقة ومنها تفاهمات شرم الشيخ وخريطة الطريق وقضايا الجدار والأسرى والمبعدين إضافة إلى المفاوضات النهائية ولم يذكر البتة حول أي تفاهمات لنزع سلاح المقاومة ووقف الإنتفاضة ورفض مشاركة التنظيمات المسلحة في

الإنتخابات القادمة التي أعلنها صريحة شارون برفض وصول حماس عبر الإنتخابات الى السلطة .

إذا لايعتبر العالم هذا تدخلاً سافراً في الشؤون الداخلية الفلسطينية لماذا ؟ لأن فلسطين وقطاع غزة لم يستقل بعد وإنما بقي تحت إحتلال سيكون أشد ضراوة من الإحتلال السابق وخصوصاً أنه لايوجد مستوطنون ولامستوطنات داخل قطاع غزة الذين كان يعتبرهم البعض رهائن يهود في قطاع غزة الفلسطيني .

إن سهولة ضرب قطاع غزة بحجة المظاهر المسلحة سواء من قبل الأشقاء أو من قبل الأعداء لهو الهدف الحالي لتدمير مابقي من بنية تحيتة أو فوقية لهذا القطاع الذي تسعى بعض الدول الأوروبية لتبني إستراتيجية عبر خطة طموح تهدف الى إستغلال فرصة الإنسحاب الإسرائيلي وتساهم في بناء دولة فلسطينية سياسياً وإقتصادياً وتتضمن ضخ مئات الملايين من الدولارات كمساعدات أوروبية ودولية للفسطينيين .

وتعتبر المفوضية الأوروبية أن إنسحاب إسرائيل فرصة ينبغي أن لا تضيع من يد الفلسطينيين الذين مازالو يحملون السلاح والذي أستخدم في الأيام الأخيرة للتصعيد بل تعدى الأمر الى الإقتتال الداخلي مما أحدث قتلى وجرحى سقطوا لإرضاء أمراء الحروب الذين لايستطيعون العيش بدون بث الخلافات وإثارة النعرات لتبقى الحرب مشتعلة والفتنة قائمة والأزمة مستمرة .

إذاً هذا السلاح الذي كان يعتبر رمزاً ووسيلة لدحر الإحتلال سيكون الرمز والوسيلة لبقاء الفتنة والأزمة والنار المشتعلة والعبرة بالأمم السابقة وفي مقدمتها إسرائيل هو السبيل للخلاص من فوضى السلاح , فقد كانت العصابات الصهيونية قبل نصف قرن تمر بنفس المرحلة التي تمر بها التنظيمات المسلحة الفلسطينية وعندما توحدت العصابات الصهيونية وقامت بتكوين جيش يهودي بعد إعلان الإستقلال توحدت كلمتهم وقيادتهم حتى أصبحت إسرائيل اليوم أمراً واقعاً لايمكن تجاهله كما عبر عن ذلك برويز مشرف عند لقاءه بزعماء يهود على هامش قمة الأمم المتحدة بنيويورك .

ومازالت الفصائل الفلسطينية تحاول من خلال إجتماعاتها على التأكيد من جديد لتحريم الدم الفلسطيني وتحريم اللجوء الى السلاح لحل المشاكل الفلسطينية الداخلية ولكن ماذا على صعيد المشاكل الخارجية وتوحيد طريقة التعامل مع الكيان الصهيوني وكذلك التعامل مع الدول الصديقة والشقيقة لإعادة الإعمار .

هل قام وزير فلسطيني بارز بحمل حقيبته الدبلوماسية لتجميع العقود الدولية لبناء قطاع غزة جديد على طراز حديث لإستيعاب النمو السكاني وحل أزمات البنية التحتية بما فيها أزمات الإسكان , وهل قام وزير فلسطيني بحمل حقيبته لفك أزمة المعبر الحدودي على الحدود بين غزة ومصر ولكن قيام هذا الوزير أو ذاك بالتحرك لن يتم له تحقيق نتائج والفضائيات تبث الإقتتال الفلسطيني الفلسطيني والدماء الزكية الفلسطينية التي مازالت تسيل لتروي عطش أمراء الحروب .

وهناك تسريبات عن بدء عمليات بناء معبر جديد بمنطقة الدهينية جنوبي معبر رفح الحالي، وسيستخدم في عبور الشاحنات والبضائع إلى المناطق الفلسطينية وخصص أيضاً جزءاً منه لبعض الوفود السياحية الإسرائيلية والأجنبية بالعبور، أما معبر صلاح الدين الذي مايزال مغلق سيخصص فقط لعبور الفلسطينيين ليبقى التمييز في معاملة الفلسطينيين عند الدخول والخروج ويبقى الإذلال لهذا العابر العاثر الحظ .

ومما يثير العجب والإستغراب أن أمراء الحروب هم الذين يؤكدون عدم الإنجرار الى حرب داخلية بين الفلسطينيين ويتشدقون بالإجماع على عدم اللجوء الى السلاح لحل المشاكل الفلسطينية الداخلية عقب الأحداث الدامية التي شهدتها شوارع قطاع غزة وأسفرت عن سقوط قتلى وجرحى , بل وفتاوى شرعية تدعوا الى تحريم استخدام السلاح في الخلافات الداخلية والإحجام عن كافة أشكال التحريض السياسي والإعلامي بين مختلف القوى حفاظا على مصالح الشعب الفلسطيني ووحدته.

أين هي الوحدة التي نتحدث عنها ؟ وهناك عشرات الفصائل المسلحة التي تذكرنا ببداية حرب أيلول الأسود عام 1971م بين الفصائل الفلسطينية وبين الجيش الأردني وهذا الشهر حدثت فيه الأعاجيب فأيلول الأسود في الأردن وأيلول الأسود في نيويورك وواشنطن وأيلول

الأسود من جديد في الإشتباكات الدموية الأخيرة التي سبقت التهاني بحلول شهر رمضان المبارك .

ويستمر أمراء الحروب يتحدثون علانية عن الحوار وهو السبيل الوحيد لتسوية الخلافات وكأن هذا الحوار هو حوار السلاح لأن من يحمل السلاح لايستطيع الحوار بغيره تماماً كمن تعود إستخدام وسيلة عصرية لايستطيع التحرك بدونها لأنها أسهل في الإستخدام وكأنها ريموت كونترول , أما تحريك العقل وسماع صوته لبناء وطن وشعب قادر على التخلص من التبعية ودحر الإحتلال فهذا أمر محال .

ومن الغريب في الأمر أن يدعوا حكماء بني فلسطين في ظل التدهور الأمني الذي شهده القطاع في الأيام الأخيرة الى تشكيل حكومة جديدة قادرة على حفظ الأمن , وتعدى الأمر هذا الى فصل وزير الداخلية والأمن الوطني ليزداد الأمر تعقيداً وإن كنا لانداقع عن هذا الطرف أو ذاك وإنما نرغب في تولي هذه المناصب بعض الوجوه الشابه التي تحمل على أجسادها وسام شرف المشاركة الفعلية في مقاومة الإحتلال كما كان أباؤنا الأولين يفخرون بأن لاتوجد مساحة من أجسادهم إلا تعرضت لضربة سيف أو رمية رمح .

ومن الأشد غرابة تصريحات بعض الحكماء أيضاً بأن هناك ماسماه تيارا "استئصاليا" في السلطة يزودها بتقارير خاطئة عن حماس في إطار حملة منظمة ضد هذا التنظيم السياسي والعسكري وهدف هذا التيار هو الوصول الى سدة رئاسة السلطة مضيفاً إن حماس ستقطع الطريق أمام هذا التيار ولاسيما أن أياديه ملطخة بدماء الفلسطينيين , إذاً بدأت الإتهامات والإتهامات المضادة تكبر بعد الإنسحاب الأمر الذي سيثبت كلام إسرائيل بأن هذا الشعب لايستحق الحياة .

أما بيانات وزارة الداخلية جاءت لتصب الزيت على النار في بيان قالت فيه "حماس تتحمل المسؤولية الكاملة عن نتائج هذه التصرفات وخرق القانون والأمن واللعب بدماء شعبنا". وبهذه البيانات التي تحول دون قيام تفاهم بين الأطراف المتنازعة الأمر الذي يتيح الفرصة تلو الأخرى لموفاز بأن يواصل تهديداته بمواصلة الاغتيالات والاعتقالات والضربات الجوية .

ألم يكفينا عدو الخارج لنخلق لنا أعداء من أبناء شعبنا لتدمر ما بقي من بنية تحتية أو فوقية ومن بشر لنكون لقمة سائغة لأعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر وفي كل المحافل هذا العدو الذي نجري معه الإتصالات الهاتفية لتهنئته برأس السنة اليهودية ثم نعلن بعدها بقليل لنقول إن "الاستفزازات الإسرائيلية المتمثلة في الاغتيالات تؤثر سلبا على جهود التهدئة التي تبذلها السلطة الفلسطينية". إنها أزمة حقيقية يعاني منها الفلسطيني في كل مكان بل هي عقدة " أنه شعب لايستحق الحياة" فكيف يثبت للعالم انه شعب يستحق الحياة ؟ .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 09-10-2005م

108 كذبة نيسان وضيعة تشرين

لو كنا في أبريل لإعتبرنا هذا الخبر هو الفائز الأول بكذبة نيسان ولكن الحمد لله إننا في بداية ضيعة تشرين ومفاد الخبر يقول "الجيش اللبناني يتخذ تدابير تحسبا لإنزال إسرائيلي محتمل على المخيمات" بهذا الأسلوب الرخيص بدأت بعض القوى السياسية اللبنانية تبث أخبارها وجام غضبها على المخيمات الفلسطينية والعمل لنزع سلاح المخيمات تنفيذاً للقرار 1559 المفروض من قبل الولايات المتحدة بصفتها الرأس وفرنسا بصفتها الذيل وهناك من يريد أن يتسلق الساحة السياسية بعمل بطولي إنتهازي ليجلس مرة على الرأس ومرة على الذيل ليخلط أوراق اللعبة السياسية في لبنان .

هناك من يعلن صراحة برفض إحتفاظ الفلسطينيين بسلاحهم خارج المخيمات مدعوماً بضوء أخضر من قوى عربية وأخرى أجنبية ولهذا أصبح سلاح المخيمات الفلسطينية في واجهة الأحداث في لبنان حسب قول وكالات الأنباء , وفي البداية سيكون المدخل هو الحوار لحل المسألة وإن لم يجدِ فنزع السلاح لايتم إلا بالسلاح وإن كان ظاهر القول لانية للحكومة بمواجهة الفلسطينيين أما الباطن فالله وحده أعلم به .

من هنا يبدأ السيناريو "علينا حماية الفلسطينيين وتأمين الجو المناسب لهم من الناحيتين الإنسانية والمعيشية وتأمين فرص العمل حتى يستطيعوا العودة إلى بلدهم الأصلي" , وهنا نتسائل لماذا الآن تعالت الأصوات لحماية الفلسطينيين وتأمين الجو المناسب لهم ؟ هل هو الشعور بعقدة الذنب ؟ أم هو الإقدام على عذر أقبح من ذنب ؟ .

وإستكمالاً للسيناريو ستتم الدعوة الى إستخدام سوريا بالضغط على المنظمات الفلسطينية ليتم تخفيف الضغط عنها من قبل القوى الإستعمارية التي مازالت تقول إن الإجراءات السورية غير كافية ولن ترضى عن سوريا إسرائيل ولا أمريكا حتى تنفذ مخططاتهم وأحد هذه المخططات تصب في النهاية لتجريد الفلسطينيين من سلاحهم للتمكن منهم من جديد عبر مذابح جديدة فيبدوا في الأفق أن هناك مازال من هو متعطش لمشاهدة دماء المجازر البشرية خارج الحدود العراقية وفي دول الجوار .

ولزرع الفتنة بين صفوف الفلسطينيين أنفسهم لابد من الإشادة بأحد الأطراف والتهجم على الطرف الآخر لإستثمار نتائج الأحداث المأساوية الأخيرة بين السلطة وبين الجماعات المسلحة والتي راح ضحيتها نفوس بريئة بين قتلى وجرحى بالتأكيد على القول بأن السلطة الفلسطينية "ضد وجود البندقية الفلسطينية خارج المخيمات".

وطبقاً لسياسة الخطوة خطوة سيبدأ الحديث عن سحب السلاح من خارج المخيمات وبعد أن يتم تنفيذ مراحل السيناريو المرسوم بعناية القوى العظمى وبدعمها اللامحدود سينتهي الأمر الى سحب السلاح من داخل المخيمات وسيتم تأجيل بحث مسألة سلاح حزب الله بصورة مؤقتة بصفته مسألة لبنانية داخلية ولكن لن يترك هذا الحزب إلا بعد أن يسحب سلاحه أيضاً بحجة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي يتم تنفذها على الضعفاء فقط .

وسيتبادل زعماء الطوائف في لبنان الأدوار بإطلاق تصريح من هنا وآخر من هناك وكأنهم أمراء حرب ليقول أحدهم نحن نرفض وجود السلاح الفلسطيني خارج المخيمات ونؤيد الحوار مع الفصائل بهذا الشأن , مع التشديد على ضرورة حماية الفلسطينيين وأن تؤمن لهم السلطة اللبنانية الحد الأدنى من الحقوق المدنية , وكلمة الحد الأدنى هي كلمة مطاطة قد تعني أن يبقى اللاجيء على قيد الحياة بدلاً من المجازر التي ستسيل منها دماء فلسطينية زكية جديدة على غرار مذابح صبرا وشاتيلا وقانا وتل الزعتر وبرج البراجنة وغيرها من الهولوكوست الفلسطينية .

ولكن نحمد الله أن هناك مازال في لبنان أصوات شريفة نخاف عليها من الإغتيالات لأنها تعارض وترفض المطالبات بنزع سلاح المخيمات وسلاح حزب الله وفقا لقرار مجلس الأمن رقم 1559, وهي ماتزال تؤكد على الحوار الداخلي اللبناني من واقع حرصها على عدم نشوب حرب أهلية لبنانية جديدة أو تنفيذ مخططات القوى الأجنبية والإستعمارية .

وبين هذا الشد والجذب بين القوى السياسية نجد هناك من أحب الرقص على الذيل الفرنسي ووفاء لهذا الحليف الإستراتيجي الذي أنقذه من حبل المشنقة ليرفع الصوت عالياً بالمطالبة بنزع سلاح المخيمات بالقوة وإتهم الحكومة بالتساهل في هذا الأمر ولكن هناك من يقف له بالمرصاد كزعيم لأحد التنظيمات الفلسطينية المحسوبة على سوريا وهي التي تملك السلاح

خارج المخيمات لينتقد الحصار الضاغط المفروض على مواقعها العسكرية في لبنان وبدأت ترفع من درجة التحذير ضد الحكومة .

ولهذا الأمر مدلولاته القوية لإستمرار سلسلة التفجيرات التي سوف يستفيد منها جميع الأطراف المتعارضة في المواقف والتصريحات لتتحول الى متناحرة أو متقاتلة لأن هناك من يؤمن بمسك السلاح كنواة لتحرير الأرض ولحماية العرض ولحفظ النظام ولفرض السيطرة ولمقاومة الأعداء أو مايسمى سلاح الردع .

وخلية النحل تعمل في لبنان بشكل سريع فبينما يتدارس الفلسطينيون الأوضاع الخطيرة المستجدة في الأراضي الفلسطينية وفي لبنان ولاسيما أنهم يجدون أنفسهم في موقع المتهم بمحاولة اغتيال وزير الدفاع إلياس المر في لبنان وعلى الطرف الآخر من الخلية فقد شهدت مداخل المخيمات تغييرا أمنيا لوجستيا تمثل بإخضاع جميع السيارات الداخلة والخارجة لتفتيش دقيق .

وقد أثارت هذه التدابير جملة من التساؤلات، هل سيكون ملف المخيمات وسلاحها ضمن الخطوة التالية في تنفيذ القرار الدولي 1559؟ وهل اتخذت القرارات بتصفية المجموعات التي تتخذ من مخيم عين الحلوة مقرا لها, خاصة بعد اتهام الوزير المر لهذه المجموعات بمحاولة اغتياله؟ .

وهذه التدابير الأمنية التي اتخذتها الدولة اللبنانية أثارت ردة فعل وغضب شعبي لبناني وفلسطيني، كان الشارع مسرحا لها عبر الاحتجاجات والاعتصامات بالنظر لما سببته هذه الإجراءات من مضايقات وأزمة مرور على أبواب المخيمات, كما أسهمت في تعطيل الحركة التجارية الاقتصادية والمعيشية هناك.

ونتيجة لاختلال ميزان القوى بين العرب واليهود ولاسيما بعد الحرب على العراق والإنسحاب السوري من لبنان وإرتفاع وتيرة التهديدات ضد سوريا لم تترد إسرائيل وعلى مدار عقود من الاستخفاف بالقرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة، بما في ذلك القرارات المتعلقة بعودة اللاجئين الفلسطينيين، أو تعويضهم ، أو توطينهم , كحل لهذه المأساة الإنسانية , التي مضى عليها ما يزيد على سبع وخمسون عاماً .

في أعقاب الحرب على العراق والتهديدات ضد سوريا وبعد إنسحابها من لبنان بدأت الأصوات والدعوات لتنفيذ باقي شروط قرار الأمم المتحدة الرقم 1559 وفي مقدمتها نزع سلاح المخيمات الفلسطينية في مقابل منحهم الحد الأدنى من الحقوق المدنية في لبنان ومع تأزم عملية السلام على المسار الفلسطيني تتجدد التكهنات حول مشاريع (أميركية، إسرائيلية، فرنسية) لا يعارضها الفاتيكان لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في لبنان مقابل حصول لبنان على مساعدات مالية سخية .

ويبدوا أن مشروع القرار 1559 سيكون من أقوى المشاريع السابقة للتوطين أو نزع السلاح والتي نود أن نلقي الضوء عليها في عجالة قصيرة فهناك مشروع شهير عرف باسم مشروع (جونسون)، حينما كان الأميركيون يحاولون أن يوجدوا مجالات عمل لـ 110 آلاف فلسطيني في أغوار الأردن، عبر مشاريع مائية، وكانوا يعتبروا أن ذلك سيؤدى إلى إسكانهم، وتوطينهم، وخلق مشاريع إنتاجية لهم، بما يلغى وضعهم كفلسطينيين، ويصبحوا مواطنين أردنيين ولكن هذا المشروع فشل بسبب الفلسطينيين انفسهم .

ومن المشاريع التي فشلت أيضاً ماعرف بمشروع (أيزنهاور)، وقامت بسببه مشكلة كبيرة هزت المنطقة سواء في أحداث الأردن، أو العراق، أو لبنان وكان العامل الفلسطيني هو الرقم الصعب في إفشال هذا المشروع أيضاً ولذلك ما كان يبدو وكأنه قرارات دولية كبيرة بمشاريع توطين بعد أن احتلت فلسطين، وطرد شعبها لاجئاً، ونسي، ولم يكن هناك حركة وطنية فلسطينية في ذلك الوقت، كان يبدو أمام الغرب بعض الفرص لتوطين اللاجئين ليبرز أن الرد الشعبي الفلسطيني كان يقاوم هذا الأمر ويرفضه.

وعليه لزم الفصل بين قضية التوطين ، وقضية نزع سلاح المخيمات , وقضية اللاجئين الفلسطينيين، وأوضاع المخيمات المأساوية والشاذة على المستوى المعيشي والإنساني والتي لايستطيع لبنان وحده تحمل أعباءها وإنما تعاون دولي جدي تام لإنقاذ هذه المخيمات من الإنهيار قبل أن تقرع طبول الحرب لنزع سلاح أبناء المخيمات والمبني على تفاهمات إتفاقيات الطائف التي تريد اطراف عديدة الإلتفاف عليها بعد مقتل عرابها الرئيس رفيق الحريري ومساندها وداعمها جلالة الملك فهد طيب الله ثراه .

وهنا نؤكد على أن الشعب اللبناني والفلسطيني إذا أراد أن يرفض القرارات الدولية فلابد أن يستجيب القدر ولن يتحقق تنفيذ هذه القرارات إلا بعد أن يمتلك هذا الشعب بأيديهم حقوقهم المدنية لاعطاء , ولامنة , ولاإستجداء , وينعموا بها وإلا فلن ينعم الأمن في لبنان ولا في المنطقة ولن تستطيع قوة على وجه الأرض أن تسحب سلاحهم بدون موافقتهم , فالسلاح هو الحياة فمن يتخلى عن سلاحة فقد تخلى عن حياته , ولن تجدي نفعاً الخطط والسيناريوهات التي ترسم من وراء الكواليس مالم تحقق بالتفاهم الحد الأعلى من الأمن والحقوق المدنية كحقيقة واقعة لا كذبة نسيان وبداية ضيعة تشرين .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 10-10-2005م

109 سلاح المخيمات هل إنتهى دورها ؟

إن الحديث عن الفلتان الأمني هو المدخل لتبرير منهجية العمل الإستراتيجي التي تهدف الى سحب السلاح من أيادي عناصر المقاومة سواء كانت لبنانية أو فلسطينية ولكن الطرف الآخر عندما يتمسك بسلاحه فإنه يدافع عن وجوده وحماية وطنه ونفسه من المتربصين به من كل جانب هذا السلاح هو الذي مكن حزب الله من دحر العدوان وتحرير الأرض فلهذا وجدت القوى الإستعمارية أنه لايمكنها تمرير أي مشاريع لها في المنطقة إلا بعد سحب هذا السلاح .

ولهذا بدأ المخططون الإستراتيجيون في التفكير بالطريقة المثلى لنزع سلاح المقاومة اللبنانية والفلسطينية على حد سواء حتى يتمكنوا من تمرير مخططاتهم الإستعمارية والسيطرة على الشعوب لتمكين إسرائيل من تحقيق أهدافها التي تخدم مصالحهم في النهاية وليس غريباً على الدول الغربية أن تستغل أي وضع لتحقيق أهدافها في المنطقة والمحافظة على مصالحها .

من هنا بدأ التركيز على موضوع السيادة اللبنانية على أراضيها من خلال سحب سلاح المقاومة وهي الثغرة التي ينفذ من خلالها من يخطط لتحقيق هدف سحب السلاح للقضاء على الفلتان الموجود داخل المخيمات وفي البقاع وفي سائر لبنان ويبدأ بعض الكتاب بالترويج للمعاناة من وجود السلاح خارج المخيمات ثم داخلها .

ولكل مرحلة ظروفها وهناك مرحلة سابقة اعطت بموجبها الدولة اللبنانية الحق للفلسطينيين في المخيمات لأن يدافعوا عن أنفسهم بعد المذابح التي تعرضوا لها في لبنان وبقي الفلسطيني في المخيمات يحتفظ بسلاحه للدفاع عن نفسه وليس لإستمرار المقاومة أولتحرير الأرض وخصوصاً بعد دحر قوات الإحتلال من الجنوب اللبناني وفي ذلك الحين خلقت أزمة حول سلاح المخيمات وأصدرت السلطة التشريعية اللبنانية وبموافقة عربية عدة قرارات بعضها يناقض البعض الآخر حول وجود السلاح داخل المخيمات .

يبدوا أن الأوضاع السياسية اللبنانية الحالية تحتم على القادة السياسيين أن يتم إثارة موضوع السلاح الفلسطيني للدخول في معارك جديدة ضد المخيمات حتى يعطي الفرصة للقوى

الأجنبية وإسرائيل أن تتدخل من جديد في لبنان لإجبار التنظيمات المسلحة والمدعومة من سوريا للخروج من لبنان وكذلك نزع سلاح حزب الله ونزع سلاح المخيمات الفلسطينية .

إن السلاح الفلسطيني الذي كان موجوداً أيام الحرب الأهلية اللبنانية كان سلاح متوسط وثقيل وتم الإتفاق على تسليمه الى السلطة اللبنانية على أن يحتفظ الفلسطينيون في مخيماتهم بسلاحهم الفردي، لريثما يصل الوضع في لبنان إلى مرحلة من الهدوء الكامل وتتوقف الاعتداءات الإسرائيلية على المخيمات، أو على الكوادر الفلسطينية وعلى المناضلين الفلسطينيين , وإن كان لهذا السلاح الدور الفعال في مؤازرة المقاتلين من حزب الله والمشاركة مع المقاومة الوطنية والإسلامية اللبنانية تحت راياتها حتى تم تحرير الجنوب اللبناني وطرد إسرائيل من المنطقة العازلة .

وطبعاً تعالت الأصوات الآن للتخفيف من معاناة الفلسطينيين في لبنان وبدأ الحديث عن القضايا الإنسانية التي كانت منسية لعقود , إذاً إثارة موضوع المشكلة الإنسانية لتصحيح القوانين اللبنانية أو لتنظيم نطاق عمل اللاجئين الفلسطينيين ولاسيما بعد خروج سوريا من لبنان والتي خرج معها حوالي نصف مليون يد عاملة سورية من لبنان وبالتالي لابد من تعويض هذا النقص من الأيدي العاملة اللبنانية والفلسطينية التي تقطن المخيمات البائسة .

وهناك قصص أغرب من الخيال قد لاتصدق ولكن من يكتب السيناريو هم واضعي التشريعات اللبنانية بخصوص اللاجئين الفلسطينيين ومنعهم من مزاولة العمل في أكثر من 70 مهنة ومنها أيضاً منع وصول مواد البناء الى المخيمات ومنها أيضاً إغلاق المخيمات لمنع أهلها من الدخول أو الخروج خلال ساعات معينة وهذه أول رأس قائمة الممنوعات بحق الفلسطينيين التي يطول سردها .

هنا لابد لنا من وقفة حول مساهمة الدور السوري في الضغط على لبنان من أجل منع الفلسطينيين من العمل أثناء وجوده على أراضيها ووجود العمالة السورية بجوارها حتى تتمكن العمالة السورية من القيام بالعمل في لبنان على حساب العمالة اللبنانية والفلسطينية هناك ولاسيما أن سوريا كانت مسيطرة على الكثير من قرارات الدولة اللبنانية بقوة وجودها العسكري هناك .

كان وضع العمال السوريين في لبنان وضع غير منظم ولاتحكمه قوانين ولكن يحكمه الوجود السوري الذي خرج من لبنان تحت تأثير ضغط القوى الدولية التي أرادت أن تلعب لها دور في الفراغ الناشيء عن الخروج السوري ودخولها كان بحجة التحقيق في مقتل الحريري ولهذا نجد أن قواعد اللعبة في لبنان قد تغيرت بعد مقتل الحريري وتصارع القوى اللبنانية المؤيدة للوجود السوري والمعارضة له والمؤيدة للوجود الفلسطيني والمعارضة له .

رغم كل ذلك مازالت القوانين اللبنانية بشأن الفلسطينيين بحاجة الى تنظيم فهي لاتعطي الفلسطينيين المتواجدين على أراضيها سوى حق الإقامة وتمنع قدوم أي فلسطيني الى أرض لبنان ، وليس هناك قوانين تنظم أوضاع الفلسطينيين الاقتصادية، والمعيشية، والاجتماعية وهذا هو المطلب الفلسطيني الدائم على جدول الأعمال، الذين يأملون من السلطات اللبنانية أن تقدمه، بأن تقوم بتنظيم هذه القوانين التي ترعى أوضاعهم وتنظمها لا أن تتخذ كحجة لتبرير التصعيد والمواجهة مع الفلسطينيين لسحب سلاحهم من خارج المخيمات ثم من الداخل .

وعندما تفكر الدول وتبدأ في حل مشكلة اللاجئين لديها تجد هناك أطراف لاتريد أن تحل هذه المشكلة لأنها مستفيدة من وجود معذبين في الأرض ولهذا تعود الدول وتقتنع بأن مشكلة اللاجئين على أراضيها ليست مشكلة خاصة وإنما هي مشكلة تخص العالم بأسره ولهذا يبقى موضوع اللاجئين مجمد الى حين , وعندما تأتي الدول الغربية لمناقشة موضوعهم تأخذ بعض الدول العزة بالإثم وتقول إنها مسألة سيادة ولانرغب في التدخل في الشؤون الداخلية .

كثير هي القرارات التي صيغت لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وتنظيم أوضاعهم إبتداء باللجنة متعددة الأطراف التي نشأت عن مؤتمر مدريد للسلام ولكن القوى الخفية تلعب بالقضية ليبقى الحال على ماهو عليه الى وقت آخر أما حقوق الإنسان وأوضاع اللاجئين إنسانياً وإجتماعياً فليس من الأهمية بمكان وإن أثيرت قضية التوطين ثارت ثائرة القوميين وغيرهم أما أن يشاركوا في إيجاد حلول عملية لتحسين أوضاعهم فلا حياة لمن تنادي .

والحديث عن كيفية تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم 194 القاضي بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى فلسطين، ولكن للأسف نتحدث الآن عن موضوع التوطين، لأن هناك تقارير غربية وردت تقول: بأن هناك نوع من الضغوط تمارس الآن على بعض الدول العربية لتوطين اللاجئين في سياق تنفيذ عملية السلام في المنطقة .

ولغة الصحافة هذه الأيام في لبنان تقول إن الأرمن والمسيحيين والشيعة والسنة والدروز، كلهم يرفضوا توطين الفلسطينيين في لبنان وكأنه إنسان قادم من كوكب آخر والسؤال المطروح الآن هو من أين أتت ؟ جميع تلك الطوائف والتي تعتبر نفسها لبنانية الأصل فالأرمن في لبنان والأردن وسوريا وغيرها من الدول أصبحوا مواطنين في الدول العربية أما الفلسطيني فلا يجوز حسب رأي هؤلاء أن يشعر بأنه مواطن صالح في الدولة التي عاش فيها جل حياته أهذا هو المسار الوحيد لتحقيق الوحدة ؟ .

ومن أهم مشاكل العالم العربي تتلخص في دور الحكومات التي تطبق قوانين الهجرة والجنسية البالية القديمة والتي تؤكد على هوية كل بلد وكأنه منفصل عن البلد الآخر ولهذا تفاوتت معدلات التنمية والدخل في كل بلد عن البلد الآخر ولو أخذنا العبرة بإندماج الدول الأوروبية في السوق المشتركة لوجدنا أن معدلات التنمية والدخل التي كانت متفاوتة قبل الوحدة أصبحت الآن متقاربة تماماً وهذا يعني تعادل وتوازن في الأنشطة الإقتصادية.

إن التقسيمات السياسية والمدعومة بنعرات جاهلية حذر منها الإسلام هي التي تؤكد من جديد على الضغوط الدولية السرية على الحكومات لتبقى متفرقة متنازعة فيما بينها لان الوحدة فيها قوة إقتصادية وسياسية وعسكرية وغيرها لهذا نجد أن أهم الأهداف التي تسعى إليها الدول الإستعمارية هي تفتيت هذا العالم المتوحد بنسيجه ودمائه ودينة وعقيدته .

هذه النعرات والمواقف الجامدة هي التي سببت للعرب التخلف الذي تعيش فيه حتى الآن وفي المستقبل لأنها تمنعه من تحقيق مستوى راق من الثقافة والحضارة وإذا نظرنا الى قوانين الجنسية في جميع الدول العالم المتقدمة وسهولة الحصول عليها وتمكين حاملها الإندماج في المجتمع ومن ثم المساهمة في تنمية الإقتصاد والدفاع عن الوطن الذي أصبح هو جزء منه ,

أما الأنظمة المتعلقة بهذه المسألة في الدول العربية لازالت تتمسك بالدعوات الجاهلية النتنة والتي مازالت تعشش في أدمغة بعض زعمائها السياسيين معارضين بذلك بعض قواعد الدين .
أنظروا الى إسرائيل وكم تستقدم سنوياً من اليهود لتوطينهم في بلاد العرب والمسلمين لتزداد قوة وصلابة في مواجهة الدول العربية حتى أصبح ميزان القوى العسكري والإقتصادي لصالح إسرائيل وهي تسعى الآن بكل جدية للتفوق الديموغرافي على جميع الدول العربية وسوف يتحقق لها ذلك إذا إستمر الوضع على ماهو عليه دون تغيير من الجانب العربي .
أنظروا ماذا تفعل كندا بالمهاجرين إليها من كل مكان لزيادة السكان فيها لأن أراضيها تستوعب الملايين من البشر والهدف هو الإستثمار في البشر والكل يعلم موقع كندا الإقتصادي والتنموي والحضاري ومعدلات التنمية فيها لأن من يصنع التنمية هو الإنسان ومن يستخرج كنوز الأرض هو الإنسان في الوقت الذي تعاني معظم الدول العربية من البطالة والفقر لأن الدورة الإقتصادية فيها غير مكتملة والعقلية السياسية والشعبية لازالت غير ناضجة بما فيه الكفاية فيما يتعلق بالمساواة وحقوق الإنسان .
أنظروا ماذا تفعل أستراليا بالمهاجرين إليها من كل مكان لإستيعاب أراضيها ومزارعها الملايين من البشر ومازالت معدلات التنمية فيها في إطراد مستمر وتعتبر من دول العالم الأول وليس العالم الثالث الذي مازال بعض أبناءه وزعمائه يفخر بجاهليته وتخلفه عن ركب الحضارة والثقافة بل وغير متمسك بأهداب الدين .

صحيفة الشرق القطرية 20-10-2005م

110 سفراء بلا حقوق أم عقوق ؟

إستبشر الكثير من الفلسطينيين بقرارات الرئيس الفلسطيني بحق عدد من السفراء من نقل وإقالة وإحالة على التقاعد وفي نفس الوقت إستاء العديد منهم لتلك القرارات ولكن نريد أن ندرس آثار هذه القرارات ومدى تطبيقها على أرض الواقع وماهي الإيجابيات والسلبيات والعوائق التي إعترضتها فليس من السهل إصدار قرار بالإقالة أو الإحالة أو حتى النقل وخصوصاً في ظروف بالغة الصعوبة يمر بها شعبنا الفلسطيني المناضل على كل الجبهات وكأن هذا الشعب قدره أن يبقى مقاوماً ومقاتلاً حتى يندحر الإحتلال ويعم السلام أرجاء العالم ومن ثم تتوحد توجهات هذا الشعب وتندرج تحت قيادته جميع الفصائل والتنظيمات سواء ما كان منها بالداخل أو ما كان منها بالخارج .

الذين إستبشروا إعتبروا أن مميزات هذه القرارات عديدة ومنها دخول دماء جديدة الى السلك الدبلوماسي الفلسطيني الذي لم يكن يلعب الدور العصري ليواجه أدهى أمم الأرض وأقوى نفوذاً حتى الآن فلهم لوبي قوي حول العالم ويؤثر في العديد من قرارات العالم سواء فيما يتعلق بقرارات الأمم المتحدة أو مايتعلق بقرارات على مستوى الدول المحلية , ولهذا كان ينبغي أن تلعب الدماء الجديدة دورها في المعترك السياسي والدبلوماسي بكل مهنية وحرفية .

ومن المميزات أيضاً ذكر البعض أن ذلك يعتبر إزالة للشوائب التي ترسبت في سفارات فلسطين لعدد من السنين ولاسيما أن سفراءنا المبجلين يعتبرون عمداء السلك الدبلوماسي في أكثر من مكان لبقائهم في أماكنهم عقود من الزمان دون نقل أو إقالة أو إحالة حتى ولكأنهم ورثوا تلك السفارات التي إستئمنهم الشعب والسلطة عليها والقيام بأعمالهم على خير وجه ولكن عدم الحراك أدى بهم الى الركود والركون وبالتالي زادت الشوائب الواجبة التنقية إن عاجلاً أم آجلاً .

والبعض إعتبر ذلك حركة تصحيحية ولاسيما أن الزعيم الخالد قد قضى نحبه وتولى القيادة من بعده رئيس جديد لابد أن يعمل نوع من التغيير وبالتالي لابد من حركة تصحيحية في جميع أعضاء السلك الدبلوماسي من أعلى الهرم الى أخمص القدم وحدثت خلافات كبيرة حول قيادة وزارة الخارجية ولم تحل حلاً جذرياً ولكن المهم أن هناك تفاهمات تمت بهذا الخصوص وقد تكون الحركات التصحيحية خطوة إيجابية نحو تطوير أداء وخدمات وسلوك السفارات الفلسطينية في الخارج وأداء الوزارة في الداخل .

لاشك أن هناك إعترافاً بالفساد في بعض سفاراتنا الأمر الذي أدى إلى تكوين لجنة لدراسة الوضع العام لهذه السفارات بالخارج وكان من أهم نتائجها القضاء على الفساد والمحسوبيات والحد من الفوضى الإدراية على أقل تقدير وهذا يعني أن هناك أمور أكبر من فشل إداري ومالي ولكن نترفع عن ذكرها في مقالنا هذا .

وكما ذكرنا المميزات فمن الإنصاف أن نذكر بعض السلبيات نتيجة لإتخاذ القرارات السالفة الذكر وهي وضعت السلطة والعاملين فيها على المحك فالعديد من السفراء لم ينفذوا إلتزاماتهم كما جاءت في قرارات سيادة الرئيس ولكن هل لنا أن نسأل ماهي أسباب ذلك ؟

بعض سفراءنا المكرمون رفضوا تسليم ممتلكات سفارتهم الى نوابهم أو الى السفراء اللذين حلوا مكانهم وبعض السفراء يقول أن الفيلات السكنية ومحتوياتها من ممتلكاتهم الشخصية وكذلك السيارات الفارهة التي كانوا يستقلونها إعتبروها ممتلكات شخصية وإن كانت تحمل لوحات دبلوماسية وهنا نسأل هل هناك تدخل من الدول التي يقيمون فيها بالمؤازرة والتعاطف وهذا يضع القضية ومسارها على المحك فهل هؤلاء السفراء مناضلون حقاً ؟ إذا كانت الإجابة ب "نعم" فلماذا لايقبلون النقل الى موقع آخر يخدم قضيتهم وقضية شعبهم .

أما إذا كانت الإجابة ب "لا" فمن الطبيعي أن يرفض النقل أوالإحالة أو الإقالة وبالتالي يبرهن على أنه قد خذل شعبه بدلاً من أن يخدمه وهنا يظهر الولاء الحقيقي للشعب والقيادة أم

إلى جهات أخرى وإن كانت تدعم القضية مادياً إلا أنها ينبغي أن لاتتدخل في الشأن الفلسطيني حفاظاً على مسيرة القضية وقواعد القانون الدولي .

وطالما مازال بعض السفراء في مواقعهم لابد لنا من التعرف على أسباب ذلك فالبعض منهم يقول أنه لم يتلق البديل فمن غير المعقول أن يسلم الممتلكات ولايجد بديلاً كمنزل يؤوي به أطفاله وأسرته وأن يحافظ على تنقلاته هو وأسرته بالشكل اللائق والمستوى المعيشي المناسب فقد خدموا في السلطة ووهبوا دماءهم وأبناءهم وأنفسهم وفي نهاية المطاف يلقى بهم في مهب الريح تتلاطمه العواصف العاتية فليس هذا من حسن مكافئة ترك الخدمة أو نهاية الخاتمة .

وإذا كانت الإجابة ب "نعم" فيما يتعلق بالبديل وهو حق مشروع فمن الطبيعي أن يقوم السفراء بتسليم مواقعهم لإخوانهم حسب القرارات أما إذا كانت الإجابة ب "لا" فمن الطبيعي أن يتذمر سفراءنا المكرمون وعليه ينبغي أن لانطلق الأمور على عواهنا قبل التأكد من صحة قول كل طرف من الأطراف المؤيدة والمعارضة والأطراف ذات العلاقة .

وهنا نود أن نتساءل هل هناك نظام واضح بهذا الشأن ينطبق على جميع العاملين في السلك الدبلوماسي ؟ ويعطي كل ذي حق حقه ؟ حتى يؤدي واجبه بكل أمانة وإخلاص وبعيداً عن الإختلاس وإذا كانت الإجابة ب "نعم" فهل هذا النظام يناسب ظروف الجميع , إذا ماقارناه بأنظمة الدول الأخرى فهل يلبي إحتياجات العاملين في هذا القطاع ولاسيما أن وضع السلطة فريد من نوعه في العالم فمن الممكن أن يكون هناك سفير لفلسطين وعن طريق النقل أو الإقالة لايستطع العودة الى أرض الوطن غير المحررة بالكامل لأنه نازح ولايقبل في دولة أخرى إلا بموجب إستثناءات لاتسري على الجميع الأمر الذي أجبر معظم السفراء في الخارج محاولاتهم المستمرة للحصول على جنسية البلد التي يقيمون فيها تحسباً لمواقف مثل هذه المواقف .

وعودة الى سؤالنا السابق إذا كانت الإجابة ب "نعم" فإن مسألة التطبيق واردة وغير مستهجنة من السفراء ولاسيما إذا تم نقلهم الى مستوى أعلى أو أفضل كأن ينقل من دولة عربية الى دولة غربية أو يتسلم منصب رفيع في السلطة سواء في مكاتبها في الداخل أو في الخارج , أما إذا كانت الإجابة ب "لا" فمن الطبيعي أن لا يحرص على تطبيق القرارات المتعلقة بالنقل أو الإحالة أو الإقالة على أقل تقدير أن يسجل إعتراضاً وموقفاً .

ومما تقدم نستنتج أنه لابد من عمل نظام لوزارة الخارجية أو يعاد تحديث النظام الحالي حتى يناسب ظروف الأغلبية من العاملين في هذا القطاع كما ينبغي عمل ملاحق ينص فيها على أدق التفاصيل فيما يتعلق بالممتلكات الشخصية وغير الشخصية لأن الممتلكات الشخصية وإن كانت معروفة فهي لا تسلم .

وفي هذه الحالة نحن نعيش في حيرة السؤال التالي هل يمكن تنفيذ القرارات بالقوة ؟ وماهي وسائل القوة التي يمكن إتخاذها في هذا الصدد ؟ ولكن تعتبر القنوات الدبلوماسية من أهم الوسائل التي ينبغي اللجوء إليها في مثل تلك الحالات , فإذا ماتمت موافقة الدولة المضيفة على ذلك فمن السهولة أن يتم التنفيذ وبدون أي إشكالات ولكن عدم موافقة الدول المضيفة على أي بند فهنا تحدث مشكلة ويختلف حجمها حسب نوع البند المختلف عليه وهنا ندخل في مفاوضات قد تكون يسيرة وأخرى قد تكون عسيرة .

إما أن يتم التغلب على المشاكل وتسير الأمور بشكل جيد وإما أن تؤدي الى قطع العلاقات الدبلوماسية وهذا يؤدي بالتالي الى خسارة كبيرة لشعبنا سواء من ناحية المساعدات المادية أو من ناحية الدعم المساند في المحافل الدولية وهي قوة لايستهان بها ومن واجب المسؤولين وأصحاب القرار أن يحافظوا على علاقاتهم الطيبة بالجميع حتى يستمر الدعم المادي والمعنوي .

وعودة الى موضوع تسليم الممتلكات فقد يكون من أسباب عدم التسليم ايضاً الرغبة في التمتع بمميزات المنصب ولاسيما أن الخدمة كانت لسنوات طويلة , ولايعني ذلك أن يتم توريث المناصب وقد يكون من الأسباب أيضاً محاولة للضغط على السلطة أو من واقع دعم الدول المضيفة أو من واقع دعم أعضاء السفارة أنفسهم أو من واقع دعم المواطنين الذين يشكلون الجالية الفلسطينية في الدولة المضيفة وقد يكون ذلك خروجاً على الأوامر أو محاولة للإنفصال أو تكوين منظمة أخرى كما حدث في بعض المنظمات ومع قياداتها العسكريين وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي هل السلطة ضعيفة ؟ الضعف بجميع اشكاله سواء المادي أو الإداري أو التنظيمي أو القيادي أو غيره .

وخلاصة القول فيما سبق لابد من توحيد صفوف الشعب الفلسطيني حتى يكون هذا الشعب هو الداعم لقضيته والداعم لقيادته فقيادة بلا شعب تثبت مقولة زعماء إسرائيل شعب بلا أرض , ومن باب أولى أن يقبل الشرفاء من سفراءنا الكرام مايدعم قضية شعبهم لا أن يولد لديهم نوع من الإنتقام ومحاولات بائسة بعدم تطبيق القرارات وفي ذات الوقت ينبغي على القيادة الحكيمة أن توفر لهم سبل العيش الكريم وأن لاتتنكر لهم وماقدموه لقضيتهم حتى يقبلوا أن يسلموا الراية لخلفهم ليكونوا خير خلف لخير سلف وتبقى راية فلسطين مرفوعة عالياً فوق جميع سفاراتها حتى تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني وتكون المسألة مسألة حقوق لا مسألة عقوق .

صحيفة الحقائق اللندنية 01-12-2005م

111 الهجرة قائمة مابقي الظلم قائم (الحلقة الثانية)

ذكرنا في الحلقة الأولى أن الهجرة ستبقى قائمة مادام الظلم قائم وفيمايلي ملخص أهم ماجاء فيها : إن الحرب على الإرهاب هي بداية إنتشاره وإزدياد وتيرته , بعض القوى السياسية إستثمرت الحرب على الإرهاب لصالحها لأسباب إنتخابية وعنصرية , إن مبدأ المسئولية في الحساب والعقاب نابعة من الإستقلالية لهذا الإنسان وهو مأمور بالهجرة , وأن الإنسان قد يكون ظالماً لنفسه , وأن من يتحمل الظلم , ويرضخ له ويكون سبباً في ظهور فئة مستكبرة ومتجبرة ومتعالية وطاغية وظالمة في المجتمع , وأن الإنسان مأمور بمقاومة الظلم أو يهجر الظلم بالهجرة الى بلاد الله الواسعة , الأحداث الأخيرة في فرنسا أسهمت في دفع المشكلة للظهور , كيف عالج الإسلام هذه المشكلة.

وفي هذه الحلقة سنتابع العودة إلى الحالة اليونانية لنجد أن بعض نواب البرلمان يساندون هذه الحقوق ويعتبرون ذلك خطوة جوهرية في المساندة في الأعمال المؤسساتية والبعض الآخر يشترط الحصول على الجنسية للتقدم الى الإنتخابات البرلمانية .

وبعد الحالة اليونانية ننتقل الى الحالة الفرنسية فقد تظاهر آلاف الفرنسيين تضامناً مع المهاجرين على الرغم أن شرطة مكافحة الشغب تسد الطريق أمام آلاف الأشخاص الذين قاموا بسلسلة من الإحتجاجات مطالبين بإعطاء المهاجرين تصاريح إقامة ومطالبين بتغيير القوانين المتعلقة بالهجرة حيث أن وزارة الداخلية ترفض إعطاء تصاريح الإقامة لكل من يطلبها حيث تتبنى دراسة كل حالة على حدة ومن هنا نشأت نفس الإستراتيجية عند بعض الدول العربية فيما يتعلق بقوانين الإقامة والجنسية متناسين أو متجاهلين الحلول الإسلامية لمثل تلك الحالات .

ولم يجعل الله في النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ضعيفا وقويا، وإنما الانسان هو الذي يأذن للآخرين أن يستدرجوه الى الضعف، ويسلبوه إرادته وقوته وصموده وكفاءاته

وإمكاناته، فيكون مستضعفا وليس ضعيفاً وليس في النظام الاجتماعي ضعف وقوة، ولكن في هذا النظام إستضعافاً وإستكباراً، وأحدهما يستدعي الآخر .

ولكي تفرض الفئة المستكبرة في المجتمع نفسها وولايتها على الناس، وتفرض عليهم الطاعة والتبعية لابد لها من إتباع سياسات تستطيع من خلال تطبيقها الى تجريد الناس من الكفاءات والمقاومة والقيم والمعرفة والإبداع التي وهبها الله لهم ، وعندها يتحول الناس الى كتلة بشرية لا تصلح الا للطاعة والتبعية المحضة حتى تعطي نسبة 99.99% في الإنتخابات إن وجدت إنتخابات أو لاتتبنى طرح الإنتخابات أصلاً .

هذه الكتلة البشرية تقبل الظلم على نفسها فتكون ظالمة لنفسها رغم أنها مظلومة وتتبع وتنفذ الأوامر من غير نقاش ومراجعة وكأنما ولاة الأمر ليسوا من جنس البشر فلا أخطاء لهم , وهذه الحالة من التقويم الانساني تساعد الفئة المستكبرة على الظهور والبروز , وهكذا نجد أن العلاقة بين الاستكبار والاستضعاف علاقة جدلية "تبادلية".

إن الإستكبار سبب كل فساد في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي في حياة الناس , فالناس اذا فقدوا القدرة على المقاومة للظالم ، فليس البديل لذلك الرضوخ والاستسلام سوى الهجرة، والابتعاد عن دائرة نفوذ الظالم , وهي حقيقة قرآنية ذات أهمية كبيرة في حياة المؤمنين، وخلافها شذوذ وإستثناء، والاصل أن أرض اللّه واسعة ينبغي أن نهاجر فيها .

ومهما تشددت الحكومات إزاء قوانين الهجرة الجديدة وطالبي اللجوء فإنها لن تستطيع أن تقضي على الهجرة تماماً ورغم أن الكثير منها تبنى قوانين جديدة تحد من فرص قبول طلبات اللجوء إلا أن المفوضية العليا لشؤون اللاجئين ومقرها جنيف إنتقدت القوانين التي تبنتها بعض هذه الدول .

وهناك صعوبات تعترض طريق هذه القوانين وأن عمليات حصر عدد الأجانب الحاليين وتحديد أماكن إقامتهم وتشديد الحراسة على الحدود وفرض رقابة صارمة على التأشيرات السياحية الممنوحة وإرتفاع الأصوات المعادية للأجانب كل هذه الأشياء لن تمنع الهجرة وسيتوالى المهاجرون رغم وقوع ضحايا بينهم من سوء تعامل الشرطة معهم عندما يتم إلقاء القبض عليهم .

إلا أن مايخفف من هذه المعاناة هي وقوف جمعيات حقوق الإنسان الى جانبهم كما أن القضاء العادل والنزيه يعطي الحق لطالبي اللجوء بإستئناف الحكم الصادر ضدهم لإثبات عدالة قضيتهم , ورغم ذلك تعمل الدول الأوروبية ثم ستتبعها الدول العربية على إنشاء مركز معلومات مشترك بشأن تأشيرات الدخول لمكافحة الهجرة السرية بطريقة أشد فعالية ويسعون لتوحيد قوانين الهجرة واللجوء ومكافحة التزوير عبر المعلومات المتعلقة ببصمات الأصابع أو قزحية العين في الوثائق والبدء في تطبيق سياسة إعادة المتسللين الى بلدانهم . وتتعارض المصالح بين الدول بشأن طالبي اللجوء واللاجئين فمثلاً يعتبر مخيم سانغيت شمال فرنسا أحد المنغصات لبريطانيا في قضية اللجوء وهناك محادثات بين بريطانيا وفرنسا عن الهجرة بخصوص محاولات طالبي اللجوء الهروب الى بريطانيا وهذه المحادثات أسفرت عن مطالبة بريطانيا بإغلاق هذا المعسكر الذي يقع في سانغيت (قرب مدينة كاليه على الجانب الفرنسي من القنال) وتعتبر بريطانيا إن معسكر سانغيت يمثل شوكة في خاصرتها يستخدمه المهاجرون للتسلل إليها . وتسبب هذا المعسكر في توتر العلاقات بين البلدين ووزارة الداخلية البريطانية تأمل بإغلاقه وتعتبر أن ماتقوم به الحكومة الفرنسية غير مشجع الأمر الذي دعى وزير الداخلية الفرنسي أن يقول إن بلاده ترغب في إغلاقه , كما قامت فرنسا بإبلاغ اللجنة الأوروبية أنها تحتاج إلى أشهر قبل القيام بخطة الإغلاق إلا أن البريطانيون يشعرون بالغضب إزاء التهاون الفرنسي في السيطرة على هؤلاء المهاجرين وإبقائهم داخل المعسكر .

ورغم كل تلك الإجراءات إلا أن بعض الدول الأوروبية أقرت بفشلها في مواجهة الهجرة غير المشروعة وأول هذه الدول هي فرنسا التي أقرت بالفشل ولم تنجح في زيادة أعداد المبعدين كما وعد بعض وزراءها , وهناك مصاعب تعترض تطبيق القوانين الجديدة ومنها صعوبة الوصول الى عناوين المطلوبين , وصعوبة تحديد جنسية من يجري إحتجازهم , وعدم وجود أماكن كافية للإحتجاز , ومصاعب تكتنف فكرة الإبعاد , وإستحالة تحديد عدد المهاجرين بصورة غير شرعية بشكل دقيق لأنهم لا يخضعوا للتسجيل من جانب أي جهة إدارية , ورغم القيام بدوريات مشتركة على الحدود .

وتناضل جمعيات حقوق الإنسان من أجل الدفاع عن حقوق هؤلاء المهاجرون كما أن البرلمان الأوروبي يدعو للتمسك أكثر بمعايير حقوق الإنسان من خلال توحيد السياسات إزاء طالبي اللجوء ومنهم من ذهب أبعد من ذلك حيث دعوا الى مقاضاة الحكومات إذا لم تحترم حقوق الإنسان منادين بأن تتماشى القوانين الجديدة مع معايير إتفاقية جنيف بخصوص اللاجئين لعام 1951م .

وتنص بعض تلك المعايير على حماية الأشخاص الذين هربوا من بلدانهم دون أن يتمكنوا من أن يحملوا معهم وثائق سفر أو هوية , وعدم إعادتهم عنوة إلى الدول التي كانوا يعانون فيها من الاضطهاد , وتساعدهم المفوضية على العودة إلى أوطانهم حين تسمح الظروف , وتساعدهم على الاندماج في دول المأوى , وتساعدهم على إعادة التوطين في دولة ثالثة , وتقدم المساعدة للدول لإرساء هياكل اللجوء السياسي , وتعمل كمراقب دولي لقضايا اللجوء.

وقد يتصور المهاجرون أن الهجرة تسلبهم أهلهم وذويهم ومواقعهم الإجتماعية وأعمالهم الاقتصادية وأصدقاءهم ومستقبلهم , حيث يبني الإنسان حياته ومستقبله في وطنه الذي يعيش فيه، فاذا هاجر الى ديار أخرى، ليس له فيها أهل ولا أصدقاء، ولا عمل، ولا معرفة ولا علاقات , إلا أن خالق هذا الإنسان يفتح لهم في الهجرة آفاقا جديدة لم تكن تخطر لهم على بال , ويعوضهم عما فقدوه بأصدقاء , ومواقع إجتماعية جديدة , وأعمال إقتصادية ناجحة , وآفاق جديدة تعوضهم عن حرمان فقدان الأهل لذا ستبقى الهجرة قائمة مابقي الظلم قائم .

صحيفة الحقائق اللندنية 17-12-2005م

112 القيادة الموحدة وسر النجاح

هناك العديد من القضايا التي تظهر على السطح بين الحين والآخر وكما تعودنا من العرب عموماً الثورة الآنية ثم الهدوء والسكون فأصبحنا نتأثر كالمد والجزر وكأن الشخصية العربية ظاهرة ثورية تركن الى السكون , فالحديث عن معاناة الفلسطينيين في العراق وترحيل بعضهم الى الحدود الأردنية يثير التساؤلات.

وهنا يتبادر الى الذهن التساؤلات التالية :

ماهي الجهة التي تعمل بمنهجية لتوفير الحماية لأمثال هؤلاء اللاجئين ؟

وهل هناك حلول منطقية مبنية على قرارات دولية لمنع تكرار مثل تلك المآسي ؟

إن مثل تلك القضايا تدرج تحت تصنيفات حقوق الإنسان والتي ينتهكها الإنسان نفسه ولكن هناك إنسان فوق القانون وإنسان تحت القانون كما هي الدول بعضها يطبق بحقه قرارات مجلس الأمن والبعض الآخر لايطبق بحقه تلك القرارات .

إن مباديء حقوق الإنسان سلاح ذو حدين أحدهما يستخدم للخير والآخر يستخدم للشر تتذرع بها بعض الدول لفرض قرارات على دول أخرى وما الهيئات والمنظمات الدولية إلا أدوات بيد القوى الكبرى وليس لها إستقلالية وخصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م , التي غيرت الثوابت .

ولهذا لانستغرب وصف بعض قادة "المؤتمر الوطني العراقي" اللاجئين الفلسطينيين في العراق بأنهم يشكلون طابوراً خامساً للنظام السابق ليكون هذا الكلام تبريراً للأعمال العدوانية التي يتعرض لها اللاجئون الفلسطينيون بما في ذلك العمل على طردهم خارج البلاد وكأنما كتبت عليهم الذلة والمسكنة أينما وجدوا .

إسرائيل والعرب والمنظمات الدولية

لابد من العودة الى أساس المشكلة إذا أردنا حلول لها والمعلومات المؤكدة والمثبتة تاريخياً هي أن اللاجئون الفلسطينيون في العراق تم نقلهم الى بغداد بشاحنات الجيش العراقي تنفيذاً لعلاقة كان طرفاها الحركة الصهيونية وحكومة نوري السعيد , وعندما سقطت فلسطين على يد العصابات الصهيونية إلتحق قسم منهم بعائلاتهم في العراق، وبقي البعض الآخر في لبنان أو سورية أو الأردن، وهو ما يفسر حالة التشتت التي يعيشها أبناء فلسطين في الوقت الحالي .

وذكرت كتب التاريخ والأبحاث المنشورة أن عددهم كان آنذاك حوالي 5 آلاف نسمة. وأنهم جمعوا بداية في معسكر للجيش العراقي في البصرة وتوفرت لهم فيه وسائل العيش من طعام وملبس ورعاية صحية وغيرها , وكان يمنع عليهم مغادرة المعسكر والتجوال خارجه كما هو حاصل الآن تماماً في لبنان , ثم نقلوا بعد ذلك، الى بغداد فأقاموا بشكل مؤقت في منطقة تدعى "تحت التكي" في العاصمة العراقية وهي حي سكني لليهود العراقيين الذين هاجروا إلى إسرائيل في ظل تداعيات الحرب العربية ـ الإسرائيلية .

وفي مطلع الخمسينات بدأت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) نشاطها الخدمي في صفوف اللاجئين ، وذلك بطلب من الحكومة العراقية التي تعهدت بتوفير كل احتياجات اللاجئين الفلسطينيين المقيمين على أرضها مقابل عدم مساهمتها في تمويل وكالة الغوث وأنشطتها , ولهذا السبب لم تدرج أسماؤهم في سجلات اللاجئين الفلسطينيين الخاصة بوكالة الغوث ويطالب هؤلاء اللاجئون بإصلاح هذا "الخطأ التاريخي" الذي إرتكبته الحكومة العراقية ووكالة الغوث دون إستشارتهم وأخذ رأيهم , كما يطالبون في هذا السياق بمساواتهم بإخوانهم المقيمين في باقي الأقطار العربية المضيفة حيث تمارس الوكالة أنشطتها الخدمية .

معاناة الفلسطينيين في العراق

إن الحديث عن معاناة الفلسطينيين في العراق قد يطول شرحه ولكن خير الكلام ماقل ودل ولهذا سنحاول الإختصار قدر الإمكان ونبدأ من قرارات الجامعة العربية المجحفة بحق

الفلسطينيين والتي حرمتهم طويلاً من حقوق إنسانية أقرتها لهم المنظمات الدولية والشرائع السماوية ويتم التأكيد على ذلك في كل قمة عربي .

ثم الحصار الغربي الذي فرض على العراق لسنوات طوال بعد حرب الخليج الثانية ، فعاشوا الجوع الذي عاشه شعب العراق الشقيق .

ثم ساهمت الدول العربية بزيادة حجم معاناة اللاجئين سواء في العراق أو غيرها من الدول العربية إذ لا تمنح الدول العربية، للفلسطيني اللاجئ من حملة الوثائق تأشيرة دخول إلى أراضيها بما في ذلك الدول التي أصدرتها ومنعت كافة الدول العربية تأشيرات الزيارة العائلية .

لذلك يعيش الفلسطينيون في المخيمات حالاً من الانقطاع عن إخوانهم المقيمين في الدول العربية , ونحن نعتبر الاعتداءات على اللاجئين الفلسطينيين في العراق أو في غيرها من الدول ، وطردهم من منازلهم وإعادتهم إلى الخيام والأرصفة، بأنها عمليات إنتقام لاتخدم إلا مصلحة الكيان الصهيوني الغاصب .

أثر الإحتلال الأنجلو-أمريكي على الفلسطينيين

بعد دخول قوات الاحتلال الأميركي إلى بغداد، وإنهيار النظام والجيش والدولة ، تعرض اللاجئون الفلسطينيون إلى أعمال عدوانية شنها ضدهم مسلحون، فأخرجوهم من منازلهم، وأعادوهم مرة أخرى إلى "الخيام"، ودارت دورة التاريخ، لتستعيد النكبة الفلسطينية بعضاً من مآسيها ، بعد أكثر من نصف قرن على النكبة الأولى عام 1948م , فمن يمد يد الغوث والإعانة للاجئين الفلسطينيين في العراق أو في غيرها في هذا الوقت العصيب ؟ .

تناقلت وسائل الإعلام العربية والغربية المختلفة وخاصة الفضائيات منها بعد احتلال القوات الأمريكية لبغداد بعضاً من معاناة اللاجئين الفلسطينيين هناك ، ووصلت تلك المعاناة ذروتها بعد مقتل العديد من اللاجئين هناك من قبل قوى عراقية ، وإشتدت وطأة الحياة أكثر حيث

تم طرد ثمانمائة أسرة فلسطينية من مساكنها التي كانوا يقيمون بها قبل الإحتلال الأنجلو-أمريكي .

كان من أهم تداعيات العدوان الأنجلو – أمريكي على العراق وإحتلاله في التاسع من أبريل (نيسان) 2003 , زيادة الضغوط السياسية على الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع محاولة لاخضاعه للشروط الاسرائيلية وذلك بعد القناعة العالمية بفشل الحل العسكري الإسرائيلي ضد الفلسطينيين وتعرض الأمن الإسرائيلي للخطر بعد العمليات التفجيرية في قلب الكيان الغاصب وصواريخ القسام المحلية الصنع .

دور الحكومات العراقية المتعاقبة

في العام 1993 أصدرت الحكومة العراقية سلسلة قرارات خاطئة لحماية إقتصاد البلاد الخاضع للحصار فقررت منع غير العراقيين من مزاولة كل أنواع الأنشطة التجارية على الأرض العراقية أو إمتلاك عقار أو سيارة أو إشتراك هاتف في محاولة منها للحد من هيمنة أموال التجار والمستثمرين غير العراقيين على إقتصاد البلاد، خاصة بعد أن تدهورت قيمة العملة العراقية مقابل الدولار الأميركي وباقي العملات .

ولأسباب مجهولة طبقت هذه القرارات أيضاً على اللاجئين الفلسطينيين كما طبقت على غيرهم من العرب والأجانب , وبعد شكاوى إستدركت الحكومة العراقية الأمر فأصدرت قراراً إستثنت بموجبه اللاجئين الفلسطينيين إلى العراق ما بين عامي 1948 ــ 1950 من إجراءاتها الاقتصادية وقضت بمعاملتهم معاملة المواطن العراقي وإعادة الوضع إلى ما كان عليه سابقاً. لكن قرار الاستثناء هذا لم يأخذ طريقه إلى التنفيذ , إذ لم تكف بطاقة الهوية التي بحوزة الفلسطيني لتثبت أنه لاجئ إلى العراق ونحن نؤكد أن تسمية الفلسطيني لاجيء في أي دولة عربية هي وصمة عار على تلك الدولة .

وتحت إلحاح منظمة التحرير الفلسطينية واللاجئين أنفسهم، أعلن في العراق في مطلع آذار (مارس) 2000 أن مجلس قيادة الثورة أصدر قراراً سمح بموجبه للاجئين الفلسطينيين المقيمين في العراق بتملك البيوت والأراضي ولكن القرار يمنع في الوقت نفسه على صاحب الملكية نقلها أو تسجيلها باسم أحد أبنائه أو ورثته، أي أن للقرار قيوداً على ملكية اللاجئين الفلسطينيين وهي ليست مطلقة تنتهي بوفاة صاحب الملكية فتعود بعدها إلى الدولة .

توطين اللاجئين الفلسطينيين في العراق

هناك العديد من مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين ولكن مايهمنا الحديث عنه الآن هو العراق ، وجذور الفكرة تعود الى عام 1911 ، عندما اقترح الداعية الروسي الصهيوني "جو شواه بوخميل" مشروع ترحيل عرب فلسطين الى شمال سورية و العراق ، و كان ذلك أمام لجنة فلسطين التابعة للمؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد في مدينة بازل بسويسرا وعلى القاريء أن يتأمل الفقرة السابقة ليعلم أن الصهيونية سبقتنا على الأقل بمائة عام .

وفي عام 1930 ظهر وضوح كامل لاستراتيجية الزعماء اليهود في الحركة الصهيونية فيما يختص بهذه الفكرة من خلال خطة وايزمن المقدمة لمسؤولين و وزراء بريطانيين أثناء محادثات خاصة وعلى القاريء أن يتأمل كيف أننا نسير وفق ماتم التخطيط لنا مسبقاً .

و قد قام المليونير اليهودي المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية "إدوارد نورمان" بمحاولات حثيثة خلال الفترة (1934-1948) لترحيل الفلسطينيين الى العراق ، و كانت فكرة نورمان ، أن أفضل مكان للتوطين هو العراق خاصة الذين تمرسوا الزراعة وليتفكر القاريء ويقارن بين النظرية والتطبيق .

وفي عام 1949 ظهرت العديد من مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين , وظهرت إقتراحات لتعويضهم و دمجهم ، ومن أهم تلك المشاريع ، هو مشروع التوطين في العراق، الذي وضعته بريطانيا ، و قطعت أشواطاً على طريق تنفيذه و ذلك حسب ما جاء في وثائق الخارجية

البريطانية التي نشرت عام 1985 ونحث القاريء على الإطلاع على تلك الوثائق ليعرف دور كل طرف .

و مع توقيع إتفاقات أوسلو في أيلول 1993، جرت محاولات أمريكية و غربية لتوطين آلاف اللاجئين الفلسطينيين في العراق مقابل رفع الحصار عنه و قبوله مبدأ عملية السلام في الشرق الأوسط لكن الخطاب السياسي العراقي الرسمي كان يرفض تلك المحاولات وزادت وتيرته في عام 2000 ، وجاء ذلك على لسان أكثر من مسؤول في الحكومة العراقية في الفترة بين عام 1999 و عام 2000 , وفي ذلك عبرة لمن يعتبر .

أين القيادة الموحدة للفلسطينيين ؟

يفتقد اللاجئون الفلسطينيون والشعب الفلسطيني عموماً للقيادة الموحدة في العراق بصفة خاصة وفي باقي الدول بصفة عامة لتعدد الجهات التي تمثل فئات الطيف الفلسطيني حيث ينشط البعض منهم وينتمي الى العديد من الفصائل أمثال حركة فتح والجبهة الديمقراطية والشعبية والتحرير العربية والتحرير الفلسطينية وجبهة النضال وحركة المقاومة الإسلامية حماس كما أن هناك فروع لعدد من الاتحادات الشعبية الفلسطينية في العراق كاتحاد العمال، والطلبة، والمرأة والمعلمين، والمهندسين، والكتاب والصحافيين، ولكن بدون قيادة موحدة وهذا هو سر الفشل .

صحيفة الحقائق اللندنية 16-04-2006م

113 الإعلام العربي وتزوير الحقائق

في مقال سابق تحت عنوان علامات إستفهام وعلامات تعجب , تحدثنا عن وجه المقارنة بين اللاجيء العراقي في الأردن ونظيره الفلسطيني وكانت ردود الأفعال على هذا المقال واسعة مما إضطرني أن أكتب وأفسر بعض ماجاء في ذلك المقال , فيبدوا أن الكثير لم يستوعب نوعية المشاكل التي تواجه اللاجيء الفلسطيني في الدول العربية ولم تستوعب الشعوب الدروس من إتفاقيات السلام وكأن سياسة القطيع هي السائدة والمؤثرة , فيكفي أن تقود نفر قليل حتى يتبعهم الرعاع وهذا مؤسف حقاً.

وتحدثنا أيضاً عن إنصهار الشعبين الفلسطيني والأردني ولكن وضحنا بعض الفروقات التي لاتظهر إلا في المعاملات الرسمية عندما يطلب منك إستكمال إجراءات مبنية على صورة هوية أورقمها أو مكان الميلاد وأصبح مكان الميلاد هو مصدر الحكم على توجه هذا الشخص أو ذاك وليس هذا في الدول العربية فقط وإنما في الغربية منها وهنا نطالب بحذف خانة مكان الميلاد من بطاقات الهوية كما تم شطب الديانة من بعض جوازات السفر العالمية خوفاً من الطائفية البغيضة التي أدت الى حروب أهلية في العديد من دول العالم .

وتحدثنا أيضاً عن الأصيل والدخيل والكثير من القراء لم يستوعب معنى ذلك بالتحديد أما ماذا قصدنا بهوية برقم وطني وهوية بدون رقم وطني ؟ ولانريد أن نطيل في شرح معنى هذا الكلام وبإختصار شديد إذا كنت تحمل هوية برقم وطني فأنت مواطن أما غير ذلك فإنت غير مواطن , وكثير من الدول تعتبر الإثنين مواطنين ولكن هذا مواطن بالجنسية وهذا مواطن بالتجنس ولانعلم لماذا هذه التفرقة ومافائدتها وكأننا نحذوا حذوا اليهود حين يقال هذا أشكيناز وهذا سفارديم .

وتحدثنا عن القيود المفروضة على الفلسطينيين بإمتلاك منزل والبقاء في المخيمات وحاولت أن أجد تفسيراً منطقيا لمايدور بهذا الشأن فلم أجد غير أن من يحكمنا من بني جلدتنا يصدر تعليمات وسياسات أقل مايقال عنها أنها لا تصب في مصلحة هذه الأمة .

والحمد لله أن حقوق الإنسان تفرض علينا من الغرب لأننا في الواقع شعوب متطرفة تتمتع بجاهلية ونعرات طائفية قضى عليها الإسلام منذ قرون ثم عادت وإنتشرت وكأننا في عصر ماقبل الإسلام .

وقد يقول قائل إن تلك الإجراءات تخدم حق العودة والهوية الفلسطينية وكأن من يقول هذا الكلام لم يسمع كلام الرئيس بوش الإبن عندما أعلن وقال " ان حق العودة للاجئين الفلسطينيين لم يعد ممكنا , وان حدود العام 1967 م ليست مقدسة " وهذا التصريح كفيل بأن ينسف كل الجهود المبذولة منذ إنشاء الجامعة العربية وينسف جميع قرارات مؤتمرات القمة العربية الى يومنا هذا .

هناك دول عربية يقال عنها إنها أمريكية الهوى إستقبلت هذا التصريح بخيبة أمل كبيرة وكانت ردود فعلها مزيداً من القيود على الفلسطينيين , إذاً رد الفعل كان سلبي ولايخدم مصلحة هذه الأمة وهذا الشعب الذي شرد من أرضه الى دول الجوار ومنها دولة شقيقة تستضيف أكبرعدد لاجئيين في العالم قياسا بعدد السكان ويمثلون حوالي 50% من تعداد سكان هذه الدولة .

ان عدم عودة اللاجئين الفلسطينيين في تلك الدولة الى ديارهم التي هجروا منها منذ الاعوام 1948 الى العام 2004 وهي هجرة مستمرة لم تتوقف على مدار أكثر من نصف قرن ، منها ما هو اجباري، ومنها ما هو اختياري، مما إضطر هذه الدولة الى منح بعض الفلسطينيين جوازات سفر مؤقته ودائمة والبعض لم يمنح أي وثيقة أو جواز سفر , وكان لكل نوعية من هذه الجوازات يخدم توجه معين لدى تلك الدولة ولم يكن الهدف للتخفيف من معاناتهم ولتسهيل أمور حياتهم وتنقلهم الى دول العالم فقط دون مقابل ولكن المقابل يخدم سياسات أخرى منها السيطرة على الضفة الغربية وتوسعة رقعة هذه الدولة جغرافياً ولايعني عدم تحقق هذه الأهداف انها لم تكن سياسة مرسومة ولكن كان مصيرها الفشل , وهناك أسباب تخدم أهداف آخرى مثل المعونات التي كانت تطلبها تلك الدولة من الدول المانحة .

ومن الأسباب أيضاً أن بعض دول الخليج العربي، كانت تشترط عليهم عند إستقدامهم للعمل أن تكون جوازات سفرهم متماثلة لضمان عودتهم الى ديارهم وعدم بقائهم هناك، وعلية فان هذا الجواز قد منح لأبناء الضفة الغربية وبعض اهالي قطاع غزة، وهذا الاجراء سهل عليهم البقاء في أغلب الاحيان وعدم العودة فأين حق العودة التي تطالب بها بعض الدول وتدعي أنها تسعى جاهدة لتحقيق ذلك الهدف .

والغريب في الأمر أن كل الدول تدعي أنها تسعى للتقليل من معاناة الفلسطينيين ولكن الحقيقة عكس ذلك تماماً فكل الاجراءات المتخذة هي في الواقع لزيادة معاناة هذه الأمة وهذا الشعب وخصوصا موضوع جوازات السفر التي تتخذه هذه الدول ممثلة في جامعته العربية ذريعة للحفاظ على الهوية الفلسطينية ولترسيخ مبدأ أن العرب ليست أمة واحدة وإنما شعوب وقبائل مختلفة وقد يعود بنا الحال الى النظام القبلي المبني على الغزو والتعدي على الحقوق والسلب والنهب أو الحروب الأهلية وإن كانت بطريقة عصرية كغزو الكويت والحرب الإيرانية العراقية وحرب اليمن وحرب المخيمات سواء في الأردن أو لبنان أو مايحصل الآن في العراق بين مختلف الطوائف .

وهناك أكاذيب كانت تمرر على الشعوب غير الواعية في زمن الإعلام العربي غير الصادق بعيد الهزيمة النكراء لعام 1967 م , ومن هذه الأكاذيب عندما كانت اسرائيل تفرج عن معتقل فلسطيني يحمل جواز أردني وتقوم بترحيله الى الاردن بصفته مواطن أردني ، كان الاعلام العربي الرسمي يدعي بأنه قد حرر أسيرا أردنيا ، مما خلط اوراق اللعبة وزور الحقيقة .

وهناك حقائق كثيرة مزورة لايتسع المجال في مقال لتوضيحها وهي إن الحديث عن عودة اللاجئين الى أراضيهم ماهي إلا لذر الرماد في العيون ومليء البطون وشغل الذهون , والحقيقة المرة التي يعترف بها أعداء الأمة وينظرون إليها بإعتبارها أمة واحدة ولكن لايريد أن يعترف بها أحد منا وهي إن هذه الأمة واحدة بمنطق التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والمصير المشترك , ومرجعيتها واحدة هي الشريعة، ووطنها واحد هو دار الإسلام ، ونختم بقوله سبحانه وتعالى " إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " الآية الأنبياء 92 .

صحيفة الحقائق اللندنية 20-04-2006م

114 الفكر الصهيوني والمقاومة الحقيرة

وصفت عملية تل أبيب الأخيرة بالحقيرة وإنقسم الفلسطينيون حول إدانتها فمنهم من شجب وإستنكر ومنهم من إعتبرها رد فعل طبيعي لمعاناة الشعب الفلسطيني , ولكن كيف أجمع العالم على إدانة هذه العملية ولن يجمع على رد الفعل الإسرائيلي القادم لامحالة , وحين يأتي الرد الإسرائيلي على تلك العملية لن تجد هناك من يدين فكأنما أحد العمليات شرعي والآخر غير شرعي , وإن كانت نتيجة العمليتين قتلى وجرحى من فلسطينيين وإسرائيليين ولكن جنسية القتيل أو الجريح هي التي تحدد إذا كان هذا العمل شرعي أو غير شرعي حتى ولو كان هذا القتيل شيخ كبير مقعد على كرسي متحرك .

والغريب في الأمر أن العلاقات العربية الفلسطينية تتوتر على خلفية حادث مثل حادث تل أبيب وقد يكون هناك إلغاء لزيارات أو إجتماعات أو إتفاقيات أو مساعدات مالية أو طبية أو ماشابه ذلك وهناك من الإتهامات مايبرر أي عمل , ويأتي ذلك الرضوخ لضغوط تسمى خارجية وليس بمستغرب أن تعاني الحكومة الفلسطينية التي تقودها حماس من عزلة دولية تمثلت في قطع المساعدات الأميركية والأوروبية عن السلطة الفلسطينية وستتبعها العربية لأن هناك ضغوطاً خارجية تمارس على الدول العربية لعدم التعامل مع الحكومة الفلسطينية الحالية.

وكثيراً مانسمع عن المساعدات المالية العربية ولكن في النهاية لن تصل تلك المساعدات إلا بموافقة إسرائيلية وبشروط على الحكومة الفلسطينية منها نبذ العنف والاعتراف بإسرائيل وإنتهاج السلام وقبول المبادرة العربية وغيرها من الشروط والضغوط التي تمارس على طرف ولاتمارس على الطرف الآخر , وأكد على ذلك رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية حين قال " إن الضغوط الدولية على الشعب الفلسطيني والحكومة الفلسطينية "تهدف لانتزاع المواقف" .

إن ماتقوم به إسرائيل يتم وفق المخططات التي رسمها حكماء صهيون منذ وقت بعيد واتجهوا الى اختراق الساحة الفكرية والعقائدية وفق مخطط مدروس ومتقن فكانت

الصهيونية وليدة التراث الفكري الاستعماري الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين وهي أداته في المنطقة , لهذا نجد أنها تقوم بالأعمال الوحشية والمجازر وأعمال أخرى مثل بناء جدار الفصل العنصري العازل لفصل شمال الضفة الغربية عن جنوبها، وماتقوم به يومياً من تدمير للبنية التحتية وإغتيال لرموز الحركات الفلسطينية وفصائل المقاومة ونشطائها , ولا أحد يقوم بالضغط عليها أو يستنكر عليها هذا العمل بل نجد أن رئيس السلطة الوطنية يصف ردود الفعل الفلسطينية بالأعمال الحقيرة .

وينجم عن ذلك تساؤلات كثيرة لاتنتهي فاين المصير المشترك ؟ أين الآلام المشتركة ؟ والآمال المشتركة ؟ والمصالح المشتركة ؟ كل هذا يحتم على المسلمين أن يتحدوا ويتلاحموا وأن يتكتلوا لأن عالم اليوم يتكلم بلغة التكتل، إذ لا مكان في عالمنا المعاصر للكيانات الصغيرة، إذ لايمكنها أن تعيش إلا إذا اعتمدت على غيرها، ونرى العالم كله يتقارب والمسلمين وحدهم يتباعدون .

أين الديموقراطية ؟ وأين رأي الأغلبية ؟ وأين حرية الرأي ؟ وأين حرية الاختيار وحرية العقل والتفكير ؟ بالتأكيد أن هناك من لايقبلون ذلك، بل يريدون أن يسير الناس كلهم قطيعاً واحداً وراء هذا الراعي الذي يمسك بعصا ولا يسمح لأحد أن يخرج عن هذا القطيع.

ونتابع المخططات التي رسمها حكماء صهيون بشأن التوطين فمسألة توطين الفلسطينيين في الأردن هي مسألة وقت ويسميها البعض "كارثة التوطين" وعندها فإن الاوضاع الداخلية للاردن سوف تتغير عندها سيعي الأردنيون تلك الحقيقة وهي إن الوجود الفلسطيني في الأردن وجود دائم وليس مؤقت وكبار المسؤولين يعلمون ذلك تماماً , ولهذا عجلوا بإتفاقية وادي عربة , ومن هنا لابد أن تنتهي مسألة الهوية لتكون هوية واحدة ويصبح جميع حامليها برقم وطني .

وتعمل إسرائيل على تحقيق فكرة الوطن البديل ولاسيما أن الفكر الغربي قد تحول من فكر سياسي الى مخطط استعماري ثابت تحركه الأدمغة اليهودية , وإستطاعت هذه الأدمغة عبر مخططاتها المحكمة والمتقنة إيجاد قناعات ثابتة لدى اليمين المتطرف في الغرب بأن دعمهم للدولة "اليهودية" إنما هو التزام ديني لا غبار عليه , ولهذا فلم يكن السر الحقيقي للنجاح الصهيوني في الغرب يعود الى سيطرة اليهود على الإعلام فقط أو الى مقدرتهم العالية على

الإقناع والتلاعب بالعقول ولكن الى أن الصهيونية الجديدة تشكل فرعاً من عقيدة ملايين المسيحيين الذين يؤمنون بأن دعمهم لإسرائيل هو واجب ديني .

وإستطاعت الأدمغة اليهودية تسخير بعض المسيحيين لخدمتها تماماً كما إستطاعت شراء ولاء بعض المسلمين العرب وغير العرب وهي وإن كانت قليلة جداً ونادرة إلا أن الصهيونية لا تدخر وسعاً في مواصلة مخططاتها ومحاولاتها المتكررة لتسخير الشعوب كافة لخدمتها وتحقيق أهدافها بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى .

وبالتالي لانستغرب أن يصف الرئيس الفلسطيني العملية الأخيرة في تل أبيب بأنها حقيرة , فهل تريد إسرائيل أكثر من هذا التوجه ؟ , وهل تريد أكثر من الضغوط العربية على القيادة الفلسطينية الجديدة نحو الإعتراف الكامل بإسرائيل من دون شروط ؟ وهل تريد أكثر من توجيه بعض القادة العرب بوصلة تفكيرهم نحو الهلال الشيعي والدعوة الى عدم تدخل إيران في الشأن العراقي وإنطلقت هذه الدعوات من مخاوف قد تطال العروش أما الشعوب وماتعاني منه من قيود فلابأس , وأما اللاجئين وإن شكلوا أكثر من نصف السكان في بعض الدول فلا ضير , أي منطق يقبل بهذا التجني على الشعوب وسلبها حقوقها المدنية المشروعة .

كل هذا من أجل الضغط للسير في خارطة الطريق والتي اشترطت أهم بنودها لتصفية المقاومة وجمع السلاح ، حتى لاتتجه الرصاصات إلى صدر العدو المحتل وكل ذلك من أجل وعود كاذبة لقيام دولتين تعيشان جنباً الى جنب أحدهما تملك رؤوس نووية والأخرى تبقى حلم وأمنية .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 21-04-2006م

115 إسرائيل تهدم .. وتبني

القضية الفلسطينية من القضايا المستعصية على الحل سواء بالمفاوضات أو بالمقاومة الشعبية , والسبب هو عدم وجود قوى فاعلة لديها نوايا حسنة تؤثر على الطرفين دون إنحياز , وكذلك إختلاف أهداف وتوجهات الشعبين لدرجة أنهما لايرغبان في العيش معاً على أرض واحدة وفي دولة واحدة بقوميتان , الكل منهم يتهم الآخر ولايرضى أن يتعايش معه وسنقوم في هذا المقال بمناقشة خطاب إيهود أولمرت عند تشكيل حكومته .

مقتطفات من خطاب أولمرت

يقول أولمرت ان الحكومة الفلسطينية برئاسة حركة حماس "لن تكون أبدا شريكا" في مفاوضات السلام وهنا نتساءل لماذا ؟ والجواب يتمثل "من وجهة نظر إسرائيلية" في الموافقة على ثلاث نقاط رئيسية وهي , إلقاء السلاح , والإعتراف بإسرائيل , وإحترام الاتفاقيات الموقعة .

إلقاء السلاح

إن إلقاء السلاح هو موضوع شائك وسنحاول وضع تساؤلات وعناصر أساسية حتى نتمكن من الإلمام بالموضوع , فهل إلقاء السلاح له إيجابيات وسلبيات ومفاهيم ؟ , وماهي الضمانات ؟ , وماهي مواقف التنظيمات المسلحة منه ؟ .

إيجابيات

إذا أردنا أن نتحدث عن إيجابيات إلقاء السلاح قد يبدوا للوهلة الأولى أنه لايوجد أي إيجابيات البتة من وجهة نظر محايدة , ولكن بعد إعادة نظر وجدنا بعض المبررات الإيجابية ومنها :

من الممكن أن تقدم الدول الغربية الدعم والمساعدة للشعب الفلسطيني .

قد يكون من السهل على بعض الدول العربية أن تقدم مساعدات للفلسطينيين .

قد يخفف من ضغط الإنحياز الغربي الكامل لإسرائيل .

قد تتوقف إسرائيل عن ضرب أهداف فلسطينية .

قد تفرج إسرائيل عن بعض الأسرى في سجون الإحتلال .

قد تفرج إسرائيل عن الأموال الفلسطينية المحتجزة لديها .

سلبيات

أما الحديث عن السلبيات فهي كثيرة ونختار منها :

ضعف حماس في مواجهة إسرائيل .

صعوبة تحقيق أمن للشعب الفلسطيني داخلياً وخارجياً .

ضعف حماس على الساحة الداخلية وسيحدث إختلال في توازن القوى بين الفصائل .

عدم تلقي المساعدات من الهيئات التي تدعم المقاومة وتؤمن بالكفاح المسلح كسبيل وحيد لتحرير الأرض .

ينتفي وجود حماس كحركة مقاومة شعبية .

وهنا يمكن أن نتخيل بعض التساؤلات ونوجزها فيما يلي :

من يضمن عدم إستمرار الهجمات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني ؟ .

من يضمن عدم إستمرار الهجمات الفلسطينية ضد أهداف إسرائيلية ؟ .

من هي الدول التي ستكون ضامنة في هذا الشأن , كما هي تضمن دائماً أمن إسرائيل ؟ .

هل سبق وأن قدمت بعض الدول ضمانات وإلتزمت بها ؟ .

هل ذلك سيتم تحت إطار الأمم المتحدة ؟ .

هل إستفاد الفلسطينيين من الأمم المتحدة منذ نشأتها ؟ .

ماهو موقف التنظيمات المتعددة من موضوع إلقاء السلاح ؟ .

وهنا نحن أمام أمرين إما الرفض أو القبول ولكل منهما عدة تساؤلات نوجزها فيما يلي :

الرفض

ماهو موقف السلطة من رفض التنظيمات المختلفة لإلقاء السلاح ؟ .

هل سينزع السلاح بالقوة من التنظيمات الفلسطينية ؟ .

هل سيكون هناك إقتتال داخلي بين الفصائل المسلحة ؟ .

القبول

ماهي الفوائد التي يمكن الحصول عليها إذا قبلت التنظيمات إلقاء السلاح ؟ .

هل سيتم ذلك بمفاوضات وهل ستستغرق زمناً طويلاً ؟ .

هل ستتحول التنظيمات الى أحزاب أو تندمج فيما بينها ؟ .

الإعتراف بإسرائيل

وهي النقطة الثانية من النقاط الثلاث الآنفة الذكر وسنقوم بالتعليق عليها من خلال تحليل بعض البنود المهمة والمتعلقة بها وهل هناك إيجابيات أو سلبيات ؟ .

إيجابيات

وضع حد لقضية إستمرت أكثر من نصف قرن .

هل سيؤدي ذلك الى إنسحاب إسرائيلي من مناطق محتلة في الضفة والقطاع ؟ .

هل سيتحقق السلام المنشود وقيام دولة فلسطينية ؟ .

سلبيات

سيؤدي الى إعترافات عربية أخرى بإسرائيل , مما يضعف موقف الفلسطينيين في الدفاع عن قضيتهم , ولن ينال الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة , ولنا بإعتراف ياسر عرفات والسلطة بإسرائيل عبرة حيث أصبح شريكاً غير مقبول وفرض عليه الحصار ويقال أنه قتل مسموماً بتوجيهات إسرائيلية .

إحترام الإتفاقيات

وهي النقطة الثالثة التي وردت في مقدمة المقال وفيها تطلب إسرائيل من حماس والسلطة إحترام الإتفاقيات المبرمة وقبل الخوض في تعداد هذه الإتفاقيات والتفاهمات نحب أن نؤكد على حقيقة نستنتجها من واقع القراءات التاريخية والتي تفيد بأن اليهود دائماً ينقضوا المواثيق والعهود وعليه لن تلتزم إسرائيل نفسها بالإتفاقيات إلا إذا كانت تخدم مصالحها الإستراتيجية كما هو الحال مع مصر والأردن ولزمن معلوم , ونستطيع أن نعدد هذه الإتفاقيات ونوجزها بمايلي : إتفاقيات مؤتمر السلام في مدريد , إتفاقيات أوسلو , إتفاقيات

شرم الشيخ , إتفاقيات كامب ديفيد الثانية , تفاهمات ميتشيل وتينيت , تفاهمات مؤتمر العقبة , إتفاقيات أخرى .

كما إشتمل خطاب إيهود أولمرت على التهديد بضرب أي دولة تدعم حركة حماس وقد تكون الضربات القادمة لكل من , إيران , سوريا , لبنان , دول أخرى .

ثم أثنى أولمرت على جهود الرئيس حسني مبارك وملك الأردن عبدالله بن الحسين , ولكن لماذا كل هذا الثناء ؟ , هناك تكهنات كثيرة حول هذا الموضوع ! , ونذكر فقط بتصريحات الرئيس حسني مبارك والتي دعا فيها الفلسطينيين الى توحيد الجهود ونصح حركة حماس بالإعتراف بإسرائيل , أما الثناء الآخر فنذكر أيضاً بإلغاء الأردن لزيارة وزير خارجية فلسطين الدكتور محمود الزهار وقيام الأردن بنشر معلومات خطيرة عن حيازة أسلحة ووجود مخطط يقال وضعته حماس لدعم الإرهاب في الأردن وهي معلومات "لم يتم التأكد من صحتها من مصادر مستقلة " .

وإشتمل أيضاً خطاب أولمرت على فكرة مفادها "العمل على تحسين العلاقات مع الدول العربية" , وهنا تبرز أمامنا التساؤلات التالية :

هل ستقبل إسرائيل بمبادرة السلام العربية ؟ .

ماهو الدور الذي ستقوم به وزارة الخارجية الإسرائيلية لتحقيق ذلك الهدف ؟ .

هل ستلعب دول معينة من أجل تحسين العلاقات العربية الإسرائيلية ؟ .

ماهو هدف إسرائيل من تحسين العلاقات مع الدول العربية ؟ .

ومما سبق يمكننا القول بأن إسرائيل ماضية في تنفيذ مخططاتها الإستراتيجية والتكتيكية وهي ماتزال تهدد بترسيم الحدود من جانب واحد وتضع الشروط والعراقيل ومنها إذا "لم تتعاون" السلطة الفلسطينية ولا أحد يعرف ماهو التعاون المطلوب علماً بأن تلك المخططات سوف تغذي العنف والفوضى في المنطقة وستؤدي حتماً الى إستمرار العمليات ضد إسرائيل وإستمرار المقاومة المسلحة في فلسطين وسيزيد من غضب شعوب المنطقة على السياسات السلبية العربية منها والإسرائيلية .

وأكد أولمرت في خطابه على تمسكه بالمستوطنات الرئيسية الكبرى في الضفة الغربية الأمر الذي يبقي إسرائيل على إحتلالها لأجزاء مهمة من الأراضي العربية المحتلة عام 67 م , مما سيعزز دور المقاومة ضدها .

وستيقى المشاكل قائمة بين سكان المستوطنات من اليهود وسكان المناطق العربية من الفلسطينيين وهنا يتبادر الى الذهن سؤال هام وهو من يضمن عدم توسع المستوطنات بضم مزيد من الأراضي بسبب الكثافة السكانية في هذه البقعة الملتهبة من العالم ؟ , فالوقت يمضي وإسرائيل تهدم الديار الفلسطينية وتبني المستعمرات الصهيونية , وأمة العرب ماذا ستجني ؟ .

مصطفى الغريب – شيكاغو

صحيفة الحقائق الإلكترونية 10-05-2006م

116 الضرورات تبيح المحظورات

نحاول أن نبحث عن المبررات من وجهة نظر سلطة الرئاسة لفتح تحقيق مع سامي أبو زهري , وبناء على المعلومات التي توفرت حتى الآن نجد أن هناك عدة أسباب تدعوا الى فتح التحقيق ومن أمثلتها : أن ماقام به أبو زهري يخالف الإتفاقات مع إسرائيل بخصوص معبر رفح , تهديد المراقبين الاوروبيين بالمغادرة وترك المعبر اذا لم تصادر هذه الاموال , رغبة سلطة الرئاسة بمعرفة مصادر الأموال التي كانت بحوزته , الطريقة التي أدخلت بها الأموال تشكل خطراً على استمرار عمل المعبر .

أما التحقيق الذي سيقوم به المدعي العام سيتم بأمر من رئيس السلطة الوطنية رغم تشكيك سامي أبو زهري في أن يكون عباس طلب فتح تحقيق وطلب أبوزهري من النائب العام بالتحقيق مع من قال إنهم سرقوا ونهبوا أموال الشعب الفلسطيني , وقال أيضاً "إذا كان تهريب أموال للشعب الفلسطيني جريمة فأنا شخصيا فخور بارتكابي لها" , وإستطرد قائلاً "الولايات المتحدة لم تترك بابا للأخلاق، ولذلك فإن الحركة ستلجأ لكل الطرق المشروعة وغير المشروعة لإيصال الأموال للشعب الفلسطيني الذي يفرض عليه الغرب حصارا بهدف تجويعه وإذلاله" .

ونوه أبو زهري بأنه كان قد تجاوز كل نقاط التفتيش، وكان يهم بمغادرة الصالة الفلسطينية عندما استوقفه الموظفون الأوروبيون في المعبر بسبب الأموال التي بحوزته، مؤكدا أن ذلك يعني أن هناك أطرافا فلسطينية تساهم في الحصار الإسرائيلي وغير الإسرائيلي المفروض على الفلسطينيين .

وهنا سنطرح العديد من الأسئلة : لمن ستؤول هذه الأموال ومن هي الجهة المخولة بصرفها وهل ستتغير صفتها من أموال مهربة الى أموال شرعية تمت مصادرتها وتوزيعها على مستحقيها ؟ , أم سيتم إعدامها ؟ , أم سيأخذ المنتفعون نصيبهم منها قبل التوزيع ؟ , هل ماحصل يمكن أن يفهم بأنه تهمة تهريب أموال ؟ , أين كانت ستذهب هذه الأموال ؟ , هل سيتم معاقبة الجمعيات التي تدعم صمود الشعب العربي الفلسطيني المسلم ؟ .

وبعد التفكير في الأسئلة الواردة آنفاً وإجاباتها تتداعى الأسئلة تباعاً إذ كيف يمكن مواجهة الحصار التجويعي الخانق الذي يعيشه الشعب الفلسطيني حالياً بأوامر امريكية واسرائيلية وغير إسرائيلية وتواطؤ بعض الأطراف وغيرها من الشخصيات المؤثرة في الأحداث ؟ .

ودعونا نتخيل إجراءات التحقيق والمحاكمة من خلال بعض الأسئلة : هل سيعتبر المدعي العام الفلسطيني أن سامي أبو زهري مذنباً ؟ , ماهي الإجراءات التي سوف تتخذ بحقه ؟ , هل سيذهب الى السجن ؟ , هل سيقدم الى محكمة خاصة تصدر حكما بادانته بتهمة كبرى أم سيسلم الى إسرائيل ؟ أم سيوضع في سجن خاص بأريحا تحت إشراف غربي لتقوم إسرائيل بعملية قرصنة كما حدث مع المناضلين سعدات والشوبكي ورفاقهم ؟ , ماهو موقف حماس من إجراءات المحاكمة ؟ .

ولم ينتهي زخم الأسئلة وهنا نتسائل ايضاً مالفرق بين التمويل عن طريق التبرعات من جمعيات خيرية وبين التمويل من الولايات المتحدة واوروبا وبعض الدول العربية ؟ , ماهو الشرعي وغير الشرعي في التمويل ؟ , هل التمويل الأمريكي والأوروبي لتنفيذ إملاءات على الشعب الفلسطيني هو الشرعي ؟ , هل العملية التي قام بها أبو زهري عملية جهادية أم إرهابية ؟ , هل سلطة الرئاسة تقف عائقاً أمام رئاسة الحكومة فيما يتعلق بتقديم المساعدات للشعب الفلسطيني المرابط ؟ , هل سلطة الرئاسة وسلطة الحكومة على طرفي نقيض ؟ .

ويبدوا أن الأسئلة لم تنته بعد فهل سلطة الرئاسة تشارك عمليا في الحصار وتجويع الشعب الفلسطيني ؟ , هل ترى سلطة الحكومة أن عملية أبو زهري عملاً بطولياً ونوع من أعمال المقاومة أم عملاً إرهابياً ؟ , هل هناك قانون واضح بهذا الصدد وكيف يمكن إحترامه أم نحن بحاجة الى إستصدار المزيد من القوانين ؟ , هل هناك قانون خاص لسلطة الرئاسة وقانون خاص لسلطة الحكومة ؟ .

ومن يتصدى للكتابة في هذا الموضوع عليه أن لايغفل الأحداث المتزامنة والمتسارعة على أكثر من صعيد إذ تحاول إسرائيل الإصطياد في المياه العكرة الفلسطينية ولنأخذ تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت على محمل الجد فقد صرح بالقول " أن الرئيس الفلسطيني

محمود عباس لا يملك سلطة الحديث باسم شعبه" جاء هذا التصريح بعد ساعات من اجتماع محمود عباس مع نائب أولمرت شمعون بيريز ووزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني في شرم الشيخ.

ولهذا يمكن القول أن محمود عباس في وضع لايحسد عليه ولانستغرب أن يأمر الرئيس الفلسطيني بالتحفظ على الأموال وإحالة قضية ابو زهري الى المدعي العام وإعتبار أن تلك الأموال المهربة هي أموال غير مشروعة محاولاً إسترضاء إسرائيل والأطراف الأخرى الفاعلة , فهل تريد إسرائيل أكثر من هذا التوجه ؟ , وهل صدق من قال أن هناك سلطة برأسين ؟ وهل تنجح سلطة برأسين وفكرين وتوجهين مختلفين ؟ .

ولعل هذا يدخل في مضمون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أخبر أنه سيأتي على الناس فتن تدع الحليم حيران , ماهو الحل في ظل احجام البنوك عن تحويل اموال للفلسطينيين بالطرق الرسمية ؟ , هل سيصبح التهريب طرق مشروعة عملاً بمبدأ الضرورات تبيح المحظورات ؟ .

إن الفكر الصهيوني يعمل على تجريد الحكومات الفلسطينية المتعاقبة من كل صلاحياتها ويعمل على عزلتها دولياً وقطع المساعدات الأميركية والأوروبية والعربية عنها في مبدأ جديد وهو "الأمن لإسرائيل مقابل السلام للعرب والترانسفير للفلسطينيين" , وهذا الفكر يعمل وفق المخططات المدروسة والمتقنه التي رسمها حكماء صهيون منذ وقت بعيد وهي إختراق الساحة الفكرية والعقائدية وهذا الفكر وليد التراث الفكري الاستعماري الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين وهي أداته في المنطقة .

الفكر الصهيوني يعمل على إغتيال رموز الحركات الفلسطينية والإسلامية وفصائل المقاومة ونشطائها وهدم البنية التحتية للجزء الذي ينسحب منه من الأراضي العربية وفق مبدأ "نحن نهدم الديار العربية ونبني دولة إسرائيل الكبرى", هذا الفكر يعمل على تحويل الفكر الغربي من فكر سياسي الى مخطط استعماري ثابت تحركه العقول اليهودية , وتكوين قناعات ثابتة لدى اليمين المتطرف في الغرب بأن دعمهم للدولة "اليهودية" إنما هو التزام ديني لا غبار عليه .

لهذا فلم يكن السر الحقيقي للنجاح الصهيوني في الغرب يعود الى سيطرة اليهود على الإعلام فقط أو الى مقدرتهم العالية على الإقناع والتلاعب بالعقول ولكن الى أن الصهيونية الجديدة تشكل فرعاً من عقيدة ملايين المسيحيين الذين يؤمنون بأن دعمهم لإسرائيل هو واجب ديني .

إستطاع الفكر الصهيوني من تسخير بعض المسيحيين لخدمتها تماماً كما إستطاع شراء ولاء بعض المسلمين العرب وغير العرب وهي وإن كانت قليلة جداً ونادرة إلا أن الصهيونية لا تدخر وسعاً في مواصلة مخططاتها ومحاولاتها المتكررة لتسخير الشعوب كافة لخدمتها وتحقيق أهدافها بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى , وهل تريد إسرائيل أكثر من عدم قدرة العرب ممثلين في جامعتهم العربية على تحويل الأموال لمساعدة الشعب الفلسطيني .

هل تريد إسرائيل أكثر من تصريحات وردت على لسان رئيس الدولة العظمى الوحيده في هذه الحقبة من تاريخ العالم لقيام دولتين تعيشان جنباً الى جنب أحدهما يهودية وهي قائمة بالفعل أما الفلسطينية فهي مجرد وعد كاذب , ماذا يريد الفلسطينيون من الرئيس محمود عباس ؟ وماذا تريد أمريكا منه ؟ وماذا تريد إسرائيل منه ؟ وماذا يريد العرب منه ؟ , الفلسطينيون يريدونه أن يكون وطنياً وفياً ومخلصاً لشعبه , أمريكا تريد منه أن ينفذ التعليمات الصادرة عن البيت الأبيض بشأن فلسطين , إسرائيل تريد منه أن يعمل على تنفيذ السياسات القمعية بحق الشعب الفلسطيني , العرب تريد منه أن يكون متوازناً وأن يرضي جميع الأطراف وهذا مستحيل فرضى الجميع غاية لاتدرك .

وقبل أن نختم نوجه سؤالين الى الرئيس محمود عباس بالقول لو كنت مسؤولاً مالياً في حركة حماس كيف ستتصرف في علاج مثل هذه المسألة ؟ , ومتى سيتم لهذا الشعب التحكم في المعابر والتخلص من كل أشكال الوصاية المفروضة على الشعب الفلسطيني سواء من كان منهم في الشتات أم في الداخل ؟ .

صحيفة الحقائق اللندنية 24-05-2006م

117 تساؤلات حول الديموقراطية

صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز يحفظه الله

والدي العزيز إطلعنا على مقال لسموكم بعنوان الديموقراطية مطلب إنساني وإزدادت لدينا القناعة بأن الديموقراطية بمعناها الحقيقي هي النظام السياسي الأمثل لإدارة شئون الحكم وصيانة حقوق الناس وتحقيق غايات الشعوب.

وهنا أود أن أسأل الوالد يحفظه الله عن رأيه في العملية الديموقراطية التي جرت مؤخراً في الأراضي المحتلة وأسفرت عن فوز كاسح لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" وأصبحت هذه الحركة تحظى بتأييد عربي ومحلي ولكنها في الوقت نفسه لم تحظى بالتأييد العالمي وإن كانت الديموقراطية مطلب عالمي ؟ .

وإذا كانت الديموقراطية في أبسط معانيها كما ذكر سموكم الكريم وهي "أن يشارك الشعب في إختيار من يحكمه من خلال انتخابات حرة ونزيهة، بما يضمن تداول السلطة بين أكثر من حزب وأكثر من شخص. وبذلك تعتبر الديمقراطية آلية لتنظيم وضبط التنافس السياسي الذي يقود إلى التغيير بشكل سلمي " .

والسؤال المطروح على هذا المعنى هل ستستمر حكومة حماس في السلطة في ظل المعارضة الدولية القوية لها بصفتها تعبر عن رأي الشارع الفلسطيني ؟ أم أن القوى العالمية ستفرض على الحركة شكل الديموقراطية التي تريده الأطراف المؤثرة في قضية بحجم قضية فلسطين التي مازالت تكبر ولكن المساحة الجغرافية لها تصغر في كل يوم بمقدار التوسع الصهيوني في ضم الأراضي الفلسطينية لهذا الكيان الغاصب ؟ .

وإذا كانت والدي العزيز الديموقراطية وحقوق الإنسان مفهومان مكملان لبعضهما البعض فلماذا لايشارك هذا الإنسان بغض النظر عن جنسيته في العملية الديمقراطية في الدول العربية كما هو متبع في الإسلام قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ؟ .

والدي العزيز إذا كانت حقوق الإنسان لا يمكن أن تحترم وتصان إلا في ظل حكم ديمقراطي والدول العربية أبعد ماتكون عن هذا الحكم فهل ذلك يعني أن حقوق الإنسان مازالت تنتهك في ظل مثل تلك الأنظمة ؟ . ومن أين يبدأ الإصلاح من أعلى الهرم في السلطة أم من حقوق الإنسان ؟ .

والدي العزيز إذا كان الكفاح ، من أجل ترسيخ قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والذي يعد أحد المنجزات الحضارية التي ساهم فيها البشر جميعا على إختلاف ألوانهم وأعراقهم وانتماءاتهم الحضارية والتقنية فماهو شكل الكفاح الأمثل في مواجهة الطغاة والحكام المستبدين ؟ .

والدي العزيز , إذا كانت مسيرة التحول الديمقراطي في العالم العربي تسير بمعدل أبطأ بسبب الاستعمار الأجنبي الذي لعب دورا سلبيا في تعطيل المسيرة الديمقراطية , فهل الإستعمار الأنجلو-أمريكي للعراق والذي جاء بحجة دعم الديموقراطية في هذا البلد سيقضي على الديموقراطية في المنطقة ؟ أم سيعززها ؟ .

والدي العزيز , إذا كانت قصر نظر النخب السياسية من العقبات الداخلية التي وقفت في طريق الديمقراطية في أرجاء العالم العربي ، فهل يعني ذلك أن لا أمل للديموقراطية في ظل إستمرار هذا القصور أم تعتبر هذه نظرة سوداوية وأن التغيير قادم ؟ .

والدي العزيز , إذا كانت الديموقراطية لها أنصار في العالم العربي , وأن المسألة مسألة وقت فكم من الوقت نحتاج حتى نحقق الديموقراطية الكاملة ؟ وماهو الفرق بين شعوب العالم العربي والشعب الهندي الذي ضرب أروع الأمثلة في الديموقراطية ؟ .

والدي العزيز , إذا كانت هناك خطوات تستحق الإشادة والتقدير , وأنكم تؤمنون بأن التحول التدريجي هو الذي يضمن بناء ديمقراطية مستقرة، فهل نحن نسير في الإتجاه الصحيح وهدفنا واضح أم هناك إنفصام في الشخصية بين فئة الحكام والمحكومين في عالمنا العربي المعاصر ؟ .

والدي العزيز , إذا كنت تؤمن بأنه لابد من توفر حد أدنى من ثقافة التسامح والحوار واحترام الرأى الآخر فلماذا لم يشارك نخبة من غير المواطنين في مؤتمرات الحوار ولاسيما أنهم يشكلون نسبة لاتقل عن 30% من التعداد العام للسكان في معظم دول الخليج العربي مع أن هناك في بعض الدول نسبتهم أكثر من 70% من تعداد السكان .

والدي العزيز , إذا كنت تؤمن بأن الديمقراطية عملية شاملة لا تقف عند حد إجراء الانتخابات وتغيير الحكومات، بل تحول أوسع يشمل الثقافة والقيم فلماذا تستثنى بعض الفئات في المجتمع والتي تحمل نفس الثقافة والقيم والدين والعادات والتقاليد ولكنهم يعيشون تحت مسمى فئة البدون ؟ .

والدي العزيز , لماذا المثقفون والمثقفون فقط يقع على عاتقهم اليوم تسليط الضوء على هذه القيم، واستلهامها في صياغة تجربة ديمقراطية معاصرة تخرج بين التراث ومافيه من إيجابيات وكثير منهم ممنوعون من الكتابة في الصحافة المحلية وإذا لجأوا الى الصحافة الغربية فإما ينعتون بالعملاء أو على أقل تقدير بالمعارضين ؟ أو الخارجين على القانون ؟ .

والدي العزيز أرجوا أن يتسع صدرك للإجابة على هذة التساؤلات حتى تعم الفائدة الجميع .

صحيفة الحقائق اللندنية 13-04-2006م

118 تعقيب على رسالة مصطفى الغريب

المنشورة في منتدى حوارات الفاخرية وصحيفة الحقائق في4/15 / 2006م

إيماننا راسخ بأن الأمم تبنى بتلاقح الآراء والأفكار ومستقبل الديمقراطية في المنطقة العربية واعد ولكن الخطى نحوه بطيئة

نشر منتدى حوارات الفاخرية بالتزامن مع صحيفة (الحقائق) الإلكترونية في عددها يوم 15 أبريل 2006 رسالة من السيد مصطفى الغريب يطرح فيها أسئلة ، وذلك بعد اطلاعه على مقالة لنا بعنوان (الديمقراطية مطلب إنساني) في موقع (حوارات الفاخرية). وهو يرجو ((أن يتسع صدرنا للإجابة)). وأؤكد للأخ مصطفى ولقراء صحيفة الحقائق وكل المواطنين العرب أن صدرنا واسع للحوار وللرأي والرأي الآخر لإيماننا الراسخ بأن الأمم إنما تبنى بتلاقح الآراء والأفكار . وفي ما يلي نورد إيضاحات :

لقد طرح الكاتب جملة من التساؤلات بدأها بالإشارة إلى ((العملية الديمقراطية التي جرت مؤخراً في الأراضي المحتلة وأسفرت عن فوز كاسح لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" وأصبحت هذه الحركة تحظى بتأييد عربي ومحلي ولكنها في الوقت نفسه لم تحظى بالتأييد العالمي وإن كانت الديمقراطية مطلب عالمي)). وبناء على ذلك يتساءل : ((هل ستستمر حكومة حماس في السلطة في ظل المعارضة الدولية القوية لها بصفتها تعبر عن رأي الشارع الفلسطيني ؟ أم أن القوى العالمية ستفرض على الحركة شكل الديمقراطية التي تريده الأطراف المؤثرة في قضية بحجم قضية فلسطين التي مازالت تكبر ولكن المساحة الجغرافية لها تصغر في كل يوم بمقدار التوسع الصهيوني في ضم الأراضي الفلسطينية لهذا الكيان الغاصب)).

والكاتب يتساءل عن رأينا في العملية الديمقراطية التي جرت في الأراضي المحتلة، وذلك على خلفية ما قلناه في المقالة المشار إليها ، وهو : ((إذا كانت الديمقراطية في أبسط معانيها أن يشارك الشعب في اختيار من يحكمه من خلال انتخابات حرة ونزيهة، بما يضمن تداول

السلطة بين أكثر من حزب وأكثر من شخص. وبذلك تعتبر الديمقراطية آلية لتنظيم وضبط التنافس السياسي الذي يقود إلى التغيير بشكل سلمي" .

ورأينا في ذلك واضح ومعلن فإننا نشاطره الرأي في أن حركة(حماس) حصلت على ثقة الشعب الفلسطيني في انتخابات حرة وأن واجب المجتمع الدولي أن يحترم نتائج هذه الانتخابات. وإنني إذ أتابع بقلق شديد الضغوط التي تتعرض لها حكومة (حماس) أتمنى أن يتكاتف العرب لمساعدتها على مستوى المجتمعات حتى إذا لم تتخذ الدول هذا الموقف. وقد دعوت بصراحة متناهية إلى ضرورة التبرع للشعب الفلسطيني لتمكينه من تجاوز الظروف القاسية التي يعيشها ، والجامعة العربية المشكورة استجابت وأطلقت حملة لجمع التبرعات.

وقدم الكاتب عدداً من الأسئلة حول حقوق الإنسان وحول التسامح إذ يقول : ((الديمقراطية وحقوق الإنسان مفهومان مكملان لبعضهما البعض فلماذا لا يشارك هذا الإنسان بغض النظر عن جنسيته في العملية الديمقراطية في الدول العربية كما هو متبع في الإسلام قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ؟)) ، وهو يسأل ((إذا كنت تؤمن بأن الديمقراطية عملية شاملة لا تقف عند حد إجراء الانتخابات وتغيير الحكومات، بل تحول أوسع يشمل الثقافة والقيم فلماذا تستثنى بعض الفئات في المجتمع والتي تحمل نفس الثقافة والقيم والدين والعادات والتقاليد ولكنهم يعيشون تحت مسمى فئة البدون؟.

وفي السياق نفسه يسأل : ((إذا كنت تؤمن بأنه لابد من توفر حد أدنى من ثقافة التسامح والحوار واحترام الرأي الآخر فلماذا لم يشارك نخبة من غير المواطنين في مؤتمرات الحوار ولاسيما أنهم يشكلون نسبة لا تقل عن 30% من التعداد العام للسكان في معظم دول الخليج العربي مع أن هناك في بعض الدول نسبتهم أكثر من 70% من تعداد السكان))

كما يقول: ((إذا كانت حقوق الإنسان لا يمكن أن تحترم وتصان إلا في ظل حكم ديمقراطي والدول العربية أبعد ما تكون عن هذا الحكم فهل ذلك يعني أن حقوق الإنسان مازالت تنتهك في ظل مثل تلك الأنظمة ؟ ومن أين يبدأ الإصلاح من أعلى الهرم في السلطة أم من حقوق الإنسان؟.))

ويعزز تساؤلاته بقوله: ((إذا كان الكفاح ، من أجل ترسيخ قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والذي يعد أحد المنجزات الحضارية التي ساهم فيها البشر جميعا على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وانتماءاتهم الحضارية والتقنية فما هو شكل الكفاح الأمثل في مواجهة الطغاة والحكام المستبدين؟)).

وأنا اتفق معه في أن نشر ثقافة التسامح يقتضي مشاركة نخبة من غير المواطنين (البدون) في مؤتمرات الحوار في دول الخليج العربي. وأتمنى أن يتحقق ذلك في جولات مقبلة عملاً بمبدأ التدرج. فأخذ مقومات التطور نحو الديمقراطية هو توسيع نطاق مشاركة جميع فئات المجتمع في إدارة شؤونها.

أما سؤاله عن حقوق الإنسان في الدول العربية فمنظوري أنه ما زال أمام هذه الدول شوط طويل ـ ولكنه متفاوت من دولة إلى أخرى ـ حتى تصل إلى الاحترام الضروري لحقوق الإنسان. ويرتبط ذلك بكفاح الشعوب ودور المجتمع المدني.

ويتصل ذلك بسؤاله عن شكل الكفاح الأمثل من أجل الحرية ، وأقول له إن شكل الكفاح يختلف من بلد إلى آخر. ولكنني أرى أن النضال الديمقراطي السلمي وتوسيع دور المجتمع المدني وتدعيم فاعليته هما الأسلوبان الأكثر ملاءمة.

ولدى الكاتب رؤية تكتسي قتامة ، وهي ما نستشفه من قوله : ((إذا كانت مسيرة التحول الديمقراطي في العالم العربي تسير بمعدل أبطأ بسبب الاستعمار الأجنبي الذي لعب دوراً سلبياً في تعطيل المسيرة الديمقراطية ، فهل الاستعمار الأنجلو- أمريكي للعراق والذي جاء بحجة دعم الديمقراطية في هذا البلد سيقضي على الديمقراطية في المنطقة ؟ أم سيعززها ؟)). كما يرى أنه ((إذا كان قصر نظر النخب السياسية من العقبات الداخلية التي وقفت في طريق الديمقراطية في أرجاء العالم العربي ، فهل يعني ذلك أن لا أمل للديمقراطية في ظل استمرار هذا القصور أم تعتبر هذه نظرة سوداوية وأن التغيير قادم ؟)) وسؤاله ((هل نحن نسير في الاتجاه الصحيح وهدفنا واضح أم هناك انفصام في الشخصية بين فئة الحكام والمحكومين في عالمنا العربي المعاصر ؟)). وكذلك سؤاله: ((لماذا المثقفون والمثقفون فقط يقع على عاتقهم اليوم تسليط الضوء على هذه القيم، واستلهامها في صياغة تجربة ديمقراطية معاصرة تخرج

بين التراث وما فيه من إيجابيات وكثير منهم ممنوعون من الكتابة في الصحافة المحلية وإذا لجئوا إلى الصحافة الغربية فإما ينعتون بالعملاء أو على أقل تقدير بالمعارضين ؟ أو الخارجون على القانون ؟.))

ومن جانبي أرى أنه على الرغم من الصعوبات التي يواجهها المناضلون من أجل الديمقراطية، لا أوافق على أنه لا أمل في تحقيق هذه الديمقراطية. فهناك تقدم يحدث ولكنه ببطء شديد حيناً، وبطريقة خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الوراء حيناً آخر. ولذلك فنحن لا نسير في الاتجاه الصحيح تماماً أو كما ينبغي أن يكون، ولكننا لم نضل هذا الاتجاه تماماً.

وقد يكون لسؤال الابن مصطفى عما إذا كان هناك انفصام بين الحكام والمحكومين مغزاه. ولعله يقصد التباعد بين من يريدون إبقاء الأوضاع على ما هي عليه ومن يتطلعون إلى تغييرها. ومع ذلك فإنني أرى الأمل قائماً مادام هناك أنصار للديمقراطية يعملون من أجلها.

وللأخ مصطفى سؤال ينبغي أن نتوقف عنده حكاماً ومحكومين ، وهو ((إذا كانت الديمقراطية لها أنصار في العالم العربي ، وأن المسألة مسألة وقت فكم من الوقت نحتاج حتى نحقق الديمقراطية الكاملة ؟ وما هو الفرق بين شعوب العالم العربي والشعب الهندي الذي ضرب أروع الأمثلة في الديمقراطية ؟.))

وقولنا في ذلك هو أنه يصعب تحديد كم من الوقت نحتاج حتى نحقق الديمقراطية الكاملة. وكل ما أتمناه ألا يطول هذا الوقت لأن الديمقراطية ضرورة لنهضة بلادنا العربية واللحاق بركب التقدم الذي بعدنا عنه ولحقت به دول كنا وإياها في المعسكر نفسه قبل عقود قليلة، مثل الهند التي كانت إشارته إليها موفقة.

وختاماً نشكر للأخ مصطفى تواصله الفكري.

طلال بن عبد العزيز

صحيفة الحقائق اللندنية 12-05-2006م

119 حماس وإسرائيل ..فك وأفك

العلاقة بين حماس وإسرائيل تشبه الى حد ما إحدى قصص الطفولة فعندما يتشاجر طفلان ويمسك كل واحد منهم بتلابيب الآخر تبدأ بينهما مرحلة مفاوضات سريعة مفادها يقول الأول للثاني فك وأنا افك والثاني يقول للأول فك وأنا افك والنتيجة تعتمد على قدرة الطرفين في الوفاء بما إلتزم به كل طرف تجاه الطرف الآخر أو أن يستمر الشجار حتى ينتهي بفوز أحدهما على الآخر ولاحلول وسط .

ولكن عندما يتدخل الجمهور بالتحريض و/أو بالمساندة وهنا بيت القصيد وهي تشبه الحالة التي تمر بها حماس وإسرائيل عندما تتدخل الدول العربية وعلى أعلى المستويات بحث حماس على قبول المبادرة العربية التي أعتمدت في قمة بيروت عام 2002م , الشاهد أنه عندما أعتمدت المبادرة العربية في القمة كان الرد الإسرائيلي عليها قاسياً وحصل إجتياح إسرائيلي أثناء القمة ولم تستجب الى المطالب العربية حتى يومنا هذا وكأنما الزعماء العرب يريدوا أن يخرجوا هذه المبادرة من ثلاجة الموتى لتدب فيها الحياة ولكن هيهات هيهات .

لقد قبل عرفات بالمبادرة وسماها بالأفكار المستنيرة ولكن إسرائيل لم تقبلها والسؤال الآن هو لماذا يحاول الزعماء العرب الضغط على حماس لقبول هذه المبادرة الميتة أصلاً ؟ والجواب ليبقى الوضع على ماهو عليه أو أن تنفرد الدول العربية بصلح مع إسرائيل ليبقى من يعيش في النعيم على نعيمة ويبقى من يعيش في الجحيم في جحيمه .

بعد لقاء زعيمي مصر والسعودية قال الناطق الرسمي بأنهما وجها دعوة مشتركة لحماس لقبول مبادرة السلام العربية , وإن التوجه العربي الشامل يدعو حماس إلى الاعتراف بالمبادرة , دون أن يحدد ماهو المقابل الذي يغري حماس بالقبول بهذه المبادرة ولاسيما أن الحصار ضد الشعب الفلسطيني مازال مستمراً بل إزداد حدة مع تسلم حماس مقاليد السلطة ومازالت إسرائيل ترفض المبادرة العربية وترفض وصول المساعدات الطبية والمالية الى الشعب الفلسطيني بل وترفض الإفراج عن الأموال الفلسطينية لديها بموجب إتفاقيات أوسلو , وتقف

جامعة الدول العربية عاجزة عن توصيل الدعم والتمويل للشعب الفلسطيني الذي يعاني فيه الموظفون الحكوميون من إستلام رواتبهم للشهر الرابع على التوالي .

وعودة الى المبادرة فهي تنص وتدعوا إلى إقامة علاقات دبلوماسية عربية كاملة مع إسرائيل (التطبيع) مقابل انسحابها إلى حدود الرابع من حزيران/يونيو 1967م ، كما تدعو إلى حل يتفق عليه لقضية اللاجئين الفلسطينيين وفق قرارات الشرعية الدولية , ولكن نحب أن نؤكد بأن أول من سيرفض هذا الإتفاق هي الدول العربية نفسها التي تضغط على حماس بقبول المبادرة .

الدليل على ذلك أنه مازال اللاجئون الفلسطينيون في الدول العربية يعانون شتى ألوان العذاب والذل والمهانة في مخيماتهم المتهالكة والدول العربية كانت سبب في هزيمة الحروب العربية الإسرائيلية المتعاقبة للإختلاف فيما بينها على إستراتيجية موحدة , بل أطماع البعض لضم جزء من الأراضي الفلسطينية تحت سيطرتها لتوسيع رقعة المساحة الجغرافية لكل منها بل وقامت بتجنيس العديد منهم لأنها كانت بحاجة الى شعب في ذلك الوقت , اما اليوم فالكل يرفض التجنيس ليبقى الفلسطيني ضعيف أينما وجد , فهم ليسوا بحاجة الى شعب يطالبهم بحقوق المواطنة بعد ما أطل شبح البطالة برأسه وأصاب معظم مواطني هذه الدول وأصبح هاجساً يؤرق مضاجع من يملك منهم حساً مرهفاً أو من يريد منهم البقاء في السلطة الى آخر نفس .

جاءت هذه الدعوة الى حماس , لتقول نحن لا نتحدث عن مطالب للمجتمع الدولي ولكن هناك مبادرة عربية إعتمدتها قمة بيروت العربية وأكدتها القمم العربية اللاحقة , وهذه الدعوة تؤكد أن هناك حاجة ماسة الآن لكي يتعامل كافة مسؤولي الفصائل الفلسطينية بإدراك يعي مصالح الشعب الفلسطيني العليا وأمله في إقامة دولته الفلسطينية المستقلة , ويتعامل مع دعاوى غياب شريك فلسطيني في عملية السلام بقدر عالٍ من المسؤولية .

إسرائيل لاتزال ترفض مبادرة السلام العربية , ومازالت تعمل على تجميد تطبيق خطة خارطة الطريق بدعوى عدم وجود شريك فلسطيني قادر على محاربة ما تسميه العنف والإرهاب , وهي كلمة حق إريد بها باطل , لأنها هي أساس العنف في المنطقة , ولايريد الفلسطينيون أن يتحدثوا بصوت واحد ليثبتوا أن هناك شريكا فلسطينيا ويقطع الطريق على أي خطط أحادية الجانب للانسحاب من الضفة الغربية دون تنسيق مع السلطة الفلسطينية .

وهنا لنا وقفة قصيرة فعندما قررت إسرائيل الإنسحاب من جنوب لبنان ماذا حصل ؟ , لقد تم الإنسحاب وإعتبره اللبنانيون إنتصاراً للمقاومة ولم تلتزم لبنان بأي شيء وبقي لها الحق في الرد على أي خروقات إسرائيلية لتستمر المقاومة اللبنانية حتى تحرير مزارع شبعا , وجرت إسرائيل ذيول الخيبة بهذا الإنسحاب فكان للبنانيون ما أرادوا , وحصل أيضاً نفس الشيء مع الفلسطينيين عندما إنسحبت إسرائيل من قطاع غزة من جانب واحد وتباهى الفلسطينيون بهذا الإنسحاب بالقول إنه تم تحت تأثير المقاومة والإنتفاضة .

هناك قمة مرتقبة بين مبارك ورئيس الوزراء الإسرائيلي المنتخب حديثا إيهود أولمرت ضمن مسعى مصري لإعادة إحياء مفاوضات السلام بين إسرائيل والفلسطينيين هذا هو الهدف المعلن أما الأهداف غير المعلنة فهي لزيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين طبقاً لمعاهدة كامب ديفيد ومحاولة بين الطرفين لإزاحة حماس عن رئاسة الحكومة وهي المنتخبة من الشعب والدليل هو إحجام بعض الدول العربية عن إستقبال وزير خارجية فلسطين لماذا ؟ لأنه من حماس , في الوقت الذي جمدت فيه اسرائيل الاتصالات مع السلطة الفلسطينية اثر فوز حماس في الانتخابات وتشكيلها الحكومة وقالت مصادر سياسية إسرائيلية إن أولمرت يتوقع من مبارك أن يعمل على جعل المواقف الفلسطينية أكثر اعتدالا "والتعاون على تنفيذ الحكومة الفلسطينية للمطالب الإسرائيلية" .

ويسعى التحرك المصري لعقد قمة تضم الرئيس الفلسطيني محمود عباس وايهود اولمرت رئيس الوزراء الاسرائيلي بالاضافة الى سبل ايصال المساعدات للشعب الفلسطيني , قال رئيس

الوزراء الإسرائيلي ايهود اولمرت إنه يجب ألا تكون هناك توقعات كبيرة من لقائه مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس , وقال أيضاً إن "حجم خيبة الأمل قد يكون مثل حجم التوقعات" من لقاء محتمل مع عباس , قالت مصادر سياسية إسرائيلية مطلعة "لا نتوقع لانطلاقة وسنحاول الاستيضاح فيما إذا كان (عباس) قادرا على جعل حكومة السلطة الفلسطينية أن تستجيب لمطالب الرباعية الدولية" في إشارة إلى الشروط الثلاثة القاضية باعتراف الحكومة الفلسطينية بالاعتراف بإسرائيل والاتفاقيات الموقعة ونبذ العنف وهي التي تتحفظ على خارطة الطريق بأربعة عشر بنداً .

إعتبرت مصادر سياسية إسرائيلية أن لقاء أولمرت - عباس سيشكل "نقطة مفصلية" لبدء حوار إسرائيلي فلسطيني على الرغم من محدودية قوة عباس , إن اولمرت سيلتقي مع عباس فقط بسبب الضغوط التي تمارسها الإدارة الأمريكية عليه وتقديمه وعدا للرئيس الامريكي جورج بوش بإلتقاء عباس من أجل محاولة التوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين قبل توجه إسرائيل لخطوات أحادية الجانب .

الأنباء تتحدث عن مبادرة عربية لحل الازمة بين السلطة الفلسطينية وحكومة حماس , في الوقت الذي بدأت الفصائل الفلسطينية جلسات حوار للخروج من الازمة لنتذكر الأحجية التي تقول من أتى أولاً البيضة أم الدجاجة والتي حلها توني بلير بالقول إن البيضة أتت قبل الدجاجة ورد عليه بعض العلماء المسلمين بالإستنكار, لماذا ؟ لأن القضية الفلسطينية لاتساوي عند الزعماء العرب أكثر من بيضة ولاسيما أن مساحة فلسطين لا تعادل حجم بيضة أمام المساحات العربية الشاسعة والمهدرة وغير المستغلة وجميعهم يرفضوا قبول الفلسطينيين المطرودين من العراق على أراضيهم وعالقين على الحدود , إن الدول التي تسعى الى إيصال المساعدات للشعب الفلسطيني عليها أولاً أن تعمل على تحسين أوضاع اللاجئين الفلسطينيين على أراضيها لأنه الأسهل , وثانياً تعمل على تفعيل الطرق الدبلوماسية لتقديم المساعدات لأبناء الأرض المحتلة في فلسطين وهو الأصعب أما من يحاول تطبيق قصص الطفولة فك وافك فهذا شيء آخر .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 02-06-2006م

120 الوطن الحقيقي .. الوطن البديل

التصريحات الأخيرة للملك عبدالله الثاني كان فيها تأكيدات على نقاط أساسية , قال فيها ان مصلحة الاردن "فوق كل الاعتبارات والمصالح " وأضاف أيضاً الى أن الأردن لن يكون وطنلاً بديلاً لأحد , وأفاد بأن شعار الأردن اولاً ليس شعاراً فقط وإنما هو مبدأ راسخ في ضميرنا ولا بد من التعبير عنه بالعمل والسلوك والانتماء الحقيقي لهذا الوطن .

ولكن قضية الإنتماء بحاجة الى تفسير وإيضاح وهنا نسأل عن مصير نصف الشعب الأردني الذين يعتبرون غير مواطنين فما هو مصيرهم ؟ ونود أن نسأل أيضاً أن النصف الباقي من الشعب الذي يعتبر أكثر من نصفهم من أصول فلسطينية ماهو موقفهم من الوطن البديل ؟ . وهل سيتمكن الأردن من تجاوز عقبات كثيرة وعمل إستفتاء لهم ؟ .

وهنا تتشابك وتتعارض المصالح لكل فئة من الفئات الثلاث وهم أبناء البادية من الأردنيين والمواطنين الأردنيين من أصول فلسطينية واللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الأردن , والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف سيكون هناك عدل بين هذه الفئات الثلاث ؟ , إذاً هناك فئة مظلومة على حساب فئات أخرى ولكنها تلعب دوراً أساسياً في الإقتصاد القومي الأردني وهم يفكرون بعقلية المواطن ولكن الدولة تعاملهم على أنهم لاجئين وأنهم سيعودون يوماً الى وطنهم ؟ .

دولة فلسطين كانت من الماضي وهي الآن حلم يرواد مواطنيها بقيام دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس , هذا الوطن فلسطين جرى إحتلاله وتم جلب المستوطنين اليهود من مختلف بقاع العالم ليحلوا بديلاً عن أبناء الوطن الأصليين ومن هنا نشأ مايسمى الصراع العربي الإسرائيلي والمدعوم من الغرب عموماً وتم الإعتراف بدولة إسرائيل من قبل الأمم المتحدة وبعض الدول العربية التي وقعت معاهدات سلام مع إسرائيل والبعض الآخر في طريقه لتوقيع أمثال تلك المعاهدات .

إذاً هناك إتفاق بين جميع الأطراف الموقعة على إتفاقيات سلام مع إسرائيل على بقاء الشعب الفلسطيني لاجئاً وإلا فما فائدة الإعتراف بإسرائيل دون وجود دولة فلسطينية , إلا إذا كان هناك مخططات تعمل على توطين اللاجئين في أماكن وجودهم ولم يحن الوقت المناسب لتطبيقه بين مختلف الأطراف , وهنا يجيب العاهل الأردني بالقول "اذا كان هناك من يعتقد ان من الممكن تسوية القضية الفلسطينية على حساب الاردن فيجب ان يعرف ان الأردن لن يكون وطنا بديلا لاحد وان وطن الفلسطينيين ودولتهم يجب ان تكون على الارض الفلسطينية، وليس في اي مكان اخر." .

وهذا يؤكد التناقض بين أقوال بعض الأطراف العربية وبين أفعالها , يقول العاهل الأردني "نحن نعرف ان هناك من يحاول الاستقواء ببعض الدول، للاساءة لهذا البلد او تخريب العلاقة" بين الاردنيين والفلسطينيين و"لابد من ان يعرف هؤلاء ومن يقف وراءهم ان الاردن سيظل يساند بكل امكانياته الشعب الفلسطيني" حتى قيام الدولة الفلسطينية" , ولكن كيف ستقوم الدولة الفلسطينية ؟ والأردن أول من قام بتجنيس أبناء الضفة الغربية منذ عهد الملك عبدالله الأول الذي كانت له أطماع بضم أرضي عربية إبتداء بالضفة الغربية .

من الطبيعي أن يسير الأبناء على خطى الآباء والأجداد لتحقيق طموحات الأجداد ولهذا بين الحين والآخر يتم التأكيد على أن الأردن لن يكون الوطن البديل ولكن إذا طلب من الأردن توسيع نطاق مملكته بدعم من إسرائيل ومن الدول الكبرى فلن يمانع الأردن في ذلك ولاسيما أن الأردن قائم على المساعدات الغربية وهل هناك مساعدات في عرف السياسة دون إملاءات .

يؤكد العاهل الأردني مجدداً بالقول ان "المنطقة من حولنا تمر باصعب الظروف واسوأ المستجدات ومن الواضح ان هناك جهات ودول تسعى للاستفادة من هذه الاوضاع." , وهنا نود أن نتساءل من هي تلك الأطراف والجهات التي لم يحددها العاهل الأردني ؟ , والتي " تسعى لتسوية مشاكلها على حساب دول الجوار، ومنها من تسعى الى تفجير الوضع ونشر

الفوضى والدمار في اكثر من مكان، لتعزيز نفوذها وسيطرتها على هذه المنطقة بكاملها." ؟ ,
هذا كلام غريب إلا إذا كان المقصود به إسرائيل وهو أبعد مايكون عن الواقع , لماذا لأن رئيس الحكومة الإسرائيلية ، إيهود أولمرت في لقاءه المرتقب مع العاهل الأردني سيؤكد على مايلي:

أن الأردن هي حليف استراتيجي لإسرائيل .

أن خطة "التجميع" لن تمس بالإردن .

أن المخاوف التي أعربت عنها الأردن جراء الإنسحاب الإسرائيلي الأحادي الجانب ليس لها مايبررها وسيؤكد على تبديدها .

ولكن رغم التحالف الإستراتيجي بين الأردن وإسرائيل إلا أن العاهل الأردني تساوره المخاوف الشديدة من الخطوة الإسرائيلية التي من شأنها أن تزعزع استقرار الأردن، حيث أشار إلى ذلك لدى اجتماعه بالرئيس الأمريكي جورج بوش وعرض تحفظاته من الخطة الإسرائيلية . صحيفة "يديعوت أحرونوت" قد نقلت عن الملك الأردني "تساؤلاته والإحساس بفقدان الأمن، ليس فقط لدى الفلسطينيين، وإنما في وسط كل الشركاء في السلام في المنطقة. كما أن الخطة من شأنها أن تمس بإمكانية تطوير علاقات الأردن مع إسرائيل."

نقلت مصادر إسرائيلية أن الأردن طلبت عدم عقد مؤتمر صحفي مشترك لأولمرت وعبدالله الثاني، إلا أن مكتب رئيس الحكومة الإسرائيلية أصر على أن يكون هناك بعد إعلامي للزيارة , وتم التوصل إلى حل وسط، يقوم فيه الإثنان بالإدلاء بتصريحات صحفية بدون الإجابة على أسئلة الصحفيين، وذلك من أجل تجنب الكشف عن النقاط الخلافية .

كان هناك حديث عن الكونفدرالية مع الأردن ولايزال بحكم أنه لايوجد هناك علاقة بين قطرين عربيين ، إختلطت فيها الرؤى والمواقف كما هو في حالة العلاقة بين الأردن وفلسطين ، حتى وصلت هذه العلاقة الى نسيج واحد من المجتمعين ولم يتداخل وينصهر شعبان كما هو

في حالة الشعبين الأردني والفلسطيني وهناك من يعتبرهم شعباً واحداً , وإبتدأ هذا الإنصهار كما ذكرنا سالفاً بعد حرب عام 1948م مع إسرائيل بعد تجنيس الملك عبدالله لكل سكان الضفة الغربية بالجنسية الأردنية التي تعدل إسمها من إمارة شرق الأردن الى المملكة الأردنية الهاشمية .

وكان هناك إرتباط بين الضفتين منذ عام 1948م وحتى قرار الملك الراحل حسين بفك الإرتباط بين الضفتين الذي إتخذه الأردن عام 1988م ، الذي كان محل ترحيب منظمة التحرير وكافة المنظمات الفلسطينية ، لأنه كان قرارا حكيما وشجاعا على طريق السعي للوصول للدولة الفلسطينية المستقلة ، لأنه كان يعني للأصدقاء والأعداء أن الضفة الغربية أرض فلسطينية محتلة ، وهي هدف من أهداف النضال الوطني الفلسطيني لتكون جزءا من الدولة الفلسطينية التي نادى بها المجلس الوطني الفلسطيني عام 1987 من جانب واحد .

قرار فك الإرتباط كان له مايبرره لكل طرف فالأردن أراد بفك الإرتباط تهيئة المناخ لعقد معاهدة سلام مع إسرائيل وقد حدث هذا بالفعل وخوفاً من إنقلاب بعض الأطراف عليه وتكوين دولة فلسطينية كوطن بديل يشمل الضفتين بإعتبار أنهما شعب عربي واحد , ولاسيما أن هناك دروساً مستفادة من أحداث أيلول الأسود عام 1970م , أما من وجهة نظر منظمة التحرير التي رحبت بالقرار هو رغبتها بالسيطرة على الضفة الغربية بموجب إتفاقيات كانت تحدث سراً بين أطراف فلسطينية وإسرائيلية حتى أصبحت علنية وهو مايعرف بإتفاقيات أوسلوا .

وصلت حماس الى رئاسة الحكومة الفلسطينية المنتخبة وخوفاً من تصريحات سابقة لمحمد نزال عضو المكتب السياسي لحركة حماس ، الذي أعلن في وقت سابق " أن حركة حماس لا تعترف بفك الإرتباط بين الضفة الشرقية والضفة الغربية ، ولهذا فإن الحركة ترفض أن يتخلى قادتها عن الجنسية الأردنية " ولهذا سارعت الأردن بإشاعة ما أسمته القبض على عناصر تابعة لحماس بتخزين الأسلحة في الأراضي الأردنية لتهريبها الى حركة حماس وإتخذ ذلك

ذريعة لعدم رغبة الأردن في إستقبال وزير خارجية فلسطين محمود الزهار والعضو الفاعل في حركة حماس .

نأتي هنا الى قضية تاريخية أزلية بين العرب أنفسهم منذ حرب عام 1948م وهي أن الزعماء العرب يخونون بعضهم البعض ولهذا تحسبهم جميعاً في إجتماعات القمة العربية وقلوبهم شتى , وطالما إتفق العرب على ألا يتفقوا , فقد إتفق العرب على عدم قيام دولة فلسطين الأمر الذي يجعلنا ننصح الفلسطينيين بالعمل وحدهم ومن خلال إمكانياتهم الذاتية على تحرير دولتهم ونزع الشوك بأياديهم دون الإستعانة بأحد ولاخير في دول مازالت تبقي اللاجيء على أراضيها أكثر من نصف قرن دون أن يتمتع هذا اللاجيء بحقوق المواطنة العربية الإسلامية التي يجب أن تلغي مقولة الوطن الحقيقي ..الوطن البديل .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 08-06-2006م

121 القضية الفلسطينية والحلول الإبداعية

لو إفترضنا جدلاً أنه تم إتفاق بين العرب وإسرائيل على تطبيق خطة خارطة الطريق وتم تبني المبادرة العربية للسلام التي أعتمدت في قمة بيروت العربية عام 2002م وحل السلام ربوع المنطقة , ولو إفترضنا أن هذا السلام الذي تصورناه نشأ عنه تفاهمات بين جميع الأطراف وتم الإتفاق على حق العودة وعاد الجميع من عرب ويهود الى فلسطين , وأردنا ان نتصور التعداد السكاني لكل من العرب الفلسطينيين واليهود بعد مائة أو مائتي عام وهنا يبرز السؤال التالي , هل مساحة فلسطين التاريخية ستتسع لكل هذا العدد من السكان وأحفادهم وذرياتهم ؟ .

الجواب بالطبع سيكون بالنفي وعليه لابد من التفكير في إيجاد حلول إبداعية وهي كثيرة ولكن من يجرؤ على الكلام , فمثلاً إذا زادت نسبة السكان لابد من زيادة نسبة المساحة , ولكن المساحة حسب التقسيمات الإستعمارية غير قابلة للنقاش حولها لماذا ؟ لاندري بل هذا ماوجدنا عليه آباءنا وأجدادنا ويحضرني قول إبراهيم عليه السلام لقومه بقوله : (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) ! , وهذا يدعونا للتأمل والتفكر في كثير من الأمور التي نواجهها يومياً ولا نتفكر فيها قيد أنمله على الرغم أن التفكير فريضة إسلامية .

إذاً لابد من التفكير بطريقة عملية واقعية تتناسب وروح العصر فالحرب بين العرب وإسرائيل ستظل مستمرة مالم يجلس الطرفان والقوى الفاعلة والمؤثرة وبقناعة تامة وبنزاهة وحياد تام في عملية عصف ذهني لشحذ الهمم والأفكار والعمل على مفاوضات طويلة الأمد حتى نخرج بتصور يرضي جميع شعوب المنطقة وليس بالضرورة يرضي غرور قادتها وزعماؤها الذين يبحثون عن نجاحات شخصية تمجد أسماءهم تاريخياً ولو على حساب دماء وأشلاء الشعوب .

ولن أدخل هنا في دور التنظير والتأطير ولكن سأذكر أمثلة من التاريخ المعاصر وكيف أن دولة أوروبية عملت خطة للتوسع بضم أجزاء من المحيط الى أراضيها وتنجز كل سنة جزء وهكذا ,

ومن الأمثلة أيضاً ماقام به الإتحاد الأوروبي من خطوات ناجحة في توحيد القارة الأوروبية وهي خطوات إيجابية في الطريق الصحيح عندما عمل على توحيد القارة وسمح بحرية التنقل والعمل رغم الإختلاف في اللغات والثقافات التي يتكون منها المجتمع الأوروبي .

أما الدول العربية مازالت في صراع على كل شيء الأرض والحدود والثروة والإنسان وغير ذلك , وفي خضم إيجاد حلول لهذا الصراع بين العرب واليهود نادى الكثير من المفكرين والقادة والزعماء وقاموا بمبادرات ولكن أي منها لم تجد طريقها الى النجاح , وهناك من نادى بقيام دولة واحدة بقوميتين , ولكن جميع المؤشرات الحالية والمستقبلية المنظورة تدل على صعوبة تعايش الشعبين إن لم يكن من المستحيل أن يتعايشا في دولة واحدة بقوميتين .

وفي حالة إستمرار العداء بين شعوب المنطقة يستمر النزاع وتستمر المقاومة ويستمر التفكير والتفكير المضاد الى مالا نهاية له , وهناك من الأعمال التي تعتبر إيجابية من وجهة نظر هذا الطرف ووحشية من وجهة نظر الطرف الآخر ولنضرب لكم مثل , إن ماتفكر به إسرائيل على المدى الطويل ما يسمى "بخطط الترانسفير" أي الترحيل الجماعي للفلسطينيين الى دول الجوار بدلاً من التفكير في سبل العيش المشترك على هذه المساحة الجغرافية المشتركة وإن كانت هذه المساحة بحاجة الى أن تكبر بضم مزيد من الأراضي التي ينبغي التفاهم مع دول الجوار بشانها .

هناك بعض المفكرين نادى بفكرة تبادل الأراضي لإصلاح التداخل الديموغرافي والجغرافي فمثلاً إذا أردنا المحافظة على أبناء قطاع غزة وأبناء الضفة الغربية في كيان مستقل لابد من تبادل أراضي بين جميع دول الجوار وبطريقة ترضي الجميع حتى يمنع أي إحتكاك أو نزاع بين اليهود والعرب على شبر واحد من الأرض بعد هذا الإتفاق وطبعاً هذا الكلام لن يرضي بعض العرب كما لن يرضي بعض اليهود ولكنها الحقيقة التي لاشك فيها إذا أريد لهذا النزاع أن ينتهي بعمل حدود دولية آمنة لجميع الأطراف تضمنها الأمم المتحدة حتى لو أعيد تشكيل خارطة المنطقة بأكملها .

كما ينبغي إعادة النظر في كثير من القوانين الجائرة التي يعمل بها حتى الآن حتى تستقر الأمور وذكرنا في مقال سابق بإن الدول التي تسعى الى إيصال المساعدات للشعب الفلسطيني عليها أولاً أن تعمل على تحسين أوضاع اللاجئين الفلسطينيين على أراضيها لأنه الأسهل , وثانياً تعمل على تفعيل الطرق الدبلوماسية لتقديم المساعدات لأبناء الأرض المحتلة في فلسطين وهو الأصعب أما من يحاول تطبيق قوانين أشبه بقصص الطفولة فهذا شيء آخر .

كما ينبغي الإتفاق على بعض المسلمات ومنها عدم إراقة الدماء وعدم تجريف وتدمير وإتلاف الأراضي الزراعية أو إبادة المزروعات بل المحافظة على البيئة بكل أشكالها أي كان مالكها يهودي أو عربي فهي مكتسبات حضارية ينبغي الحفاظ عليها في اطار سياسات عامة توضع لهذا الغرض كما ينبغي عدم إفراغ السكان من أماكن وجودهم سواء لتهويدها أو لتنصيرها أو لأسلمتها وهم سكانها وعاشوا فيها قرون لأن ذلك من شأنه أن يزيد من حالة الإحتقان والكراهية بين الشعوب .

كما ينبغي العمل على إيقاف سياسة الترانسفير التي تنتهجها إسرائيل بأشكالها المختلفة والعمل أيضاً على عدم توسيع المستوطنات وتوسيع المناطق المغلقة عسكريا وهذا مايحدث في كثير من الأراضي سواء في النقب أو في قطاع غزة أو في الضفة الغربية , كما ينبغي العمل على عدم تهميش أي من الأطراف للطرف الآخر أو إخراجهم من سوق العمل أوتقليص المخصصات والمراعي كما ينبغي العمل أيضاً على التصدي للبطالة المتفشية بين شعوب المنطقة بأكملها .

كما ينبغي العمل على إستصدار قوانين تمنع إغلاق الحدود بشكل محكم مع باقي الدول لدعم التواصل الاجتماعي الإنساني بين جميع سكان المنطقة وشعوبها عملاً بقوله تعالى «يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات ـ 13). والعمل على الإصلاحات الديموقراطية والتخلي عن السياسات

العنصرية بين شعوب المنطقة والمحافظة على المواطنة الحقيقية لشعوب المنطقة لوضع حد للأعمال الإرهابية بكل أشكالها .

كما ينبغي العمل على التخلي عن السياسات التي تدعي الحصانة القومية لأي دولة من دول المنطقة على حساب دولة أخرى وبدلاً عن ذلك العمل سوياً على رسم معالم سياسة أكثر إنفتاحاً بين شعوب المنطقة لإستشراف المستقبل وإيجاد حلول عملية لجميع المشاكل العسكرية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية وأن يعمل المخططون على إيجاد مشاريع مشتركة لتطوير علاقات شعوب المنطقة بعضهم ببعض وبمحيطهم العالمي أيضاً .

كما ينبغي أن لا يسمح بنشوء جماعات متطرفة في تفكيرها سواء كانت من اليمين أو من اليسار وإنما إعتماد الوسطية والإعتدال في كل مايخص شعوب المنطقة , وكما ذكرنا سابقاً ماهو المانع من إعادة تشكيل خارطة المنطقة وتبادل الأراضي لتعيش شعوب المنطقة في المكان الذي ترغب فيه من أجل تحقيق مصير التسوية السلمية للوصول الى سلام شامل بناء على مفاوضات طويلة الأمد تشارك فيها جميع قيادات شعوب المنطقة وأطراف دولية أخرى .

إن إعادة النظر في رسم حدود دولية جديدة لجميع دول المنطقة سينهي الصراع القائم بين هذه الدول لقرون , وتكمن أهمية هذا المشروع في تعديل قوانين المواطنة أيضاً ويكون فيه كل مواطن ملزماً بأداء قسم الولاء للدولة التي ينتمي لها ولأمنها وقيمها ورموزها ونشيدها الوطني وكل من يرفض ذلك يفقد حقه بالمواطنة ولا يكون له حق الانتخاب والترشيح أو القيام بالخدمة العسكرية كما ينبغي العمل على رسم سياسات جديدة للإندماج بين شعوب المنطقة والعمل على منع إقامة أي فاصل بين شعوب المنطقة على غرار الإتحاد الأوروبي .

وإذا كانت الشعوب هي التي تقرر مصيرها فينبغي العمل على إقامة مشاريع إقتصادية مشتركة وبنى تحتية كخطوط النقل والموانئ والمطارات لينتهي الصراع على الحدود أو الأطماع التوسعية للقادة الذين يؤججون الصراع بين الشعوب لمصالح شخصية وهناك أمثلة من تاريخنا المعاصر لمسائل الإتفاق على ترسيم الحدود بالمفاوضات والطرق السلمية وليس

بالحروب والنزاعات العسكرية المسلحة كما حصل في مسألة ترسيم الحدود بين السعودية واليمن والسعودية وقطر وبين الأردن وسورية .

ان مساحة اسرائيل وفلسطين كدولتين معاً لا تعد شيئاً ازاء مساحة العالم العربي البالغة 14 مليون كيلومتر مربع وبالتالي لا بد من اسهام الدول العربية في حل مشكلة المساحة الجغرافية للدولتين ولاسيما أن العراق اليوم مهدد بالتقسيم , لذا لابد من الإتفاق على أسس وسياسات تبادل الأراضي لصالح شعوب المنطقة وإيجاد حل حاسم بينها والقبول بفكرة التعايش السلمي بين شعوب المنطقة ومساعدة إسرائيل في التحلل من عقدة الخوف التي تساور شعبها إزاء الدول العربية المحيطة بها على الرغم أن هذا المحيط عاجز عن القيام بأي شيء لمصلحة شعوب المنطقة عوضاً عن القيام بعمل عدائي ضد إسرائيل .

موقع قناة العربية 03-06-2006م

122 مجزرة واحدة لاتكفي

يبدوا أن إيهود أولمرت أخذ الضوء الاخضر من واشنطن نحو مزيد من المجازر ضد الفلسطينيين والدليل هو مجزرة شاطئ غزة التي سقط على إثرها ضحايا من الأطفال , وإدعت إسرائيل إن ماحدث هو خطأ غير مقصود وسوف تحقق في الحادث , وإدعى المحققون الإسرائيليون إن الانفجار الذي وقع في شاطئ السودانية وأودى بحياة افراد عائلة فلسطينية نجم عن عبوة ناسفة زرعها نشطاء حركة حماس بهدف المس بقوات إسرائيلية خاصة تتوغل في الآونة الأخيرة في شمال القطاع .

وقال المحققون إن نتائج التحقيق تستند على شظايا الجسم المنفجر والتي استخراجها من جسد طفل جريح يرقد في مستشفى إسرائيلي ومن صور للحفرة التي تسبب بها الانفجار في الشاطئ , ولكن عاد وأقر الجيش الإسرائيلي بأنه أطلق عددا من القذائف المدفعية وأنه يحقق في إمكانية أن تكون إحدى القذائف هي التي أودت بحياة الفلسطينيين , وتهدف إسرائيل من نشر نتائج التحقيق إلى تغيير صورتها في العالم التي تضررت كثيراً في أعقاب الانفجار بعد تأكيد الفلسطينيين ووسائل الإعلام العالمية على أن القتلى الفلسطينيين سقطوا جراء القصف الإسرائيلي.

ولايملك الفلسطينيون والعرب سوى الإدانة والشجب والإستنكار للغارات الجوية التي شنتها الطائرات الإسرائيلية على مدينة غزة وبيت لاهيا وخلفت العديد من الشهداء والجرحى , وبالطبع تناشد المجتمع الدولي بالتدخل العاجل لوقف المجازر التي تقترفها قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد المدنيين العزل وتحمل مسؤولياتها تجاه ذلك.

هل ستكتفي إسرائيل بتلك المجزرة ؟ بالطبع لا , وإنما ستقوم بمجازر أخرى , أما الولايات المتحدة فما عليها سوى أن تدعوا جميع الأطراف الفلسطينية لضبط النفس ولتحمل مسؤولياتهم تجاه الشعب الفلسطيني من خلال نبذ الخلافات فيما بينهم وتوفير مناخ آمن في الأراضي الفلسطينية , كيف سيكون هذا الجو الآمن وإسرائيل تضرب كل يوم المناطق الفلسطينية بعد إنسحابها من قطاع غزة ؟ .

توني بلير كان يدين الشعب الفلسطيني في كل موقف وبعد كل عملية ويؤيد إسرائيل ويؤيد كل القرارات التي تدعمها حتى رفض بلير وبوش تشكيل لجنة من الأمم المتحدة للتحقيق في مجزرة جنين وكان عداءهما مستفحلا على هذه الأمة وإحتلالهما للعراق التي أدت الى مائتي ألف قتيل وتدمير العراق بشكل شامل، عوضاً عن الجرائم بحق المعتقلين , ونحن نتسائل ألا يكفي أن يكون هناك ردة فعل؟ .

بلير لأول مرة في حياته وبعد هجمات لندن قال آن الأوان لأن نعالج أسباب الإرهاب وربط ربطا واضحا بين المظالم العربية في فلسطين وبين ما حدث في لندن ، كان بلير يقول للفلسطينيين لا تحلموا بدولة ما لم تتوقفوا عن الإرهاب، الآن انعكست الآية بلير بدأ يشعر بأن بريطانيا تجاوزت حدودها كثيرا .

طبعا هناك لا شك علاقة بين ما يحدث في العراق وفي فلسطين ولكن كيف الرئيس بوش الإبن يقول " سننشر مبدأ المحبة مقابل مبدأ الكراهية " ؟ ومازالت الطائرات تقصف وتقتل الآلاف من المدنيين أليس هذا إرهاباً ؟ أم محبة !.

يتجدّد الإحساس بالألم مع مشاهد سقوط الضحايا ، أو صور تعذيب السجناء وهذا يعني أن ليس للألم ديانة سواء كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية ، فباتت المشاهد تختلط بعضها ببعض، كما بات من المستحيل الفصل بين هذه الموجة وتلك من موجات العنف والإرهاب ، كما يريد كلٌّ من الطرفين المسؤولين عما يسمى الإرهاب أن يصنع ، متجاهلا الرابط بين السبب والنتيجة، والفعل ورد الفعل.

إن ما حدث من أعمال عنف هي مسلسل طويل معروف ، وإن ما حدث ويحدث في العراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها هو إرهاب بمختلف المقاييس والمعايير الدينية والإنسانية، وبات القاسم المشترك هو دماء الضحايا، بغض النظر عن تفاوت التفاصيل والأعداد وآلية الدمار ومواقع المسؤولية .

كلما أسقطت عملية جديدة مزيدا من الضحايا من عامة البشر، مسلمين وغير مسلمين، في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، عاود المسؤولون كبارهم وصغارهم مع أتباعهم في وسائل

الإعلام، تأكيد موقف ثابت لا يراد له أن يتغير، محوره "لن نخضع.. لن نذعن.. لن نتراجع أمام الإرهاب" وكأنها حرب بدأت دون أن تنتهي ، وليس في موقع المسؤولية عن قرارات يترتب عليها ما يترتب على صعيد أرواح البشر وخسائرهم في ممتلكاتهم .

وليست القضية قضية خضوع وتراجع، إنما هي قضية "إستراتيجية خاطئة " جملة وتفصيلا، بتوجيه الضربات المضادة وفي كل اتجاه لتزداد وتيرة الإرهاب والعنف وبالتالي مزيد من الدماء وكأنها كرة ثلج لاتزال تكبر حتى تجعل العالم أكثر فقراً وأقل أمناً ويزيد انتشاره بدلا من القضاء عليه.

ويبدوا هنا أن الدول الديموقراطية وغير الديموقراطية قد إقتربت من بعضها البعض والذي دفعها الى ذلك حجة الحرب على الإرهاب وهنا ندعوا كل من يحرص على الأمن والسلام من عقلاء الديانات الثلاث أن لايدفعوا من يقوم بهذا العمل الى مزيد من التطرف والعنف حتى لايصبح الطرفين يعلم من يضرب من ولمصلحة من وهذا مانسميه " الإستراتيجية الخاطئة في الحرب على الإرهاب " .

إن هذه الإستراتيجية الخاطئة قد تؤدي في النهاية الى حرب عالمية ثالثة ويعود العالم الى شريعة الغاب القوي يقتل فيها الضعيف فتنتهك المبادئ والقوانين الدولية والإنسانية ويزرع الرغبة في الثأر والانتقام، وتبدأ حملات التطهير العرقي أو الديني فتكون حرباً عالمية بين أصحاب الديانات الثلاث الإسلام و المسيحية و اليهودية التي أصبحت تغذيها الحملات الإعلامية .

إن من يسوغون العنف ومن يزعمون أنهم يحاربون ذاك العنف يتلاقون في أفكارهم بالإفتراء والكذب على الشعوب ومنذ أن بدأت الحرب على الإرهاب ونحن نرى كل يوم قتلى وجرحى ودمار للممتلكات العامة والخاصة ومن المعروف أن الهدم أسرع من البناء وأن الدمار أسرع وأشمل من الإعمار فقنبلة ذرية واحدة حصدت مئات الآلآف من البشر وحرب عالمية حصدت الملايين من البشر والإعتداءات الإرهابية كلفت الدول مليارات في لحظات فالممتلكات العامة التي تبنى في أعوام تحصدها الأيدي الآثمة في دقائق معدودات.

لذا سنكرر مقولتنا الشهيرة "الارهاب سيجعل العالم أكثر فقراً وأقل أمناً" لأن العداء مستحكم بين الحق والباطل وإن العلاقات الإسلامية مع الغرب وحوارها مع بقية الأديان تزداد سوءاً بعد إعلان الحرب على الإرهاب في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م , بل وستزيد وتيرة الإرهاب .

وتأييداً لقولنا فقد كشفت دراسة أعدتها مؤسسة "هوملاند سيكيورتي ريسيرش" الأمريكية أن إنفاق العالم على مكافحة الإرهاب سيصل إلى 191 مليار دولار خلال 2006م ، أما إنفاق الولايات المتحدة وحدها سيمثل 44% من هذا المبلغ أي ما يعادل 84 مليار دولار, وسيتضاعف الإنفاق على مكافحة الإرهاب 3 مرات خلال العقد المقبل حسب رأي الدراسة التي قدرت أن يصل الإنفاق العالمي على مكافحة الإرهاب إلى 350 مليار دولار في عام 2010م, و517 مليارا في عام 2015م . وقد تم وضع هذه الأرقام على إفتراض وجود ما أسمته المؤسسة "توترا متواصلا" تجري خلاله عمليات إرهابية في مختلف مناطق العالم , وخصوصاً في فلسطين حيث تتبنى إسرائيل "مبدأ مجزرة واحدة لاتكفي" .

صحيفة الحقائق اللندنية 15-06-2006م

123 الإفلاس بين فتح وحماس

فازت حماس بالإنتخابات الفلسطينية وتم تشكيل الحكومة الفلسطينية الجديدة وبدأ الحصار يتزايد على السلطة الوطنية الفلسطينية ومما يثير الإستغراب في تشكيلة الوزارة الجديدة بقيادة حماس أن يتولى رئيس الوزراء حقيبة وزارة الشباب والرياضة وهي التشكيلة الأولى في العالم والتي يتولى فيها رئيس الحكومة وزارة الشباب والرياضة فلماذا يصر إسماعيل هنية على رئاسة هذه الوزارة ؟ .

بالطبع في كل إنتخابات نرى هناك برنامجاً سياسياً ووعود إنتخابية فهل تحققت الوعود الإنتخابية التي أطلقتها حماس ؟ , أم أن الوقت مازال مبكراً لتحقيق جزء من هذه الوعود على الأقل في وزارة الشباب والرياضة , هناك الكثيرين في وزارة الشباب والرياضة بعد تولي هنية لتلك الوزارة إستبشروا خيراً في بداية الأمر ولكن عندما بدأت الحكومة في تولي المناصب والإدارات بدأ يشعر الموظفون في تلك الوزارة بأن العمل أصبح ممل ومثير للإشمئزاز لماذا ؟ .

توقفت الأنشطة الرياضية تماماً في تلك الوزارة لعدة أسباب منها أن الحكومة برئاسة هنية بدأت في التغيير وهذا التغيير أثار حفيظة المسئولين في تلك الوزارة لأنهم شعروا بأن التغيير سيطال مصادر رزقهم بالطرد والتفنيش لإحلال مدراء جدد ليس لهم مؤهلات إلا أنهم من حماس , ومن الأسباب أيضاً أن الأنشطة الرياضية بحاجة الى أموال وطالما أن الحكومة لاتملك أموال في الوقت الحاضر للصرف على رواتب العاملين في مختلف القطاعات فمن باب أولى أن تتوقف الأنشطة الرياضية في تلك الوزارة .

بالطبع رئيس الوزارء لابد أن يتابع جميع الوزراء بصفته رئيس الوزراء فهل لديه الوقت الكافي ليقوم بمهام وزير الشباب والرياضة ؟ , إن أول خطوة قام بها رئيس الوزراء نزل الملعب في صورة دعائية بصفته وزير الشباب والرياضة وبدأ يطلق التصريحات بأنه سيتابع كأس العالم ويشجع فريقي السعودية وتونس على الرغم من إنشغالاته وهمومه السياسية ، إلى جانب الهموم والأوضاع الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني .

الوزير هنية لم يخف أمانيه بأن تشارك فلسطين في المونديال القادم الذي ستحتضنه جنوب أفريقيا عام 2010م , وذلك عقب زيارة تفقدية قام بها إلى وزارة الشباب والرياضة للمرة الأولى منذ توليه رئاسة الوزراء وإحتفاظه بحقيبة الشباب والرياضة , وأشاد هنية بالشباب الرياضي الفلسطيني الذي سطر أروع البطولات، مشيراً إلى الانجازات التي حققها منتخب الكرة الفلسطيني في مختلف المحافل الدولية والعربية التي شارك بها فهل هذه هي أهداف حماس المقاومة ؟ .

العاملين في الوزارة المذكورة يقولون إن العمل في تلك الوزارة ممل ومقرف لماذا ؟ لأنه لا توجد أنشطة ولاميزانيات للصرف منها على تلك الأنشطة , إسماعيل هنية هو وزيرنا ولكنه لم يحضر الى الوزارة الا مرتين فقط منذ بداية تسلمه مهام الوزارة وهذا سبب أيضاً في تعطيل أنشطة تلك الوزارة ,

وكان رئيس الوزراء الفلسطيني قد عقد سلسلة من الاجتماعات مع أركان الحركة الرياضية الفلسطينية لدى زيارته لوزارة الشباب والرياضة، بدأها مع الدكتور أحمد اليازجي وكيل الوزارة، ومع كادر الوزارة، قبل أن يلتقي برؤساء الاتحادات الرياضية للألعاب الجماعية.

ويعد إسماعيل هنية شخصية سياسية محبوبة لدى الشارع الرياضي الفلسطيني بمختلف توجهاته، ومن أبرز المتابعين للحركة الرياضية الفلسطينية، ولم يترك أي حدث رياضي إلا وتابعه حتى بعد توليه منصبه الجديد في رئاسة الوزراء، علاوة على أنه سبق له وأن لعب في عدة أندية فلسطينية كما تقلد رئاسة نادي الجمعية الإسلامية , وهنا نتسائل هل رئاسة نادي الجمعية يخولة مهنياً أن يترأس وزارة الشباب والرياضة ؟ .

وفي حديثه عن الأوضاع الرياضية والشبابية الفلسطينية، قال هنية أن إقرار قانون الشباب والرياضة بالمجلس التشريعي سيكون قريباً ، حيث سيتم إقراره بالقراءة الثالثة في القريب العاجل ، وذلك في خطوة لإعادة ترتيب وتأهيل الوضع الرياضي الداخلي الفلسطيني.

وهنا نتسائل : من أهم وزارة شئون اللاجئين أم وزارة الشباب والرياضة ؟ هناك مقارنة ومفارقة عجيبة بين العقلية الفلسطينية والعقلية الإسرائيلية فشارون عندما كان رئيس وزراء تولى حقيبة وزير الهجرة والإستيعاب لماذا ؟ لأنه كان لديه خطة صهيونية شارونية تسمى

"بساط شارون" كان الهدف منها هو تشجيع مليون يهودي للهجرة الى فلسطين المحتلة خلال ثلاثة عقود , وترتكز في الاساس على مساعدة اليهود واقناعهم بالعودة , ومن أجل ضمان تنفيذ هذه الخطة قام بالإحتفاظ بمنصب وزير الهجرة والاستيعاب لنفسه .

وقد سعى شارون الى تنفيذ هذه الخطة والقيام بها منذ توليه رئاسة الوزراء في إسرائيل وقد رصد مبلغ 100 مليون دولار لدعم المرحلة الاولى من هذه الخطة المقسمة الى أربع مراحل تستمر كل مرحلة سبع سنوات ونصف , وعلى ضوء متابعة تنفيذ الخطة فقد تبين أن معدل المهاجرين السنوي الذين أتوا إلى فلسطين المحتلة بلغ 32 ألفا وخمسمائة يهودي سنوياً , وهو معدل خطير للغاية ويثبت أن الخطة الشارونية تسير بنجاح وبالمعدل الذي تم التخطيط له من البداية وهو ما سيؤدي للتأثير على الفلسطينيين بصورة عامة سلبياً .

فلماذا لايتولى رئيس الوزراء وزارة اللاجئين في الداخل والخارج ؟ ويعمل على بناء خطة لإعادة التوازن بين الهجرة اليهودية الى فلسطين وبين تنظيم صفوف اللاجئين الفلسطينيين في مختلف دول العالم وتحقيق طموحاتهم في حق العودة والمشاركة في الإنتخابات الفلسطينية , أم يريد أن يمتع نفسه بمشاهدة مباريات المونديال ويترك معاناة الشعب الفلسطيني تحت القصف والعدوان الإسرائيلي المتواصل , إضافة الى ذلك لم أرى خطيب وإمام جامع يتولى منصب رئيس نادي رياضي في أي من دول العالم الأسلامي فهذا توجه وذاك توجه آخر .

لقد كشف هنية في أحد تصريحاته أنه سيقوم بزيارة إلى دولة قطر تلبية لدعوة وجهها له الأمير القطري، حيث سيبحث خلال هذه الزيارة موضوع مدينة " ابوجهاد " الرياضية التي تبنت دولة قطر تكلفة تشييدها قبل نحو 10 أعوام وهو يعلم تماماً أنه مستهدف إسرائيلياً ولايستطيع مغادرة منزله عوضاً عن مغادرة الأراضي الفلسطينية.

وأكد رئيس الوزراء أنه سيولي الاتحادات والأندية الرياضية أهمية خاصة، حيث وعد بتوفير مقرات للاتحادات الرياضية ، إلى جانب تشييد مقر دائم لوزارة الشباب والرياضة بدلاً من استئجارها لمقرات مؤقتة , وهنا لنا وقفة ونتسائل كيف سيتم توفير مقرات للإتحادات الرياضية وهناك أزمة مالية خانقة تعصف بالشعب الفلسطيني وقيادته .

هناك من يقول أن الذي يحكمنا في وزارة الشباب والرياضة "ولد وخمس مساعدين" ولا أحد منهم يعرف مهنيا الفلسفه التي تقوم عليها الوزارة رغم أنها مكتوبة في النظام الأساسي للوزارة وهي إعادة دمج الشباب الفلسطيني في مجتمع مدني متحضر وقادر على صقل واطلاق طاقات وقدرات وابداعات الشباب، التي تأتي من خلال المشاركة في مرحلة البناء والاستقلال ضمن برامج تهدف الى تعزيز روح الانتماء الوطني والقومي لديهم لتنمية الاعتماد على الذات وترسيخ مفاهيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية .

ووضعت الوزارة نصب اعينها، وفي صلب اولوياتها، رعاية وتطوير قدرات الشباب الفلسطيني السوي القادر على الاسهام في بناء وطنه والارتقاء بمجتمعه المحكوم بالقيم الحضارية والانسانية من خلال البرامج الشبابية المنظمة.

البعض الآخر يتسائل ماذا نعمل ؟ حكومة حماس لم تصدق ولم تفي بوعدها حين قالت انهم سيبنون على ما هو موجود ولكن العكس هو الذي حدث تماماً ففي وزارة الشباب والرياضة كما في أغلب الوزارت إعتمدوا مبدأ الازاحة والاحلال رفعوا ناس من فتح وجابوا ناس من حماس ولا علاقة لهم بمهنية عملنا إطلاقا وكذلك في وزارات اخرى وكل مؤهلاتهم المهنية أنهم من حماس وعم يتلاعبوا فينا متل شوية أولاد صغار وماحدا منهم عارف شو يعمل .

وهنا ننصح حكومة حماس أن تفكر ملياً في الأمر قبل أن يهاجر الناس من فلسطين الى خارجها لتحقيق "نظرية الترانسفير الإسرائيلية" , والسبب أنهم قلقين على مستقبل فلسطين في ظل حكومة حماس وقديما قالوا في ظل حكومة فتحاوية من المسئول عن القهر الوظيفي في وزارة الشباب والرياضة الفلسطينية ؟ والآن يقولون من المسئول عن القهر الوظيفي في كل الوزارات التي تتولى قيادتها حماس ؟ . لذا ينبغي إعادة النظر في تشكيل حكومة وحدة وطنية لا تعتمد مبدأ " الإزاحة والإحلال " فالشعب الفلسطيني منقسم على نفسه بين فتح وحماس والنتيجة هناك طريق واحد هو أن الحكومة في طريقها الى الإفلاس .

صحيفة الحقائق اللندنية 20-06-2006م

124 الوهم المتبدد والهم المتجدد

أكدت عملية "الوهم المتبدد" أنها الورقة الرابحة للمقاومة الفلسطينية ولكنها في نفس الوقت "الهم المتجدد" للشعب الفلسطيني أينما كان وأينما وجد وهي بمثابة ورقة خاسرة لحجم الدمار الذي لحق بالأنفس والثمرات جراء العدوان الإسرائيلي المتكرر , هذه التناقضات التي يعيشها الشعب الفلسطيني هي القدر المفروض عليه سواء سار على درب الكفاح المسلح أو سار على درب السلام أمران أحلاهما مر , ومن هنا تزداد القضية تعقيداً وتستعصي على الحل حتى فقدت فلسطين برنامج الإجماع الوطني والإجماع العربي والإجماع الدولي , وإن كانت فلسطين هي ملتقى القارات ولكنها في الواقع أصبحت ملتقى التناقضات لذا فهي بلا ريب مفتاح السلم والحرب معاً .

لم تأت عملية "الوهم المتبدد" دون تخطيط وكذلك عملية "أمطار الصيف" لم تأت أيضاً دون تخطيط ولم تأتي كردة فعل , ولكلا العمليتين أبعاد سياسية يبررها كل طرف بما يخدم مصالحه والمحصلة النهائية تتمثل في النتائج التي سيجنيها كل طرف من عمليته والضحايا هم أصحاب "الهم المتجدد" أبناء الشعب الفلسطيني , وتعمل إسرائيل على معاقبة هذا الشعب ومطاردة أبناءه في كل مكان من دول العالم عبر نفوذها وسيطرتها على أصحاب القرار في معظم دول العالم بما فيها بعض الدول العربية التي تمارس أقصى درجات التجويع لهذا الشعب بل ومساومته على لقمة عيشه وحليب أطفاله وأدوية جرحاه وهويته التي يناضل من أجل الحفاظ عليها .

وتأتي عملية "أمطار الصيف" بعد العناق الحار بين إيهود أولمرت ونظيريه الفلسطيني والأردني في لقاء البتراء , الذي مهد لبتر أعضاء حماس في الحكومة الفلسطينية ولم تعد المؤامرة أمراً سرياً بل أصبحت علنية للأعمى والبصير على حد سواء , بل مازالوا يرفضون أن يسألهم أحد عن أسباب العناق والتصريحات التي يطلقونها بين الحين والآخر وكأنهم الأوصياء على القضية الفلسطينية بما يقدمونه من دعم دراهم معدودات نسمع عنها في الفضائيات ولايستفيد منها

الشعب الفلسطيني على أرض الواقع لأن إسرائيل تتحكم في المعابر والحدود والسياسة والإقتصاد وقرارات مجلس الأمن .

الشعب الفلسطيني لم يبقى له شيء يخسره وماذا بعد مصادرة الحرية والكرامة من خسارة ؟ وعليه فعدوان إسرائيل لقطاع غزة لن يزيد من الخسارة شيئا، بل ربما سيكون مفيداً في كشف نوايا العرب واليهود تجاه الفلسطينيين الأمر الذي يحتم على هذا الشعب أن يعتمد على الله ثم على إمكانياته الذاتية ولا ينتظر مساعدة أوعوناً من أحد وبالتالي سيكون أكثر واقعية في التعامل مع المستجدات والأحداث التي يواجهها بمفرده وخصوصاً أن إسرائيل التي تسعى لتنفيذ "خطة التجميع"، بعد أن أدركت أن قطاع غزة لن يكون سهل الإجتياح مع تكدس كل أنواع السلاح .

وجدير بالمقاومة الفلسطينية بعد كل هذا الدمار أن تحتفظ بالأسير الإسرائيلي وعدم تسليمه بالمجان ولنا في تجربة "حزب الله" عبرة وعليه ينبغي رفض الوساطة الضاغطة ولاسيما العربية والفلسطينية التي تهتم فقط بتسجيل إنجازات لموقعها وليس للشعب الفلسطيني , وليكن وسيط دولي قادر على الوفاء بإلتزاماته وأن يستبعد الوسيط الأمريكي والبريطاني الذين لم يحافظا على أحمد سعدات ورفاقه عندما إجتاحت إسرائيل السجن وإختطفتهم على مرأى ومسمع من العالم أجمع .

ولا يدل رد الفعل الإسرائيلي إلا عن تخطيط مسبق عجلته عملية الأسر وإفرازات الحوار الوطني التي انتهت بتوافق كاد يؤدي إلى حكومة وحدة وطنية التي ترفضها إسرائيل فكان إقتحام قطاع غزة الذي أعلن عنه مراراً ، ومخطط اعتقال الوزراء والنواب ليس جديداً وكان هو الحلقة الأخيرة والمؤكدة في إجراءات حصار حماس كحكومة وحركة , وإجبارها على التنحي عن الحكم أو إعلانها الاستسلام لشروط الإذلال الإسرائيلية والدولية.

إذا فالمخطط الإسرائيلي كان يهدف بالأساس إلى تقويض حكم "حماس" بعد أن يئس من طول صمودها وصبرها وتنامي التكيف الدولي والمحلي على وجودها, ثم تعاظم هذا الهدف الى تقويض السلطة ذاتها , كما استطاعت حماس أن تفكك قليلا من ألغاز الحصار عليها، فاستوعبت التهديد الداخلي فأنجزت وقامت بتعديل وثيقة الوفاق الوطني بما لا يضر

بثوابتها، واستخدمت أوراق المقاومة في صد العدوان الدموي، وعمدت إلى إدخال الأموال عبر معبر رفح بصورة علنية ، وحتى ما أتت به آلية الرباعية من حلول مالية كان مؤشرا على تبيان الموقف الدولي إزاءها وكأن العالم أجمع لايريد لهذه الحكومة المنتخبة ديموقراطياً أن تبقى ، ولذا كان المخطط الإسرائيلي سريعا في التنفيذ بمباركة تكاد تكون عالمية لولا المظاهرات التي بدأت من عواصم غربية لنصرة القضية قبل أن تتبعها دول عربية .

الموقف الأميركي المنحاز بامتياز لإسرائيل لم يبرر لها فقط ما تفعله من عدوان جديد واغتيال فاضح للديمقراطية الفلسطينية وهذا يدل على أن أمريكا وحلفائها وإسرائيل جميعهم لايرغبون في الإصلاح الحقيقي ولا في الديموقراطية لأي من الدول العربية حتى يبقى مسلسل الصراع مستمر إبتداء بإحتلال أفغانستان والعراق مروراً بالتآمر على إيران وسوريا ولبنان , وبذلك تكشف أمريكا القناع عن وجهها الحقيقي تجاه خطط "الحرية والإصلاح" التي تريده إصلاحاً مفصلا على مقاسها وهي لاتقيم للحريات وزناً ، وهذه لطمة مهمة في وجهة االمناصرين للنموذج الأميركي من العرب المتصهينيين .

الموقف العربي الرسمي لا يكف عن المبادرات والتطوع لدور وسيط يكسبه بعض الود لدى الولايات المتحدة بحجج واهية مثل العقلانية والواقعية ، فمن جهة عمدت كل الوساطات العربية إلى الإفراج عن الجندي بدون ثمن، بينما لم يتفوه أي منها بشيء إزاء الجرائم الإسرائيلية السابقة , بل والأنكى أن مصر عمدت إلى نشر 2500 جندي استجابة للطلب الإسرائيلي الخائف من نقل الجندي خارج قطاع غزة، وهم بالطبع غير آسفين على اعتقال الديمقراطية الفلسطينية لان نجاح حكومة حماس كان سيكلفهم الكثير داخليا.

لذا يجب السكوت لأن المصالح متقاطعة، وسقوط المراهنة الأميركية على إصلاح يؤدي إلى إسلام أميركي يسعدهم أيضا، وشراكتهم بالحصار ضد حكومة حماس كان معروفاً من قبل، بل حتى تهديد سوريا بطائرات أف-16 مجددا لم يفعلوا شيئا إزاءه، مما يدل على أن الوضع العربي وصل إلى الحضيض , لماذا ؟ لأنه لم يتخذ مواقف إيجابية لنصرة القضية وهو الذي ضحى بأفغانستان والعراق واليوم هو يجدد أالتضحية بفلسطين ولن يفعل شيئا حتى ولو

جرى احتلال العواصم العربية واحدة تلو الأخرى، لذا لا مراهنة فلسطينية على هذا الموقف المتخاذل .

ومن المواقف المتخاذلة أيضاً ماصرح به البابا بنديكت السادس عشر لانهاء أزمة الرهائن في المناطق الفلسطينية قائلا ان على النشطاء الفلسطينيين أن يطلقوا سراح الجندي الاسرائيلي وعلى الجانبين أن يستأنفا الحوار, وأهمل إنهاء إعتقال أعضاء الحكومة الفلسطينية وباقي الأسرى قبل الحوار وناشد القيادتين الاسرائيلية والفلسطينية وبمساهمة كريمة من المجتمع الدولي ان تسعيا الى تسوية للنزاع بعد مفاوضات حيث ان التسوية هي الوحيدة التي من شأنها ضمان الامن الذي ينشده شعباهما الأمر الذي يجعلنا نقول حتى أنت يابابا .

وأخيرا فإن عملية "الوهم المتبدد" جرت بامتياز عسكري وسياسي ويمكن أن تتوج بتسجيل نجاح إستراتيجي للمقاومة الفلسطينية بالإفراج عن أسرى فلسطينيين لولا تورّط جهازيْ "الأمن الوقائي" و"المخابرات العامّة" في الكشف عن مكان المجنّد الصهيونيّ الذي أسَرَته "المقاومة الفلسطينية" وقتلته في وقتٍ لاحق الأمر الذي عقد مهمة المقاومة في إدارة الأزمة أمنيا وسياسيا وأفرزت "الهم المتجدد" , لمعاناة كل فلسطيني يعيش في هذه الحقبة من الزمن .

صحيفة الحقائق اللندنية 10-07-2006م

125 فلسطين سقطت بالرشوة

بعد هزيمة يونيو حزيران عام 1967م , قال الجنرال موشي ديان في إجتماع مغلق في نيويورك مع المولين اليهود " إذا كنتم تعتقدون إننا هزمنا العرب بالحرب في معركة الأيام الستة فأنتم جاهلون الحقيقة .. إننا هزمناهم بالرشوة ... بالأموال التي دفعتموها لنا ... إننا رشونا كل من له علاقة بفلسطين ... إننا لانريد فلسطين للبكاء على الهيكل ... إننا تجار هذه الأيام ... إن هدفنا هو السيطرة على المنطقة بأسرها .. ! المنطقة الهامة التي تتحكم بالممرات المائية والثروات البترولية التي تسير العالم , نأمل أن تتابعوا تبرعاتكم حتى نكمل سيطرتنا ونصبح أسياد العصر ... وشعب الله المختار (1)

هذه المقدمة فيها مجمل القضية وإجابة لسؤال هام وهو لماذا هذا الصمت العالمي والتخاذل العربي والدولي ؟ . فمن أجل جندي إسرائيلي أسر في معركة إتخذت قضيته ذريعة لإسقاط حكومة حماس بالتعاون مع أطراف عالمية وعربية عديدة ولن نستثني منها الفلسطينية , ونحب أن نؤكد أن إصرار أولمرت على "خطة متواصلة تستنزف فصائل المقاومة" هو السبب في تأجيل الإجتياح الكامل , وليست الوساطة المصرية أو الأردنية أوالروسية أوغيرها من الوساطات التي سوف تأتي تباعاً .

وهنا نؤكد أيضاً حتى لو قبلت حماس بالإفراج عن الأسير اليهودي فلن تنتهي هذه الحملة الظالمة التي تؤيدها منظمات حقوق الإنسان بصمتها عما يجري هناك وتؤيدها الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن والتي تمتلك حق الفيتو الذي لم يستخدم يوماً ما من أجل القضايا العربية أو الإسلامية وإنما يستخدم دائماً لمصلحة إسرائيل والدول الكبرى , أما الفصل السابع فوضع اساساً للدول العربية والإسلامية , لذا كنا على حق عندما نصحنا أشقائنا الفلسطينيين أن لايعتمدوا على قرارت الأمم المتحدة أو قرارات مجلس الأمن كما أن لايعتمدوا على إخوانهم العرب لأنهم عاجزين تماماً عن إيجاد حلول لمشاكلهم عوضاً عن تقديم يد العون والمساعدة , أما الشعوب العربية والإسلامية فهي مغيبة تماماً , وهنا نتسائل

لماذا نتمسك بالمبادرات التي تهيء لإسرائيل الإستفادة من نتائج أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م .

وعودة الى موضوع الرشوة وأهميته نجد أن الاعتقاد السائد في تل ابيب هو ان هناك وساطة من دولة ما ستكلل بالنجاح وان الجندي الاسرائيلي الاسير سيعود الى اسرائيل قريبا لقاء وعد حكومي شفوي غير مكتوب من رئيس وزراء اسرائيل ايهود اولمرت على أن يطلق سراح اسرى فلسطينيين في المستقبل القريب , وبالتالي تكون هذه الوساطة قد منحت حكومة تل ابيب فرصة للحفاظ على ماء وجهها , بعد أن دمرت البنية التحتية من ماء وكهرباء وغيرها من الخسائر المادية والبشرية.

إن كان هناك من يحذر من الصفقة بقوله " انا احذر الدول والحكومات والقوى والاطراف التي تضغط على المقاومة لاطلاق سراح الجندي بلا مقابل لان ذلك يعني فشل العملية " . ولكن هناك صهاينة عرب لابد أن ينجحوا في زحزحة المواقف العربية المتشددة بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى لأن عهد المبادرات الأمريكية قد ولى دون رجعة لإنكشاف أهدافهم عبر العقود الماضية , لذا لابد من وسطاء عرب ليقوموا بالمهمة خير قيام ولايمنع أن ندفع لهم مقابل أتعابهم .

إن التعنت الإسرائيلي بقيادة إيهود أولمرت الذي أخذ موافقة من واشنطن ومن عواصم غربية وعربية وأطراف فلسطينية للقيام بمهمة إزاحة حكومة حماس التي طلب منها دولياً وعربياً الإعتراف بإسرائيل والإلتزام بالإتفاقيات مع حكومات سابقة , ووقف أعمال المقاومة ضد إسرائيل في الوقت الذي تقوم فيه إسرائيل بعدم الإلتزام بأي إتفاق على الإطلاق , وماتقوم به إسرائيل سابقاً ولاحقاً مبني على قاعدة النوايا الحسنة , أي ليس على اساس مكتوب او ملزم قانونيا , او بتواريخ محددة لأي إتفاق كان في الوقت الذي تؤكد فيه إسرائيل يوماً بعد يوم أنه لايوجد لديها أي نوايا حسنة تجاه الشعب الفلسطيني وتجاه الشعوب العربية الأخرى .

إن من يعتقد أن إعادة إحتلال قطاع غزة من جديد بسبب الأسير الإسرائيلي فهو خاطيء , فهناك تقارير كثيرة تفيد بأن جيش الاحتلال الاسرائيلي خرج إلى حملة الاعتقالات الواسعة هذه وهو يحمل أوامر اعتقال موقعة من قبل قضاة اسرائيليين بعد سلسلة من الإجراءات

أجرتها الشرطة الاسرائيلية بالتعاون مع النيابة العامة الاسرائيلية , وتؤكد مصادر إسرائيلية إن أوامر الاعتقال خطط لها قبل عدة اسابيع وصادق عليها المستشار القضائي للحكومة الاسرائيلية "ميني مزوز" , كما أن رئيس الشاباك "يوفال ديسكين" عرض على رئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود اولمرت قائمة "المطلوبين" من حكومة حماس ليصادق عليها , وهي محاولة اوسع للاطاحة بالحكومة الفلسطينية بقيادة حركة حماس .

في إسرائيل هناك من يقول ان الاتفاق الذي تم التوصل اليه بين حماس وفتح حول "وثيقة الاسرى" التي تحمل اعترافا ضمنيا باسرائيل كان محاولة "هزلية" من قبل رئيس الوزراء اسماعيل هنية "ليمنح نفسه تامينا على الحياة" , كما أن هناك من يعتقد بعجز إسماعيل هنية عن القيام بأي شيء لإطلاق سراح الأسير "جلعاد شاليت" مدعين بأنه ليس له اي نفوذ تماما مثل الرئيس محمود عباس" الأمر الذي ضغط على إيهود أولمرت لاخراج الجندي الاسرائيلي من قطاع غزة سالما بالقوة ومن دون تنازلات وقد تستخدم الرشوة لأطراف متعددة , لتفسح له المجال لتنفيذ خطته للفصل بعد تسوية الامر , ولاسيما أنه تعهد باعادة ترسيم حدود الدولة العبرية بحلول عام 2010م , بالتفاوض مع الفلسطينيين او دون التفاوض معهم.

وبررت وزارة الخارجية الاسرائيلية حملة الاعتقالات في بيان، بالادعاء أن احداث الفترة الاخيرة خصوصا اطلاق قذائف «القسام» وخطف الجندي، هي «تجسيد لسياسة الارهاب التي تنتهجها الحكومة الفلسطينية». واضافت ان تبني مسؤولية هذه الاحداث والمطالبة بتبادل اسرى التي صدرت عن وزراء في حكومة «حماس»، تثبت ان الغاية الاساسية لـ «حماس» ليست القلق على حياة الشعب الفلسطيني انما تنفيذ «عمليات ارهابية» ضد اسرائيل و «عليه قررت اسرائيل من منطلق واجبها الاساسي تجاه مواطنيها ان تطبق قانون منع الارهاب».

أما مبررات إيهود أولمرت عن العملية فهو يقول إنها عملية جراحية صغيرة في غزة وهو لايعلم أنها قد تتحول الي عملية دموية كبيرة أو إنتفاضة شعبية جديدة وأن من يبدأ الحرب لايستطيع التنبؤ بوقت إنتهاءها , وهنا نتسائل كيف تكون عملية جراحية صغيرة ؟ , وهي

تعاقب جميع سكان قطاع غزة بقطع الماء والكهرباء وباقي الخدمات والقصف مازال يتواصل بالصواريخ والمدفعية , وأن حجم الحشود العسكرية كبير , وإن كان القصد منها هو استعراض للقوة لتأمين اطلاق سراح الجندي، الا انها بالنسبة للمراقب الخارجي لا تخرج عن كونها عملية عقاب جماعي من ذلك النوع الذي يحظره القانون الدولي.

ومما سبق نستطيع التأكيد والمراهنة على التفاوض مع ايهود اولمرت تشكل مضيعة للوقت كما كانت سابقاً مع سلفه شارون , والقيادة الإسرائيلية الجديدة لاتريد السلام وحركة حماس محقة في موقفها الرافض للاعتراف باسرائيل قبل انهاء الاحتلال وتفكيك الاستيطان اولا , وعليه لابد من إلغاء أي إجتماع بين عباس وأولمرت لأن "الفلسطينيين والاسرائيليين اتفقوا على عدم استئناف محادثات السلام مطلقا" وبداية مرحلة جديدة من الإرهاب الإسرائيلي مع مزيد من التصعيد الذي بالتأكيد سيخرج عن سيطرة إيهود أولمرت الذي جاء من خلفية مدنية غير عسكرية ولايعرف كيف أن التصعيد العسكري قد يخرج عن السيطرة ولاسيما أن وزير الدفاع عمير بيرتس يريد أن يحقق أهدافه على حساب الشعب الفلسطيني وعلى حساب حياة الجندي الأسير .

لذا سيستمر العدوان بالقوة تارة وبالرشوة تارة أخرى لتسقط عواصم عربية أخرى دون أن يوجد في هذا العالم صوت معتدل يقول دعونا نتوقف , وعليه يكون السلام بين الفلسطينيين والاسرائيليين والعرب اصبح ضربا من الاحلام حيث لم يحدث اي تقدم في المفاوضات منذ سنوات ولن تقبل إسرائيل بأي مبادرات طالما أمريكا وحلفاءها تقدم لها الدعم والمبررات , وهناك من بني جلدتنا يتقاضى الرشوات .

صحيفة الحقائق اللندنية 03-07-2006م

----

(1) جريدة (جويش كرونيل) صادرة بشهر مارس عام 1968م

126 تنمية الشعور بالإنتماء للوطن

قد يتعرض الكاتب أو المفكر أو أي شخصية إنسانية الى الشعور بالإحباط وعدم المشاركة والإنطواء وقد يكون في ذلك الخير الكثير له حتى يعيد تقليب الأمور من جديد وإعادة ترسيخ المفاهيم وهذا ماحدث لي خلال الحرب السادسة وهي الحرب غير العادلة والهمجية والبربرية ولكن حب الشعور بالوطنية جعلني أنفض الغبار عن بعض الأسباب التي أصابتني بالإحباط وعدم الكتابة وهنا نود أن نعتذر من كل عاتب وأبرر ذلك بأن الصدمة كانت كبيرة والأمل كان أكبر ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا .

إن الشعور بالوطنية هو الذي أعاد التوازن الى أعماق نفسي لأعود من جديد للكتابة والدفاع عن قضايا الأمة فنحن في جهاد ولهذا نعتبر أن تنمية الشعور بالإنتماء للوطن من أهم عوامل النهوض بالجاليات عموما والجالية الفلسطينية بشكل خاص , ولنعود قليلاً الى التاريخ ونستخلص منه العبر فتاريخ الحركة الصهيونية حافل بالمعتقدات الدينية والتاريخية وحول الإرتباط بأرض فلسطين فهم يعتبرونها الأرض المقدسة وأرض الآباء والأجداد التي وعدها الرب لموسى عليه السلام حتى أن التوارة التي بين أيديهم تركز على أهمية هذه الأرض بالنسبة لليهودي .

ورغم إعتقادنا بأن هذه التوراة التي بين أيديهم محرفة ولكن المهم أنهم يؤمنون بها فهم يقولون بأن التوراة تقول بأن اليهودي الجيد يسعى دائماً أن يعيش في الأرض المقدسة وأن يموت فيها وأن كل يهودي يموت خارجها إنما هو لم يحيى حياة يهودية قويمة وينطبق ذلك على القدس التي يسمونها أورشاليم وهذا مايفسر هجرة بعض اليهود عبر القرون على أسس فردية الى فلسطين وقد زاد عدد هؤلاء الى درجة أنهم شكلوا بؤراً إستيطانية في مدن فلسطينية كثيرة .

ولهذا يجب أن نبدأ بتعريف الوطن ونركز على الوطن العربي الكبير ثم نتطرق الى فلسطين كوطن للفلسطينيين ونعرف أبناء فلسطين بحدودها الجغرافية وتوضيح المخاطر التي تواجه الوطن وتصنيفها الى إجتماعية , وتربوية , وأخلاقية , وثقافية , ودينية , وسياسية ,

وإقتصادية , وغير ذلك من التصنيفات , كما ينبغي التعريف بالأهداف الوطنية , وإعتماد وسائل تنمية الشعور بالوطن من خلال التركيز على المدارس ومناهجها الدراسية ودورها في تنمية الشعور بالوطن .

كما لاننسى الندوات ودورها في تعزيز تنمية هذا الشعور والتركيز على الإجتماعات لنستشعر من خلالها وفي كل مناسبة هذا الشعور , كما لاننسى التأكيد من خلال المحافل الدولية كلما سنحت الفرصة لكل فرد من أبناء الوطن سواء الوطن العربي الكبير أو فلسطين , وعلى كتابنا وأدباؤنا ومفكرينا وعلماؤنا نشر تلك المعتقدات في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى .

كما يجب تعزيز دور تنمية الشعور الوطني في الكتب التاريخية والأدبيات , وأهمية دور علماء الآثار وذلك من خلال دراساتهم وأبحاثهم لتوضيح الحقائق بما يمتلكون من أدلة تاريخية من خلال الآثار والحفريات وغيرها من الأدلة فالعودة الى الآثار تؤكد على ملكيتنا وحقوقنا في هذه الأرض المقدسة , وكذلك على علماء الدين المسلمين التركيز على المعتقد الديني والمبني على الأدلة الشرعية لتأكيد هذا المعتقد عند أبناء فلسطين على وجه الخصوص وأبناء المسلمين بشكل عام .

إن المعتقد الديني يقوي الشعور بالإنتماء للوطن والعقيدة والأرض المقدسة , فتحرير القدس والمسجد الأقصى مسؤولية لاتخص أبناء فلسطين وحدهم وإنما تخص كل مسلم غيور على مقدساته التي تنتهك حرمتها كل يوم على مرأى ومسمع العالم أجمع , وكذلك ينبغي علينا مقاومة المعتقد اليهودي الديني فكما ذكرت أعلاه ماذا يعتقدون دينياً بشأن الأرض المقدسة والقدس والهيكل وغيرها من المعتقدات التي مازالوا يؤمنون بها ويسخرون طاقات العالم لخدمة أهدافهم التوسعية والإستعمارية .

ولهذا وجب علينا إحباط كل مشاريع ومخططات الهيمنة على الوطن فلسطين وعلى الوطن العربي والإسلامي الكبير , كما أن تعزيز الوحدة الوطنية بمفوهمها الفلسطيني ومفهومها العربي والإسلامي فالمسلمين يجمعهم دين واحد يجب عليهم الدفاع عن هذا الدين , كما لاننسى تقوية الشعور بالإنتماء للوطن وهنا أكرر الوطن فلسطين والوطن العربي والإسلامي الكبير , من خلال أبحاث فكرية وبرامج عمل مشتركة , كما ينبغي التركيز على حق العودة

الفلسطيني في كل المناسبات والمحافل الدولية وإعادة إجترار قرارات الشرعية الدولية والتذكير بها في كل مناسبة .

أيضاً من الضروري التركيز على حق العودة من خلال المعتقد التاريخي والمعتقد الديني للأرض المقدسة والمقدسات الإسلامية والتعريف بأرض الآباء والأجداد , ومقاومة المعتقد اليهودي المبني على معلومات تاريخية فنحن في صراع مع عدو ماكر وشرس , كما لاننسى أن تنمية الشعور بالوطن يحتاج منا الى وقفة صادقة مع النفس لتعريف من هو المواطن ونؤكد على تحديد المصطلحات حتى يكون الجميع من أبناء الوطن على بينة وعلم ودراية , وكذلك التركيز على ترسيخ مفاهيم العدالة والحرية والمساواة والمشاركة السياسية وكذلك مواجهة الأخطار التي تهدد النسيج الوطني .

صحيفة الحقائق اللندنية 09-10-2006م

127 لكل زمان دولة ورجال

تلعب القيادة دوراً بارزاً في حشد الجماهير وتنظيمها وشحذ الهمم كما يمكنها أيضاً الإستفادة من طاقاتها , وتستطيع أيضاً تفعيل دور العمل التطوعي لديهم , وبالتالي تحقيق أهداف القيادة وجماهيرها وهي أولى الخطوات العملية للتغيير , فإذا كان هناك قائد يتسم بشخصية مؤثرة وكاريزما بمهارات قيادية عالية تملك روح المبادرة والتأثير من خلال مجموعة من الأفراد تؤمن بمبدأ العمل الجماعي الجماهيري من خلال برنامج عمل يأخذ بعين الإعتبار الظروف المختلفة سواء كانت سياسية أو إجتماعية أو إقتصادية والبيئة التي ينطلق منها وكذلك مناخ المجتمع الدولي بشكل عام وقابل للتعديل والتطوير طبقاً لكل مرحلة من المراحل .

جاءت مقدمة المقال لتبين عجز القيادة الفلسطينية في هذا الزمان عن الإلتزام بمسئولياتها تجاه أبناء شعبها الفلسطيني في الداخل وفي أماكن اللجوء والشتات , وإذا أردنا توصيف الحالة هذه بشكل عام فإننا نحتاج الى مزيد من الشرح والإيضاح ولن يتسع المجال في مقال لتوضيح ذلك ولكن لو أخذنا دور الجالية الفلسطينية في المملكة العربية السعودية خلال مرحلة مابعد حرب عام 1967م الى وقتنا الحاضر وبشكل موجز وسريع .

ويعتبر هذا المقال أيضاً بمثابة دعوة للكتاب الفلسطينيين في كل الدول أن تبدأ بدراسة وضع الجاليات في بلدانها من خلال الدراسة التاريخية والتطورات التي حدثت خلال مرحلة تاريخية لنضع أيدينا على الأسباب التي أدت الى تدهور الأوضاع بشكل عام حتى نتعظ من دروس الماضي لبناء إستراتيجية مستقبلية لهذا الشعب الذي مازال يعاني من التشرد والتشرذم والضياع والنسيان وفقدان الأمل والتيه ويتعرض لخطر ذوبان الهوية وكثير من الصعاب لايحضرنا حصرها الآن .

عندما كانت هناك قيادات فلسطينية وعربية واعية في مطلع الستينات إستطاعت أن تشهد تلك الحقبة من الزمن إنطلاق الثورة الفلسطينية وفي المملكة العربية السعودية أعلن الملك فيصل يرحمه الله البدء في تشكيل اللجان الشعبية وتنظيمها وتحديد أهدافها بعد هزيمة

يونيو حزيران عام 1967م برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض .

وتبنت تلك اللجان مشروعات وأنشطة منها مشروع ريال فلسطين , ومشروع سجل الشرف , ومشروع الإلتزام بنسبة 5% , ومشروع التبرع بنسبة 1% , ومشروع الفتاوى الشرعية , ومشروع حملات التبرعات ,وسارت القافلة بنجاح بفضل الله ثم بفضل القيادات الوطنية الواعية والمخلصة لقضايا الأمة .

وبعد أن حققت تلك المشروعات الكثير من النجاحات بدأ الإنحراف عن الخط السليم مع بداية معاهدة كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل وبدأت القيادات تتخبط وتتناحر فيما بينها ولاسيما بعد إتفاقية أوسلو التي دمرت مابقي من جسور الدعم والتأييد .

وعود على ذي بدء نود أن ندلي بدلونا فيما يتعلق بالأسباب التي أدت الى تدهور الوضع الفلسطيني بشكل عام وفي السعودية بشكل خاص ومنها : عدم وجود قيادات فلسطينية تعمل على حشد الجماهير وتفعيل دورها والإستفادة من الدعم السعودي الكبير حكومة وشعباً لأبناء فلسطين , وأيضاً نقص المعلومات الديموغرافية والدراسات اللازمة عن الوجود الفلسطيني في السعودية , كما لاننسى عدم وجود تجمعات فلسطينية تحافظ على اللحمة الفلسطينية وعاداتها وتقاليدها وثقافتها وغيرها.

ومن المهم أن لاننسى غياب دور المظلة التي يتمتع من خلالها الفلسطيني بالقيام بالأنشطة المدنية التي تحافظ على الهوية الفلسطينية من خلال السفارة والجالية ومؤسسات المجتمع المدني , كما يجب أن لانغفل دور القيادة السياسية لمنظمة التحرير إزاء الغزو العراقي لدولة الكويت الشقيقة والأثر السلبي الذي أحدثه هذا التأييد ونشكر الرئيس محمود عباس على الإعتذار الذي قدمه لشعب وحكومة الكويت عن مواقف قيادات سابقة .

لقد كان الفلسطينيين يتمتعون ببعض الإستثناءات كالقبول في المدارس والجامعات ولكن هذه الإستثناءات بحاجة الى تجديد ومواصلة الإجتماعات مع القيادات في المملكة العربية السعودية لتبقى قائمة وكذلك كان هناك إستثناءات فيما يتعلق بعقود العمل للفلسطينيين

ولكن بعض القيادات الفلسطينية بعدت عن الإهتمام بها , الأمر الذي أدى الى غياب تلك الإستثناءات وأصبح الفلسطيني حسب التشريعات والأنظمة أجنبي أسوة بغيره .

ومن الأهمية بمكان أن نركز على غياب دور رجال الأعمال الفلسطينيين في التعاطف مع أبناء جلدتهم من أبناء الجالية وأبناء المجاهدين وأسرهم وهذا الدور يتمثل في الدعم المالي في كل الأنشطة وغياب هذا الدور في المساعدة على توظيف وتشغيل أبناء الجالية , وغياب الدور الأهم لهذه الفئة في خلق أنشطة إقتصادية تدعم القضية الفلسطينية وتنشيط الإستثمارات المختلفة .

وبعد أن تعرفنا على بعض الأسباب , ينبغي أن نبحث عن قيادة حكيمة لتفعيل دور عوامل النهوض والنجاح من خلال الدراسات الفلسطينية التي ينبغي أن تدرس أخطاء الماضي والعمل على تلافيها , وتفعيل دور المظلة الفلسطينية سواء كانت سفارة أو جالية أو مؤسسات مجتمع مدني وهذه المظلة يمكنها الإستفادة من قدرات أبناء الجالية المهنية والشخصية من خلال الوضوح والإنفتاح في العمل على مبدأ ثقافة التقييم والشفافية بما يخدم الشعور بالوطنية والإنتماء للجالية ولابد للقيادات الحكيمة التي تقود هذا الشعب أن تعمل على الإبتعاد عن القضايا الخلافية والتركيز على المباديء المشتركة والمتفق عليها.

وللأسف الشديد نكتب هذه الكلمات في الوقت الذي يبدوا أن الخلافات على أشدها بين الفئات الفلسطينية المتصارعة في الداخل حتى بدأت بعض الشخصيات العربية المختلفة بالمبادرات تلو المبادرات لتقريب وجهات النظر لتشكيل حكومة وحدة وطنية وكأن الصراع على السلطة التي أصبحت برأسين وجسدين حتى أنني ذكرت في إحدى المقالات عن دولتين فلسطينيتين أحدهما في الضفة بقيادة رئيس السلطة الوطنية والأخرى في غزة بقيادة حماس أو العودة الى ماقبل الإحتلال الإسرائيلي في عام 1967م أي تبعية قطاع غزة الى الحكم الإداري المصري أما الضفة الغربية فتتبع النظام الأردني وبالتالي يتلاشى أي أمل في قيام دولة فلسطينية حسب رؤية الرئيس بوش .

أو العودة الى مابعد الإحتلال وتقوم إسرائيل بإحتلال الضفة والقطاع وبالتالي نكون قد عدنا من حيث بدأنا حتى يهيء الله لهذا الشعب قيادة واحدة برأس واحدة تعمل على توحيد المفاهيم لدى أبناء الشعب الفلسطيني في الداخل وفي المهاجر والشتات ويكون هناك تنسيق ميداني على كافة الأصعدة وتعيد الثقة لأبناء الشعب الفلسطيني الذي أصبح البعض منهم يميل الى إخفاء هويته ولهجته ويرغب في الإندماج والذوبان في أي مجتمع , ولهذا نحن نتساءل متى يعود الزمان ؟ , الذي نجد فيه رجال عظام لقيادة هذا الشعب والوصول به الى بر الأمان وتحقيق طموحاته في دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس الشريف .

صحيفة الحقائق اللندنية 13-10-2006م

128 فك الإرتباط

إنشغل العلماء والفلاسفة منذ بداية التاريخ الى محاولة التعرف على حقيقة الموت ، فكانت لهم تصورات عديدة مستوحاة من مذاهبهم ومواقفهم الفكرية , فكان منهم من تصور الموت تصوراً "مادياً" فلم يَرواَ فيه أكثر من توقف الجسد عن أداء وظائفه الفسيولوجية لسبب طبيعي ، أو لسبب مفاجئ يختم به العمر , وكان منهم آخرون تصوروه تصوراً "روحياً" يتم فيه فك الارتباط بين الروح والجسد ليكون ذلك مرحلة ضرورية للوصول إلى مرحلة أخرى جديدة تتجلى فيها الحياة تجلياً آخر أي الإنتقال من الدار الدنيا الى الدار الآخرة .

وفي فرنسا أدت معركة بناء النموذج العلماني إلى فك الارتباط بين الدولة والكنيسة التي لم تخلُ من كثير من الاحتقانات والمصادمات الفكرية والسياسية العنيفة طوال النصف الأول من القرن العشرين , حتى ثبتت مبدأ "العلمانية" في دستور عام 1946م , ثم في دستور 1958م , باعتبارها ركيزة من ركائز الديمقراطية والنظام السياسي ، وشددت عليها كقيمة عليا تحكم حركة المجال الاجتماعي والسياسي العام.

وهذا هو مربط الفرس الذي سنتحدث عنه "فك الإرتباط" بين الضفة الغربية والشرقية أي بين الأردن وفلسطين وجاء هذا المقال متزامناً مع بالونات الإختبار المفاجئة التي أطلقها وزير الداخلية الأردني "عيد الفايز" وهو ماسمي نفض الغبار عن ملف قرار فك الإرتباط الذي أعلنه الملك حسين يرحمه الله في 1988/7/31م.

والسؤال المطروح بقوة الآن هو ما هي المبررات أو الدوافع التي حدت بالحكومة وفي هذا التوقيت بالذات لنفض الغبار المتراكم لملف يعتبر بحق من أخطر الملفات المتروكة ؟ ويعتبر من أكثر القرارات إثارة للجدل في حينه وهو القرار الذي تضرر منه آلاف من أبناء الضفتين الشرقية والغربية لما ترتب عليه من نتائج وإن كان هذا القرار قد بدا أن في ظاهرة الرحمة إلا أن باطنة العذاب ونخشى أن يكون إعادة النظر فيه أيضاً يؤول الى نفس النتائج السابقة ليبدوا في ظاهره الرحمة ومن باطنه العذاب مرة أخرى .

ومن هنا أناشد أعضاء اللجنة التي تشكلت لإعادة النظر بملفات آلاف الأفراد والعائلات التي عانت ومازالت تعاني من تطبيقات قانون "فك الارتباط" أن يكون هدفها الحقيقي والجوهري هو إعادة تصويب الاخطاء وتنقيح الاجراءات ورد المظالم الى أهلها وأن تكون عوناً لهم لا عوناً عليهم , كما أطالب القيادة السياسية والإستخباراتية التي تقود البلاد الى توضيح الخطوة السياسية الكبيرة التي من أجلها تم الإعلان عن فتح هذا الملف الكبير والخطير .

ومنذ الإعلان عن تشكيل اللجنة نتج عن ذلك أمرين في غاية الأهمية هما :

أولاً : الإعتراف الرسمي ولأول مرة بوجود تعسف وإجراءات ظالمة نتجت عن تطبيقات قرار "فك الارتباط" .

ثانياً : أن هذا القرار لم يعد مقدساً أو محرماً وإن إمكانية مراجعته واردة ولاسيما أن المحكمة العليا الاردنية أفتت بانه قرار سياسي وسيادي وليس دستوريا بمعني ان من اتخذ القرار يستطيع التراجع عنه فمتخذ القرار هو الأب ومن يستطيع التراجع عنه هو الولد .

ولكي تقطع الحكومة الشك بالقين فلابد من قيام الجهات المعنية فيها بحملة علاقات عامة تعمل على توضيح المبررات المنطقية للسياسات الداخلية والخارجية ولايكفي تبريرات وزارة الداخلية التي كانت تستند الي اعتراف ضمني بوجود حالات تعرض فيها آلاف الافراد والعائلات علي المعابر والجسور للظلم والجور وأنها تبدي رغبتها وإستعدادها لإصلاح هذا الخلل في الوقت الذي لم تعلن القيادة السياسية والإستخباراتية عن نيتها أو هدفها السياسي .

ويرى بعض المحللين السياسيين والمخططين الإستراتيجيين أن الهدف من هذا الاعلان يتجاوز البعد الانساني والاخلاقي ويساعد أصحاب القرار في جس النبض وتلقي مؤشرات تحدد ردود فعل أنصار ومؤيدي قرار "فك الارتباط" في الشارع والنخبة وفي الضفتين الشرقية والغربية وكذلك ردود فعل خصوم هذا القرار من دعاة الوحدة بين الشعب الواحد في الضفتين .

ومن الممكن القول بأن من أطلق هذا البالون الذي لا يستهان بأهميته علي أمل ان تستشعر الجدل الممكن والتأثيرات المحتملة لأي ظرف سياسي او جغرافي او اقليمي يمكن ان يضطر الأردن لاحقا لمراجعة قرار "فك الارتباط" أو حتي التراجع عنه.

ومن المعروف ان آلاف من الفلسطينيين تضررت مصالحهم بسبب تقلبات المزاج الإستخباراتي والاداري الاردني علي الجسور والمعابر , وقد سبق وأن إشتكوا من التوسع في عملية استبدال البطاقات لان سحب البطاقة من لون واستبدالها باخرى من لون اخر يعني ببساطة حرمان الشخص من الاقامة في الاردن واعتباره زائرا بدلاً من كونه مواطناً مما تسبب في إثارة الجدل عشرات المرات ومما تسبب أيضا بانتقادات لآداء الحكومة الأردنية محلياً وعالمياً .

وعملية جس النبض اثمرت في الواقع فقد صرحت عدة شخصيات تبدو مقتنعة بالحفاظ علي قرار فك الارتباط كمنجز سياسي يعتقد انه يخدم الهوية الوطنية الاردنية لرفض محاولات المراجعة التي اعلنتها وزارة الداخلية علي اعتبار ان تطبيقات قرار فك الارتباط بنيت علي اساسها اوضاع قانونية وصدرت بموجبها قرارات قضائية والحديث عن المراجعة هنا يعني الغرق في حالة فوضي في الكثير من الاتجاهات.

وهذا الرأي تسانده نخب متعددة تتصور بان التركيز علي ما هو سياسي في مراجعة قرار فك الارتباط يعني اقتراب الخيارت السياسية الاقليمية التي ستحاول حل مشكلة فلسطين والفلسطينيين علي حساب الاردن والاردنيين .

ومن الواضح ان استدراكات الحكومة الاردنية كان لها غرض حكيم يتمثل في حصر جدل المخاوف السياسية من هذه المراجعة فالفرصة متاحة للاتهام والتشكيك والعودة لاسطوانة الخيار الاردني او الوطن البديل وانصار قرار فك الارتباط هم الاكثر تطرفا باسم الهوية الوطنية الاردنية.

فالاعتراف بوجود اشكالات وتجاوزات مست بحقوق المواطنين الاردنيين من اصل فلسطيني بسبب تطبيقات "فك الارتباط" شيء جديد والتحدث عن مراجعة اجراءات فك الارتباط شيء اخر .

ولهذا ننصح بالعودة الى الجذور التاريخية التي يجب عدم إغفالها وسنوضح ذلك في عجالة قصيرة لتكتمل الصورة لدى الفريقين , إذ أن مفردة الضفتين تعود الى تاريخ الإرتباط منذ إنضمام الضفة الغربية إلى الأردن في 5 نيسان 1950م , وبهذه المناسبة لابد من التذكير بأن الآباء والأجداد كانت لهم رؤية شمولية أوضح من الجيل السياسي الحالي وكانت لديهم

طموحات أسمى وأكبر ، فقد بدأ الأمير عبد الله جد الملك حسين بن طلال العمل على وضع بنية لإدارة الحكم في شرق الأردن، من العرب لأنه في ذلك الوقت لم يكن حول الأمير عبد الله من الأردنيين مَنْ هو مؤهل لإدارة الدولة.

فشكل حكومته الأولى التي كانت تسمى أمارة شرق الأردن في 11 نيسان 1921م برئاسة رشيد طليع لبناني درزي ، وقد كانت في حقيقة الأمر حكومة عربية أكثر منها أردنية لإيمان الأمير عبدالله العميق بالقومية العربية سبيلا للتحرر والاستقلال , ولقد تألفت من سبعة أشخاص ، كلهم عرب من سوريا ولبنان ما عدا أردنياً واحداً , وكانت النخبة المثقفة المتعلمة المحيطة بالأمير، من سورية والحجاز وفلسطين.

وكان لذلك أسباب عديدة منها، إنه لم يكن هناك طبقة من المتعلمين وأصحاب الخبرة في الأردن، ولأن الأمير عبدالله اعتبر شرق الأردن جزءاً من الدولة العربية التي يطمح إليها، وأن أمارة شرق الأردن ما هو إلاّ بداية , إذ إن النعرة الكيانية الضيقة التي نمت فيما بعد، لم تكن معروفة في ذلك الزمان , فكان العربي من أي قطر كان يعمل بشكل طبيعي في حكومة أي دولة عربية .

ولكن هذا الزمان قد ولى في القرن العشرين مع تقسيم وتثبيت الكيانات العربية وبالتالي ضمور فكرة القومية العربية ووأد التجارب الوحدوية العربية في مستنقع أبدي , وعندما ذكرنا أعلاه أن الآباء والأجداد كانت لديهم رؤية واضحة فقد كان الشريف حسين حاكماً في الحجاز، وإبناه فيصل في العراق وعبدالله في شرق الأردن، لا يرون في هذه الكيانات، إلاّ خطوة أولى لتأسيس الدولة العربية، التي تضم كل العرب في بلدان آسيا.

وعندما أصبح عبد الله الأول أميراً على شرق الأردن ، كان يعاني من مشاكل كثيرة وجاءت قضية السيادة التي كانت موضع اهتمام كبير في تثبيت شرعية حكمه، عندما وافقت عصبة الأمم في 24 تموز 1922م على صك الانتداب البريطاني على فلسطين والأردن , وفي أيلول 1922م , أرسلت بريطانيا مذكرة رسمية إلى عصبة الأمم تطلب استثناء شرق الأردن من أحكام وعد بلفور.

وفي 25 أيار 1923م , إعترفت بريطانيا بحكومة شرق الأردن , وبعد مرور 23 سنة أعلنت بريطانيا ، استقلال إمارة شرق الأردن في 22 آذار 1946م , بعد ذلك بشهرين بويع الأمير عبد الله بالعرش الهاشمي في الأردن وصار ملكاً على المملكة الأردنية الهاشمية في 25 أيار 1946م , وفي الأول من شهر كانون الأول 1949م ، عقد مؤتمر أريحا الذي أوصى بضم الضفة الغربية إلى المملكة الأردنية الهاشمية , وفي 5 نيسان 1950م , تمَّ ضم الضفتين رسمياً.

لذا يجب أن لا تنسى الحكومة الأردنية التاريخ الذي بني عليه الإرتباط والأسباب التي بنيت عليها فك الإرتباط فمنذ الإرتباط 1950م الى فك الإرتباط 1988م , هناك ثمان وثلاثون عاماً من الوحدة في كل شيء أما بعد فك الإرتباط عام 1988م الى 2006م ثمانية عشر عاماً من التفرقة بين أبناء الضفتين وظلم وجور لحق بآلاف منهم .

وهناك من يبرر إتخاذ القرار بأنه عمل من اعمال السيادة , صدر بناء على قرارات مؤتمرات القمة العربية منذ مؤتمر قمة الرباط عام 1974م , الذي إعتبر منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وقرار مؤتمر الجزائر عام 1982م , الذي إعترف بالدولة الفلسطينية حيث اصدرت الحكومة الأردنية بتاريخ 31 /1988/7م , قراراً بفك الأرتباط مع الضفة الغربية ولم يكن قرارً تعسفياً بالمعنى المنصوص عليه في قوانين الشرعية الدولية كما أن المواطن الفلسطيني بعد صدور تعليمات فك الأرتباط عاد الى جنسيته الفلسطينية الصادر بمرسوم الجنسية الفلسطينية عام 1925م , وباستقراء هذه المبادئ لا يوجد أي مساس بحقوق الأنسان .

أما الإجراءات التي أتخذت بعد "فك الإرتباط" فقد تضمنت إجراءات مثل سحب وثائق إثبات الشخصية الأردنية من حامليها (دفتر العائلة، جواز السفر، الهوية الشخصية، الغاء الرقم الوطني ، إستبدال جوازات السفر العادية بأخرى مؤقتة، صرف بطاقة إحصاء الجسور ذات اللون الأخضر).

وتمت مناقشة هذا الأمر مراراً بين مجلس النواب والحكومة ، أثر تطبيق تعليمات قرار "فك الإرتباط" ورفع لوزارة الداخلية مذكرة تضمنت حوالي (800) حالة ، تم إستبدال وثائق إثبات جنسيتها الأردنية ، خلافا لأحكام القانون وبدعوى خضوعها لتعليمات قرار "فك الإرتباط" ،

ولا زالت حالات سحب الجنسية إستنادا لهذه التعليمات تتكرر ، من خلال مراكز العبور مع الضفة الغربية، اوعند مراجعة (كان مكان الإقامة هو المعيار لتحديد أن الشخص ما زال أردني الجنسية أو أصبح فلسطينيا ، حيث ورد في المادة (2) من تعليمات "فك الإرتباط" : " يعتبركل شخص كان مقيما في الضفة الغربية قبل 1988/7/31م , مواطنا فلسطينيا وليس أردنيا" في حين جرى توسيع هذا المعيار ليشمل الفئات التالية : كل من (حاز على جواز السفر الصادر عن (السلطة الفلسطينية ،ومن يعمل بمؤسساتها، ومن حصل على جمع الشمل بموجب إجراءات سلطات الإحتلال الإسرائيلي ، وكذلك من لم يكن مقيما في الضفة الشرقية قبل صدور قرار فك الإرتباط).

أن تعليمات قرار فك الإرتباط ،تعتبر بكل المعايير القانونية من أعمال الإدارة ،وإن ترتيب وضع الجنسية على أساس تلك التعليمات ، يعتبر مخالفا لأحكام المادة (5) من الدستور ، التي تنص على أن " الجنسية الأردنية تحدد بقانون " ولا يتضمن قانون الجنسية رقم (6) لسنة 1954م أي نص يجيز سحب الجنسية أو (فقدانها أو إسقاطها ،تطبيقا لأية تعليمات أو لعدم تحقق شرط الإقامة في المملكة .

وقد كشفت التطبيقات الادارية لتعليمات قرار "فك الارتباط" ، عن ضعف سبل الإنصاف القضائية والادارية المتاحة في التصدي للإنتهاكات التي تتعرض لها حقوق الإنسان ، حيث تتكرر شكاوى المواطنين من أن اللجوء للقضاء الإداري للطعن بقرارات وزير الداخلية ، أو غيره من المسؤولين عن قضايا الجنسية وإصدار الوثائق المثبتة قد أصبح غير ذي جدوى , وهنالك سوابق قضائية تستند الى تعليمات "فك الإرتباط" كبديل لقانون الجنسية وقانون جوزات السفر.

وطالما أن القضية الفلسطينية لم تحل بشكل جذري فسيبقى الوضع على ماهو عليه ولن يحصل الإندماج بين الشعبين في الضفتين مهما فتحت الملفات الساخنة لأن من يحدد العلاقة القانونية بين الفرد والدولة هي الأجهزة الإستخباراتية أما مؤسسات الدولة فهي أدوات تنفيذية .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 21-10-2006م

129 فك الإرتباط وتقاطع المصالح

تعقيباً على مقالنا المعنون ب"فك الإرتباط" وجدنا تفاعلاً مهماً بهذا الموضوع الأمر الذي دعاني للكتابة من جديد وإليكم ملخص ما جاء في مقالنا السابق : الربط بين فك الإرتباط وبين الموت حيث أن الموت هو فك الارتباط بين الروح والجسد كما ربطنا بين فك الإرتباط وبين معركة فرنسا في بناء النموذج العلماني حيث أعتبر هذا النموذج هو نتيجة لفك الإرتباط بين الدولة والكنيسة .

كما ذكرنا تاريخ إعلان قرار فك الإرتباط في 1988/7/31م , وطرحنا سؤال عن ماهي المبررات والدوافع التي حدت بالحكومة الأردنية لنفض الغبار عن هذا الملف الخطير ؟ وتحدثنا عن الأضرار التي تعرض لها آلاف من أبناء الضفتين الشرقية والغربية كنتيجة لما ترتب على تنفيذ وتطبيق القرار كما تم التلميح بالخوف من قرار إعادة النظر هذا .

كما ناشدنا أعضاء اللجنة المشكلة بهذا الخصوص أن يكون هدفها الحقيقي والجوهري هو إعادة تصويب الاخطاء وتنقيح الاجراءات ورد المظالم الى أهلها وأن تكون عوناً لهم لا عوناً عليهم , وطالبنا القيادة السياسية والإستخباراتية بتوضيح الخطوة السياسية الكبيرة التي من أجلها تم الإعلان عن فتح هذا الملف الكبير والخطير.

وذكرنا عن النتائج الأولية لإعادة تشكيل لجنة قد أفرزت إعترافاً رسمياً بوجود تعسف وكذلك أن مراجعة القرار أصبحت ممكنة , وذكرنا بعض آراء المحللين السياسيين بخصوص الهدف وذكرنا أيضاً وجهتي نظر مختلفتين بين مؤيدي هذه الخطوة ومعارضيها ونصحنا المسؤولين بالعودة الى الجذور التاريخية للربط والفك منذ العام 1950م ومروراً بعام 1988م وإنتهاء بعام 2006م . مع التأكيد على أن عمر الإرتباط دام ثمان وثلاثون عاماً أما عمر الفك حتى الآن دام ثمانية عشر عاماً , وختمنا المقال بنظرة تشاؤمية خصوصاً بأن من يحكم العلاقة بين الفرد والدولة هي الأجهزة الإستخباراتية .

كانت تلك هي المقدمة التي سنبدأ بها مقالنا هذا , فالملف يحتاج الى دراسة الكثير من الوقائع السياسية على الأرض للربط بين التوقيت لدراسة هذا الملف وبين الأحداث في المنطقة , فهناك أزمة حقيقية بين رأسي السلطة في فلسطين المحتلة , وهناك خروج إسرائيلي خاسر من حرب لبنان مع حزب الله , وهناك رغبة دولية في تحريك عملية السلام وخصوصاً أن إسرائيل لم تستطع نزع سلاح حزب الله في لبنان بل يمكن القول أنها لم تحقق نصر إستراتيجي يؤهلها أن تملي شروطها على المنطقة برمتها , وكذلك ظهور بوادر تحالف سني في المنطقة لمواجهة المد الشيعي وهو ما أعلنه الملك عبدالله الثاني في أكثر من مناسبة وعقب عليه الرئيس المصري حسني مبارك .

وكما يرى علماء النفس أن النمو عند الإنسان يتعرض الى عدة مراحل فينتقل من عمر الشيء إلى عمر الشخص ثم ينتهي إلى عمر الفكرة عندما تكتمل قواه النفسية والإدراكية , فالصبي الصغير لا فرق عنده بين ثدي أمه وبين الرضّاعة الاصطناعية، ولا فرق عنده بين أن يجلس بقربه شخص أو نضع بقربه دمية متحركة، فإن تركيزه على الحركة واللون والصورة أكثر من تركيزه على مصدرها ومن يقوم بها , أما الشاب الذي بدأت قواه الإدراكية في التطور، وأخذت قواه النفسية في النمو فإنه يحتاج إلى نموذج عملي كشخص يتمثله ويبني عليه شخصيته، ويقلده في تصرفاته، ويتبعه في أفكاره .

وعندما يبلغ الإنسان مبلغ الرشد بحيث يستطيع أن يفصل بين الفعل وفاعله، وبين الشخص والفكرة، وحينما يرتقي إلى مرتبة إدراك الحقائق في ذاتها ووفق قوانينها، فإنه يستقل بشخصيته ويصبح قادرا على التمييز بين الفعل وبين صاحب الفعل، وتكون له القدرة على فك الارتباط بين فعل الشخص السليم وفعله الخطأ، ذلك أنه صارت لديه مبادئ مجردة عن الحق والعدل والخير والشر وغيرها اكتسبها أثناء مسيرة حياته بمختلف أبعادها النفسية والتربوية والاجتماعية وغيرها.

وهنا نتساءل في أي مرحلة يمر بها أولي الحل والعقد في النظام السياسي العربي هذه الأيام ؟ , وهل تمت الإستفادة من تجارب الماضي فيما يتعلق بالإرتباط وفك الإرتباط ؟ , وهنا ينبغي التذكير ببعض أفكار الرئيس المصري الراحل أنور السادات الذي عمل على فك الإرتباط بين

الدين والدولة حين كان يكرر لادين في السياسة ولاسياسة في الدين حتى راح ضحية أفكاره تلك .

ونريد أن ندخل في العمق قليلاً فقد ذكرت الصحف الأردنية ردوداً مختلفة على تصريحات صدرت عن بعض زعماء حركة حماس في شأن عدم اعتراف الحركة بقرار فك الارتباط مع الضفة الغربية التي كانت تحت سيادته، وكان هذا الكلام قبل فوز حماس بالإنتخابات , وحين فازت فإن الأمر قد طرأ عليه بعض التغيير , ولاسيما أن نتائج الإنتخابات البرلمانية في الأردن قد أفرزت أيضاً فوز من هم مؤيدين لحركة حماس وغالباً ماتستدعيهم رئاسة الوزارة لتعنيفهم وإتهامهم بالإنتماء الى حركة حماس أكثر من إنتمائهم للوطن , علماً بأن فك الإرتباط مع الضفة الغربية كانت ضد السلطة الفلسطينية لا دعماً لها .

أما النواب الذين تم إستدعائهم هم : علي أبو السكر , ومحمد ابو فارس , وابراهيم المشوخي , وجعفر الحوراني بل وتم إعتقالهم مرتين الأولى في سجن الإستخبارات والثانية في سجن الجفر الصحراوي والتهمة هي التعزية في وفاة أبي مصعب الزرقاوي على إعتبار أن ذلك بسبب "السخرية من مشاعر الشعب الأردني وعائلات ضحايا تفجيرات عمان ودعم وتشجيع الإرهاب علماً بأن الإستخبارات هي التي طلبت من عائلات ضحايا تفجيرات عمان بأن ترفع شكوى ضد هؤلاء النواب لتصبح التهمة من تقديم واجب العزاء الى السخرية بمشاعر عائلات الضحايا والشعب الأردني , علماً بأن الملك حسين قام بالتعزية عند إغتيال إسحاق رابين .

ونحب أن نذكر ببعض الأحداث التي أصبحت من الماضي الآن ففي العام 1999م جرت وساطة بين دولة عربية وبين الأردن لنزع فتيل الأزمة بين حركة حماس والأردن لإعادة إستقبال زعماء الحركة الأربعة الذين أبعدتهم الأردن عن أراضيها وقبلت الأردن إستقبالهم إستجابة للوساطة ولكنها مالبثت أن أبعدتهم مرة ثانية وهؤلاء الزعماء هم : خالد مشعل , ومحمد نزال , وموسى أبومرزوق , وإبراهيم غوشة .

إن هؤلاء الزعماء هم ضحايا فك الإرتباط علماً بأن هناك ضحايا آخرين مثلهم وكلنا نذكر الأزمة السياسية بين عمان والدوحة حين عاد إبراهيم غوشة عام 2002م الى عمان على متن طائرة قطرية عندها قررت السلطات الأردنية احتجاز الطائرة لعدة أيام، حيث اعتبر الأردن

أن الإعادة بهذه الطريقة "يعد انتهاكا للسيادة والأمن الأردنيين" علماً بأن جميع هؤلاء المبعدين الأربعة , يحملون الجنسية الأردنية ولأنهم أعضاء في منظمة غير أردنية فيجب سحب الجنسية الأردنية منهم طبقاً لقرار فك الإرتباط .

وطالب الكتاب الأردنيون ومن بينهم صالح القلاب العضو في مجلس الأعيان ووزير الإعلام الأسبق والكاتب الإسلامي سميح المعايطة حركة حماس "بالمطالبة بإلغاء منظمة التحرير الفلسطينية التي طالبت أن تكون ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني، إذا رغبت فعلا في الغاء قرار فك الارتباط المتخذ من جانب الأردن".

وقال صالح القلاب إن هذه هي المشكلة إنها ليست مشكلة جوازات سفر ولا مشكلة إغلاق المكاتب التي أغلقت في عام 1999م , إنها مشكلة الإعتداء على سيادة الاردن فالأردن عندما إتخذ ذلك القرار في عام 1988م , لم يفعل سوى ممارسة سيادته التي لا يحق لأي تنظيم غير أردني ولا لأي مسؤول في هذا التنظيم الإعتراض لا على ممارستها ولا على إتخاذ قرار كهذا القرار المشار إليه , وهنا أتساءل ماهو موقف هؤلاء الكتاب حينما يقرر الملك إعادة الإرتباط ؟ .

ولاسيما أنهم يؤكدون دوماً وهم أكثر من دافع عن هذا القرار بالقول أن قرار «فك الإرتباط» بين الضفة الغربية والضفة الشرقية مرتبط بقرارات دولية، وبقرار إستمرت القمم العربية تؤكد عليه منذ قمة الرباط في عام 1974م , وحتى القمة الأخيرة ، وهي قرارات كلها تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني .

وكانوا دوماً يؤكدون أن الأردن عندما إتخذ قرار فك الإرتباط كان إستجابة لرغبة الشعب الفلسطيني الذي بات يرى، بعد الإعتراف العربي والدولي بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد له، بأن من حقه أن يقرر مصيره بنفسه وان يقيم دولته المستقلة على أرض قطاع غزة وعلى أراضي الضفة الغربية , ونحن نقول (أي الكاتب) , أن هذا الشعب لم يستفتى ولم يستشر بخصوص هذا الأمر وكما قال الشاعر لبست ثوب العيش لم أستشر وحرت فيه بين شتى الفكر .

ويؤكد هؤلاء الكتاب أيضاً إن السيد نايف حواتمة، كان أول من نادى بفك الإرتباط بين الضفة الغربية والضفة الشرقية وكان هذا في مطلع عقد سبعينات القرن الماضي عشية إندلاع حرب تشرين الأول (اكتوبر) عام 1973م , وهو أي نايف حـواتمة لايزال يعتبر صيغة ما قبل حزيران (يونيو) 1967م , «ضما وإلحاقا » وإعتداء على الهوية الوطنية الفلسطينية .

وبهذا فإن المشكلة مع بعض قادة «حماس»، الذين رفضوا معاملتهم كمواطنين أردنيين لا يحق لهم الانتماء لمنظمة غير أردنية وإختاروا مغادرة الاردن هو أنهم إنسجاما مع رفضهم لقرار «فك الإرتباط» قد بدأوا يتدخلون في الشأن الداخلي الأردني وبدأوا يتعاطون مع قواعد الإخوان المسلمين على إعتبار أنها قواعدهم وقواعد حركتهم .

ويضيف هؤلاء الكتاب .. والواضح من كلام بعض قادة "حماس" ، وقولهم ان حركة «حماس» لا تعترف بقرار فك الإرتباط، أن هناك نية لإستغلال الفوز الذي حققته هذه الحركة لتعود حليمة الى عادتها القديمة فتتدخل في الشأن الأردني الداخلي وتجدد المحاولات السابقة للسيطرة على الإخوان المسلمين وعلى حزب جبهة العمل الاسلامي وكل هذا سيكون إساءة ما بعدها إساءة للعلاقات الحميمة بين شعبين شقيقين هما الشعب الأردني والشعب الفلسطيني وأيضا إساءة للوحدة الوطنية الاردنية .

وهنا فإنه على «حماس»، إن هي بالفعل لا تعترف بفك الارتباط بين الضفة الغربية والضفة الشرقية، أن تعلن لشعبها الفلسطيني ضرورة حل منظمة التحرير وإلغاء السلطة الوطنية الفلسطينية والمجـلس التشريعي الفلسطيني، الذي فازت بإنتخاباته الأخيرة، وأيضا توجيه خطاب، صريح وواضح لا لبس فيه، لأهل الضفة الغربية بأن عليهم ان ينسوا حكاية تقرير المصير وحكاية الدولة المستقلة وأن يعودوا لصيغة مؤتمر أريحا الشهير وللوضع الذي كان قائما قبل حزيران (يونيو) عام 1967م .

وهنا لابد لنا من وقفة ورد على كل من ينادي بإستمرار فك الإرتباط وتبعاته السيئة على الشعب في الضفتين وكما نعلم فإن هناك إستحقاقات جاءت كنتيجة لقانون الضم , يصعب على الخبراء في السياسة والقانون وعلم الإجتماع أن يجدوا مخرجاً لمثل تلك القضية غير الإستفتاء الشعبي فمنذ الضم عام 1950م أصبح هناك فلسطينون يحملون الجنسية الأردنية

وإن كانت أصولهم فلسطينية والسؤال الآن هل يحق لهؤلاء أن يجبروا على التخلي عن حقهم في النضال لاسترداد حقهم المسلوب من قبل إسرائيل إذا أرادوا الاحتفاظ بحقوقهم في المواطنة الأردنية ؟ .

والسؤال الثاني هو لماذا تخلت الأردن عن إعادة الضفة الغربية الى أصحابها ؟ , وهي التي إحتلتها إسرائيل في حرب عام 1967م بعد أن كانت وديعة لدى الشعب والقيادة الأردنية ودأبت على الإسراع في توقيع معاهدة وادي عربة لتأكيد الحق الأردني على حساب الحق الفلسطيني خوفاً من تحقيق فكرة الوطن البديل وعملت على التأكيد دوماً للأردنيين بأن لا علاقة لهم بالنضال والكفاح لاسترداد الحق العربي من براثن الإحتلال الصهيوني بل أصبح الأردن هو الوسيط بين الكيان الصهيوني وبين السلطة الوطنية وتجلى ذلك في لقاءات عديدة مثل لقاء العقبة ولقاء البتراء وغيرها من اللقاءات .

والسؤال الثالث هو هل أن إعادة دراسة قرار فك الارتباط ليكون بمثابة تطوير للقرار ؟ ليكون قرار لفك الارتباط الشعبي والمعنوي والحقوقي والسياسي وغيرها وهو ما يعني عملياً تخلياً رسمياً عن الدعم العملي لحقوق الشعب العربي ونضاله من أجل إستعادة حقوقه المشروعة , رغم التأكيدات على الدعم السياسي للقضية الفلسطينية المتمثلة بالسلطة الوطنية فقط وليس منظمة التحرير الفلسطينية .

إن الإجابة على تلك التساؤلات سوف تمثل بمجموعها موقفاً رسمياً جديداً يؤثر على قواعد وأصول العلاقات بين الضفتين تلك التي أسست بقرار الوحدة أو مايسمى قرار أريحا الشهير كما يعتبر موقفاً سياسياً استباقياً لتكريس مفهوم التوطين، إذ على الأردني من أصل فلسطيني أن يقرر اليوم إذا كان يريد الاحتفاظ بجنسيته الأردنية أم لا، حيث لا يستطيع ممارسة دوره الأردني كمواطن والفلسطيني كمناضل أو متعاطف أو داعم لمقاومة الاحتلال الجاثم فوق الأرض الفلسطينية في نفس الوقت .

وهذا ما أشرنا إليه تلميحاً عندما ذكرنا قضية إعتقال النواب الأربعة سابقي الذكر ولكن وجدنا هنا لزاماً علينا التصريح لا التلميح في قضية أصبحت تقض مضاجع الكثير من الفلسطينيين لأنها بصراحة تامة تعني إذا أردت أن تكون أردنياً برقم وطني يجب التخلي عن

حقوق المقاومة أو الترحيل كما هو مصير المبعدين على الحدود في مخيم الرويشد بين الأردن والعراق وإن كانت إستجابت كندا لقبولهم على أراضيها تخفيفاً لمعاناتهم التي طال إنتظار إيجاد حلول لها .

ونرجوا أن لا يكون إعادة النظر في قرار فك الإرتباط بمثابة مقدمة للحل النهائي لقضية فلسطين على أساس التوطين ، وإنما تشبهاً بأمريكا والدول الغربية حين يتمتع اليهودي فيها بحقوق المواطنة الكاملة في الدولتين ؟ .

صحيفة الحقائق اللندنية 21-10-2006م

130 الفصل الرابع

131 البطالة

132 البطالة أكبر تحد تواجه دول الخليج منذ عقود

تعتبر البطالة من أهم معوقات التنمية الإقتصادية الحقيقية لدول مجلس التعاون ولاسيما ان هذه الدول تواجه أكبر تحد عرفته منذ عقود ، ومن هنا جاء الإهتمام بمشكلة البطالة حتى لاتتراجع مسيرة التنمية الحقيقية .

وأزمة التنمية في دول المجلس تتلخص في حدوث نمو في الناتج القومي الاجمالي دون أن يصحب ذلك تطور متوازن في القاعدة الانتاجية ، بحيث يصبح النمو في هذه القاعدة ذا طبيعة متجددة ذاتيا ، ومن أهم أسباب حدوث إستمرارية هذه الأزمة : مفهوم التنمية التقليدي و النموذج المرتبط به ، ومسار المتغير النفطي و العلاقة غير المتكافئة مع القوى الإقتصادية الكبرى ، و ضعف خصائص القاعدة البشرية في دول مجلس التعاون التي تخشى أي تغيير في البنية الديموغرافية وهناك أدوار متداخلة تجعل الحل مستعصياً .

و نقوم في هذا المقال بتوضيح بعض جوانب هذه الأزمة و مصادرها وإبرازاطار نظري لتجاوزهذه الأزمة يقوم على مفهوم شمولي للتنمية على أنها تشير الى مشروع حضاري خليجي يحقق نموا اقتصاديا متجددا في كل دول المجلس مما يؤدي الى تزايد فرص التكامل الخليجي العربي بما يضمن الوصول الى التعديل التدريجي في مكانة المجلس داخل النظام الإقتصادي العالمي الجديد .

ويستهدف هذا الوفاء بالحاجات الأساسية للمواطنين والمقيمين العرب ماديا و معنويا ، بما يقود الى تحسن مستمر في نوعية الرفاهية لهؤلاء المواطنين والمقيمين ، و تحقيق العدالة الاجتماعية في اطار من الديموقراطية و المشاركة الشعبية الواسعة و التكامل الإقتصادي والسياسي الحقيقي بين دول المجلس بل والأقطار العربية و كيف أن الفهم الخاطىء والتركيز على جوانب دون أخرى يؤدي الى حدوث انقسامات فكرية و سياسية و اقتصادية .

وأهم مشكلة نجمت عن هذه الازمة هي البطالة حيث نبين أسبابها وأنواعها و أسباب عجز الدول عن امتصاصها وأهم الآراء المقترحة للمساهمة في حل هذه المشكلة .

ورغم أن حجم البطالة في دول مجلس التعاون يتفاوت من بلد الى آخر إلا أنها مازالت تعتبر مشكلة تؤرق مضاجع المسئولين ولاسيما أن المعاملة الإنسانية بين أفراد المجتمع تختلف من شخص عامل وشخص عاطل عن العمل وتعتبر نسبة العاطلين في أي مجتمع مقياس هام لمستوى الرفاهية التي يعيشها هذا المجتمع .

ومن أسباب البطالة ثقافة العيب وأزمات الخليج المتعاقبة والعمالة الوافدة وضعف الإستثمار وندرة رأس المال والركود الإقتصادي وضعف المبادرة الفردية وسوء التخطيط التعليمي وإزدياد النمو السكاني وعدم تنظيم سوق العمل والتباطؤالتنموي في النشاط الإقتصادي وإتجاه كبار المستثمرين الى سوق الأسهم والسندات والقيود المفروضة على الإستثمارات الأجنبية وهروب رأس المال الوطني الى الخارج وهناك أسباب أخرى عديدة .

ويقصد بالبطالة من وجهة نظر علماء الإقتصاد هي عدم إستيعاب أو إستخدام الطاقات أو الخدمات البشرية المعروضة في سوق العمل الذي يعتمد على العرض والطلب والذي يتأثر بقرارات أصحاب العمل والعمال والأنظمة التي تفرضها الدول من أجل التقيد بها ، و في سوق العمل تتلاقى هذه القرارات مع قرارات هؤلاء الذين هم في حاجة الى خدمات الأفراد .

فالبطالة بهذا المفهوم تعني عدم استخدام القوى البشرية التي تعتمد في حياتها المعيشية اعتمادا كليا على الأجر أي على تقييم الغير لها بالرغم من حريتها القانونية .

ويمكن تقسيم البطالة الى مجموعتين

المجموعة الأولى

بطالة ترجع الى عدم القدرة على العمل نتيجة عجز جسماني أو عقلي مثلا , وبطالة ترجع الى عدم الرغبة في العمل نتيجة لأسباب نفسية أوإجتماعية .

المجموعة الثانية

بطالة بالرغم من وجود مجالات عمل و لكن ترجع الى ضعف أو سوء تنظيم سوق العمل .

وبطالة ترجع الى عدم وجود مجالات عمل أي عدم قدرة رجال الأعمال على إيجاد فرص للعمل وقد يكون ذلك لأسباب عديدة تتصل بأوضاع اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها .

ولهذا تعتبر البطالة سمة من سمات نظام السوق و مرتبطة بهيكله و يتوقف حجمها على مدى فاعلية رجال الأعمال والدول ممثلة في سياساتها في القضاء على البطالة والتقليل من آثارها في الوقت المناسب . و لذلك فان معظم الاقتصاديون في هذه الأنظمة يقرون أن البطالة هي الثمن الذي تدفعه هذه المجتمعات لإهتمام النظم في الإبقاء على حرية سوق العمل فهي تعتبر ثمن الحرية والتخلص من الرق والاستعباد والإقطاع .

وحرية الإقتصاد بشكل عام برفع القيود على المستوردات وبالتالي يظهر الإعتماد الكبير على التجارة الخارجية فكل أو معظم السلع الإستهلاكية أو الإستثمارية أو الصناعية تستورد من الخارج هذا بالإضافة الى إستقدام العمالة المدربة وغير المدربة من الخارج الأمر الذي يؤدي الى تحويلات مالية كبيرة الى الخارج .

وتمثل الصادرات البترولية ومشتقاتها نسبة كبيرة من إجمالي الصادرات وهي تمثل الميزة النسبية في الإنتاج التي تمتاز بها دول المنطقة , ولذا فهي تعتبر المصدر الأول لإجمالي الدخل القومي في هذه الدول .

ولهذا فإن أي تقلبات سريعة أو عنيفة في أسعار هذه المنتجات أو المواد الخام تؤثر بشكل سريع أيضاً على حصيلة الصادرات التي تؤدي بدورها الى نتائج ضارة على الإقتصاد القومي لهذه الدول ، فهي تعكس نفسها في صورة تقلبات في مستوي الإنفاق الحكومي وتقلبات في مستويات التشغيل ،كما تؤدي التقلبات في حصيلة الصادرات، إلى تذبذب وإضطراب في تنفيذ خطط التنمية ، وتوقف كثير من المشروعات، التي تعتمد في تنفيذها، على الواردات من السلع الاستثمارية .

ولهذا نجد عدم إستقرار الدخل القومي الأمر الذي ينعكس على المواطنين والمقيمين وهو من أهم أسباب عجز القطاع الإقتصادي عن إمتصاص البطالة ولاسيما أن الصناعات البترولية المنتجة للتصدير لمقابلة احتياجات السوق العالمي من حيث نوع السلع المنتجة و كميتها يفرض بالضرورة استخدام التكنولوجيا الحديثة التي تتصف بكثافة عالية لرأس المال وكثافة منخفضة لعنصر العمل .

ولهذا عملت هذه الدول على إنشاء صناعات مختلفة لتنويع قاعدة مصادر الدخل للمحافظة قدر الإمكان على إستقرار الدخل القومي ولكن هذه الصناعات مازالت تعتمد على العمالة غير الوطنية بشكل كبير نظراً لعدم قدرة العمالة الوطنية على المنافسة سواء من ناحية الأجر أو الكفاءة لذا فهي بحاجة الى تدريب لتنافس العمالة الأجنبية .

وفي السلع الإستهلاكية نجد أن فرص تشجيع الصناعات المحلية تكاد تكون معدومة ولاتستطيع أن تحل محل السلع المستوردة والتي تعتمد على كثافة رأس المال وبعضها الآخر يعتمد على كثافة في العمالة الرخيصة القادمة من الشرق التي لايمكن منافستها بأي حال من الأحوال إلا بفرض ضريبة إستيراد . كما يجب أن نعترف بإنخفاض المستوى الفني والتعليمي للعمالة الوطنية هذا إن وجدت .

ولهذا ينبغي التفكير في الميزة النسبية لقدرات مواطني الخليج وفي أي نوع من الأعمال يمكن أن تتخصص بها الدول الخليجية معتمدة على عمالتها الوطنية في إنتاج سلع أو خدمات تساهم في التنمية الإقتصادية وبما يكفل القضاء على مشكلة البطالة ومنها زيادة حجم الاستثمارات و رفع معدلاتها مع الاهتمام بامكانيات رفع نسب العمالة الوطنية , وذلك بتعديل أساليب الانتاج و تغيير مكونات الناتج بما يتناسب مع الأسعار النسبية لكل من رأس المال و العمل . . أو بمعنى آخر مراعاة التكلفة الاجتماعية الخاصة باكتشاف وسائل انتاج مناسبة لظروف المجتمع الخليجي .

كما ينبغي وضع برامج محددة وواضحة على المستوى المحلي والقومي لتشغيل العاطلين و زيادة الانتاج و تكوين رأس المال بتوجيه العاطلين الى العمل في مجالات انتاج سلع ذات إستخدام وطني عال وكذلك أعمال خدمات ممثلة في البنوك والمصارف وشركات التمويل والإستثمار والبورصة .

زيادة انتاجية الموارد التي تتصف بندرة نسبية في المجتمع حتى يتسنى زيادة المعروض من السلع المنتجة سواء سلع استهلاكية أو انتاجية لتدعيم عمليات تشغيل العاطلين . و لذلك يجب أن تهتم الحكومات و رجال الأعمال بوسائل تدريب العمالة والمديرين و المشرفين و اشعارهم بأهمية وسائل الكفاية و رفع الانتاجية .

إتخاذ الاجراءات المناسبة لتسهيل حركة انتقال الأيدي العاملة من مهنة الى أخرى ، وإزالة ما يعترض هذه الحركة من صعوبات تتعلق باعتبارات اجتماعية أو نفسية معينة أو إدارية ، و تحقيق نمو متوازن في نسب العمالة الوطنية في جميع المناطق باتباع سياسة مناسبة لتوطين الصناعة وفق ظروف كل منطقة .

إتخاذ الاجراءات والوسائل لزيادة عائد الصادرات و تجنب التقلبات العنيفة في هذا العائد و تشجيع الاستعانة برأس المال الأجنبي ووضع التسهيلات المناسبة له حتى لا تتعرض سياسات العمالة الى صعوبات تؤدي الى فشلها نتيجة اختلال في ميزان المدفوعات في الدولة .

وأخيرا فان مستوى حجم الاستثمارات و بالتالي مدى سرعة التغلب على البطالة أو مدى امتصاص العاطلين يتوقف على مدى كفاية رأس المال اللازم لحجم الاستثمارات المطلوبة و اتخاذ الوسائل الكفيلة بتقييد الاستهلاك واعادة توزيعه بحيث تتجه كل زيادة ممكنة من الناتج القومي الى الاستثمار ، و في مقدمة هذه الوسائل اتباع سياسة مالية فعالة و سياسة هادفة للأجور وسياسة إدارية حازمة .

موقع قناة العربية الإلكتروني 25- مايو - 2005م

133 العلاقة المتغيرة بين العمالة الوافدة والبطالة

كتبت العديد من المقالات وعملت الكثير من الدراسات والأبحاث ودارت إجتماعات على أعلى المستويات بخصوص الإجابة على سؤال كيف نقضي على البطالة ؟

وتعلمنا فيما سبق أن معرفة الأسباب تكون بمثابة الفرضيات التي يمكن من خلالها إيجاد حلول لكثير من المشاكل ومنها مشكلة البطالة وتعرضنا في مقال سابق الى بعض أسبابها وذكرنا منها ثقافة العيب وأزمات الخليج المتعاقبة والعمالة الوافدة وضعف الإستثمار وندرة رأس المال والركود الإقتصادي وضعف المبادرة الفردية وسوء التخطيط التعليمي وإزدياد النمو السكاني وعدم تنظيم سوق العمل والتباطؤ التنموي في النشاط الإقتصادي وإتجاه كبار المستثمرين الى سوق الأسهم والسندات والقيود المفروضة على الإستثمارات الأجنبية وهروب رأس المال الوطني الى الخارج ومافيا التأشيرات وهناك أسباب عديدة أخرى .

ولهذا نجد أن هناك أكثر من حل ولكن في نفس الوقت لن يكون هناك حل واحد يمكن أن يحقق الهدف المنشود بين عشية أو ضحاها ولاسيما أنها تراكمات للعديد من السنين , وكما إستمرت الدراسات والنظريات والأبحاث الإقتصادية منذ القرن الثامن عشر الى الآن وهي تبحث في الإجابة على سؤال لماذا تقوم التجارة بين الدول ؟

ونشط العلماء والمفكرين وكثرت النظريات وحتى الآن لم نجد نظرية واحدة متكاملة تجيب عن هذا السؤال ولكن في الوقت نفسه تطورعلم الإقتصاد وأستحدثت النظريات والتجارة بين الدول تطورت بل ومازالت قائمة وسوف يدور الجدل هنا وهناك وكل من يدلي بدلوه يعتقد أنه قد أجاب على هذا السؤال ونسي قول الشاعر " قل للذي يدعي في العلم معرفة * علمت شيئا وغابت عنك أشياء" .

وهنا تكمن طبيعة البشر التي مهما إجتهدت في العلم والمعرفة إلا أن الأعمال البشرية لاتخلوا من العيوب والنقص وكلما إقترب العبد من الربط بين العلوم بشكل عام وبين العلوم الشرعية صار أقرب الى الصواب والى الشمولية .

ومن بين القضايا الجدلية والتي تبدوا للبعض منطقية إلا أنها قد لاتكون كذلك وهي الربط بين حجم العمالة الأجنبية وبين البطالة المحلية وكأنها السبب الوحيد وتجاهل العديد من الأسباب المذكورة أعلاه .

فمثلاً ينظر أحد الناس الى مهنة معينة أو نشاط معين ويجد أن من يسير هذا النشاط عمالة غير وطنية فيفترض أنه لو قامت الدولة بترحيل القائمين على هذا النشاط من غير المواطنين لتوفرت هناك فرص عمل بمقدار مايتم ترحليه من هذه الفئة وفي ذلك النشاط ولكن الأمر ليس كذلك .

وعلى سبيل المثال لا الحصر سائقي الليموزين ومحلات بيع الذهب ومحلات بيع الخضار والعديد من المهن التي تنوي هذه الدولة أو تلك حجبها عن غير المواطنين ولكن تبقى البطالة قائمة وهناك من يتهم هذا الوزير بالتقصير أوذاك الكاتب بأنه غير وطني أوذاك التاجر بأنه غير مبال ويقع الجدل وتدور نقاشات حامية نتائجها تعود الى تقصير هذه الدولة أو تلك ومنهم من يحمل التقصير الى الأشخاص العاطلين عن العمل أنفسهم ومنهم من يرجع ذلك الى التجار والمستثمرين .

ومن ضمن الأسباب السالفة الذكر هناك مايسمى بمافيا التأشيرات أو اللوبي المؤثر في هذا المجال وتحدث عن ذلك وزير العمل السعودي بأن قال مرة في إحدى المقابلات " حول الوقوف فى وجه مافيا التأشيرات .. وتقليص حجم العمالة .. والقضاء على البطالة .

ورداً على سؤال بخصوص تفريغ المجتمع من كل ما هو اجنبى ، فأجاب معاليه الحقيقة ، أن المحاولة اكثر تواضعا من ذلك بكثير جدا ، هناك الآن 8.8 " ثمانية ملايين وثمانمائة الف مقيم اجنبى فى المملكة ، منهم قرابة 7 سبعة ملايين عامل والباقى من اسرهم ، وهذا العدد يصل الى نصف عدد المواطنين السعوديين ، تقريبا .

اذا استمرت النسب السابقة لتدفق العمال الوافدين كما كانت عليه ، فسوف يقترب عدد الوافدين من عدد المواطنين شيئا فشيئا ، واذا لم تتخذ اجراءات فعالة لوقف هذا المد فسيتجاوز عدد الوافدين عدد المواطنين ، كما حدث فى بعض اجزاء من الخليج لا اظننى بحاجة الى ان اشرح مخاطر هذا الوضع من كافة النواحى ، السياسية والاجتماعية

والاقتصادية والامنية ، هدفنا الان هو تخفيض الجالية الاجنبية بحيث تصل نسبتها الى ربع المواطنين ، وذلك خلال 15 سنة ، حتى هذا الهدف المتواضع يبدو صعب التحقيق .

كم اتمنى من الذى يتصدون لبحث هذا الموضوع ان يدركو ابعاده وخطورته بدلا من تتدبيج مئات الصفحات فى انتقاد هذا القرار الجزئى او ذاك ، قلت واكرر ، أن أمامنا قرارات أليمه ، وكل اصلاح هو عملية مؤلمة ان كل وضع راهن يتمتع بحماية من " لوبى" – واذا اردنا ان نغير الاوضاع الراهنة الى ما هو احسن فعلينا ان ندفع الثمن : لابد ان يتضرر " اللوبى " ولا بد ان يصيبنا بعض الضرر من ردود فعل اللوبى هذه سنة الحياة ، وهذه سنة الاصلاح . " إنتهى كلام معالي الوزير .

ولكن قبل الخوض في تفاصيل ذلك ينبغي علينا أن ندرس بعض الجوانب الأخرى المرتبطة بالموضوع نفسه وماتبثه بعض وسائل الإعلام عن أن مستقبلنا بأيدي الوافدين وبعض الخبراء بدأو يحذرون من جيش من الشباب "من كل بلدان الشرق الأوسط" الذين بدأوا يلتحقون بقطار الباحثين عن عمل، وهذا القطار سيشمل مئة مليون شاب بعد عقد من الآن .

مدعين بأن القطار قد إنطلق وهو يتقدم نحونا ولايمكننا تجاهله وهناك من يقول بين الحين والآخر أن لكل منطقة خصوصيتها ، ومنطقتنا الخليجية تواجه خطرا حقيقيا من نوع آخر يتمثل في إحلال شعب وافد محل الشعوب الخليجية الحالية.

وكأن هناك غزو منظم وإستعمار جديد قادم ليس له هوية أو جنسية كالإرهاب تماماً والبعض يضرب الأمثلة على ذلك بإرتفاع نسب العمالة الأجنبية مقارنة بالعمالة المحلية وكأن العمالة الأجنبية التي ساهمت في بناء الكثير من دول الخليج متناسين خدماتهم السابقة وأنهم لايزالون يعملون في بناء هذا الوطن أو ذاك وسبحان الله الناس تفسر الأشياء حسب رغباتها .

فمثلاً في الأردن الذي يعتمد جزء من مصدر الدخل لديه على الطلبة الوافدين للدراسة في الجامعات الأردنية نجد هنا أن الكتاب والإقتصاديين والإعلام يروج الى زيادة هذه الفئة لآنها دعامة للإقتصاد الوطني فكيف الوافد هنا أصبح عنصر دعم للإقتصاد وفي الحالة السابقة

العمالة الأجنبية تسيطر على سوق العمل وتسيطر على الإقتصاد وينبغي محاربتها أو الحد من تواجدها .

مثال آخر : هناك توجه عالمي الى جذب الإستثمارات الأجنبية لما لها من آثار إيجابية على إقتصاديات الدول , لذا نجد أن المسؤولين في دولة ما وإعلامها يروج لجذب الإستثمارات الأجنبية بل وبعض الدول تعطيهم مميزات وإعفاءات ضريبية تصل الى حد 10 سنوات .

وفي الوقت نفسه نجد في مكان آخر من الصحيفة نفسها أن العمالة الأجنبية نهبت البلد وحولت ملايين الدولارات الى الخارج وفي صفحة ثالثة ننادي بالسياحة ونشجعها لما لها من أثر على جلب العملات الصعبة التي تعتبر مصدر من أهم مصادر الدخل .

فما هذا التناقض الذي نعيشه ؟ .

وكيف نريد أن نجذب هذا المستثمر الأجنبي وهذا السائح الأجنبي ونطرد هذا العامل الأجنبي أو نقوم بترحيله أو إنهاء خدماته , وهناك الكثير من الأنظمة ترحب بالعامل الأجنبي ولاترحب بعائلته وتسن القوانين التي تحد من إستقدام زوجته مثلاً ثم نطالع يومياً في وسائل الإعلام عن وجود أماكن دعارة قام بها أجانب وتم القبض عليهم ويستحق رجال الأمن البواسل الشكر والدعم على القيام بهذه الحملات التي يقومون بها لقطع دابرالفساد ممثل في هذه الفئة التي تقتات على الرذيلة.

ولكن في نفس الوقت ينبغي ألا نتناسى الحاجات الإنسانية للغرائز البشرية التي فطرنا الله عليها ونعمل على تسهيل الإستقدام المشروع لقضاء الحاجات الإنسانية المشروعة المبنية على الفطرة السليمة ولاسيما أن هناك حالات عديدة لايستطيع الشخص أن يستقدم عائلته إلا بواسطة التي قد تفتح أبواباً للرشوة .

وعود على ذي بدء نجد أن هناك تصريحات للعديد من الوزراء والمسؤولين أن نسبة العمالة الوافدة الى الخليج تزداد سنوياً بمعدل 5% وأن هناك 12 مليون وافد يعيشون في الخليج والجزيرة العربية .

والكثير منهم أصبح يدق ناقوس الخطر من تجاوز تشريعات حقوق الإنسان الدولية والاتفاقات الدولية التي تنص على حقوق العمالة الوافدة وإنه مع مرور الوقت سيكون من حقهم أن يتمتعوا بالحقوق السياسية إضافة الى الحقوق المدنية الممنوعة عنهم .

وهناك من صرح علناً من أن الوافدين سيتمكنون من الوصول الى مناصب وزارية وقال بالحرف الواحد " وتتصور الحكومات الخليجية أن هذا بعيد عنها، ولكن بعد عشر أو عشرين سنة سيصبح لزاما عليها الالتزام بالمنظومة الدولية للحقوق، شاءت أم أبت. ويذكر أن بعض الدول الخليجية تعرضت لمساءلة لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة خلال الأعوام الماضية بشأن الحقوق المدنية للأقليات المحرومة، ومنها العمالة الوافدة." وسنكمل في مقال آخر .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 27- مايو - 2005م

134 بالمشروعات الصناعية والخدمية العملاقة نتخلص من شبح البطالة

موضوع البطالة هو حديث الساعة لوزارة العمل وهو الموضوع القديم المتجدد وأود أن أطرح بعض الأفكار لعلها تضيف الجديد في علاج مشكلة البطالة وبعد هذه المقدمة دعونا نعد قليلا إلى الوراء ففي فترة الطفرة كما يحلو للبعض أن يسميها قامت الدولة بمشاريع جبارة لخدمة المواطن والمقيم معا، وساهمت الدولة وتساهم بالعديد من القرارات التي تحث على توطين الوظائف بمعنى أن يشغلها مواطنون أي القيام بعملية الإحلال ولكن هذا الجزء من الخطط لا يكفي للقضاء على البطالة وخصوصا بعد تجربة وزارة العمل الحالية بعمل قيود للحد من الاستقدام ونقل الكفالات وغيرها من الإجراءات ولكن لماذا نعول على الإحلال دون الإبداع وما أقصده بالإبداع هو تبني الدولة لمشاريع جديدة تستقطب المواطنين بجميع المهن مثل مشاريع سابك والجبيل وينبع على شرط سعودتها بأنظمة لا تقل صرامة عن الأنظمة المعمول بها في القطاع الخاص مثل سعودة أسواق الخضار وسعودة أسواق الذهب وسعودة شركات الأمن الخاص فإذا تبنت الدولة والقطاع الخاص أيضا مشاريع عملاقة خلاقة جديدة على غرار مشاريع الطفرة السابقة الذكر فسيكتب لها النجاح بشرط أن يكون التدريب مقدمة للإحلال ومن ضمن شروط إنشاء مثل تلك المشاريع.

ثم لماذا لا يكون التدريب له نصيب في موازنات الدولة لكل وزارة على حدة وتحت إشراف جهة مستقلة بالتعاون مع الوزارات والهيئات التي تتولى الدولة الإنفاق عليها وبعد نجاح مثل تلك المشاريع يتم تخصيصها وطرحها للقطاع الخاص ليتولى إدارتها بالكامل فيما بعد.

نحن نعلم أنه في سنوات الطفرة كان هناك فائض في الإيرادات ولكن لا يعني عدم وجود فائض أن نتوقف عن التخطيط لإنشاء مشاريع عملاقة أخرى جديدة فيمكن تعويض التمويل من قبل شركات كبرى ترغب في الاستثمار في المجالات الاقتصادية المختلفة وهذا موجود في كل الدول تقريبا وهناك أمثلة كثيرة على مثل تلك المشاريع ومنها على سبيل المثال لا الحصر مشاريع السكك الحديدية ومشاريع إسكان خاص بمنطقة مكة المكرمة والمدينة المنورة لما لهاتين المدينتين من مكانة في قلوب جميع المسلمين ومشاريع قطارات الإنفاق في كل المدن

والأولوية لمنطقة مكة والمدينة وجدة والرياض ويتبعها جميع المدن بلا استثناء ومشاريع الحدائق العامة التي تدر دخلا من مرتاديها، وهناك مشاريع كثيرة جدا لا يتسع المجال لذكرها هنا.

صحيفة الوطن السعودية , الخميس 23 شعبان 1425 هـ الموافق 7 أكتوبر 2004 م العدد (1469) السنة الخامسة

135 مساهمات للقضاء على البطالة

موضوع البطالة هو حديث الساعة لوزارة العمل وهو الموضوع القديم المتجدد وأود أن أطرح في نقاشات بعض الافكار دعوة للنقاش لعلها تضيف جديدا في علاج مشكلة البطالة وبعد هذه المقدمة القصيرة دعونا نعود قليلا الى الوراء ففي فترة الطفرة كما يحلوا للبعض أن يسميها قامت الدولة بمشاريع جبارة مثل مشاريع الاسكان ومشاريع البنية التحتية والمشاريع الزراعية المختلفة تحت إشراف البنك الزراعي والمشاريع الصناعية تحت إشراف البنك الصناعي ومشاريع عقارية أخرى تحت إشراف بنك التسليف العقاري كل ذلك تم في فترة قصيرة من الزمن جعلت دولتنا في مصاف الدول الحديثة في إنشاءاتها ومشاريعها ومبانيها وطرقها وخدماتها مثل خدمات الاتصالات وغيرها وكانت بالفعل خطط تنموية طموحة إستفاد منها المواطن والمقيم دون إستثناء وهي تجربة قامت بها الدولة ونجحت فيها كل النجاح وكما يقول المثل ليس الهدف هو الوصول الى القمة ولكن الهدف هو المحافظة عليها وساهمت الدولة وتساهم بالعديد من القرارات التي تحث على توطين الوظائف بمعنى أن يشغلها مواطنون أي القيام بعملية الاحلال ولكن هذا الجزء من الخطط لايكفي للقضاء على البطالة وخصوصا بعد تجربة وزارة العمل الحالية بعمل قيود للحد من الاستقدام ونقل الكفالات وغيرها من الاجراءات ولكن لماذا نعول على الاحلال دون الابداع وما أقصده بالابداع هو تبني الدولة لمشاريع جديدة تستقطب المواطنين بجميع المهن مثل مشاريع سابك والجبيل وينبع على شرط سعودتها بأنظمة لا تقل صرامة عن الأنظمة المعمول بها في القطاع الخاص مثل سعودة أسواق الخضار وسعودة أسواق الذهب وسعودة شركات الأمن الخاص فإذا تبنت الدولة مشاريع عملاقة خلاقة جديدة على غرار مشاريع الطفرة السابقة الذكر فسيكتب لها النجاح بشرط أن يكون التدريب مقدمة للإحلال ومن ضمن شروط إنشاء مثل تلك المشاريع .

ثم لماذا لايكون التدريب له نصيب في موازنات الدولة لكل وزارة على حدة وتحت إشراف جهة مستقلة بالتعاون مع الوزارات والهيئات التي تتولى الدولة الانفاق عليها وبعد نجاح

مثل تلك المشاريع يتم تخصيصها وطرحها للقطاع الخاص ليتولى إدارتها بالكامل فيما بعد .
نحن نعلم أن سنوات الطفرة كان هناك فائض في الايرادات ولكن لايعني عدم وجود فائض أن نتوقف عن التخطيط لإنشاء مشاريع عملاقة أخرى جديدة فيمكن تعويض التمويل من قبل شركات كبرى ترغب في الاستثمار في المجالات الاقتصادية المختلفة وهذا موجود في كل الدول تقريبا وهناك أمثلة كثيرة على مثل تلك المشاريع ومنها على سبيل المثال لا الحصر مشاريع السكك الحديدية ومشاريع إسكان خاص بمنطقة مكة المكرمة والمدينة المنورة لما لهاتين المدينتين من مكانة في قلوب جميع المسلمين ومشاريع قطارات الانفاق في كل المدن والأولوية لمنطقة مكة والمدينة وجدة والرياض ويتبعها جميع المدن بلا إستثناء ومشاريع الحدائق العامة التي تدر دخل من مرتاديها من المصطافين والزوار وهناك مشاريع كثيرة جدا لايتسع المجال لذكرها . وبإمكان المشاركين في صفحة نقاشات إبتكار أفكار خلاقة لعرضها ومناقشتها . هذا ونتمنى التوفيق والنجاح للجميع .

136 منظمة سوق العمل الدولية

لماذا لاتظهر إتفاقية دولية لتنظيم سوق العمل حول العالم تمهد لظهور منظمة سوق العمل الدولية على غرار الإتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الجمركية (الجات) .

وتكون هذه الإتفاقية متعددة الأطراف تنص بنودها على تنظيم سوق العمل الدولي من خلال المفاوضات الجماعية بهدف التوصل الى إتفاقيات خاصة بسوق العمل وتهدف هذه الإتفاقيات الى تسهيل حركة العمالة والطاقات البشرية بين الدول وتخفيض الضرائب الخارجية على هذه العمالة بشكل عام حتى لايحدث هناك إزدواج ضريبي يكون ضحيته العمالة المهاجرة . كما أن تقييد هجرة العمالة من بلد الى بلد آخر يعتبر عقبة أمام التجارة الدولية وأمام الشركات متعددة الجنسيات وعقبة أمام خلق شبكة متوازنة وعادلة من العلاقات التجارية الدولية والإنسانية .

ويكون لها مباديء رئيسية مشابهة الى حد ما لمباديء إتفاقية (الجات) . ويمكن أن نلخص هذه المباديء الرئيسية التالية :

(1) مبدأ عدم التمييز بين العمالة الوطنية والعمالة الوافدة التي تؤثر بدورها على التجارة الدولية وهو يعني إلتزام كل دولة عضو بإعطاء جميع الدول الأعضاء نفس الدرجة من الأفضلية التي قد تمنحها لأفضل شريك في سوق العمل وهذا الشرط يضمن المساواة في المعاملة بين جميع العاملين في سوق العمل ويمنع الحواجز الإنتقائية على هذه العمالة . بحيث تمنع الرسوم والضرائب المفروضة على العمالة ورسوم التأشيرات .

(2) منع جميع أشكال القيود على حركة العمالة والطاقات البشرية بين الدول حيث يعتبر أن القيود على سوق العمل فيها نوع من الإنحياز والتمييز بين البشر .

(3) ضرورة عودة الدول الأعضاء الى التشاور والتفاوض لحل ماقد يطرأ من نزاعات وخلافات حول سياسات سوق العمل من خلال منظمات العمل والنقابات العمالية المختلفة . ولابد من توفير الإطار المؤسسي اللازم لتمكين الدول الأعضاء من إجراء المفاوضات والمناقشات حول السياسات العمالية وتخفيض الحواجز المفروضة على سوق العمل الدولي .

ولهذا تقوم الدول بإعداد قائمة بالمزايا التي ترغب في الحصول عليها والأخرى التي ترغب في منحها لعمالة الدول الأخرى ولايمنع أن تأخذ طابعاً ثنائياً في بدايتها إلا أنها ينبغي أن تكتسب بعداً دولياً متعدداً لأنها تعمم على جميع الدول الأعضاء الموقعة على هذه الإتفاقية .

كما ينبغي أن تتم جولات من المفاوضات بين الدول الأعضاء للعمل على التوازن في سوق العمل وتبادل الخبرات من خلال تنمية الموارد البشرية والعلاقات الإنسانية .

ويكون الهدف من جولات المفاوضات هو تخفيض جميع أنواع الضرائب ورسوم التأشيرات المفروضة على العمالة المهاجرة من دولة الى أخرى بحيث يؤدي ذلك الى تقارب معدلات الأجور والمرتبات لمختلف التخصصات المتشابهة حول العالم من خلال التعاون مع النقابات المهنية المتعددة وفي جميع دول العالم .

كما ينبغي على الدول العظمى في هيئة الأمم المتحدة أن تقوم بتشريع إصلاح سوق العمل العالمي . كما ينبغي أيضاً أن تقوم الدول الموقعة على الإتفاقية بالتركيز على إزالة و/أو تقليص عدد كبير من القيود الإقتصادية والسياسية والإجتماعية المفروضة على سوق العمل .

كما ينبغي أن تضع في الإعتبار أهمية حقوق الملكية الفكرية وبراءات الإختراع وسياسات التحديد الإختياري لحركة هجرة العقول بين الدول وهجرة العمالة المختلفة .

كما تقوم الدول الموقعة على هذه الإتفاقية إلغاء جميع القيود التي تفرضها الدول على الإستثمار الشخصي في الأسهم والسندات داخل جميع الدول . وتسهيل نشاطات الشركات متعددة الجنسيات التي تلتزم بتوحيد أسعار المهن المختلفة طبقاً لمبدأ العرض والطلب حول العالم .

إذا مانجحت هذه المنظمة في تحرير سوق العمل حول العالم من خلال الإتفاقيات الثنائية والإتفاقيات متعددة الأطراف والتي لو وافقت الدول من خلالها على التخفيض الجماعي على الضرائب والرسوم بإعتماد سياسات تستند الى قواعد منظمات العمل الدولية توافق من خلالها كل دولة على بعض القواعد الدولية الصادرة عن منظمات العمل الدولية فقد تكون بذلك قد حررت سوق العمل وعملت على التوازن الطبيعي في معدلات الأجور والمرتبات والقضاء على شبح البطالة والفقر الذي بدوره يولد الإرهاب والنزاعات بين الدول بل

والحروب أيضاً . كما يلاحظ أنه من الصعوبة أن تقوم كل دولة على حدة بتخفيض القيود التي تفرضها على العمالة الوافدة لديها أو التمييز بين أجور خاصة بالعمالة الوطنية والعمالة الوافدة .

وهنا ستتخلص الدول من المعارضة المحلية القوية من قبل النقابات العمالية أو أصحاب النفوذ أو أصحاب المنشآت المحلية المعارضة للإستقدام لأن ذلك التخفيض من قبل الدول الأعضاء وبالشكل الجماعي يمكن أن يبرر من كل دولة عضو على أساس الحاجة لفتح أسواق العمل مقابل تسهيل الوصول الى أسواق الدول الأخرى .

وبهذا تخلص الدول الى الأسلوب التعاوني الجماعي لأنه يقوم على قواعد سلوكية محددة قد تساهم في تخفيف البطالة وتحرير سوق العمل والقضاء على الإرهاب الذي يبني بعض أفكاره على الحقد والكراهية بين الشعوب .

وعندما توافق الدول الموقعة على هذه الإتفاقية فإنها تلتزم بعدم تغيير المعايير التعاونية الجماعية وهذا يساهم في زيادة التأكد وتقلل من مخاطر التذبذب العشوائي الذي يكون نتيجة سلوك دولة معينة وفي حالات معينة الأمر الذي يؤدي الى خلل في السياسات العمالية وسوق العمل .

ومن ناحية أخرى فإن وجود عدد كبير من الدول كأعضاء في هذه المنظمة ومايترتب عليه من وجود عدد أكبر من الصناعات المتأثرة في هذه الدول يجعل عملية التنسيق والتوفيق بين مصالح الدول الأعضاء أمر في غاية الصعوبة .

ونحن نعلم أن تحقيق هذا الحلم سوف ينجم عنه تعقيد وتأخير في المفاوضات متعددة الأطراف تحت مظلة هذه المنظمة ولكن في النهاية سيؤدي بدوره الى المساهمات الكبيرة من الدول لتحقيق سياسات التكامل الإقتصادي الإقليمي الذي بدت الحاجة الماسة إليه بعد الحرب الكونية على الإرهاب وهذا سيكون بداية لتحرير سوق العمل من الدول والمنظمات وتحرر العمال من أرباب العمل .

ونستطيع هنا أن نلخص الأهمية الإستراتيجية لتصحيح الخلل في سوق العمل الدولي بما يلي :

هناك حاجة ماسة وأهمية إستراتيجية عاجلة لتصحيح الخلل في سوق العمل بين دول العالم .

إصلاح سوق العمل لابد أن يشكل حجر الزاوية في أجندة كل الدول التي تهدف الى الإستقرار.

إختفاء النعرات الطائفية التي تتبنى التفرقة العنصرية بين الطبقات العاملة وهناك أفكار تدعي بأن تراجع دور المواطنين السياسي والإنتاجي بسبب البطالة وبفضل العمالة الوافدة الأمر الذي يولد سياسة العنف والكراهية بين البشر .

إختفاء النظرة السوداوية التي تقول إن الإعتماد على قوة العمل الوافدة لايبشر بمستقبل للسكان الأصليين .

القضاء التام على معسكرات العمل من الوافدين في بعض الدول مما يساهم في بناء مجتمع حضاري منتج وفعال .

خلق نوع من المنافسة الشريفة التي تؤدي الى رفع مستوى مايسمى بالعمالة الرديئة غير المدربة والمدعومة محلياً التي غالباً ما تطرد العمالة الجيدة من سوق العمل .

التخلص من مقولة العمالة الوافدة الأجنبية الرخيصة تطرد العمالة الوطنية غير الرخيصة حيث سيكون هناك توازن طبيعي لسوق العمل وحوافزه .

قيام تجمعات سكانية تتمتع بخصائص المجتمع المتناسق حتى لايؤدي إختلاف الجنسيات الى صراع ثقافات وعادات وقيم بل وحروب أهلية ايضاً .

منع قيام أفكار عنصرية أو إرهابية بين السكان والتي تتبنى مقولة من أجل إيقاف مسار ضياع مجتمعات المنطقة الأصلية يجب ترحيل العمالة الوافدة الأجنبية لأنها تضعف قدرة المواطنين على تقرير مصيرهم والدفاع عن مصالحهم وتأمين مستقبلهم .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 02-06-2005م

137 التخلص من الكبرياء يقضي على البطالة

الحاجة ام الاختراع هذا المثل ينطبق على العديد من أوجه الحياة ومنها البطالة التي كثر الحديث عنها هذه الايام فالموضوع يستحق الاهتمام والبحث المستمر ولكن دون تحميل طرف المسؤولية على حساب الطرف الاخر فالعملية لها أطراف ثلاثة كأضلاع المثلث وكل ضلع مستند على الضلع الآخر وهذه الاضلاع هي صاحب المشكلة(العاطل عن العمل) وصاحب العمل (مؤسسات وشركات القطاع الخاص) والدولة ولكل من هذه الاطراف ظروفه الخاصة وليست بخافية على الجميع ولنتدارس ظروف كل طرف لنصل الى الهدف وهو تخفيض البطالة الى الحد الادنى مع مراعاة ظروف كل طرف فصاحب المشكلة هم من الشباب الباحثين عن وظيفة، وكل منهم له ظروفه الصعبة، ومعاناته المريرة على الرغم من مؤهلاته الجيدة، وينظر الى المتعاقدين أو الوافدين وهم يعملون في الوظائف التي يتطلع إليها هؤلاء الشباب السعودي فمن حق هذا الشاب ان ينظر الى ذلك بأحقيته للعمل في بناء اقتصاد بلاده ولكن في نفس الوقت يجب أن لايلوم الشركات الوطنية قبل أن يتوثق فهذه الشركات ترغب في عمل الشباب السعودي لديها ولكن بشروط عمل المتعاقدين لان قطاع الاعمال الحرة مبني على أساس الربح والخسارة فنظام السوق الحر لايرحم والمنافسة على أشدها لذا نلتمس العذر اذا طالب صاحب العمل الشباب السعودي.

أولا برواتب لاتزيد عن رواتب المتعاقدين

ثانيا الالتزام بالدوام بالنسبة للحضور والانصراف مثل إلتزام المتعاقدين , ثالثا الانتاجية فاذا تمتع الشاب السعودي بالانتاجية كنظيره من المتعاقدين فلابد من أن يجد طريقه ليحل محل المتعاقد مهما كانت ظروف هذا المتعاقد رابعا نظام الكفالة الذي يعطي لصاحب العمل الحق بعدم سفر المكفول خارج البلاد إلا بأمره بموجب أنظمة الخروج والعودة ولايستطيع أن يعمل لدى الغير الا بعد موافقة صاحب العمل فاذا التزم الشاب السعودي بالشروط المذكورة أعلاه فإننا نعتقد جازمين أن صاحب العمل سيفضله على غيرة , فالندية في التعامل تفقد المواطن المتقدم للعمل فرصة وظيفية وهناك سبب آخر تجعل صاحب العمل لايرغب في

توظيف الشاب السعودي وهو مادة في نظام العمل والعمال تنص على "اذا انتهت خدمات المتعاقد لدى مكفولة فيحظر عليه القيام بنفس العمل لدى أي جهة أخرى لمدة عامين حتى لايقع الضرر على صاحب العمل ويكون منافسا له حيث يعرف من أسرار العمل ولاسيما ان معظم المؤسسات هي من الحجم الصغير فيخشى أن يقع عليه ضرر , وأما بالنسبة لقول بعض الكتاب أن هؤلاء لا يستطيعون الانتظار أكثر مما انتظروا، فبعضهم يبحث عن عمل منذ سنوات، أقول لهم أن الخلل في الشخص العاطل عن العمل نفسه أكثر من بقية الاطراف التي ذكرناها أعلاه وهل يعقل ان يبحث شخص عن عمل مدة خمس سنوات دون جدوى الا اذا كان هذا الشخص لن يقبل بأي عمل ولن يقبل بأي راتب ولن يقبل بأي دوام ولن يقبل العمل في أي مكان بل يريد الوظيفة أن تأتي اليه على طبق من ذهب . وأما بالنسبة لمخاطر الفراغ والفقر فالمثل يقول الحاجة ام الاختراع فلو شعر هذا الطالب للوظيفة بالحاجة فعلا لوجد مائة وظيفة ووظيفة وكما يعلم الجميع أن هناك عادات وتقاليد تمنعنا من العمل كصناع أو عمال أوأصحاب مهن والسؤال الذي يطرح نفسه متى نستطيع أن نتخلص منها ؟ ورغم كل ذلك نجد هناك أصوات تطالب بدفع رواتب للعاطلين عن العمل من أبناءنا فبدلا من أن نحثهم على العمل نطالب الدولة أكثر مما تطيق بدفع رواتب لاناس لايعملون بحجة البطالة وعدم توفر فرص عمل إن فرص العمل موجودة لمن يتنازل عن كبريائه قليلا ويجد ويجتهد وأنصح كل شخص لم يجد له عمل أن يذهب الى السوق ويتأمل كيف يعمل الناس , بل يذهب الى الحرمين الشريفين وينظر الى المنطقة المركزية فيهما وكيف تعمل الناس من كل الاجناس والالوان يعملون ويرتزقون فالمرأة العجوز ذو الستين خريفا تبسط في السوق وتعمل والكهل ذو الستين يبيع المساويك ويرتزق والطفل الصغير يبيع الماء البارد والعصير ويرتزق ومن كل الفئات أما البحث عن وظيفة لن تجدي نفعا وكما يقول المثل ماحك جلدك مثل ظفرك فتولى انت جميع أمرك . وهناك من يطالب بقوانين صارمة لاتستعطف رجال الاعمال ويرون أن هناك تناقض بين وجود فئة غنية وبأموال ضخمة وبين وجود فئة كبيرة من الشباب الذين أقفلت في وجوههم أبواب التوظيف وفرص العمل الشريف وكأنما هذا الغني لم يجمع هذا المال ريال بعد ريال ومن ثم نطالب بأنظمة تجبره

على دفع رواتب ووظائف للعاطلين عن العمل فلو جلس هذا محل هذا لوجد أن الامر أصعب من أن يحتمل . لا ننسى طبعا أن كلا الفئتين هم من السعوديين ويعيشون تحت نفس الظروف فهذا أصبح رجل أعمال وبنى تجارته وحقق رأس مال كبير وأما الاخر لازال يبحث عن وظيفة وليعلم الانسان أن صاحب الوظيفة مهما كان الراتب الذي يتقاضاه لن تجعل منه رجل أعمال الا إذا مارس العمل الحر ولن يحصد الملايين دون أن يستخدم الآخرين لخدمة أعماله وتنمية تجارته والسهر عليها .

فأبواب الاستثمارت مفتوحة في الداخل كما هي في الخارج فبدلا من الضغط عليهم نأمل أن نستعطفهم ونبين لهم مصلحة الوطن والمواطن وبدلا من الضغط عليهم أو الحجر على أموالهم فما الحجر الا على السفيه أما العاقل فلا حجر على ماله وجاء الامر الالهي الى الرسول بقوله ولو كنت فظا غليظ القلب لأنفضوا من حولك هكذا علمنا الاسلام فلا الانظمة الصارمة تحل المشكلة ولا التساهل يحل المشكلة بل الوسطية وجعلناكم امة وسطا وهو ماتطالب به الدولة من تحقيق نسبة "سعودة" معقولة ويجب أن لاننسى أننا نعمل في ظل نظام اسلامي حر فكثرة الانظمة تفقد هذه الحرية معناها . أما بخصوص من يطالب برفع الحد الأدنى لرواتب السعوديين في الشركات إلى الحد المعقول فالمعقول في رأينا هو سياسة العرض والطلب وعندها فقط سنجد أن أصحاب رؤوس الأموال سيقفون مع المواطن لتنمية إقتصاد الوطن ويتحملون شيئا من هذا العبء ويتنازلون عن شيء من أرباحهم لحل مشكلة البطالة .

مصطفى الغريب – الرياض

138 إصلاحات سوق العمل

عندما أطل شبح البطالة برأسه على دول مجلس التعاون الخليجي بدأت الحكومات تبذل جهوداً لإيجاد المزيد من فرص العمل لمواطنيها وبدأت توفر لهم فرص التدريب والتأهيل الفني والتقني والإداري وفرص إستحداث وظائف جديدة وهذا يعني أن هذه الدول تتبنى مبدأ التجربة والخطأ في علاج العديد من مشكلاتها أي غياب التخطيط السليم قبل وقوع المشكلة .

وأول ما إهتدى إليه أصحاب القرار هو عملية "الإحلال" أي أن يحل المواطن بديلاً عن الوافد وفرض الرسوم والضرائب على الوافدين لينشأ ما أصطلح عليه صندوق تنمية الموارد البشرية لتمويل عمليات التدريب والتأهيل الفني دون دراسة الآثار السلبية على عملية الإحلال نفسها وعملية فرض الرسوم والضرائب وبالتالي المشاكل المستقبلية التي ستواجه هذه الدول وبعدها ستتبنى نفس سياسة التجربة والخطأ في إيجاد الحلول لتقع في ما أصطلح عليه بالحلقة المفرغة التي سنتناولها بالشرح والتفصيل لاحقاً.

ويبدوا من ظاهر الحلول التي أتخذت أنها ستعالج المشكلة ولكن في بعدها الإستراتيجي والبعيد المدى لن تحل المشكلة ولهذا بدأ الخبراء والمفكرين في الإجتهاد لإيجاد حلول تكون أكثر واقعية وعملية وأقرب إلى العلاج الطبيعي منه الى القسري وهو تفعيل دينامية السوق في المنافسة وتأهيل المواطن بصورة طبيعية وليس قسرية .

لهذا تواجه دول مجلس التعاون الخليجي تحدياً حقيقياً في توفير فرص العمل لمواطنيها خلال العقود القادمة إستشراقاً للمستقبل ، ومن المتوقع أن يدخل سوق العمل في دول الخليج العربي أعداد كبيرة تتدرج من مئات الآلاف الى الملايين لأول مرة والعديد منهم سيكون من الشباب الخليجي الباحث عن العمل وقد تخرج حديثاً من جهات متعددة كما وسيكون الخريجين من الجنسين .

وفي بعض دول مجلس التعاون الخليجي نجد أن هناك وظائف جديدة تم إستحداثها ولكن تتطلب نوع من التأهيل والتدريب وهذه الوظائف تضاعفت عدة مرات مقارنة بوظائف

الأعوام السابقة ولكن نسبة تضاعف الوظائف هذه لاتكفي لإيجاد فرص عمل لجميع الخريجين والعاطلين عن العمل .

ويحتدم الجدل بخصوص المهارات اللازمة للتنافس على الوظائف الحكومية منها ووظائف القطاع الخاص وخصوصاً تلك التي تدفع رواتب مرتفعة نسبياً , ولكن من الواضح أن فرص العمل المتاحة ستكون في عددها أقل من عدد الخريجين أو العاطلين عن العمل وهذا سيؤدي في النهاية الى وجود بطالة بين صفوف الخريجين والعاطلين عن العمل إلا إذا حدثت معجزة أو ثورة إدارية أو أي أسباب قدرية أخرى على إعتبار أن الأرزاق بيد الله خالق هذا الكون البديع .

وهنا يتبادر الى الذهن عدة تساؤلات منها :

هل سيجد هؤلاء الباحثون عن العمل الوظائف التي تحقق طموحاتهم ؟ ، فيما يتعلق بالأجور واستخدام مهاراتهم ؟ هل ستكون دول مجلس التعاون الخليجي قادرة على تزويدهم بوظائف كافية ؟ إن كانت الإجابة بالنفي، فإنهم سيواجهون البطالة، أو سيبقون في وظائف غير مرضية، لا تكافئهم بما يستحقون، أو سيجبرون على الهجرة من دولهم للبحث عن فرص أفضل في دول أخرى رغم وجود الوافدين من جميع دول العالم في دول مجلس التعاون الخليجي .

إن الغرض من هذه المقالات هو محاولة إستكشاف كيف يمكن لدول مجلس التعاون الخليجي أن تواجه هذا التحدي في إيجاد فرص العمل , وسوف نستعرض في هذه المقالات أهم دعائم الإصلاح وبشكل تفصيلي ولكي ينجح الإصلاح في إقامة "دورة حميدة "من الازدهار المتزايد، يشترط أن يكون شاملاً ومتكاملاً في آن واحد.

والإصلاح الشامل يعني أن دول مجلس التعاون الخليجي يجب أن تفكر بمنظور واسع فيما يجب عمله لضمان الازدهار, فلا يوجد حل واحد يحقق المعجزة، ولا عصا سحرية تقلب الأحوال على رأسها , أما الإصلاح المتكامل فيعني أن كل جهود الإصلاح يجب أن تدعم بعضها البعض وتسهم في تحقيق الهدف النهائي المتمثل في توفير وظائف للمواطنين تتميز بالنوعية العالية والرواتب الجيدة وطبقاً لقواعد دينامية السوق الحر .

وبالتالي ستستفيد قطاعات المجتمع المختلفة من برنامج الإصلاح الإقتصادي الشامل ، فالمواطن الخليجي من أصحاب المهارات المنخفضة يواجه صعوبات عسيرة، لأن عبء البطالة يقع عليه أكثر من غيره، وليس أمامه إلا قلة من خيارات التوظيف , ومن ناحية أخرى، ستتكون الأغلبية العظمى من المنضمين الجدد إلى سوق العمل من أصحاب المهارات المتوسطة والعالية ، وهم سيتوقعون الحصول على الوظائف التي تتماشى مع تعليمهم وخبراتهم .

وفي هذا الإطار، ينطوي الإصلاح الشامل والمتكامل على ثلاثة دعائم أوعناصر رئيسية تلبي حاجات المواطنين الخليجيين من مختلف مستويات المهارة وهي كما يلي :

- ❖ إصلاح سوق العمل سيضمن أن المواطنين الخليجيين ، وبصفة خاصة ذوي المهارات المنخفضة والمتوسطة، سيستفيدون من النمو الاقتصادي ولن يواجهوا عقبات هيكلية تعترض عثورهم على الوظائف.
- ❖ الإصلاح الاقتصادي سيحفز خلق فرص عمل جديدة في القطاع الخاص، خصوصاً الوظائف ذات الأجر العالي والمتوسط للمواطنين الخليجيين أصحاب المهارات العالية.
- ❖ إصلاح التعليم والتدريب سيرتقي بالمهارات والمعرفة والسلوكيات، من أجل

المساعدة على نقل أكبر عدد ممكن من المواطنين الخليجيين إلى الوظائف ذات الراتب المرتفع، كما سيضمن زيادة إنتاجيتهم ويجعلهم خياراً جذاباً أمام أرباب العمل من القطاع الخاص .

ومن الناحية النظرية يبدوا الطرح السابق كلام جميل ولكن عند التطبيق العملي على أرض الواقع تنشأ عقبات بحاجة الى قرارات مؤلمة وحكيمة ومبنية على دراسات ورأي خبراء في شتى المجالات وإعتراف بالحقائق والمسئولية عن الأخطاء لنواجه الإصلاح الشامل والمتكامل ونبدأ التخطيط على أسس سليمة واضعين أمامنا الفرص والتهديدات ونقاط القوة ونقاط الضعف .

ومن الحقائق التي يجب أن نعيها هي أن نموذج دول مجلس التعاون الخليجي الإقتصادي الحالي لن يكون قادراً على إيجاد الوظائف الكافية للمواطنين الخليجيين لأن الإعتماد التاريخي على وظائف القطاع العام لم يعد ممكناً كما كان سابقاً ونموذج مشاريع القطاع الخاص التي تعتمد على العمالة منخفضة الأجر لا يخلق فرص عمل للمواطنين الخليجيين داخل دول مجلس التعاون الخليجي لخصوصية طلباتهم وإرتفاع أجورهم ورواتبهم .

ولهذا نحن بحاجة الى تغيير النموذج الإقتصادي الحالي الذي يتطلب إصلاحاً شاملاً ومتكاملاً لضمان أن يكون القطاع الخاص هو المحرك لنمو الإقتصاد في دول مجلس التعاون الخليجي سواء في الدول مجتمعة أو في كل دولة على إنفراد وترك آلية السوق تعمل بشكل طبيعي مع تبني شعار العدل والمساواة بين الكفاءات الإدارية والفنية والمهنية لشغل الوظائف في القطاع الخاص ونترك شعارات تبنيناها ومازلنا مثل بحرنة وقطرنة وأمرته وعمننة وكوتنه وسعودة وغيرها .

إن إصلاح سوق العمل خطوة مهمة، لأنه يصحح أوجه الخلل الأساسي في تركيبة سوق العمل، بما يضمن أن المواطنين الخليجيين يمكنهم التنافس بفعالية على الوظائف المتاحة وليس بالإحلال القسري وعبر قوانين وأنظمة تعطل دينامية السوق الحر , ومجابهة تحديات سوق العمل تتطلب إزالة فروق التكلفة بين المواطنين الخليجيين والوافدين في شريحة قطاع الرواتب المنخفضة ، وكذلك إزالة القواعد الجامدة التي تحكم سوق العمل .

كما ينبغي علينا أن نأخذ بتوصيات خبراء صندوق النقد الدولي الذي أبدى العديد من المراقبين الدوليين قلقهم من أن حجم القطاع العام قد وصل إلى التشبع بالفعل في دول مجلس التعاون الخليجي . ومن ذلك مثلاً تقريراً نشره صندوق النقد الدولي مؤخراً يقول إن الإستراتيجية المطبقة في بلدان مجلس التعاون الخليجي لاستيعاب أعداد كبيرة من المواطنين في القطاع العام "قد وصلت عملياً إلى منتهاها لأن إجمالي تكلفة الأجور قد بلغ مستويات مفرطة لا يستطيع الاستمرار معها في الارتفاع."

يضاف إلى ذلك أنه إذا لزم على القطاع العام في دول مجلس التعاون الخليجي أن يحاول استيعاب المنضمين الجدد إلى سوق العمل، عن طريق الحفاظ على الحصة المخصصة حالياً للمواطنين الخليجيين ، والتي تبلغ نسبتها 40 بالمائة في بعض الدول وزادت حسب قوانين العمل الجديدة في بعض الدول الأخرى الى 75 بالمائة ، سيتعين على القطاع العام أن ينمو بأكثر من 8 بالمائة سنوياً الى 16 بالمائة طيلة السنوات العشرين المقبلة, أي من أربعة أضعاف الى ثمانية اضعاف الزيادة التي حققها خلال العقد الماضي.

وتحقيق ذلك يبدوا مستحيلاً ويستدعي زيادة حصة الإنفاق الحكومي المخصصة للرواتب، مما يتعارض مع متطلبات الاستثمار في الميادين المهمة الأخرى، مثل الصحة والتعليم والأمن والأشغال العامة. وإلى جانب ذلك، فإن زيادة وظائف القطاع العام نادراً ما تضيف إلى الثروة الإجمالية في البلاد , بل بالعكس، يتنافس القطاع العام على الموارد مع القطاع الخاص، الذي هو عصب الاقتصاد المنتج الذي يحقق الرخاء.

من الجلي تماماً أن نموذج دول مجلس التعاون الخليجي التقليدي المتمثل في توفير احتياجات مواطنيه من خلال وظائف القطاع العام لم يعد خياراً ممكناً وأن توفير إحتياجات المواطنين الخليجيين من خلال وظائف القطاع الخاص والمحرك للإقتصاد عبر القوانين والأنظمة القاسية بحق أصحاب هذا القطاع لم يعد ايضاً خياراً ممكنا فماهو الخيار الممكن ؟ .

موقع قناة العربية 02-11-2005م

139 حب أو لاتحب فأنت أجنبي

أنظمة وقوانين الجنسية التي تم تطبيقها مؤخراً في بعض دول الخليج العربي حرمت الكثيرين من محبي هذه الدول أن يحملوا جنسيتها , حقيقة واقعة أصابت العديد من المقيمين بالإحباط لإستمرار النظرة الدونية لكل ماهو غير خليجي رغم أن الكثير منهم يشعر بالانتماء والحب والولاء والوطنية .

لقد مر أكثر من عام على تطبيق هذه الأنظمة والقوانين , ولم يتم تجنيس إلا عدد قليل جداً وهذا يعني أن الأنظمة والقوانين الجديدة تم تفصيلها على فئة محددة جداً من البشر, ورغم طول فترة البحث والدراسة إلا أن المستفيدون من تلك الأنظمة والقواين فئة قليلة جداً , فهل الإعتبارات الأمنية هي الفيصل في الأمر أم أن هناك إعتبارات أخرى , ولهذا يتم التعامل مع كل حالة على حدة وفق مبررات معينة ودراسات وإحصائيات تتولى فيها الدولة تحديد عدد المستفيدين ونوعيتهم المهنية ومتطلباتهم .

إن العمل على مشروع تجنيس بعض المقيمين في بعض دول الخليج العربي أخذ من الدراسة أكثر من أي مشروع آخر , أما النتائج فهي أقل بكثير من حجم الدراسات والوقت الذي إستغرقته وكانت الحجة أن التجنيس في حد ذاته يؤثر على التركيبة الديموغرافية السكانية وبالتالي تتأثر وتؤثر في طبيعة المجتمع وتجاهل المعدون لهذا النظام , سرعة التطور والتغيير في المجتمع من خلال القنوات الأخرى والتي تعتبر أكثر تأثيراً وأكثر خطراً من الإهتمام بجانب التركيبة الديموغرافية عن طريق التشدد في أنظمة وقوانين الجنسية .

ولهذا نرى أن بعض هذه الدول غير معذورة في تطبيق سياسات متشددة في التجنيس وفي وضع وتطبيق سياسة سكانية وتبني إستراتيجيات وبرامج وخطط وإجراءات متعددة وصارمة من خلال وضع أهداف كمية ونوعية قابلة للمتابعة والقياس والتقييم الموضوعي وكأن هذه الدول داخل مختبر صغير لدراسة الجينات وآثار التزاوج بينها وماسوف يترتب عليها من سلوك متوقع الأمر الذي يناقض طبيعة وسرعة التطور الذي يعم سائر القارات في الكرة الأرضية .

ومهما حاولت الدول في سعيها الدؤوب لتبني سياسات للعمل بموجبها كي تستقر نسبة من المهاجرين وتحدد بناء على قدرة الدولة على الاستيعاب والاندماج وتبني سياسة سكانية بعيدة المدى تأخذ حتمية تجنيس عدد من الوافدين ، فليست هناك هجرة لم تترك أثرا بشريا وثقافيا , ويمكن أن يكون ذلك الأثر إيجابيا إذا كانت سياسة التوطين في حدود الاستيعاب والقدرة على الإدماج والاندماج الحقيقي في المدى البعيد ولكن التشدد في تبني سياسات وأنظمة تحد من الإستفادة من العناصر البشرية الفعالة سيجعل هذه الدول تراوح مكانها إذا لم تحاول الإستفادة من هجرة العلماء اليها بل وتوطينهم فيها .

ومهما حاولت الدول من خلال المجالس الوطنية والإقليمية والمركزية في تبني وتنسيق السياسة السكانية ومتابعة أدائها، وتقييمه بشكل منتظم ومستمر وتوفير جميع الأدوات وتوظيف الآليات القادرة على تحقيق الأهداف الكمية للسياسة السكانية إلا أن ذلك لن يخلق مجتمع مثالي أو ذو صفات معينة ولن تستطيع أي دولة من تحقيق هذه الطموحات لأنها في الواقع تعارض النمو الطبيعي للأجناس البشرية ولن تحد من الهجرة الطبيعة والتزاوج الطبيعي بين البشر .

وبدلاً من إيجاد سياسات مبنية على إستراتيجيات كي تعالج الخلل السكاني في هذه الدول رغم الحاجة الماسة لذلك إلا أن بعض هذه الدول تتبع سياسات متشددة كي يزداد الخلل السكاني تفاقماً , ولن تستطيع هذه الدول من إيقاف الزحف المتقدم نحو الخليج طالما هناك قطرة بترول واحدة يمكن الإستفادة منها في تزويد الطاقة العالمية .

ولكن الجميع سوف يغادر هذه المنطقة إذا نضب هذا المعين إن لم يتم توطين حزء منهم ليعملوا في مجالات يمكن الإعتماد عليها لتحقيق إيرادات تتبنى وسائل الإنتاج والتصنيع والتكنولوجيا وبالتالي هذه الدول بحاجة أكثر من غيرها لتفتح المجال لإستقطاب العلماء ورجال الأعمال والإستثمارات في شتى المجالات حتى يكون هناك نهضة شاملة تعتمد على العنصر البشري أكثر من إعتمادها على مصدر لابد أن ينضب يوماً ما , لتستمر الحياة على هذه البقعة الهامة من العالم .

صحيح أن التجنيس قرار سيادي والدولة تمنح الجنسية وفق شروط تعتمد على دراسات وإحصائيات , ولكن ليس بمثل هذا التشدد الذي لو كان فيه خير لقامت الدول المتقدمة في العالم بتبنيه , بل يجب أن نسير على خطى الدول المتقدمة التي إستفادت كثيراً من أنظمة الجنسية التي تطبقها , ولهذا يمكن القول أن العلماء أصبحوا غرباء في بلاد الإسلام ليتوطنوا في بلاد الغرب وما سر تقدم الدول الكبرى إلا بسبب هجرة العلماء لينعموا بالحرية والعدالة والديموقراطية التي نادى بها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان .

وقد قال بعض الرحالة العرب عندما سأل عن الغرب "وجدت إسلاماً ولم أجد مسلمين", ولذا يمكننا القول أن الإسلام أصبح غريباً في بلاد المسلمين وتوطن في بلاد الغرب لدرجة أننا ننعت المسلمين من غير المواطنين في دول الخليج العربي بالأجانب , ولهذا يمكننا القول أن دول الخليج تتبع مقولة "حب أو لاتحب فأنت أجنبي" .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 13-01-2006م

140 الحلقة المفرغة كيف نكسرها ؟

يؤمن الكثير من الإقتصاديين بمباديء السوق الحر كوسيلة فعالة لتحقيق النمو الإقتصادي من خلال نمو القطاع الخاص وينصح العديد منهم بعدم تدخل الدول في فرض قيود عليه من خلال أنظمة وقوانين قد تكون ظالمة أو قاسية وبدلاً من ذلك يتم النصح والمشورة والتركيز على دعم هذا القطاع في إيجاد التسهيلات اللازمة لينمو ويزدهر فينمو معه الطلب على الوظائف للتخفيف من معاناة العاطلين عن العمل وإيجاد فرص جديدة للخريجين ولكن مشكلة الإقتصاد في السياسة حيث يتدخل السياسيون لتحقيق أهداف سياسية قد تضر بالإقتصاد .

وتزخر كتب الإقتصاد بنظريات إصلاح سوق العمل ولكن الدارس لهذه النظريات يخرج بتصور شامل معتقداً أنه لايوجد حل واحد يحقق المعجزة ولا عصا سحرية تقلب الأحوال على رأسها وإنما كل الجهود يجب أن تدعم بعضها البعض وتسهم في تحقيق الهدف النهائي المتمثل في توفير وظائف للمواطنين تتميز بالنوعية العالية والرواتب الجيدة وطبقاً لقواعد دينامية السوق الحر التي تنص على إتاحة فرص العدالة والمساواة بين بين الجميع ومنها وظائف القطاع الخاص سواء للمواطنين أو للمقيمين حتى تكون المنافسة شريفة وبناء على الكفاءة والإنتاجية والتكاليف .

وعندما يكون آداء القطاع الخاص قوياً فحتماً ستخلق فرص عمل جديدة يتنافس عليها الجميع دون تفرقة أو تمييز بين مواطن ومقيم وبالتالي سنكتشف أن إستفادة المواطنين الخليجيين من ذلك النمو سيكون كبيراً وأن عدد الوظائف المتاحة لهم ستكون في إزدياد مستمر وبالتالي تزول معها النعرات الطائفية والقبلية وبزوالها يتحقق الإخاء والرخاء والنمو والإزدهار .

وإذا إستطاعت آلية السوق من رفع الحد الأدنى من الأجور من خلال مباديء العدالة الإجتماعية كي لايعتمد نموذج العمل في مشاريع القطاع الخاص على الوظائف منخفضة الأجر المتمثلة في العمالة الوافدة التي يعتقد أنها تحل محل العمالة المواطنة دون الإعتراف بدورها

في نمو الإقتصاد وبالتالي يستطيع المواطنون أن يدخلوا سوق العمل من خلال قدرتهم على التنافس بنجاح على الوظائف الجديدة التي يفترض أنها تعتمد على الوظائف متوسطة الدخل أو مرتفعة الدخل ومن الإنصاف أن نقول أن دول مجلس التعاون الخليجي تتمتع بإقتصاد متنام لكن أغلب المواطنين لايرون فوائد هذا النمو.

إن نموذج مشاريع القطاع الخاص الحالية رغم تنام الإقتصاد الخليجي لن يستطيع توفير وظائف كافية للعمالة الوطنية والتي تقدر بعض الدراسات تعدادهم بمليون مواطن خليجي سيبحثون خلال السنوات العشر المقبلة عن وظائف جيدة الأجر وتحقق طموحاتهم .

ستواجه دول مجلس التعاون الخليجي زيادة في البطالة والبطالة المقنعة إذا لم يتم إدخال إصلاحات كبيرة، ، فقد بدأت المشاكل في الظهور حالياً , ومستويات البطالة مرتفعة ومتواصلة في الإرتفاع في جميع دول مجلس التعاون الخليجي دون إستثناء ولكن بنسب متفاوتة من دولة الى أخرى وهي مرشحة للإرتفاع إذا لم يتم عمل شيء إزاء ذلك .

ومع أن هذه التوقعات مثيرة للقلق، إلا أنها قد لا تكشف بالكامل عن مدى خطورة المشكلة، ذلك لأنه من ضمن المواطنين الخليجيين العاملين اليوم ، يعمل ثلثهم في وظائف لا تفي بمستويات مهارتهم ، وستزداد هذه النسبة إلى معدلات أعلى بحلول الأعوام القادمة إذا بقيت الأوضاع الحالية على حالها.

إن التوقعات الاقتصادية مثبطة للآمال , وفي الوقت الذي حقق الإقتصاد الخليجي بعض النمو إلا أن متوسط أجر الطبقة العاملة من المواطنين تقلصت هذا يعني أنهم لا يستطيعون كسب دخل يتماشى مع تعليمهم ، وخبرتهم، وتطلعاتهم , والتضخم الإقتصادي بشكل عام , وإذا استمرت هذه التوقعات ومايقابلها من توجهات على حالها فقد ينخفض متوسط أجر الفرد رغم الزيادة في الرواتب التي حصلت في بعض دول مجلس التعاون الخليجي مؤخراً .

إن جوهر المشكلة يكمن في أزمة الحلقة المفرغة , فماهي الحلقة المفرغة التي تتسبب في هذه المشاكل الاقتصادية الخطيرة ؟ وهل نستطع كسرها ؟ ويمكن تلخيص معنى الحلقة المفرغة بالقول إن القطاع العام تولى القيام بدور الراعي لمواطنيه خلال السنوات الماضية ، وبالتالي بات الخليجيون يتوقعون أن القطاع العام سيوفر لهم وظائف آمنة تضمن الأجور

المرتفعة لهم ولأبنائهم دائماً. ونتيجة لذلك، لا تشعر إلا قلة من الخليجيين ، وخصوصاً الشباب منهم، بحافز قوي للبحث عن وظائف في القطاع الخاص .

وفي الوقت نفسه، يستند النموذج التجاري لمشاريع القطاع الخاص على أساس العمالة الرخيصة منخفضة المهارات الوافدة من الخارج , ولا توجد إلا قلة ضئيلة من المشاريع التجارية الخاصة التي تشعر بضرورة الاستثمار في تدريب المواطنين الخليجيين أو في إيجاد وظائف عالية الأجر لهم ، لأنه لا يزال من المربح لها الاعتماد على الأيدي العاملة الوافدة والرخيصة والمتوافرة بأعداد تكاد تكون غير محدودة , وبالتالي فإن ثلاثة من أصل أربعة من جميع وظائف القطاع الخاص يشغرها عمالة غير وطنية ، في حين لا تزيد إنتاجية العامل في القطاع الخاص عن ثلث معدلها في بعض الدول المتقدمة .

ولهذا فإن معدلات البطالة بين المواطنين ستواصل الإنفجار إذا تواصل الخلل في سوق العمل ومن أجل معالجة أداء القطاع الخاص المنخفض في إيجاد الوظائف للمواطنين الخليجيين ، تفرض الحكومات الخليجية عليه مجموعة من اللوائح التي تجبر المشاريع التجارية الخاصة، بموجب النظام والقانون، على توظيف المواطنين الخليجيين . وفي حين أن هذه اللوائح حققت بعض الفعالية في دعم توظيف المواطنين في المدى القصير ، فإنها تؤدي أيضاً إلى نتائج معاكسة على المدى الطويل .

فعن طريق هذه اللوائح والنظم تدير الحكومات الخليجية بشكل تفصيلي القرارات التي تتخذها المشاريع التجارية، مما يعيق قدرتها على النمو وإيجاد وظائف أكثر, علاوة على ذلك، فإن إدراك المواطنين الخليجيين أن الوظائف محجوزة بشكل محدد لهم، فإنهم لا يشعرون بضغط كبير لتحسين أدائهم، مما يؤدي إلى تخفيض معدلات إنتاجيتهم ويساهم في تشجيع تبنيهم لسلوك غير ملائم تجاه العمل، وذلك بدوره يجعل المواطنين الخليجيين أقل جاذبية كموظفين في المشاريع التجارية الخاصة.

وبالتالي ترتفع نسبة البطالة بين المواطنين الخليجيين الأمر الذي يجد القطاع العام نفسه مضطراً مرة أخرى لدخول سوق العمل وتزويد الوظائف لمواطنيه ولو على حساب الكفاءة والإنتاجية والتكاليف ، وتبدأ الدورة مرة أخرى في هذه الحلقة المفرغة , وإذا سمح لهذه

الدورة بالاستمرار، سينجم عنها دوامة من تفاقم البطالة والبطالة المقنعة ، وانخفاض الأجور، والضغط على الموارد العامة في دول مجلس التعاون الخليجي , وقد يتحول الوضع إلى زيادة المشقة على المواطنين الخليجيين أو نقص في خدمات القطاعات الضرورية الأخرى .

وحتى لايصبح هذا أمراً واقعاً فلابد من كسر الحلقة المفرغة لتبدأ دورة إقتصادية حميدة وإن إحتاج الأمر الى العمل الشاق والمرونة وتبني سياسات يتكيف بموجبها المواطنين مع دينامية السوق الحر في مجابهة هذه التحديات فدول مجلس التعاون الخليجي جزء من هذا العالم ولاتستطيع أن تسير في عكس إتجاه التيار ولابد أن تدخل في تيار العولمة وسوق العمل الحر وأن تنضم الى منظمة التجارة العالمية وأن تطبق سياساتها ليكون المواطن الخليجي منافس في سوق العمل وفي الإنتاج دون الإعتماد على إعانات أو ضرائب تأخذ من الغير لتحسين ظروف تدريبه أو معيشته .

ولكسر هذه الحلقة المفرغة يستدعي من أصحاب القرار في دول مجلس التعاون الخليجي التفكر بعناية في النوذج الإقتصادي ككل وتركز على هدفين رئيسيين، من شأنهما أن يغيرا معاً آليات الاقتصاد الخليجي ودينامياته :

- أولاً ، ينبغي أن يصبح المواطنون الخليجيون الخيار المفضل لشغل وظائف القطاع الخاص كما هو في القطاع العام , ففي حين يمكن للقطاع الخاص إيجاد وظائف جديدة من خلال المنافسة الكاملة ، فإن الخليجيين ، إذا عجزوا عن التنافس عليها بنجاح، لن يتمكنوا من الاستفادة من النمو المتحقق , وبمعنى آخر، يتعين على المواطنين الخليجيين ، مع تنوع مستويات مهاراتهم، أن يكونوا هم الخيارالحر والمفضل لنيل هذه الوظائف .

- ثانياً ، ينبغي أن يصبح القطاع الخاص محرك النمو الاقتصادي , فإذا لم يعد القطاع العام قادراً على استيعاب العمالة الوطنية الجديدة أو جزء منها ، يجب أن يكون الخليجيون قادرين على التوجه إلى القطاع الخاص لتوفير الوظائف الكافية للخريجين والعاطلين عن العمل , ومن أجل تحقيق ذلك، ينبغي أن تتاح للقطاع الخاص الفرص والحوافز الضرورية لإيجاد نوعية الوظائف التي يرضى بها المواطنون الخليجيون وتلبي إحتياجات سوق العمل .

إنّ تبني هذين الهدفين معاً يمكن أن يضع دول مجلس التعاون الخليجي على بداية طريق الازدهار، وأن يوفر للمواطنين وظائف مجدية ويمكّنهم من تحسين نوعية حياتهم بشكل مستمر , ويذهب هذان الهدفان أبعد وأعمق من مجرد إجراء التعديلات الطفيفة على السياسات والأنظمة الحالية , فكسر الحلقة المفرغة يستدعي تغيير بنية سوق العمل ونموذج النمو الاقتصادي ونموذج التعليم والتدريب ، وهو ما يتطلب إجراء إصلاح شامل ومتكامل لكسر الحلقة المفرغة فهل سيتحقق ذلك قريباً ؟ .

صحيفة الحقائق اللندنية 29-11-2005م

141 محرقة الوزراء

يتناول الناس في أحاديثهم عبارات وأقوال كثيراً ما تكون مبنية على تجارب وكثيراً ماتكون صادقة ومن هذه الأقوال "إذا أرادت الحكومة أن تحرق كرت وزير فما عليها إلا أن توليه حقيبة وزارة العمل " فوزراء العمل عمرهم في هذه الوزارة قصير ويتضح ذلك من خلال المشاهدات في تاريخ أي وزارة عمل حول العالم , وكما أن من يتابع حركة تداول الأسهم ومؤشراتها يستطيع التنبوء بحالة النمو والكساد في الإقتصاد فمن يتابع حركة النقل والإقالة والإستقالة بين وزراء العمل يستطيع التنبؤ بما سيؤول عليه حال هؤلاء الوزراء فكان الله في عونهم .

ندخل في صلب الموضوع الذي نحن بصدده وهو التوصيات التي رفعها وزراء العمل بدول مجلس التعاون الخليجي وبالتحديد ماينص على الحد الأعلى لبقاء الأجنبي في دول المجلس والمقترحه أن تكون ست سنوات على أن يستثنى من القرار أصحاب التخصصات التي لايمكن الإستغناء عنها ولاتتوفر مواصفاتها في مواطنين يمكن أن يشغلوها ولكن ماهو الهدف من كل هذه الإجراءات ؟ .

قد يكون من السذاجة الإعتقاد بأن الهدف من هذه التوصيات هي في إيجاد فرص عمل لمواطنين عاطلين عن العمل ولكن هناك أهداف كثيرة ومنها مايتعلق بالديموغرافيا ومنها مايرمي الى أبعد من ذلك بكثير وهي أهداف سياسية طويلة المدى قد لاتفيد الإقتصاد القومي على نفس المدى الطويل .

يتخوف الوزراء من تحول ديموغرافي كبير في حالة إستمرار العمالة الأجنبية للعمل في الدولة وتكاثرها طبقاً للسنن الكونية ولهذا يرغب الوزراء في التخلص من هذا التحول الديموغرافي وكأن من أهداف وزراء العمل ليس تحسين وضع وزاراتهم ولكن يخرج عن نطاق مسؤولياتهم المحصورة في العمل والعمال لما هو أبعد من ذلك ومن هنا ينبع مكمن الخطر في

عدم نجاح أي وزير عمل أن يبقى مدة طويلة في موقعه لأن المسؤولية الملقاة على عاتقه أكبر من السلطة الممنوحة له والتي يتمتع بها كوزير .

يتخوف الوزراء من إتفاقيات قد تفرض عليهم لتوطين العمالة الأجنبية في بلادهم ولاسيما أن هناك توصيات الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها ومنظمات حقوق الإنسان ومنظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي وغيرها .

ويتثمل دور المنظمات الدولية في تحقيق مباديء عامة تسعى لتحقيق العولمة في مجال الموارد البشرية وتوطين العمالة المهاجرة وهي أهداف متعارضة في أغلبها مع سياسات الدول وكأن الدول تجبر على التوقيع على الإتفاقيات الدولية لأن كثير من بنودها يتعارض مع أهداف الدولة المعنية ولهذا نرى جولات المفاوضات التي تستمر لسنوات قد تصل الى عشر سنوات أو أكثر ومن هنا تحدث المشكلة فالدول توقع على الإتفاقيات ولاتلتزم بها وتبدأ الخلافات والإتهامات بين المنظمات الدولية وبين الدولة المعنية وأحياناً تغض الطرف وأحياناً تصعد الموقف ومن أمثلة ذلك ماتتهم به دول مجلس التعاون بأنها تحرم العمالة الأجنبية من الحقوق والمزايا التي نصت عليها الاتفاقيات الدولية .

ومن أمثلة تلك الإتفاقيات , الاتفاقية رقم 2 لمنظمة العمل الدولية والمسماة إتفاقية البطالة والتي إعتمدها المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية في دورته الأولي، بتاريخ 29 تشرين الأول/أكتوبر 1919 - تاريخ بدء النفاذ: 14 تموز/يوليه 1921 وهذا هو نص المادة 3 " تتخذ الدول الأعضاء في منظمة العمل الدولية التي تصدق علي هذه الاتفاقية وأقامت نظما للتأمين ضد البطالة -علي أساس شروط تتفق عليها الدول الأعضاء المعنية- ترتيبات تكفل للعمال الذين ينتمون لاحدي الدول الأعضاء ويعملون في أراضي دولة عضو أخرى، الحصول علي مزايا تأمينات تعادل المزايا التي يحصل عليها عمال هذه الدولة الأخرى" .

إن منظمة العمل الدولية تحاول إيجاد علاج عن طريق مشاريع لمكافحة التمييز ضد المهاجرين وتحسين سياسات الهجرة ومساعدة البلدان الموفِدة لليد العاملة على الحد مما يقع من إساءات في عملية إيجاد الوظائف للساعين إليها من أبنائها , وإن التساوي في الأجر من الحقوق الأساسية التي تروّج لها منظمة العمل الدولية , ومبدأ الأجر المتساوي عن العمل ذي القيمة المتساوية إنما يعني أن فئات وأنواع الأجر يجب ألا تُبنى علي نوع الجنس بل على تقييم موضوعي للعمل الذي يؤدّى.

وهناك كثير من المباديء التي تنادي بها منظمة العمل الدولية ، وتطالب الدول أن تحترم المبادئ المتعلقة بالحقوق الاساسية التي تشكل موضوع هذه الاتفاقيات وأن تعززها وتحققها بنيه حسنه ووفقاً لما ينص عليه الدستور وهى : أ-الحرية النقابية والاقرار الفعلى بحق المفاوضة الجماعية ب-القضاء على جميع أشكال العمل الجبرى او الالزامى ج- القضاء الفعلى على عمل الاطفال د- القضاء على التمييز فى الاستخدام والمهنة .

وعود على ذي بدء نجد أن وزراء العمل يبذلون قصارى جهودهم ويحاربون على عدة جبهات لتحقيق الرفاهية للقوى العاملة ولكن في الوقت نفسه يواجهون أخطار ومشاكل كبرى تحتاج الى تضافر جميع الجهود في الدولة لحلها وكذلك تعاون رجال الأعمال وتعاون القوى العاملة والعاطلة عن العمل لتحقيق هذه الطموحات .

ومن هنا يبدأ تشعب المشكلة لتطال المسؤولية الجميع إبتداء من المؤسسات التعليمية التي ينبغي أن تتبنى إستراتيجية واضحة لإعادة تأهيل الموارد البشرية وإيجاد مخرجات التعليم التي تساهم بدور إيجابي لتلبية متطلبات سوق العمل وأن تتخلى عن ممارسة السياسات القديمة في القبول والتسجيل وأن تتمتع بحرية في طلب تخصيص الموارد الكافية لتوفير مقاعد كافية لجميع الخريجين والمواصلين تعليمهم .

هنا نستطيع القول أنه لابد من إعادة النظر في القوانين والأنظمة التعليمية التي مازالت تمارس الضغوط ضد المؤسسات التعليمية الخاصة بل وفي بعض الأحيان تمنع قيامها وهنا تبدأ تظهر على السطح مشكلة أكبر وهي عندما يهاجر بعض الطلبة الى الخارج لإستكمال دراستهم تبدأ مرحلة هجرة العقول الوطنية للخارج وكثير من الطلبة المبتعثين أبدوا رغبتهم في عدم العودة .

إذاً نحن نصدر العقول المبدعة للخارج ونستورد العمالة الرخيصة للداخل ونقتل مفهوم البحث العلمي وأهدافه وكأن الباحثين يرضعون من ضرع جاف لاتتوفر لهم الإمكانيات المادية ولاتوجد لهم إستراتيجيات واضحة والصناعات الوطنية ضعيفة كما أن ليس لها أي دور يذكر في تنمية وتطوير البحث العلمي وشباب المجتمع لايرغب في العمل ولايهتم بالبحث العلمي ولايوجد لهم مقاعد دراسية كافية سواء الجامعية أو مابعد الجامعية ولهذا البحث العلمي ضحية من ضحايا المجتمع والدولة , والبحث العلمي ضحية حماية الصناعات الوطنية كما أنه ضحية السياسات التي تمارس التفرقة بين المواطنين والمقيمين ولهذا كثير من الدول تهجر العقول المستنيرة وتستورد الأيدي العاملة الفقيرة ودول هذه شأنها تقدم وزراءها كبش فداء لمحرقة الوزراء .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 28-11-2005م

142 وزراء يراجعون توصياتهم

تحت عنوان محرقة الوزراء ذكرنا في مقال سابق أن من يتولى منصب وزير العمل سيكون عمره قصير في هذه الوزارة وألقينا الضوء على أهداف الوزراء السياسية وأهم أسباب عدم قدرتهم على تحقيق أهدافهم وهنا نريد أن نستكمل مابدأناه بربط بعض العناصر التي من شأنها أن تسلط مزيد من الضوء على جذور مشكلة البطالة ونتائجها السلبية على رجال الأعمال وعلى المهاجرين من العمالة الوافدة وعلى دول المنطقة بشكل عام ودور المنظمات الدولية في تسوية الإشكاليات والتجاوزات .

ومحاولات هذه المنظمات لإصدار قوانين ومباديء وماتزال تنادي بإعادة النظر في قوانين العمل بما يحقق العدل والمساواة للجميع وهذا مايتعارض مع التوجه القومي لمعظم الدول الذي يرفضه الإسلام , ومن البديهي أن تفكر الدول في توظيف أبناءها حتى ولو على حساب العمالة الوافدة وهنا خطر ببالنا سؤال هل وزارات العمل أصبحت شركات توظيف؟ .

أنه من الضروري أن نفهم ونفرق بين شركات التوظيف وبين وزارات العمل , فمهما إجتهدت هذه الوزارة في دولة ما أو تلك في دولة أخرى في عملها وتوجهاتها فإنها لن تستطيع أن تسد الهوة بين الطلب على العمالة الوافدة من قوائم العاطلين عن العمل من المواطنين الأمر الذي يجعلنا نتطرق الى مشكلة البطالة والتي تسعى دول مجلس التعاون الخليجي كما هي الدول الأخرى للتخلص منها وتتجنب آثارها السلبية , وتشير الإحصائيات الى أن نسبة البطالة في السعودية وصلت الى 15%, أما النسبة في دولة عُمان فقد وصلت الى 17.20% , وأخيراً دولة قطر التي بلغت النسبة فيها الى 11.60% .

منظمة العمل العربية تقول على لسان أحد مسؤوليها أنه لم تعد أي دولة عربية محصنة من البطالة , وأن هناك جهود نشطة من قبل الحكومات لإعادة توظيف المواطنين وأنها وضعت إجراءات لتحفيز تشغيلهم , وفي المحصلة النهائية لم نلمس على أرض الواقع تنمية حقيقية تساهم في الحد من تفشي هذه الظاهرة التي بدأت تقض مضاجع أصحاب القرار في هذه

الدول وظهرت فئة من المواطنين تتخذ الإرهاب لها سبيلا وتنهش لحوم أنظمة هذه الدول وتتمرد عليها وبدأت حاضنات تفريخ الإرهاب تزيد من إنتاجها للإرهابيين العاطلين عن العمل والذين بدأوا رحلة عمرهم لينهوها من خلال تأكيد ذاتهم بالإنتحار في عمليات خاسرة ومخسرة .

وعودة الى الإحصائيات نجد أن هناك 14 مليون عامل وافد في دول مجلس التعاون الخليجي وفي نفس الوقت نجد أن المواطنين من أبناء دول المجلس والتي تتضارب الإحصائيات حول عدد العاطلين منهم ورغم أن هذه الدول من الدول البترولية الغنية والتي تتمتع بأكبر إحتياطيات في العالم من البترول والغاز الطبيعي أي أنها تتحكم في مصادر الطاقة العالمية إلا أنه لايوجد في كثير منها أنظمة تأمين ضد البطالة التي بدأت تعصف بأبناءها ليتم تجيير معظم العمليات الإرهابية التي تحصل في العالم بإسم أبناءها ومن ثم تعتبر ذريعة للدول التي تبحث عن ذرائع لتنقض على فريستها تماماً كشريعة الغاب التي تتميز بأن القوي فيها يأكل الضعيف .

دعونا الآن نخوض في أسباب عدم قبول المواطنين للعمل في القطاع الخاص الذي ينبغي أن يكون هو المحرك الأساسي للإقتصاد في هذه الدول كما هو شأن باقي دول العالم ولعلنا نذكر أهمها مايلي : ضعف مستوى الأجور والحوافز المادية والمعنوية ، وانخفاض فرص الترقية والتقدم الوظيفي , وارتفاع ساعات العمل اليومية والأسبوعية , قصر الإجازات مقارنة بالقطاع العام , مبالغة القطاع الخاص في شروط التوظيف المتعلقة بسنوات الخبرة ومستوى اللغة الإنكليزية والحاسب الآلي , انخفاض مستوى الأمن الوظيفي في القطاع الخاص مقارنة بالقطاع العام , إختلاف النظام التقاعدي في القطاع الخاص عنه في القطاع العام وإن كان هناك أسباب أخرى لايتسع المجال لذكرها .

وفي جميع الأسباب المذكورة أعلاه نجد أن المقارنة بين القطاع العام والخاص وهذ يعني أن هناك فجوة تفصل بين مميزات القطاعين وهذه الهوة بحاجة الى تقليل لتتساوى الإمتيازات

أو تكون قريبة من ذلك ولهذا لجأت كثير من الحكومات الى الخصخصة لتعالج هذه المشكلة وغيرها ومن المعروف أن القطاع الخاص أسرع تأثراً بالأوضاع الإقتصادية العالمية ومن هنا قد تتسع الفجوة أو تضيق حسب مرونة كل قطاع وتأثره بالإقتصاد العالمي وعليه ينبغي عند إصدار القرارات المحلية في دولة ما أن تضع بعين الإعتبار القرارات المثيلة بالدول الأخرى ومدى قوتها في مواجهة التوجه العام للإقتصاد العالمي .

وعودة إلى توصيات وزراء العمل بدول مجلس التعاون بشأن تحديد مدة إقامة العامل المهاجر والذي يعمل في تلك الدول بعدد من السنوات قد يكون قراراً خاطئاً إذا لم يدرس جميع ردود الأفعال المحلية والدولية وهل هناك قرارات مثيلة عالمية بهذا الشأن أم أن هذا القرار قد يجلب العداء لدول المنطقة من قبل أطراف عدة ومنها المنظمات الدولية والمنظمات التي تعني بحقوق الإنسان , ولانريد أن نذهب بعيداً بل دعونا ندرس موقف رجال الأعمال والعاملين أنفسهم قبل دراسة رأي المنظمات الدولية والتي سنذكر ببعض مبادئها وتوصياتها بهذا الشأن فيما بعد .

إن تأثير مثل هذه التوصيات إذا ماتحولت الى قرار سيكون مباشراً على رجال الأعمال والعاملين أنفسهم ومن الطبيعي أن تثير غضب رجال الأعمال لأن أي أعمال تجارية كانت أم صناعية أم إدارية بحاجة الى خبرات عامة وخبرات خاصة وهي ماتسمى بالخبرات الذاتية وسنركز على الخبرات الذاتية لأنها هي المحرك القوي لنمو شركة معينة أو مصنع معين أو حتى متجر وطالما أن الخبرة هي نتاج سنوات من العمل والتدريب فكأنما يريد الوزراء من رجال الأعمال التخلي عن الخبرات الذاتية للعاملين لديهم وهي التي تساهم بنسبة كبيرة في إنجاح أعمالهم لذا فمن الطبيعي أن يقاوم رجال الأعمال مثل هذه التوصيات قبل أن تتحول الى قرار ملزم لأنها تمس العصب وتعتبر خط أحمر ينبغي عدم تجاوزه .

ولهذا بدأنا نسمع ونرى مشاعر الضيق والغضب من بعض القرارات التي تضيق الخناق على العمالة الوافدة ليس حباً في العمالة الوافدة وليس نقصاً في الشعور بالحس الوطني ولكن

مبنية على توقعات مستقبلية لمآل تدهور أعمالهم المهددة بالركود وعدم النمو الأمر الذي يعتبره البعض الآخر بمثابة محاربة لهم في أرزاقهم أو وضع العراقيل أمام نجاحهم بل قد وصفها البعض الآخر بأنها تسبب لهم الضرر وتصيب أعمالهم بالشلل وهذا ماسيؤدي الى نتائج عكسية على توظيف العمالة الوطنية .

ولهذا ينبغي أن نستعرض الآن أسباب إنخفاض توظيف العمالة الوطنية ومنها إرتفاع تكلفة العامل المواطن مقارنة بالعامل الوافد , وإرتفاع إنتاجية العامل الوافد مقارنة بالعامل المواطن نتيجة لضعف التأهيل العلمي وإنخفاض مستوى التدريب المهني للعامل المواطن , وإرتفاع مستوى التسرب عند العمالة المواطنة , وأن العامل الوافد أكثر إنضباطاً وأكثر تحملاً للمسئولية كما تشير بعض الدراسات , وسنستكمل في مقال آخر توصيات المنظمات العالمية التي تتناقض مع توصيات وزراء العمل الآنفة الذكر لعلهم يراجعون توصياتهم حتى يكون هناك فائدة من إجتماعاتهم .

صحيفة إيلاف الإلكترونية 01-12-2005م

143 حقوق مبتورة

" وزراء يراجعون توصياتهم " كان عنواناً لمقال سابق كنا قد وعدنا فيه أن نذكر برأي المنظمات الدولية والتي ستستنكر هذه التوصيات بالطبع لأنها تتعارض مع ببعض مبادئها وتوصياتها بهذا الشأن ونود أن نلخص أهم ماجاء في مقالنا السابق بما يلي : لايوجد في دول مجلس التعاون أنظمة تأمين ضد البطالة رغم أنها من الدول البترولية الغنية , وتعرضنا الى أهم أسباب عدم قبول المواطنين للعمل في القطاع الخاص , وذكرنا أيضاً أنه ينبغي عند إصدار القرارات المحلية في دولة ما أن تضع بعين الإعتبار القرارات المثيلة بالدول الأخرى , ومدى قوتها في مواجهة التوجه العام للإقتصاد العالمي .

ذكرنا أيضاً أن هذه التوصيات التي صدرت عن وزراء العمل قد تجلب العداء لدول المنطقة من قبل أطراف عديدة ومنها المنظمات الدولية والمنظمات التي تعني بحقوق الإنسان , وتعرضنا الى موقف رجال الأعمال المعارض من تلك التوصيات والأضرار التي قد يتعرضوا لها من جراء تطبيق هذه التوصيات لأنها ستقضي على الخبرات الذاتية التي تسهم بنسبة كبيرة في نجاح أعمالهم وكتبنا لمحة عن مشاعر الضيق والقلق الناجمة عن قرارت لم تمنح الدراية والدراسة الكافية , وأنها ستؤدي الى نتائج عكسية على توظيف العمالة الوطنية , كما لم ننسَ أسباب إنخفاض توظيف العمالة الوطنية .

ورغم أن العمالة الوافدة لها آثار سلبية بجانب إيجابياتها الكثيرة وهذا الكلام من وجهة نظر وزراء العمل حيث يتم تركيزهم دائماً على مشاكل إقتصادية بسبب التحويلات الخارجية وبعض تقاريرهم تقول أن إجمالي التحويلات الأجنبية تصل الى أكثر من 25 مليار دولار سنويا , كما أن لها تأثير على بطالة المواطنين , والمشاكل الإجتماعية التي تؤثر على الهوية العربية والإسلامية والمشاكل الأمنية وعلى الرغم أنه لاتوجد نقابات أو منظمات مهنية تدافع عن حقوق هذه العمالة الوافدة إلا أن منظمة العمل الدولية ومنظمات حقوق الإنسان تنادي بمباديء المساواة بين البشر وتمنحهم الحق في تلقي أية رعاية طبية تكون مطلوبة

بصورة عاجلة لحفظ حياتهم أو لتلافي ضرر لا يمكن علاجه قد يلحق بصحتهم وهذا غير متوفر في بعض دول مجلس التعاون .

وكثيراً ما يصعب على العمال المهاجرين أن يستقدموا أسرهم رغم أن هناك إتفاقيات تنص على أن تقوم الدول الأطراف بتيسير جمع شمل العمال المهاجرين الحائزين للوثائق اللازمة بأزواجهم أو بالأشخاص الذين تربطهم بالعمال المهاجرين علاقات قربى كما وتقرر الاتفاقيات أن لكل طفل من أطفال العامل المهاجر الحق الأساسي في الحصول على التعليم على أساس المساواة في المعاملة مع رعايا الدول المعنية .

وتتضمن الاتفاقيات أيضاً عدداً من الأحكام المحددة فيما يتعلق بالمعاملة المتساوية للمهاجرين الذين هم في وضع نظامي أو الحائزين للوثائق اللازمة للعمل والإقامة وإمكانية حصول ذويهم على التعليم والتدريب المهني وخدمات الصحة والإسكان والحقوق الثقافية , وحقوق الضمان والتأمين الإجتماعي الذي تنكره أو تستنكره بعض دول مجلس التعاون بعد ماكان مقرراً قبل حرب الخليج الثانية وإستفادت مؤسسات التأمينات الإجتماعية كثيراً من أموالهم وبقاءها ومشاريعها شاهد على أقوالهم .

الأوضاع المعيشية كثيراً ما تكون بالنسبة للعمال المهاجرين غير مرضية , فهم يواجهون مشاكل خطيرة فيما يتعلق بالسكن وعلى الرغم من إسهامهم في الضمان الاجتماعي فإنهم وأفراد أسرهم لا يتمتعون دائماً بنفس المزايا وإمكانيات الاستفادة من الخدمات الاجتماعية التي يتمتع بها مواطنوا الدولة المضيفة رغم النصوص العديدة في الإتفاقيات على وجوب أن يتمتع العمال المهاجرون وأفراد أسرهم في دولة العيش والمعيشة (العمل) ، فيما يتعلق بالضمان الاجتماعي، بنفس المعاملة التي يُعامَل بها رعايا تلك الدولة بقدر استيفائهم للشروط التي ينص عليها القانون أو النظام في هذه الدولة أو تلك .

أما حقوق حرية " ممارسة الشعائر الدينية " فحدث ولاحرج ناهيك عن حقوق إسترداد أموالهم المغتصبة أو حرية التعبير عن الرأي في الصحف المحلية وهنا ينبغي أن نذكر بأنه لابد من الإستفادة من التجربة الفرنسية الأخيرة التي أسفرت عن أعمال عنف غير مسبوقة بسبب التمييز وعدم المساواة كما يتعرّض العمال المهاجرون بصورة خاصة للعنصرية وكره الأجانب

والتمييز ويظهر ذلك جلياً على أرض الواقع من خلال التعاملات اليومية ورفض دخولهم بعض الدوائر الحكومية لمراجعة معاملاتهم إلا من خلال معقب يحمل هوية البلد كما لايخفى ذلك على من يتابع الصحف اليومية ووسائل الإعلام المحلية .

وكثيراً ما يكونون هدفا للارتياب أو العداء في المجتمعات التي يعيشون ويعملون فيها , فربط الهجرة والمهاجرين ربطاً متعمَّداً بالإجرام هو اتّجاه خطير بوجه خاص يشجِّع ضمناً على العداء والعنف المدفوعين بمطرقة الكره الموجهه على الأجانب والحذر من التعامل معهم ، إذ يجري تجريم المهاجرين أنفسهم ، وهو ما يحدث بأكثر الأشكال مأساوية عن طريق توصيف المهاجرين الذين ليسوا في وضع نظامي - لأسباب تعود على ثغرات في النظام - بأنهم "غير قانونيين"، مما يضعهم ضمناً خارج نطاق القانون وخارج نطاق الحماية التي تتيحها سلطة القانون وقد حدثت أعمال عنف ضد تجمعاتهم التي كانت بداية شرارة الإرهاب في بعض دول مجلس التعاون .

ومن المعروف أيضاً أن عمالاً مهاجرين قد استُبعِدوا من نطاق الأنظمة التي تغطي شروط العمل وأنهم قد حُرِموا من الحق في الاشتراك في الأنشطة النقابية في العديد من الدول رغم أن هذه الدول قد وقعت على إتفاقيات تلزمهم بذلك , ولكن الإلتزام بالتطبيق ضعيف جداً , كما تنص الإتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم على أن يتمتع العمال المهاجرون بمعاملة لا تقل مراعاة عن المعاملة التي تنطبق على رعايا دولة العمل من حيث الأجر ومن حيث أوضاع العمل الأخرى وشروط الاستخدام.

كما يكفل عدد من الأحكام المحددة تلك الواردة في الاتفاقية للمهاجرين الذين هم في وضع نظامي أو الحائزين على الوثائق اللازمة الحق في حرية التنقل الذي لم يسمح به إلا قبل فترة قريبة جداً في بعض الدول كما أن أحكام الإتفاقية تعطي الحق للعمالة المهاجرة في تشكيل الجمعيات والنقابات والاشتراك في الشؤون العامة التي يحرم منها في معظم دول مجلس التعاون .

هذا ناهيك عن مواد أخرى في الإتفاقية التي تطلب من الدول الأطراف أن تضمن احترام الهوية الثقافية للعمال المهاجرين وأفراد أسرهم ولا تمنعهم من الاحتفاظ بوشائجهم الثقافية مع دول منشئهم وبعد كل ماتقدم ألا نستطيع القول بالجزم أن هذه الفئة حقوقها مازالت مبتورة .

صحيفة الحقائق اللندنية 04-12-2005م

144 من يقرر مصالح الدول وزراءها أم رجال أعمالها ؟

نشرت صحيفة الحقائق اللندنية ليوم السبت الموافق 17 ديسمبر 2005م خبراً على لسان وزير العمل السعودي غازي القصيبي قال فيه إن الوزراء سيقترحون وضع حد مدته ست سنوات للمغتربين للبقاء في الخليج الذي يعتمد على مليون عامل أجنبي , وأضاف إن هذا التحرك يهدف الى إجهاض أي قوانين دولية قد تجبر الدول على منح الجنسية للمقيمين لفترات طويلة , وكنا قد كتبنا عن هذا الموضوع ثلاثة مقالات وسنضيف المقال الرابع علنا نساهم في تعريف الرأي العام بأهداف التوصيات وسلبياتها وأسباب رفض رجال الأعمال لمثل تلك القرارات وماهو الدور الذي ينبغي أن تقوم به غرف التجارة والصناعة في دول المجلس ؟ .

أهداف التوصيات

حماية دول الخليج من التحول الديموغرافي , القضاء على الآثار السلبية من العمالة الوافدة , مقاومة موضوع التوطين القسري الذي سيفرض من الدول الكبرى , القرار مقصورعلى العمالة السائبة فقط , عمالة بعقود تنفيذية وليست عمالة مهاجرة , بعض التصريحات بمثابة استخفاف برجال الاعمال والاقتصاديين والمستثمرين , لماذا تريد الجهات المعنية لتصبح هذه التوصيات قانونا رسميا وواقعا لامفر منه ؟ , لماذا يتجاهل المسؤولون في الجهات الحكومية آراء القطاع الخاص وطلباتهم وإستشاراتهم في القضايا والقوانين التي تهم القطاع الخاص ؟

سلبيات التوصيات

الأضرار الإقتصادية , لايمكن إنكار دور العمالة الوافدة في التنمية , قلة الأيدي العاملة الوطنية , ندرة المؤهلات الوطنية , التوصيات لم تأخذ بعين الإعتبار تراكم الخبرة المهنية والعملية للعمالة الوافدة بحكم عملها لسنوات طويلة في مختلف مهن ووظائف القطاع الخاص مما يجعل إستبدالها المتكرر بعمالة وافدة أخرى باهظة التكاليف على منشآت القطاع الخاص , التوصيات ستجعل المنشآت الخاصة الخليجية في حالة إرباك متواصل وبحث دائب عن حلول لاستقرار العمل والإنتاج فيها , في ظل عدم التأكد فإن التوصيات لن تؤدي إلي

إحلال المواطنين محل المقيمين , تطبيق القرارات مكلف جداً للمنشآت الإقتصادية والإنتاجية , القرار غير عملي من الناحية الإقتصادية والفنية والمهنية , المصير الذي ستؤول إليه هذه القرارات في ظل إرهاصات العولمة الاقتصادية والضغوطات المتصاعدة من المنظمات الدولية المتنفذة التي تعتبر آليات لتنفيذ السياسات الدولية الكبري , قطاع الإقتصاد سيكون موطناً للعمالة غير المؤهلة , فقدان الثقة في دول الخليج لأن ذلك إنكار للجميل وعدم الإعتراف بمساهمات العمالة الوافدة في تنمية الإقتصاد .

رجال الأعمال يرفضوا القرار

لأنهم لم يشاركوا في إعداده , لازالت وزارات العمل تفكر بطريقة التسلط عبر القرارات دون أخذ رأي من يريد أن يطبق القرار أو يطبق القرار بحقهم , لماذا ست سنوات ؟ , وهل نجح قرار مماثل أتبع في أحد دول الخليج ولكن لمدة عشر سنوات ؟ كيف يمكن تغيير واقع وسلوكيات وتوجهات العمالة الخليجية وزرع ثقافة عمل في نفوسها ؟ , هل وزراء وخبراء وزارات العمل عندهم الخبرة الكافية ؟ , هل عرضت التوصية على منظمة العمل الدولية والعربية لأخذ المشورة والنصيحة ؟ , أين مبدأ الشورى الإسلامي ؟ , منشآت القطاع الخاص التي ما زالت تعتمد إعتمادا كبيرا علي جهود العمالة الوافدة , هل أخذت مرئيات أصحاب الأعمال والمستشارين حول إنعاكسات هذه التوصيات علي المنشآت الخاصة ؟ , هل درست مشروعية هذه التوصيات من وجهة نظر إتفاقيات العمل الدولية وخصوصاً مايتعلق منها بالعمالة المهاجرة ؟ , هل تم التفكير بعمل إستفتاء عام بخصوص هذه التوصيات ؟ , بعض رجال الأعمال بدأوا بفكرة تعطيل القرار , ومجلس إدارة الغرف التجارية والصناعية في جميع دول مجلس التعاون لا بد أن يتابع بكل أهمية هذه التوصيات الخطيرة بفرض تحديد اقامة العمالة الأجنبية لمدة ست سنوات بهدف واضح هو أن يسمح بحرية لرجال الأعمال الاحتفاظ ببعض هذه العمالة الأجنبية التي لا تستغني عنها أي مؤسسة أو شركة في ضمان استقرار كيانها وتمكينها من حفظ مصالحها , ورجل الأعمال من حقه أن يعين ويحتفظ بمن يريد من العمالة الوافدة , غرفة تجارة وصناعة البحرين نشرت دراسة متكاملة حول سلبيات وإيجابيات هذا القرار في حال تطبيقه وبالتالي أوصلت وجهة نظرها للجهات المختصة في دول

المجلس , وهل ستتهم بالتسرع أو التدخل فيما لا يعنيها لأنها تقوم بدورها في الدفاع عن القطاع الخاص الذي تمثله ؟ وهل ستقوم باقي الغرف التجارية والصناعية بمسؤولياتها ؟ وبعد كل ماتقدم هل نستطيع أن نتساءل من من يقرر مصالح الدول وزراءها أم رجال أعمالها ؟

صحيفة الشرق القطرية 20-12-2005م

145 قراءة في تصريحات وزير وأمين عام

نشرت صحيفة الحقائق بتاريخ 2005/12/18م خبراً بعنوان تأجيل النظر في توصية بتحديد إقامة العمال الأجانب بست سنوات في دول الخليج ويأتي هذا التصريح للأمين العام لمجلس التعاون الخليجي عبد الرحمن العطية بعد تصريح وزير العمل السعودي بيوم الذي أكد فيه أن الوزراء سيقترحون وضع حد مدته ست سنوات للمغتربين للبقاء في الخليج وأضاف الوزير السعودي إن هذا التحرك يهدف إلى إجهاض أي قوانين دولية قد تجبر الدول على منح الجنسية للمقيمين لفترات طويلة .

لكن الجديد في الموضوع هو الهدف من وراء تلك التصريحات وهو التخوف من القوانين الدولية التي قد تجبر الدول الخليجية على منح الجنسية للمقيمين لفترات طويلة وهنا نتساءل هل قرارات الجنسية والتصريحات بشأنها تأتي من ضمن سلطات وصلاحيات وزراء العمل ؟ أم من سلطات وصلاحيات وزراء الداخلية ؟ لأن ذلك يلغي مبدأ التخصص فكل وزير له صلاحياته وتصريحاته الأمر الآخر عندما ندقق في عبارة إجهاض أي قوانين دولية قد تجبر الدول على منح الجنسية .

ومن التصريح يمكن أن تفهم الدول الكبرى القول " نحن نحاول إجهاض قوانينكم " وفيها نبرة من التحدي الأمر الذي يسلط الضوء على الطريقة التي نفكر بها وأهدافنا المستقبلية وعليه فإن أعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر قد يجدون في تلك التصريحات مبررات لأعمال وخطط ضدنا نحن في غنى عنها في هذا التوقيت بالذات .

وهنا نتساءل هل القوانين الدولية فيها إجحاف بحق الدول الصغرى ؟ أم أن تلك القوانين واقعية ؟ وهل من المعقول أن يعيش الإنسان جل عمره في دولة خليجية دون الحصول على جنسية ؟ وإذا كان الجزاء من جنس العمل فما جزاء العاملين الصالحين والمقيمين لسنوات طويلة إلا أن يسن قوانين بحقهم يكون الترحيل من البلاد التي يعمل فيها . هل هذا هو العدل التي تنادي به الشريعة الإسلامية ؟ .

الأمين العام يؤكد أنه يعمل في دول مجلس التعاون الست (السعودية والامارات والكويت وقطر وسلطنة عمان والبحرين) 12 مليون أجنبي ما يمثل أكثر من ثلث سكان هذه الدول , وهنا نتساءل هل هذا العدد الكبير مقارنة بتعداد المواطنين يمثل مشكلة حقيقية أم مصطنعة ؟ إن عدم قيام الدول الخليجية بتجنيس جزء من هذا العدد سيزيد عدد غير المواطنين بسبب صعوبة أنظمة الجنسية في تلك الدول لأن واضع الأنظمة يرفض تجنيس جزء مهم منهم .

واوضح الأمين العام أن الوزراء المجتمعين في قمة أبوظبي "ارتأوا اليوم ان المسالة بحاجة الى المزيد من الدراسة والبحث اي التريث" واوصوا القمة "برفعها مجددا الى لجنة وزراء العمل" لمزيد من الدراسة , وهذا يكفي لأن نفهم أن التوصيات لم تكن بالمستوى المطلوب من الدراسة والتأمل والبحث والإستشارة ولاسيما أنها جاءت من ورشة عمل عرضت توصياتها على مجلس وزراء العمل الذي أوصى برفعها الى القمة .

وأشار الأمين العام الى "الرغبة في ظل مشاريع التنمية التي تشهدها المنطقة في التريث في ما يتصل بهذا الجانب" مطمئنا في هذا السياق رجال الاعمال والقطاع الخاص وهذا مايدل على معارضة رجال الأعمال لتلك التوصيات جملة وتفصيلا , والكل يعلم أن دول الخليج لا تتوفر فيها عمالة محلية كافية لتنفيذ مشاريعها التنموية الطموحة ولابد أن تعتمد على عمالة وافدة زهيدة التكلفة .

وهنا نتساءل كيف يمكن حماية دول الخليج من التحول الديموغرافي ؟ وكيف ستتمكن دول الخليج من مقاومة موضوع التوطين القسري الذي من المحتمل أن يفرض من الدول الكبرى , وهل إصرار وزراء العمل بالقول أن العمالة الموجودة في دول الخليج هي ليست عمالة مهاجرة يحل المشكلة ؟ , ولماذا يتجاهل المسؤولون في الجهات الحكومية آراء القطاع الخاص وطلباتهم وإستشاراتهم في القضايا والقوانين التي تهم هذا القطاع ؟ .

هل إنكار دور العمالة الوافدة في التنمية سيحل المشكلة أم سيزيد الأمر تعقيداً , وكيف سنزيد من مستوى التأهيل العلمي لنقضي على ندرة المؤهلات الوطنية ؟ هل نضحي بالخبرة التراكمية المهنية والعملية للعمالة الوافدة من أجل القيام بعملية إحلال قسري لن تعطي نتائج إيجابية , وكيف سنقضي على حالة الإرباك المتواصلة من أجل الإستقرار في العمل

والإنتاج ؟ . وبعد كل ما تقدم هل نستطيع أن نتساءل لما لا نستشير رجال الأعمال فيما ينفع إقتصاد الدول ومصالحها ؟

الحقائق اللندنية 21-12-2005م

146 تفاءلوا بالإنضمام خيراً

لاشك إن إنضمام السعودية الى منظمة التجارة العالمية أصبح حقيقة واقعة , لذا لابد أن ننتقل الى مرحلة الممارسة والتطبيق لنجني ثمار هذا الإنضمام وسنركز على الجانب الإقتصادي من خلال مدخل القطاع الخاص , والقطاع العام , ودور الهيئة العامة للإستثمار , ودور المجلس الإقتصادي الأعلى , ودور الغرف التجارية والصناعية والتأثير العام على المجتمع .

القطاع الخاص

لابد أن يلعب القطاع الخاص دوراً إيجابياً لتعزيز دوره في الإقتصاد المحلي والعالمي وذلك بالعمل على تأسيس صناعات وخدمات تحظى بالقدرة على المنافسة والعمل على رفع قدرات المؤسسات والشركات الصناعية والخدمية , كما ينبغي أن تعمل على الإستفادة من المميزات النسبية التي يتمتع بها الإقتصاد السعودي .

على الرغم من أن إتفاقية منظمة التجارة العالمية تركز على حركة البضائع والسلع والخدمات ولا تشمل تنقل العمالة إلا أن العمالة سوف تتأثر بالمنافسة لأن قدوم شركات كبيرة الى أسواق المملكة لابد أن تجلب معها بعض الأيدي العاملة المدربة والمؤهلة بشكل جيد الأمر الذي يتوجب على الجهات المعنية القيام بزيادة الدعم للتدريب لرفع القدرات والكفاءات الوطنية والتنويع في مخرجات التعليم الفني والمهني والأكاديمي على حد سواء .

ويعرف الإقتصاديون قبل غيرهم أن تحرير التجارة عموما ينتج عنه الإستخدام الأمثل والأكفأ للموارد الطبيعية المستخدمة في الإنتاج كما أنها تتأثر بالعديد من العوامل مثل الاستثمار، والأجور ، والإنتاجية ، والمنافسة ، والربحية ، ونوعية ومستويات العمالة , كما يساعد على التخلص من الإحتكار في إنتاج وتسويق بعض السلع الذي تستفيد منه شريحة معينة من المجتمع على حساب شرائح أخرى .

طالما أن تحرير التجارة ينتج عنه الإستخدام الأمثل للموارد فهذا يعني التوازن الدقيق بين العوامل أعلاه وبين عناصر العمل والإنتاج والتكلفة , وطالما أن القوى العاملة تمثل عنصراً أساسياً في هذه المعادلة فلابد أن نعطي قضية توظيف العمالة الوطنية والسعودة في القطاع

الخاص أهمية كبيرة لتحقيق الأهداف والإستراتيجيات من خلال منافسة متكافئة وشريفة دون محاباة أو تحيز ولاسيما أن النمو يولد الفرص الوظيفية ، فمن حق القطاع الخاص أن ينادي بعدم إتخاذ سياسات في مجال القوى العاملة «فرض السعودة أو تقييد الإستقدام» التي تعيق النمو في هذا القطاع .

ومن خلال هذه المناداة نجده يحث القطاع العام في الدولة ويحاول إقناعها بأهمية القاعدة العامة التي تنص على جدوى السياسات الإقتصادية التي تقوم على فرضيات الإقتصاد الحر الذي يعمل على أساس مبادئ الحرية الاقتصادية والعدالة الإجتماعية والمبادرات الفردية ، وأن النمو في الأصل جاء مرتبطاً بالزيادة في العمالة الوافدة ولكن عليه أن يستجيب أيضاً من خلال الروح الوطنية بأن ذلك ليس على حساب العمالة الوطنية .

القطاع العام

يلعب القطاع العام دوراً إيجابياً لتعزيز دوره في النمو الإقتصادي المحلي والعالمي حيث أن الصناعات البترولية والبتروكيماوية تعتبر من أكثر الصناعات إستفادة من إنضمام السعودية لمنظمة التجارة العالمية لإمتلاك السعودية الميزة النسبية في المواد الخام التي تعتمد عليها هذه الصناعات كما سيمكنها الإنضمام من حرية الدخول الى الأسواق العالمية مع قدرتها على المنافسة الكاملة والحرة للصناعات الأخرى , وطالما أن المملكة من الدول النفطية الغنية فإنها تمتلك القدرة على تخفيض التكلفة الانتاجية لمثل هذه الصناعات والتي تعتبر منخفضة نسبياً بالقياسات الى متوسط التكلفة في البلدان الأخرى , وهذا مايعطي الإنتاج السعودي القدرة على التحرك بحرية في الأسواق العالمية .

على الرغم أن الدول الأوروبية تفرض ضريبة عالية على منتجات الدول البترولية الخليجية ، إلا أن هذا الأمر شكل حافزاً تسويقياً إضافياً للمنتجات السعودية , كما أن الانضمام سيفتح المزيد من الاسواق العالمية أمام الصناعات البتروكيماوية , ومما يعزز ذلك إرتفاع الطلب على هذه النوعية من المنتجات وسوف يؤدي الى زيادة الانتاج في المستقبل.

بعد الحرب العالمية تطلعت حكومات العديد من الدول الى التطبيق الجاد لبرامج الإصلاح الإقتصادي في ظل معونات مالية وفنية من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي , وإتخذ

الإصلاح الإقتصادي مسارات وإتجاهات عديدة برز منها ماعرف بالخصخصة أو التخصيص وأصبحت الخصخصة منهجاً وأسلوباً إعتمد عليه العديد من الدول النامية والمتقدمة للتخلص من الحجم الزائد للقطاع العام وتحقيق الكفاءة الإقتصادية بصفة عامة والكفاءة الإنتاجية في وحدات القطاع العام بصفة خاصة .

وتعددت وإختلفت مفاهيم الخصخصة وتعريفها الى تعدد مجالات تنفيذ هذه الإستراتيجية والى تعدد أساليبها , فيتسع التعريف أو يضيق بقدر شموله لهذه الأساليب وتلك المجالات , ويمكن التعرف على معناها بأنها نقل ملكية أو إدارة نشاط إقتصادي ما , إما جزئياً أو كلياً الى القطاع الخاص أي أنها عكس التأميم , ولاتعتبر الخصخصة غاية في حد ذاتها إنما هي وسيلة أو أداة لتفعيل برنامج إصلاح إقتصادي شامل ذي محاور متعددة يهدف الى إصلاح الأوضاع الإقتصادية في دولة ما .

ويركز القطاع العام ويعمل على توفير بيئة تنظيمية تحفز المواطن السعودي على إقتحام سوق العمل بكفاءة وجدارة ، وتحفز صاحب العمل على توظيف هذا المواطن وتفضيله على العامل الوافد على أساس من العدالة والكفاءة من خلال التوازن الدقيق بين هدفين أساسيين وهما إتاحة الفرص لتوظيف العمالة الوطنية القادرة على العمل والراغبة فيه وإتاحة الفرصة للقطاع الخاص لتحقيق مصلحته المتمثلة في الربح والنمو .

دور الهيئة العامة للإستثمار

إن من أهم أهداف الهيئة هو ترويج السعودية وجعلها موطناً للاستثمارات المربحة والعمل الدءوب على إستقطاب الاستثمارات الأجنبية مع التحسين المطرد لمناخ الاستثمار وتزويد المستثمرين بخدمات إستثمارية مميزة , ولهذا تنبثق الرؤية عن إقتصاد سعودي متنوع قادر على المنافسة عالمياً يهيئ للمواطنين السعوديين تحقيق تحسن مطرد في مستويات المعيشة والتعليم والرعاية الصحية والتوظيف وغيرها .

ولهذا تتوقع الهيئة أن يتسارع النمو الاقتصادي في السعودية بفضل المزايا التنافسية التي يوفرها اقتصادها بما يمتلكه من رُبع الاحتياطي العالمي من النفط ، وخُمس الطاقة العالمية لتحلية مياه البحر , ونحو رُبع احتياطي الفوسفات في العالم , ومعلوم أن قطاع النقل يرتبط

وينمو بنمو قطاع الطاقة ، ويرتبط نمو هذين القطاعين بدوره بثاني المزايا التنافسية للمملكة والمتمثلة في موقعها الجغرافي الفريد بين الشرق والغرب ومكانتها الدينية والعالمية .

دورالمجلس الاقتصادي الأعلى

إستحدث المجلس إطاراً تشريعياً يحفِّز الاستثمارات الخاصة عبر مشاريع المياه والطاقة ، في ظل الارتفاع المتوقع بنسبة 4% في الطلب على الماء والطاقة , كما عمل المجلس على تنويع القاعدة الاقتصادية وزيادة مصادر الإيراد العام وزيادة إستثمار رؤوس الأموال والمدخرات المحلية في الاقتصاد الوطني بالسبل الفعالة لتعزيز مقدرته على التفاعل بمرونة وكفاءة مع المتغيرات الاقتصادية الدولية كما قام بالتأكيد على التوزيع العادل للدخل وفرص الاستثمار والعمل .

دور الغرف التجارية والصناعية

من الطبيعي أن تقوم الغرف التجارية والصناعية بدور هام من خلال أنشطة مختلفة ومنها حملات التوعية لتحقيق الأهداف المنشودة وتهيأة الإقتصاد لمرحلة مابعد الإنضمام وكذلك التعريف بمنظمة التجارة العالمية وأهدافها وإنعكاسات الإنضمام على الإقتصاد وعلى المجتمع بالتعاون مع وسائل الإعلام المختلفة وكذلك جميع الجهات ذات العلاقة من خلال مطبوعات دورية توعوية شاملة , ومن خلال ورش العمل , والدورات المتخصصة لرجال وسيدات الأعمال التي ينبغي أن تتناول مواضيع ذات علاقة مثل التجارة والخدمات , والموانع الفنية للتجارة , وحقوق الملكية الفكرية , والصحة العامة , والتجارة في السلع والشركات العائلية والصغيرة والمتوسطة في ظل تحديات العولمة والتجارة الحرة .

كما تعمل على إقامة الندوات للتعريف بالمنظمة العالمية وأهدافها التي تنطوي على تأمين عملية تدفق التجارة بين الدول بيسر وسهولة وحرية , وتحد من المعوقات السياسية بين الناس والدول وتخدم المنتجين للسلع والخدمات , والمصدرين , والمستوردين لتنظيم أعمالهم التجارية , كما تعمل على حل النزاعات التجارية بين الدول في سلام , ومن خلال الندوات تقوم بالتعريف بمبادئ المنظمة العالمية والمتمثلة في الوصول تدريجياً الى تحرير أكثر للتجارة

عن طريق المفاوضات , وفض المنازعات التجارية الناتجة عن عملية الإغراق التجاري للأسواق .

كما وتقوم بالتعريف بالتحديات من خلال قدرة الشركات الأجنبية على تقديم خدمات أفضل وبأسعار مناسبة وعندها ستواجه المؤسسات السعودية مشاكل جدية سواء في مجال الخدمات أو الإنتاج , وتقوم أيضاً بمناقشة الحلول لمثل تلك التحديات بزيادة القدرة على منافسة الشركات الأجنبية دون الإستعانة بالرسوم الجمركية أو الإعانات الحكومية .

تأثيرها على المجتمع

لاشك أن تأثير الإنضمام ذو أثر إيجابي على المستهلكين الذين ستزيد نسبة الرفاهية لديهم كما ستنخفض تكاليف السلع والخدمات نظراً لوجود المنافسة فمنظمة التجارة العالمية تمنع القيود الكمية (غير الجمركية) على الواردات كما تسعى لإزالة الرسوم الجمركية وإمكانية الإستيراد من جميع دول العالم لمختلف السلع الغذائية والملبوسات والأقمشة والكماليات وغيرها الكثير فهي تعطي المستهلكين والتجار فرص أكبر للإختيار وإشباع الرغبات كما أنها تساهم في زيادة الدخل الوطني وزيادة الدخل الفردي , كما أن لها تأثيراً إيجابياً على المنتجين وإزدياد فرص العمل الذي سيكون له إنعكاسات إجتماعية إيجابية كما ستؤدي أيضاً الى تطوير ورفع كفاءة العمالة الوطنية , وبالتالي ستؤدي الى تطوير مهارات وأخلاقيات وثقافة العمل في المجتمع بشكل عام .

صحيفة الحقائق اللندنية 24-12-2005م

147 خير الأمور أوسطها

عندما أطل شبح البطالة برأسه على دول مجلس التعاون الخليجي بدأت هذه الدول تفكر في إيجاد حلول لمعالجة هذه المشكلة حتى لاتتفاقم نتائجها السلبية , وكان أحد الحلول للقضاء على هذه المشكلة هي إعادة النظر في منح التأشيرات للعمالة القادمة الى دول الخليج العربي بإعتبارها من أكبر الدول في العالم إستقداماً .

وهناك حجة تقول من غير المعقول أن يتزايد منح التأشيرات في الوقت الذي بدأت تعاني هذه الدول من تفشي ظاهرة البطالة بين أبنائها وبين الوافدين وبعد أن كان الإستقدام سهلاً , وبدأ التشدد في الإستقدام فكأنما تحولت هذه الإجراءات من النقيض الى النقيض وهذا أيضاً بدوره يعطي نتائج سلبية من نواح مختلفة .

وهذا مايدعونا أن نناقش الموضوع من الزوايا التالية أولاً التساهل في منح التأشيرات وثانياً التشدد في منح التأشيرات وثالثاً الوسطية في منح التأشيرات ورابعاً وأخيراً التفكير في إيجاد نظام بديل .

التساهل في منح التأشيرات

لقد ترتب على التساهل في منح التأشيرات الى زيادة ملحوظة في العمالة الوافدة حتى أصبحت في كثير من الأحيان تجوب المنشآت باحثة عن عمل وهذا يعني أن البطالة أصبحت متفشية بين صفوفها وكذلك إنتشار ظاهرة العمالة السائبة مما لفت أنظار الجهات المعنية بتنظيم العمالة الوافدة في البلاد وعلى الرغم أن هناك شريحة من المواطنين إستفادت من هذا الوضع غير الطبيعي إلا أن شريحة أخرى إنعكس الوضع عليها سلباً .

وإذا تفكرنا في هذا التساهل الذي حدث في الماضي الذي كان مبني على طفرة إقتصادية عمت البلاد فكان الجميع مستفيد وكانت البلاد بحاجة الى تسريع حركة التنمية فكان الإستقدام سهلاً وكثيفاً ولايعني بسقف معين لافي الكمية ولافي النوعية فكانت بعض العمالة

لاتتمتع بأي خبرة كما لم يكن هناك شروط في أعمار المستقدمين فكان يتم إستقدام عمالة بمهن بسيطة وقد تجاوزت أعمارهم الخمسين أو الستين .

ولهذا إتسمت بعض العمالة بعدم الكفاءة بل في كثير من الأحيان كانت تأتي لتتدرب على أرض الواقع وتتعلم المهن في دول الإستقدام , كما أن بعض هذه العمالة لم تكن تتمتع بمستوى جيد من التعليم لأنه لم يكن هناك حد أدنى من التعليم كأحد شروط الإستقدام , ولهذا ساهمت هذه العمالة في تخفيف البطالة لدولها في الوقت الذي ساهمت في رفع معدل البطالة في دول الإقامة .

وعندما بدأت موجة الإرهاب في معظم الدول بدا المنظرين في تعداد أسباب الإرهاب وكان أحدها إرتفاع معدلات البطالة وتسيب العاطلين في الشوارع والأسواق والأماكن العامة , والبعض منهم وقع فريسة لمنظري الإرهاب , الأمر الذي أدى الى مخاطر أمنية سواء كانت من العاطلين عن العمل من الفئتين مواطنين ووافدين .

وبدأ بعض الكتاب يطرحون أفكار لعلاج مشكلة البطالة ويطالبون بتوفير وظائف عمل للعاطلين من المواطنين الأمر الذي زاد من الضغط على الحكومات في الوقت الذي بدأت تركز إهتمامها في القضاء على الفئة الضائلة بدأت تعاني من ضغوط عليها من الداخل لتخفيف عبء البطالة عن المواطنين ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل بدأت المطالب بتوفير مزيد من الضمان والتأمين الإجتماعي في الوقت الذي زادت مصروفات وتكاليف الحرب على الإرهاب ومراقبة الحدود والتفتيش الأمني الداخلي .

وكان أن إختلطت بعض المفاهيم بخصوص النتائج السلبية الخطيرة التي أدت الى جرائم متعددة , من سلب ونهب وسرقات وأعمال غش ومخدرات وتغيير في العادات والسلوك التي تأثر بها الوطن والمواطنين فكان البعض يعزوها الى العمالة الوافدة والبعض الآخر يعزوها الى البطالة والمعتدلين منهم ربطوها بالإثنين معاً .

لاشك أن حركة الإستقدام السريعة التي ساعدت على قيامها وإنتشارها مكاتب الإستقدام التي حققت لهم مكاسب مادية كبيرة كما إستفاد من هذه المكاسب جامعي الغلة من المتسترين وكان ذلك على حساب جهد وعرق العاملين وعلى حساب العاطلين عن العمل من المواطنين وعلى حساب الذين كانوا يسامون سوء العذاب من قبل غير المنصفين من كفلاءهم والذين يبخسون العمالة حقوقهم الأمر الذي زاد من تعداد العمالة السائبة والهاربة التي إنعكست نتائجها سلباً على المجتمع .

التشدد في منح التأشيرات

لقد ترتب على التشدد في منح التأشيرات الى زيادة ملحوظة في تذمر طبقة من المواطنين من هذا التشدد الذي تسبب في نقص في العمالة المستقدمة وتضرر بعض فئات قطاع الأعمال وخصوصاً المنشآت الصغيرة ولهذا بدأت سياسات جديدة لتخفيض عدد العمالة حيث بدأت تضع ضوابط لخبرة وكفاءة العمالة المستقدمة , وضوابط للحد الأدنى من التعليم الأمر الذي أدى الى إنحسار البطالة سواء بين فئة المواطنين أو الوافدين .

وإنحسر تسيب العاطلين عن العمل في الشوارع والأسواق والأماكن العامة وإنحسرت موجات الإرهاب الى حدود دنيا , كما لوحظ إنخفاض الكثير من المخاطر الأمنية وخصوصاً بعد الزيادة في الرواتب في القطاعات الحكومية والقطاع الخاص وقلت المطالبات بتوفير الوظائف والمطالبة بالضمان والتأمين الإجتماعي ولاسيما بعد الزيادات التي طرأت على مقررات الضمان والتأمين الإجتماعي .

وبعد كل ماسبق نتمنى أن تقل النتائج السلبية الخطيرة , كما نتمنى أن تقل الجرائم المتعددة , التي كانت تقوم بها بعض فئات العاطلين عن العمل من الوافدين والمواطنين , كما أن الإجراءات الأمنية التي قامت به السلطات أدت الى نتائج إيجابية على جميع المستويات وخصوصاً بعد تشديد الرقابة على الحدود لمنع الإرهاب أدى بالتالي الى إنخفاض كميات

المخدرات التي كان يتم تهريبها الى البلاد فأعطت نتائج إيجابية إنعكست على المجتمع ونتمنى أن ينعم الوطن والمواطنين بالأمن والأمان والحرية كما كانت أيام زمان .

الوسطية في منح التأشيرات

سوف يترتب على التشدد في منح التأشيرات فقدان التوازن بشأن الطلب على العمالة الوافدة التي لايمكن تعويضها كلياً من العمالة المواطنة حيث تلعب ثقافة العيب دوراً هاماً في إقصاء الشباب عن العمل في مهن معينة أما الوسطية في منح التأشيرات فقد تسهم في عدم تضرر فئة من المواطنين على حساب الفئة الأخرى فمن غير الإنصاف أن نميل الى جانب العاطلين عن العمل لتوفير وظائف لهم على حساب الطبقة التي تدير أعمال منشآتها بكفاءة مستفيدة من العمالة الوافدة أقصى إستفادة ممكنة .

كما ستلعب الوسطية في رفع مستوى الخبرة بين المواطنين والعاملين المستقدمين , وسوف تساعد على التوازن بين الرواتب والأجور سواء للمواطنين أو العمالة الوافدة غير الزائدة والتي تعوض النقص لإحداث نوع من التوازن في سوق العمل , كما سيتحسن مستوى الكفاءة والخبرة بين صفوف العمالة سواء الوطنية أو الوافدة , كما أنها ستساهم في رفع مستوى التعليم بين الطبقات العاملة سواء كانوا مواطنين أوعمالة وافدة , ومما لاشك فيه أن العمل بهذه السياسة سيؤدي الى التوازن الدقيق بين صفوف العاطلين عن العمل .

وسوف تنعدم كثير من السلبيات الخطيرة التي نتجت عن سياسة التساهل وبالتالي سنحصد نتائج إيجابية مبنية على إحترام حقوق الغير وهذا هو الجانب العملي للتأكيد على الإلتزام بتوصيات الحوار الوطني "نحن والآخر" , والعمل بقاعدة لاضرر ولاضرار فيما يخص التوازن بين تلبية إحتياجات طبقات المجتمع وسيكون هذا مقدمة الى إلغاء طبقة المنتفعين من المتسترين والمتستر عليهم مما يسمح بإجراء تعديلات على نظام الكفالة ليتماشى مع روح العصر الذي نعيش فيه حتى نتمكن من التدرج في إلغاء هذا النظام دون حدوث إنعكاسات سلبية على جميع الأطراف المكونة لهذا النظام .

وليكن ذلك عبر فترة إنتقالية , من خلال خطة عمل خمسية أو عشرية تتبناها الدولة , كما لايمنع أن نستفيد من تجارب الدول المتقدمة بهذا الخصوص عبر العمل بنظام القرعة لبعض الفئات بمعدل معين وبنسب معينة من كل دولة , والعمل على إجراء تعديلات على نظام الإقامة بما يمنح بعض المزايا للمقيمين في البلاد لفترات طويلة .

التفكير في إيجاد قوانين وأنظمة حديثة

من المفيد أن تسعى الدول الى تطوير الأنظمة وتعديلها بين الحين والآخر , بما يتناسب والتطور الذي تسير فيه بخطوات واثقة وثابتة , على أن تراعي في هذا التطوير متطلبات منظمات حقوق الإنسان الذي كرمه الله في جميع الأديان وجعله خليفته في الأرض لعمارتها, وهذا التطوير ينبغي أن يكون مبتكراً ويتناسب وبيئتنا وثقافتنا والجيد من تقاليدنا ولايتعارض أيضاً مع توصيات منظمة العمل الدولية , ويتناسب مع توصيات منظمة العمل العربية , حتى يتم تطوير الأنظمة بما يتماشى وروح العصر والمبني على التواصي بالحق والتواصي بالصبر وبهذا نكون قد حققنا العمل بخير الأمور أوسطها .

صحيفة الحقائق اللندنية 27-12-2005م

148 يطالب بهوية لينعم بالحرية

تدعي الكثير من الدراسات بأن التجنيس في حد ذاته يؤثر على التركيبة الديموغرافية السكانية وبالتالي تتأثر وتؤثر في طبيعة المجتمع رغم التجاهل التام للعوامل الأخرى وتقوم الدول بناء على تلك الدراسات بإصدار قوانين تتشدد في منح صفة المواطنة ولم تقوم هذه الدول بتكليف جهة مستقلة تقوم بدراسة سلبيات تشددها هذا وإذ ننحي باللائمة على من يتشدد في ذلك حيث لامعنى لمن يقيم في دولة ما لعقود من الزمن دون أن يتمكن من الحصول على حق المواطنة أو حقوقه المشروعة من علاج وسكن وتعليم وأمن وغيرها .

ورغم أن الكثيرين من المطالبين بهوية مواطنة يشعرون بالإنتماء والحب والولاء والوطنية ويرغبون في التخلص من العبودية إلا أن عدم التطبيق السليم لأحكام الشريعة الإسلامية التي ساوت بين البشر ولم تفرق يوماً بين عربي أو أعجمي إلا بالتقوى هي التي حرمتهم منها وإستعبدتهم وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

والمشكلة التي يواجهها المطالبين بهوية مواطنة في بعض الدول ليس في رغبته الحصول على دفتر إثبات هوية بقدر رغبته في العدل والمساواة في التعامل وعدم التعدي على حقوقه الإنسانية كما يطالب بأن يستفيد من الخدمات المختلفة التي ينبغي على أي دولة أن تقدمها للسكان بكل عدالة ومساواة ودون تمييز أو إستثناء سواء كان مواطن أو مقيم لأنهم جميعاً يؤدوا ماعليهم من واجبات تجاه تلك الدولة حتى لاتكون التفرقة في المعاملة على أساس عرقي أو ديني في المجتمع والتي يرفضها الإسلام .

تذكرت كل هذا عند رؤيتي لمشاهد الحجيج في المشاعر المقدسة وكلهم سواسية كأسنان المشط , فالحياة في طبيعتها عبادة وعمل وهنا نود أن نتساءل هل التقييم الإلهي لهؤلاء البشر من قبل خالقهم بناء على هوية معينة أم بناء على رحمته التي وسعت كل شيء ومقدار العبادة والعمل الخالص لوجهه الكريم ؟ ومن هنا يبدأ الخلل في التركيبة السكانية عندما تحاول الدول في سعيها الدؤوب لتبني سياسات للعمل بموجبها كي تستقر بزعمها نسبة

من المهاجرين وتحددها بناء على قدرتها على الاستيعاب والاندماج وتبني سياسة سكانية بعيدة المدى تأخذ حتمية تجنيس عدد من المطالبين بالهوية الوطنية .

ومن هنا نشأت محدودية وقصور الفكرة المبنية على الجنس والعرق واللون والدين , ولو كان الإسلام بني على هذا الأساس لما إنتشر وعم أرجاء المعمورة ولما حضر لآداء المشاعر إلا من كان مواطناً أو من جنس أو عرق أو لون معين , كما لاتوجد هناك هجرة لم تترك أثرا بشريا وثقافيا سواء حصل المهاجر على هوية هذا البلد أم لم يحصل , ولهذا نجد أن التشدد في تبني سياسات وأنظمة سوف تحد من الإستفادة من العناصر البشرية الفعالة مما سيحد من تقدم هذه الدول لأنها لم تحاول الإستفادة من هجرة العلماء وتعمل على إستقطابهم بل وتوطينهم .

ولقد أوجد الإسلام سياسات مبنية على إستراتيجيات عالجت تماماً نشوء أي خلل سكاني ولكن بعد إنهيار الدولة العثمانية نشأت دول إسلامية تطبق سياسات لاتخدم الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي في كثير من السياسات والأنظمة والقوانين وبدأت تبعد شيئاً فشيئاً عن روح الإسلام الذي إنعكس بدورة على السكان فإزداد الخلل السكاني تفاقماً .

ولولا دعوة النبي إبراهيم لما نشأت مكة وإزدهرت وخصوصاً بعد أن أصبحت قبلة المسلمين في عهد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ومن مكة إنتشرت دعوة الإسلام بفضل الحرية والعدالة والشورى التي نادى بها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان .

أما ما نسمعه في بعض الدول من التحذير من الخلل السكاني الذين يعرفونه بأنه إزدياد نسبة المقيمين الى المواطنين وهي تقسيمات حديثة حتى وصلت في بعض الدول الى الثلث أو أكثر من هذا المعدل بكثير أما نسبتهم الى إجمالي قوة العمل فتصل الى الثلثين وهذا مايسمى بخلل سكاني في هذه الدولة أو تلك ويبدأ الحديث عن ضعف الولاء والإنتماء وإختلاف العادات والتقاليد واللغات والألوان فتبدأ النعرات التي حرمها الإسلام بقولة دعوها فإنها منتنة .

وتبدأ التفرقة في المعاملة بين هذه الفئة وتلك وتبدأ القوى العاملة تعيش في معسكرات العمل كأنهم أسرى حرب , فئة مستضعفة تخدم فئة مستكبرة , ويبدأ شيئاً فشيئاً يتفاقم الخلل السكاني وتبدأ أحداث عنف على مستوى فردي ماتلبث أن تكبر الى درجة التنظيم وتبدأ الجامعات والجهات الحكومية ودور الأبحاث بعمل الدراسات لرصد المشكلة وأبعادها على المستوى الرسمي والشعبي , وخصوصاً عندما تبدأ بوادر تراجع إقتصاديات الدول أو عندما يحدث فيها بطالة فيبدأ التمييز بين فئتين .

وتبدأ بعض الفئات بالمطالبة بتوطين الوظائف والحد من إنتشار العمالة الوافدة دون النظر بعين الإسلام هل هذا جائز أم فيه تعدي على الحقوق الشرعية للمسلم ومن ثم نبدأ في الإبتعاد عن روح الإسلام وسماحته , وعندما تعجز وتفشل الدول في ذلك تبدا في مداراة الخلل أو إتباع سياسات خاطئة لعلاج المشكلة ويبدأ الخلل السكاني بالتأثير على الأمن القومي والإقليمي وتصبح المجتمعات طائفية تنقسم الى أصيلة ودخيلة .

وتبدأ المجتمعات الأصيلة تشعر بأنها مهددة بعد أن كانت مستكبرة وتنتشر البطالة بين هذه الفئة مما يؤدي الى تراجع قوة العمالة الوطنية مدعين بأن الوافدين قد أقصوهم وأزاحوهم عن الوظائف أو الأعمال مما تفسر بأنها ظاهرة خطيرة وأنها في تصاعد وتبدأ الطنطنة عن البطالة بين صفوف النساء بسبب ضيق مجالات العمل لهن , ويبدأ المواطن بتفضيل الإنسحاب من سوق العمل بدلاً من منافسة الفئة الأخرى على وظائف غير مجزية الأجر بعدما كانت في ظل الإسلام فئة واحدة ويبدأ الحديث عن هوية شعوب المنطقة وكيفية المحافظة عليها .

وإذا أردنا الدخول في موضوع متطلبات إصلاح الخلل لابد أن نعود من جديد الى وقفة جادة وإعادة التفكير وتقييم للسياسات وتعاون إسلامي لإصلاح الخلل للتعرف على مدى إمكانية إندماج الفئتين لتصبح فئة واحدة كما نادى الإسلام بذلك منذ عدة قرون كما لم يكن في ذلك الزمان سماسرة للهجرة ومكاتب الإستقدام ودورها السلبي على جميع الأطراف والتي تساهم في عودة تجارة الرقيق من جديد .

صحيفة الشرق القطرية 18-01-2006م

149 إصلاح الخلل السكاني المزمن

هل التوطين يحل المشكلة ؟ سؤال خطر بالبال عندما بدأت أفكر في إصلاح الخلل السكاني الناتج عن الهجرة والإستقدام لتلبية إحتياجات سوق العمل من أجل الإستمرار في مرحلة التنمية والبناء , ومع ظهور البطالة بين فئة من المواطنين الأمر الذي جعل بعض الجهات الرسمية والشعبية تطالب بخطط لمعالجتها لإحتواء آثارها السلبية .

وبدأت بعض الأقلام تكتب عن وجوب أن تتولى هذه الدول تحديد عدد الوافدين ونوعيتهم المهنية مع الأخذ بعين الإعتبار إستمرار التنمية ونسبة العاطلين عن العمل من المواطنين والمطالبة بوضع سياسات يلتزم بها أصحاب العمل وعدم ترك الحبل على الغارب فيما يتعلق بإستقدام عمالة وافدة وفي نفس الوقت بدأت تطالب بوضع وتطبيق سياسة سكانية وتبني إستراتيجيات وبرامج وخطط وإجراءات كافية وصارمة، لحل المشكلة .

وطالبت بعض الجهات الرسمية بوضع أهداف كمية ونوعية قابلة للمتابعة والقياس والتقييم الموضوعي حتى يصبح المواطنون أغلبية متزايدة تعتمد عليها قوة العمل لتعويض النقص في سوق العمل , كما رأت جهات رسمية أخرى أنه ينبغي الإلتزام بالنسب الآمنة للوافدين بحيث لا تتعدى 10% من إجمالي السكان .

وبدأت بعض الجهات بتسليط الأضواء على أثر الإستقدام على البطالة وتأثيرها على الاندماج الوطني إذا ما أرادت تلك الدول أن تقوم بتوطين عدد من الوافدين مع الأخذ بعين الإعتبار إستقرار نسبتهم وتحديدها بناء على قدرة الدولة على إستيعابهم وإندماجهم في المجتمع .

ولكن بعض وسائل الإعلام إتخذت منحنى آخر في التعامل مع المشكلة بمطالبة المواطنين بأن يحزموا أمرهم أفراداً وجماعات وأن يؤكدوا إرادتهم لمواجهة الخلل السكاني المزمن بالتعاون مع الأجهزة التنفيذية المسؤولة عن السياسة السكانية وعن الهجرة وإستقدام العمالة وتوطين الوظائف ومتابعة آدائها ومساعدتها بالرأي والنصيحة والوقوف معها ضد ضغوط المنتفعين من الإستقدام والتوطين .

وبدأت هذه الدول وكأنها في حالة حرب تضع الخطط الإستراتيجية لتعبئة كامل قوة العمل المواطنة المتاحة بعيداً عن البطالة المقنعة وتهدف هذه الخطط أيضاً الى تقليل الإحتياجات من القوى العاملة الوافدة , ولكن بعض جماعات الرأي الآخر بدأت تطالب بإلغاء نظام الكفيل وتطالب بوضع سياسة واضحة المعالم على أن تلتزم الدول بتطبيقها لتلحق بركب الحضارة .

ومنظمة العمل الدولية طالبت أيضاً بتبني سياسة التعويض المرحلي للمتضررين من الوافدين وأصحاب العمل من جراء الخطط التي تم تطبيقها لشراء الرضا والحصول على تعاون الأطراف ذات العلاقة وبدأت هذه الدول بوضع خطط طويلة المدى ترتكز على إستراتيجيتين رئيسيتين أولهما : السيطرة على آلية تدفق قوة العمل الوافدة , وثانيهما : إعادة الإعتبار لدور المواطنين بإعتبارهم التيار الرئيسي في المجتمع وعماد قوة العمل .

وبدأت إدارات الأحوال المدنية بإتباع سياسة سكانية تأخذ حتمية توطين عدد من الوافدين ، فليست هناك هجرة لم تترك أثرا بشريا وثقافيا, ويمكن أن يكون ذلك الأثر إيجابيا إذا كانت سياسة التوطين في حدود الاستيعاب والقدرة على الإدماج والاندماج الحقيقي في المدى البعيد.

إلا أن وزارت العمل بدأت بخطط لتنمية الحوافز والروادع الذاتية لدى صاحب العمل والمواطنين أفرادا وجماعات ومؤسسات ولدى الوافدين أيضا، من أجل الانسجام مع متطلبات تحقيق الأهداف الكمية والنوعية للسياسة السكانية , وتبنت كذلك سياسات تعتمد على التعليم والتدريب والتطوير أثناء العمل لإعداد كامل قوة العمل الوطنية للوظائف العادية وتلك ذات المحتوى التقني العالي.

وكان هناك إقتراحاً من قبل دور الخبرة والأبحاث بتوصيات لإيجاد مجلس أعلى على المستوى الوطني وربما الإقليمي، وإدارة مركزية لتنسيق السياسة السكانية ومتابعة أدائها، وتقييمه بشكل منتظم ومستمر وتوفير جميع الأدوات وتوظيف الآليات القادرة على تحقيق الأهداف الكمية للسياسة السكانية , الأمر الذي يجعلنا نسلط الضوء على الأهمية الإستراتيجية

لتصحيح الخلل , فبينما سياسة الإحلال تخلق مشكلة لجميع الأطراف إلا أن هناك حاجة ماسة وأهمية إستراتيجية عاجلة لتصحيح الخلل السكاني الذي يشكل حجر الزاوية في أجندة كل إصلاح جاد .

ولابد من التركيز على هذا الإصلاح حتى يتم إيقاف مسار ضياع مستقبل المواطنين , لأن تزايد أعداد العمالة الوافدة أضعف قدرة المواطنين على تقرير مصيرهم والدفاع عن مصالحهم المشروعة وتأمين مستقبلهم , ولاسيما أن دور المواطن السياسي والإنتاجي في تراجع مستمر , وأن الإعتماد على قوة العمل الوافدة لايبشر بمستقبل أفضل للمواطنين , كما ينبغي التخلي عن معسكرات عمل الوافدين لبناء مجتمع وطني منتج وفعال وكما يقال في عالم الإقتصاد أن العملة الرديئة تطرد الجيدة من التداول فيمكننا القول أن العمالة الوافدة الرخيصة تطرد العمالة الوطنية الجيدة من القيام بأعمال ذات أجور أعلى وإنتاجية أفضل .

وإذا لم يتم الدمج الكامل والتوطين لنوعية جيدة من الوافدين فإن تلك المجتمعات السكانية سوف لن تتمتع بخصائص المجتمع المتناسق كما أن إختلاف الجنسيات يولد صراع ثقافات وعادات وقيم , الأمر الذي يتطلب من الدول جهود جبارة من أجل توحيد الثقافات والعادات والقيم ولكن كما هو معروف أن الفضائيات لها دور كبير في جذب مواطنيها مما يشكل خطراً وأثراً سلبياً على إرتباط القادمين ببلد الإقامة .

وبسبب الطبقية وتعدد الجنسيات والخلل في التركيبة السكانية سوف تزيد معدلات الجريمة , كما أن هناك عوامل زادت من هذا الخلل ومنها بعض القصور في التشريعات التي كانت تحث على زيادة الإستقدام , والتغاضي عن الهجرة غير المشروعة التي زادت تلقائياً لتعويض النقص في سوق العمل بالإضافة الى إنخفاض معدلات الزيادة الطبيعية وإنخفاض مساهمة المرأة في سوق العمل بناء على بعض العادات والتقاليد التي مازالت سائدة .

كما أدت زيادة الهجرة وعدم توطين الوافدين الصالحين الى نتائج سلبية على الإقتصاد الوطني تمثل في إستنزاف الدخل القومي وإزدياد معدلات التحويلات الخارجية , كما أحدث ضرراً

بنسب الإدخار ونمط الإستثمار وزيادة معدلات البطالة , أما في المجال الإجتماعي فكان لهذا الخلل آثاره الخطيرة مما أدى الى زيادة وإرتفاع في معدلات جرائم المخدرات وإرتفعت نسبة جنوح الأحداث وجرائم الخادمات وسوء معاملتهن مما إنعكس سلباً على أطفال المجتمع .

هذا ويستلزم من الدول القيام بجهود كافية لإيجاد حل لهذا الخلل السكاني المزمن بتوطين البعض والعمل على الحد من الإستقدام للوصول بعدد السكان الى الحجم الأمثل لتكون الأغلبية العددية المطلقة للمواطنين , مع إتباع سياسة توطين الوظائف لتحل بموجبه العمالة الوطنية محل العمالة الوافدة غير القابلة للتوطين . كما أن فتح باب التوطين للكفاءات الممتازة والتي قدمت خدمات جليلة لدول المنطقة في المجال التعليمي والإقتصادي وغيرهما والذي قد مضى على وجودهم عقود من الزمن دون الإعتراف بفضلهم كحال بعض الدول التي لاتكرم المبدعين فيها إلا بعد وفاتهم , وبالتالي يكون التوطين أحد أهم العوامل لحل مشكلة الخلل السكاني المزمن .

صحيفة الحقائق اللندنية 17-01-2006م

150 جوهر الإنسانية وإسقاط الجنسية

إكتشف جان جاك روسو أن كل شيء قادم من السياسة ولهذا تقدم بفلسفة جديدة يرى فيها ضرورة تحديد المعايير لمفهوم المواطن وحق المواطنة , ولقد رأى أن أولويات بناء المواطن هو ثقافة وتعليم وهي مرتبطة بشروط الحرية والمساواة وفهمها بقدر يسمح بإيجاد التوافق اللازم بين مبدأ إستقلال الإنسان كفرد ضمن مفهوم الحرية الفردية ومع وجوده داخل المجتمع وإندماجه فيه , وبالتالي لابد من التضحية بجزء من الحرية الفردية المطلقة لصالح هذا المجتمع وأوضح هذا المفهوم من خلال نظرية العقد الإجتماعي .

وفي هذا المقال نريد أن نسلط الضوء على الحقوق التالية : حقوق المواطنة وواجباتها , نظرة الإسلام للمواطن , الإسلام والمرأة وحقوق المواطنة , الجهاد وحقوق المواطنة , الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحقوق المواطنة , الإرهاب وحقوق المواطنة , المقاومة وحقوق المواطنة .

حقوق وواجبات المواطنة

المواطنة هي حق الإنتماء الى الوطن ، وهذا الإنتماء يرتّب على المواطن حقوقاً ويضع عليه واجبات , ولا يمكن للمواطن أن يطالب بحقوقه دون القيام بواجباته، كما أنه من غير المعقول أن يؤدي واجباته ثمّ يتنازل عن حقوقه .

وحق الإنتماء للوطن ليس له علاقة بالدين ولهذا نجد أن هناك مواطنين من أعراق وديانات مختلفة وإن كان الإسلام هو دين الله الذي إرتضاه لعباده على الأرض، وهو يحكم كلّ جوانب الحياة الإنسانية وينظّم شؤون المجتمع في شتى الميادين، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية , ولاتعارض في الإسلام بين الدين والسياسة، بل إنّ العمل السياسي نفسه يعتبر عبادة، إذا كان يسعى لرفع الظلم والدفاع عن المستضعفين ونصرة القضايا العادلة للمواطنين.

نظرة الإسلام للمواطن

لقد قامت شريعة الإسلام على إحترام حقوق الإنسان وقامت بتنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع والعلاقات بين الناس، وكان الهدف الأساسي بناء مجتمع إنساني يعتمد على قواعد الرحمة والعدالة والمساواة، ورعاية الحريات ، ولهذا دخل الناس في دين الله أفواجا ولاسيما أن الإختلاف بين الناس موجود منذ الأزل حيث وقعت أول جريمة على الأرض بعد إختلاف , ولهذا جاء الإسلام منسجماً مع هذا الإختلاف ليرسي دعائم وقواعد العيش المشترك بين الناس .

أرسى الإسلام هذه القواعد من خلال الإعتراف بالآخر وإحترام التعامل معه وكان ذلك مبنياً على مباديء الأخلاق التي لاتنحاز لأحد بإختلاف الدين أو أي إعتبار آخر, كما أن الأخلاق ليست أسلوب تعامل المسلم فقط مع من يحب، ولا مع أبناء عشيرته أو قوميّته أو دينه، إنّها أسلوب التعامل مع الناس جميعاً بأسمى القيم الإنسانية وهي العدالة ومن أجل تحقيقها أرسل الله الرسل والأنبياء والصالحين والمجددين والعلماء والحكام الراشدين ليحكموا بين الناس بالعدل والكتاب هو مصدر العدالة ووسيلة تحقيقها هو الميزان بالقسط ولهذا أحب الله المقسطين .

الإسلام والمرأة وحقوق المواطنة

يرى الإسلام في كلّ من الرجل والمرأة (جوهر) الإنسانيّة، ووحدة الخلق والنشأة، مع اختلاف الوظيفة المناطة بكلّ منهما، ومع الاختلاف الخَلقي الذي يجعل كلاًّ منهما قادراً على القيام بوظيفته في الحياة .

ولهذا فهو يقرّر مبدأ المساواة المطلقة بينهما في كلّ ما يتّصل بالكرامة الإنسانيّة، وبالمسؤوليّة العامّة , أمّا ما يتعلّق باختلاف الوظيفة داخل الأسرة، وداخل المجتمع بين الرجل والمرأة، فإنّ الإسلام يقرّر مبدأ التوازن بين الحقوق والواجبات المتبادلة، في قوله تعالى : (ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهن درجةٌ والله عزيز حكيم) سورة البقرة: 228) .

إنّ رعاية الأسرة هي أولى مهمّات المرأة بلا جدال، ولا يستطيع غيرها أن يقوم مقامها فيها , أمّا فائض الوقت والجهد حين يوجد فإنّ المرأة تستخدمه للقيام بسائر واجباتها الاجتماعية،

والواجبات يتحدّد نطاقها بإختلاف ظروف المرأة نفسها، وإختلاف ظروف المجتمع وحاجاته وتطوّره , وهو يشمل كلّ نشاطات المجتمع الاقتصاديّة والسياسيّة وحتّى العسكريّة عندما يتعرّض الوطن للخطر.

والإسلام عندما قرر حجاب المرأة وضع لها الضوابط التي تحفظها وتحفظ المجتمع، مثل تحديد شروط الإختلاط ، وتحريم الخلوة، وغير ذلك من الأحكام المتعلّقة بمشاركة المرأة في نشاطات المجتمع , وأوجد حلولاً حتى لا يضع الرجال والنساء موضع الحرج، ولهذا كانت المرأة تشارك في النشاطات الإجتماعية دون إثم أو عدوان , وإنّما أسبغ عليهما آدابه الشرعيّة كما أسبغها على سائر ميادين النشاط الاجتماعي، ووضع الآداب التي تحمي وتصون ، سدّاً للذرائع أمام المفاسد والمحرّمات.

لكنّها جميعاً شرعت لتنظّم مشاركة المرأة الاجتماعية لا لتمنعها من ممارسة حقوقها المشروعة ، لذلك لم يكن غريباً أن يمتلىء تاريخنا بنماذج رائعة من النساء اللواتي كان لهنّ دور رائد في المجتمع سواء في المجال العلمي أو السياسي أو الأدبي أو حتى الجهادي .

الجهاد وحق المواطنة

الجهاد في سبيل الله : هو بذل الجهد في كلّ عمل يرضي الله تعالى , ومنه جهاد النفس الأمّارة بالسوء، وجهاد الدعوة، وجهاد كلمة الحق أمام السلطان الجائر، وجهاد العدو باللسان أو بالسيف أو بأية وسيلة أخرى , أما القتال فقد شرعه الإسلام لأسباب محدّدة، وسمّاه جهاداً في سبيل الله، ليبقى خاضعاً للضوابط الشرعية .

ويعتبر فريضة قائمة إذا قرر إمام المسلمين ذلك أو كان هناك عدوان ضدّ بلاد المسلمين وديارهم ، ولا يمكن أن يتحوّل ضدّ حكوماتنا أو شركائنا في الوطن من غير المسلمين ، الذين نعيش معهم منذ أمد طويل في ظلّ مواثيق وعهود يجب أن يلتزم بها الجميع .

كما ينبغي أن يتوافق أفراد المجتمع على تفسيره بحيث لايجعله موجهاً ضدّ المجتمع نفسه ، أو يَطال إخواننا المواطنين من أبناء الديانات الأخرى، فيؤدي بالتالي إلى خلخلة السلم الإجتماعي وتمزيق الوحدة الوطنيّة، ويقدّم خدمة مجّانية لأعداء الأمة .

وهو أصلاً نقض للعهد لا يجوز أن نقع فيه، قال الله تعالى: (الذين ينقُضون عهدَ الله من بعدِ ميثاقِه، ويَقْطَعونَ ما أمرَ اللهُ به أنْ يوصَلَ، ويُفسِدون في الأرضِ، أولئك هُم الخاسِرون) سورة البقرة الآية 27. ونقض العهد يعتبر غدراً، وقد نهى الإسلام عن الغدر .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحق المواطنة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي على كل مواطن ومواطنة ، لكنّ استعمال القوة فيه غير مشروع ، إلاّ إذا كان المنكر بواح ويدخل تحت ولاية من يريد النهي عنه ومجاز من الدولة ، لأنّه عند ذلك يكون مكلّفاً بإزالة هذا المنكر بوسائل تحددها له السلطات وليس مجرّد النهي عنه , أمّا المنكرات العامّة الشائعة في المجتمع، فإنّ الواجب الشرعي على المواطنين إزاءها هو الإنكار باللسان وتقديم النصيحة، خاصة وأنّ محاولة استعمال القوّة لن يؤدي إلى إزالتها وقد يؤدي إلى منكر أكبر.

ويبقى واجب المواطن والمواطنة الإنكار باللسان أو إبلاغ السلطات التي من حقها أن تقوم بردع من قام بهذا المنكر , ومن حق المواطن والمواطنة محاولة إصلاح نظام المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة , لذلك مرفوض إستعمال العنف أثناء النهي عن المنكر بكلّ أشكاله وصوره.

الإرهاب والمقاومة وحقوق المواطنة

يمكن القول إن الإرهاب هو : (الاعتداء على الأبرياء بالخطف والترويع، وإلحاق الأذى بهم، أو قتلهم لتحقيق أهداف سياسية أو شخصية لا علاقة لهم بها , وعليه يمكن القول : إنّ الإسلام يرفض الإرهاب، وهو لا يقبل إلحاق الأذى بالأفراد أو بالشعوب وحتّى بالحيوان , ويأمر

بالرفق حتّى مع الأعداء، وينهى عن الاعتداء عليهم بدون سبب، ويظهر في قوله تعالى (وقاتِلوا في سبيلِ اللهِ الذين يقاتِلونَكم، ولا تَعتَدوا) سورة البقرة : 190.

ولكن من حق المجتمع المتمثل في المواطن والمواطنة والدولة أن يردّوا العدوان بمثله، إمتثالاً لأمر الله تعالى : (فَمَنْ اعتدَى عليكُم فاعتَدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم) سورة البقرة : 194 , ويكون هذا الحق مستحقاً حين يُعتدى على الناس، في حقوقهم أو كرامتهم أو دينهم أو أرضهم .

وتعتبر المقاومة حق مشروع لكل مواطن ومواطنة والدولة لردّ العدوان كما إنّ حقّ جميع الشعوب في الاستقلال على أرضها، وإختيار نظام حكمها، وهي حقّ فطري مقدّس، كرّسته جميع الشرائع الإلهية والمواثيق الدولية ومباديء حقوق الإنسان , ولا يمكن أن توصف مقاومة أي شعب لعدو يحتلّ أرضه بأنها إرهاب بل مقاومة مشروعة وبكل الوسائل المتاحة .

ونستطيع أن نحدد بعض أركان هوية المواطن والتي تعبر بشكل أو بآخر عن العلاقات الرابطة بين الفرد والمجتمع والدولة , وتتجسد في نوع العلاقة بينهما وإن كانت تبدوا بلا شك في طابع سياسي تعبر عن علاقة ولاء أو تبعية للدولة , إنها علاقة شخصية أبدية للفرد مع دولته ذات السيادة والتي تفرض عليه قدر كبير من الالتزامات أهمها الولاء والإخلاص وتكون هذه العلاقة وثيقة ودائمة حتى الموت كما هو الحال بما ينتج من الالتزام بأداء الخدمة العسكرية والدفاع عن الوطن ومقاومة الإحتلال .

وهنا يتبادر الى الذهن سؤالين : هل يحق للدولة إسقاط الجنسية عن المواطن لأسباب : دينية أو عنصرية أو طائفية أو سياسية ؟ , وهل يحق للمواطن ممن أسقطت عنه الجنسية أن يستعيدها ؟ .

موقع قناة العربية الإلكتروني 21-01-2006م

151 الفصل الخامس

152 المرأة

153 المرأة وقضية فلسطين

سابدأ المقال بدون مقدمات وبدون مجاملات أي بدون كذب ,صحيح ولكن كيف نبدأ بدون مجاملات وأن المجتمع الشرقي صعب عليه أن يبدأ بدون مجاملات وبدون مقدمات لماذا ؟ لأنه دائما يلف ويدور حول نفسه إسلوبه الإنشائي في الكتابة يفقده الابداع وأسلوبه الحقيقي في الكلام يفقده الوصول للحقيقة بسرعة وصحيح من قال نحن مجتمع لانعرف مانريد من المرأة , ولكن لماذا ؟

لأن فرص الحوار مقطوعة ليفهم كل طرف الطرف الآخر وغير متيسرة فإن أردناها زوجة لانستطيع أن نتعرف على أفكارها إلا بعد الزواج وكثير منا يتزوج قبل أن يرى أو يتزوج على الصورة أو يتزوج على وصف من الأم أو الأخت فأين القناعة من الزواج إذا لم ترى وتتحدث وتتعرف على هذا الكيان الغامض بطبيعته المليء بالأسرار والمفاجآت والمتغيرات في آن واحد وبعد الزواج أيضاً قد لايجد معظمنا الوقت الكافي للجلوس مع هذا الكيان ليتعرف عليه عن قرب وإنما تعامل سريع أسرع من إيقاع هذا العصر الذي يسمى بعصر السرعة وبالتالي نفشل في فهمها كزوجة في غالب الأحيان ومن الأصل ثقافتنا عن المرأة في مناهجنا الدراسية لاتتعدى ماهو حرام فقط بل نتعلم أن كل المرأة عورة حتى صوتها , ثقافة تصور ماهو حرام وماهو حلال ولايوجد بها أبداً اللون الرمادي أي بين بين ..

هل توجد في ثقافتنا الشرقية كتب عن فن التعامل مع المرأة من ناحية شمولية أخلاقية والبعد عن غير الأخلاقيات أما إذا كنا نريدها صديقة فمن تكون إلا في الخفاء ولايجرؤ أحد على أن يتباهي بأن له صديقة إمرأة في هذا المجتمع ويكذب في غالب الأحيان إذا زل لسانه ويعود ليقول صديقتي زوجتي أو صديقتي أختي أو صديقتي أمي ولن يزيد فبنات العم والخال والأقارب والجيران من المحرمات أن تتخذها صديقة إلا في الخفاء وهو سر البلاء حتى الزوجة نفسها تغار من ذلك أيما غيرة ولسان حالها يقول كيف تتخذ فلانة صديقة وأنا زوجتك فيعيش التناقض بل يكذب على نفسه وعلى زوجته وعلى مجتمعه ولايوجد لدينا مفهوم الصداقة مع المرأة غير المفهوم اللا أخلاقي وفي الغالب حتى لايكون الكلام فيه من

التعميم ماثير فزع الآخرين وأما الحب فهو أشد وأنكى من الصداقة فإذا قبلت الصداقة عند البعض فلن تقبل كلمة الحب عند الكثير إلا في إطار حب المال والعيال وماعدا ذلك قد يدخل في باب الزندقة حتى إن قال لزوجته ياحبيبتي فلن يقولها إلا من وراء حجاب هذا الحجاب الذي حجب عنا عين الحقيقة وتجنينا على الدين بكلمة الحجاب حتى أصبح هناك حجاب شرعي وغير شرعي ولم ينجوا الرهائن الفرنسيين من قضية الحجاب حتى الآن , حتى آخر مؤتمر للحوار الوطني كانت التعليقات على النساء المشاركات ما يكفي بأن عبرت عنه إحداهن بالبكاء والعويل وتمنت أن الأرض إبتلعتها ولم تسمع مثل هذا الكلام أو كما قالت السيدة مريم العذراء عليها السلام (أو كنت نسياً منسيا)) . وثقافتنا الشرقية تحرم الحب بكل أشكاله غير حب الله ورسوله .. لذا نجد معظم الشرقيين المتشددين يرغبها أن تكون دمية تعمل بالبطارية عليها السمع والطاعة وكأنها ريموت كونترول وإلا باءت بغضب من الزوج الذي يرقى في حين من الأحيان الى غضب من الله ورسوله بل والملائكة أجمعين .

أما قضية نصف المجتمع فإننا نكذب كذبة إبريل كل يوم فنصف هذا المجتمع عندنا دمى قد تكون متحركة وقد لاتكون متحركة بل طاقات معطلة لا قيادة سيارات ولا أعمال حرة ولاإنتخاب في المجالس البلدية و 1000 الف لا .

إن نصف هذا المجتمع هو لخدمة النصف الآخر فهؤلاء من طبقة السادة وهؤلاء من طبقة العبيد فالرجل فينا يرى نفسه القوة العظمى كأحد أعضاء مجلس الأمن له حق الفيتو على كل شيء وخدمة إسرائيل التي هي ذاته ! فحب الذات عند الشرقي ليس لها حدود كإسرائيل تماما تريد أن تعيش في حدود آمنة ومعترف بها ولكن أين هي حدود دولة إسرائيل . دولة لازالت بلا حدود وبلا دستور وفوق القانون والأمم المتحدة وضعت لخدمتها وخدمة أهدافها . بعض رجال المجتمعات الشرقية قادر على أن يحب كلّ اسبوع إمرأة لماذا ؟ لأنه غير صادق في حبه ولايعرف الحب الحقيقي والحب عنده له معيار مزدوج ويكال بمكيالين أو أكثر .

فهو يحبها في الأسواق خلسة وبعيداً عن رجال الهيئة أو بعيداً عن عيون الناس فالحب بالترقيم وبالهمسات وحب الخوف هو كمن يمزج العسل بخلاصة لوح الصبر المر ويقول إني

صابر على هذا الحب عملاً بقول لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا إما إن قيض له الحب من خلال نوافذ العمائر فهذا الحب يستخدم له وسائل التقنية الحديثة المقربة للبعيد أو إستخدام تقنيات الرؤية الليلية التي نستخدمها في الحروب وإن ما في كشف المستور من أسرار لاترى بالنور , أما حب الليموزين فحدث ولا حرج ولن أخوض فيها فقد أحجتاج الى كتاب لأوفيها حقها من التحليل ولكن أوصي إدارة المرور بالموافقة على التظليل لزجاج سيارات الليموزين حفظاً لراكبيه من نصف المجتمع .

وصحيح ماقلت بين قوسين ((في مجتمع شرقي متناقض , تأتي المرأة حبيبة في دواوين الشعر والهواتف المحمولة ومحلاّت الكوفي شوب , لكنها زوجة في المطبخ والسرير ودفتر العائلة)) .

صحيح أن المرأة ضائعة في اللعبة ولكنها هي سبب رئيسي في الضياع فلا هي تدافع عن حقوقها ولاتجرؤ على الكلام وتريد من يطالب بحقوقها فمعظم المطالبين بحقوق المرأة من الرجال حتى وصلوا درجة الإتهام بأن لهم أغراض وأهداف خفية من وراء المطالبة بحقوق المرأة ولكن كيف تطالب المرأة بحقوقها وهي من درجة أقل فهي الضعيفة تماماً كاللاجئين بلا هوية وبلا وطن فمن تزوجها من الغربيين ومن بعض الشرقيين سماها بإسمه في جواز سفره وإن أعطيت جواز سفر أو هوية سميت بزوجة فلان أو أم فلان ؟ فأين إستقلاليتها وحريتها في التعبير عن الكلام ؟ عوضاً عن المطالبة بحقوقها . وإن طلبت الطلاق فيعذبها زوجها أو يماطلها حتى تتنازل عن مؤخر صداقها بل عن أولادها بل تبقى خادمة لأطفالها في فترة تسمى فترة حضانة ومن ثم يختار الطفل بين أمه أو بين أبيه أما في العرف التجاري فلا بد لها من وكيل أو مدير ليدير لها تجارتها لأننا نركز على عبارة في الدين (ناقصات عقل ودين) ولايوجد حتى الآن من قام بتفسير ذلك تفسيراً عصرياً .

أما العبارة بين قوسين (هي لاتعرف كيف تملأ العين , كيف تكون حبيبة وصديقة وزوجة في وقت واحد) تحتاج من العمق في التفكير الى وقت كثير . صحيح ماقلت كلمة (حبيبة) في الذهن الشرقي , تجيء على قدر من العيب) لماذا ؟ لأن هذه هي الثقافة التي تربى عليها الرجل الشرقي وهي الثقافة التي درسها وهي الثقافة التي لازالت جاثمة على صدور أبناءنا وبناتنا ولا أحد يفكر في التغيير أو التطوير إنها ثقافة الإرهاب إنها ثقافة التسلط وثقافة

العنف والقهر والظلم حتى صدر قانون سمي بقانون العيب في إحدى الدول العربية ليرسخ الظلم ويمنع الديموقراطية وتسود العبودية ويبقى قانون الطواريء فنحن بحاجة الى وعي ثقافي حضاري يميز بين الحضارات والثقافات كما يميز بين الألوان , نحن بحاجة الى محو أمية المتعلمين قبل الأمية الأبجدية , فالمسألة ليست قراءة أو كتابة إنها قضية ثقافة وحضارة كيف ندمج الحضارات ونندمج فيها كيف نتقبل من قدم إلينا زائرا أو معتمراً أو للعمل ولاننظر إليه نظرة ريبة أو خيفة لأن الجواب بين قوسين ((والرجل لايريد الحبيبة زوجة و لايريد الزوجة حبيبة , حكاية غير مضحكة .)) عذراً على الإقتباس فقد وجدته إجابة لسؤال طالما حيرني ؟ صحيح ماقلت (الرجل العربي يحبّ وهو في السيّارة) ولكن حب غير حقيقي كالزبد يذهب جفاء وصحيح ماقلت (الحب عنده هو الحب الموجود في الأغاني) لأنها هي الوحيدة التي يسمح له بالتعبير عنها فهذه هي حرية التعبير عندنا فالصحافة لها مقص الرقيب بالمرصاد , لهذا يلجأ الى المنتديات والأنترنت , إنه يسمع ويحبّ عبر الأنترنت أو الشبكة العنكبوتية لهذا هو الحب المبني على الوهن وأن أوهن البيوت هو بيت العنكبوت ولكن لماذا الحب بالليل أكثر منه بالنهار ؟ لأن الليل كاتم الأسرار ومخفي العيوب ومايلبث أن يذوب بعدما تطلع الشمس لذا هو حب غير حقيقي . الحب الحقيقي يشبه اللون الأصلي الذي لايزول بالمنظفات أو المطهرات قد يبهت أحياناً ولكن لايزول . الحب الحقيقي كلوحة فنية يزيد سعرها مع مرور الزمن أي يكبر في عيون المحبين وفي قلوبهم وفي عقولهم وفي وجدانهم وفي افئدتهم وغير ذلك . وصدق من قال بين قوسين ((الرجل العربي وخاصة الخليجي , تربّى منذ الصغر على أن "المرأة " عيب ! كلّ ما يتعلّق بها يرتبط بالعيب والخزي والعار !)) وسنتوقف عند هذا الحد لأن الموضوع مثير ومتشعب ويشبه قضية فلسطين !!!!

مجلة فلسطين الخميس 9 أيلول 2004

154 ليس غريبا أن يترك العرب قضاياهم المهمة ليطاردوا برتقالة!

العقل العربي عاجز عن وضع المرأة في خانة نقاش جاد أو قضية حقيقية ذلك أن ما يشغل العقل العربي هذه الأيام هو البرتقالة، أما الأمن العربي والاستقلال العربي والقضايا العربية ضاعت هباء في زمن البرتقالة بل زمن الاستحالة أي استحالة الأمن مع وجود البرتقالة لأن الجيل العربي يبحث عن خصر البرتقالة وإن كانت حواء أقنعت آدم فخرج من الجنة لمعصية بسبب تفاحة فلا عجب أن يخسر العرب أهم قضاياهم بسبب برتقالة ، فالعلاقة الشرقية بين الرجل والمرأة لا تتعدى البرتقالة كيف يعصرها أو يقطعها، وأنه قسم المرأة إلى قسمين قسم أرنبي أو الولود أي زوجة للإنجاب فقط أما النوع الآخر فهو "للهشك بشك " كما أصطلح على تسميتها في بعض مجالس اللهو والطرب العربية ومن هنا جاء حب التعدد عند الرجل الشرقي فواحدة يبحث عن حسبها ونسبها ولا يشترط أن تكون برتقالية المظهر أما الأخرى فيبحث عن مقدمتها ومؤخرتها أي لابد أن تكون برتقالية المظهر، ولا عجب أن تحتضن بعض وسائل الإعلام العربي برتقالات ناد ليلي ظهر في زمن العتمة ولا عجب أيضا أن تتربع البرتقالة على عرش قمة الحضارة والحرية المسموح بها لتنادي جميلات وناعمات وفاتنات الفن الشرقي لكي يؤكدن تفوقنا في الفضاء البرتقالي، . الملاحظ فعلا بعد البرتقالة كثرة البرامج الفضائية وكثرة إنتاج الأغاني البرتقالية وقطعًا لن نشاهد أي تقدم حضاري أو صناعي أو ديمقراطي طالما نحن نركض وراء برتقالة، كيف سنحقق الرخاء والأمن ونحن نبحث عن البرتقالة في الفضائيات؟.

أما اليوم فالمشاهد العربي يشاهد البرتقالة وهي ترقص وتتمايل، حولها برتقالات كاسيات عار يات من خلف الشاشات لنخر كل القيم والمبادئ في نفوس الأمة الشرقية . وغدا تستبدل البرتقالة بالتفاحة وتعود التفاحة من جديد ويقال فيها ما قيل عن البرتقالة أو يزيد، والموضة السائدة هذه الأيام تفرض علينا تسمية جامعة البرتقالة العربية، فحسب علمي أن الفساتين والشورتات البرتقالية تتصدر القائمة الأولى في الطلبات النسائية لهذا الصيف . وبالتالي علينا أن نبدل عقولنا وأدمغتنا الخاوية إلى اللون "البرتقالي"، الأمر الذي يخلق حاجة ماسة للهروب من

الواقع الضبابي إلى البرتقالي وهو تقدم لا نحسد عليه كشعوب عربية فقد اعتكفت العائلات في بيوتها وعزفت عن الأهل والجيران، أغلقت الأبواب وتحلقت حول الفضائيات، عشرات الملايين من العيون مندهشة تنتظر الحدث ولكن أي حدث!

هل هو انتخاب النجم الواعد؟ إنها تجارة تحقيق الأرباح من الدعايات التجارية والاتصالات الهاتفية ملايين الدولارات ربحتها شركات الهواتف والاتصالات التي تتداخل علاقاتها بالقنوات الفضائية .

ولو قمنا باستفتاء للتصويت للبرتقالة أو لقضية فلسطين سوف يطير صواب العقلاء عندما تتضح نتيجة التصويت لصالح البرتقالة.

ولكن ما هو سبب ذلك؟

في اعتقادي هو لحاجة المصوتين إلى إفراغ العديد من العقد النفسية النابعة من الحر مان سياسيًا واجتماعيًا وشخصيًا.

الفضائيات العربية لن تكون موضوعية أبدا، وليس هدفها تثقيف أحد وإنما تخدم جيوب أصحابها لأنها تلهي الناس عن القضايا المهمة، وتفسح لهم المجال لتفريغ غضبهم وإحباطهم من المعاناة اليومية وهنا تتغير معالم المسموح والممنوع حسب الحاجة ، وليس بالضرورة حسب تعليمات الدين أو العادات والتقاليد . وهذا ما يفسر البرامج غيرالسوية في القنوات الفضائية التجارية التي يمولها رجال الأعمال وبالمقابل انعدام البرامج التي تنتقد الواقع المؤلم الذي تعيشه الشعوب العربية . وعن وضع المرأة تحديدا ولأسباب تجارية فإن القنوات تستعمل المرأة ويضعونها 24 ساعة تحت الكاميرات. أتساءل لماذا لا يضعون الرجل أيضا؟

الحقيقة أنهم يدّعون التطور، ولكنهم بقوا تقليديين فقد أبقوا المرأة تحت المراقبة، وقالوا للرجل اختر أية برتقالة تريد . إذا أراد مجتمعنا أن يكون معاصرا فليكن معاصرا في كل شيء .

كل العالم يتصل يوميا ليصوت لهذا النجم أو ذاك فهذه الانتخابات التي بدأنا نعرفها ولكن في الحقيقة هل نكسب قضية تهم العالم العربي أو الإسلامي فالناس ينظرون للبرتقالة وغير مهتمين بالأمور السياسية، لأن الفضائيات تريد التصويت للبرتقالة لتبعد الأمة عن الاهتمام بمشاكلها الحقيقية".

والسبب أن العرب في ضائقة، وبحاجة إلى أمور ترفيهية تنفس عن غضبهم حتى لا ينفجر وهذه ليست المشكلة بل المشكلة أننا مقلدون كيف يمكن أن نتقدم ونحن جهلة ؟

إن هذا الانبهار من واقع لا يمكن تحقيقه، في وضع يسيطر فيه اليأس والضغط النفسي على الشارع ليتحول إلى تحقيق الهدف هو الهروب من الواقع واللجوء لراحة نفسية ولو وهمية.

صحيفة إيلاف الإلكترونية الإثنين 13 سبتمبر 2004

155 الفضائيات العربية وجهان لعملة واحدة

يستولي على القنوات الفضائية في العالم العربي نوعان وهما وجهان لعملة واحدة فالأولى تبث الدماء والأشلاء والثانية تبث الفجور والمجون والحقيقة ان إعلام الرأي والرأي الآخر هو الذي يسوّق الوهم , فإذا كانت بعض القنوات تبيع النساء الكاسيات العاريات فان الوجه الآخر للإعلام تبيع صور الدماء والأشلاء والجثث بلا كساء وكلها تجارة بإختلاف شكل الصورة .

فالكاسيات العاريات العربيات وما يعرضنه في الفضائيات لايمكن أن يكون تعبيراً عن التحرر ، انما هو تقليد للشكل دون المضمون . فرغم ان جسد المرأة لا يزال يستخدم في الغرب ايضا لأغراض دعائية تجارية رخيصة، الا ان المرأة هناك حققت انجازات هامة في سبيل تحررها الإقتصادي والاجتماعي، وهو امر لا تزال المرأة العربية بعيدة عن تحقيقه، الامر الذي يجعل تعرّيها الوجه الثاني لنفس العملة من التقاليد والتخلف والإنكسار ولكن هل كوننا نعيش في عالم تغيرت أفكاره ومبادئه وأنعكست القيم لديه أن نسير على نفس خطاه رغم أن القيم والفكر والمباديء لم تسقط بعد عند كثير من المحافظين ولكنها رخصت في عيون البعض الآخر . وفي ذكرى الحادي عشر من سبتمبر لا زال صدى صور التعذيب التي تعرض لها السجناء العرب من الجنسين ماثلة ولازال الجرح ينزف ألما وحرقة على شرف العراق المستباح ولكن لماذا الغرب يتذكرون موتاهم ويحيون الذكرى بعدم النسيان والوفاء والإنتقام لأرواحهم ومحاربة الإرهاب في كل مكان ونحن نتجاهل قضايانا وماحل بنا فإذا أجرينا دراسة مقارنة فحسب النسبة المئوية نجد أن ماحل بنا كعرب , لايقل عما حدث لأمريكا بل يزيد , ولكن نتناسى ونستمر في دعم قنوات العهر العربي التي تطالعنا بصور لا تقل فظاعة و فحشاً قاسمها المشترك اللحم العربي المستباح والشرف العربي المهدور وهناك من يستغل أوضاع العراق المأساوية لجذب المحتاجين إلى مستنقع الرذيلة والمجون مستغلين تدهور الأوضاع الاقتصادية والمعيشية في أرض الرافدين أو أرض وادي النيل أو أرض القسام بالشام .. هذه البرتقالة التي عصرها العرب حتى آخر قطرة مصوا كل ماء الحياة منها حتى أصبحت بلا حياة وبلا حياء .. !!

تماما كما يفعل الغرب حيث الموت والجفاف ورائحة ال بارود ورغم أن الحرب إنتهت ولكن قصف الطائرات لم ينتهي حتى طال التدمير كل شيء الشجر والحجر أومايسمى بسياسة الأرض المحرو قة والغريب في الأمر التشابه بين مايحصل في فلسطين ومايحصل في العراق والتهديد لازال قائم وكأني أشم رائحة البارود ودخانه يزكم أنوف جيران العراق إنها والله ذات الجريمة ما فعله الامريكان بالعراقيات في سجون العراق هو ما يفعله اليوم رجال الفضائيات بالعربيات على الشاشات الفضية . ومن يتابع القنوات الفضائية يدرك أننا في زمن البرتقالة بداية أخرى للإنحدار في زمن الإنكسار التي عانت منه الشعوب العربية طويلا ولازالت تعاني وستظل تعاني إذا لم يحدث نوع من التغيير في العادات والتقاليد ليتغير معه الواقع الأليم . والواقع ان إعلام الرأي والرأي الآخر يتحمل مسؤولية كبرى عن تنمية الرغبة على الإدمان والهذيان والهروب من الواقع لدى المشاهد العربي .

وذلك عندما بدأت تبيعه "الدم" بوجبات معلبة جاهزة أخذت تتضاعف ولكن بشكل مدروس ليل نهار دون توقف أو خجل من تكرار بل إعتاد المشاهد على إستقبال الأخبار بالبث الحي والمباشر أما البرامج التي تبيع الوهم بأن العرب أقوياء هي التي تريد تحطيم مابقي للعرب من قوة وهو خطاب متطرف يدعوا الناس للخروج والتظاهر لدعم الإنتفاضة أو دعم القتال في العراق ولمصلحة من تقوم هذه القنوات ببث أخبارها .

وهنا نوجه دعوة صادقة الى دعاة حقوق الإنسان والمثقفين ورجال الدين لنفض الغبار عن كثير من الجهل الذي نعاني منه في هذا الزمان حيث أضحت المرأة مبتذلة الى هذا الحد فكفى شعارات لاتورث إلا الفشل فكم تغنينا بالشعارات طويلا ولم نجني منها إلا الفشل كما كنا نسمع قديما لاصوت يعلوا فوق صوت المعركة ولم نكن نفهم حينها أي معركة كان يقصد قائلها فالمعنى كان في بطن القائد فكنا أقرب الى الغوغائية منها الى العقلانية وجنينا على انفسنا وعلى شعوبنا بالهزيمة تلو الهزيمة أو بالتفكك من الأمة الواحدة وبدأت كل دولة تبحث عن خصوصيات تميزها عن غيرها لتدعم إستقلالها وتبتعد شيئاً فشيئاً لتنسلخ عن عالمها العربي والاسلامي حتى أصبحت الفرقة صفة ملازمة للعرب والمسلمين وهو هدف أعداء الأمة .

156 علم الوراثة وهوية الطفل وحقوق المرأة

لقد إهتم الاسلام بالمرأة إهتماما كبيرا وجاء ذلك في كثير من الاحاديث عن رسول الهدى علية أفضل الصلاة والسلام فكان من اهتمام رسول الله بالمرأة أن أوصى بها الرجل خيرا والمراد أن يتواصى المسلمون فيما بينهم بالإحسان إليهن , وسنطرح هنا قضية تهم المرأة ومصيرها ولاسيما أن آلاف من النساء في كل بلد عربي والمتزوجات برجال من غير جنسيتها بموجب عقود زواج شرعية ولكن ترتب على هذه الزيجات بعض السلبيات أضرت بهن أولا قبل الضرر الذي أحاط بذريتها من البنين والبنات فمتى تقوم حكومات الدول العربية بإصدار قرارات لمنح الجنسية لأبناءهن وبناتهن ولو من باب المساواة بين المرأة والرجل في المعاملات فهن بشر وهن شقائق الرجال لذا فان ، "قضية ابناء المرأة " ستكون بداية ليطرحها الاعلام في كل قطر عربي وسوف يناقشها المسؤولين ونتمنى أن تتناوب على تفعيلها وتحريكها المنظمات غير الحكومية والاهلية حتى نواسي المرأة صاحبة القضية التي مازالت الكثيرات منهم يعشن المعاناة والمأساة , إنها المرأة العربية والابناء عرب ولكن جنسية الام غير جنسية الابناء ومقيمون في بلد الام ، فهذه الاسر لا حول لها ولا قوة. والتي تعاني الأمرين من أي إجراء رسمي سواء لالحاق الأبناء في المدارس أو لعلاجهم أو للإفادة من فرص العمل المتاحة وغير ذلك. آلاف من الأبناء المولودين لأمهات عرب هم غرباء في وطن أمهاتهم حيث عاشوا وكبروا وانخرطوا في مجتمع الام على مدى عقود ولم تحل قضيتهم . ولن يقدر أحد حجم المشكلة الحقيقي الا بعد أن يصطدم بواقع مرير وتبدأ المعاناة والمصائب تتوالي واحدة بعد الاخرى فبعد ولادة الطفل ويأخذ جنسية والده تبدأ معاناة الام سواء زوجها معها أو فاقدة له فعلاج هذا الطفل يصبح غير مجاني وعندما يكبر قليلا يصبح التعليم غير مجاني وعندما يكبر قليلا تبدأ التفرقة في المعاملة بين أقرانه فكأنما جاء من كوكب آخر فأين حقوق الطفل التي تنادي بها المنظمات الدولية وأين حقوق المواطنة التي ينادي بها المتشدقون وأين هي حقوق الانسان وعندما يكبر قليلا ويشتد عوده ليكون قادرا على العمل فلن يجد له عملا مناسبا لانه لا يحمل جنسية الام أو جنسية البلد الذي يقيم فيه وعندما يرغب في الهجرة الى خارج

حدود الوطن الذي نشأ فيه لن يجد من يمد له يد العون والمساعدة ويسهل له أجراءات التأشيرة والسفر الى الخارج وتبدأ رحلته عبر النفق المظلم لعله يلتمس بصيص نور أمل في ذلك النفق ولكن هيهات هيهات فهو محروم من العلاج ومحروم من التعليم ومحروم من العمل ومحروم من الهجرة ومسلوب الارادة وخلق في هذا الكون ليعيش ولكن كيف يعيش ؟ وهو يواجه كمّا هائلاً من التعقيدات وهناك مئات من النماذج الصارخة عن المشكلات التي تواجهها الاسر ذات الزواج المختلط فهي تتمتع بالثالوث القاتل الجهل والفقر والمرض ومن تسبب في ذلك ؟ حتما هي أنظمة لاتساوي بين الرجل والمرأة في كثير من المعاملات وفي كل الاحوال ، لا يمنح القانون العربي الجنسية إلا لأبناء الأب أما أبناء الأم فهن حقوقهن منقوصة لم يجدن من يدافع عنهن لذا فهذا الطفل يحمل جنسية الاب ولماذا لايكون لهذا الطفل الذي لاذنب له حرية الاختيار !!! في حمل هوية الام او هوية الاب ولماذا لايحمل الجنسيتين معا فلو تدخل علم الوراثة في التصنيف لأنصفه ووصى بحمل الطفل الجنسيتين لانه يحمل صفات وراثية من الاب وصفات وراثية من الام على حد سواء وبصرف النظر عن مدة اقامة هذا الطفل في هذه الدولة او تلك وعليه يفضل أن لايعامل في جميع أجهزة الدولة على أنه لاجيء أو أجنبي ويجب أن لايدفع الرسوم المقررة على الاجانب في الجامعات والمدارس والمستشفيات والنوادي وغيرها، معاناة تلك الأسر المختلطة عمرها عشرات السنين، لم تجد من يرفع صوته عاليا مناديا ومطالبا بإنصاف المرأة العربية وابنائها، وبمعاملتها أسوة بالرجل العربي في حال زواجه بعربية ، يولد الابناء تابعين لجنسية والدهم ، كما يحق للأم التقدم بطلب للحصول على جنسية زوجها وهي لا تحمل صفة وراثية ولكن معاشرتها لهذا الرجل أعطاها الحق في الجنسية وليس اقامتها في هذا البلد او ذاك الذي أعطاها هذا الحق والقضية بالغة الحساسية، وهذه قضية شائكة تثير المخاوف تستدعي من يقف بجانبها لدفع الظلم عن شريحة كبيرة من الامهات والابناء الذين لم يعرفوا وطناً لهم سوى الوطن الذي نشأوا وترعرعوا فيه , ومن الامهات غير القادرات على توفير سبل التعليم والعلاج لابنائهن، لا سيما المطلقات واولئك اللاتي هجرهن ازواجهن، فأين هي أصوات المنظمات التي تطالب بمساواة المرأة والرجل في الحقوق المدنية وأين هي المنظمات الدولية التي تنادي بحقوق الانسان

وأين هي المفوضية العليا لشؤون الانسان وشؤون اللاجئين وأين هي المنظمات التي تنادي "بالحد من التمييز ضد المرأة في العالم العربي ".وأين هو ميثاق حقوق الانسان ؟ .

157 المرأة الشرقية إرهابية ... متمردة ... لن تتحرر

ظاهرة "هروب الفتيات الى المدن المزدحمة " تعتبر ظاهرة إجتماعية خطيرة لم تلقى التجاوب الكامل من المجتمع الذي أبتلي بهذه الظاهرة وقد يكون هذا الهروب صرخة وتمرد في وجه الظلم الواقع على الفتاة من الأسرة والمجتمع على حد سواء , ويأتي هذا الظلم من الفهم الخاطيء لنصوص الدين وعادات الجاهلية التي مازالت تعشش في أدمغة وعقول ولاة أمر هذه الفتاة الهاربة من محيط أسرتها أو قريتها الى المدن المزدحمة وللتخلص من السيطرة الذكورية الكاملة في المجتمعات الشرقية عليها , هذه المجتمعات لاترغب في التنازل عن سلطة الأمر والنهي وحب الذات والأنانية والتصرف في مستقبل الآخرين بل والمنحازة الى نفس الجنس الذكري ضد الجنس الأنثوي تماما كإنحياز أمريكا الى إسرائيل.

لذا ستبقى المرأة تعيش تحت وطأة ظلم العادات والتقاليد والضغوط المتراكمة ضدها الى أن تنفجر في وجه ذلك الطاغية وهي أشبه بالحرب على الإرهاب فقد تختلف وجهات النظر في تفسير معنى الإرهاب فمن وجهة نظر الرجل الذي يريد أن يبقى صاحب الرهبة والعظمة والاستبداد والتسلط والحكم واللعب بمقدرات الشعوب عفواً المرأة , فمن يقف في وجه هذا الظلم يسمى إرهابياً لذا تعتبر المرأة الشرقية إرهابية مجازاً متمردة راغبة في التحرر من وجهة نظر ولي أمرها , أما ولي أمرها الذي يظلمها ويحكمها فهو يحارب هذا التمرد والتحرر الذي يسميه مجازاً إرهاباً , فالمرأة منذ ولادتها الى أن تصبح شابة تكبت في نفسها أمور كثيرة نظراً لضعفها وبعد أن يشتد ساعدها ما تلبت أن تنفجر في مرحلة الشباب كونها في هذه المرحلة تتميز بالحيوية والطموح والقوة والنشاط والاندفاع ورفض القيود لذا نجد أطفال الحجارة أكثر جرأة في مقاومة الإحتلال الإسرائيلي , وهذه الفتاة تعيش حياة حالمة الى أن تصطدم بالواقع الذي لايمثل غير الظلم والاستبداد وبالتالي فهو بعيد كل البعد عما تحلم به والمثالية التي تود أن تعيشها وفي هذه الحالة فإن الفتاة تعيش حياة هامشية داخل الأسرة فهي ليست موجودة بفكرها وروحها وإنما بجسدها أي دمية بلا روح ولهذا ينوب رب الأسرة عنها في تقرير شؤونها فهي تعاني الإحتلال الجاثم على صدرها والمهيمن على كل شؤونها

ولذلك لاتجد لها حلا غير الهروب المتمثل في المقاومة لهذا الاحتلال المهيمن على الجسد والروح والتفكير والابداع ولا أحد ينكر أن من يريد أن يتولى المقاومة لهذا الاحتلال لابد أن يتعرض للمخاطر ولهذا فهي تقترب الى أول يد تمتد لها لتساعدها بغض النظر عن كون اليد الممتدة لها نظيفة أم غير نظيفة وهذا هو سبب الإنحراف أي عدم القدرة على التنبؤ بنظافة اليد الممتدة لها , ولذا نريدها أن تكون صانعة قرار مستقبلها وليست تابعة لقاهرها ومن يكون صانع قرار فهو يتحمل نتائج هذا القرار وهذا هو الفرق بين المبتكر والمقلد وبين المستقل والتابع , ونريد أن نؤكد أن هذه الظاهرة موجودة بغض النظر عن نسبة وجودها في المجتمع , فإذا لم تتخذ الإجراءات الكفيلة بالقضاء على هذه الظاهرة "هروب الفتيات الى المدن المزدحمة " في مهدها قبل إستفحال خطرها وبالتالي صعوبة إجتثاثها .

ولابد من تعاون جميع الأطراف على زيادة الوعي الأسري مع الحرص على إلتزام التربية السليمة والصحيحة رغم كل المعوقات وفق المثل والقيم الإجتماعية الإنسانية العالمية المتوافقة مع الأديان السماوية .

158 هل نحن مجتمع مثالي أم أمة كباقي الأمم ؟

فكرت في هذا السؤال عندما قامت الدنيا ولم تقعد حتى الآن كصدى لما قام به الدكتور محمد آل زلفة من تقديم دراسة تقوم على 18 عشر مبرر لبدء مشروع يسمح للمرأة بقيادة السيارة لما في ذلك من تخفيف لأعداد السائقين الأجانب الذين وصل عددهم الى مليون سائق أجنبي يستنزفون 12مليار ريال سنويا وتقليل الاعتماد عليهم لأنهم يسببون مشكلات اجتماعية خطيرة وحماية للمجتمع من مشاكلهم التي وصلت إلى مراحل خطيرة حتى إن بعضهم أصبح بمثابة أولياء الأمور لبعض الأسر السعودية، ووصف الوضع بأنه بمثابة قنبلة موقوتة , وجاء الرد حازماً وقوياً من سمو وزير الداخلية الأمير نايف بن عبدالعزيز الذي نفخر به كرجل الأمن الأول في مملكتنا الحبيبة حيث قال سموه في تصريحات صحفية في 1426/04/24هـ " أن الجدل الدائر في أوساط المجتمع حول قيادة المرأة للسيارة ليس له معنى لأنه شأن اجتماعي يقرره المجتمع ونحن وضعناه قضية وهو ليس بقضية " ولو عدنا الى تصريحات سابقة لسموه الكريم نقلاً عن جريدة الإقتصادية في 1420/01/26هـ حيث قال سموه الكريم " لا توجد أي رغبة أو توجه لدى الدولة بشأن السماح للمرأة بالقيادة في السعودية " وكان هذا التصريح إثر قيام مظاهرة نسائية أيام أزمة الخليج ثم صدر قرار بمنع قيادة المرأة للسيارة والتأكيد عليه . وهنا نستنتج مدى تفاعل المسؤولين مع المتغيرات المحلية والدولية . وجاء تعقيباً على هذا التصريح عنوان مقال لأحد الكتاب " استفتاء عام لمعرفة "قرار المجتمع" وإستشهد الكاتب بمقولة مشهورة للملك فيصل طيب الله ثراه عندما قرر فتح مدارس البنات قال " من شاء يعلم بناته فالمدارس مفتوحة، ومن شاء حرمانهن فلا حرج عليه " وهنا نحب أن نعلق على موضوع الإستفتاء ونقول إن العبرة ليست بكثرة المؤيدين وإنما العبرة بمن هم على الصواب ولو كان عددهم قلة ونستشهد بالآية الكريمة (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون), لأن المسائل التي تتعلق بالدين ليس فيها إستفتاء ثم أن مسائل الإستفتاء بحاجة الى وعي كامل بحجج المؤيدين وحجج المعارضين حتى نقول نعم أو نقول لا وهذا غير متوفر في كل من

يقوم بالإستفتاء , ولنأخذ العبرة من الإستفتاء الذي جرى مؤخراً في مصر حول تعديل بند الإنتخابات وماجرى نتيجة لهذا الإستفتاء من إنتهاكات وتحرشات لا أخلاقية ثم نجد أن المجتمع إنقسم الى قسمين بين مؤيد ومعارض ونحن بأمس الحاجة الى التماسك في هذا الظرف العصيب ولنأخذ مثل آخر في فرنسا الإستفتاء حول الدستور الأوروبي وما أدى إلى إستقالة رئيس الوزراء وتغيير الحكومة ثم إن الإستفتاء يحتاج الى تنظيم جيد ونحن في مرحلة هل نقدم المشروع للدراسة أم لانقدمه وجدير بالذكر أيضاً ماتعرض له عضو مجلس الشورى عبر رسائل الجوال الخاص به الذي يستقبل يومياً عشرات الرسائل والإتصالات الحافلة بالشتم والتهديد. حيث قال في إحدى تصريحاته لـ"إيلاف": "أنا مؤمن بما أطرحهه ولستُ نادمًا .. إن وصل الأمر للتهديد بالقتل ... إن قُتلت فذلك في سبيل الإصلاح لا معصية". ويضيف: "المتصلون المهددون كنت أتمنى أن تكون لديهم ثقافة الحوار...ولكنها للأسف غائبة عن مجتمعنا". فهل نستطيع القول بأن ذلك وضع صحي لا غبار عليه أو هو أمر متوقع وشائع ومألوف عند كل منعطف تاريخي في حياة الشعوب . ولن نستطيع في مقالنا هذا أن نتكلم عن حجج المؤيدين وحجج المعرضين لأن ذلك سيأخذ عدد كبير من الصفحات ولامانع من أن أناقش الفرضية التالية طبعاً إن قيادة السيارة يحتاج الى رخصة قيادة ورخصة القيادة بحاجة الى صورة شخصية فهل الصورة الشخصية بالنقاب أم بالوجه المكشوف فلايعقل أن يكون بالنقاب وإلا أصبح جميع النساء المنقبات شكل واحد ولايمكن التعرف على صاحب الرخصة إذاً لابد من الصورة بالوجه بدون حجاب وهذه بداية ثم عند أي مخالفة مرورية فمن حق رجل المرور أن يتعرف على صاحب الرخصة بالصورة كما يجب أن يطابق الأصل وهناك من سيقول ستكون هناك شرطية للمرور وطالما أن هناك شرطية للمرور فلابد أن يكون في جميع القطاعات الأمنية شرطيات أسوة بالمرور ثم نبدأ بالتنازل دينياً شيئاً فشيئاً وأحب أن أرد على من يقول إن المعارضين لم ينطلقوا من جوانب دينية أن هناك فتوى من فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله حيث قال " الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فقد كثر حديث الناس في صحيفة الجزيرة عن قيادة المرأة للسيارة ، ومعلوم أنها تؤدي إلى مفاسد لا تخفى على الداعين إليها ، منها : الخلوة المحرمة بالمرأة ، ومنها : السفور ، ومنها : الاختلاط بالرجال بدون حذر ، ومنها : ارتكاب المحظور الذي من أجله حرمت هذه الأمور ، والشرع المطهر منع الوسائل المؤدية إلى المحرم واعتبرها محرمة ، وقد أمر الله جل وعلا نساء النبي ونساء المؤمنين بالاستقرار في البيوت ، والحجاب ، وتجنب إظهار الزينة لغير محارمهن لما يؤدي إليه ذلك كله من الإباحية التي تقضي على المجتمع قال تعالى : { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } الآية .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما " فالشرع المطهر منع جميع الأسباب المؤدية إلى الرذيلة بما في ذلك رمي المحصنات الغافلات بالفاحشة وجعل عقوبته من أشد العقوبات صيانة للمجتمع من نشر أسباب الرذيلة .

وقيادة المرأة من الأسباب المؤدية إلى ذلك ، وهذا لا يخفى ولكن الجهل بالأحكام الشرعية وبالعواقب السيئة التي يفضي إليها التساهل بالوسائل المفضية إلى المنكرات - مع ما يبتلي به الكثير من مرضى القلوب من محبة الإباحية والتمتع بالنظر إلى الأجنبيات ، كل هذا يسبب الخوض في هذا الأمر وأشباهه بغير علم وبغير مبالاة بما وراء ذلك من الأخطار .

وإنني أدعو كل مسلم أن يتق الله في قوله وفي عمله ، وأن يحذر الفتن والداعين إليها ، وأن يبتعد عن كل ما يسخط الله جل وعلا أو يفضي إلى ذلك ، وأن يحذر كل الحذر أن يكون من هؤلاء الدعاة الذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف . وقانا الله شر الفتن وأهلها ، وحفظ لهذه الأمة دينها وكفاها شر دعاة السوء ، ووفق كتاب صحفنا وسائر المسلمين لما فيه رضاه وصلاح أمر المسلمين ونجاتهم في الدنيا والآخرة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . وهناك فتوى مماثلة لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين يمكن الرجوع إليها في كتاب الفتاوي الشرعية في المسائل العصرية من فتاوي علماء البلد الحرام ونرد على من يقول إن المجتمع تغير فنقول يوجد هناك هيئة كبار العلماء فليطرح الأمر عليهم لإصدار فتوى جديدة إن لزم الأمر وهناك تعليقات من بعض الكتاب حول جاهزية المجتمع وإنتهوا الى خلاصة " بأن القضية هي فعلا

أكبر من أن نقود أو لا نقود، القضية تمس سلوكيات جيل، وأخلاقيات شعب " . وكما أحب أن أكرر وفي أكثر من مناسبة أن لانعتبر الأجانب شماعة نعلق عليها كل مشاكل المجتمع من قيادة السيارة الى البطالة الى قضايا الدعارة والشعوذة والمخدرات التي نالت النصيب الاكبر من الحملات الامنية التي قامت في العديد من مدن المملكة في أكبر حملة من نوعها في تاريخ المملكة منذ تأسيسها والتي إكتشفنا من خلالها أكبر عدد من المشاكل التي يعاني منها المجتمع مواطنين ووافدين فهو عصر الإكتشافات إن صح التعبير ومن هذه الإكتشافات نوجز مايلي :

إكتشاف عصابات ترويج مخدرات وهاربين ومطلوبين في قضايا مخدرات .

إكتشاف عدد من الحبوب المخدرة وكميات كبيرة من الحشيش المخدر وحبوب الكبتاجون والقات والمشروبات المحرمة .

إكتشاف إستراحات تحولت الى مراقص وحانات .

إكتشاف حالات تزوير لمختلف المستندات والقبض على عدد من مزوري الوثائق الرسمية .

إكتشاف عدد من حالات السرقة مثل السيارات وأجهزة التسجيل وقطع الغيار .

إكتشاف حالات هروب خادمات من أرباب العمل .

إكتشاف كميات كبيرة من الأسلحة .

إكتشاف مصانع للخمور .

ولقد عبرت إحدى الكاتبات السعوديات في مقال بعنوان " نقود أو لانقود حيث كتبت " فالبوصلة الأخلاقية في مجتمعنا لا تشير إلى الشمال، رغم أننا نريدها أن تبدو كذلك . لكن يأبى الله إلا أن يكشفنا أمام أنفسنا بأحداث من العيار الثقيل، فكلنا يذكر قصة جوال الباندا، التي كانت فضيحة سارت بها الركبان في الشرق والغرب " وأحب أن أختم بالقول إن الوافدين ليس كلهم خير وليس كلهم شر فلماذا لانتخلص من الأشرار منهم ولننته من هذا الملف بشرط أن لانجعلهم سبب البلاء في كل قضية نثيرها للنقاش العام كما ينبغي أن نشكر الأجهزة الأمنية في المملكة التي نجحت في تحقيق إنجازات ونجاحات كبيرة من خلال حملاتها التي تقوم بها بصفة مستمرة على الأحياء المخالفة في مختلف مناطق المملكة.. بهدف وأد

الجريمة في المهد ومحاصرتها والقضاء عليها.. كما ينبغي أن ندرك أنه لايوجد مجتمع مثالي بل إننا أمة كباقي الأمم قبل أن نفتح ملف قيادة المرأة للسيارة .

صحيفة إيلاف الألكترونية 04-06-2005م

159 العدل والمساواة والتيسير

هل هناك مجتمع مثالي ؟ فكرت في هذا السؤال بعد الأصداء الواسعة على مقال فكرة واحدة وعشرون مفسدة , وإقتنعت بأن رضا الناس غاية لاتدرك وتعليقاً على بعض الردود التي وصلتني رغم قناعتي بأن حق المرأة في قيادة السيارات مطلب أساسي ينادي به شريحة كبيرة بالمملكة من واقع دراسة إستطلاع للرأي نشر في أحد الصحف وكانت النتائج أن 60% من الرجال السعوديين يؤيدون قيادة المرأة للسيارات مقابل 40% عارضوا ذلك لاعتبارات اجتماعية وشرعية مختلفة , معتمدين على خصوصية المرأة وحركتها ودورها في الحياة مما لا يسمح لها بالتعرض للإهانة أو الابتذال في الطرق العامة .

وكشف الاستطلاع الذي أجرته الصحيفة أن المؤيدين يرون أن المرأة بحاجة إلى قيادة السيارة بديلا عن السائق الأجنبي لأسباب متعددة , وكان مسؤول رفيع قد ألمح إلى إمكانية السماح للمرأة السعودية بقيادة السيارة بشرط موافقة ولي أمرها , ويخشى رجال الدين أن تؤدي قيادة النساء للسيارات إلى اختلاطهن مع رجال خارج نطاق عائلاتهن .

وبعد دراسة متأنية للمفاسد التي ذكرها بيان لعدد من العلماء وهو أشبه مايكون بحملة توقيعات يرفضون فيه قيادة المرأة للسيارة بعد إثارة أحد أعضاء مجلس الشورى للموضوع , وقد إقترحنا فكرة واحدة للرد على المفاسد المذكورة في البيان وغيره وملخص الفكرة "عدم قيادة المرأة للسيارة إلا بمحرم" .

ولازلنا نتذكر ردود الفعل الكبيرة كصدى لما قام به عضو مجلس الشورى من تقديم دراسة تقوم على ثمانية عشر مبرر لبدء مشروع يسمح للمرأة بقيادة السيارة لما في ذلك من تخفيف لأعداد السائقين الأجانب الذين وصل عددهم الى مليون سائق أجنبي وتقليل الاعتماد عليهم لأنهم يسببون مشكلات اجتماعية خطيرة وحماية للمجتمع من مشاكلهم التي وصلت إلى مراحل خطيرة ، ووصف الوضع بأنه بمثابة قنبلة موقوتة .

وجاء الرد حازماً وقوياً من سمو وزير الداخلية حيث قال في تصريحات صحفية بتاريخ 1426/04/24هـ " أن الجدل الدائر في أوساط المجتمع حول قيادة المرأة للسيارة ليس له معنى لأنه شأن اجتماعي يقرره المجتمع ونحن وضعناه قضية وهو ليس بقضية " ولو عدنا الى تصريحات سابقة لسموه نقلاً عن جريدة الإقتصادية في 1420/01/26هـ حيث قال سموه الكريم " لا توجد أي رغبة أو توجه لدى الدولة بشأن السماح للمرأة بالقيادة في السعودية " وكان هذا التصريح إثر قيام مظاهرة نسائية قبل عدة سنوات .

وإقترح أحد الكتاب موضوع الإستفتاء وتعليقنا عليه بالقول إن العبرة ليست بكثرة المؤيدين في الإستفتاء وإنما العبرة بمن هم على الصواب ولو كان عددهم قلة ونستشهد بالآية الكريمة [وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون] , لأن المسائل التي تتعلق بالدين ليس فيها إستفتاء , ثم أن مسائل الإستفتاء بحاجة الى وعي كامل بحجج المؤيدين وحجج المعارضين حتى نقول "نعم" أو نقول "لا" حتى لايكون هناك تطبيق لنظرية القطيع .

فالواجب تقديم الشرع على العقل ، فإذا صح النقل شهد العقل وسلَّم وأذعن ، فإن الشرع قائم بنفسه ، سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه ، كما أنه - أي الشرع - مستغنٍ في ذاته عن علمنا وعقلنا ، أما نحن فمحتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا , فمن كان له عقل كامل فليتبع الشرع ، ولهذا وصف الله المعرضين عن شرعه لما حكموا عقولهم أنهم لا يعقلون ولا يتفكرون ولا يتعظون .

وهناك وجهات نظر أخرى مفادها إما نثق فى نساءنا أو لا نثق , ولقد بالغ الكثير من العلماء فى المفاسد والفتن التى من الممكن أن تحدث فى حاله قياده المرأه للسياره , ومبدأ الحوار أفضل من إلقاء التهم جزافا ووصف المؤيدين لحق قياده المرأة للسياره بأعداء الإسلام , والمبطلون , وهذا فى حد ذاته نوع من الأرهاب الفكرى , فقد نسوا قول الحق سبحانه : [ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين] (النحل : 125) .

وفي عصر الفتوحات الإسلامية كانت المرأة تخرج مع الجند وتشارك فى الغزوات وكانت تطبب الرجال , وتقوم بسقايتهم , المرأة كانت تخرج الى الأسواق تبيع وتشترى , فلا عيب فى خروجها للضروره شريطه أن تكون غير متبرجه , وكانت تساعد زوجها فى عمله فلا عيب فى ذلك .

كما ينبغي أن لاننظر للمرأة على أنها كائن ضعيف غبي يسعي وراء شهواته غير موثوق بها وأنها خلقت لإسعاد الرجل , وإنما مانحتاجه هو إعادة تأهيل وتربيه من جديد ووعي ديني ودنيوي لامور الحياه العاديه , وينبغي أن ندرك أيضاً ان المرأة هي شريك للرجل في الحياه وفي عماره الارض وفي تربيه الاجيال الصالحه .

أصبحت المراة اليوم طبيبة ومهندسة وفي جميع التخصصات ومربية ومعلمة تدرس مبادىء الاخلاق الحميدة - فهل قيادة المرأة السيارة هي المشكلة ؟ أم المشكلة غير ذلك ؟ وكيف تأمن المرأة على نفسها مع سائق ليس بمحرم لها والله وحده أعلم بنواياه وما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .

أعتقد أنه آن الآوان لنشوء ثقافة إسلامية حديثة توقف التلاعب بأحكام الدين الإسلامي من طرف المتشددين والسلفيين وأنصاف المجتهدين والجميع يعلم ماتركته كثرة الفتاوى غير المعتمدة من إرهاب وفساد وظلم بين الناس , لذا ينبغي أن تكون لنا مرجعية موثوق بها في تطبيق الأحكام الواردة في القرآن بخصوص كثير من المسائل في عصرنا الحديث عصر الحرية والديموقراطية ؟ .

أما الذين يشددون على الناس الأحكام ولا ييسرونها عليهم كما نص القرآن العظيم على ذلك فهم يعملون على الإرهاب الفكري ويعتمدوا العمل بنظام استعباد الناس وجعلهم عبيدا وإماء بل وإقصاء للطرف الآخر وعدم الحوار والتسلط ولهذا فهم يتغاضون عن أشياء من أجل تطبيق أحكام ويتشددون في أشياء لمعالجة مواضيع إجتماعية كانت موجودة في عصر الإسلام الأول وأصبحت غير موجودة الآن ؟ .

إن القرآن والحديث الصحيح يتضمنان أحكاما أساسية عامة وعلى من يحق لهم الإجتهاد من العلماء أن يبينوا للناس كيفية الإستناد الى حديث أو آية يبدوا ظاهريا أنها تتناقض مع آيات

أو أحاديث تحمل مباديء إسلامية أساسية وصفها القرآن نفسه بأنها أم الكتاب , فمن غير المعقول أن يكون هناك تناقض .

ومن الأمثلة على ذلك : إن المساواة بين البشر باعتبارهم بشرا هو مبدأ أساسي من مباديء الإسلام والآيات والأحاديث النبوية الشريفة تنص على ذلك فإنه لا يجوز للمجتهد أو المشرع أن يستند الى مايخالفها , ولهذا ينبغي الفهم الحديث لإستنباط الأحكام الشرعية لا أن يظلوا أسرى مناهج تفسير في ظروف مختلفة وإن بذل فيها المجتهدون السابقون في زمانهم جهداً وجزاهم الله خيرا ولكن ظروف هذا الزمان بحاجة الى علماء مجددون ومصلحون ويجتهدون لمراعاة متطلبات الحياة العصرية لا أن يبقوا مقلدين ناقلين فقط دون وعي أو إمعان تفكير فالمعطيات تختلف من عصر الى عصر وهو الفكر الذي بني عليه الإجتهاد .

والدولة الحديثة بحاجة الى سن قوانين يستنبطها العلماء والمجتهدون لتيسير أمور الناس بصيغة حديثة تتناسب والعصر الذي نعيش فيه وفي جميع مناحي الحياة العصرية حتى يبقى الإسلام حيا فهو دين يصلح لكل زمان ومكان , وما عدا ذلك سيبعد الناس عن الدين ولن ينفع القمع والإجبار ولن تنفع القبضة الحديدية في جعل الناس يتمسكون بدينهم .

وحق المرأة بالعمل والتجارة وحتى المشاركة بالحرب منصوص عليه في الإسلام وهو جزء من المساواة بين الرجل والمرآ ة كل حسب مقدرته , هذا المبدأ هو مبدأ أساسي في القرآن والحديث وكل آية أو حديث آخر يتناقض معه يجب تفسيره بما يتفق مع مبدأ المساواة هذا لا أن يصبح أداة بيد المحرفين للدين كي يستنتجوا منه ما يخالف المبدأ الأساسي وهو مبدأ المساواة والعدل .

وكثيراً ماتتعرض المرأة بإسم الدين أو بإسم العادات والتقاليد لكثير من القيود والجحود والتسلط والظلم ولهذا ينبغي تقديم التخفيف والتيسير على التشديد والتعسير , ومن أجل هذا جاءت الشريعة بفضل الله ميسورا فهمها سهلا العمل بها تسع الناس أجمعين ويطيقها كل المكلفين , ودين الإسلام رخصة بعد عزيمة ولين من غير شدة ويسر من غير عسر ورفع للحرج عن الأمة والتيسير مقصد من مقاصد هذا الدين وصفة عامة للشريعة في أحكامها

وعقائدها وأخلاقها ومعاملاتها وأصولها وفروعها فربنا بمنه وكرمه لم يكلف عباده بالمشاق ولم يرد إعنات الناس , ويتجلى ذلك في قوله سبحانه [يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] . ويقول الرسول الكريم: "خير دينكم أيسره"، وتقول عائشة: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإذا كان إثما كان أبعد الناس عنه , ويقول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته". ويتأكد ترجيح الرخصة واختيار التيسير، إذا ظهرت الحاجة إليها، لضعف أو مرض أو شيخوخة أو لشدة مشقة، أو غير ذلك من المرجحات .

ويقول عليه السلام : "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة" , والتيسير يعني البحث عن الأيسر للناس في غير الأمور المنصوص عليها , وإذا أضفنا الى مبدأ المساواة والعدل مبدأ التيسير نكون قد رفعنا القيود اللاإنسانية التي تتعرض لها المرأة ونقر لها حقوقها المشروعة سواء كانت في التجارة والعمل وفي شتى المجالات في إطار من الحشمة المعقولة التي لا تعرقل حياتها أو أدائها لعملها , فبالعدل والمساواة والتيسير يكون هناك مجتمع مثالي .

صحيفة الحقائق اللندنية 09-01-2006م

160 فكرة واحدة وعشرون مفسدة

لقد خلق الله الإنسان وميزه بالعقل عن سائر الكائنات ولهذا فهو مطالب بالتفكر والتدبر ومن هنا نشأت فكرة يمكن الرد بها على كل من يقول بمفاسد قيادة المرأة للسيارة وهي مستوحاة من الشرع الحكيم , وملخص الفكرة هي عدم قيادة المرأة للسيارة إلا بمحرم وهذا مطلب شرعي يمكن الإستناد إليه ويمكن أن تصبح قاعدة ذهبية أو قانون يضاف إلى قوانين المرور عند منح المرأة رخصة القيادة ورخصة الإستمارة للسيارة بحيث يطبع على الرخصتين "عبارة عدم القيادة إلا بمحرم" .

وسنقوم بمناقشة المفاسد التي إستند إليها المعارضون لقيادة المرأة للسيارة في حوار علمي هادىء , من خلال أن الأصل في الأشياء الإباحة ، فإن أدى ذلك الشيء إلى أمر مكروه أو محرَّم فإنه يأخذ حكم ما أدى إليه ، كراهة أو تحريما , ولكن في دين الله الكثير من الحلول إذا أردنا أن نستهلم الحلول أما إذا أردنا أن نضيق الخناق فهذا شيء آخر.

والقاعدة العظيمة التي إعتمد عليها العلماء في تحريم أو منع قيادة المرأة للسيارة هي قاعدة "سد الذرائع المفضية الى الشر" ولكن هناك قاعدة أخرى ذهبية إعتمدنا عليها مبنية على الحديث الشريف " لا تسافر المرأة إلامع ذي محرم " وعليه يمكن وضعها كقاعدة مرورية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" وعلينا أن نسمع ونطيع ما وجهنا إليه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال " لا تسافر المرأة إلا بمحرم ولو كان معها نساء" , ولو أردنا أن نطبق هذه القواعد على موضوع قيادة المرأة للسيارة لوجدنا أن قيادة المرأة للسيارة في حد ذاتها عمل مباح .

وهنا يمكن الرد على كل من ينظر الى المفاسد الناتجة عن قيادة المرأة للسيارة بموضوعية وتجرد والدافع عندي هو من باب التناصح وبيان الحق سواء للمعارضين أو المؤيدين وقد إجتهدت بالرد على الشبهات معتمداً على القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" فوجدت أنها كافية للرد على جميع المفاسد المذكورة في كتب المعارضين لقيادة المرأة للسيارة والتي سنقوم بإيجازها فيما يلي :

1. يترتب على قيادة المرأة للسيارة غالبا كثرة خروجها من البيت ، وتنتفي هذه الحجة إذا إتبعنا القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

2. إن كثرة خروج المرأة من منـزلها يلزم منه كثرة تعرضها لأعيـن الناس المحيطيـن بها وإن كانـت عفيفة ، ومن ثم تعلقهم بها ومعرفتهم لها كلما دخلت وخرجت ، وهذه أيضاً تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

3. في قيادة المرأة للسيارة تسهيلا لبعدها عن عين الرقيب من الأولياء ، فربما زيـن لها الشيطان بذلك الاتصال بمن يحرم عليها الاتصال به ، أو الذهاب إلى أماكن بعيدة لفعل الفاحشة ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

4. إن قيادة المرأة للسيارة يلزم منه نـزع حجابها وكشف وجهها لتـتمكن من القيادة ورؤية الطريق ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" مع أن الحجاب لايمنع من قيادة المرأة للسيارة .

5. وفضلا عن انكشاف محاسن المرأة ، فإنها ستُـضطر للاختلاط مع الرجال عند محطات الوقود ، أو عندما تـتعطل سيارتها في الطريق ، أو في ورش صيانة السيارات ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

6. إن اعتياد المرأة للخروج من المنـزل سيـنشأ منه تدريجياً عدم إكتراث الزوج من خروج زوجته وتطبُّعه على ذلك ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

7. إن قيادة المرأة للسيارة ينشأ عنه غالبا إعتماد الرجل على زوجته في قضاء حاجيات البيت ؛ كتوصيل الأولاد إلى المدرسة ، وشراء الأغراض المنـزلية ونحو ذلك ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

8. إن في اعتماد الرجال على النساء في قضاء حاجيات البيت ضرر على الرجال أنفسهم ، من جهة أن في ذلك إذابة لشخصياتهم أمام أولادهم وأمام المرأة أيضا ، وعدم هيبتهم لهم ، ونقص الغَيرة والرجولة ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

9. إن قيادة المرأة للسيارة وما يلحق ذلك من كثرة الخروج من المنـزل يترتب عليه أيضا تفريط في حق البيت والأولاد بقدر خروج ربَّـته منه ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

10. إن كثرة خروج المرأة مدعاة لحصول الشكوك بيـن الزوجيـن ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

11. إن كثرة خروج المرأة من المنـزل سبب في سقوطها من أعيـن الناس المحافظيـن على ديـنهم وقيمهم ، فلن يرغب بها الرجال الأخيار ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

12. إن في كثرة خروج المرأة من بيتها إذهاباً لحياء المرأة وأنوثتها ، وخروجاً لها عن طبيعتها ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

13. إن إنفراد المرأة بسيارتها يُعرِّضها لضعاف النفوس بإغوائها ومعاكستها ، أو التخطيط لوقوعها في قبضتهم كرهاً أو إختيارا ، مستغليـن ضعفها ، وبعدها عمن هي في حفظه وعنايته ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

14. إن في قيادة المرأة للسيارة فتحاً لباب مسدود أمام النساء المنحطات في ديـنهن وخلقهن لزيادة الشر والرذيلة في المجتمع إذا سهُل عليهن التجول في طول البلاد وعرضها ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

15. إن مطالبة بعض النساء هداهن الله لقيادة السيارة ليس نابعا من حاجتهن لذلك ، وإنما هو تقليد للغرب الكافر ، أو تقليد لنساء بعض البلدان التي تأثرت بالاستعمار طويلا ، أو بدافع الإعجاب بالنفس وحب الظهور والتفاخر أمام بنات جنسهن ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

16. إن مما لا شك فيه أن حوادث السيارات أمر منـتشر كثيرا في المدن ، وفي قيادة المرأة للسيارة مضاعفة لتلك الحوادث ، لأن عدد السيارات سيزيد تلقائيا ، والمرأة ضعيفة السيطرة على نفسها ، لا سيما إذا حدث أمر مفزع ، كانفجار إطار ، أو اعتراض شخص أو سيارة أمامها

، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره .

17. إن قيادة المرأة للسيارة سيترتب عليها زيادة أعباء مالية على كاهل الأسرة بدون ضرورة ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" وإن كانت حجة ضعيفة لايمكن الإعتماد عليها في ظل وجود سائق وخادمة في كثير من المنازل .

18. إن زيادة الأعباء المالية على الأسرة ربما تضطر المرأة إلى البحث عن وظيفة لتجد منها دخلا يسد الأعباء المالية الجديدة ، وهذا فيه زيادة أعباء بدنـية على المرأة ، كما أن فيه تفريطاً بحقوق البيت وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" وإن كانت حجة ضعيفة في الأصل .

19. إن في قيادة المرأة للسيارة فتح باب لشرور كثيرة أخرى تأتي تبعا ، كفقدان الاستقرار البـيتي ، والسفر بدون محرم ، والخلوة بالرجال الأجانب ، ولن يستطيع أحد أن يضبط ذلك كله ، لا أهل الحسبة ولا رب البيت ولا حتى ولي الأمر ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" .

20. إن في المطالبة بقيادة المرأة معصية لولاة الأمور وهم الأمراء والعلماء ، والواجب طاعتهم ، لأن طاعتهم طاعة لله تعالى ، ومعصيتهم معصية لله تعالى ، وهذه تلغيها القاعدة الذهبية "لاتقود المرأة السيارة إلا بمحرم" لأنها تعتمد على حديث شريف " لا تسافر المرأة إلامع ذي محرم " والحديث الآخر " لا تسافر المرأة إلا بمحرم ولو كان معها نساء" . وفي نهاية مقالنا أود أن أتساءل لماذا لايكون لنا قوانين مبتكره مستوحاه من الشرع ؟ .

صحيفة الحقائق اللندنية 28-12-2005م

161 دماء وأشلاء ونساء

يستولي على القنوات الفضائية الخاصة في العالم العربي نوعان من الإعلام مختلفان في التوجه ويمكن وصفهما بأنهما وجهان لعملة واحدة , فالأولى تبث صور الدماء والأشلاء والثانية تبث صور النساء الكاسيات العاريات والحقيقة ان إعلام الرأي والرأي الآخر هو الذي يسوّق الوهم , أما الإعلام الآخر فإنه يسوق الفجور والمجون .

ومابين صور الدماء والأشلاء والجثث وبين صور النساء الكاسيات العاريات تقف خلفها مؤسسات تجارية تحقق ملايين الدولارات مع إختلاف شكل الصورة إما فرح وترف وإما حزن وألم .

فالكاسيات العاريات العربيات وما يعرضنه في الفضائيات من مفاتن لايمكن أن يكون تعبيراً عن التحرر ، انما هو تقليد للشكل دون المضمون , وبالرغم أن جسد المرأة لا يزال يستخدم في الغرب أيضاً لأغراض دعائية تجارية رخيصة ، إلا أن المرأة هناك حققت إنجازات هامة في سبيل تحررها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، وهو أمر لا تزال المرأة العربية بعيدة عن تحقيقه، الامر الذي يجعل تعرّيها هو الوجه الثاني لنفس العملة من التقاليد والتخلف والإنكسار .

ولكن هل كوننا نعيش في عالم تغيرت أفكاره ومبادئه وأنعكست القيم لديه أن نسير على نفس خطاه رغم أن القيم والفكر والمباديء لم تسقط بعد عند كثير من المحافظين ولكنها رخصت في عيون البعض الآخر , كل هذا بدأ يتسارع بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001م , وإحتلال أفغانستان والعراق التي لايزال صدى صور التعذيب التي تعرض لها السجناء العرب من الجنسين ماثلة ولازال الجرح ينزف ألما وحرقة على شرف العراق المستباح .

والسؤال الآن هو : لماذا الغرب يتذكرون موتاهم ويحيون الذكرى بعدم النسيان والوفاء والإنتقام لأرواحهم ومحاربة الإرهاب في كل مكان ؟ ولماذا نحن نتجاهل قضايانا وموتانا وماحل بنا ؟ .

إذا أجرينا دراسة مقارنة نجد أن ماحل بنا كعرب , لايقل عما حدث للغرب بل يزيد فمتى قمنا دقيقة صمت حداداً على الأرواح البريئة التي وقعت في حوادث عنف كثيرة لدينا ونخلد ذكراهم حتى يعطينا الحافز على عدم نسيان الشهداء من جنود أو مواطنين الذين راحوا ضحايا العمليات الإرهابية في العالمين العربي والإسلامي حتى يبقى هناك إستعداداً وطنياً وشعبياً لمواجهة العدوان والإرهاب .

والنتيجة أننا نتناسى ونستمر في دعم قنوات العهر العربي التي تطالعنا بصور لا تقل فظاعة و فحشاً قاسمها المشترك اللحم العربي المستباح والشرف العربي المهدور وهناك من يستغل أوضاع العراق المأساوية لجذب المحتاجين إلى مستنقع الرذيلة والمجون مستغلين تدهور الأوضاع الاقتصادية والمعيشية في أرض الرافدين أو أرض وادي النيل أو أرض القسام بالشام .. هذه البرتقالة التي روّجوا لها فعصروها حتى آخر قطرة ومصوا كل ماء الحياة منها حتى أصبحت بلا حياة وبلا حياء .. !!

تماما كما تفعل قوات الإحتلال حيث الموت والجفاف ورائحة البارود وقصف بالطائرات حتى طال التدمير كل شيء الشجر والحجر أو مايسمى بسياسة الأرض المحروقة وليس غريباً أن يتشابه بين مايحصل في فلسطين ومايحصل في العراق وأفغانستان والتهديد لازال قائم وكأني أشم رائحة البارود ودخانه يزكم أنوف جيران العراق إنها والله ذات الجريمة ما تفعله قوات الإحتلال بالعراقيات في سجون العراق , أو الفلسطينيات في سجون الإحتلال هو ما يفعله اليوم رجال الفضائيات بالعربيات على الشاشات الفضية .

ومن يتابع القنوات الفضائية يدرك أننا في زمن الإنحدار أو الإنكسار التي عانت منه الشعوب العربية طويلا ولازالت تعاني وستظل تعاني إذا لم يحدث نوع من التغيير في العادات والتقاليد والأنظمة وكل ماله صلة بأسباب العجز العربي ليتغير معه الواقع الأليم .

والواقع ان إعلام الرأي والرأي الآخر الذي يبيع الوهم يتحمل مسؤولية كبرى عن تنمية الرغبة على الهذيان والإدمان والهروب من الواقع لدى المشاهد العربي , وذلك عندما بدأت تبيعه "الدم" بوجبات معلبة جاهزة أخذت تتضاعف نسبتها ولكن بشكل مدروس ليل نهار دون توقف أو خجل من تكرار بل إعتاد المشاهد على إستقبال الأخبار بالبث الحي والمباشر أما

البرامج التي تبيع الوهم بأن العرب أقوياء هي التي تريد تحطيم مابقي للعرب من قوة وهو خطاب متطرف يدعوا الناس للخروج والتظاهر لدعم هذا التوجه أوذاك أو الإنتفاضة أو دعم القتال في العراق ولمصلحة من تقوم هذه القنوات ببث أخبارها .

وهنا نوجه دعوة صادقة الى دعاة حقوق الإنسان والمثقفين والقادة ورجال الإعلام ورجال الدين للتخلص من الجهل الذي نعاني منه في هذا الزمان حيث أضحت المرأة مبتذلة الى هذا الحد , وكفى شعارات لاتورث إلا الفشل فكم تغنينا بالشعارات طويلا ولم نجني منها إلا الفشل كما كنا نسمع قديما لاصوت يعلوا فوق صوت المعركة ولم نكن نفهم حينها أي معركة كان يقصد قائلها فالمعنى كان في بطن القائد فكنا أقرب الى الغوغائية منها الى العقلانية وجنينا على أنفسنا وعلى شعوبنا ومنينا بالهزيمة تلو الهزيمة.

وتفككت الأمة الواحدة وبدأت كل دولة تبحث عن خصوصيات تميزها عن غيرها لتدعم إستقلالها وتبتعد شيئاً فشيئاً لتنسلخ عن عالمها العربي والاسلامي حتى أصبحت الفرقة صفة ملازمة للعرب والمسلمين وهو هدف إستراتيجي لمن يضمر شراً لهذه الأمة وأود أن أحيط المنسلخين علماً أن أعداء هذه الأمة تنظر إليها بوجه واحد ونحن لانريد أن نكون أمة واحدة .

صحيفة الحقائق اللندنية 24-04-2006م

162 التحرش الجنسي في عالمنا العربي المعاصر

قضايا التحرش الجنسي في العالم العربي من القضايا المثيرة للإهتمام ولكن لم تأخذ حظها من التغطية الإعلامية أو أبحاث الدارسين وكذلك لم تجد لها صدى عند بعض الأطباء النفسيون وغيرهم من الجهات ذات العلاقة للتعرف على أسبابها وإقتراح العلاج المناسب لها , إلا أن مثل تلك القضايا تحظى بالإهتمام من قبل الجهات الأمنية في عموم العالم العربي لردع المجرمين وحفظ الأمن ولكن ليس لعلاج أسباب المشكلة ومثل تلك القضايا التي تهم الجنسين ينبغي أن تجد طريقها الى الحل وإن كان من شبه المستحيل علاجها بالكامل , وقبل فترة وجيزة تم إلقاء القبض على أربعة شبان في قضية تحرش جنسي بفتاتين في أحد الأنفاق على طريق النهضة في مدينة الرياض .

وكعادة العالم العربي الذي يهيج ويثور ثم مايلبث أن يهدأ وكأن شيئاً لم يكن فتلك القضية كانت مثار جدل وحديث المجالس والتي تطغى عليها هذه الأيام الحديث عن الأسهم صعوداً وهبوطاً تاركين أبناءهم وبناتهم يهيمون في عالم الضياع والمعاكسات بشتى الطرق وخصوصاً بعد إنتشار تقنيات البلوتوث في الهواتف المحمولة والتي قد أستخدمت أكثر من مرة في تبادل الصور الفيديو لتفضح الجناة من الشباب الذين يستخدمون تلك التقنيات للتعبير عن تصرفاتهم المتهورة بالفخر والإعتزاز ولكنها غير محمودة العواقب .

وغالباً ماتتحول تلك المحاولات إلى قضية رأي عام بعد إتمام النشر وتبادل المقاطع المخزية والتي تعبر عن سوء في الأخلاق التي يتمتع بها بعض شباب اليوم والمفترض أن يكونوا رجال الغد , فهل نحن أمام غدٍ مشرق أم أمام تفسخ إجتماعي رهيب ؟ .

والحمد لله أن العيون الساهرة قد تمكنت من القبض على الجناة خلال فترة وجيزة وهو ما يجعلنا نفخر بإعتزاز بقدرات رجال الأمن ممثلين بوزارة الداخلية التي تحارب الإرهاب بشتى أنواعه وهم درع الوطن الواقي ولكن الجهود المشكورة التي تقوم بها هذه الوزاره بحاجة الى مساندة ودعم على كافة الأصعدة بالتساوي والتوازي لرفع المستوى الأخلاقي لجيل المستقبل

وإن كانت مثل تلك الحالات يقوم بها نفر قليل إلا إنها تدق ناقوس الخطر الداهم بعد إنتشار الفضائيات التي تنشر الرذيلة والإستخدام غير الأخلاقي لتقنيات دخلت كل بيت .

وفي هذا المقام ينبغي الإشادة بالتوجيهات السامية الواضحة والسريعة والمتفاعلة مع الأحداث سواء كانت داخلية أو خارجية سواء على الصعيد الإجتماعي أو الإقتصادي أو غيرها من الصعد , إلا أننا ينبغي أن نعترف ببعض القصور من بعض مؤسسات المجتمع المدني وبعض أفراد المجتمع الذي يترك مهمة تربية أبنائه الى الدولة وكأن الدولة هي المسؤولة عن الأخطاء التي يرتكبها بعض أفراد المجمتع كما أنحى البعض باللائمة على بعض الجهات الحكومية في قضية هبوط أسعار الأسهم وكأنهم غير مسؤولين عن تصرفاتهم في مضاربات الأسهم العشوائية التي أضرت بالسوق وتعاني الدولة لإصلاح هذا الخلل والذي أشير بأصابع الإتهام الى المضاربين في تلك الأسواق .

وعودة الى ذات الموضوع نجد أن أهم الأسباب التي تفضي لمثل تلك الحوادث هو نقص في التربية ونقص في الإيمان والوازع الديني ونوع من الكبت الداخلي الذي يخرج بين الفينة والأخرى عندما تقع أعينهم على مشاهد لم يعتادوا عليها في ظروف المكان و الزمان والتي كانت مهيئة لهم لتحركهم غرائزهم البهيمية على التعدي , وهي مشكلة سوء تصرف يكون التعبير عنها بأعمال مخلة بالشرف والآداب العامة أو أعمال مخلة بالأمن العام بتبني أعمال إرهابية كنوع من التعبير عن الذات غير الواعية .

ومن الصعوبة بمكان الدعوة الى الإحتشام في الوقت الذي ينتشر عبر الأثير ومن خلال الفضائيات الكثير من الصور الإباحية وغير الأخلاقية وصور الدماء والأشلاء وحتى اليوم لانجد في البرامج التي تبثها قنوات عربية التحذيرات التي يتبعها الغرب عند نشر مواد لفئة البالغين .

الغريب في الأمر أننا لازلنا نتكلم عن مجتمعاتنا بأنها "مجتمعات محافظة ولها خصوصيتها" ولايرغب كتابنا الأفاضل وأساتذتنا الخوض فيها بالشرح والتوضيح والتحليل وطرح مثل هذا النوع من مشاكل المجتمع وكأننا مجتمع بلا مشاكل طالما نعيش في رغد من العيش وأن وضعنا الإقتصادي جيد أما الحديث عن وضعنا الإجتماعي السيء فلا أحد يجرؤ على الكلام

على الرغم من وجود مساحة كافية للتعبير عن الرأي وحرية الصحافة أصبحت الى حد ما مكفولة في عالمنا العربي المعاصر .

والحديث عن تلك الجريمة النكراء تعيد إلى الأذهان قضية "برجس" الذي أدين بالمشاركة في إغتصاب فتاة وتم الحكم بسجنه،وذلك بعد أن قام برفقة إثنين من رفاقه بإغتصاب فتاة وتصويرها بكاميرا الهاتف المحمول والتي عرفت بقضية "جوال الباندا" التي تباينت الآراء حول الحادثتين مابين مطالب بعقوبات رادعة تشمل التشهير بالفاعلين ومابين تحميل الجنس الآخر المسؤولية هم وذويهم أما أصحاب الرأي الوسط فقد حمل الطرفين من الجنسين وأولياء أمورهم وزر ماحدث .

ودائماً مانسمع عبارات إن مثل تلك الحوادث غريبة على مجتمعنا المحافظ سواء كانت تلك الحوادث تحرش جنسي أو عمل إرهابي وإن كنت أعتقد أن هذا التزاوج بين هذه الأعمال المشينة من تحرش وإرهاب هما وليدين لإهمال الأسرة التي تنجب وتترك الأطفال للشارع أو للدولة ليعملا على تربيتهم , أما الكتاب المفلسون فهم اللذين يزجون بالوافدين كسبب رئيسي وراء جميع المشاكل الإجتماعية التي نعاني منها كالإرهاب والتحرش الجنسي والبطالة وغيرها بدعوى الوطنية وهي ليست من الوطنية في شيء .

وعند الرجوع الى الإحصاءات والتقارير الحكومية فإن الذهول ينتابنا عندما نقرأ أن حوادث التحرش الجنسي تأتي في المرتبة الثالثة من حوادث الاعتداء الأخلاقي في السعودية من حيث العدد , وكشفت تقارير رسمية عن ضبطها 1012 متهما في 832 حادثة تحرش عام 1424هـ ، بتهمة معاكسة النساء، 892 من المتهمين من البالغين و104 من الأحداث , ورغم وجود التحرش الجنسي كواقع إلا أن بعض علماء المجتمع لا يرون أن الأمر يشكل ظاهرة .

وتعد مواقف المدارس والشوارع المحيطة بها من أكثر المناطق التي تكثر فيها حوادث التحرش غير الأخلاقي بالفتيات، عن طريق إطلاق الكلمات الساقطة عليهن وتصويرهن بكاميرا الجوال لمحاولة استفزازهن من مجموعة من الشباب الذين يستقلون السيارات , وتتكرر هذه المواقف بشكل يومي الأمر الذي يكسر في نفس الفتاة أو المرأة الإحساس بالأمان ، حيث لا

يستطعن ذكر ذلك لأهاليهن لئلا يتعرضن للملامة والشك في أخلاقهن , وكأنما الفتاة أو المرأة أصبحت المسؤولة الأولى والأخيرة عن أخطائها وأخطاء غيرها وفي ذلك ظلم لها .

ومن المشاهدات المألوفة تجمع الشباب أمام مدارس الفتيات بشكل لافت وجريء أكثر من ذي قبل, لدرجة أن الشباب يطاردونهن بشكل يومي , ويتعدى التحرش الجنسي الشوارع والمرافق العامة إلى الساحات الإلكترونية حيث تتعرض المشاركات في المنتديات بأسمائهن الصريحة إلى مضايقات من خلال إرسال الصور الإباحية على بريدهن الإلكتروني, مما يسبب لهن حرجاً بالغاً خصوصاً إذا كن يكتبن في المنتديات بإسمائهن الصريحة .

وهذا الكلام ينطبق على معظم المجتمعات العربية أما في المجتمعات الغربية فهناك ماهو أدهى وأمر وتحت عنوان "تلميذات ضباط تعرضن لتحرشات جنسية" كشفت بعض التقارير التي نشرتها وزارة الدفاع الأمريكية أن أكثر من 300 حالة تحرش جنسي ضد نساء بينها 64 حالة إغتصاب و34 حالة لواط، سجلت في ثلاث أكاديميات عسكرية أمريكية عام 2004م , وجاء في التقرير أن النساء يمثلن بين 15 و17% من تلميذات الضباط في أسلحة البر والبحر والجو وأن "عددا كبيرا" من حالات التحرش الجنسي لم يعلن عنها.

أما في جمهورية التشيك وتحت عنوان "ربع التشيك تعرضوا للتحرش الجنسي" أظهر أحدث استطلاع للرأي أجري في تشيكيا أن ربع عدد التشيك والتشيكيات قد تعرضوا في حياتهم للتحرش الجنسي أثناء ممارستهم أعمالهم المختلفة وان اغلب حالات التحرش طالت النساء , وأكد الاستطلاع الذي قام به المعهد الاجتماعي التابع لأكاديمية العلوم التشيكية بناء على طلب من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أن التصرفات ذات الإيحاء الجنسي تقع في تشيكيا بشكل كبير .

وفي نهاية مقالنا نود أن نوضح أن مثل تلك القضايا لاينبغي أن يسكت عنها في ثقافتنا الشعبية العربية لأنها تمس المجتمع بشكل مباشر وخصوصاً العنصر النسائي من هذا المجتمع , وينبغي أن نعترف بأن هناك نساء عربيات يتعرضن لتحرش جنسي في معظم المدن العربية , وأن معظمهن آثرن السكوت لأسباب مجتمعية يجب أن ننفض الغبار عنها وأن لايكون السكوت عنها علامة من علامات الرضا الأمر الذي يزيد من حجم المشكلة حتى أصبح

الكثير من النساء يحجمن عن أداء الكثير من الأعمال والخدمات تلقائياً ، بسبب ما يتعرضن له من تحرش ومعاكسات ومضايقات.

وهذا الأمر يؤصل في المجتمع العربي ما يسمى بالسيادة الذكورية حتى إنتقل هذا المفهوم للسياسة ومؤسسات المجتمع المدني، حيث تتجنب المرأة الناشطة في المجالات المختلفة الشارع ما أمكن، درءا لما أستوطن في أذهاننا من تجارب سلبية وممارسات شائنة بحق المرأة في أحيان كثيرة حتى بات الإعتقاد السائد عند البعض بأن المرأة لم تخلق إلا لإسعاد الرجل ولايحق لها كذا وكذا من الأنشطة .

وإذا كانت مؤسسات المجتمع المدني هي ملك للجميع فلماذا نجد السيادة للذكور ؟ بينما ينتقص حق المرأة في كل شيء حتى المشي في الشارع دون أن تتعرض لتحرش جنسي غير أخلاقي وماحدث مؤخراً في إحدى الدول العربية بحق بعض الصحفيات والناشطات من إنتهاكات وتحرشات غير أخلاقية بثت على جميع القنوات الفضائية إنه الدليل على مدى أزمة الأخلاق التي نعيشها في عالمنا العربي المعاصر .

موقع قناة العربية 18-05-2006م

163 التحرش الجنسي في الجامعات

قضايا التحرش الجنسي في العالم العربي من القضايا المثيرة للإهتمام ولكن لم تأخذ حظها من التغطية الإعلامية أو أبحاث الدارسين وكذلك لم تجد لها صدى عند بعض أطباء الصحة النفسية وغيرهم من الجهات ذات العلاقة للتعرف على أسبابها وإقتراح العلاج المناسب لها , هذه كانت مقدمة مقال بعنوان التحرش الجنسي في عالمنا العربي المعاصر وبعد نشر ذلك المقال وردت الكثير من ردود الأفعال وكنا قد ركزنا فيه على فئة الشباب وتعرضنا لسؤال هام هو : هل نحن أمام غدٍ مشرق أم أمام تفسخ إجتماعي رهيب ؟ .

وبعد دراسة ردود القراء والتعليقات والتعمق في الموضوع وجدت أننا في وضع مأساوي أكبر من ذي قبل لأننا سنتناول اليوم شريحة هامة من المجتمع وهي التي تسمى النخبة وأقصد بذلك هيئة التدريس في الجامعات التي تتم فيها الدراسة المختلطة بنين وبنات ففي تقرير للمركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة (أمان) في الأردن أشار الى أن 57% من الطالبات الجامعيات في الأردن يتعرضن للمضايقات والتحرشات الجنسية المستمرة من قبل أساتذتهن , وإستند التقرير الى إستطلاع أجرته صحيفة "الغد" الأردنية شمل 100 من الطالبات تم إختيارهن بشكل عشوائي، في ثلاث جامعات خاصة وحكومية .

وأفاد التقرير أيضاً الى أن 20% من هذه الحالات كانت مصاحبة للتهديد إما بالرسوب أو بالدرجات المنخفضة , كما أظهر التقرير أن 33% كان تحرشا لفظيا، بينما تعرض 24%من الفتيات لتحرش جسدي و8% لتحرش جسدي مباشر، وفكرت 18% من هؤلاء الطالبات برفع شكوى، بينما قامت 2% فقط منهن برفع الشكوى .

وبعد الإطلاع على نتائج الإستطلاع نجد أن هناك ظاهرة خطيرة تستحق الوقوف عندها كثيراً والتأمل في حجم المأساة التي تتعرض لها النساء في عالمنا العربي على إعتبار أن الإستطلاع المذكور يمثل عينة لما هو حاصل في معظم الدول العربية التي تتشابه ظروفها مع الأردن والغريب في الأمر أن مؤسسات المجتمع المدني وحقوق المرأة التي تهتم بمثل تلك القضايا لا تدرج نسبا أو أرقاما حول ظاهرة تحرش الأساتذة بالطالبات، ومن البديهي أن لاتهتم

الجامعات بالدراسات التي تكشف عن فضائح هيئة التدريس لأنهم هم من المفترض أن يقوموا بتلك الدراسات التي ترفع نتائجها الى المسؤولين والمهتمين بمثل تلك القضايا وبالتالي لن يكون القيام بهذا العمل نزيهاً بل قد تكون النتائج مضللة .

وإذا كان لابد من عمل دراسات بهذا الشأن فمن هو المؤتمن على القيام بمثل تلك الدراسات والأبحاث ؟ ويبرز أمامنا السؤال التالي : هل توجد قوانين صريحة في الدول العربية تجرم التحرش الجنسي بالنساء ؟ وكما هو معروف في المجتمعات العربية تحجم العديد من النساء والفتيات عن تقديم شكوى في المراكز الأمنية ضد المتحرشين بهن بسبب عقبات إجتماعية وعائلية , والسؤال الآخر هو : كم عدد قضايا التحرش الجنسي المسجلة في المحاكم أو مراكز الشرطة في الدول العربية ؟ وهل أتخذت إجراءات كفيلة بردع الفاعلين ؟ .

الغريب في الأمر أن مثل تلك القضايا الإجتماعية الحساسة لايتم نقاشها كظواهر سلبية في المجتمع من خلال برامج تلفزيونية للتوعية وإتخاذ الاجراءات الكفيلة بردع المجرمين بل أن الأمر أكبر من ذلك فولاة الأمر تأتيهم تقارير مضلله عن مثل تلك الجرائم كالقول بأنه لم تسجل حالات كهذه في ملفات المحاكم أو مراكز الشرطة وكأن الأمر مجرد فكرة داعبت خيال كاتب .

وللرد على ذلك يمكننا القول أن المحاكم ومراكز الشرطة تسجل يومياً العديد من قضايا هتك العرض أو محاولات الإغتصاب فما بالك بالتحرش الجنسي وهو ما أكدناه في مقال لنا سابق كما أن الصحف تعج بحالات القتل التي تتعرض لها بعض النساء من قبل ذويهن والتي تسمى قضايا الشرف والمنتشرة في أكثر من بلد عربي فمن يريد غسل شرف الأسرة فما عليه إلا أن يقتل من يشك بهن في أسرته .

وإذا كان التقرير السابق أشار الى الطالبات في الجامعات فهناك دراسة لوزارة العمل الأردنية أجريت عام 2001م , تشير الى أن العديد من الموظفات النساء سواء في القطاع الحكومي أو في القطاع الخاص يتعرضن لمضايقات وتحرشات جنسية في محيط العمل من قبل زملائهم ومرؤوسيهن بسبب الضعف الذي توجد عليه الفتاة أو المرأة العاملة أو الموظفة في علاقتها

بالمسؤول أو الرئيس، وفي علاقتها بالرجال عامة في الشارع، من أجل ابتزازها جنسيا والاعتداء عليها لفظيا أو جسديا.

وقدرت الدراسة نسبة الموظفات اللاتي يتعرضن للتحرش في محيط العمل بنحو 30%. ويعلق أحد المحامين أنه رغم وجود قوانين تعاقب على التحرش الجنسي، فإن المتحرش بهن يصدمن بعقوبات كبيرة، من بينها وسائل الإثبات مثل الشهود، التي لا يمكن الاعتماد عليها في هذا المجال، لأن التحرش الجنسي غالبا ما يتم في فضاءات مغلقة , ويضيف أن ما يزيد من صعوبة الموضوع كون المقدمين على التحرش الجنسي غالبا ما يعمدون إلى اتخاذ الاحتياطات اللازمة من أجل محو أي آثار للجرم المقبلين على ارتكابه.

فهل تقوم المؤسسات المعنية بمحاربة التحرش الجنسي مثل مؤسسة حماية الأسرة أو الأمن العام أو حتى منظمات الدفاع عن المرأة أو هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو بوليس الآداب , بدورها كما ينبغي أن يكون ؟ . أم أن هناك قصور واضح ؟ وهل يجوز لنا أن ندعي بأننا مجتمعات محافظة في الوقت الذي نرى مثل تلك التقارير التي تفضح الشريحة المؤتمنة على تدريس أبناءنا وبناتنا ؟ وماهو الدور الذي ينبغي أن تقوم به السلطات لمنع تلك الجرائم ؟ وماهي العقوبات الرادعة التي ينبغي أن تعتمدها السلطات الأمنية ؟ ومن يتحمل المسؤولية عن تلك الجرائم ؟ .

ذكرنا في مقدمة المقال عدم إهتمام الأطباء النفسيين بمثل تلك الحلات على الرغم أنها تسبب آثاراً نفسية سلبية على صحة المتحرش بهن جنسياً ولها تأثير سلبي على حياتهن العاطفية والاجتماعية والعائلية والجسمية, وأنهن يعانين من صعوبات في النوم أو التركيز مما يكسبهن شعورا بخيبة الأمل تجاه تجربتهن الجامعية بعد تعرضهن للتحرش الجنسي , وتقول الطالبات إنهن يتفادين المتحرش بهن أو أماكن معينة في الحرم الجامعي وأنهن منزعجات من التحرش الجنسي وغاضبات ومحرجات ويشعرن بالخوف جراء هذه التجارب وما زال التحرش الجنسي ينتشر في الجامعات مترافقا مع النكات والتعليقات بوصفها جزءً من الحياة اليومية وجزءً من التحرش الجسدي كالتلّمس والمراقبة والتعقب أو النشاط الجنسي القسري .

وفي نهاية مقالنا نود أن نوضح أن مثل تلك القضايا لاينبغي أن يسكت عنها في ثقافتنا الشعبية العربية لأنها تمس المجتمع بشكل مباشر وخصوصاً العنصر النسائي من هذا المجتمع , وينبغي أن نعترف بأن هناك نساء في عالمنا العربي يتعرضن لتحرش جنسي في المدن والقرى , وأن معظمهن آثرن السكوت لأسباب مجتمعية يجب أن ننفض الغبار عنها حتى لايكون السكوت عنها علامة من علامات الرضا الأمر الذي يزيد من حجم المشكلة , وأصبح الكثير من النساء يحجمن عن أداء الكثير من الأعمال والخدمات تلقائياً ، بسبب ما يتعرضن له من تحرش ومعاكسات ومضايقات.

لماذا لاتقوم المؤسسات والهيئات التي تعني بهذا الأمر بإطلاق حملات للحد من التحرش الجنسي في المدارس والجامعات وأن تعمل على تشجيع الحوار حول الموضوع لزيادة الوعي من خلال هذه الحملات الإعلامية والدعائية، ودراسة تجارب الطلاّب والطالبات في هذا الصدد وتجريب وسائل إلكترونية في كشف حالات التحرش الجنسي والإبلاغ عنها.

فهل هذا دليل على أزمة أخلاق تعيشها الجامعات في عالمنا العربي المعاصر ؟

صحيفة إيلاف الإلكترونية 06-06-2006م

164 قضية خطف وإغتصاب فتاة القطيف (ع.أ) الحلقة الأولى

تناقلت الصحف ووكالات الأنباء ومواقع الإنترنت خبراً حول قضية خطف وإغتصاب فتاة القطيف تحت الرمز (ع .أ) خلال شهر أكتوبر 2006م مع العلم أن الحادثة وقعت قبل ثمانية أشهر من هذا التاريخ أي في أحد أيام شهر فبراير عام 2006م وهذه القضية لابد لها من أن تثير غضب الرأي العام السعودي ولابد أن تأخذ حظها من التغطية الإعلامية لأنها قضية مثيرة للجدل ولاسيما أن عدد الأطراف المشتركين فيها قد وصلوا ثمانية والعدد مرشح للزيادة .

والهدف من المقال هو إثارة بعض التساؤلات التي من شأنها أن تستثير الباحثين والدارسين وبعض أطباء الصحة النفسية وغيرهم من الجهات ذات العلاقة للتعرف على أسبابها وإقتراح العلاج لحوادث مماثلة قد تحدث في المستقبل وبالتالي نكون قد ساهمنا بطريق غير مباشرة في إنخفاض معدل الجرائم الجنسية من خطف وإغتصاب وتحرش جنسي ولاسيما أن مثل تلك الجرائم أصبحت تعج بها المحاكم الشرعية في المملكة العربية السعودية .

وبعد الإطلاع على الخبر وردود بعض القراء عليه إتضح أن الكثير من القراء ينظرون الى الامور بشيء من السطحية والعاطفة المتأججة سواء كانت دينية أم وطنية ولا هذه العاطفة ولا تلك تساهم في تسليط الأضواء حول جذور المشاكل الإجتماعية لا المظاهر الخارجية .

صحيح أن هذه القضية تثير غضب الرأي العام السعودي الذي لم يتعود على مثل تلك الجرائم إما بسبب عدم النشر أو بسبب قلة عدد الحوادث وهذا يرجع الى أن المجتمع لازال بفضل من الله محافظ على تقاليده وعاداته لولا التغيرات التي حدثت في الآونة الأخيرة والتي لايشك أحد في مدى تأثيرها في زيادة معدلات أمثال تلك الجرائم ورغبة منا في تعريف بعض القراء الراغبين في المتابعة لهذه القضية فإنه من الجدير بالذكر القول أن محكمة القطيف قد أجلت النظر في القضية الى العاشر من شهر شوال القادم الموافق لـ(1-11-2006م) وجاء هذا التأجيل بعد جلسة استمرت لاكثر من اربع ساعات أنكر خلالها المتهمون ما وجه لهم من تهم.

كما أنه من الواجب أن نوضح ماجاء في مذكرة المدعي العام الذي طالب خلال تلك الجلسة بإقامة "حد الحرابة"على المتهمين السبعة الذين قاموا بإغتصاب الفتاة التي كانت في طريق العودة إلى بيت أسرتها بمنطقة البحاري في محافظة القطيف حينما اعترض طريقها أشخاص مجهولون ونقلوها مع شاب آخر كانت استنجدت به الى كوخ في منطقة العوامية حيث إغتصبوها وهددوها بعقاب أشد في حال ابلاغ أحد بذلك ثم اعادوها الى شارع مجاور لمنزلها. وبداية القصة أن أسرة الفتاة لاحظت حالتها النفسية السيئة حيث كانت في حالة بكاء مستمر الى ان وصلت رسالة عبر الهاتف الجوال إلى زوج الفتاة الذي عقد قرانه عليها ولم يدخل بها بعد جاء فيها "طلق زوجتك لأنها....."، ومن هنا كانت البداية فقد تقدمت أسرة الفتاة بتقديم شكوى الى إمارة المنطقة الشرقية التي شكلت لجنة على الفور لمتابعة هذه القضية التي هزت أوساط محافظة القطيف بل المنطقة الشرقية لبشاعتها وإنتشر الخبر الى باقي مناطق المملكة .

ومن الجدير بالذكر القول أن المتهمين قد إعترفوا في أول جلستين أنهم قاموا بإختطاف وإغتصاب الفتاة والإعتداء على شاب جنسياً حاول إنقاذها ولكنهم في الجسلة الأخيرة قد أكدوا أنهم لم يختطفوا الفتاة بالإكراه وإنما قالوا أنهم إتفقوا مع شخص آخر على إحضارها لهم بمحض إرادتها وهنا بدأت القضية تتشعب وتأخذ طابع التناقض بين ما أدلوا به في الجلسات الثلاث للمحاكمة .

وعند إستجواب الشخص الذين ادعوا انه تواطأ معهم قال ان ما زعموه غير صحيح موضحا أن الفتاة استنجدت به حينما تحرش بها المتهمون، ولإستكمال السيناريو لابد من الإشارة إلى أن "4" متهمين منهم "3" متزوجين نقلوا إلى مقر محكمة القطيف مكبلين وسط حراسة امنية مشددة , وما يزال البحث جارياً عن متهمين اثنين آخرين، في حين تم القاء القبض على متهم آخر بعد أن كان لاذ بالفرار إثر تصديق أقواله أمام المحكمة .

وهنا نود طرح تساؤلين إثنين وهما ماهي العوامل المسببة لجريمة الاغتصاب الجنسي بشكل عام وهذه القضية بشكل خاص ؟ والسؤال الثاني ماهي أساليب العلاج لجرائم الاغتصاب الجنسي بشكل عام .

وقبل الخوض في المسببات والعلاج نود أن نوضح ماهو الاغتصاب الجنسي ؟ إنه نوع من أنواع العنف ضد المرأة أو الرجل على حد سواء ويدخل في نطاقها الأطفال من ذكر أو أنثى ، وقد بدأت في السنوات الأخيرة تظهر بعض الحالات من عمليات الاغتصاب والتحرش الجنسي في المجتمع السعودي ، مما أدى إلى ترويع الآمنين من أفراد المجتمع سواء كانوا مواطنين أو مقيمين ، وكما هو معروف أن الاغتصاب الجنسي يتنافى مع تعاليم الأديان السماوية، وتقاليد المجتمع السعودي وعاداته وأعرافه، ومن المؤكد القول بأن كل حادثة اغتصاب أو تحرش جنسي بما يصاحبها من عنف ، تختلف الآراء حول تفسير دوافعها .

وهذه الآراء حول الدوافع والعلاج للاغتصاب والتحرش الجنسي ، نظراً لتقاربها قد أضرت بالمجتمع السعودي ، وقد زادت حدة التوتر والخوف لدى المواطنين والمقيمين ، لأن هذه الآراء قد تبنى على تأثر إنفعالي عاطفي أو ديني وقتي ، وغير مبني على دراسة علمية دقيقة حيث يلاحظ أن ما تم إتخاذه من إجراءات أمنية وقانونية لردع عمليات الاغتصاب الجنسي في المملكة العربية السعودية ، قد أتخذ في ضوء هذه الآراء عن الدوافع والعلاج ، وبالتالي لم تعط هذه الإجراءات النتائج المرجوة في الحد من عمليات الإغتصاب والتحرش الجنسي .

ومن المعروف أنه مهما أتخذت من إجراءات لن تجدي في الحد من حوادث الاغتصاب والتحرش الجنسي مائة بالمائة لماذا ؟ ، لأن المشكلة أساسها تربوي سواء في الجانب الديني أو الأخلاقي ، ولا يمكن حلها إلا جزئياً ومن خلال مزيد من الدراسات والأبحاث في مجال التربية والأخلاق وتقوية الوازع الديني ، فالاغتصاب والتحرش الجنسي هو انحراف عن السلوك السليم وابتعاد عن أخلاق وتراث المجتمع من تقاليد وأعراف وسلوك وتربية دينية ، ومسئولية التربية الدينية والأخلاقية توجيه السلوك وتعديل الاتجاهات والحفاظ على الدين والأخلاق والتراث .

إذاً يمكن حصر مسئولية الحد من حوادث الإغتصاب والتحرش الجنسي في التربية والسلوك ولهذا ينبغي دراسة العوامل التي من الممكن أن تؤدي الى إنتشار الإغتصاب والتحرش الجنسي وبعد ذلك يمكن للباحث أن يطرح النتائج عن وسائل الحد من مثل هذه الحوادث .

وإذا أردنا تحقيق ذلك الهدف فإنه يتطلب البحث العلمي عن الآثار التربوية الناجمة عن ما حدث للمجتمع السعودي بشقيه المواطنين والمقيمين من متغيرات إقتصادية وسياسية وإجتماعية ودينية وثقافية وإعلامية وتكنولوجية ، تزامنت مع حدوث عمليات الاغتصاب والتحرش الجنسي .

تفيد بعض الدراسات عن مثل تلك الحالات فيما يتعلق بالعوامل المسببة لحوادث الإغتصاب والتحرش الجنسي هو غياب دور الأسرة في التربية والتوجيه السليم للأبناء وأهمية هذا الدور لا يعادله في الأهمية أي دور آخر ونقصد بذلك المدرسة أو أي مؤسسة تربوية أخرى خصوصاً عندما يتعلق الأمر بتربية القيم والإتجاهات الدينية وصدق الرسول الكريم حين قال : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه":

فالأسرة متمثلة في الأبوين بالإضافة الى فطرة اللّه التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: {أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى} [الأعراف:172] وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة , ومن المعلوم أن الأسرة هي وحدة من إجمالي وحدات المجتمع وبالتالي تتأثر بالمتغيرات التي طرأت أو قد تطرأ على المجتمع .

ومن هذه المتغيرات هو إتجاه الأسر الى الحجم الصغير وإختفت الأسرة الممتدة التي كانت تمارس نوعاً من الضبط الإجتماعي على أفرادها كالقبيلة مثلاً , ومن المتغيرات أيضاً ، خروج المرأة الى العمل أو الى أي جهة أخرى بمفردها والتي كانت قبل وقت قصير من المستحيل أن تخرج المرأة بمفردها , ويضاف الى هذه المتغيرات غياب الأب أو المحارم طوال اليوم عن الأسرة وبالتالي غياب الرادع الأسري تحت ضغط الظروف الإقتصادية لتوفير متطلبات الأسرة أو متطلبات ولي الأمر الشخصية .

مما سبق يتضح تقلص دور الأسرة في التربية والتوجيه , مما يدفع الكثير من أفراد الأسرة الى التسكع في الشوارع وتكوين جماعات رفقاء السوء , الأمر الذي يسهل لهم السبيل الى الوقوع في الجريمة , هذا إضافة الى تأثير العوامل الأخرى التي تدفع الشباب بشقيه الذكري والأنثوي نحو الجنس والنتيجة المتحققة هي أن يرتكب هؤلاء الأبناء بشقيهم جريمة الاغتصاب والتحرش الجنسي .

ومن العوامل أيضاً مشاهدة أفلام تثير الغرائز الجنسية لدى الجنسين ويندرج تحت الأفلام الأغاني والفيديو كليب والصور الماجنة والأشرطة وكاميرات الجوال بتقنية البلوتوث وغيرها من التقنيات ومن المعلوم أن المشاهدة تفضي الى التطبيق أو التقليد ومع وجود بيئة مناسبة وغياب التوجيه الأسري تساعد هذه المشاهد للجنس والعنف على إرتكاب حادثة الإغتصاب والتحرش الجنسي ولاننسى تأثير القنوات الفضائية التي أصبحت هي نتاج المتغيرات الثقافية التي إجتاحت المجتمعات العربية بلا إستثناء والتي سمحت للقوى الثقافية الخارجية من إختراق للمجتمع العربي .

ومن العوامل أيضاً إبتعاد كثير من الشباب من الجنسين عن القيم الدينية التي تعصمهم من الانحراف ، ويؤكد ذلك غياب الوازع الديني الذي يجنب الشباب من الجنسين الوقوع في ما يخالف الشريعة وصدق المصطفى حين قال : " يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج" , فأين نحن الآن من مثل هذه القيم بل نجد في قضيتنا هذه أن هناك ثلاثة من أربعة محصنون أي متزوجون ولم يحصنهم الزواج .

صحيفة الحقائق اللندنية 17-10-2006م

165 قضية خطف وإغتصاب فتاة القطيف (ع.أ) الحلقة الثانية

كنا قد كتبنا عن قضية خطف وإغتصاب فتاة القطيف (ع.أ) وذكرنا في الحلقة الأولى أن هذه القضية لابد لها من أن تثير غضب الرأي العام السعودي ولابد أن تأخذ حظها من التغطية الإعلامية لأنها قضية مثيرة للجدل وذكرنا الهدف من كتابة المقال وهو إثارة بعض التساؤلات التي من شأنها أن تستثير الباحثين والدارسين للتعرف على أسباب الإغتصاب وإقتراح العلاج لحوادث مماثلة قد تحدث في المستقبل لتحقيق الأمن وإنخفاض معدل الجرائم الجنسية من خطف وإغتصاب وتحرش جنسي.

ونبهنا الى التعامل مع القضية بشيء من التعمق والتركيز والبعد عن السطحية والعاطفة المتأججة سواء كانت دينية أم وطنية لأن العواطف وحدها لاتساهم في حل المشاكل الإجتماعية من جذورها وإنما من خلال المزيد من الدراسات والأبحاث في مجال التربية والأخلاق والدين ومدى التغيير الحاصل في المجتمع نظراً للتغير في العالم أجمع .

وذكرنا ايضاً أنه لولا التغيرات التي حدثت في الآونة الأخيرة والتي لايشك أحد في مدى تأثيرها على زيادة معدلات أمثال تلك الجرائم وتابعنا في المقال سرد مختصر لأحداث القضية وأن المحكمة قد أجلت القضية حتى تستكمل الأدلة وقد أوضحنا ماجاء في مذكرة المدعي العام بإقامة "حد الحرابة"على المتهمين السبعة الذين قاموا بإغتصاب الفتاة ثم اعادوها الى شارع مجاور لمنزلها.

وطرحنا خلال ذلك المقال تساؤلين إثنين وهما ماهي العوامل المسببة لجريمة الاغتصاب الجنسي بشكل عام وهذه القضية بشكل خاص ؟ والسؤال الثاني ماهي أساليب العلاج لجرائم الاغتصاب الجنسي بشكل عام ؟ .

وبدأنا بتعريف الإغتصاب وتطرقنا الى بعض الآراء حول الدوافع والعلاج للاغتصاب والتحرش الجنسي ، وذكرنا أن أساس المشكلة تربوي سواء في الجانب الديني أو الأخلاقي ، وذكرنا أيضاً أنه لايمكن حصر مسئولية الحد من حوادث الإغتصاب والتحرش الجنسي في التربية والسلوك وركزنا على دراسة العوامل التي من الممكن أن تؤدي الى إنتشار الإغتصاب والتحرش الجنسي .

وأشرنا الى المتغيرات المختلفة من جوانب إقتصادية وسياسية وإجتماعية ودينية وثقافية وإعلامية وتكنولوجية ، تزامنت مع حدوث عمليات الاغتصاب والتحرش الجنسي وتطرقنا الى أهم العوامل المسببة لحوادث الإغتصاب والتحرش الجنسي وذكرنا غياب دور الأسرة في التربية والتوجيه السليم للأبناء وأهمية هذا الدور.

ومن العوامل مشاهدة أفلام تثير الغرائز الجنسية لدى الجنسين ومايندرج تحتها وذكرنا عامل إبتعاد كثير من الشباب من الجنسين عن القيم الدينية التي تعصمهم من الانحراف ، ويؤكد ذلك غياب الوازع الديني الذي يجنب الشباب من الجنسين الوقوع في المعاصي والآثام .

وفي هذه الحلقة سنستكمل بعض العوامل الأخرى مثل مناهج التربية الدينية في مراحل التعليم المختلفة والتي لاتحتوي على عوامل إعمال العقل والفهم وإن كانت تعمل على إكساب الطلاب معلومات دينية قل نظيرها في الدول الأخرى ولكنها لاتؤدي في النهاية الى خلق بصيرة دينية تكسب المزيد من الوعي الديني ويتضح جلياً قصور دور العبادة في تأدية رسالتها في توجيه الشباب إلى مكارم الأخلاق والقيم الدينية التي تحمي عقيدتهم وفكرهم من أي اختراق خارجي, ولاسيما أن هناك حملات مسعورة مبنية على دعاوي فكرية تنادي بهدم كافة الثوابت ، تحت مسمى الحداثة التي يهتم بها الشباب .

وعودة الى العوامل المسببة والتي لاتقل أهمية عن دور الأسرة التربوي هناك عامل مهم هو إرتداء الفتيات للملابس المثيرة ، وكذلك التبرج والسفور كما أن إرتداء الفتيات الملابس الكاشفة عن مواطن الفتنة ، لابد وأن تثير الغرائز الجنسية لدى الرجال ، وهذا ما يتنافى مع تعاليم الدين ، وقيم وعادات وتقاليد المجتمع السعودي والعربي والإسلامي على حد سواء .

ولابد حين الحديث عن العوامل المختلفة أن نتطرق الى عامل ضعف الرقابة الأسرية على الأبناء ، وتأثير قرناء السوء الذين يزينون الرذيلة لقرنائهم ويصبح تأثير هؤلاء واضح على سلوكياتهم وتوجهاتهم ، ومن ثم يسهل انحرافهم بتأثير بعضهم على بعض , ولنا في رسول الله أسوة حسنة في حديث الجليس الصالح والجليس السوء .

ومن العوامل مسألة التفكك الأسري والطلاق والخلافات العائلية التي تؤدي حتماً الى الإنحراف بين الأبناء , كما وتعتبر البطالة من العوامل المسببة والتي تؤدي الى متاعب نفسية كما أن الفراغ الذي يعاني منه الشباب يؤدي الى الجرائم ومنها الإغتصاب والتحرش الجنسي .

ويعتبر عامل إنتشار المخدرات والمسكرات من العوامل التي تؤدي الى الإغتصاب والتحرش الجنسي ، لأن ما تحدثه المخدرات من تأثير على المتعاطين يفقدهم السيطرة على تصرفاتهم مما ينتج عنها من تغييب للعقل ، قد يدفع بالمتعاطي إلى ارتكاب جرائم كثيرة منها الإغتصاب والتحرش الجنسي .

ونحب أن نؤكد على مسألة التغيير الذي يحدث في المجتمعات وأهمها التقليد غير الواعي لبعض القيم الغربية الدخيلة والمنافية لعقيدتنا وخاصة بعض محاولات الشباب تقليد الغرب في عاداتهم وأساليب حياتهم ولاسيما فيما يتعلق بالإباحية الجنسية والمثلية .

ومن العوامل إنتشار ثقافة الابتذال في الأدب والفن من غناء وتمثيل وغيرها وكذلك الصحافة الهابطة التي تتحدث عن الفضائح الجنسية والإعلام المرأي الهابط ، ففي الأدب نجد وصفاً لجسد المرأة ومفاتن هذا الجسد بصورة مبتذلة ، ومايحدثه من إثارة الغرائز لدى المتلقي ، وقد دأبت بعض الصحف الصفراء على نشر صور وفضائح جنسية مما يثير الرغبة الجنسية لدى القراء ، وناهيك عن الأغاني المصورة والمسماة (فيديو كليب) وماتعج بها من صور مثيرة للغرائز فيلجأ الأفراد إلى إشباع غرائزهم بطرق غير شرعية .

ومن العوامل الإفتقار الى التربية الجنسية السليمة ، وللأسف أنها لاتحظى في عالمنا العربي والإسلامي بأي إهتمام سواء من جانب المدرسة أو الأسرة ، ومنذ مرحلة الطفولة يواجه الطفل بالتوبيخ إذا سأل عن ما يتصل بالناحية الجنسية ، ويعتبر البعض أن الخوض في ما يتصل بالتربية الجنسية من الأمور المعيبة الأمر الذي يقود الى الإنحراف الجنسي وتزايد معدلات جرائم الإغتصاب .

إن الإفتقار إلى التربية الجنسية السليمة سوف يدفع المراهقين عموماً إلى محاولة التعرف على هذا العالم الغامض بالنسبة لهم مما سيؤدي إلى كثير من الانحرافات التي تؤدي بالتالي إلى الاغتصاب والتحرش الجنسي وقد يكون السبب في عدم إهتمام المجتمعات الشرقية بهذه

الثقافة هي رأي كثير من رجال الدين في أن التربية الجنسية ضرب من ضروب الإباحية بل ومن المحرمات .

ومن العوامل العقوبات غير الرادعة في قضايا الاغتصاب والتحرش الجنسي ، وبرغم تغليظ العقوبة في بعض الحالات إلا أن العقوبة لا تنفذ في وقت قصير من وقوع الحادثة ليكون تأثيرها قوياً وفعالاً , أما بالنسبة للأحكام المخففة فحدث ولا حرج ، كما يسمح في كثير من الأحيان إفساح الوقت لدفاع المتهم للبحث عن ثغرات شكلية في الاتهام أو أن أبناء ذوي النفوذ لا ينالهم أي عقاب على جرائم الاغتصاب الجنسي إذا إرتكبوها .

وعند هذا العامل الهام نود أن نتوقف قليلاً للتركيز على هذا الجانب وهو الإختلاف الواضح في نوعية العقاب وكذلك الفترة الزمنية اللازمة لتنفيذ الحكم فنجد أن هناك إختلاف كبير بين رأي قاضيين في قضية واحدة فما بالك برأي قاضيين في قضيتين متشابهتين ولهذا دعا بعض الكتاب الى تقنين الشريعة وقد سبق هذا الرأي آراء مختلفة لبعض العلماء مؤكدين ضرورة هذا المطلب .

وتطرق بعض الكتاب الى وضع مقارنة بين ثلاث قضايا فيها نوع من التشابه رغم إختلاف العقوبات وهذه القضايا هي قضية البرجس وقضية نفق النهضة بالرياض وقضية فتاة القطيف وتطرق الكتاب الى الحكم الصادر في القضايا المذكورة سابقاً فمثلاً قضية فتاة القطيف كان الحكم الصادر سجن خمس سنوات أو أقل أو أكثر وكذلك جلد ما يقارب الألف أو أقل أو أكثر كما حدث في قضية إغتصاب فتاة القطيف.

وقبل ذلك قضية نفق النهضة وقبلها قضية البرجس ولكن النتائج التي توصل إليها الكتاب هي الإتفاق على أن الأحكام كانت في الغالب مخففة فيما يتعلق بفتاة القطيف عن الأحكام الصادرة بحق القضيتين السالفتين , أما فيما يتعلق بالأحكام المخففة عن قضايا مماثلة فقد أدى الأمر بعد خروج المجرمين من السجن بالتباهي بما فعلوا أو أنهم عادوا لمثل مافعلوا وهذا يدل على عدم تشديد العقوبة أو لأسباب نفسية أخرى .

على سبيل المثال الحكم الصادر في قضية إغتصاب فتاة القطيف وغيرها التي يعتبرها الإسلام جريمة نكراء ولكن ترك للقضاة الحكم والحسم في العقوبة والسؤال هو لماذا هذا الإختلاف في الحكم بين حكم متشدد وحكم متساهل الى حد ما ؟ , وتساءل بعض الكتاب عن تلك القضايا فيما إذا كانت تأتي ضمن السعي في الأرض فساداً ؟ أم هي غير ذلك ؟ وأكد أكثر من كاتب على تشديد العقوبة لردع المجرمين وهناك أمثلة ساقوها بحكم الإعدام على بعض مجرمي القضايا المماثلة ؟ .

أما في القضية التي نحن بصدد الحديث عنها وهي قضية فتاة القطيف ذكروا أن الأحكام لم تصدر إلا بالسجن والجلد وطال الحكم المجني عليهما أيضاً ولهذا لم يقتنع أصحاب القضية بالحكم الصادر وطالبوا بالتمييز وستستمر هذه الحلقات حتى يصدر الحكم النهائي ويسدل الستار عن قضية هزت الرأي العام السعودي والرأي العام العربي وغير العربي .

صحيفة دنيا الوطن 2006/11/26م